لايجى بمن العشق بمعنى الدخول فى العشق
٢٧٣

تفسير الخشية والاشفاق
١٣٥

مطلب فى الكلم الطيب
٣١٣

1

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاج بشير آغاي دار السعادة
الشريفة لسنة ثمان عشر ومائة
وألف

هذا الكتاب الجليل من وقف حضرة مولانا صاحب الحضرات الحسان صاحب ذيل الجود والاحسان
منور مصابيح المقاصد بأنوار العناية مفتح معاقد المراصد بمفاتيح الكفاية جامع محاسن العلم
والعمل حائز مجامع المراد الاكمل الا وهو آغا دار السعادة الحاج بشير وفقه الله لما يحبه ويريد
والله الكريم من هو على كل شيء قدير حرره العبد الفقير الى الله سبحانه وتعالى
محمد امين المفتش باوقاف الحرمين المحترمين
عفى له

٢٠

سورة الرعد

المر اسم للسورة ومحله اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بهذا الاسم و
اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما حررناه وقوله تعالى تلك على الوجه الاول
مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان او بدل من الاول والمشار اليه ايذانا بفخامته واما النصب
بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ او اذكر فتلك مبتدأ كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد ومعناه انا الله اعلم
وارى على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والخبر على التقادير قوله تعالى آيات الكتاب اي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف
المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع المنزل حينئذ
كما مر في مطلع سورة يونس عليه السلام او هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغني عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات بوصف
اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الاتصاف
بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلابد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه
ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس عليه السلام والذي انزل اليك من ربك اي الكتاب المذكور بكماله لا
هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل
على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا
عليه وفي التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عم
من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق
والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار الله الذي رفع السموات اي
خلقهن مرتفعات [illegible] قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر
كقوله وهو الذي مد الارض بغير عمد اي بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب وهو ما تعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط اي
ادعمته وقرئ عُمُد على جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول او اراد صيغة الجمع لجمع السموات لا ان المنفي عن كل واحد منها
عمد لا عماد ترونها استئناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد حينئذ ايهاما لان لها
عمدا غير مرئية هي قدرة الله تعالى ثم استوى اي استولى على العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة لله تعالى بلا كيف واياما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى حمل كلمة ثم على التراخي

في الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها كل من الشمس والقمر يجري حسبما
اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجري كل يوم على مدار معين من
المدارات اليومية او لمدة ينتهي فيها حركاتهما وتخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها وذلك والجملة بيان ل
حكم تسخيرهما يدبر ما صنع من الرفع والاستواء والتسخير اي يقضي ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر
ملكوته وربوبيته يفصل الآيات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اي يأتي بها مفصلة وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها
من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للآثار الغريبة في السفليات على موجب التدبير والتقدير والجملتان اما حالان
من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرتان له او الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها او كلاهما من
ضمائر الافعال المذكورة وقوله كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله الله خبر لبعد خبر والموصول صفة للمبتدأ
جيء به للدلالة على تحقق الخبر وتعظيم شأنه كما في قول الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول لعلكم
عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها بلقاء ربكم بملاقاته للجزاء توقنون فان من تدبر فيها وفي التدبير المتقن ايقن ان من قدر
على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء قدير وان لهذه التدبيرات المتقنة عواقب وغايات لابد من وصولها وقد بينت
على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لابد من الايقان بالجزاء ولما قرر الشواهد
العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا قال الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك
منتهاه ففيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام
الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك والانحصار مجيء فواعل جمعا لفاعل في فوارس وهوالك ونواكس انما
هو في صفات العقلاء واما في غيرهم فلا نزاع في ذلك اصلا كما في قوله تعالى اياما معدودات وقوله تعالى الحج اشهر معلومات الى غير ذلك
فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة لجمع القلة اعني اجبلا ويعتبر في جمع الكثرة اعني جبالا انتظامها لطائفة من جموع القلة
وتنزيل كل منها منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعية كل من صيغتي الجمعين انما هي باعتبار الافراد التي تحتها لا باعتبار
انتظام جمع القلة للافراد وجمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان اطراف جمع طرف ولا الى ان
يلتجئ الى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما طرح على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هي في الجمع
دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها
من المياه وفي نظمها مع الجبال في سلك مفعولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشأ للانهار وسبب لتغايرها اخرى للجبال غير كونها حافظة
للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على مكنه وتقلبه وهي معيشته بالماء والكلأ ومن كل الثمرات
متعلق بجعل في قوله تعالى جعل فيها زوجين اثنين اي ثنتين حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر واكد به الزوجين
لئلا يتوهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينيته ذلك اثنينية اعتبارية اي جعل كل نوع من انواع
الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير
والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان تتعلق بجعل الاول ويكون ثم استئنافا لبيان كيفية ذلك الجعل

يغشي الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اي
يستر بالليل النهار والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار ساتر لظلمة الليل
الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعد هذا في تضاعيف الايات السفلية وان كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرا
باعتبار ان ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات
من حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرئ يغشّي من التغشية ان في ذلك
اي فيما ذكر من مد الارض وايتادها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار وفي الاشارة
بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه في بابه لآيات باهرة وهي آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها على
معناها فان تلك الآثار مستقرة في تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك
الافاعيل ففي تجريدية لقوم يتفكرون فان التفكر فيها يؤدي الى الحكم بان يكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق
والاسلوب اللائق لابد له من مكوّن قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد
وفي الارض قطع جملة مستأنفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة مختلفة الاوصاف فمن طيبة الى سبخة
وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات اي متلاصقات وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات
اي جعل في الارض قطعا وجنات من اعناب اي بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع من انواع الحبوب
وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها
لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتاخير قوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى صنوان وغير
صنوان فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان جمع قنو وهي النخلة التي لها رأسان واصلها واحد وقرئ
بضم الصاد على لغة بني تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم
نظم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات في هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال
والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها للايماء الى كون تلك الاحوال صفات راسخة
لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات يسقى اي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل
وقرئ بالتانيث مراعاة للفظ والاول اوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف في
طبعه سواء كان السقي بماء الامطار او بماء الانهار ونفضل مع تحقق اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا
بعضها على بعض آخر منها في الاكل فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر
ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال استناد الفعل الى فاعل
آخر مغن عن بناء الفعل على الفاعل ان في ذلك الذي فصل من احوال القطع والجنات لآيات كثيرة عظيمة
ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم في الجزم بان من قدر
على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة

المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي اهون في القياس وهذه الاحوال وان كانت
هي الآثار نفسها لا انها فيها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة في كونها آية ففي تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها
دار الخلد او المشار اليه الاحوال الكلية والآيات افرادها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة واحادها الواقعة في الاقطار
والامكنة المشاهدة لاهلها ففي على معناها وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق علق كونها
آيات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص
والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تامل وتفكر كانه لا حاجة في ذلك الى التفكر اصلا وفيه تعريض بان المشركين غير
عاقلين وان تعجب يا محمد من شيء فعجب اي فالعجب منه حقيق بان يقصر عليه التعجب قولهم بعد مشاهدة ما عدد لك
من الآيات الباهرة بانه تعالى على كل شيء قدير ءاذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام الانكاري المفيد لكمال الاستبعاد
والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على انه بمعنى المقول او في محل النصب على المفعولية منه على انه مصدر
فالعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى ءانا لفي خلق جديد وهو نبعث
او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ءانا لتاكيد الانكار
وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستبعادهم له
وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في النكير ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فعجب قولهم وانكل
وان تعجب فقد تعجبت في موضع التعجب وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتامل وقد جوز
كون الخطاب لكل من يصح له اي ان تعجب يا من ينظر في هذه الآيات من قدرته من هذه الافعال فازدد تعجبا ممن ينكر
مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون من هذه والانسب بما بعده ويستعجلونك بالسيئة هو الاول
وقوله فعجب خبر قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل من اول الامر بكون قولهم ذلك امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدأ
لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب الذي لا عجب وراءه قولهم هذا فالعجب منه
وعلى الاول وان تعجب فقولهم هذا العجب لا عجب فوقه اولئك مبتدأ والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته تعالى
على البعث ريثما عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان لو كانوا يبصرون الذين كفروا
بربهم وتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واي كفر واولئك مبتدأ خبره قوله تعالى الاغلال في
اعناقهم اي مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيمة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات
اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بل بالجميع
المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي انذروها وذلك حين سألوا رسول
الله صلعم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من
قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يجوزون حلول مثلها بهم والجملة حالية لبيان ركاكة
رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه

وقد مضت العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها
وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم
وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء بتخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات
وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي ومحلها النصب على الحالية اي ظالمين والعامل
فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها وان ربك
لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس للاهمال عنه عم لولا عفو الله وتجاوزه
ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون السابقون وانما عدل
عن الاضمار الى الموصول ذمًا لهم ونعيًا عليهم كفرهم بآيات الله تعالى التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأسا
ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل آيات موسى وعيسى عم عنادا ومكابرة والا
ففي ادنى آية انزلت عليه عم غنية وعبرة لاولي الالباب انما انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما يأتون
ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا
حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الآيات ولكل قوم هاد معين لا يكاد يعلم بعنوان
الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما يختص به حكم لا يعلمها الا الله تعا
او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم
للآيات المنزلة عليك وازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على
الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى ذلك
اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدي الا من يعلق بهدايته مشيئته التابعة للحكم التي لا يعلمها فقال الله يعلم
ما تحمل كل انثى اي تحمله فما موصولة اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط
والعلم متعد الى واحد او اي شيء تحمل وعلى اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استفهامية
معلقة للعلم او حملها فهي مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد اي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام
وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما وقيل ان الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان
في اربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد وما فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة ويعلم نقصها
وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعا وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ونزداد
كيل بعير او لازمان قد اسندا الى الارحام مجازا وهما لما فيها وكل شيء من الاشياء عنده بمقدار بقدر لا يمكن
تجاوزه عنه كقوله تعا انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب
التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري
فان تحقق الاشياء في انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم بالنسبة الى الله عز وجل

عالم الغيب اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم
وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من
قوله تعالى الله يعلم الآية الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او المنزه
عن نعوت المخلوقات وبعد ما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط بعالمي الغيب والشهادة
بين انه عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال
سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء كأنه مختف
بالليل وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل احد بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من
هو مستخف او على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند الى من اسر ومن جهر والى المستخفي
والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى السر والجهر وما جهر به او الى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الآخرين وتقديم
الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى فكانه في التعلق بالخفيات اقدم منه بالظواهر وان استوت النسبة الى الكل سواء
لما عرفته آنفا له اي لكل ممن اسر او جهر والمستخفي والسارب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة
من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه
او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع
معقب ومعقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال
ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه حين اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون
احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات
الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية
حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها
واذا اراد الله بقوم سوءا كسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه
الجواب وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله تعالى بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما
بهم وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح
الآية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من
الصواعق وطمعا في المطر وجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه نفس الرزق العتيد والمطموع فيه
الرزق المترقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالخزاف والحراث ويأباه الترتيب
اللهم الا ان يتكلف او اشير الى ان المخوف عتيد والمطموع فيه مترقب وانتصابهما اما على المصدرية اي تخافون
خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذوي او بجعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل

مبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتاويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل
المعلل مع الرؤية التي يتضمنها الارادة على طريقة قول النابغة: وحلت بيوتي في يفاع ممنع ۞ تخال به راعي الحمولة طائرا
حذارا على ان لا تنال مقادتي ۞ ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا ۞ اي احللت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لان ما وقع في معرض
العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لوثوقهم وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الجو الثقال بالماء وهي جمع ثقيلة
وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحد سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة
ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين بحمده اي يضجون بسبحان الله والحمد لله
واسناده الى الرعد لحمله لهم على ذلك او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته وفضله الموجب
لحمده وعن النبي صلعم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا
بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي ان اليهود سالت النبي صلعم
عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله
ليس بملك والملائكة اي يسبح الملائكة من خيفته من هيبته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم اي الكفرة المخاطبون في قوله هو الذي يريكم البرق وقد
التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب
كانه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق
الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المومنين او الرعد نفسه او الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك
من التسبيح والتحميد والخوف من هيبته وهم اي الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شانهم
يجادلون في الله اي في شانه حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الايات
فالواو للعطف للجملة على ما قبلها من قوله هو الذي يريكم البرق الخ او على قوله الله يعلم ما تحمل الخ واما العطف على
قوله ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تعالى الله يعلم الخ استيناف لبيان بطلان قولهم ذلك وانكار
من استعجال العذاب وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال اي فيصيب بها الصواعق من يشاء وهم في
الجدال او قد اريد بها اصابة اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلعم يبغيانه
الغوائل فدخلا المسجد وهو عم جالس في نفر من الاصحاب رضي فاستشرفوا لجمال عامر وكان من اجمل الناس وقد كان
اوصى الى اربد انه اذا رايتني اكلم محمدا عم فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عم فدار اربد من خلفه عم
فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فراى النبي صلعم ما يصنع فقال اللهم اكفنيهما بما شئت
فارسل الله تعالى على اربد صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة سلولية فلما اصبح
ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول
واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فارداه

في التراب

في التراب فخرجت عليه ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت
في بيت سلولية ثم عاد بفرسه فركب فاجراه حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روي عن الحسن انه كان رجل من طواغيت
العرب فبعث النبي صلعم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه ما هو ومم هو
من ذهب ام من فضة ام من نحاس ام من حديد ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلعم فقالوا ما راينا
رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال عم ارجعوا اليه فرجعوا اليه فاراد الا مقالته الاولى واخبث فرجعوا
اليه عم واخبروا بما صنع فقال عم ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه اذا ارتفعت سحابة ورعدت
وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر فجاؤا يسعون ليخبروه عم ما خبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق
صاحبكم قالوا من اين علمتم قالوا اوحي الى النبي صلعم وهو شديد المحال اي والحال انه شديد المماحلة والمكايدة
والمماكرة لاعدائه من محله اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو محال من المحل
بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول والحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال
يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه
احد له دعوة الحق اي الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجاب عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها
للحق واختصاصها به وكونها بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه
اي الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله عم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقية لتربية
معنى الاستجابة والاولى هو الاول لقوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال ويتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك
اربد وعامر محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلعم عليهما ان كانت الآية نزلت في شانهما او من حيث انه
وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلعم بحلول محاله بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم والذين يدعون اي الاصنام
الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط
كفيه الى الماء اي الا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على تضمينه
الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويضاف الى الباسط معا على اشتراك المصدر
من المبني للمفعول وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كائنة كاستجابة من بسط
كفيه الى الماء كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا
مسحت او مجلف ليبلغ اي الماء بنفسه من غير ان يوخذ بشيء من الاناء ونحوه فاه وما هو اي الماء ببالغه
ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه اليه فضلا عن الاستجابة لما اراد من البلوغ الى فيه شبه حال
المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم على شيء اصلا وركاكة رايهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد
بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه
شيء نافع بخلاف آلهتهم والمراد نفي الاستجابة راسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا

من الاستجابة الا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليس فيها شائبة الاستجابة قطعا فهو في حقيقته من باب التعليق بالمحال
وقرئ تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين ﴿وما دعاء الكافرين الا في ضلال﴾ اي في ضياع وخسار وباطل ﴿ولله
يسجد﴾ يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد ﴿من في السموات والارض﴾
من الملائكة والثقلين ﴿طوعا وكرها﴾ اي طائعين وكارهين او انقياد طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع الكل
لعظمة الله تعالى وانقياده لاحداث ما اراد فيهم من احكام التكوين والاعدام شاؤوا او ابوا وعدم مداخلة
حكم غيره بل غير حكمه في تلك الشؤون مما لا يخفى على احد ﴿وظلالهم﴾ اي ينقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف
على مشيئته وتتأتى لارادته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال ﴿بالغدو والآصال﴾ ظرف للسجود المقدر او حال
من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع اوقات وجودها لظهور ذلك فيهما والغدو جمع
غداة كقنى في جمع قناة والآصال جمع اصيل وقيل جمع أُصُل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو
مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال اي الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطرار
وهو المعنى بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال الله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد
ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي
كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص
سجود الكافر حالة الضرورة والشدة بالله سبحانه لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من
تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان تحقق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في
التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك
لانهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على انه قد نبه على ذلك بقوله عز وجل ﴿قل من رب السموات والارض﴾ فانه تحقيق
ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله سبحانه وقوله تعالى ﴿قل الله﴾ امر بالجواب من قبلهم اشعارا بانه
متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء او امر بحكاية اعترافهم ايذانا بانه امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم
فبكتهم بما يلزمهم من الحجة ولقنهم الجواب او امر بتلقينهم ذلك ان تلعثموا في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون اذ ذاك
ولا يقدرون على انكاره ﴿قل﴾ الزاما لهم وتبكيتا ﴿افاتخذتم﴾ لانفسكم والهمزة لانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك
لا لانكار الوقوع كما في قوله اضربت ابي والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اي اعلمتم ان ربهما هو الله الذي ينقاد لامره
من فيهما كافة فاتخذتم ﴿من دونه اولياء﴾ عاجزين ﴿لا يملكون لانفسهم نفعا﴾ يستجلبونه ﴿ولا ضرا﴾ يدفعونه عن انفسهم
فضلا عن القدرة على جلب النفع للغير ودفع الضر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى
افلا تعقلون اذا قدر المعطوف عليه الا تسمعون بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه والمعنى ابعد
ان علمتم ان ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه
فعكستم الامر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ووصف الاولياء بما تقدم

المالكية للنفع والضر في ترشيح الانكار وتأكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعني قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما مانع من
الاتخاذ المذكور ويؤكد انكاره ﴿قل﴾ تصوير لآرائهم الركيكة بصورة المحسوس ﴿هل يستوي الاعمى﴾ الذي هو المشرك الجاهل
بالعبادة ومستحقها ﴿والبصير﴾ الذي هو الموحد العالم بذلك او الاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني اشارة الى المعبود
العالم بكل شيء ﴿ام هل تستوي الظلمات﴾ التي هي عبارة عن الكفر والضلال ﴿والنور﴾ الذي هو عبارة عن التوحيد والايمان
وقرئ بالياء ولما دل النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض
والخطأ البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي الى شيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة تصلح
لكون منشأ لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل ﴿ام جعلوا لله﴾ اي بل اجعلوا له ﴿شركاء خلقوا كخلقه﴾ سبحانه
والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع
لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه ﴿فتشابه الخلق عليهم﴾ بسبب ذلك وقالوا هؤلاء
خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك
بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رأيهم والتهكم بهم ﴿قل﴾ تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه ﴿الله خالق كل شيء﴾ كائنا ما كان لا خالق
سواه فيشاركه في استحقاق العبادة ﴿وهو الواحد﴾ المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية ﴿القهار﴾ لكل ما سواه فكيف يتوهم
ان يكون له شريك ثم انه تعالى بعد ما مثل المشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه
من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفي
ثباته فيها مع كونه ممدا لحيوتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل
في اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلانا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها الباقي فيها حسبما يدور
عليه منافع الناس وفي كونه حلية تتحلى به النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا تتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة
وسائر الفلزات التي تتخذ منها انواع الآلات والادوات وتبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة
لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة له فيهما واخلال بصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل ﴿انزل
من السماء﴾ اي من جهتها ﴿ماء﴾ اي كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر ﴿فسالت﴾ بذلك ﴿اودية﴾ واقعة في مواقعه لا جميع الاودية
اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو منفرج بين جبال وتلال واكام على الشذوذ كناد واندية وناج
وانجية قالوا وجهه ان فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب
واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي
فالاسناد مجازي كما في جرى النهر وايثار التمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها
كما اشير اليه ﴿بقدرها﴾ اي سالت ملتبسة بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت
قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد
الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان مورد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من مورد السيل الجاري

في الوادي الكبير هذا ان اريد بالاودية السيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدرها
تلك الاودية على نحو ما عرفته آنفاً او يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولاً من المعنيين
فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اي حمل معه زبداً اي غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى رابياً
اي عالياً منتفخاً فوقه بياناً لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون المحمول غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال
بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شان الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقاً للمماثلة بينه وبين
ما مثل به من الباطل الذي شانه الظهور في بادئ الرأي من غير مداخلة في الحق ومما يوقدون عليه في النار اي
يفعلون الايقاد عليه كائناً في النار والضمير للناس اضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ابتغاء حلية
او متاع اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذة من الذهب والفضة او اتخاذ متاع وهو ما
يتمتع به من الاواني والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد خبث مثله اي مثل ما
ذكر من زبد الماء في كونه رابياً فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ
وناشئاً منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضاً منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض
لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه جري على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين
واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار اشعار بالمبالغة في الاعتمال للاذابة وحصول الزبد
كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء
دخلاً فيه حسبما فصل فيما سلف بل له اخلال بذلك كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة يضرب
الله الحق والباطل اي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب
عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء الى تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابدع وجه واتمها حسبما اشير
اليه في مواقعها بين عاقبة كل من المثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء تتمة للغرض
من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء
اي مرمياً به وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس منهما كالماء الصافي والفلز الخالص فيمكث في الارض
اما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والآبار واما الفلز فيصاغ
من بعضه انواع الحلي ويتخذ من بعضه اصناف الآلات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة
فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء في ايدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في
الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكرهما فان المعتبر انما هو
بقاء الباقي بعد ذهاب الذاهب قبله كذلك يضرب الله اي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الامثال في كل باب اظهاراً
لكمال اللطف والعناية في الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشان هذا التمثيل وتاكيد لقوله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل اما
باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعاً وبعد ما بين شان كل من الحق والباطل حالاً ومآلاً

الكل

اكمل بيان شرع في بيان حال اهل كل منهما حالاً ومآلاً تكميلاً للدعوة ترغيباً وترهيباً فقيل للذين استجابوا لربهم اذ دعاهم
الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير
النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابراز لاوابد المعاني في هيئة المأنوس فاي دعوة اولى منه
بالاستجابة والقبول الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلي لو ان لهم ما في الارض من
اصناف الاموال جميعاً بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعاً غير متفرق بحسب الازمان ومثله معه لافتدوا به
اي بما في الارض ومثله معه جميعاً ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدأ والشرطية
كما هي خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوءى في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصار
كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوءى كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ
السوءى مصحوباً باللام الداخلة على الموصول او ضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب
في قوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع
مبتدأ في الجملة السابقة كان خبرها اعني الجملة الظرفية خبراً عن الموصول في الحقيقة ومبيناً لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبراً
عنه اولاً ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك في قوة ان يقال وللذين لم
يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم حسن المقابلة على ابلغ وجه واكده ثم بين ما يؤدي اليه ذلك فقيل ومأواهم اي مرجعهم
جهنم وفيه نوع تاكيد لتفسير الحسنى بالجنة وبئس المهاد اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله تعالى للذين
استجابوا لربهم متعلقة بقوله تعالى يضرب الله الامثال اي الامثال السالفة وقوله الحسنى صفة للمصدر اي استجابوا الاستجابة
الحسنى وقوله تعالى والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الاول وقوله تعالى لو ان لهم الخ كلام مستأنف مسوق لبيان ما اعد لغير
المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين اي هما مثلا الفريقين وانت
خبير بان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان استعمال المثل بمعنى دخول اللام على من يقصد
تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضاً كما في قوله سبحانه ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ونظائره على ان
بعض الامثال المضروبة ليس مثل الفريقين بل مثل للحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين
مضروباً لهم ايضاً بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس اذ لا وجه لتنويعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين
فتامل افمن يعلم انما انزل اليك من ربك من القرآن الذي مثل بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى
هو الحق الذي لا حق وراءه او الحق الذي اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن هو اعمى عمي القلب لا يشاهده وهو نار
على علم ولا تقدر قدره وهو في اقصى مراتب العلو والعظم فيبقى حائراً في ظلمات الجهل وغياهب الضلال او لا يتذكر بما ضرب
من الامثال اي لا يعلم ذلك الا انه اريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى
ترتب توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال وبين المصير والمآل كانه قيل ابعد ما بين حال كل من
الفريقين ومآلهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استؤنف فقيل انما يتذكر بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت

والتنافي أولو الألباب أي العقول الخالصة المبرأة من متابعة الإلف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله بما
عقدوا على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق
ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص
وفيه تأكيد الاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان
بجميع الأنبياء المجمعين على الحق من غير تفريق بين أحد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم
من الهرة والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما أمر به ويخافون سوء الحساب فيحاسبون
أنفسهم قبل أن يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل والذين صبروا على كل ما تكرهه النفس من الأفعال
والتروك ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من غير أن ينظروا إلى جانب الخلق رياء وسمعة ولا إلى جانب النفس زينة
وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الأمر في كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة أورد على صيغة الماضي اعتناء
بشأنه ودلالة على وجوب تحققه فإن ذلك مما لا بد منه إما في نفس الصلات كما فيما عدا الأولى والرابعة والخامسة أو
في إظهار أحكامها كما في الصلات الثلاث المذكورات فإنها وإن استغنت عن الصبر في أنفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف
بالربوبية والخشية والخوف لكن إظهار أحكامها والجري على موجبها غير خال عن الاحتياج إليه وأقاموا الصلاة المفروضة
وأنفقوا مما رزقناهم أي بعضه الذي يجب عليهم إنفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال أو لمن لا يتهم بترك الزكاة أو عند إنفاقه
وإعطائه من يمنعه المروءة من أخذه ظاهرا وعلانية لمن لم يكن كذلك أو الأول في التطوع والثاني في الفرض ويدرءون
بالحسنة السيئة أي يجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن
من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن
ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لإظهار كمال العناية
بالحسنة أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية أعني قوله تعالى لهم
عقبى الدار أي عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لأولئك وعقبى الدار
فاعل الاستقرار وأيا ما كان فليس فيه قصر حتى يرد أن بعض ما في حيز الصلة ليس من العزائم التي يخل إخلالها بالوصول إلى
حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة أو استئناف لبيان ما استوجبوه بسبب الصفات إن جعلت الموصولات
المتعاطفة صفات لأولي الألباب على طريقة المدح من غير أن يقصد أن يكون للصلات المذكورة مدخل في التذكر جنات
عدن بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الإقامة ثم صار علما لجنة من الجنان أي جنات يقيمون فيها
وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم وذرياتهم
وهو عطف على المرفوع في يدخلون وإنما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح
من أهليهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة وأن الموصوفين
بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد بالصلاح

قطع

8

قطع للأطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الأنساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب
الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذه الكرامة
العظمى بما صبرتم أي بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة
وتخصيص الصبر بما ذكر من بين الصلات السابقة لما قدمنا من أن له دخلا في كل منها ومزية زائدة من حيث إنه ملاك الأمر
في كل منها وأن شيئا منها لا يعتد به إلا أن يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار أي فنعم عقبى الدار
الجنة وقرئ بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل حركتها إلى النون تارة وبدونه أخرى وعن النبي صلعم أنه
كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الأربعة
رضوان الله عليهم أجمعين والذين ينقضون عهد الله أريد بهم من يقابل الأولين ويعاندهم في الاتصاف بنقائض
صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من
الإيمان بجميع الأنبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الأرحام وموالاة
المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الأمور المعدودة فيما سلف وإنما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم
صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك وأما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلأنه إنما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات
المعدودة ليقع معتدا بهن فلا وجه لنفيه عمن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلوة والزكوة
ممن لا يحوم حول أصل الإيمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وإن أريد بالإنفاق التطوع فنفيه مندرج تحت
قطع ما أمر الله تعالى بوصله وأما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق فإن من يجازي إحسانه
عز وجل بنقض العهد ومخالفة الأمر ويباشر الفساد حسبما يحكيه قوله عز وجل ويفسدون في الأرض
أي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الإساءة بالإحسان على أن ذلك يشعر بأن له دخلا في الإفضاء
إلى العقوبة التي ينبئ عنها قوله تعالى أولئك أي أولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك اللعنة
أي الإبعاد من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار أي سوء عاقبة الدنيا أو عذاب جهنم فإنها دارهم
لأن ترتب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى أنه لا دخل له في ذلك على أكثر التفاسير فإن مجازاة السيئة
بمثلها مأذون فيها ودفع الكلام السيء بالحسن وكذا الإعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع مما
لا يورث تركه شينا وأما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الإخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك
لأن اعتباره من حيث إنه من مستتبعات الإخلال بالعزائم كالكفر ببعض الأنبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق
الواجبة وتكرير لهم للتأكيد والإيذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت الله يبسط الرزق أي يوسعه
لمن يشاء من عباده ويقدر أي يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير أن يكون لأحد مدخل في ذلك ولا شعور
بحكمته فربما يبسط للكافر إملاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن زيادة لأجره فلا يغتر ببسطه الكافر ولا يقنط
بقدره المؤمن وفرحوا أي أهل مكة فرح أشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحياة الدنيا وما بسط لهم

فيه من نعيمها وما الحيوة الدنيا وما يتبعها من النعيم في الآخرة اي في جنب نعيم الآخرة الا متاع الا شيء نزر يتمتع به
كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال ان ما اشتروه في جنب ما اعرضوا
عنه شيء قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي اهل مكة وايثار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم
عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا انزل عليه آية من ربه فان ذلك
في اقصى مراتب المكابرة والعناد وكان ما انزل عليه عم من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة
من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول لذلك امره في الجواب بقوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء
اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال لصرفه اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع
فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له
الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي اليه اي الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه
فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف من اناب اي اقبل الى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من
دلائله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ايرادها في الصلة على ايراد المشيئة كما في الصلة الاولى
للتنبيه على الداعي الى الهداية بل الى مشيتها والاشعار بما دعا الى المشيئة الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة
على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار صيغة الماضي للايماء الى استدعاء الهداية لسابقة الانابة كما ان ايثار
صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم الذين آمنوا بدل من من اناب فان اريد
بالهداية الهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين
صار امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين اي الصائرين الى التقوى والا فالايمان لا يؤدي الى الهداية نفسها
او خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين آمنوا او منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم اي تستقر وتسكن بذكر الله
بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون
ان لا آية اعظم منه فيقترحوها والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمينان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها
الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنيويات وهذا ظاهر
اما سائر المعجزات فالنظر من حيث انها ليست في افادة الطمأنينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد
فانه معجزة باقية الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب
وافئدتهم هواء حيث لم تطمئن بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته
ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر دلائله الدالة
على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا
الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حيث يعزى اليه اي قلوب الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان
انما هو القلب او مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل او اعني قوله طوبى لهم او خبر مبتدأ مضمر او نصب على المدح

فطوبى لهم حال عاملها العامل في اللام وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر وقرئ
بكسر الاعرابي طيبى لتسلم الياء والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب كسلاما لك او الرفع على الابتداء وان
كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك ويدل على ذلك القراءة في قوله تعالى وحسن مآب بالنصب والرفع واللام
في لهم للبيان مثلها في سقيا لك كذلك مثل ذلك الارسال العظيم الشان المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ارسلناك
في امة قد خلت اي مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم رسل لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك
من الكتاب العظيم الشان وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله
ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها وهم اي والحال
انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته واحاطت نعمته والعدول الى المظهر المتعرض
لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره
ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية
والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين أمروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اي الرحمن الذي
كفرتم به وانكرتم معرفته ربي الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به
مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده قبل قوله تعالى لا اله الا هو
اي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان ابا جهل سمع النبي صلعم يقول
يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية
عليه توكلت في جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه واليه خاصة متاب اي توبتي كقوله تعالى
واستغفر لذنبك أمر عم بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة الانبياء وبعثا للكفرة
على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه عم حيث أمر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب
وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل
مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقيل فيثيبني على مصابرتكم فتأمل ولو ان قرآنا اي قرآنا ما وهو اسم
ان والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال وجوابه محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمقصود
اما بيان عظم شان القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات
فاقترحوا غيره مما اوتي موسى وعيسى عم واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد
فالمعنى على الاول لو ان قرآنا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور
لموسى عم او قطعت به الارض اي شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عم بعصاه او جعلت
قطعا متصدعة او كلم به الموتى اي بعد ان احيى بقراءته عليها كما احييت لعيسى عم لكان ذلك هذا القرآن لكونه
الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل

لرؤيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله لا في الإعجاز إذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والإنذار والتخويف
لاختصاصها بالعقلاء مع أنه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول لها مخل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور
في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الإبهام ثم التفسير لزيادة التقرير لأن بتقديم ما حقه التأخير تبقى النفس
مستشرفة ومترقبة إلى المؤخر أنه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة أو في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع
واقتراحهم وإن كان متعلقاً بمجرد ظهور مثل هذه الأفاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث
كان مبنياً على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وأنه حقيق بأن يكون مصدراً
لكل خارق وإبانة لركاكة رأيهم في شأنه الرفيع كأنه قيل لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها
هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله الأمر جميعاً أي له الأمر
الذي عليه يدور فلك الأكوان وجوداً وعدماً يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعو إليه من الحكم البالغة وهو إضراب عما
تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه أي لو أن قرآناً فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا
القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن لأن الأمر كله له وحده فالإضراب ليس بمتوجه إلى كون الأمر لله
سبحانه بل إلى ما يؤدي إليه ذلك من كون الشأن على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار أفلم ييأس
الذين آمنوا أي أفلم يعلموا على لغة هوازن أو قوم من النخع أو على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه له ويؤيده
قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أفلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف
على مقدر أي أغفلوا عن كون الأمر جميعاً لله تعالى فلم يعلموا أن لو يشاء الله على حذف ضمير الشأن وتخفيف أن
لهدى الناس جميعاً بإظهار أمثال تلك الآثار العظيمة فالإنكار متوجه إلى المعطوفين جميعاً أو أغفلوا كون الأمر جميعاً
لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه إلى ترتب المعطوف على المعطوف عليه أي تخلف العلم الثاني عن العلم
الأول وعلى التقديرين فالإنكار إنكار الوقوع كما في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً لا إنكار الواقع كما في قولك
ألم تخف الله حتى عصيته ثم إن مناط الإنكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها
كأنه قيل ألم يعلموا أن الله لو شاء هدايتهم لهداهم وأنه لم يشأها وذلك لأنهم كانوا يودون أن يظهر ما اقترحوا
من الآيات ليجتمعوا على الإيمان وعلى الثاني لو أن قرآناً فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو أننا نزلنا
إليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية فالإضراب حينئذ متوجه إلى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح أي
فليس لهم ذلك بل لله الأمر جميعاً إن شاء أتى بما اقترحوا وإن شاء لم يأت به حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير أن يكون
لأحد عليه تحكم أو اقتراح واليأس بمعنى القنوط أي ألم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من إيمانهم حتى اشتهوا ظهور
مقترحاتهم فالإنكار متوجه إلى المعطوفين أو أعلموا ذلك فلم يقنطوا من إيمانهم فهو متوجه إلى وقوع المعطوف بعد
المعطوف عليه أي إلى تخلف القنوط عن العلم المذكور والإنكار على التقديرين إنكار الواقع كما في قوله تعالى أتأتون
ونظائره لا إنكار الوقوع فإن عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله تعالى أن لو يشاء الله متعلق بمحذوف أي أفلم

ييأسوا

ييأسوا من إيمانهم علماً منهم أو عالمين بأنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً وأنه لم يشأ ذلك أو بآمنوا أي أفلم
يقنط الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً على معنى أفلم ييأس من إيمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية
وبعدم تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم حسبما تحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي إنكار يأسهم وقيل إن أبا جهل
وأضرابه قالوا لرسول الله صلعم إن كنت نبياً فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا ونتخذ فيها البساتين و
القطائع وقد سخرت لداود فلست بأهون على الله منه إن كنت نبياً كما زعمت أو سخر لنا به الريح كما سخرت
لسليمان عليه السلام لنتجر عليها إلى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة وابعث لنا به رجلين أو ثلاثة ممن مات من
آبائنا فنزلت فمعنى تقطيع الأرض حينئذ قطعها بالسير ولا حاجة إلى الاعتذار في إسناد الأفاعيل المذكورة إلى القرآن
كما احتيج إليه في الوجهين الأولين وعن الفراء أنه متعلق بما قبله من قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض
وهو بطبيعة دال على جواب التقدير ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن
والتذكير في كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا من أهل مكة تصيبهم بما صنعوا أي بسبب ما
صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه إما للقصد إلى تهويله أو استهجانه وهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على
الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الإيذان برسوخهم في ذلك قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم وهو
ما كان يصيبهم من أنواع البلايا والمصائب من القتل والأسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مراراً
من إرادة التفسير إثر الإبهام لزيادة التقرير والإحكام مع ما فيه من بيان أن مدار الإصابة من جهتهم آثر ذي أثير
أو تحل تلك القارعة قريباً أي مكاناً قريباً من دارهم فيفزعون منها ويتطاير إليهم شررها شبهت القارعة
بالعدو المتوجه إليهم فأسند إليها الإصابة تارة والحلول أخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح حتى
يأتي وعد الله أي موتهم أو القيامة فإن كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على أن ما يصيبهم عند ذلك
من العذاب في غاية الشدة وأن ما ذكر سابقاً نفحة يسيرة بالنسبة إليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى إن الله لا يخلف الميعاد
أي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضي الله عنهما أراد بالقارعة
السرايا التي كان رسول الله صلعم يبعثها وكانوا بين إغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالإصابة
والحلول حينئذ من أحوالهم وتجوز على هذا أن يكون قوله تعالى أو تحل قريباً من دارهم خطاباً للرسول عليه السلام مراداً به حلوله الحديبية
والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة جلت من قبلك فأمليت للذين كفروا أي تركتهم
ملاوة من الزمان في أمن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله صلعم عما لقي من المشركين من التكذيب
والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى أن ذلك ليس مختصاً بك بل هو أمر مطرد وقد فعل ذلك برسل
كثيرة كائنة من قبلك فأمهلت الذين فعلوا بهم والعدول في الصلة إلى الوصف بالكفر ليس لأن المملى لهم غير المستهزئين
بل لإرادة الجمع بين الوصفين أي فأمليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط ثم أخذتهم فكيف كان عقاب
أي عقابي إياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى أفمن هو قائم أي رقيب مهيمن على

كل نفس كائنة من كانت بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف
اي كمن ليس كذلك انكارا لذلك وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة غب ما علم مما فعل بالمستهزئين من الاملاء
المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيته ومن تواتر القوارع على
الكفرة الى ان ياتي وعد الله كانه قيل أالامر كذلك فمن هذا شانه كما ليس في عداد الاشياء حتى يشركون به فالانكار متوجه الى
ترتب المعطوف اعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر اعني كون الامر كما ذكر كما في قولك أتعلم الحق فلا تعمل به لا الى
المعطوفين جميعا كما اذا قلت أ لا تعلمه فلا تعمل به وقوله وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر او حالية
اي أفمن هذه صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا او معطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي
أفمن هذا شانه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع الظاهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما والتنبيه على
اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الابهام بايراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله قل سموهم
تبكيت اي سموهم من هم وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة
ام تنبئونه اي بل أتنبئون الله بما لا يعلم في الارض اي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله ولا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات والارض وقرئ بالتخفيف ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون له
معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله ذلك قولهم بافواههم وهاتيك الاساليب البديعة التي ورد عليها الآية الكريمة
منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين بل زين للذين كفروا
وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا
عن السبيل اي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها اي صدوا الناس
او من صد صدودا ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره او يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب
شاق في الحياة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب الآخرة
اشق من ذلك بالشدة والمدة وما لهم من الله من عذابه المذكورين من واق من حافظ يعصمهم من ذلك ومن الاولى
صلة للوقاية والثانية مزيدة للتاكيد مثل الجنة اي صفتها العجيبة الشان التي هي في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون
عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تجري من تحتها الانهار
تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد الى الجنة اي وعدها وهو خبره عند غيره كقولك شانك
زيد ياتيه الناس ويعظمونه او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري الخ اكلها ثمرها دائم لا ينقطع وظلها
ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصي اي مآلهم
ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب
هم المسلمون من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران
وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود في التوراة والانجيل ومن الاحزاب

اي

اي من احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلعم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب
اسقفي نجران واتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة انشاء او نسخا لا ما يوافق ما حرفوه [illegible]
من اول الامر فان مدار ذلك انما هو جنايات ايديهم واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان
يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضا يفرحون به لكونه مصداقا لكتبهم في الجملة فحينئذ يكون قوله تعالى ومن الاحزاب
تتمة بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه قل ارغاما لهم وردا لانكارهم انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اي شيئا
من الاشياء او لا افعل الاشراك به والمراد قصر الامر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اي قل
لهم انما امرت فيما انزل الي بعبادة الله وتوحيده وظاهر انه لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على
ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به
عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اي وانا لا اشرك به اليه اي الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور
من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد ادعو الناس لا الى غيره او لا الى شيء آخر مما لم يطبق عليه الكتب الالهية
والانبياء عم فاوجه انكاركم واليه الى الله وحده مآب مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة
لهم لا يجدون عنها محيصا امر عم بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة
ابتداء او بدلا من شرائعهم المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقيل وكذلك انزلناه اي ما انزل اليك وذلك اشارة الى
مصدر انزلناه او انزل اليك ومحله النصب على المصدرية اي مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع
متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما تحكم في القضايا والواقعات بالحق
او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وحتم المحافظة عليه عربيا مترجما
بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة
اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده
قوله قل انما امرت ان اعبد الله يأباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتابا فان المجمع
عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل
اليك من الحق كالصلوة الى بيت المقدس بعد التحويل بعد ما جاءك من العلم العظيم الشان الفائض من ذلك الحكم العربي
او العلم بمضمونه ما لك من الله من جناب العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة
فان الاظهر ان لا يكون الا لمن يكون معبودا ومن يكون خالقا ورازقا ومدبرا من ولي يلي امرك وينصرك على
من تبغيك الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من
نكايته ادخل على المعطوف حرف النفي للتاكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك من باس الله من ناصر وواق
لاتباعك اهواءهم وامثال تيك القوارع انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين والا
[illegible] وما لك ساد مسد جواب الشرط والقسم ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا

وذرية نساء وأولاداً كما جعلنا لك وهو رد لما كانوا يعيبونه صلعم بالزواج والولاد كما كانوا يقولون
ما لهذا الرسول يأكل الطعام الخ وما كان لرسول منهم أي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية مما اقترح عليه
وحكم مما التمس منه إلا بإذن الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور أمر الكائنات لا سيما مثل هذه الأمور
العظام والالتفات لما قدمنا وتحقيق مضمون الجملة بالإيماء إلى العلة لكل أجل أي لكل مدة ووقت من المدد والأوقات
كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فإن الشرائع كلها لإصلاح أحوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضية
ذلك أن يختلف حسب اختلاف أحوالهم المتغيرة حسب تغير الأوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف أحوال المرضى بحسب
الأوقات يمحو الله ما يشاء أي ينسخ ما يشاء نسخه من الأحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة
أو يبقيه على حاله غير منسوخ أو يثبت ما يشاء إثباته مطلقاً أعم منهما ومن الإنشاء ابتداءً أو يمحو من ديوان الحفظة الذين
ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي أو يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة أو يمحو قرناً ويثبت
آخرين أو يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات أو يمحو الرزق ويزيد فيه أو يمحو الأجل أو السعادة والشقاوة
وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم والقائلون به يتضرعون إلى الله تعالى أن يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلعم
والإثبات بعمم كل من المحو والإثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الإنكار دخولاً أولياً وقرئ بالتشديد وعنده
أم الكتاب أي أصله وهو اللوح المحفوظ إذ ما من شيء من الذاهب والثابت إلا وهو مكتوب فيه كما هو وإما نرينك
أصله إن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة لحقت النون بالفعل بعض الذي نعدهم أي وعدناهم من إنزال
العذاب عليهم والعدول إلى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو نعدهم وعداً متجدداً حسبما تقتضيه الحكمة من إنذار غب إنذار
وفي إيراد البعض رمز إلى إراءة بعض الموعود أو نتوفينك قبل ذلك فإنما عليك البلاغ أي تبليغ أحكام الرسالة
بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة أعمالهم السيئة
والمؤاخذة بها أي كيفما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي أو لم نرك فعليك ذلك وما عليك
إلا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فإن ذلك لما نعلم
من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عم بطلوع تباشير الظفر فقال أولم يروا استفهام إنكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام
أي أنكروا نزول ما وعدناهم أو شكوا أو لم ينظروا في ذلك ولم يروا أنا نأتي الأرض أي أرض الكفر ننقصها
من أطرافها بأن نفتحها على المسلمين شيئاً فشيئاً ونلحقها بدار الإسلام ونذهب منها أهلها بالقتل والأسر والإجلاء
أليس هذا من ذلك ومثله قوله عز وعلا أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون وقوله ننقصها
حال من فاعل نأتي أو من مفعوله وقرئ ننقّصها بالتشديد وفي لفظ الإتيان المؤذن بالاستواء المحتوم والاستيلاء
العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً والله يحكم ما يشاء
كما يشاء وقد حكم للإسلام بالعزة والإقبال وعلى الكفر بالذلة والإدبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفي الالتفات
من التكلم إلى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة

لما العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية لبيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كأنه قيل والله يحكم نافذاً حكمه كما
تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه أي حاسراً والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد
والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم
ويجازيهم في الآخرة إثر ما عذبهم بالقتل والأسر والإجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضي الله عنه سريع الانتقام
وقد مكر الذين من قبلهم من قبل كفار مكة بأنبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول
الله صلعم بأنه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاءً بدلالة القصر المستفاد من تعليله
أعني قوله تعالى فلله المكر أي جنس المكر جميعاً لا وجود لمكرهم أصلاً إذ هو عبارة عن إيصال المكروه إلى الغير من حيث
لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وإنما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير
حسبما يبينه قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة أوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء
ما تكسبه ظهر أن ليس لمكرهم بالنسبة إلى من مكروا بهم عين ولا أثر وأن المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا
من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون وقيل فلله المكر الذي باشروه جميعاً لا لهم على معنى أن ذلك ليس مكراً
منهم بالأنبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وسيعلم الكفار حين
تقضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبى الدار أي العاقبة الحميدة من الفريقين وإن جهلوا ذلك يومئذ
وقيل السين لتأكيد وقوع ذلك وعلمهم به ح وقرئ سيعلم الكافر على إرادة الجنس والكافرون والكفر أي أهله
والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الإعلام أي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قيل قاله رؤساء
اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيباً منها أو للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم
قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم فإنه قد أظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة
عن شهادة شاهد آخر ومن عنده علم الكتاب أي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز أو من هو من علماء أهل الكتاب
الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته عم في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق أو من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه
أي كفى شاهداً بيننا بالذي يستحق العبادة فإنه قد شحن كتابه بالدعوة إلى عبادته وأيدني بأنواع التأييد وبالذي
تختص بعلم ما في اللوح من الأشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي وقرئ من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الأول
مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول أو مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول
ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بوزن
كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله عز وجل والله أعلم

سورة ابراهيم

الر مر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كون الر مبتدأ ولمبتدأ مضمر على تقدير
كونه خبر المبتدأ محذوف أو مسروداً على نمط التعديد ويجوز أن يكون خبراً ثانياً لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى

أنزلناه إليك صفة له وقوله تعالى لتخرج الناس متعلق بأنزلنا أي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة
المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات من عقائد الكفر والضلال
التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة إلى النور إلى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيفما كان فإنك لا تهدي من أحببت
بل بإذن ربهم أي بتيسيره وتوفيقه والإنباء عن كون ذلك منوطاً بإقبالهم إلى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي إليه
من أناب استعير له الإذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود وأضيف إلى ضميرهم اسم الرب المفصح عن
التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء إلى كماله المتوجه إليه وشمول الإذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الإنزال
لإخراجهم جميعاً وعدم تحقق الإذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند إلى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة
بتخرج أو بمضمر وقع حالاً من مفعوله أي ملتبسين بإذن ربهم وجعله حالاً من فاعله يأباه إضافة الرب إليهم لا إليه
وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وإيضاحه لغيره موصلاً إلى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط أخرى
فقيل إلى صراط العزيز الحميد على وجه الإبدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم وإخلال البدل
والبيان بالاستعارة إنما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر
وقيل هو استئناف مبني على سؤال كأنه قيل إلى أي نور فقيل إلى صراط العزيز الحميد وإضافة الصراط إليه تعالى لأنه مقصده
أو المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الأمن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان
للعزيز الحميد لجريانه مجرى الأعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله أي العزيز
الحميد الذي أضيف إليه الصراط الله الذي له ملكاً وملكاً ما في السموات وما في الأرض أي ما وجد فيهما داخلاً في حقيقتهما أو خارجاً
عنهما متمكناً فيهما كما مر في آية الكرسي ففيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شأن الصراط وإظهار لتحتم سلوكه على الناس
قاطبة وتجوز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبراً مبنياً للغفول عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين
وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات إلى النور بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة وأصله النصب كسائر المصادر
ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين
يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبوراً الذين يستحبون الحياة الدنيا أي يؤثرونها استفعال من المحبة فإن المؤثر للشيء
على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من غيره على الآخرة أي الحياة الآخرة الأبدية
ويصدون الناس عن سبيل الله التي بين شأنها والاقتصار على الإضافة إلى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف
جميل لزوم الاختصار وهو من صده صداً وقرئ يصدون من أصد المنقول من صد صدوداً إذا انكب وهو غير فصيح
كأوقف فإن في صده ووقفه لمندوحة عن تكلف النقل ويبغونها أي يبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل إلى
الضمير أي يطلبون لها عوجاً أي زيغاً واعوجاجاً وهي أبعد شيء من ذلك أي يقولون لمن يريدون صده وإضلاله إنها
سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل الموصول الجر على أنه بدل من الكافرين أو صفة له فيعتبر كل وصف
أو صفاتهم بإزاء ما يناسبه من المعاني المعتبرة في الصراط كالكفر المنبئ عن الستر بإزاء كونه نوراً والاستحباب للحياة الدنيا الذي هو

المفصح

المفصح عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بإزاء كونه مأموناً وفيه من الدلالة على تماديهم في
الغي ما لا يخفى أو النصب على الذم أو الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى أولئك في ضلال بعيد وعلى الأول جملة مستأنفة
وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بهم مؤكداً لما أشعر به بناء الحكم على الموصول أي أولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة
من استحباب الحياة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه بمنزه في ضلال عن
طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وإن كان من أحوال الضال إلا أنه قد وصف به وصفه مجازاً للمبالغة
كجد جده وداهية دهياء ويجوز أن يكون المعنى في ضلال ذي بعد أو فيه بعد فإن الضال قد يضل عن الطريق مكاناً قريباً
وقد يضل بعيداً وفي جعل الضلال محيطاً بهم إحاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما أرسلنا أي في الأمم الخالية
من قبلك كما سيذكر إجمالاً من رسول إلا ملتبساً بلسان قومه متكلماً بلغة من أرسل إليهم من الأمم المتفقة على لغة سواء
بعث فيهم أو لا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش وبلسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما أمروا
به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة إلى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يكن مراعاة هذه القاعدة في شأن
سيدنا صلعم لعموم بعثته للثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل إليه حسب تعدد ألسنة الأمم
أدعى إلى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق أيدي التحريف مع أن استقلال بعض من ذلك بالإعجاز دون غيره مئنة لقدح القادح
واتفاق الجميع فيه أمر قريب من الإلجاء وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشأن
المستتبع لفوائد غنية عن البيان على أن الحاجة إلى الترجمة تتضاعف عند التعدد إذ لا بد لكل أمة من معرفة توافق الكل وتحاذيه
حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وإنما تتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحداً أو متعدداً وفيه من التعذر ما يتاخم
الامتناع ثم لما كان أشرف الأقوام وأولاهم بدعوته عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم أفضل اللغات نزل الكتاب المبين
بلسان عربي مبين وانتشرت أحكامه فيما بين الأمم أجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلعم فإنه تعالى أنزل الكتب كلها عربية
ثم ترجمها جبرائيل عليه السلام أو كل من نزل عليه من الأنبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ورد بقوله تعالى ليبين لهم فإنه ضمير القوم وظاهر
أن جميع الكتب لم تنزل للتبيين للعرب وفي رجعه إلى قوم كل نبي كأنه قيل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قوم محمد عليه السلام ليبين الرسول
لقومه الذين أرسل إليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء إضلاله أي يخلق فيه الضلال لمباشرته أسبابه المؤدية
إليه أو يخذله ولا يلطف به لما يعلم أنه لا ينجع فيه الألطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الألطاف من يشاء هدايته لما فيه من
الإنابة والإقبال إلى الحق والالتفات بإسناد الفعلين إلى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط
كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كأنه قيل فبينوه لهم فأضل الله منهم من شاء
إضلاله لما لا يليق إلا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للإيذان بأن مسارعة كل رسول إلى ما أمر به وجريان
كل من أهل الخذلان والهداية على سننه أمر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول إلى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
أو للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الإضلال على الهداية إما لأنه إبقاء
ما كان على ما كان والهداية إنشاء ما لم يكن أو للمبالغة في بيان أن لا أثر للتبيين والتذكير من قبل الرسل وأن مدار الأمر إنما هو

مشيئته به بإبهام أن ترتب الضلالة على ذلك أسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الإخراج من الظلمات
إلى النور بإذن الله به وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئاً من الإضلال والهداية إلا لحكمة بالغة وفيه
أن ما فوض إلى الرسل إنما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق وأما الهداية والإرشاد إليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد ولقد أرسلنا موسى شروع في تفصيل ما أجمل في قوله عز وجل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم الآية
بآياتنا أي ملتبساً بها وهي معجزاته التي أظهرها لبني إسرائيل أن أخرج قومك بمعنى أي أخرج لأن في الإرسال معنى القول أو بأن
أخرج كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك فإن صيغ الأفعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك
إخراج بني إسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات التي أدتهم إلى أن يقولوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما
لهم آلهة إلى النور إلى الإيمان بالله وتوحيده وسائر ما أمروا به وذكرهم بأيام الله أي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام
اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الأمم في الأيام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الآيات أو بأيامه المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله إذ أنجاكم والالتفات من التكلم إلى الغيبة
بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل للإيذان بفخامة شأنها والإشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه
كما يوهمه الإضافة إلى ضمير المتكلم أي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل أيام الله وقائعه التي وقعت على الأمم
قبلهم وأيام العرب وقائعها وحروبها وملاحمها أي أنذرهم وقائعه التي دهمت الأمم الدارجة وتردد ما تصدى له عم
بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك إن في ذلك أي في التذكير
بها أو في مجموع تلك النعماء والبلاء أو في أيامها لآيات عظيمة أو كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته
فهي على الأول عبارة عن الأيام سواء أريد بها أنفسها أو ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطاً
لظهورها وعلى الثاني عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر وأما على الثالث فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء
والمشار إليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع أو كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لكل صبار
على بلائه شكور لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للإشعار بأن الصبر والشكر عنوان المؤمن أي لكل من
يليق بكمال الصبر والشكر أو الإيمان ويصير أمره إليها لا لمن يتصف بهما بالفعل لأنه تعليل للأمر بالتذكير المذكور السابق
على التذكر المؤدي إلى تلك المرتبة فإن من تذكر ما فاض أو نزل عليه أو على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة
الشكر والصبر أو الإيمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الآيات بهم لأنهم المنتفعون بها لا لأنها خافية عن غيرهم
فإن التبيين حاصل بالنسبة إلى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر أعني البلاء على متعلق الشكر
أعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر وإذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه عليه السلام لما أمر به من التذكير للإخراج
المذكور وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلعم وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه
من الحوادث قد مر سره غير مرة أي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا نعمة الله عليكم بدأ عليه السلام بالترغيب لأنه
عند النفس أقبل وهي إليه أميل والظرف متعلق بنفس النعمة إن جعلت مصدراً أو بمحذوف وقع حالاً منها إن جعلت اسماً

أي

أي اذكروا إنعامه عليكم أو اذكروا النعمة كائنة عليكم وكذا الكلام في قوله تعالى إذ أنجاكم من آل فرعون أي اذكروا
إنعامه عليكم وقت إنجائه إياكم من آل فرعون أو اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت إنجائه إياكم منهم أو بدل اشتمال
من نعمة الله مراداً بها الإنعام أو العطية يسومونكم يبغونكم من سامه خسفاً إذا أولاه ظلماً وأصل السوم الذهاب في
طلب الشيء سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيئ أو استعبادهم واستعمالهم في الأعمال
الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على أنه مفعول ليسومونكم ويذبحون أبناءكم المولودين وإنما عطفه على
يسومونكم إخراجاً له عن مرتبة العذاب المعتاد وإنما فعلوا ذلك لأن فرعون رأى في المنام أو قال له الكهنة إنه سيولد منهم
من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئاً ويستحيون نساءكم أي يبقونهن في الحياة مع الذل
والصغار ولذلك عد من جملة البلاء والجمل أحوال من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين أو منهما جميعاً لأن فيها ضمير
كل منهما وفي ذلكم أي فيما ذكر من أفعالهم الفظيعة بلاء من ربكم أي ابتلاء منه لا أن البلاء عين تلك الأفعال اللهم إلا
أن يحمل في على التجريدية ونسبته إلى الله تعالى إما من حيث الخلق أو الإقدار والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز أن يكون المشار إليه
الإنجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الأنسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الأول يكون ذلك باعتبار
المآل الذي هو الإنجاء أو باعتبار أن بلاء المؤمن تربية له وإذ تأذن ربكم من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه معطوف على
نعمة الله عليكم أي واذكروا حين تأذن ربكم أي آذن إيذاناً بليغاً لا تبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف
المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى إذ أنجاكم أي اذكروا نعمته في هذين
الوقتين فإن هذا التأذن أيضاً نعمة من الله تعالى عليهم ينالون بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي
وإذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام أولاً بنعمائه عليهم صريحاً وضمنه تذكير ما أصابهم قبل ذلك من الضراء ثم أمرهم ثانياً
بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الأوقات
تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة إذ هي محيطة بذلك فإذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشاهد معاين لئن شكرتم يا بني
إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وإهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالإيمان والطاعة
لأزيدنكم نعمة إلى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه إن عذابي لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح
بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك بأكرم الأكرمين ويجوز أن يكون المذكور تعليلاً للجواب المحذوف أي لأعذبنكم واللام
في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة إما مفعول لتأذن لأنه ضرب من
القول والقول مقدر بعده كأنه قيل وإذ تأذن ربكم فقال لئن وقال موسى إن تكفروا نعمه ولم تشكروها أنتم يا بني
إسرائيل ومن في الأرض من الخلائق جميعاً فإن الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة
ما يوجبه من أياديه وإن لم يحمده أحد أو محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان
بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان أدل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب إن أي إن تكفروا لم يرجع وباله إلا
عليكم فإن الله هو الغني عن شكر الشاكرين ولعله عليه السلام إنما قاله عند ما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الإصرار على الكفر والفساد

عز سلطانه

وتحقيق انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب وقاله عقيب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز وجل تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمن والكافر فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي صلعم تحقيق بذكر موسى عليه السلام بما اختص بني اسرائيل من السراء والضراء والايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وايضا لا يظهر وجه تخصيص بذكر الكفرة الذين في عهد النبي عم بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلو قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض او الموصول مبتدأ ولا يعلمهم خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضه اذا قرأ هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استيناف لبيان نبائهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم مشيرين بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعتناء منهم بشانها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها واصالها لهم عن التصدي للايمان واعلاما بان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اي على زعمكم وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالاتهم لقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم او فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تعنتا او مثلا او حملوا ايدي الانبياء في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبي عنه تعجبهم بقولهم افي الله شك وقيل الايدي بمعنى الايادي عبر بها عن مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنياوية لانهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي شك عظيم مما تدعوننا اليه من الايمان بالله والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فاتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمينانها بالشيء قالت رسلهم استيناف مبني على سوال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء افي الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا منقادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انتم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اي افي شانه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب حيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان

اظهار

اظهار البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات والارض اي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقق ما انتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على ان الظرف خبره يفضي الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدأ وان عمل ليس باجنبي من رافعه وقد جوز ذلك ايضا يدعوكم الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني من ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه قيل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لما ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شان المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استيناف كما سبق ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى ابشر يهدوننا او كلام مستانف اي تريدون بما تتصدون له من الدعوة والارشاد ان تصدونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد آباؤنا اي عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه والا فاتونا اي ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد كانوا آتوهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا وارادة ما لم يروا ان ذلك ليس من جنس ما يطلق عليه السلطان المبين قالت لهم رسلهم مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه ان نحن الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه فالوا تواضعا وهضما للنفس اي ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول تحت الجنس ولكن الله يمن بالفضائل والكمالات على من يشاء المن بها وما نشاء ذلك الا لعلمه باستحقاقه اياها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي يدور عليها فلك الاصطفاء للنبوة وما كان وما صح وما استقام لنا ان ناتيكم بسلطان اي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الاشياء وسبب من الاسباب الا باذن الله فانه امر يتعلق بمشيته تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه اثر ذي اثير الا يرى الى قوله عز وجل وما لنا اي اي عذر لنا ان لا نتوكل على الله اي ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا اي والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اي ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب عليه سلوكه

في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين
لكمال العزيمة ولنصبرن على ما آذيتمونا بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون
اي فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون
والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل من يتوكل دون غيره وقال الذين كفروا لعل هؤلاء
القائلين بعض المتمردين العاتين الغالين في الكفر من اولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم
كقوم شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا لم يقنعوا بعصيانهم
الرسل ومعاندتهم الحق بعدما رأوا البينات الفائتة للحصر حتى اجترأوا على مثل هاتيك العظيمة التي لا تكاد تحيط بها دائرة
الامكان فحلفوا على ذلك على ان يكون احد الحالين والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل
وقد مر في الاعراف وسيأتي في الكهف فاوحى اليهم اي الى الرسل ربهم مالك امرهم عندما تناهى كفر الكفرة وبلوغهم من
العتو غاية لا مطمع بعدها في ايمانهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول وعلى اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه
ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها من بعدهم اي من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى
لقولهم حلف زيد ليخرجن غدا ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك
الامر محقق ثابت لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامي عليه
وحفظي لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق
للمتقين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين واستفتحوا اي استنصروا الله على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
او استحكموا وسألوا القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل
للكفرة وقيل للفريقين فانهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا
على لنهلكن الظالمين اي اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اي خسر وهلك كل جبار عنيد متصف بضد
ما اتصف به المتقون اي فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون
فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على
الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان بعضهم ليسوا كذلك
وانه لم تصبهم الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن المطلب
وفي اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا
مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل
كأنه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه المعهودة صديد وهو قيح او دم مختلط
يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار وهو عطف بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد

تهويلا لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على انه من اشد انواعه يتجرعه قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر
انه استيناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اي يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء
الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اي يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة
فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس
ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة في الاشربة وهو
حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط به من
جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اي والحال انه ليس بميت حقيقة
كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه من بين يديه
عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في
عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة
في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته صلعم وخيبتهم في ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل
الذين كفروا بربهم اي صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى اعمالهم كرماد
كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب وهو استيناف مبني على سؤال من قال ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه
البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب
المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم
عاصف العصف اشتداد الريح ووصف زمانها به مبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما شبهت صنائعهم
المعدودة لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه برماد طيرته الريح العاصفة
او استيناف مسوق لبيان اعمالهم للاصنام او مبتدأ خبره محذوف كما هو رأي سيبويه اي فيما يتلى عليك مثلهم وقوله
اعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كيت وكيت سواء اريد بها صنائعهم او اعمالهم
للاصنام وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون اي يوم القيامة مما كسبوا من تلك الاعمال
على شيء ما اي لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم
رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله
وفيه تهكم بهم ذلك اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء هو الضلال البعيد عن
طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب الم تر خطاب للرسول صلعم والمراد به امته وقيل لكل احد من الكفرة لقوله يذهبكم
والرؤية رؤية القلب وقوله ان الله خلق السموات والارض ساد مسد مفعوليها اي الم تعلم انه تعالى خلقهما بالحق
ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان يخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم يعدمكم بالمرة
ويأت بخلق جديد اي يخلق بدلكم خلقا آخر مستأنفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى

على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشاداً الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هذا الخلق العظيم
كان على تبديل خلق آخر بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز
بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه حقيق بان يؤمن به
ويرجى ثوابه ويخشى عقابه وعذابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيمة وانما جيء بصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله تعالى
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ولانه لا مضي ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله وحكمه
او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سراً انها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله
عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف اي ضعف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف
قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا في الدنيا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض
عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون
دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والعتاب في التقريع والتبكيت من عذاب
الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب
الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز ان يكون الاولى مفعولا
والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول قوله فهل انتم مغنون عنا نصيبا
من النار قالوا اي المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اي للايمان ووفقنا له
لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم
واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا اجزعنا مما لقينا ام صبرنا
عليه ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء والهمزة وام لتاكيد التسوية كما في قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام
لم تنذرهم وانما اسندوا ومادة الاستواء هنا الى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي عن التوبيخ باعلام
انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين على منوال قوله ذلك ليعلم
اني لم اخنه ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى لكل
فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر
كالمغيب والمشيب وهي جملة معترضة لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل منه وقال الشيطان
الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما عندما عتبا بما قال الاتباع للمستكبرين لما قضي الامر اي احكم وفرغ منه وهو الحساب
ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه
ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان
كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم اي موعدي على حذف المفعول الثاني اي نقضته خلف

وعده

وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك وما كان لي عليكم من سلطان اي تسلط او حجة تدل على
صدقي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في معرضه على طريقة
تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه كانه قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء
من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة
القسر والالجاء كما دل عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم
حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة
بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد
في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما
خلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة والشقاوة وما قيل من انه يسد عليه ان يقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان
الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق ومسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم
فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم
وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك آثر الجملة الاسمية فكان بمعنى
كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر
الياء اني كفرت اليوم بما اشركتمون من قبل اي باشراككم اياي يعني تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون
بشرككم يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي اطمعكم في نصرتي لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا وكنت اود
ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من
قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل كما في قوله سبحان ما سخركن لنا فتكون تعليلا لعدم اصراخه
فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة وانما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه
فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع
من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ
لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم
والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام
اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول عليه السلام وقد علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا
اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة
كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها لانه تعالى صيرها مثلها في الخارج
وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا

وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراءً له مجرى جعل وآخر حتى نابتهما
اصله مثلاً لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب بعروقه في الارض
وقرأ انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بقرينته اعني قوله وفرعها
اي اعلاها في السماء اي جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي اكلها تعطي
ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روي مرفوعا
او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني
بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل او كل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة
اي كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير
مقصود الضرب والبيان وانما ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق
الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت
بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحيوة الدنيا فلا يزالون عنه اذا فتنوا
في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا من
معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة او عند سؤال القبر روي انه عم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد
روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني
الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت وهذا مثال اثناء الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرني ابو القاسم بن حبيب في سنة
ثمانين وثلثمائة قال سمعت ابا الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رأيت يزيد بن هرون
في منامي بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت
بلحيتي البيضاء فقلت لهما أمثلي يقال له هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين اي
يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله و
وصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم الشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر
الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة
فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق والمراد بالذين آمنوا حينئذ المخلصون في الايمان الراسخون في
الايقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروب مثلا ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين حسبما
يوجبه مشيئته التابعة للحكمة البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى
مع ما فيه من الايذان بالتفاوت في مبدأي تثبيت الاضلال فان مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته
الذي غير ما هو مبدأ صدور الآخر الم تر تعجيب لرسول الله صلعم او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر

المتقنون

عمن

عمن له ادنى ادراك اي الم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمته بان وضعوا موضعه كفرا عظيما وغمطا لها
او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم
حرمه الآمن الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا
واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش بنو المغيرة
وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين كانهما تأولا ذلك بما يتلى من قوله عز وجل
قل تمتعوا الآية واحلوا اي انزلوا قومهم بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وبعدم التعرض لحلولهم لدلالته
الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك التي لا هلاك
وراءها جهنم عطف بيان لها وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اي داخلين
فيها مقاسين لحرها او استيناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور تعريضهم
للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم
اي بئس القرار جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على
احلوا وما عطف عليه داخل معها في حيز الصلة وحكم التعجيب اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس
كمثله شيء وهو الواحد القهار اندادا اشباها في التسمية او في العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا
عن سبيله القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال وليس تغاير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم
ان يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته بواتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلالهم دار البوار لتثنية
التعجيب وتكريره والايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال
امر يقتضي منه التعجب ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجب من مجموع الهنات الثلث كما في قصة البقرة وقرئ
ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل
عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية قل تهديدا لاولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم وايذانا بانهم لشدة ابائهم
قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال الحجة بان يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان
العظة ويخلوا وشانهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبته الوخيمة
وسال لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام
فان مصيركم الى النار ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها و
مثال لرحسبا يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار فهو تعليل للامر المأمور وفيه من التهديد الشديد والوعيد
الاكيد ما لا يوصف او قل لهم تصويرا لحالهم وتعبيرا عما يلحقهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من
غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مأمورون من قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كذلك مأمور سامع في طاعة
آمر مطاع فليس قوله فان مصيركم الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب شرط انسحب عليه الكلام كانه قيل ان دمتم فان دمتم عليه

فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا في الامر قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم
المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين حالهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا
المقول بها محذوف دل عليه جوابه اي قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اي يداوموا على ذلك
وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم للرسول صلعم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوز ان يكون المقول يقيموا وينفقوا
بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه
وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وليس بذلك سرا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب
الامر المذكور اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين
على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة من قبل ان
يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما تلافى به تقصيره او يفتدي به نفسه والمقصود نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع
بالذكر للايجاز مع المبالغة في نفي العقد اذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق
الايجاب من قبل البائع ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او يسامحه بما يفتدي به نفسه او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع
فيه بما ينتفعوا بتعاطيه من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه والظاهر ان
من متعلقة بانفقوا وتذكير اتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك
به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعي الى
الاتيان بما تبقى عوائده ويدوم فوائده من الانفاق في سبيل الله عز وجل او من حيث ان ادخار المال وترك انفاقه
انما يقع غالبا للتجارات والمهادات بحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التأكيد بذلك
لميل الطباع الى المال لكونها مجبولة على حبه والضنة به ولا يبعد ان يكون تأكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث ان
تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما
على ارادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع او خلال الله مبتدأ خبره
الذي خلق السموات وما فيها من الاجرام العلوية والارض وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى
وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرا لنعمه شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة
من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي
وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول سلوك الى سبيل العظمة من خلق الاجرام العظام وانزال الامطار
واخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة الاخرى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وانزل من السماء
اي السحاب فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر منه يبتدئ الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص
او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا وايا ما كان فمن ابتدائية ماء اي نوعا
منه هو المطر وتقديم المجرور على المفعول لما مر باعتبار كونه مبدأ لنزوله او التشويق اليه كما في قولك اعطى السلطان من خزانته

مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات الفائتة للحصر اما لان صيغ الجموع يتعاور بعضها
موضع بعض واما لانه اريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق
شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا
حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج
بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان
كان بمشيته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب ابدا واودع في الماء قوة
فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
كذلك لكن له عز وجل في انشائها مدرجا من طور الى طور صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك
في ايجادها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول له ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم وسخر لكم الفلك
بان اقدركم على صنعتها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريا تابعا لارادتكم بامره بمشيته التي نيط بها كل شيء
وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات كما يتراءى من ظاهر الحال وسخر لكم الانهار ان
اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومي اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها
جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة
تنويها لشأنها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التعريف للمتعلق
بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة
على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدم من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق
السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعي لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق
الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتفادي عن توهم كون الكل نعمة خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر
نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة وآتاكم من كل ما سألتموه اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيته التابعة للحكمة
والمصلحة كقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ونيط به انتظام احوالكم
على الوجه المقدر فكانكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير
كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل وآتاكم من كل
ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما ابقي على ما ألقي وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل ما سألتموه النصب على
الحالية اي آتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمة الله التي انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا حصرها ولو اجمالا فانها
غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها فيه ايذان بعدم

بلوغ مرتبة يعتد بها من مراتبها فضلاً عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الانسان الا كان في اقصى مراتب الفقر
والافلاس ممنوا باصناف العنايا مبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تأملته الفيته متقلبا في نعم لا تحد ولا تحصى
ولا تعد كانه قد اعطي بكل ساعة وآن من النعماء ما حواه حيطة الامكان وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه ملك
ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز
بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير ان يزاحمه ولا شريك يساهمه بل قدر
ان جميع ما فيها من جواهر ويواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر انه قد وقع من فقد مشروب او مطعوم في حالة
بلغت نفسه الحلقوم فهل يشتري وهو في تلك الحال بجميع ما له من الملك والمال لقمة تنجيه عن الردا او شربة
تروية من الظماء ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك لغيره ممن لا يستحق عليه ولا ينفع بعود اليه كلا بل يبذل
لذلك كل ما تحويه اليدان كائنا ما كان ولسبح صفقته شائبة خسران فاذن تلك اللقمة والشربة خير مما في
الدنيا بالف رتبة مع انهما في طرف الثمام ينالهما متى شاء من الليالي والايام او قدر انه قد احتبس عليه النفس
فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولج وتحيّن قد حان وان انه الموت من كل مكان اما يعطي ذلك كله بمقابلة
نفس واحد بلى لعطيه وهو لرأيه حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها ومطالبها برمتها مع انه قد يتيح
له كل آن من ساعات الليالي والايام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء
وان رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السر ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة
بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة والملكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين
العناية الالهية من العلاقة لما استقر القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمور العدم والبوار ومهاوي الهلاك
والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شأنه وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من
انواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير
ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وجل
فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه
ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطاري لان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي وانت خبير بان ما
يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل
تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير
متناهية وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهي اعني بقاءها على العدم مع
امكان وجودها في نفسها في آن من آنات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في وجودات علله
وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه كل آن نعم لا تساعيه
من وجوه شتى فسبحانك ما اعظم شانك لا يلاحظك العيون بانظارها ولا تطالعك العقول بافكارها ثناءك

لايضاهي

لا يضاهي واحسانك لا يتناهي ونحن في معرفتك حائرون وفي اقامة شكرك قاصرون نسألك الهداية
الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك
ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها في غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان كفار
شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق
الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من افراده ومن جملة ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا او دخولا اوليا
واذ قال ابراهيم اي اذكر وقت قوله عليه السلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل
والمراد به تاكيد ما سلف من تعجيبه صلعم ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم
العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام
والشكر لنعم الله تعالى وسأله تعالى ان يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق
فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار
البوار وجعلوا لله تعالى اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله سبحانه آمنا اي ذا امن و[illegible]
اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول
هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على
تعدد السؤال فلعله عليه السلام سأل اولا كلا الامرين فاستجيب في احدهما وتأخر الآخر الى وقته المقدر لما تقتضيه من
الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسؤول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في
سائر البلاد وقد اجيب اليه وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني
لاستدامته والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل
على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال
الامن لا لمجرد ان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان سؤال
البلدية قد حكي بقوله فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسؤول هويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو
عين سؤال البلدية قد حكي بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام
لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو
لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فمضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل
على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الآية واما فصل ما بينهما تثنية للامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة
لشكر كثير واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه
من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ اجنبني من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبني شره
واجنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والطاف

اي المراد ببنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة على ان احداً من اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وانما كان
لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت
ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الاصنام
علل دعاءه بما ذكر تكريراً على ما قيل رب انهن اي الاصنام اضللن كثيراً من الناس اي تسببن له كقوله عز وجل وغرتهم الحيوة
الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالنداء اظهاراً لاعتنائه به ورغبته في استجابته فمن تبعني منهم فيما ادعو اليه
من التوحيد وملة الاسلام فانه مني اي بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به او متصل بي لا ينفك عني في امر الدين
ومن عصاني اي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للايذان بانه عليه السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما
لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداءً او بعد توبته وفيه ان كل
ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد قضى بالفرق بينه وبين غيره ربنا آثره عليه السلام ضمير الجماعة لان السؤال
من تقدم ذكره وذكر بنيه والافراد في قوله رب انهن لما ان الدعاء المصدر به وما اورد بعده تمهيد
مبادي اجابته من قوله اني اسكنت الآية متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول
واجابة المسئول من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل عليه السلام وما سيولد له فان اسكانه
حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن لاسكانهم روي ان هاجر ام اسمعيل كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم
فلما ولدت له اسمعيل عليه السلام غارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عز وجل عين زمزم
بواد غير ذي زرع لا يكون فيه زرع اصلاً وهو وادي مكة شرفها الله تعالى عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك
صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مباديه
بالمرة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ
وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظماً ممنعاً يهابه الجبابرة
في كل عصر او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقاً وتسميته اذ ذاك بيتاً ولم يكن له بناء وانما كان
نشزاً مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عليه السلام
فانه ينزع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضاً كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب
فيه وانما الاختلاف في كميته عدداً وقد ذكرناه في سورة البقرة بفضل الله تعالى ربنا ليقيموا الصلوة متوجهين
اليه متبركين به وهو متعلق باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه
لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد
الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة دعائه واعطاء مسئوله الذي لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك
ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدتهم من للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس
لازدحمت عليهم فارس والروم واما ما زيد عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب لمقام المسئول

توجيه القلوب اليهم للسكنى معهم لا توجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعاء بالبلدية وقد حكي
بعبارة اخرى كما مر او لابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب كآدر في ادؤر
او على انه اسم فاعل من أفدت الرحلة اي عجلت اي جماعة من الناس وأفِدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النعت
من أفد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقاً ووداداً وقرئ على البناء للمفعول من اهوى غيره وتهوى من باب علم
اي تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى التشوق والنزوع واول آثار هذه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم تريد
الشام فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها
ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج
اسمعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك ومع من ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص
الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر اقامة
الصلوة من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او تجبى اليه من الاقطار الشاسعة
وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس ان الطائف
كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقاً للحرم
وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام لعلهم يشكرون
تلك النعمة باقامة الصلوات واداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة
الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يساعده الفاء في قوله فاجعل وفي دعائه عليه السلام من مراعاة
حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فانه عليه السلام بذكر
كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسئول وبذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشار الى ان
جواره الكريم يستوجب افاضة النعيم وبعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعواز مرافق المعاش لمحض اقامة الصلوة
واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤال ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول ربنا انك تعلم ما
نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء او لا اي تعلم ما نظهره وما
لا نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر ببالنا مما فيه من الاحوال فضلاً عن اخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة
بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكأن تعلقه بما يخفى اقدم منه بما يعلن او لان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة
العلن اذ ما من شيء الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصوده عليه السلام
ان اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك
والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال
وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه
الاعتراض وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائناً ما

كائن في زمان من الازمان او وجود في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وتعالى وما يخفى على الله من شيء دون ان يقول ويعلم ما في
السموات والارض جميعا لما عنى بقوله يعلم ما نخفي من ان علمه بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى
علمه كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي من شيء كائن فيهما اعم من ان
يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بتخصيص وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار
القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من خطاب الله الى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية
المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس شان يتحقق
او من يتعلق بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره بعنوان مصحح لمبدائه الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد
بطريق الاعتراض لتصديقه عم كقوله تعالى وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي على
الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل
وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة ان ربي ومالكي
لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله
او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل
سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء
بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة
فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب اجعلني مقيم الصلوة مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم
مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي اي بعضهم من المذكورين ومن يسير سيرتهما من اولاد اسمعيل للاشعار
بانه المقتدي في ذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد كما في قوله ربنا اني اسكنت الخ فان اسكانه
مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بهم
وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهته تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك
ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعاء اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك
مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك
مما لم يسلم منه البشر ولوالدي وقد كان بالتوحيد والابوة وهذا الاستغفار منه عم انما كان قبل تبين الامر له عم وقيل
اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابراهيم الآية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق
للمقام وسيأتي تمامه في سورة مريم بفضل الله عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك الكل في
الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت
القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساقها او المراد تهويله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف
كما في واسأل القرية واعلم ان ما حكي عنه عم من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه

المعية

المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي هنا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد الناس اليها
والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلعم
والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه
من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عم عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم
على طريقة التعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه غافلا عن اعمالهم او العلم
بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلعم ووعد له
اكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين شديد او لكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم لجهل بصفاته تعالى واغترار
بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا
وقطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عددت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد
كما يؤذن به التعرض لحكمة التأخير المنبئ عنه قوله تعالى قل تمتعوا الآية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا
انما يؤخرهم يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق
اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتأخير ما تستوجبه من العذاب الاليم ان تأخيره
للتشديد والتغليظ او لا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها انما ذلك لاجل كذا او لا تحسبنه يعاملهم معاملة
الغافل ولو اخذهم بما عملوا لما ترى من التأخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التأخير عليهم مع ان المؤخر
انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لا انهم باقون باختيارهم
وللدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستئصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخر ليس
من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم لما فهم ذلك ليوم هائل تشخص فيه الابصار اي ترتفع ابصار اهل
الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه واعتبار
عدم قرارها في اماكنها انما هو باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين واما حمل الصيغة من شخص من بلده الى بلد وسار في
ارتفاع مهطعين مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه
ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان اديم النظر ههنا بالنظر الى الداعي قيل مقنعي رؤوسهم اي رافعيها مع ادامة
النظر من غير التفات الى شيء قاله العتبي وابن عرفة او ناكسيها وقال قنع رأسه اي طأطأها ونكسها فهو من الاضداد
وهما حالان مما دل عليه الابصار من اصحابها او الاول حال متداخلة من الضمير في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية
لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف او
لا ترجع اليهم اجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا او هو نفس الجفن قال الفيروزآبادي
الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل او اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى
شيء آخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مقنعي او استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص الابصار

وتأخيره عما هو من تتمته من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من كمال المناسبة لتربية هذا المعنى وأفئدتهم هواء
خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش كأنها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء
اي لا قوة ولا رأي فيه واعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص
ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله صلعم بعد اعلامه
ان تأخيرهم لماذا وامر له بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان
العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للانزعاج
والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر
من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم يوم
يأتيهم العذاب المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم
معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه القصر السابق فيقول
الذين ظلموا اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان ما لقوه من الشدة
انما هو لظلمهم وايثاره على صيغة الفاعل حسبما ذكر اولا للاشعار بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال
من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يتم المسلمين ايضا فالمعنى
الذين ظلموا منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب
يعمهم كما يشعر به وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا ردنا الى الدنيا وامهلنا الى اجل قريب الى امد وحد من
الزمان قريب نجب دعوتك اي الدعوة اليك الى توحيدك او دعوتك لنا على السنة الرسل فنبنا ما الى انهم صدقوا
في انهم مرسلون عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤنا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل
والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار ان الحكي
كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها اولم تكونوا اقسمتم من قبل على اضمار القول معطوف على
فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا
وسفها ما لكم من زوال مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنياوية او بالسنة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا
ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التأخير وبعد مداه او ما لكم من زوال
من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب
القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة لحال
المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي بلغنا ان لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت
الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج
من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا

ابصرنا

ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون
ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم الآية ثم يقولون ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير
فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها
ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم
انا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والايطان
وانما استعمل بكلمة في حيث قيل في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي حقه
التعدية بها او من السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين
لانفسكم بما لقيه الاولون بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان
بان غائلة الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص استمهال والخطاب بتوبيخ
بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال اواخرهم وتبين لكم
بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب
بما بعده من الفعل وليس جملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة اي فعلنا العجيب بهم
وفيه من المبالغة ما ليس في ان يقال فعلنا بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه وقرئ نبين وضربنا لكم الامثال اي بينا لكم
في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما
فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم
على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم
مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلث في موقع الحال من ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن
المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم
حال من الضمير الاول في فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله
اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود
وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او قد مكروا مكرهم المذكور
في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى
وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف لفاعله او اخذه بهم على انه مضاف لمفعوله وتسميته
مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا او لكونه في صورة المكر في الاتيان بحيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما
افاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا انه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير في مكروا اي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه
او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وان كان مكرهم في العظم والشدة

لتزول منه الجبال اى وان كان مكرهم فى غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوّى ومعدّا لازالة الجبال عن مقارّها
لكونه مثلا فى ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذى يحيق بهم ان
لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذف ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند
وجود المانع القوى فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى ان الوصلية من التاكيد المعنوى والجواب محذوف دل عليه
ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتاكيدها كما فى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن
مسعود رضه وما كان مكرهم فالجملة ح حال من الضمير فى مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اى مكروا مكرهم والحال ان مكرهم
لم يكن لتزول منه الجبال على انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدى الرسل السالفة عليهم السلام التى
هى بمنزلة الجبال الراسيات فى الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبى صلعم وامر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون
هم المهلكون لا الساكنون فى مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هى مخففة من انّ والمعنى انه كان
مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال فى الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كما هى حال من ضمير مكروا اى مكروا
مكرهم المعهود والحال ان الشأن كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان
شأن الآيات والشرائع مانعا من مباشرة المكر لازالته وقد قرأ الكسائى لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى
تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اى عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه
الجبال اى فى غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم هذا هو الذى تستدعيه النظم الكريم
ويساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير فى مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية وغير ذلك من انواع مكرهم برسول الله صلعم ولعل الوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى وقد مكروا
حالا من القول المقدر اى فيقال لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما ينافيه من السكون فى مساكن
المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اى لم يكن الصادر عنهم مجرد الاقسام الذى وبخوا به بل
اجترؤا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما ذكر من قبل وقوله وان كان مكرهم لتزول
منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال فى تحقق الجزاء بين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير
كون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبى صلعم اى وقد مكروا والحال ان مكرهم ما كان لتزول
منه ما هى كالشرائع والآيات التى هى فى القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام مكسورة يكون حالا منه ايضا
على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك لما ان شأن الشرائع
اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكر من قبل فتأمل فلا تحسبن الله
مخلف وعده رسله لم يرد به وانه سبحانه اخلاف وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الآية وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلى
كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الاخروى بل ما سلف آنفا من وعد تعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم
الآية كما ينبئ عنه الفاء الداخلة على النهى الذى اريد به تثبيته عم على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بانجاز وعده المذكور

المقرون

المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم
بعد ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم فى القرآن العظيم فكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم
القيمة واخبرناك بما يلقونه من شدائده وبما سالونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تاملهم
فى احوال من سكنوا فى مساكنهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين
بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا ان الله عزيز غالب لا يماكر وقادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه
والجملة تعليل للنهى المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكر من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال ان
الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبر
عنه بالمكر يوم تبدل الارض غير الارض ظرف لمضمر مستأنف ينبئ عنه النهى المذكور اى ينجزه يوم الخ او معطوف عليه
نحو وارتقب يوم تبدل الارض غير الارض او لانتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن لبيان احوال جمة ذكر كل
بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم انتقامه للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤخر
الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب او نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده
يوم تبدل الخ وفيه انضمام الى الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز ان ينتصب بقوله مخلف وعده لان
ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالى بها
فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون فى الذات كما فى بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها
وقد يكون فى الصفات كما فى قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات
على بعض الاقوال والآية الكريمة ليست بنص فى احد الوجهين فعن على كرم الله وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات
من ذهب وعن ابن مسعود رضه تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة
وعن ابن عباس رضه هى تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذى عهدتهم
وما الدار بالدار التى كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها
وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد
الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا امتا والسموات اى وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل
وتقديم تبديل الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا وبرزوا اى الخلائق او الظالمون
المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التى فى بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التى كانوا يعملونها سرا
ويزعمون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال
تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط
بينها وبين صاحبها الواو لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار
بطلان الشرك وتحقق الانتقام فى ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقق اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا

وتبين لكم كيف فعلنا بهم

من يوم يأتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب وقادر لا يضاد ولا يعاد كان في غاية ما يكون من الشدة
والصعوبة وترى المجرمين عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار
واما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المتقدم
على تقدير كونه تنجز يومئذ يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم اذ تبدل الارض او يوم اذ تنجز وعده مقرنين قرن
بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من
العقائد الزائغة والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة
والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين في الاصفاد في القيود والاغلال
وهو اما متعلق بقوله مقرنين او حال من ضميره اي مصفدين سرابيلهم اي قمصانهم من قطران جملة من مبتدأ وخبر
محلها النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم في مقرنين رابطتها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في او مستأنفة
والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد يصل حرارته
الى الجوف وهو اسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم
الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين
ما نشاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره فكل ما نشاهده منهما اسماء مسمياتها في الآخرة فبكرمه العميم نعوذ ومن سخطه
الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الموحشة فيجلب اليها الآلام
والغموم بل وان يكون القطران المذكور عين ما لابسوه في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال
السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه
عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطر آن اي نحاس مذاب متناه حره وتغشى وجوههم النار اي تعلوها وتحيط بها النار
التي تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء
الظاهرة واشرفها كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد
اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما ان الفؤاد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات ولذلك قيل
تطلع على الافئدة او لخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف
اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤوس الاشهاد وقرئ تغشى اي تتغشى بحذف احدى التائين والجملة
نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال قاله ابو البقاء ليجزي الله
متعلق بمضمر اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان
بان جزاءهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الخ اعتراض
بين المتعلق والمتعلق به اي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شر وقد اكتفى بذكر عقاب
العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شأن

عن شأن فيتمه في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه او سريع المجيء يأتي عن قريب او سريع الانتقام كما قال
ابن عباس رضي الله عنهما في قوله هو وهو سريع الحساب هذا اي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب بلاغ
كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع
للناس للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس او لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم
ايضا وان كان ما شرح مختصا بالظالمين ولينذروا به عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اي كفاية لهم في ان
ينصحوا او ينذروا به او هذا ابلاغ لهم ليفهموه ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا
البلاغ او متعلقة بمحذوف اي ولينذروا به انزل او تلي وقرئ لينذروا به من نذر بالشيء اذا علمه وحذره واستعد له
وليعلموا بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق ولحق انما
هو اله واحد لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الى التأمل المؤدي الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله
وليذكر اولوا الالباب اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده
فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال الصالحة وفي
تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكر من القوارع المسوقة
لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سيق للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما
يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب الثبات
على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله
سبحانه اعلم ختمنا الله تعالى بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز برضاته في الاولى والعقبى عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده

سورة الحجر

الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها تلك
اي تلك السور العظيمة الشأن آيات الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق
باختصاص اسم الكتاب على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع
المنزل اذ ذاك اذ هو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيفت اليه
من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى تستغني
عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحد منها وفيه من التكلف
ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد وقرآن اي قرآن عظيم الشأن مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام
او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام وفي تنكيره تفخيم لشأنه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي
الكتابية والقرآنية على طريقتين احديهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكأنه كلها والثانية طريقة كونه

ممتازاً عن غيره بنسخ وغيره بديعاً في بابه خارجاً عن دائرة البيان وأخرت الطريقة الثانية لما أن الإشارة إلى امتيازه
عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب أدخل في المدح كيلا يتوهم من أول الأمر أن امتيازه عن غيره
لاستقلاله بأوصاف خاصة به من غير اشتمال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا أنه
قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضاً من الكتاب والقرآن توجيه المخاطبين إلى حسن
تلقي ما فيها من الأحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تضمنته فقيل ربما بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ
بالتشديد وبفتح الراء مخففاً وبزيادة التاء مشدداً وفيه ثمان لغات فتح الراء وضمها مشدداً ومخففاً وبزيادة التاء
الفاً مشدداً ومخففاً ورب حرف جر لا يدخل إلا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي
ودخوله على قوله تعالى يود الذين كفروا لما أن المترقب في أخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكأنه قيل ربما ود
الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه ومذعنين لأمره
وفيه إيذان بأن كفرهم إنما كان بالجحود بعد ما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيامة أو عند موتهم
أو عند معاينة حالهم وحال المسلمين أو عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى أبو موسى الأشعري
أنه قال النبي صلعم إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من أهل القبلة قال لهم الكفار
ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا إلى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع
الله تعالى لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع إليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند
ذلك يتمنون الإسلام والحق أن ذلك محمول على شدة ودادتهم وأما نفس الودادة فليست مختصة بوقت دون وقت
بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وأن المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وإنما جيء بصيغة التقليل جرياً
على سنن العرب فيما يقصدون به الإفراط فيما يعكسون عنه كقول بعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول
رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارساً وعنده مقانب جمة من الكتائب قصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه
ولكنه يريد إظهار براءته من التزيد وإبراز أنه ممن يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلاً عن تكثير القليل وهذه طريقة
إنما تسلك إذا كان الأمر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار إليه هضماً للحق فدل النظم الكريم على
ودادة الكافرين للإسلام في كل آن من آنات اليوم الآخر وإن كان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على أحد
وتوجيه الكلام مدل على ضده وعلى أن تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة إلى جناب الكبرياء وهذا
هو الموافق لمقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم
يأكلوا الآية أو دلالة على الإشعار بأن من شأن العاقل إذا عن له أمر يكون مظنون الحمد أو قليلاً ما يكون كذلك
أن لا يفارقه ولا يفارق ضده فكيف إذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الإنسان
على ما فعل فإن المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن به أو قليل الوقوع بل التنبيه على أن العاقل لا يباشر

ما يرجى فيه الندم أو يتوقع وقوعه منه فكيف بما يتحقق الوقوع وأنه يكفي قليل الندم في كونه حاجزاً عن ذلك الفعل فكيف كثيره
والمقصود من سلوك هذه الطريقة إظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا
يودون الإسلام مرة واحدة لوجب عليهم أن لا يفارقوه فكيف وهم يودونه كل آن وهذا أوفق بمقام استمرارهم على ما هم
عليه من الكفر وهذان طريقان متمايزان ذاتاً ومعنى فمن خلطهما وأخذ فيه ثانيهما عن توفية المقام حقه ذرهم دعهم عن
النهي عما هم عليه بالتذكير والنصيحة أو الاشتغال بإرعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل أمرهم بتعاطي ما يتعاطونه
يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الأكل إيذان بأن تمتعهم إنما هو من قبيل تمتع البهائم بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم
على ذلك لا إحداثه فإنهم كانوا كذلك أو تمتعهم بالاستمتاع بما لا ينغص عيشهم من القوارع والزواجر فإن التمتع على ذلك الوجه
أمر حادث يصح أن يكون مرتباً على تخليتهم وشأنهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك أو عن التذكر فيما هم يصيرون إليه أو عن
الإيمان والطاعات فإن الأكل والتمتع يقتضيان ذلك الأمل والتوقع لطول الأعمار وبلوغ الأوطار واستقامة الأحوال
وأن لا يلقوا في العاقبة والمآل إلا خيراً فالأفعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للأمر حسبما عرفت من تضمن الأمر بالترك للأمر بها
على طريقة المجاز أو على أن يكون المراد بالأفعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء
مغبتها أصلاً ولا ريب في ترتب ذلك على الأمر بالترك فإن النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص
عليهم عيشهم فأمر عليه السلام بتركه ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم فيدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون فسوف يعلمون سوء
صنيعهم أو وخامة عاقبته أو حقيقة الحال التي ألجأتهم إلى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه وعيداً
أيما وعيد وتهديداً غب تهديد تعليل للأمر بالترك فإن علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه إلزام للحجة ومبالغة
في الإنذار إذ لا يتحقق الأمر بالضد إلا بعد تكرر الإنذار وتقرر الجحود والإنكار وكذلك ما رتب عليه من الأكل والتمتع
والإلهاء وما أهلكنا شروع في بيان سر تأخير عذابهم إلى يوم القيامة وعدم نظمهم في سلك الأمم الدارجة في تعجيل العذاب
أي ما أهلكنا من قرية من القرى بالخسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها أو بإخلائها عن أهلها غب إهلاكهم كما فعل
بآخرين إلا ولها في ذلك الشأن كتاب أي أجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه
حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره
الظرف والجملة حال من قرية فإنها لعمومها لا سيما بعد تأكيده بكلمة من في حكم الموصوفة كما أشير إليه والمعنى ما أهلكنا
قرية من القرى في حال من الأحوال إلا حال أن يكون لها كتاب أي أجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه
معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر أو مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال أي ما أهلكنا قرية من القرى في
حال من الأحوال إلا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب أي أجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه أو صفة
لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة أي ما أهلكنا
قرية من القرى إلا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن فإن قوله تعالى لا يسمن صفة لكن
لا للطعام المذكور لأنه إنما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد إلا

اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام كائن من فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسيط
الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شأنها الجمع والربط فان ما نحن فيه من
الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك الاهلاك
عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم
وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه
ولا التأخر عنه فقيل ما تسبق من امة من الامم المهلكة وغيرهم اجلها المكتوب في كتابها اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء
كتابها او لا تمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان واقعا على زماني فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق زيد
عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه
الحركة والتوجه الى المستقبل فالسابقة تتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما سيأتي من الزمان فالسابق
ما تقدم الى المقصد وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما تقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما
يوجبه من الهلاك وما يستأخرون اي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له وايثار
صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية
والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستيخار حال الامة دون القرية مع ما في
الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوباتهم الى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم
مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر
تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ورعاية الفواصل ولذلك
حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه ببيان ودادتهم كالانعام
اذ ذاك وبالامر بتركهم وشأنهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتأخر اجلهم المقدر لما تقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها
ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان
كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم في العتو والغي يا ايها الذي نزل عليه الذكر
خاطبوا به رسول الله صلعم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به وعوا واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم انك
لمجنون كذا قال فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات
انك بسبب تلك الدعوى وشهادتها يعتريك عند ما تدعي انه تنزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام
الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه
كما في قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله
وايراد الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى استناده
الى الفاعل لو ما تأتينا كلمة لو عند تركبها مع ما تفيده عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره

التحضيض

التحضيض خلا انه عند ارادة الثاني لا يليها الا فعل ظاهر او مضمر وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر او مقدر
عند البصريين والمراد هاهنا هو الثاني اي هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الانذار كقوله تعالى لولا
انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبوننا على التكذيب كما اتى الامم المكذبة لرسلهم ان كنت من الصادقين في دعواك
فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نعتقد فيك بدون ذلك ان كنت من جملة
تلك الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون على بناء الفعل للمتكلم من التنزيل
وقرئ من الانزال وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزل بحذف احدى التاءين وماضيا
منه ومن التنزيل من الثلاثي وهو كلام مسوق من جهته تعالى جوابا لهم عن مقالتهم المحكية ورد لاقتراحهم الباطل ولشدة
استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية كما فعل في قوله
قال انما يأتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فأتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الاية مع كونه جوابا
عن اول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون احد الجوابين متصلا بالسؤال
وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو ان
ما يأتيهم بهم للايذان بانهم قد اخطأوا في التعبير حسبما اخطأوا في الاقتراح وان الملائكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم
مطلق الاتيان الشامل للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى الآخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصد حركاتهم
اولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بشأنهم النزول من مقاماتهم العالية وكون ذلك بطريق
التنزيل من جناب الرب الجليل الا بالحق اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الالهية
كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم هم و
منزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد
يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام واما الذي يدخل في حكم تحت
الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستيصال كما فعل باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة
وما كانوا اذا منظرين جزاء الشرط مقدر وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون
خلافك الا قليلا قال صاحب النظم اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتني اي حين جئتني ثم ضم
اليه ان فصار اذ ان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظة ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ ان كان
ما طلبوه انتهى والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء
بتأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اجمل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الاية وحال حائل الحكمة بينهم وبين استيصالهم
لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا وبايمان بعضهم وذراريهم واما نظم ايمان بعضهم في سمط الحكم فيأباه مقام بيان
تماديهم في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل في
تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار وانه لا حكمة في ذلك انهم بصورة يشاهدونها

فانه لا يدركهم الالباس او ان انزال الملئكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هولاء الكفرة
انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فيلزم اخلالا بكل من ذلك بقطعية الباقي
لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يقصد بقوله تعالى وما كانوا اذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم اتيان
الملئكة لاجل الشهادة واما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل الملائكة للتعذيب الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي تقتضيه
الحكمة وتستدعيه المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتاخير
عذابهم الى يوم القيمة لا رفقا بهم بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة
نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكانه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك
غير موافق للحكمة الموجبة لتاخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم
التنزيل واستهزائهم برسول الله صلعم وتسلية له اي نحن بعظم شاننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا
نزوله عليك ونسبوك بسببه الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له
لحافظون من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين واما الحفظ عن
مجرد التحريف والزيادة والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة
في حقيته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص
والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شان التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد الثانية
بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلعم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتاخير
هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل قد مر انفا لارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى ولقد ارسلنا اي
رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة من
قبلك في شيع الاولين اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته
الى الاولين من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين ومعنى
ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما ياتي ويذر من امور الدين وما ياتيهم من رسول
المراد نفي اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل
وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال
ولا على ماض الا وهو قريب من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها الا كانوا به يستهزءون كما يفعله هؤلاء
الكفرة والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في ياتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه او في محل الرفع
على انها صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية اي الا رسول كانوا به يستهزءون واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي
الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات ويجوز ان يكون منصوبا على الوصفية بان يقدر للموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان
المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلعم بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم الصلوة والسلام وحيث كان

الرسول

الرسول معهودا بالكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب كذلك قيل كذلك اشارة
الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقرونا بالاستهزاء اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب اولئك
المستهزئين برسلهم وما جاءوا به من الكتب نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة او جنس المجرمين
فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اي نسلكه سلكا مثل ذلك السلك او
نسلكه حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول
الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السالفة او للدلالة على استحضار
الصورة والسلك ادخال الشيء في آخر يقال سلكت الخيط في الابرة والرمح في المطعون لا يؤمنون به اي بالذكر
حال من ضمير نسلكه اي غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء فيتعين البيانية
الا ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اي نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملابسته
والحال اما مقدرة او مقارنة لان المراد بان كونهم مقارن للالقاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت
سنة الاولين اي قد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء
وهو استيناف جيء به تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اي على هؤلاء المقترحين المعاندين
بابا من السماء اي بابا ما لا بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود اليه فظلوا فيه في ذلك
الباب يعرجون بآلة او بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيده الظلول او فظل الملائكة الذين اقترحوا
اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة
وتماديهم عن قبول الحق انما سكرت ابصارنا اي سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف
او حيرت كما يعضده قراءة من قرا سكرت اي حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلعم كما قالوا عند
ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بان ذلك ما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر
خيل اليهم بالسحر وفي ترك الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغيرها
فان عروج كل منهم الى السماء وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم
يدعون ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار ولقد جعلنا في السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات
وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما دل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور
من بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول
ثان له متعلق بمحذوف اي جعلنا بروجا كائنة في السماء وزيناها اي السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال
والكواكب سيارات كانت او ثوابت للناظرين اليها فمعنى التزيين ظاهر او للمتفكرين المعتبرين المستدلين
بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة وحفظناها من كل شيطان
رجيم مرمي بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس في اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها الا من استرق السمع محله

انقضت على الاستثناء المتصل ان فسر حفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة والمنقطع
ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رضه انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عم منعوا
من ثلث سموات ولما ولد النبي صلعم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من
قطان السموات كلها بما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع فاتبعه اي تبعه ولحقه شهاب
لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق مبين ظاهر امره للمبصرين قال
معمر قلت لابن شهاب الزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قال ان النجم ينقض ويرمى الشيطان فيقتله او يخبله
لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال افرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد الآية قال غلظت
وشدد امرها حين بعث رسول الله صلعم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه صلعم ولكن لم يكن في شدة الحراسة
كما بعد مبعثه عم قال ابن عباس رضه ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة
فيرمون بالكواكب فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من تخبله
فيصير غولا فيضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس رضه يجرح ويحرق
ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل والاول اصح والارض مددناها بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة
التفسير ولم تقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعني قوله تعالى ولقد جعلنا وليوافق ما بعده اعني قوله تعالى
والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر بيانه في اول الرعد وانبتنا فيها اي في الارض او فيها وفي رواسيها
من كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء
مستحسن مناسب او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس
وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش
او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها
على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم وتحقيق ان الله تعالى هو الذي يرزقهم واياهم
او وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وان من شيء ان نافية ومن مزيدة للتاكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء
اي ما من شيء من الاشياء الممكنة فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع
على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدأ الاول والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير
غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الفائتة للحصر المندرجة تحت
قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها
وكونها مهيأة متأتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال المخزونة
في خزائن السلاطين فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله اي ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء
ملتبسا بشيء من الاشياء الا بقدر معلوم اي الا ملتبسا بمقدار معين يقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما

القدرة

تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عداه مع استواء
الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا البيان سر عدم
تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة وهو اما عطف على مقدر اي ننزله وما ننزله او حال مما
سبق اي عندنا خزائن كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ
الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا الرياح
عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اي ارسلنا الرياح لواقح اي حوامل
شبهت الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره
الطوائح بمعنى المطاوح في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اي المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا
من السماء بعدما انشأنا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه
لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤوا وما انتم له بخازنين نفي عنهم ما اثبته لجنابه بقوله تعالى
وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين
وقيل ما انتم بخازنين له بعدما انزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان
طبيعة الماء تقتضي الغور وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعمم
الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير وهو اما للتاكيد او مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز
كونه ضمير الفصل لا لان اللام مانعة عن ذلك كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا
لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون اي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند
انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون في الكل اولا وآخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه
تنبيه على ان المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة
وموتا ولقد علمنا المستأخرين من تأخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم
في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج
على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد وقيل
رغب رسول الله صلعم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلعم
فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون فنزلت والاول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى وان ربك هو
يحشرهم للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم كانوا يستبعدون
ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اي هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية
اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عم دلالة على اللطف به عم انه حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله

فإنها عبارة عن العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والإتيان بالأفعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء
ولعل تقديم صفة الحكمة للإيذان باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا الإنسان أي هذا النوع بأن خلقنا أصله
وأول فرد من أفراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر أفراده انطواء إجماليا كما مر تحقيقه في سورة الأنعام
من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل أي يصوت عند نقره قيل إذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وإن
توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل إذا أنتن من حمإ من طين تغير واسود بطول مجاورة
الماء وهو صفة لصلصال أي من صلصال كائن من حمإ مسنون أي مصور من سنة الوجه وهي صورته أو مصبوب
من سن الماء صبه أي مفرغ على هيئة الإنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو
صفة لحمإ وعلى الأولين حقه أن يكون صفة لصلصال وإنما أخر عن حمإ تنبيها على أن ابتداء مسنونيته ليس في حال
كونه صلصالا بل في حال كونه حمأ كأنه سبحانه أفرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا
نقر صوت ثم غيره إلى جوهر آخر فتبارك الله أحسن الخالقين والجان أبا الجن وقيل إبليس ويجوز أن يراد
به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بأسره
مخلوقا منها وقرئ بالهمز وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو أقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل
من قبل خلق الإنسان ومن هاهنا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين أحد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب
بقوله منكم للكل من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحياة في الأجرام البسيطة
كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الأجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فإنها أقبل لها
من التي الغالب فيها الجزء الأرضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية الكريمة
كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان
الحشر وهو قبول المواد للجمع والإحياء وإذ قال ربك نصب بإضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من أن المراد
تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء إلى كماله اللائق به شيئا فشيئا
مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام إشعار بعلة الحكم وتشريف له صلعم أي اذكر وقت قوله تعالى للملائكة إني خالق فيما سيأتي
وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا
أي إنسانا قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر أن يكون قد قيل لهم إني خالق خلقا من صفته كيت
وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر
من صلصال متعلق بخالق أو بمحذوف وقع صفة لمفعوله أي بشرا كائنا من صلصال كائن من حمإ مسنون تقدم تفسيره
ولا تنافي بين هذا وما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فإن عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير
والاسوداد وما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته أنه لم يتعرض له هناك
اكتفاء بما شرح هاهنا فإذا سويته أي صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طبائعه

ونفخت

ونفخت فيه من روحي النفخ إجراء الريح إلى تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وإنما هو
تمثيل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أي فإذا كملت استعداده وأفضت عليه ما يحيى به من الروح التي
هي من أمري فقعوا له أمر من وقع يقع وفيه دليل على أن ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل أي اسقطوا له ساجدين
تحية له وتعظيما أو اسجدوا لله تعالى على أنه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله عنه
أليس أول من صلى لقبلتكم وأعلم الناس بالقرآن والسنن فسجد الملائكة أي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة
كلهم بحيث لم يشذ منهم أحد أجمعون بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لإفادة هذا المعنى بالحالية
بل يفيده التأكيد أيضا فإن الاشتقاق الواضح يرشد إلى أن فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والأصل في الخطابيات
التنزيل على أكمل أحوال الشيء ولا ريب في أن السجود معا أكمل أصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيدا وأقيم مقام كل في
إفادة معنى الإحاطة من غير نظر إلى الكيفية فإذا فهمت الإحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الأصل صونا للكلام عن
الإلغاء وقيل أكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الأمر التعليقي كما تقتضيه هذه
الآية الكريمة والتي في سورة ص أو على الأمر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة
تحقيقه في تفسير سورة البقرة إلا إبليس استثناء متصل إما لأنه كان جنيا مفردا مغمورا بألوف من الملائكة فعد منهم تغليبا
وإما لأن من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى أبى أن يكون مع الساجدين استئناف مبين لكيفية
عدم السجود المفهوم من الاستثناء فإن مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم أنه مع الإباء والاستكبار أو منقطع فيتصل به ما بعده
أي لكن إبليس أبى أن يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث أدمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الأمر
والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين الكرام قال استئناف مبني على
سؤال من قال فماذا قال الله تعالى عند ذلك فقيل قال يا إبليس ما لك أي أي سبب لك أي عرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك ألا تكون
في أن لا تكون مع الساجدين لآدم مع أنهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل
لكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال عز وجل في سورة الأعراف قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك وفي سورة ص قال يا إبليس ما منعك
أن تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ذكر ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن آخر وإشعارا بأن كل واحدة
من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني إسرائيل
وسورة الكهف وسورة طه قال أي إبليس وهو أيضا استئناف مبني على السؤال الذي ينساق إليه الكلام لم أكن لأسجد
اللام لتأكيد النفي أي ينافي حالي ولا يستقيم مني لأني مخلوق من أشرف العناصر وأعلاها أن أسجد لبشر أي جسم كثيف
خلقته من صلصال من حمإ مسنون اقتصر هاهنا على الإشارة الإجمالية إلى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به
حين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من التراب الذي هو أخس العناصر
وأسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه في أخس أحواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفي في سورة الأعراف وسورة ص بما حكي عنه
هاهنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام من طين وكذا في سورة بني إسرائيل حيث قال أأسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه

وفيه دليل على ان قوله ما لك ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي
عن المناقشة وانى له ذلك كأنه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الاستطالة في سلك المكملة بل عن الاطلاق شاني عن الخضوع
للمفضول وقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم ونزل عنه ازما مرور علمه بملك الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية
والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها التكبر والاستعصاء على رب العالمين جل جلاله قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة
المعززين لا من السماء فان وسوسته لآدم عم في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان
الخروج من بين الملأ الاعلى هبوط واي هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري
او بطريق النفث فيه بعد ان احتال في دخولها وتوسل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس رضي ولا ينافي هذا الطرد على رؤس الاشهاد
لما يقتضيه من الحكم البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو
وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث
كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين الى يوم الجزاء
والعقوبة وفيه اشعار بتأخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ
وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة
من افانين العذاب فتصير هي كالزائل وقيل انما حد به لانه ابعد غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات
والارض وحيث امكن كون تأخير العقوبة مع الموت كسائر من اخرت عقوباتهم الى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تأخير
موته كما حكى عنه بقوله تعالى قال رب فانظرني اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلق بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذا
جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ
منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض
لشمول ما سأله لآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا
انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين
فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور كما في قوله فان ترحم فانت لذاك اهل
فانه لا امكان لحمل الفاء فيه لربط ما فيه من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية
للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك
في سلك من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن والانس من الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار مع الحيوة
ولان ذلك التأخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال
انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر
ههنا وفي سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب
النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة

مقام

فمقام المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة
فضلا عن الارتقاء الى معالم الاعجاز فقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت
النفخة الاولى التي علم انه يصعق عنده من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا
والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء وبيوم
الوقت المعلوم لما ذكر او لاستيثاره به بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين
في اوله ويبعث في اواسطه ويعاقب في بقيته يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار بين النفختين ونقل
عن الاحنف بن قيس رضي انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر رضي فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث
الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب
ان يا آدم انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت
صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه
لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع واني ألبستك اليوم اثواب
السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والآخرين من الثقلين
اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل
جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك
الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لاذيقنك
الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت
بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتنزوي منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا ملاذ
ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم عم ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع
الذي اهبط فيه آدم عم وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب
ويبقى في النزع والعذاب الى حيث شاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان
فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب
لازينن لهم اي اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض وفي قسمه
بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا تنافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من آثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكى تارة
قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية وقوله تعالى لازينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسببك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما
فعلت بي من التسبب لاغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره
اياه بالسجود لآدم عليه السلام واعتذروا عن امهال الله تعالى له وتسليطه له على اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على
الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين لاحملنهم

الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرئ بكسر اللام اى الذين
اخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط على اى حق على ان اراعيه مستقيم لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء
وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدى الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال والاظهر
ان ذلك لما وقع فى عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الاية
وقرئ على من علو الشرف ان عبادى وهم المشار اليهم بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالاغواء
الا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشان المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب
الاغواء عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم
اى موعد المتبعين او الغاوين والاول انسب وادخل فى الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد
وان الموعود مما لا يوصف فى الفظاعة اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الوعد ان جعل مصدرا على تقدير
المضاف او معنى الاضافة وان جعل اسم مكان لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب
مراتبهم فى الغواية والمتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم
من الاتباع او الغواة جزء مقسوم حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين
والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين
وعن ابن عباس رضى الله عنه ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير
للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها فى السبع لانحصار المهلكات فى المحسوسات بالحواس الخمس
ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ جز بضم الزاى وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديدها
فى الوقف والوصل منهم حال من جزء او من ضميره فى الظرف لا فى مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها
ان المتقين من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفر فى جنات وعيون اى مستقرون فيها خالدين لكل واحد
منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع فى القرآن
العظيم ادخلوها على ارادة القول امر الله لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امر منه للملائكة بادخالهم وقرأ
يعقوب ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضى من الادخال بسلام ملتبسين بسلام اى سالمين او مسلما عليكم
آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما فى صدورهم من غل اى حقد كان فى الدنيا وعن على رضى الله عنه ارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اخوانا حال من الضمير فى قوله تعالى فى جنات او من فاعل ادخلوها
او من الضمير فى آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز
كونهما صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثانى حالا من المستكن فى الاول وعن مجاهد
تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم متقابلون فى جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اى تعب بان لا يكون لهم فيها
ما يوجبه من الكد فى تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان

باشروا

باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم وهو استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير فى متقابلين وما هم
منها بمخرجين ابد الاباد لان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادى وهم الذين عبر عنهم بالمتقين انى انا الغفور الرحيم
وان عذابى هو العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفى ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد
بالمتقين من يتقى جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفى وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان
بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادى ليتعظوا
اعتبارهم بما جرى على ابراهيم عليه السلام من البشرى فى تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه السلام مع اهله
المتابعين له فى ضمن الخوف وتنبيههم لحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم
عن ضيف ابراهيم عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم جبرائيل عليه السلام وملكان معه وقال محمد بن كعب جبرئيل وسبعة معه عم وقيل جبريل وميكائيل
واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك رضى الله عنه كانوا تسعة وعن السدى كانوا احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل
انهم كانوا اثنى عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه السلام بل الى قوم لوط
حسبما يأتى ذكره اذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اى واذكر وقت دخولهم عليه او بخبر مقدر
مضاف للضيف اى خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه او بضيف على انه مصدر فى الاصل فقالوا عند ذلك
سلاما اى نسلم سلاما او سلمنا او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اى خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع
مكروه قاله عليه السلام حين امتنعوا من الكل لما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم ضيف فلم ياكل
من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة
فلا مجال لكون خوفه عليه السلام بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا بما اجابوا به ولم يتصدوا
لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين فى غير هذا الموضع الا يرى الى انه لم يذكر ههنا رده عليه السلام
السلام عليهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله اى اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله
انا نبشرك استيناف لتعليل النهى عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة
ببقائه وبقاء اهله فى عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة
يعقوب ثم اكتفاء بما ذكر فى سورة هود عليم اذا بلغ وفى موضع بغلام حليم قال ابشرتمونى على ان
مسنى الكبر واثر فى تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد فى حالة منافية للولادة وزاد فى ذلك فقال فبم تبشرون اى
باى اعجوبة تبشروننى او باى شىء تبشروننى فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شىء او باى طريقة
تبشروننى وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق اى بما يكون لا محالة
او باليقين الذى لا لبس فيه او بطريقة هى حق وهو امر الله تعالى وقوله فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك
فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده عليه السلام
استعظام نعمته تعالى عليه فى ضمن التعجب العادى المبنى على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة

الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين او نحوه. قال ومن يقنط استفهام
انكاري اي لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته
كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه اي ليس بي
قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما
لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وكسرها من قنط بالفتح ولم يكن هذه المقاولة من الملائكة مع ابراهيم عليه السلام خاصة بل
مع سارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هذه هناك اكتفاء بما
ذكر ههنا. قال اي ابراهيم عليه السلام وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله فما خطبكم اي امركم وشأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم
سوى البشارة ايها المرسلون صريح في ان بينهما مقالة مطوية لهم اشير به الى مكانها كما في قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت
طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الآية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها
فانك رجيم فان توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم السلام
بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة
لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر لاجله ارسلوا فكانه قال عليه السلام ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فماذا
هو فلا حاجة الى الالتجاء الى ان علمه عليه السلام بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج
الى العدد ولذلك اكتفي بالواحد في زكريا عليه السلام ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام
المقصود لابتدؤا بها فتأمل. قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق
التنكير ذما لهم واستهانة بهم. الا آل لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم
والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي الآخرين ويدل
عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اي لوطا وآله اجمعين اي مما يصيب القوم فانه استئناف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان
ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين وتعليله فان من يتعلق بهم
التنجية ينجى من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى
الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم
اعتراضا وقرئ بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما
علق فعل التقدير مع اختصاصه بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قولا واصله
جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون
شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع
المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم
عند آل لوط فان ما حكي عنه عليه السلام بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله عليه السلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت

به العلل

به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساة الشدائد ومعاناة المكائد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون
ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد فما اتى وعزر عند تحشمه في تخليصهم انكارا لهم لا انهم له وترك نصرته في مثل تلك
المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة
او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا
وهم بجوابهم المحكي بقوله تعالى قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد
قشروا العصا وبينوا له عليه السلام جلية الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب
الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك وتقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه عليه السلام من ترك النصرة له
والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به
ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عليه السلام باهلاك قومه
وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه السلام بهما وحيث كان ذلك مستتبعا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك
اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع أخر وتسمية المجيء بالعذاب اتيانا
مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كانهم جاؤه به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان
يتوعدهم به. واتيناك بالحق اي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء
عنه او المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى وانا لصادقون تأكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق المطابق
للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول تأكيد اثر تأكيد وقوله تعالى
فاسر باهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ
فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه او من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم
وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار
الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة
الغفلة عن حال المتأخر والالتفات للنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم اي منك ومنهم احد فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه
او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة
او هو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع في السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة
عن الاسراء والالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك لما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في موضع آخر وامضوا حيث تؤمرون
اي حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول
واللحوق للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا اي اوحينا اليه مقضيا
ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة
على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول مع صيغة القطاع لكونه

او دخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخير عن مجازاة والمجرور
وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون
عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر
هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول
وما يترتب عليه بالتسيير ذلك اجمالا حسبما نبه عليه اي جاء اهل سدوم منزل لوط عم يستبشرون اي مستبشرين باضيافه عم
طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث ولعله
عم الملائكة بحسب اعتقاده عم لكونهم في زي الضيف والتأكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشأنهم
وتشمره لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم
قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار
واتقوا الله في مباشرتكم لما يسوءني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان
التعرض لهم بعد ان نهاهم عم عن ذلك بقوله ولا تفضحون اكثر تأثيرا في جانبه عم واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير
بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك اعظم العار عبر عم عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور
بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف
انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عم
وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار والواو للعطف على
مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان عم ينهاهم عن ذلك بقدر
وسعه وكانوا قد نهوه عم عن ان يجير احدا فكأنهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا
تعرضك لما تتصدى له لما اعتراك تلك الحالة ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي
كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية
المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود ان كنتم فاعلين اي قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم
من الله تعالى بحياة النبي صلعم او من الملائكة بحياة لوط عم والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دوره
على الالسنة انهم لفي سكرتهم غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون
فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبرائيل عم مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها اي عالي المدينة او عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول
ثان له وهو ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما حرر وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من
سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك اي فيما ذكر من القصة لآيات لعلامات
يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها

اى

اى المدينة او القرى لبسبيل مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك اي فيما ذكر من المدينة او القرى
او في كونها بمرأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لآية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان
ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع الفلكية
وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف وان كان ان المخففة من ان
وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة اي وان الشأن كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عم والايكة
والليكة الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل كانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم لظالمين متجاوزين
عن الحد فانتقمنا منهم بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون الروح
فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عم
كان مبعوثا اليهما وذكر احدهما منبه على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق ومطمر البناء
واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء
فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين
كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا
وهي الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقبها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين
اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث عقروا الناقة مع ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب
اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه عن جابر رضه انه قال مررنا مع رسول الله
على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله
راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين وكذا وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبرئيل عم وقيل اتتهم
من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم
الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما
اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة
دفعه بالكلية بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق فانه
امر مستمر وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار
الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح
او الا بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك
فاصفح اي اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم
وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك الذي يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم ولسائر الموجودات
على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع الامور اليه

ء م
صلعم

يحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل
للامر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان رضي الله عنه وابي هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد
آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن وابو العالية ومجاهد
والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الانفال والتوبة فانهما في
حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل الصحف السبع وهي الاسباع من
المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلوة
واما تكرر قراءتها في غير الصلوة كما قيل فليس بحيث يكون مدارا للتسمية او لانها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلوة واما
تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني اذ السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد
غيرها فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك تكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه او من الثناء لاشتماله على ما هو
ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة او مثنية صفة للآية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ
والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله تعالى كانها تثني عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز ان
يراد بالمثاني القرآن لما ذكر او لانه مثني عليه بالاعجاز او كتب الله كلها فمن للتبعيض وعلى الاول للبيان والقرآن العظيم
ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القرآن
فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم اي ولقد آتيناك
ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا به
من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال
والذخائر بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما
اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها
انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في
سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا ولم
ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل انهم المتمتعون وبابه كلمة على فان تمتعهم به لا يكون
مدارا للحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اي تواضع لهم وارفق بهم وألن جانبك لهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء
وقل اني انا النذير المبين اي المنذر المظهر لنزول عذاب الله تعالى وحلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله تعالى
ولقد آتيناك فانه في قوة انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي قسموه الى حق وباطل حيث
قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه لاستهزائهم به حيث كان
يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا او قسموا ما قرأوا من كتبهم وحرفوه فاقروا ببعضه وكفروا
ببعضه وجعل توسيط قوله تعالى لا تمدن عينيك على مراد ما هو المراد بالكلام من التسلية وتعقيبه بذلك بانه جل التعامي عن

التشبيه ولقد اوتي عموم ما لم يؤت احد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين فانه في قوة الامر
بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع
وقد وقع كذلك وانت خبير بان ما شبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به يتحقق فائدة
التشبيه وهي تأكيد الانذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه في
عمه وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الاعجاز لكن اذا ساعده مقام تقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا
لك فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى في الاقتسام
المتفرع على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج
الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا اول لانذر اي انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر و
اساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس
عن الايمان برسول الله صلعم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فاهلكهم الله تعالى
يوم بدر وقبله بآفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق في عدم كون العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما
للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعي الى تخصيص وصف التعضية بهم واخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك
فان تعضيتهم لرسول الله صلعم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو الا نفس التعضية
ولا الى اخراجهم من حكم الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما
لكلا الفريقين وغيرهم مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل ما هلك اكثر
المقتسمين يوم بدر ولا الى تقدم المفعول الثاني على الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون
في مداخل مكة كما مر وفيه مع ما مر ان قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى لا من قول الرسول عم والاعتذار بانه
من باب قول بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين تعسف لا يخفى
وان اعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلا بد من الرحلة الى مسلك الكوفيين وللمصير الى جعله مفعولا غير صريح اي
انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام فاهلكهم
الله تعالى وانت تدري ان عذابهم حيث كان محققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لان يقع مشبها به
للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يمكن كونه صفة للمقتسمين فسواء جعلناه مفعولا اول للنذير او لما دل هو عليه
من انذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المذكور في حيز المفعول الثاني فائدة لما ان
ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم
بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان المقتسمين بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لاهلاكهم وكذلك اولئك
بمعزل من التعضية التي هي السبب لاهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مصححة ولا وجود الجامع وقوع احدهما في جانب الآخر
في جانب اتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم

غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التقفية على ذلك وانما دل عليه الاقتسام للمداخل وجعل الموصول مبتدأ على ان خبره الجملة القسمية
التنزيل وجلالة شأنه الجليل أو لعرفت هذا فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل
الكتابين وان الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحدث جلالة المقام عن التشبيه
من لوائح النظم الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين على اهلهما وعدم التعرض
لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة بين الايتائين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به
على ما في جانب المشبه بان يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله الذين آتيناهم الكتاب للتنبيه على ما بين الايتائين
من التنائي فان الاول على وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فان ذلك
انما هو لمسلميته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما في الصلوات الابراهيمية فان التشبيه فيها
ليكون رحمة الله الفائضة على ابراهيم عم وآله اتم واكمل مما فاض على النبي عم وآله وانما ذلك لتقدمه في الوجود وللتنصيص عليه
في القرآن العظيم ليصح التشبيه بانه اشعار بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن ابهام افضليته كلمة من الاول ما تعلق به
الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقتسام انكارا لاتصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الانزال المذكور وايذانا بانه كان من حقهم ان يؤمنوا
بكله حسبما انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله لا تمدن الخ لكمال اتصاله
بما هو المقصود من بيان حال ما اوتي النبي صلعم وتقديمه اولا علو شانه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عم بمكانه واستغنائه
به عما سواه ثم نهى عن الالتفات الى زهرة الدنيا وعن الحزن على اهلها بالتمتع المبني على شك زوالها عنهم او عن
الحزن بعدم ايمان المنهمكين فيها وامر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وباظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة
حسبما فصل في تضاعيف ما اوتي من القرآن العظيم ثم رجع الى كيفية ايتائه على وجه ادمج فيه ما يرشد المنكرين ويستنزلهم
من العناد من بيان مشاركته لما لا ريب لهم في كونه وحيا صادقا فتامل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل اني
انا النذير المبين كما قد انزلنا في الكتب انك ستأتي نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب انتهى ويرد ان ما في كما موصولة والمراد
من المشابهة المستفادة من الكاف الواقعة هي مع ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول قل اي قل هذا القول حال كونه
كما انزل على اهل الكتابين اي موافقا لذلك فلا نسبة لحمل الاقتسام على التحريف لكون وصفهم بذلك تعريضا بما فعلوا
من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي صلعم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية
اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي
تفريق الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان
فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته
وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء فوربك لنسألنهم اجمعين اي لنسألن يوم
القيمة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يعملون في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه
ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا ونجزيهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى وآخ

ترتب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عم اظهار اللطف به عم فاصدع بما تؤمر
فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف
اي بما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوتيته من المثاني السبع والقرآن العظيم واعرض عن المشركين اي لا تلتفت الى ما
يقولون ولا تبال بهم ولا تقصد الانتقام منهم انا كفيناك المستهزئين بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش
الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث بن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء
النبي صلعم والاستهزاء به فنزل جبريل عم فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما
لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى
صارت كالرحى فمات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي والى انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث
وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات الذين يجعلون مع الله الها آخر وصفهم بذلك
تسلية لرسول الله صلعم وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عم بل اجترؤوا على العظيمة التي
هي الاشراك بالله سبحانه فسوف يعلمون عاقبة ما يأتون ويذرون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من كلمات
الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك وتحلية الجملة بالتأكيد لافادة تحقيق ما تتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة
استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق
الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم ما لا يخفى من اظهار
اللطف به عم والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد وكن من الساجدين اي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك
او فنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين وعنه عم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد
ربك ودم على ما انت عليه من عبادته وايثار الاظهار بالعنوان السالف آنفا لتأكيد ما سبق من اظهار اللطف به عم
والاشعار بعلة الامر بالعبادة حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان
بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل

أتى امر الله اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك
بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذة وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه
واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات واياما كان
ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع التفريع في قوله عز وجل فلا تستعجلوه فان النهي عن
استعجال الشيء وان صح تفريعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع
يستحيل الاستعجال اصلا لا لما ذكر من قرب وقوعه وقد وقع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما دل عليه القراءة على صيغة نهي

الغائب استعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله
ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة او العذاب حتى
يعمهم النهي عنه واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة الا بالجمع
لما اراد معنى مجازي يعمهما معا من غير ان يكون هناك رعاية نكتة سرية بعسف لا يليق بشأن التنزيل الجليل وما روي عن النبي عم
انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن
فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى
شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلعم فرفع الناس رؤسهم فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا فليس فيه دلالة
على عموم الخطاب كما قيل لما توهم من ان القصد برفع الناس رؤسهم فانه بمعزل عن ان يوجبها لتحققه بل لان مناط اطمئنانهم انما
هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان الادعائي المقتضي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزمة لامتناع النهي عنه لما
ان النهي عن الشيء يقتضي امكانه في محله ومدار ذلك الوقوف انما هو النهي عن الاستعجال المسلم ثم لامكان المقتضي لعدم وقوع
المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة
وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود
للكفرة خاصة لكن لا بالذي يقتضيه الاعجاز التنزيلي انه خاص للكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم
المستتبع لنسبة الله تعالى الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان احدا يحجزه عن انجاز وعده وامضاء وعيده
وقد قالوا في تضاعيفه ان صح مجيء العذاب فالاصنام تخلصنا عنه بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الاستئناف سبحانه وتعالى
عما يشركون اي تنزه وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدي الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك
فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان
باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين فوجه
هذه النكتة كما يتوهم ارتباط المنهي عنه بالمتنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب ينزل الملائكة بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه
اجماليا ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في شيء وايذان بانه دين اجمع عليه
جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه على طريق
علم الرسول صلعم باتيان ما اوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عم بذلك واظهارا لبطلان رأيهم في
الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل عم قال الواحدي
يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ تنزل من الانزال وتنزل بحذف احدى
التائين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل بالروح اي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب
الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح
من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدأ منه او صفة له على رأي من

جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره الناشيء منه او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثلها في قوله تعالى
مما خطيئاتهم اي ينزلهم بامره على من يشاء من عباده ان ينزلهم عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك ان انذروا
بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين بان انذروا اي بهذا القول والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم عم والآمر هو الله
سبحانه والملائكة نقلة للامر كما يشعر به الباء في المبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم
ملتبسين بان الشأن اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملائكة
لمن يشاء من عباده انذروا ولا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما في قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما
ذكر في اوائل سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشيء اذا علمه
فحذره وانذره بالامر انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في ابلاغه كذا في القاموس اي اعلموا الناس انه لا اله الا انا فالضمير للشأن ومدار
وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه
من زيادة تقرير له في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند
وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشأن الخطير هذا وايثاره مضمونه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين
بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كون اعلامه انذارا وقوله سبحانه فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء
فصيحة اي واذ كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء عم وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له
في الالوهية فاتقوني في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء
وبعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية فقيل خلق السموات والارض بالحق اي اوجدهما على ما هما عليه
من الوجه الفائق والنمط اللائق تعالى وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذين المخلوقين عما يشركون
عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه من الباطل الذي لا يبدئ ولا يعيد وبعدما نبه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل
مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال خلق الانسان اي هذا النوع غير الفرد الاول
من نطفة جماد لا حس له ولا حراك سيالة لا تحفظ شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم
مبين لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه
منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي صلعم بعظم
رميم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضأن والمعز
وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى خلقها او بالعطف على الانسان وما بعده بيان لما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله تعالى
لكم اما متعلق بخلقها وقوله تعالى فيها خبر مقدم وقوله تعالى دفء مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول او لكم الظرف
الاول خبر للمبتدأ المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تأخر لكان صفة ومنافع هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير
ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي
الى الاعلى ومنها تأكلون اي ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايذان بانها لا تبقى عند الاكل كما

في السابق والاخر من ان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت مجالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف لما ان
الاكل منها هو المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة الفواصل
ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب باكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها
ولكم فيها مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية جمال اي زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون تردونها من
مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية
الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزيين الافنية والاكناف بها وتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها
وصدورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر
اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب
الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضروع حافلة الضروع وقرئ حينا
تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر
وقيل اثقالكم اجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به
مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد سحيق لم تكونوا
بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين وهما
لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف
كأنه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي الا بشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ
من اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مدار النعم السابقة
الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد
في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشأ خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها
في احايين غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات
ان ربكم لرؤف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة وزينة عطف على محل لتركبوها ويجوز
ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اي متزينين او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون اي يخلق لكم غير ما عدد
من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار
الصورة او يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اي ما ليس من شأنكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عم حكاية
عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه
يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمته الباطنة والظاهرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش
نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع يدخل فيه جبرئيل عم كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا
الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك

البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيامة وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل
قصد وقاصد اي مستقيم على طريقة الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه اليه كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه
اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل
وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل
سالكه الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على نهج قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل
وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدى بمناره وعلم يستضاء
بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الناعي على كل ما حل من الاباطيل
ودق الهادي الى سبيل الاستدلال بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية عن الوقوع في الضلالة ومهاوي الردى الا ترى كيف بين
اولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حول سرادقات شانه توهم الاشراك ثم اوضح سر القاء الروح على الانبياء عليهم السلام
وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال
فبدأ بافعاله المتعلقة بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما بينهما
فبدأ بافعاله المتعلقة بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله تعالى
ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد عقيب بيان وتعديل له اثر تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل
اضافة القصد اليه وقوله ومنها في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله ومنا دون
ذلك وقد مر في قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر
جائر اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلالة التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني
نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع اليها بتقدير المضاف اي ومن جنسها لما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعه ابتداء
على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه وايا ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب غاية الامر مطلوب كما قيل فان
ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت
فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يسقيني ويشفين ولكن غير الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما يكرهه النفس الى الجناب
وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد اعلام انه مستقيم حتى يقتضي اسناد كونه جائرا اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه
لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة وهدايته الناس الى
ولا امكان لاسناد مثله الى الله عز بالنسبة الى الطرق الجائرة بان يقال وجائرها اختير تصرف ذلك الاسناد ومنها الى غيره لنكتة تستدعيه
ولا توهمه متوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك بان يقال اي جائرها ثم يغير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الحكمة الظاهرة
المقتضية حتما انما هي بيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم
الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة لسالكه ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما
يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمة

حيث يستدعي تسويته المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء ان يهديكم
الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لان مشيئته تابعة للحكمة
الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب
الاعمال التي بها نيط الجزاء وهذا هو الذي يستدعيه النظام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بان هدايته اليه على
نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه
وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل او المراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها
جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم
جميعا الى الاول وانت خبير بان ذلك حق في نفسه لكنه بمعزل من نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق
ولما بين الطريق المستقيم للتوحيد على وجه اجمالي وفصل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان انه تعالى
اليه بعثا للمخاطبين على التأمل فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما لحق اتبع ذلك ذكر ما دل عليه من احوال النبات فقيل هو
الذي انزل بقدرته القاهرة من السماء اي من السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا منه وهو المطر وتأخيره عن المجرور
لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزل الماء من السماء والسر فيه ما سبق من ان عند
تأخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا له مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن لكم منه شراب اي ما تشربونه
وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية
وليس في تقديمه ايهام حصر المشروبية فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا بأس به لان مياه العيون والابار منه لقوله تعالى فسلكه
ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير
بان ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين وتوسيط كل منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل ومنه
شجر من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق او لا وتبعيضية مجازا
لانه لما كان سقيه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه يعني به المطر الذي ينبت به الكلأ الذي تأكله الابل فتسمن
اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها
واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت اي الله عز وجل وقرئ بالنون لكم به اي بما انزل
من السماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بيان للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة
على التجدد والاستمرار وانها سنة جارية على ممر الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح
لما مر غير مرة مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش
وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها
وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها
تحت قوله تعالى ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من البشر

او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكثر من اهتمامه بامر نفسه او لان
اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لا تقديم غذائه فانه غذاء حيواني للانسان
وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من الانبات مسندا الى الزرع وما عطف عليه ان في ذلك اي في انزال الماء وانبات ما فصل
لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في ان الحبة
والنواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها
وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام
مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد
واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء في
شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن
ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل
والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة
وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس
المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها حسب ارادتهم بل في التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في المسخرات
من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر وان تجددت آثاره والنجوم
مسخرات بامره مبتدأ وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما
خلقن له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين
لم ينسب تسخيرها اليهم باداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك
عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ
بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات
بامره او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع اي نفعكم بها
حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع
لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات
الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة
فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان ما ذكر ادلة على وجود الصانع
وقدرته واختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا تلعثم في قوله قال تعالى ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا
به الارض من بعد موتها ليقولن الله وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم ان يشاركه

شيء في شيء فضلاً عن ان يشاركه سبحانه في الالوهية ﴿ان في ذلك﴾ اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملاً ومفصلاً ﴿لآيات﴾
باهرة متكاثرة ﴿لقوم يعقلون﴾ وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالتها على عظم القدرة والعلم والحكمة على
الوحدانية اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه
عجائب الخلق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا تتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان احتياجها
الى التفكر اكثر ﴿وما ذرأ﴾ عطف على قوله تعالى والنجوم رفعاً ونصباً على انه مفعول لجعل اي ما خلق ﴿لكم في الارض﴾ من حيوان ونبات
حال كونه ﴿مختلفاً الوانه﴾ اي اصنافه فان اختلافها غالباً يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات
او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بذكر الحكم
لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم الثاني لزوماً عقلياً لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب
بفعل مقدر اي خلق وانبت على ان قوله مختلفاً الوانه حال من مفعوله ﴿ان في ذلك﴾ الذي ذكر من التسخير ونحوها ﴿لآية﴾ بينة الدلالة
على ان من هذا شأنه واحد لا ند له ولا ضد ﴿لقوم يذكرون﴾ فان ذلك غير محتاج الا الى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية
واما ما يقال من ان اختلافها في الطبائع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم قدير فما لوحظ به من حسبان ما ذكر دليلاً
على اثبات الصانع فهو قد عرفت حسبه ولعل المراد ما دل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه
بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة حتى يصح الاستدلال على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية
﴿وهو الذي سخر البحر﴾ شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيواناً ونباتاً اي جعله بحيث يتمكنون من الانتفاع
به بالركوب والغوص والاصطياد ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيواناً للتلويح بانحصار الانتفاع به
في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر
مبدأ اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذباً طرياً في ماء زعاق ومن امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلاً بالامر
الا يرى الى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة
﴿وتستخرجوا منه حلية﴾ كاللؤلؤ والمرجان ﴿تلبسونها﴾ عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم
﴿وترى الفلك﴾ السفن ﴿مواخر فيه﴾ جواري فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء
وقيل هو صوت جري الفلك ﴿ولتبتغوا﴾ عطف على تستخرجوا وما عطف عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع
توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلقة بفعل محذوف اي فعل ذلك
لتبتغوا ﴿من فضله﴾ من سعة رزقه بركوبها للتجارة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ اي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون باداء ما يليق بها من الطاعة
والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعاً لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير
مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلاً مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر
للايذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما معاً ﴿والقى في الارض رواسي﴾ اي جبالاً ثوابت وقد مر تحقيقه في اول سورة الرعد
﴿ان تميد بكم﴾ كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان

من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال
بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها
فاصبحت وقد ارسيت بالجبال ﴿وانهاراً﴾ اي وجعل فيها انهاراً لان في القى معنى الجعل ﴿وسبلاً لعلكم تهتدون﴾ بها الى
مقاصدكم ﴿وعلامات﴾ معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويتعرفون بها
الطرقات ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان
وبنات النعش والجدي وقرئ بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو
من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كثيرو التردد للتجارة مشهورون بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم
عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر
عليه الزم لهم واوجب عليهم ﴿افمن يخلق﴾ هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل شيء ﴿كمن لا يخلق﴾
شيئاً اصلاً وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى
بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهراً وتعقيب الفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل
من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلونا من قوله تعالى ولئن سألتهم الآيتين
والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقاً مخصوصاً اي ابعد ظهور
اختصاصه تعالى بمبدئية هذه الشؤون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة
يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراككم ومدار امره وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق
لكن التشبيه حيث كان نسبة بعموم المتشابهين اختير ما عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتفادياً عن توسيط عبدتها
منها ومن جزئياتها المنفصلة قبلها وتنبيهاً على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط
لمنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هو كذلك كائناً ما كان والتعبير عنه بما يختص
بالعقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء
فما ظنك بالجماد واياً ما كان فدخول الاصنام في حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق
الانتظام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لا بانها المراد بالموصول خاصة ﴿افلا تذكرون﴾ اي الا تلاحظون فلا تذكرون ذلك
فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر ﴿وان تعدوا نعمة الله﴾ تذكير اجمالي لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر
ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصله عنها بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام
الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر يقف عليه ودلالتها عليها وان لم
تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيثية الانعام ايضاً لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية الاولى
استغني عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال اي ان تعدوا النعمة الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ﴿لا تحصوها﴾ لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالاً فضلاً عن القيام بشكرها وقد خرجنا

عن عدة تحقيقه في سورة ابراهيم بفضل الله سبحانه ان الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام
بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وتذرون
من اصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وايما نعمة والجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء
وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد والاعمال
وما تعلنون اي تظهرونه منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه
من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرنا في سورة البقرة وسورة هود
من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه كان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن او لان كل شيء يعلن فهو قبل
ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه به في حالته الاولى اقدم من تعلقه به في حالته الثانية والذين يدعون شروع في تحقيق كون الاصنام
بمعزل عن استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد اوصافها واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة
وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اي
والالهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشياء
اصلا اي ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل
وهم يخلقون اي شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل
للمفعول لتحقيق التضاد والتقابل بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان
الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين
الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز عنهم وانزل ما نكال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم وان حمل الاول
ايضا عبارة عن ذلك كان فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا ولما ان
اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول
لا للضمير كما قيل او خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات مما تعتريه الحياة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوانات والنطف التي ينشئها
الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل غير احياء اي لا تعتريها الحياة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون
اي لا يشعرون وقت بعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد
فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية الهكم اله
واحد لا شريك له في شيء وهو تصريح بالمدعى وتلخيص للنتيجة عقيب اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة واحوالها التي من
جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها او للايات الدالة
عليها وهم مستكبرون عن الاعتراف بها او عن الايات الدالة عليها والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار
وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به تعالى
فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللا بما في حيز

الصلة

الصلة فان الكفر بالآخرة وما فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي الى قصر النظر على العاجل
والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجبة لانكارها وانكار مؤداها والاستكبار عن اتباع الرسول عليه السلام وتصديقه واما الايمان بها
وبما فيها فيدعو لا محالة الى التأمل في الآيات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى لا جرم اي
حقا وقد مر تحقيقه في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون من انكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم للقرآن اساطير الاولين
وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اي لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن
الآيات الدالة عليها او لا يحب جنس المستكبرين فضلا عمن استكبر عما ذكر واذا قيل لهم اي لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاحكامهم
غب بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم القائل الوافدون عليهم او المسلمون او بعض منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده او مرفوع
اي اي شيء انزله او ما الذي انزله قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية احاديث الاولين واباطيلهم
وليس من الانزال في شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلعم عند سؤال
وفود الحاج عما نزل عليه عم ليحملوا متعلق بقالوا اي قالوا ما قالوا ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم كاملة
لم يكفر منها شيء بنكبة اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين يوم القيمة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار
من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان
يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال من الفاعل اي يضلونهم
غير عالمين بانهم يدعون الى طريق الضلال وانما حمله على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال والاضلال على
ان يكون العامل في الحال قالوا تأييد بما سيأتي من قوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار
الضلال والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فرق بين ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور انما هو
العذاب الدنيوي كما ستقف عليه او حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بان مكرهم لا
يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا
ويميزوا بين المحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل الا ساء ما يزرون اي بئس شيئا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم
برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب العاجل اي قد سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله تعالى فأتى الله اي امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الاساطين
التي تعمده او اساسه فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام
بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكائد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه
وفي ابطاله تعالى تلك الحيل والمكائد وجعله اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل
اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب اي الهلاك والدمار
من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القائلين
للقرآن العظيم اساطير الاولين سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله تعالى ثم يوم القيمة

يخزيهم فانه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى هذا الذى فعل بهم من العذاب الهائل او ما هو اعم منه ومما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم
فى الدنيا ويوم القيمة يخزيهم اى يذلهم بعذاب الخزى على رؤس الاشهاد واصل الخزى ذل يستحيى منه وثم للايماء الى ما بين الجزائين من التفاوت
مع ما يدل عليه من التراخى الزمانى وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزى على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل
بل لان الاخبار بجزائهم فى الدنيا مؤذن بان لهم جزاء اخرويا فتبقى النفس مترقبة الى وروده سائلة عنه بانه ماذا مع تيقنها
بانه فى الآخرة فسيق الكلام على وجه يؤذن بان المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين فى حق القرآن الكريم
اولهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين وتخصيصه بهم بما يأباه السباق والسياق كما ستقف عليه ويقول لهم تفضيحا وتوبيخا
فهو الى آخره بيان للاخزاء اين شركائى اضافهم الله سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة وفيه توبيخ اثر توبيخ مع استهزاء بهم الذين
كنتم تشاقون فيهم اى تخاصمون الانبياء والمؤمنين فى شأنهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها
للشفاعة او للمدافعة على طريقة الاستهزاء او التبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بانه يجوز ان يحال بينهم
وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها فى ساعة علقوا بها الرجاء فيها او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفى فى ذلك عدم حضورهم
بالعنوان الذى كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنها على ان قوله ليتفقدوها
ليس بسديد فانه قد تحقق عندهم الامر حينئذ فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون اى تشاقوننى
على ان مشاقة الانبياء والمؤمنين لا سيما فى شأن معلوم سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم
الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم فى الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اى يقولون
توبيخا لهم واظهارا لهم للشماتة او تقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحققه وتحتم
وقوعه حسبما هو المعتاد فى اخباره تعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ان الخزى الفضيحة والذل والهوان
اليوم منصوب بالخزى على رأى من يرى اعمال المصدر المصدر باللام او بالاستقرار فى الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف
الا انه مغتفر فى الظروف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك فى عزة وشقاق والسوء العذاب على الكافرين بالله تعالى
وباياته ورسله الذين تتوفاهم الملائكة بتأنيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام التاء فى التاء والعدول الى صيغة المضارع
لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول مع صلته فى محل الجر على انه نعت للكافرين او بدل منه او فى محل النصب او الرفع
على الذم وفائدته تخصيص الخزى والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من آمن منهم ولو فى آخر عمره اى على الكافرين المستمرين
على الكفر الى ان تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم اى حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واى ظلم حيث عرضوها
للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم اى فيلقون والعدول الى صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على
قوله ويقول اين شركائى وما بينهما جملة اعتراضية جئ بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزى على رؤس الاشهاد اى فيسالمون ويتركون
المشاقة وينزلون عما كانوا عليه فى الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين ما كنا نعمل فى الدنيا من سوء اى من شرك قالوه
منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا لا انكارا لكونه كذلك
مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو حكاية

عن قوله سبحانه اين شركائى كما فى سورة الانعام لا عن قول اولى العلم اذ عادتهم تحقيقا لما ذاقهم من الخزى والسوء بلى رد عليهم
من قبل اولى العلم واثبات لما نفوه اى بلى كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه وهذا اوانه فادخلوا
ابواب جهنم اى كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان
اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهى مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اى عن التوحيد كما قال
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اى جهنم وتأويل قولهم
ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك فى اعتقادنا ردا على ما للمحافظة على ان لا كذب ثمة يرده الرد المذكور وما فى سورة الانعام
من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا اى المؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من
الجواب ناشئ عن التقوى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا سلكوا فى الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير فى الصورة والمعنى
اى انزل خيرا فانه جواب مطابق للسؤال شكلا وللواقع فى نفس الامر معنى واما الكفرة خذلهم الله تعالى فكما غيروا الجواب عن نهج
الحق الواقع الذى ليس له من دافع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير روى ان ما مر من انكار
النزول روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلعم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه
بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومى دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى
اصحاب النبى صلعم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اى عملهم او فعلوا الاحسان فى هذه الدار الدنيا
حسنة اى مثوبة حسنة مكافاة فيها ولدار الآخرة اى مثوبتهم فيها خير مما اوتوا فى الدنيا من المثوبة او خير على الاطلاق فيجوز
اسناده وتخيره الى نفس دار الآخرة ولنعم دار المتقين اى دار الآخرة حذفت لدلالة ما سبق عليه وهذا الكلام مبتدأ مدح الله
به المتقين وعد جوابهم المحكى من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابى الدنيا والآخرة فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا
او تفسير له اى انزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره
محذوف اى لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك تجرى
من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها اى فى تلك الجنات ما يشاؤن الظرف الاول خبر لما والثانى حال منه
والعامل ما فى الاول من معنى الاستقرار اى حاصل لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشية
او لما مر آنفا من الشرك ولكما ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون
فيه تحسر للكفرة الذين تتوفاهم الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين طاهرين عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفائدتها
الايذان بان ملاك الامر فى التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على
تحصيله وقيل فرحين ببشارة الملائكة بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس يقولون
حال من الملائكة اى قائلين لهم سلام عليكم قال القرطبى اذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عم فقال السلام
عليك يا ولى الله الله تعالى يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اى جنات عدن ولذلك جردت عن النعت
والمراد دخولهم لها فى وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخى المبشر به لا دخول القبر الذى هو روضة من رياضها اذ ليس التنا

به ما في البشارة من دخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفي الحشر
لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اي ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين
لذلك وشتان بينهم وبين الانتظار لا لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم الاسباب الموجبة له المؤدية اليه فكانهم يقصدون اتيانه
ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل او يأتي امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم للاشعار بان اتيانه
لنصرته صلعم وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيمة لكن لا لان انتظارها يجامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلائمه التقسيم
بل لانها ليست مما يتصدى فيه للعناد ويجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم بل لان قوله تعالى فيما
سيأتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الآية صريح في ان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اي مثل فعل هولاء
من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله بما سيحل بهم من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا
مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون فان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر
ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع
اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس فاصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض
لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا اي اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على
حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم اي احاط بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة
وافظع ما كانوا به يستهزءون من العذاب وقال الذين اشركوا اي اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الاضمار الى
الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء اي لو شاء عدم عبادتنا لشيء
غيره كما تقول لما عبدنا ذلك نحن ولا اباؤنا الذين نقتدي بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شيء من السوائب والبحائر وغيرها
وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عم وطعنا في الرسالة رأسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو انه شاء
ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما تقول الرسل وينقلونه من جهة الله تعالى لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك
وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل كذلك اي
مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اي اشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم
على الخطاء وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه الا البلاغ المبين اي ليست وظيفتهم
الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحي التي من جملتها تحتم تعلق مشيئة الله تعالى باهتداء
من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاءوا
او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها يدور امر التكليف في شيء حتى يستدل بعدم ظهور آثاره
على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لابد في تعلق مشيئته تعالى
بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين فان التعليل كما يكون
كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شأنهم الا تبليغ اوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونهما واجراء موجبهما على الناس

قسراً

قسراً والجاءً وايراد كلمة على للايذان بانهم في ذلك مأمورون او بان ما يبلغونه حق لهم عليهم ايفاؤه وبهذا ظهر ان حمل قولهم
لو شاء الله على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله اعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بافعال
العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية
اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله يجوز ان تكون ان مفسرة لما في البعث من معنى القول
وان تكون مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة فمنهم
اي من تلك الامم والفاء فصيحة اي فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله
الى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة
اي وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك
لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه
لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له وحده فسيروا يا معشر قريش في
الارض فانظروا في اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون
حين تشاهدون في منازلهم وديارهم من آثار الهلاك والعذاب وفي ترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير
اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وفي ترتيب النظر على السير ايماء الى انه بعد وان ملاك الامر
في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ان تحرص خطاب لرسول الله صلعم وقرئ
بفتح الراء وهي لغة على هداهم اي ان تطلب هدايتهم بجهدك فان الله لا يهدي من يضل اي فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية
جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة لسوء اختياره والمراد بهم قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم
ممن حقت عليه الضلالة وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اي ان تحرص على هداهم فلست بقادر
على ذلك لان الله لا يهدي من يضله وهولاء من جملتهم وقرئ لا يهدى على بناء المفعول اي لا يقدر احد على هداية من يضله
الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدي في الدال ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء
وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية او يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين
باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد لا ان المراد نفي طائفة من الناصرين من كل
منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي
جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله الحق بلى اي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد
لما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله سبحانه او لمحذوف اي وعد بذلك وعدا عليه صفة لوعدا اي وعدا ثابتا عليه انجازه
لامتناع الخلف في وعده او لان البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدر اي حق حقا ولكن اكثر
الناس لجهلهم بشؤون الله عز شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم
على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما تقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون انه يبعثهم

فيبعثون البتة بعد مماتهم وانه وعد عليه حق فكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
ليبين لهم غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اي ليبين لهم المؤمنين اي وان كانوا عالمين بذلك لكنه
عند معاينة حقيقة الحال تتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هي
ومعاينتها بصورها الحقيقية الشأن الذي يختلفون فيه من الحق الشامل لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا
اوليا وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعده الحق انهم كانوا كاذبين في كل ما يقولون لا سيما
في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وعطف عليه
وجعلهما غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يردعهم
عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقق البعث انما هو لتبيين انه حق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره
كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك تصلي
لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها واما الغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته
انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر وشهرته
وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين مثلا حسبما نصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق
التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه
المختلفون واما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل وما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة
عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا واما تخصيص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الخ لان علم المؤمنين بذلك حاصل
قبل ذلك ايضا انما قولنا استئناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبيه على انية البعث ومنه يظهر كيفيته
فما كافة وقولنا مبتدأ لشيء اي اي شيء كان مما عز وهان متعلق على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها للتعليل
سببية اي لاجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك اذا اردناه
ظرف لقولنا اي وقت ارادتنا لوجوده ان نقول له كن خبر للمبتدأ فيكون اما عطف على مقدر ينبئ عنه الكلام وينسحب عليه الكلام
اي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف اي فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس
هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال انه يستدعي
انحصار خلقه تعالى في قوله كن وليس يلزم منه انحصار اسباب التكوين فيه كما يفيده قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون فان المراد بالامر هو الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما
هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لامر الآمر
المطاع فالمعنى ان ايجاد كل شيء عند تعلق مشيئتنا به ان نوجده في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص
وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب وقرئ بنصب
يكون عطفا على نقول او تشبيها له بجواب الامر والذين هاجروا في الله اي في شأن الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه من بعد

ما ظلموا

ما ظلموا وهم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله صلعم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعدهم
بقوله سبحانه لنبوئنهم في الدنيا حسنة اي مباءة حسنة او تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير
ثلث آيات من آخرها مكية واما ما نقل عن ابن عباس رضي من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل اخذهم
المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم
فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانما يناسب
ما حكي عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة رضي من كون من هذه الآية الى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقل عنه من نزولها
في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما حمل رسول الله صلعم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل
وقرئ لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة او لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل الشرق
والغرب كافة ولاجر الآخرة اي اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين
عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا
ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد او لما
تألموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها الذين صبروا على الشدائد من اذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب
او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون منقطعين الى الله تعالى معرضين عما سواه مفوضين الى الله الامر كله والجملة اما عطف
على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول
من البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى
اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلعم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم
فقيل فاسألوا اهل الذكر اي اهل الكتاب او علماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك ان كنتم لا تعلمون
حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة
ولا امرأة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم
بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر
او بما ارسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط
او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز تأخر صلة ما قبل الا الى ما بعدها
او بما وقع صفة للمستثنى اي الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحالية من القائم مقام فاعله او يهو لهم على ان قوله
فاسألوا اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وانزلنا اليك الذكر
اي القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم في ذلك
الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا

كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لا سيما بعد ورود الشكاية اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود
من الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحت التبيين على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل ولعلهم
يتفكرون اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما اصاب
الاولين من العذاب افأمن الذين مكروا السيئات هم اهل مكة الذين مكروا رسول الله صلعم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم
الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء عليهم السلام كما قيل لان ما بعده من الوعيد لما ان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما اصاب اولئك
من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به
للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اي عملوا السيئات فقوله تعالى ان يخسف الله بهم الارض مفعول لامن او السيئات صفة
لما هو المفعول اي أفأمن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الله بهم بدل منه وكيف ما كان فالفاء للعطف على مقدر ينسحب
عليه النظم الكريم اي انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب فسمعوا ولم يتفكروا في ذلك
الم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين معا او الم يتفكروا
فامنوا على توجيهه الى المعطوف فقط اي الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة
اي امكروا فأمن الذين مكروا او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون باتيانه اي في حال غفلتهم او من حيث لا يرجون
اتيانه من تلك الجهة كما حكي فيما سلف عما نزل بالماكرين او يأخذهم في تقلبهم اي في حالة تقلبهم في مسايرهم
ومتاجرهم فما هم بمعجزين بممتنعين او فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء اما لتعليل الاخذ
او لترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته حسبما قال عليه السلام ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته والمراد
بالجملة الاسمية الدلالة على دوام النفي لا نفي الدوام او يأخذهم على تخوف اي مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بان يهلك قوما
قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما
بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلاث
بيان قدرة الله سبحانه على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم
مع استحقاقكم لها اولم يروا استفهام انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم ينظروا
ولم يروا متوجهين الى ما خلق الله من شيء اي من كل شيء يتفيؤ ظلاله اي ترجع شيئا فشيئا حسبما تقتضيه ارادة الخالق
تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بتأنيث الفعل عن اليمين والشمائل اي الم يروا الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها
وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعير لهما ذلك من يمين الانسان وشماله سجدا لله حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم
بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأتيها لارادته تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة
عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون اي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة
الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها

ومغاربها

ومغاربها فانها كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ
او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف
ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بها مغن عن
وصف ظلالها بها ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس
وانحدارها او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي
لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من الشرق واقعة
على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعد ما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام
السفلية الثابتة في احيازها ودخورها له سبحانه شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال او لا
فقيل ولله يسجد اي له وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب بحال
المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات فاطبة وما في الارض كائنا ما كان
من دابة بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود
لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله والملائكة عطف على ما في السموات عطف
جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة
ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم وهم اي الملائكة مع علو شأنهم لا يستكبرون عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر
والجملة اما حال من ضمير الفاعل في يسجد مسندا الى الملائكة او استئناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اي مالك امرهم وفيه تربية
للمهابة واشعار بعلة الحكم من فوقهم اي يخافونه عز وعلا خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق
عباده او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من يخاف الله تعالى لا يستكبر
عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون اي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول جريا على سنن الجلالة
وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره عز وجل وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما
بين ان جميع الموجودات يخضعون له بالانقياد الطبعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا
لانه عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل وقال الله عطفا على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل
وتخصيص لفظ الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين للالوهية وان المنهي عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق اتخاذ الالهين بحيث
يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان اي قال لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين واما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية
عن ذكره فللدلالة على ان مساق النهي هي الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد
للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه
[illegible]
القول وفيه التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اي ان كنتم راهبين
شيئا فاياي فارهبون لا غيري فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض وله ما في السموات والارض خلقا وملكا

[illegible]

تقرر لعدم انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق تخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله
وله الدين اي الطاعة والانقياد واصبا اي واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب
اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة
للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق اي اعقيب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود له تعالى وكون
ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الذي شانه ما ذكر تتقون فتطيعون
وما بكم اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة اية نعمة كانت فمن الله فهي من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط
باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا
فاليه تجارون تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك
طورا سجودا وطورا جوارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده
بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس ادنى ما ينطلق عليه
اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بباء المصاحبة وايراد ما المعربة عن
العموم بالايجاز من الجزالة والفخامة وتعليل ايراد اذا دون ان للتوسل الى تحقق وقوع الجواب ثم اذا كشف الضر عنكم وقرئ
كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب
عليه من مفاجاة الاشراك المدلول عليها بقوله تعالى اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في البعد غاية من الضلال
ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر
وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية
للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران
النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول
عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد فسوف
تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد مبني على اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف
ويجعلون لما عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك
عند كشفه لما لا يعلمون اي لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفها ويزعمون
انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما لا علم له اصلا وليس من شانه ذلك فما موصولة ايضا والعائد
اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكونها عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية
واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها
تالله لتسألن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف
الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين

يقولون

يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك او تعجب من جراءتهم على التفوه بمثل تلك
العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين ما مرفوعة المحل على انه مبتدأ والظرف المتقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض في حاق
موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدي الى جعل الجعل بمعنى الزعم والاختيار
واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل وجهه اي صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد
الوجه كناية عن الاغتمام والتشور وهو كظيم ممتلئ حنقا وغيظا يتوارى يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل
والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء ايمسكه اي مترددا في امره محدثا نفسه في شانه ايمسكه على هون ذل
وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالوأد والتذكير باعتبار ما وقرئ بالتانيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا
شانه عندهم من الهون والحقارة لله سبحانه عن الصاحبة والولد وحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين مدار الخطاء
جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مدار التعكيس كقوله تعالى
تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالآخرة ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي
الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي
كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر
بالآخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشان التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى
المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه علوا كبيرا وهو العزيز المتفرد بكمال
القدرة لا سيما على مواخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة
ولو يؤاخذ الله الناس الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو
العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى حد لا غاية وراءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها بالناس
وبقوله تعالى من دابة اي ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابي هريرة رضه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان
الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو
اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا او يكثر عذابهم فاذا
جاء اجلهم المسمى لا يستأخرون عن ذلك الاجل اي لا يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة
فذة وهي مثل في قلة المدة ولا يستقدمون اي لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الاجل
مبالغة في بيان عدم الاستئخار بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة له راسا قد نظم في سمط
من لم تقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في تفسير سورة يونس ويجعلون لله اي يثبتون له سبحانه و

وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم
الكذب اي يجعلون له ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى اي العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله تعالى
ولئن رجعنا الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم واثبات لنقيضه
اي حقا ان لهم مكان ما املوا من الحسنى النار التي ليس وراء عذابها عذاب وهي علم في السوءى وانهم مفرطون اي مقدمون
اليها من افرطته اي قدمته في طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح
الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات وبكسر المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكونان حينئذ
من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك تسلية لرسول الله صلعم عما يناله من جهالات الكفرة
ووعيد لهم على ذلك اي ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين
فهو وليهم اي قرينهم وبئس القرين اليوم اي يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية او في الدنيا او يوم
القيمة على طريقة حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره
مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم
وان يكون على حذف المضاف اي ولي امثالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم هو عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب اي القرآن
الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اي للناس الذي اختلفوا فيه
من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين اي للهداية والرحمة لقوم
يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثري فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقد شرطه ولعل تقديمه عليهما
لتقدمه في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره والله انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء
حسبما تقرر وهذا تكرير لما سبق تأكيدا للمضمون وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم الجار
على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاحيى به الارض بما انبت به فيها من انواع النبات بعد موتها اي بعد
يبسها وما نفيده الفاء من التعقيب العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان في ذلك اي في انزال الماء من السماء واحياء
الارض الميتة به لآية واية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر
وتدبر فكان من ليس كذلك اصم وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة واي عبرة تحار في دركها العقول وتهيم في فهمها الالباب
الفحول نسقيكم استيناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما في بطونه اي بطون الانعام والتذكير ههنا لمراعاة جانب اللفظ
فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكباش واخلاق وتأنيثه في سورة المؤمنين لرعاية
جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون
ههنا وفي سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضم بعض الانهضام وكشيفه
ما يبقى في المعاء وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه
دما ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لان عدم تكونهما في الكرش مما

لا ريب فيه فان الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم تمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا
اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة
والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها
على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد
او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغددية البيض ويلذ طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط
والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف
بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رأفته ورحمته ومن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض ما في بطونه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد
من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء
وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التاخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند
وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا
بحيث لا تتراءى نارهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله هو الذي اخرج لكم من الشجر الاخضر نارا او
من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا عما يشوبه مما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة
الحاجزة عن بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا
بالتشديد والتخفيف مثل هين وهين ومن ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استيناف لبيان
كنه الاطعام وكشفه او يتعلق بتتخذون منه وتكرير الظرف للتاكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب
ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين
لانه للمضاف المحذوف اعني العصير او لان المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا
كالتمر والدبس والزبيب والخل والاية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة ان في ذلك
لآية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الايات بالنظر والتأمل واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقذف في قلوبها
وعلمها بوجه لا يعلمها الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذي اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان يكون مفسرة لما في
الايحاء من معنى القول وتانيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتانيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا
اي اوكارا مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر ومما يعرشون اي يعرشه الناس اي يرفعه من كرم او سقف
وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه
لك وايراد حرف التبعيض لما انها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة
تشتهينها حلوها ومرها فاسلكي ما اكلت منها سبل ربك اي مسالكه التي برأها بحيث يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا
من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع
ذلول وهو حال من السبل اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة لما امرت به

من بطونها استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت
شراب اي عسل لانه مشروب واحتج به وبقوله تعالى كلي من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلاً
ثم تقيء ادخاراً للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها
فاذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلاً فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واسود واصفر واحمر حسب اختلاف سن النحل
او الفصل او الذي اخذت منه العسل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون
معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلاً جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلاً فقد صدق الله
وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن
مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن ان في ذلك الذي
ذكر من عجائب آثار قدرة الله تعالى لآية عظيمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة
والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بآلات رقيقة وادوات انيقة
وانظار دقيقة جزم قطعاً بان له خالقاً قادراً حكيماً يلهمها ذلك ويحملها عليه والله جل جلاله خلقكم لما ذكر سبحانه من عجائب
احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول عمره الى آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا
مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن
الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة
اطفالاً وشباباً وشيوخاً ومنكم من يرد قبل توفيه اي يعاد الى ارذل العمر اي اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي
عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رضي الله عنه وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان
بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة لقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق والاعمار سواء من عمر الهرم
الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم كثير شيئاً من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئاً بعد علم
بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئاً ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي
الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك
مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه
افضل مما اعطى مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادي رزقهم الذي رزقهم اياه على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم
الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية فهم اي الملاك والمماليك فيه اي في الرزق سواء اي لا يردونه عليهم بحيث
يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم رداً مستتبعاً
للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئاً يسيراً فحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية
لله عز سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما لهم يشركون بالله سبحانه

وتعالى

وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته لذاته بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار
وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعاً عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه
سواء الآية افبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة
عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعد ما انعم الله تعالى بها عليهم والباء
لتضمين الجحود معنى الكفر والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في الحقيقة على الفعل اي يشركون به فيجحدون نعمته
وقرئ تجحدون على الخطاب او ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انما الذي رزقهم واياهم هو الله فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئاً وانما
هو رزق اجراه على ايديهم فهم جميعاً في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا انهم لا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين
او على تعليم المؤمنين بركتا وما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك جميعاً مع ان التفضيل ليس الا
ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون الا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كما قيل فلم يردوا عليه ولكن الانسب للدلالة
على استمرارهم على عدم الرد ويحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم
مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت والله جعل لكم من انفسكم
اي من جنسكم ازواجاً لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم
وجعل لكم من ازواجكم وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره بنين وبا
نتيجة الازواج هو التوالد وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد
اي جعل لكم خدماً يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذاناً بوجه
المنة فانهن يخدمن البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل الاختان والعطف لاختلاف العنوانين
وقيل الاختان على البنات وتأخير المفعول في الموضعين عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن
للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم امداداً للتشويق وتقوية له اي جعل لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجاً وجعل لمنفعتكم
من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا
انموذج لما في الآخرة افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على
الفعل وهي للعطف على مقدر اي ايكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل او ابعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل
يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمة الله تعالى التي لا تحصى عليهم مما ذكر وما لا يحيط به دائرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها
الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة
للايذان باستيجاب ما فعلوا الاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيباً لهم مما فعلوه ويعبدون من دون الله
عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي ايكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه ما لا يملك لهم رزقاً من السموات
والارض شيئاً ان جعل الرزق مصدراً فشيئاً نصب على المفعولية منه اي ما لا يقدر على ان يرزقهم شيئاً لا من السموات مطراً ولا من
الارض نباتاً وان جعل اسماً للمرزوق فنصبه على البدلية منه بمعنى قليلاً ومن السموات والارض صفة لرزقاً اي كائناً منهما

ويجوز كونه تأكيداً للا يملك اي لا يملك رزقاً ما شيئاً من الملك ولا يستطيعون ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم رأساً لانها موات لا حراك
بها فالضمير للآلهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الاموال لا يستطيعون من ذلك شيئاً فكيف
بالجماد الذي لا حس به فلا تضربوا لله الامثال التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشأن النهي اي لا تشركوا به شيئاً والتعبير عن
ذلك بضرب المثل للقصد الى النهي عن الاشراك به في شأن من الشؤون فان ضرب المثل تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اي لا تشبهوا
بشأنه شأناً من الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون
لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلاً اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته
وكون ما يشركون به تعالى بمعزل من ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئاً من رزق ما فضلاً عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل
في الرزق ونعمة الازواج والاولاد ان الله يعلم تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه اي انه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون
وانه في غاية العظم والقبح وانتم لا تعلمون ذلك ولولا ذلك لما فعلتموه او انه يعلم وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه
من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال ضرب الله مثلاً اي ذكر واورد شيئاً يستدل به على
تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعد ما بينهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جلياً عبداً مملوكاً لا يقدر على
شيء بدل من مثلاً وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلاً ووصف العبد
بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبداً لله سبحانه وقد ادرج فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون
اللذين لهما تصرف في الجملة وفي ابهام المثل اولاً ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من موصولة معطوفة
على عبداً اي رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق منا من جنابنا الكبير
المتعالي رزقاً حسناً حلالاً طيباً او مستحسناً عند الناس مرضياً فهو ينفق منه تفضلاً واحساناً والفاء لترتب الانفاق
على الرزق كأنه قيل ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فانفق واختيار عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة
على ثبات الانفاق واستمراره التجددي سراً وجهراً اي حال السر والجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم
انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهراً والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم
السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بان يقال وحراً مالكاً للاموال مع كونه ادل على تباين
الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق بان الاحرار ايضاً تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا
بان رزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين
الحال بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين هل
يستوون جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان معينان
منهما اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان النوعين متساويان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه
وان ما ينتفع به الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا تملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب
العالمين حيث تشركون به ما لا ذل اذل منه وهو الاصنام الحمد لله اي كله له لانه مولى جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ادركت

على

على ايدي بعض الوسائط فضلاً عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يدي من ينفق مما ذكر راجع الى
الله سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفي العلم عن اكثرهم
للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعملون بموجبه عناداً كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون
وضرب الله مثلاً اي مثلاً آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك ليتطلع النفس الى وروده وتترقبه
حتى يتمكن لديها عند وروده بينه فقيل رجلين احدهما ابكم وهو من ولد اخرس لا يقدر على شيء من الاشياء المتعلقة بنفسه
او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو كل ثقيل وعيال على مولاه على من يعوله ويلي امره وهذا بيان لعدم
قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقاً وقوله تعالى اينما يوجهه اي حيثما يرسله مولاه في امر
بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه لا يأت
بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يأمر بالعدل اي من هو منطيق فهم ذو
رأي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل وهو في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص
والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما في حاق مقابلتها فان محصل الصفات المذكورة
هو عدم استحقاق المذكورات ومحصل هذين استحقاق كمال الاثرة المستتبع لحيازة المحاسن بأجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر
آمر بالعدل الآية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينتين واعلم ان كلا الفعلين ليس المراد
بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلاً بخلق الفريقين على ما هما عليه وكان خلقتهما
كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي
ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالاً ولا اشتراكاً غيب السموات والارض اي الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة
بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالاً ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالاً او مآلاً واما باعتبار
الغيبة عن اهلهما والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبية لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان
الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بان علمه سبحانه حضوري فان تحقق الغيوب في نفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب
السموات والارض وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع المماراة فيه من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور آثارها
فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وان كان اتيتها من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اي ما
شأنها في سرعة المجيء الا كلمح البصر اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اي بل امرها فيما ذكر اقرب من ذلك
واسرع زماناً بان يقع في بعض من زمانه فان ذلك وان قصر حركة آنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام
الى ابعاض هي ازمنة ايضاً وان آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او وما امرها الا كالشيء الذي يستقرب ويقال
هو كلمح البصر او هو اقرب اذا ما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة بالاتيان ان الله على كل شيء قدير
ومن جملة الاشياء ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة
به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون

وجعلها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان
الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيمة بعينه لما ان علمه مخصوص به
غائب عن اهلها فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله تعالى والله جعل لكم
من انفسكم ازواجا منتظم معه في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل
بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق من اراق وشذت
زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا اي غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب
على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم
جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون
بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع
القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوبات لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول من منافعهم وتشويق
النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه
وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقي الوحي او لان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل
الم يروا وقرئ بالتاء الى الطير جمع طائر اي الم ينظروا اليها مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب
المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك
والدواب للانسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير ليطير فيه كيف يشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى
للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض
والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة ما يمسكهن في الجو
حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن الا الله عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان
سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستكن في مسخرات او من الطير واما مستأنف
ان في ذلك الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسامها
من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها ان يخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها
من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير لآيات ظاهرة لقوم يؤمنون اي من شأنهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم
المنتفعون به والله جعل لكم معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سيأتي من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر
بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى المورود وقوله تعالى من بيوتكم اي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر
تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتأكيد لما سبق من التشويق سكنا فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه
وقت اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان تنتقل من مكانه اي جعل بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به وجعل لكم

من جلود الانعام بيوتا اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط تستخفونها
تجدونها خفيفة سهلة المأخذ يوم ظعنكم وقت ترحالكم في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين ويوم اقامتكم وقت نزولكم
في الحضر والسفر ومن اصوافها واوبارها واشعارها عطف على قوله تعالى من جلود الانعام على وجه التنويع اي جعل
لكم من اصواف الضأن واوبار الابل واشعار المعز اثاثا اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث
ومتاعا اي شيئا تتمتعون به بفنون التمتع الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان تبلى وتفنى فانه معرض للبلى والفناء
او الى ان تموتوا والكلام في ترتب المفاعيل مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم ظلالا
اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان مسالك الديار غالبة الحرارة وجعل لكم
من الجبال اكنانا مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر
غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها تقيكم الحر
خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الآخر او لان وقايته هي الاهم عندهم لما مر آنفا وسرابيل من الدروع والجواشن
تقيكم بأسكم اي البأس الذي يصل الى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه
التي تمتن بها على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم
قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك ولا يأوي به الا الظلال حيث
قال وجعل لكم مما خلق ظلالا ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرابيل
تقيكم بأسكم ثم قال كذلك اي مثل ذلك الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي ارادة ان تنظروا فيما اسبغ عليكم
من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا
لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبرياء شيء قليل وقرئ تسلمون اي تسلمون
من العذاب او الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلعم
تسلية له اي فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما تلقي اليهم من البينات والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين
اي فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هي البلاغ الموضح او الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع
المسبب يعرفون نعمة الله استئناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى اصلا
فانهم يعرفونها ويعترفون انها من الله تعالى ثم ينكرونها بافعالهم حيث يعبدون غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة آلهتنا
او بسبب كذا وقيل نعمة الله هي نبوة محمد صلعم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم الاستبعاد الانكار
بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق
من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه واكثرهم
الكافرون اي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال الفرقة
الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم يقم عليه

الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فعذبه ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم بالايمان والتصديق وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الاقناط الكلي وهو عندما يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم واظلم ولا هم يستعتبون يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم يوم نبعث او يوم نبعث يحيق بهم ما لا يوصف كذا قوله تعالى واذا رأى الذين ظلموا العذاب الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون اي يمهلون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اي نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه فالقوا اي شركاؤهم اليهم القول انكم لكاذبون فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لانهم ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكانت عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم والله تنزيها لله سبحانه من الشريك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا اي الذين اشركوا الى الله يومئذ السلم الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم اي ضاع وبطل ما كانوا يفترون من ان لله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا في انفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار بما كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم اي زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتهديد في كل امة شهيدا عليهم اي نبيا من انفسهم من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم وجئنا بك ايثار لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا على هؤلاء الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد بيوم القيمة ونزلنا عليك الكتاب الكامل في الكتابية الحقيق بان يخص باسم الجنس وهو اما استئناف او حال بتقدير قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملته ما اخبر به هذه الاية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا عليهم عليهم السلام والتبيان كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي صلعم وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحث على الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم

بايهم

بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من انصار وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك ان الله يأمر اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والجمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي ان العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والرهبانية ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اي الاتيان بما امر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشأنه وينهى عن الفحشاء الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط في اظهار آثار القوة الغضبية والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي هي اجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى يعظكم بما يأمر وينهى وهو اما استئناف واما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك واوفوا بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلعم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله عليه السلام ولا تنقضوا الايمان التي تحلفون بها عند المعاهدة بعد توكيدها حسبما هو المعهود في اثناء العهود لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا مشبهين بامرأة شأنها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة بان تكون جماعة هي اربى اي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به اي بان تكون امة اربى من امة اي يعاملكم

بذلك معاملة من يختبركم لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله صلعم أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين
وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم بأعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء الله مشيئة قسر وإلجاء
لجعلكم أمة واحدة متفقة على الإسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل يضل من يشاء إضلاله أي يخلق فيه الضلال
حسبما يصرف اختياره الجزئي إليه ويهدي من يشاء هدايته حسبما يصرف اختياره إلى تحصيلها ولتسألن جميعا يوم القيمة عما كنتم تعملون
في الدنيا وهذا إشارة إلى ما يلوح به من الكسب الذي عليه يدور أمر الهداية والضلال ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه
بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها
فيها بالإيمان وإفراد القدم وتنكيرها للإيذان بأن زلل قدم واحدة أي قدم كانت عزت أو هانت محذور عظيم فكيف بأقدام
كثيرة وتذوقوا السوء أي العذاب الدنيوي بما صددتم بصدودكم أو بصدكم غيركم عن سبيل الله الذي ينتظم الوفاء بالعهود
والإيمان فإن من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم في الآخرة عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله أي لا تأخذوا بمقابلة
عهده تعالى وبيعة رسوله صلعم أو بآياته الناطقة بإيجاب المحافظة على العهود والأيمان ثمنا قليلا أي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا
وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا إنما عند الله عز وجل من النصر والتغنيم
والثواب الأخروي هو خير لكم مما يعدونكم إن كنتم تعلمون أي إن كنتم من أهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق كما أن
قوله تعالى ما عندكم تعليل للخيرية بطريق الاستئناف أي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وما فيها جميعا ينفد وإن جم عدده وتنقضي
وإن طال أمده وما عند الله من خزائن رحمته الدنيوية والأخروية باق لا نفاد له أما الأخروية فظاهر وأما الدنيوية فحيث كانت
موصولة بالأخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سلك الباقيات الصالحات وفي إيثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام
ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى إنما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد
القسمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما تقتضيه ظاهر الحال من أن يقال ولنجزينكم أجركم بأحسن ما كنتم تعملون
للتوسل إلى التعرض لأعمالهم وللإشعار بعليتها للجزاء أي والله لنجزين الذين صبروا على أذية المشركين ومشاق الإسلام التي من جملتها
الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات أجرهم مفعول ثان لنجزين أي لنعطينهم أجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم
على ما منوا به من الأمور المذكورة بأحسن ما كانوا يعملون أي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وإنما أضيف إليه الأحسن
للإشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لإفادة قصر الجزاء على الأحسن منه دون الحسن فإن ذلك مما لا يخطر
ببال أحد لا سيما بعد قوله تعالى أجرهم أو لنجزينهم بحسب أحسن أفراد أعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم المذكورة ما نعطيه
بمقابلة الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل لا أنا نعطي الأجر بحسب أفرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بأن نجزي الحسن منها بالأجر الحسن
والأحسن بالأحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر
الجميل أو لنجزينهم بجزاء أحسن من أعمالهم وأما التفسير بما ترجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بما ترجح تركه أيضا كالمحرمات
والمكروهات دلالة على أن ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات
على ما هم عليه من الأعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لإخراج بعض أعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة

الواسعة

الواسعة في مقام ترشيح جانبها من عمل صالحا أي عملا صالحا أي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح
غب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الأجر الموفور بهم وبعملهم المذكور وقوله تعالى
من ذكر أو أنثى مبالغة في بيان شموله للكل وهو مؤمن قيد به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب وتخفيف العذاب
لقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واختار إيراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك الصلة لإفادة وجوب
دوامه ومقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا أما إن كان موسرا فظاهر وأما إن كان معسرا
فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الأجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فإنه إن كان معسرا
فظاهر وإن كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه ولنجزينهم في الآخرة أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون
حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة إلى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما أن الإفراد فيما سلف
لرعاية جانب اللفظ وإيثار ذلك على العكس لما أن وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه
بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للإفراد وإذ قد انتهى الأمر إلى أن مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء
الإرشاد إلى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد فقيل فإذا قرأت القرآن أي إذا أردت قراءته عبر بها عن إرادتها
على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب إيذانا بأن المراد هي الإرادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فاسأله عز جاره أن يعيذك
من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فإن له همة بذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية وتوجيه الخطاب إلى رسول الله صلعم وتخصيص قراءة القرآن من بين الأعمال الصالحة بالاستعاذة
عند إرادتها للتنبيه على أنها لغيره عم وفي سائر الأعمال الصالحة أهم فإنه عم حيث أمر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عم وفيما عدا القراءة من الأعمال والأمر للندب وعند عطاء للوجوب وهذا هو مذهب الجمهور
وقد أخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة أبو هريرة رضه ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضه
قرأت على رسول الله صلعم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه الصلاة والسلام قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا
أقرأنيه جبريل عم عن القلم عن اللوح المحفوظ إنه أي الشأن والشيطان ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون أي إلى الله يفوضون أمورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون فإن وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة
عندهم وإيثار صيغة الماضي في الصلة الأولى للدلالة على التحقق كما أن إيثار صيغة الاستقبال في الثانية لإفادة الاستمرار التجددي وفي
التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة بإعاذة المتوكلين وهذه تعليل للأمر بالاستعاذة أو لجوابه المنوي أي يعذك أو نحوه إنما سلطانه
أي تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والإلجاء فإنه منتف عن الفريقين لقوله تعالى حكاية عنه وما كان لي عليكم
من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي قد أفصح عنه قوله تعالى على الذين يتولونه أي يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه
فإن المقصور بمعزل من ذلك والذين هم به سبحانه وتعالى مشركون أو بسبب الشيطان مشركون إذ هو الذي حملهم على الإشراك بالله سبحانه
وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على أن لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولي الشيطان وإن كان
بينهما واسطة في المفهوم وأن من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب إذ به يتم التعليل ففيه مبالغة في

يحمل على التوكل والتحذر عن مقابلة وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار التجددي كما ان اختيار الجملة الاسمية
في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء
الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من
التوكل على الله تعالى وتوزيع الترتيب السابق لانفصال كل من الترتيبين عما يقابلها واذا بدلنا آية مكان آية اي اذا انزلنا آية
من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بان نسخناها بها والله اعلم بما ينزل اولا وآخرا وبان كلا من ذلك انما نزلت حيثما
نزلت حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان لكل وقت حكما يقتضيه غير ما يقتضيه الآخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت آخر مفسدة
وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة اما
معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل ما لا يخفى من تربية
المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا اي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر
اي متقول على الله تعالى تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان
وانه وليهم بل اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان
منهم من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا قل نزله اي القرآن المدلول عليه بالآية روح القدس يعني جبريل عم اي الروح المطهر من
الادناس البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه
طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين اشعار بان التدريج في الانزال مما تقتضيه الحكمة البالغة من ربك في اضافة الرب الى ضميره
من الدلالة على تحقيق افاضة آثار الربوبية عليه عم ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المبنية على التلقين المحض بالحق اي ملتبسا بالحق
الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين آمنوا على الايمان
بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت
من الافعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض
بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه
اي القرآن بشر على طريق البت مع ظهور انه نزله روح القدس عم وتحلية الجملة بفنون التأكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة
الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب الاستمرار التجددي في متعلقه فانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي
غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلعم يمر عليهما
ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وانما لم يصرح
باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطائهم ليس بنسبته عم الى التعلم من شخص معين
بل من البشر كائنا من كان مع كونه عم معدنا لعلوم الاولين والآخرين لسان الذي يلحدون اليه اعجمي الالحاد الامالة
من الحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه
اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول عن الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان وهذا القرآن الكريم

سلم

لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه
فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن بامثال هذه الخرافات
الركيكة دليل على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي لا يصدقون انها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة
افتراء وتارة اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء
حالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله ونسبة رسوله صلعم الى الافتراء والتعلم
من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر
عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية
لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بآيات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر
اي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقته الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا وافتراء
كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه
اعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه واما
من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان
بآيات الله هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب آياته والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل
والسر في ذلك ان الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله او بوقوع ما لم يقع كذلك
مدافعة له سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المبني عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع
من دين او مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله اي تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء
كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعدما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء
والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه او هو خبر الآتي عليه او هو خبر لهما معا او النصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف
على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يعم القول كما اشير اليه
وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان
للاكراه لا تجدي نفعا وانما المجدي مقارنته للكفر الواقع به اي الا من كفر باكراه والحال ان قلبه مطمئن
بالايمان لم تتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من
لم يكن كذلك بل شرح بالكفر صدرا اي اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه من الله الجبار الاسم الجليل
لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى
كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد
فابى ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما
اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلعم كلا ان عمارا ملئ

واخرى

بل اي ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلعم وهو يبكي فجعل رسول الله صلعم يمسح عينيه وقال ما لك
ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين
كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا
فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد صلعم قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلعم
فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور بانهم
بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا آثروها على الآخرة وان الله لا يهدي الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء
القوم الكافرين في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار الحيوة
الدنيا على الآخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان آثروا الآخرة على الدنيا او بان الجاهم الله تعالى الى
هداية قسر لما كان كذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى اولئك اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون
اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا
اعمارهم وصرفوها الى ما لا يفضي الا الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا اي الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه اي لهم
بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتي
عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرا لها وتكون ان الثانية تأكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي
يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة من بعد ما فتنوا اي عذبوا
على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره
مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا اي في سبيل الله تعالى وصبروا على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة
والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال
ذلك بالحكم لغفور لما فعلوا من قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين
ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره صلعم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عم واشعار
بان افاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عم ولكونهم اتباعا له يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم وما عطف
عليه او باذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين تجادل عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها
شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس اي تعطى وافيا كاملا ما عملت اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على
المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف
وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد
في عقابهم على ذنوبهم وضرب الله مثلا قرية قيل ضرب المثل صنعه واعماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى
الا الى مفعول واحد وانما عدي الى الاثنين لتضمينه معنى الجعل وتأخير قرية مع كونها مفعولا اولا لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها

وما يترتب

وما يترتب عليها اذ التأخير عن الكل مخل بتجاذب اطراف النظم وتجاوبها ولان تأخير ما حقه التقدم مما يورث النفس ترقبا لوروده
وتشوقا اليه لا سيما اذا كان في المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل ما هو مثل فيتمكن المتأخر عند وروده
لديها فضل تمكن والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله عليهم
فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا كانت آمنة ذات امن من كل
مخوف مطمئنة لا يزعج اهلها مزعج يأتيها رزقها اقوات اهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان
رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت اي كفر اهلها بانعم
الله اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر
وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة فاذاقها الله اي اذاق اهلها
لباس الجوع والخوف شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة
المستعارة لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع
استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت
اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس
الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم
المر والبشع الملائم للجوع الناشي من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومى اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال المضار
المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشي مما ذكر من فقدان الرزق على
الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق
وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على اللباس او اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف بما كانوا
يصنعون فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور واسند ذلك الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها
وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة ولقد
جاءهم من تتمة التمثيل جيء بها للبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة
الله على الخلق ايضا اي ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر
على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون فكذبوه في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكر
للايذان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلعثم فاخذهم العذاب المستأصل لشأفتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك وهم ظالمون
اي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة
عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد وترتب العذاب على تكذيب الرسول جرى على
سنة الله تعالى حسبما يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل

لهم خاصة اولى سابرتهم كافة محاذية لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا
وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم
رسول منهم واي رسول يحار في ادراك سمو رتبته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله
فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عم بقوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصابهم من جدب شديد
وازمة ضيقت كل شيء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت
عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلعم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم
من العذاب هذا هو الذي تقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم
لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد عم وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق
كيف لا وهو حينئذ فكلوا مما رزقكم الله مترتب على نتيجة التمثيل وصدا لهم عما يؤدي الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال
من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي اولا وآخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلعم
كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسوله صلعم في امره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه حلالا طيبا
وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها واشكروا نعمة الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعطوف داخلة
على الامر بالشكر وانما ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا
طيبا وقد ادرج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في ان ذا انما يتصور حين كان العذاب المستاصل متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه
وبعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذي يحذر ومن ذا الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار
بذلك قبل الوقوع ياباه التصدي لاستصلاحهم بالامر والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه من خطاب
النهي متوجه الى الكفار كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق بشان التنزيل الجليل
ان كنتم اياه تعبدون اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تعليل لحل ما امرهم باكله مما رزقهم اي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر
والسوائب ونحوها فمن اضطر بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ اي على مضطر آخر ولا عاد اي متجاوز
قدر الضرورة فان الله غفور رحيم اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم
وفي الاضافة الى ضميره عم اظهار لكمال اللطف به عم وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع
والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم اللام صلة مثل ما في قوله تعالى
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي لا تقولوا في شان ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناد الى وحي او قياس
مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول
اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وان يكون القول المقدر حالا من السنتهم اي قائلة هذا حلال وهذا حرام وتجوز

صلعم

ان ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف
السنتكم الكذب اي لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف السنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له في المسامع كان
السنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف
على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كانه قيل لوصفها الكذب
بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة
وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب وهو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني لتفتروا على الله الكذب فان
مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير ان يكون ذلك منه واللام لام العاقبة
ان الذين يفترون على الله الكذب في امر من الامور لا يفلحون لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل
خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا
خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين حرمنا ما قصصنا عليك اي بقوله حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الآية من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال لما يخالفه من فرية اليهود وتكذيب لهم
فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وما ظلمناهم بذلك
التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم الآية ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل
فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين
فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم
ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اي بسبب جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة
والسوء ليعم الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اي من بعد ما عملوا ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتاكيد والمبالغة
واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم او دخلوا في الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على طاعته
تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتاكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم
مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان افاضة آثار الربوبية من المغفرة والرحمة بتوسطه عم وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما تم
ان ابراهيم كان امة على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة في امة جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر ان
يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقي ولا تذر
وابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة او لانه عم كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول
كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون به في الاسلام وبطلان الشرك وفروعه
امر ثابت لا ريب فيه قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك
من المشركين في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره للرد على كفار قريش فقط في قولهم نحن على ملة ابينا ابراهيم

بل عليهم وعلى اليهود والمشركين بقولهم عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم انه عم كان على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا. شاكرا لانعمه صيغة
القلة للايذان بانه عم كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عم على خلاف
ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل. اجتباه. للنبوة. وهداه الى صراط مستقيم. موصل اليه سبحانه وهو ملة
الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عم بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء. وآتيناه في الدنيا حسنة
حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول
المصلي منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عم. وانه في الآخرة لمن الصالحين.
اصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما سأله بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم
ثم اوحينا اليك. مع علو طبقتك وسمو رتبتك. ان اتبع ملة ابراهيم. الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الانبياء
من املت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى
يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي عم ولا يكاد يوجد مضافة
الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عم الاسلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط
المستقيم. حنيفا. حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة اتصاله به عم جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه
هند قائمة والمأمور به الاتباع في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان
هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه عم. وما كان من المشركين. تكرير لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير لنزاهته عم عما هم عليه من
عقد وعمل وقوله سبحانه. انما جعل السبت. اي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له
بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا يدعون ان السبت
من شعائر الاسلام وان ابراهيم عم كان محافظا عليه اي ليس السبت من شرائع ابراهيم وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى
يكون بينه عم وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى
على سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك
بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت. على الذين اختلفوا فيه. للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء
المؤدي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شأنه قبل الوقوع ايثارا له على امر الله تعالى به واختيارا للعكس لكن لا باعتبار
شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك ان
موسى عم امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي
فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم
بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله قردة دون اولئك
المطيعين. وان ربك ليحكم بينهم. اي بين الفريقين المختلفين فيه. يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. اي يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف

مجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة
الى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين
اختلفوا فيه اي احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله سبحانه وفسر الحكم بينهم
بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا بانه اريد به انذار المشركين من سخط الله تعالى على
العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب في ان كلمة بينهم تحكم بان المراد بالحكم هو الفصل
ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ للانذار المذكور بين حكاية امر النبي صلعم باتباع ملة ابراهيم عم وبين امره
بالدعوة ايهام قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتأمل. ادع. اي من بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او نزل الفعل
كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع فحذف للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني عن البيان
وانما المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص. الى سبيل ربك. الى الاسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة
ابراهيم عم وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير
النبي صلعم في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به صلعم والايماء
الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى. بالحكمة. اي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة. والموعظة الحسنة. اي الخطابيات
المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية
لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين. وجادلهم. اي ناظر معانديهم. بالتي هي احسن.
بالطريقة التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم
واطفاء للهبهم كما فعله الخليل عم. ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله. الذي امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعدما عاين
ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر. وهو اعلم بالمهتدين. اليه وذلك هو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى اعلم اسلك في
الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى
الاهتداء لما فيه من خير جبلي فما شرعه لك في الدعوة هو الذي تقتضيه الحكمة فانه كاف في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين
او ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية او الضلال والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم
بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة
الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذي
هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير هو اعلم للتأكيد
والاشعار بتباين حال المعلومين ومآل احدهما العقاب والآخر الثواب بعدما امره عم فيما يتحقق من شأن الدعوة بما امر به من الوجه
اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل فقال. وان عاقبتم. اي ان اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمي ان اكلت
فكل قليلا. فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به. اي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان
او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين مآل الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع

فان الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن القبلة المعهودة وادخال الاعناق في قلادة
غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل
وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه صلعم لما رأى
حمزة رضه يوم احد قد مثل به قال لئن اظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراد وقرئ
وان عقبتم فعقبوا اي ان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في المثلة
من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتم حثا على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل ولئن صبرتم اي عن
المعاقبة بالمثل لهو اي لصبركم ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر او وصفا
لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة وتجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول المذكورين في جنس
الصابرين دخولا اوليا ثم امر صلى الله عليه وسلم صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة علمه
بشؤونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل واصبر اي على ما اصابك من جهتهم من فنون الآلام والاذية وعاينت من اعراضهم
عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء من الاشياء الا بالله
اي بذكره والاستغراق في مراقبة شؤونه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عم وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد
عليه او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة او بتوفيقه
ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط ولا تحزن عليهم اي على الكافرين بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم
لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم الكريم ولا تك في
ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل اي لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كلين
من هين اي في امر ضيق مما يمكرون اي من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهي عن التألم بمطلوب من قبلهم فات والثاني
عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهي عنهما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على الوجه الاول لزيادة
التأكيد واظهار كمال العناية بشأن التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه بشراشر نفسه متنزها عن كل ما سواه من
الشواغل شيء من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او محذور فيكف عن الخوف من وقوعه ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما
سبق من الامر والنهي والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به
دخول كلمة مع من متبوعية المتقين انما هي من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه ان الله مع الصابرين
ونظائرهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم
من فعل وترك اعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولايته تعالى
المقرونة ببشارة قوله سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية
وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته او الخوف من وقوعه وهو
المعنى بما به الصبر المأمور حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على احد التفسيرين

كما حقق في مقامه والا فمجرد التوقي عن المحارم لا يكون مدارا لشيء من العزائم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار اليه ورديفيه وانما
مداره المعنى المذكور فكأنه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على انه
من خصائص اجل النعوت الجليلة وروادفه كما ان قوله تعالى والذين هم محسنون للاشعار بانه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه
المتنافسون على ما قيل وذلك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقد نبه على ان كلا من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان
في قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها
الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير
الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه من غير ان يكون احداهما تتمة للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على
الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة
على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عم داخل في زمرتهم دخولا اوليا واما هو عم ومن شايعه
عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز الى ان صنيعه عم مستتبع لاقتداء الامة به كقول من قال
لابن عباس رضه عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الرأس عن هرم بن حيان انه قيل له حين الاحتضار
اوص فقال انما الوصية من المال اوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه
الله تعالى بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية والحمد لله وحده

سورة الاسراء

سبحان الذي اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل حيث كان المسمى معنى لا عينا
وجنسا لا شخصا لم تكن اضافته من قبيل ما في زيد المعارك وحاتم طي وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحان
وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس
سبوح اي واسع الجري ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم
يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من
حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة مناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى كأنه قيل تنزه بذاته
تعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا لافادة قلة زمان الاسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث
الاجزاء ودلالته على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضيته بان يسير في بعض من الليالي يفيد بعضيته من
فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده
قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عم في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات واقاصي
ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه اي التنزه الى الموصول المذكور للاشعار
بعليتها في حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام
اختلف في مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه صلعم انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر

عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل عم بالبراق وقيل اسري به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم
لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد فانه روي عن ابن عباس رضه انه عم كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء
فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت به عم لتمنعه خشية ان يكذبه القوم فابى عم وان كذبوني فلما خرج
جلس اليه ابو جهل فقال يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس
ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق فقالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من
ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا
اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل
اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها
جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قاتلهم الله فانى يؤفكون واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن
انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه كان في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق
انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضها انها قالت ما فقد
جسد رسول الله صلعم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه
وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش
واحالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل
يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية
في قبول الاعراض التي من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة
بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة. الى المسجد الاقصى اي بيت المقدس
سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى. الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا
لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام. لنريه غاية للاسراء. من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من
الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه
على مقاماتهم العلية عليهم السلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء. انه هو السميع لاقواله
بلا اذن. البصير بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به الحصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا
لتكرمته عم ورفع منزلته والا فالاحاطة باقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة
لتربية المهابة. وآتينا موسى الكتاب اي التورية وفيه ايماء الى دعوته عم الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين
المتحدين في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي صلعم الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم
تقريبا للاسراء الى قبول السامعين اي آتيناه التورية بعدما اسرينا به الى الطور. وجعلناه اي ذلك الكتاب. هدى
لبني اسرائيل يهتدون بما في تضاعيفه. ان لا تتخذوا اي بان لا تتخذوا كما في كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية

والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا تتخذوا. من دوني وكيلا. اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما ان فعيلا مفرد
في اللفظ جمع في المعنى. ذرية من حملنا مع نوح. نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهي والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه
عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عم او على انه احد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النفي ومن دوني حال من وكيلا
كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو لا تتخذوا [illegible]
من ضمير المخاطب كما هو مذهب البعض وقرئ ذرية بكسر الذال. انه اي ان نوحا عم. كان عبدا شكورا. كثير الشكر في مجامع
حالاته وفيه ايذان بان انجاء من معه كان ببركة شكره عم وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو اعظم
مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عم. وقضينا. اي اعلمنا واحكمنا منزلين. الى بني اسرائيل. او موحين اليهم. في الكتاب.
اي في التورية فان الانزال والوحي الى موسى عم انزال ووحي اليهم. لتفسدن في الارض. جواب قسم محذوف ويجوز اجراء
القضاء المحتوم مجرى القسم كأنه قيل واقسمنا لتفسدن. مرتين. مصدر والعامل فيه من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التورية
وقتل شعيا عم وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عم. ولتعلن علوا كبيرا.
لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه او لتغلبن الناس بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحد. فاذا جاء وعد
اولاهما. اي اولى كرتي الافساد اي حان وقت حلول العقاب الموعود. بعثنا عليكم. لمؤاخذتكم بجناياتكم. عبادا لنا.
وقرئ عبيدا لنا. اولي بأس شديد. ذوي قوة وبطش في الحروب هم سنحاريب من اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر
عامل لهراسب وقيل جالوت. فجاسوا. اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا. خلال
الديار. اي وسطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا
منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مما جرت به السنة الالهية. وكان. ذلك. وعدا مفعولا. لا محالة
بحيث لا صارف عنه ولا مبدل. ثم رددنا لكم الكرة. اي الدولة والغلبة. عليهم. على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة
سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو قيل بعد قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسارهم واموالهم
ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسف القى الله تعالى في قلبه الشفقة
عليهم فرد اسارهم واموالهم ورجع الملك الى الشام وملك عليهم دانيال عم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت
نصر وقيل بقتل داود عم لجالوت. وامددناكم باموال. كثيرة بعدما نهبت اموالكم. وبنين. بعدما سبيت اولادكم
وجعلناكم اكثر نفيرا. مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب
الى العدو كالعبيد والمعيز. ان احسنتم. اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه اللائق
ولا يتصور ذلك الا بعد ان يكون الاعمال حسنة في انفسها او ان فعلتم الاحسان. احسنتم لانفسكم. لان ثوابها لها. وان
اسأتم. اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتي او فعلتم الاساءة. فلها. اذ عليها وبالها وعن علي رضه
ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه. فاذا جاء وعد الآخرة. حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الآخرة. ليسوءوا وجوهكم.
متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم ليسوءوا ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في

وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على أن الضمير لله تعالى أو للوعد أو للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي
قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن على أنه جواب إذا وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة ولنسوءن واللام في قوله عز وجل وليدخلوا المسجد
عطف على ليسوءوا متعلق بما تعلق هو به كما دخلوه أول مرة أي في أول مرة وليتبروا أي يهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا
عليه أو مدة علوهم تتبيرا فظيعا لا يوصف وذلك بأن سلط الله عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه
جودرز وقيل حردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال
لم تصدقوني فقتل عليه ألوفا فلم يهدأ الدم ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا إنه دم يحيى بن زكريا عليهما السلام
فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله تعالى قبل أن لا أبقي منهم أحدا
فهدأ عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الآخرة إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي وإن عدتم أي إلى ما كنتم فيه من الفساد
مرة أخرى عدنا أي إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله سبحانه عليهم النقمة بأن سلط عليهم الأكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من
الإتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا أي محبسا لا يستطيعون الخروج منها أبد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وأما عدول
عن أن يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك وإشعارا بعلة الحكم إن هذا القرآن الذي آتيناكه يهدي
أي الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي آتيناه موسى عليه السلام للطريقة التي هي أقوم أي أقوم الطرائق وأسدها
أعني ملة الإسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة والخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للإيذان
بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي إليها من
يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فإنه مخصوص بالمؤمنين ويبشر المؤمنين بما في تضاعيفه من الأحكام والشرائع وقرئ
بالتخفيف الذين يعملون الصالحات التي شرحت فيه أن لهم أي بأن لهم بمقابلة تلك الأعمال أجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب
التضعيف عشر مرات وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة وأحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر
من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما أمروا بالإيمان به ولمراعاة التناسب بين أعمالهم وجزائها الذي أنبأ عنه قوله عز وجل
أعتدنا لهم عذابا أليما وهو عذاب جهنم أي أعتدنا لهم فيما كفروا وأنكروا وجوده من الآخرة عذابا أليما وهو أبلغ في الزجر
لما أن إتيان العذاب من حيث لا يحتسب أفظع وأوجع والجملة معطوفة على جملة يبشر بإضمار يخبر أو على قوله تعالى أن لهم داخلة
معه تحت التبشير المراد به مجازا مطلق الإخبار المنتظم للإخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهدايته
القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز كون التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم وقوله تعالى
ويدع الإنسان بالشر بيان لحال المهدي إثر بيان حال الهادي إظهارا لما بينهما من التباين والمراد بالإنسان الجنس أسند إليه
حال البعض أفراده أو حكي عنه حاله في بعض أحيانه فالمعنى على الأول أن القرآن يدعو الإنسان إلى الخير الذي لا خير فوقه من
الأجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب الأليم وهو أي بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب
المذكور إما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم

ومن

ومن قال فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين إلى غير ذلك مما حكي عنهم وإما بأعمالهم السيئة المفضية إليه الموجبة له مجازا كما هو
ديدن كلهم دعاءه بالخير أي مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فإنه بمعزل من الدعاء به وفيه رمز إلى أنه اللائق بحاله
وكان الإنسان أي من أسند إليه الدعاء المذكور من أفراده عجولا يسارع إلى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره أو مبالغا
في العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على أعمالهم يحمل العجلة على اللج والتمادي في
استيجاب العذاب بتلك الأعمال وعلى الثاني أن القرآن يدعو الإنسان إلى ما هو خير وهو في بعض أحيانه كما عند الغضب يدعو ويبادر
الله تعالى لنفسه وأهله وماله بما هو شر وكان الإنسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأنى إلى أن يزول عنه ما يعتريه روي أنه عليه السلام دفع
إلى سودة أسيرا فأرخت كتافه رحمة لأنينه بالليل من ألم القد فهرب فلما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يديها فرفعت
سودة يديها تتوقع الإجابة فقال عليه السلام إني سألت الله تعالى أن يجعل دعائي على من لا يستحق من أهلي عذابا رحمة أو يدعو بما هو
شر وهو يحسبه خيرا وكان الإنسان عجولا غير مستبصر لا يتدبر في أموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر
جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار آيتين شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالإرشاد إلى مسلك
الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فإن الجعل المذكور
وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وإن كانت من الهدايات التكوينية لكن الإخبار بذلك من الهدايات
القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي إذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو أن
الليلة أضيفت إلى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر والترتيب غاية آية النهار عليها بلا واسطة
أي جعلنا الملوين بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول آيتين تدلان
على أن لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان إلى ما هدى إليه القرآن الكريم من ملة الإسلام والتوحيد فمحونا آية الليل
الإضافة إما بيانية كما في إضافة العدد إلى المعدود أي محونا الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها
ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد أن لم تكن كذلك بل إبداعها على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أي
كذلك وإنما الفاء تفسيرية لأن المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل
ومتمماته وجعلنا آية النهار مبصرة أي الآية التي هي النهار على نحو ما مر مبصرة مضيئة يبصر فيها الأشياء وصفها بحال
أهلها أو مبصرة للناس من أبصره فبصر وإما حقيقية وآية الليل والنهار نيراهما ومحو القمر إما خلقه مطموس النور في نفسه فالفاء
كما ذكر وإما نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا إلى المحاق على ما هو معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة إبداعها
مضيئة بالذات ذات أشعة تظهر بها الأشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما أشير إليه أي جعلناها
مضيئة لتطلبوا لأنفسكم في بياض النهار فضلا من ربكم أي رزقا إذ لا يتسنى ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق بالفضل
وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال شيئا فشيئا دلالة على أن ليس للعبد في تحصيل الرزق
تأثير سوى الطلب وإنما الإعطاء إلى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين
أعني محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا بأحدهما فقط إذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور أي لتعلموا بتفاوت

الجديدين أو نيريهما ذاتا من حيث الإظلام والإضاءة مع تعاقبهما أو حركاتهما وأوضاعهما وسائر أحوالهما عدد
السنين التي يتعلق بها غرض علمي لإقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب أي الحساب المتعلق بما في ضمنها من الأوقات أي الأشهر
والليالي والأيام وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وإنما الذي تعلق به
العد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة أعني حيثية تحققها وتحصلها من عدة أشهر قد تحصل كل
واحد منها من عدة أيام قد حصل كل منها من طائفة من الساعات مثلا فإن ذلك وظيفة الحساب بل من حيث إنها فرد من تلك الطائفة
المعدودة يعدها أي بنفسها من غير أن يعتبر في ذلك تحصل شيء معين وتحققه والحساب إحصاء ما له كمية منفصلة بتكرير
أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما أشير إليه آنفا والعد إحصاؤه بمجرد تكرير
أمثاله من غير أن يتحصل به شيء كذلك ولما أن السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل أضيف إليه العدد وعلق
الحساب بما عداها مما اعتبر فيه مراتب معينة لها أسام خاصة وأحكام مستقلة وتحصل مراتب الأعداد من العشرات والمئات و
الألوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع أن الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على
العكس للتنبيه من أول الأمر على أن متعلق الحساب ما في تضاعيف السنين من الأوقات أو لأن العلم المتعلق بعدد السنين علم إجمالي
بما تعلق به الحساب تفصيلا أو لأن العدد من حيث إنه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه حسبما ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك
منزلة البسيط من المركب أو لأن العلم المتعلق بالأول أقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتنان والله سبحانه أعلم
وكل شيء تفتقرون إليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو
منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه تفصيلا أي بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه هاديا للتي هي أقوم ظهورا بينا وكل إنسان مكلف ألزمناه طائره أي عمله الصادر
عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار إليه من عش الغيب ووكر القدر أو ما وقع له في القسمة الأزلية الواقعة حسب استحقاقه
في العلم الأزلي من قولهم طار له سهم كذا في عنقه تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط أي ألزمناه عمله بحيث لا يفارقه
أبدا بل يلزمه لزوم القلادة أو الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ في عنقه بسكون النون ونخرج له بنون العظمة وقرئ
بالياء مبنيا للفاعل على أن الضمير لله عز وجل وللمفعول والضمير للطائر كما في قوله تعالى يخرج من الخروج يوم القيامة
كتابا مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الأوليين وحال من المفعول المحذوف الراجع
إلى الطائر وعلى الأخيرتين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر يلقاه أي يلقى الإنسان أو يلقاه الإنسان منشورا
وهما صفتان للكتاب أو الأول صفة والثاني حال منه وقرئ يلقاه من لقيته كذا أي يلقى الإنسان إياه قال الحسن بسطت لك
صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك
حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة اقرأ كتابك أي قائلين له ذلك عن قتادة يقرأ
ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن كل عمل يصدر من الإنسان خيرا
وشرا يحدث منه في جوهر روحه أمر مخصوص إلا أنه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى

فاذا

فإذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لأن النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو
الصعود إلى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الأحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى
الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أي كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لأنه
بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد لأنه يكفي المدعي ما أهمه وتذكيره لأن ما ذكر من
الحساب والكتابة مما يتولاه الرجال أو لأنه مبني على تأويل النفس بالشخص على أنها عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة بن حريث
يا نفس إنك باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن
هاديا لأقوم الطرائق ولزوم الأعمال لأصحابها أي من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الأحكام وانتهى عما نهاه عنه
فإنما تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه لا تتخطاه إلى غيره ممن لم يهتد ومن ضل عن الطريقة التي يهديه إليها فإنما يضل عليها
أي فإنما وبال ضلاله عليها لا على من عداها ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر أخرى تأكيد
للجملة الثانية أي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم
بل إنما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه وأما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع
شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين
يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته
فإن جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وإنما الذي يصل إلى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء أصل الحسنة
والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون إنما هو جزاء الإضلال لا جزاء الضلال وإنما
خص التأكيد بالجملة الثانية قطعا للأطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم إن لم يكونوا على الحق فالتبعة على أسلافهم الذين
قلدوهم وما كنا معذبين بيان للعناية الربانية إثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال بأصحابها وعدم حرمان
المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها أي وما صح وما استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على
الحكم البالغة أو ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق أن نعذب أحدا من أهل الضلال والأوزار اكتفاء بقضية العقل
حتى نبعث إليهم رسولا يهديهم إلى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل
عليه والمراد بالعذاب المنفي إما عذاب الاستئصال كما قاله الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما بعده أو الجنس الشامل
للدنيوي والأخروي وهو من أفراده وأيا ما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا
كيف لا والأخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي أيضا لا يحصل إلا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان ألا يرى إلى
قوم نوح عليه السلام كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء ألف سنة وقوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية بيان لكيفية وقوع العذاب
بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالإرادة تحققها بالفعل إذ لا يتخلف عنه المراد ولا الإرادة الأزلية
المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له إذ لا تقارنه الجزاء الآتي بل تتوقف كما في قوله تعالى أتى أمر الله أي إذا دنا وقت
تعلق إرادتنا بإهلاك قرية بأن نعذب أهلها بما ذكر من عذاب الاستئصال الذي بينا أنه لا يصح منا قبل البعثة أو بنوع مما

وكونه تعالى من مطلق العذاب بمعنى هذا الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دون التصفية لحكمة من غير ان يكون له حد معين
أمرنا بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها مترفيها متنعميها وجبابرتها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم
الاصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم آكد وعدم التعرض للمأمور به لظهور ان المراد الحق والخير لان الله تعالى
لا يأمر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هدايته القرآن لما هي اقوم وانما لان المراد وجد منه الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع ففسقوا فيها
اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق عليها القول اي كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فيها فدمرناها
تدميرا لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو الذي يناسب لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له
بان صب عليهم النعم المبطرة وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت الشيء فأمر اي كثرته فكثر وفي الحديث خير
المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة آمرنا وامّرنا من الافعال والتفعيل وقد حملنا
من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فان مؤدى ذلك ان اضلالهم
منوط بارادة الله تعالى وانعامه عليهم بنعم وافرة ابطرتهم وحملتهم على الفسق حملا حقيقا بان يعبر عنه بالامر وكم اهلكنا
اي كثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم وهي عشرون او ثلثون او اربعون
او ثمانون او مائة وقد ايد ذلك بانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة او مائة وعشرون من بعد نوح
من بعد زمنه عليه السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن لم تقص وعدم نظم قوم نوح في تلك
القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكره عليه السلام رمز الى ذكرهم وكفى بربك اي كفى ربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا
محيطا بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي للاعمال الظاهرة
او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم
من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه من كان يريد باعماله التي يعملها سواء
كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب باعمال الآخرة فالمراد بالمريد
على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير
ان يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه والمراد
بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد
بها الحيوة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب بقوله تعالى عجلنا له فيها اي في تلك العاجلة
فان الحيوة واستمرارها من جملة ما عجل له فلا تتبدل كلمة من كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء اي ما
نشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع
الى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وهو واحد
من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة والارادة لما ان الحكمة التي يدور عليها فلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب
الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما يترآى من قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها

لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود بتفصيل
ثم جعلنا له مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من اصناف العذاب يصليها يدخلها وهو حال من الضمير المجرور او من جهنم او استئناف
مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم
في الغنائم ونحوها ويأباه ما قيل ان السورة مكية سوى آيات معينة ومن اراد باعماله الآخرة الدار الآخرة وما فيها من
النعيم المقيم وسعى لها سعيها اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة
اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط
مقارنته لما ذكر في حيز الصلة فاولئك اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي اولئك
الجامعون لما مر من الخصال الحميدة من ارادة الآخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله تعالى
بحسن القبول مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها كلا التنوين عوض عن المضاف اليه
اي كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير لتحقق الاسعاف فقط نمد اي نزيد مرة بعد مرة بحيث يكون الآنف
مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما اعد للآخر من العطايا الآجلة المشار اليها بمشكورية
السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما لحق عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى هؤلاء
بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من العنوان
لا للذات فقط كالاضمار ففيه تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه افراد الفريق الاخير وتأكيد
للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك اي من معطاه الواسع الذي لا تناهي له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به
الامداد ومنبه على ان الامداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل وما كان عطاء ربك اي دنيويا كان
او اخرويا وانما اظهر اظهارا لمزيد الاعتناء بشأنه واشعارا بعليته للحكم محظورا ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من
قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكافر وهو في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض
لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض
كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب احد
العطائين والاستدلال بها على مراتب الآخر اي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما امددناهم به من العطايا
العاجلة فمن وضيع ورفيع وظالع وضليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك لتعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات
تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى وللآخرة اكبر اي هي وما فيها اكبر من الدنيا
وقرئ اكثر درجات واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا
وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط
ويحمل التفضيل المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان

النسبة بينها وبين النوع الثاني ارادة ووصولاً كما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطاء
العاجلة لا من ذكر ما اراده لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاء ربك الدنيوي محظورا اي
احد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة
الا انه واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنعه من
عاص لعصيانه ينبغي كون التفصيل لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام نوع
ثبوت له فضلاً عن ايهام اختصاصه لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلعم والمراد به امته وهو من
التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والتعود بمعنى الصيرورة من قولهم
شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه اي عجز عنه مذموما مخذولا خبران او حالان اي
جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة
وقضى ربك اي امر امرا مبرما وقرئ واوصى ربك ووصى ربك ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه على
ان أن مصدرية ولا نافية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية
العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة وبالوالدين احسانا اي بان تحسنوا بهما او احسنوا بهما احسانا
لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة لتأكيدها
ولذلك دخل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه التأخير للتشويق
الى وروده فانه جاز ان يتعلق الرعاية والاحسان واحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول
الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه لا فاعل لئلا يحمل كلاهما تاكيدا
للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهي كل
احد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المرام فلا تقل لهما اي لواحد منهما حالتي
الانفراد والاجتماع أف وهو صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل هو أتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم
منونا وغير منون اي لا تتضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وبهذا النهي تفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما دلالة
النص وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشأنه فقيل ولا تنهرهما اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل
النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما ذا كرم او هو وصف له بوصف صاحبه اي قولا دا(را)
عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل ان يقول يا ابتاه ويا اماه
كدأب ابراهيم عم اذ قال لابيه يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وديدن الدعار
وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر
اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة
اودائهما من بعدهما فعن النبي صلعم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه واخفض لهما جناح الذل عبارة

عن

عن المبالغة في التواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك كأنه قيل واخفض لهما جناحك الذليل او جعل
لذله جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للقرة زماما وللشمال يدا
تشبيها له بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة عليها واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله
البعض فلا يناسب المقام من الرحمة من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق
الله تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية
والاخروية التي من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك كفرهما كما ربياني الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر
محذوف اي رحمة مثل تربيتهما لي او مثل رحمتهما لي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد
ذكر احدهما في احد الجانبين والاخر في الاخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب ارحمهما
وربهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز ان يكون الكاف للتعليل اي لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد
بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما
معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ما له من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل
تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلعم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه
في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل
لرسول الله صلعم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك
وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وروي ان شيخا اتى النبي صلعم فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه
لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عم وقال ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنه ابياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها فانشدها
الشيخ فقال غذوتك مولودا ومنتك يافعا تعل بما احني عليك وتنهل اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت لسقمك الا
ساهرا اتململ كأني انا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني وعيني تهمل فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيك اؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك انت المنعم المتفضل فليتك اذ لم ترع حق ابوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل
فغضب رسول الله صلعم وقال انت ومالك لابيك ربكم اعلم بما في نفوسكم من البر والعقوق ان تكونوا صالحين قاصدين
الصلاح والبر دون العقوق والفساد فانه تعالى كان للأوابين اي الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر
غفورا لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما
لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه دخولا اوليا وآت ذا القربى اي ذا القرابة حقه توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين
ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله والمسكين وابن السبيل فان المأمور به في حقهما المواساة المالية
لا محالة اي وآتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكوة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان
الكل من التصرفات المالية ولا تبذر تبذيرا نهي عن صرف المال الى من سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه
مأخوذ من تفريق حبات والقائها كيف ما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الاكثار في صرفه اليهم والا لناسبه الاسراف

الذي هو تجاوز الحد وقد نهى عنه بقوله سبحانه ولا تبسطها وكلاهما مذموم ﴿ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين﴾ تعليل للنهي
عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزاً في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء
التي من جملتها التبذير اي كانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اي كانوا اصدقاءهم واتباعهم
فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة وسائر ما لا خير
فيه من المناهي والملاهي او المقارنة اي قرناءهم في النار على سبيل الوعيد ﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ من تتمة التعليل اي
كثير الكفران لنعمة ربه لان شأنه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي
والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى به وتخصيص
هذا الوصف بالذكر من بين سائر اوصافه القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من
باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان
كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان ﴿واما تعرضن
عنهم﴾ اي ان اعتراك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين ﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾ اي لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب مقام
السبب فان الفقد سبب للابتغاء ﴿ترجوها﴾ من الله تعالى لتعطيهم وكان صلعم اذا سئل شيئاً وليس عنده اعرض عن السائل
وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا تعتريهم الوحشة بسكوته عم فقيل ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ سهلاً لينا وعدهم
وعداً جميلاً من يسر الامر نحو سعد او قل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم ﴿ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر زجراً لهما عنهما وحملاً على ما بينهما من الاقتصاد
كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح مقارناً له من اول الامر روعي ذلك في التصوير باقبح الصور ولما كان غائلة
الاسراف في آخره بين قبحه في اثره فقيل ﴿فتقعد ملوماً﴾ اي فتصير ملوماً عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت
وندمت على ما فعلت ﴿محسوراً﴾ نادماً او منقطعاً بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه واما قيل من انه روي عن
جابر رضه انه قال بينا رسول الله صلعم قاعد اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعاً فقال عم من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا
فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل عم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عرياناً
واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فنزلت فيأباه ان السورة مكية خلا آيات في آخرها وكذا ما قيل انه عم اعطى الاقرع
بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فانشأ يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد
بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال عم يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل وكانوا جميعاً من المؤلفة القلوب فنزلت ﴿ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر﴾ تسلية له عم اي يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما تعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضافة
التي تحوجك الى الاعراض عن السائلين او نفاد ما في يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك ﴿انه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾
تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر

والظواهر

والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان مراد الله تعالى ان يبسط تارة وتقبض اخرى
فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيئته فلا تبسطوا على من
قدر عليه رزقه وان يكون تمهيداً لقوله تعالى ﴿ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق﴾ اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم
مخافة الفقر فنهوا عن ذلك ﴿نحن نرزقهم واياكم﴾ لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان
لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بابطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام
للاشعار باصالتهم في افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا الاملاق
المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكأنه قيل نرزقهم من غير ان ينتقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضاً رزقاً
الى رزقكم ﴿ان قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾ تعليل آخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم والخطء الذنب والاثم يقال خطئ خطئاً
كأثم اثماً وقرئ بالفتح والسكون مصدرين بمعنى كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدوداً
وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها كذلك ﴿ولا تقربوا الزنى﴾ بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلاً عن مباشرته وانما نهى عن
قربانه على خلاف ما سبق في القتل للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي
عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت
نسبه ميت حكماً ﴿انه كان فاحشة﴾ فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد ﴿وساء سبيلاً﴾ اي بئس طريقاً طريقه فانه غصب
الابضاع المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي صلعم اذا زنى العبد خرج منه الايمان
فكان على رأسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عم لا يزني الزاني وهو مؤمن وعن حذيفة رضه انه قال عم اياكم
والزنى فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما
التي في الآخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله﴾ قتلها بان عصمها بالاسلام
او بالعهد ﴿الا بالحق﴾ الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس معصومة عمداً فالاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها
بسبب من الاسباب الا بسبب متلبس بالحق او متلبسين به او متلبسة بشيء من الاشياء ويجوز ان يكون نعتاً لمصدر محذوف اي لا تقتلوها قتلاً
الا قتلاً ملتبساً بالحق ﴿ومن قتل مظلوماً﴾ بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته لغير القاتل فان من عليه
القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيد قول الولي انا امرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهراً ﴿فقد جعلنا لوليه﴾ لمن يلي
امره من الوارث او السلطان عند عدم الوارث ﴿سلطاناً﴾ تسلطاً واستيلاء على القاتل بمؤاخذته بالقصاص او بالدية
حسبما تقتضيه جنايته او حجة غالبة ﴿فلا يسرف﴾ وقرئ لا تسرف ﴿في القتل﴾ اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع
بان يزيد عليه المثلة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل
في مادة الدية وقرئ بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي ﴿انه كان منصوراً﴾ تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره
بان اوجب القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يخرج من دائرة
امر الناصر او للمقتول ظلماً على معنى انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شأنه او للذي يقتله الولي ظلماً و[illegible]

ظاهر وعن مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضمائر في التعليل عائدة الى الولي او المقتول
فالمراد بالاسراف هو اسراف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والآجل لا الاسراف والتجاوز للحد في القتل اي
لا يسرف على نفسه في شأن القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن قربانه لما ذكر
من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضائه ذلك اليه وللتوسل به الى الاشياء بقوله تعالى الا بالتي هي احسن اي الا بالخصلة والطريقة
التي هي احسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء
لا للوجه المذكور فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به
هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي كايفاء الكيل والوزن ان
العهد اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشأنه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود كان مسؤلا
اي مسؤلا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي
بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اي اتموه ولا تخسروه اذا كلتم اي وقت كيلكم للغير
وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا
على الناس يستوفون لانه وزنوا بالقسطاس هو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا كان او كبيرا وهو رومي معرب ولا يقدح ذلك
في عربية القرآن لانتظام المعرب في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف المستقيم اي العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته
عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة
كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه ايضا في قوله تعالى
اوفوا المكيال والميزان بالقسط ذلك اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي خير في الدنيا اذ هو امانة توجب
الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس واحسن تأويلا عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف
ولا تتبع من قفا اثره اي تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة في جمع القائف ما ليس لك به علم
اي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده وقد احتج به من منع اتباع
الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما
لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه
الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج ومنه قول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا
ان السمع والبصر والفؤاد وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء كل اولئك اي كل واحد
من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان اولاء وان
غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا اي كان كل من تلك الاعضاء مسؤلا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى
كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤلا وقيل الجار

والمجرور

والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسؤلا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدأ وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم
مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف
على شريطة التفسير ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوما تشهد ويجوز ان يكون مسؤلا مسندا الى المصدر المدلول عليه
بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسأل ابن جني ابا علي عن قولهم فيك يرغب وقال لا
يرتفع بما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغبة بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء
والمنع ويجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسؤلا او مسؤلا صاحبه ولا تمش في
الارض التقييد بذلك للتذكير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح مرحا تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر
وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل المرح وقرئ بالكسر انك لن تخرق الارض تعليل للنهي وفيه تهكم
بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اي لن تخرق الارض بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء
ولن تبلغ الجبال التي هي بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكن لك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة
وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع رأسه ومشيه على صدور قدميه كل ذلك اشارة الى ما علم في تضاعيف
ذكر الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين كان سيئه الذي نهي عنه وهي اثنتا عشرة خصلة عند ربك مكروها مبغوضا
غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه
وهو تتمة لتعليل الامور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى
كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس مذكورا
جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية
كما في آية الليل وآية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة
او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او مجرى على الموصوف مذكرا اي امرا مكروها او مجرى مجرى الاسماء زال عنه
معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيئاته وقرئ شأنه ذلك اي الذي
تقدم من التكاليف المفصلة مما اوحى اليك ربك اي بعضه او من جنسه من الحكمة التي هي علم الشرائع او معرفة الحق لذاته والعمل
او من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رض ان هذه الآيات الثماني عشرة كانت في الواح موسى عم
اولها لا تجعل مع الله الها آخر وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ومن اما متعلقة باوحى على انها
تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره المحذوف في الصلة اي كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول
باعادة الجار ولا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلعم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على
ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكماء
وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشراك اولا حيث قيل فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته
في العقبى فقيل فتلقى في جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالقاء مبنيا للمفعول

جرى على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجهل له من قبيل خشبة يأخذها آخذ بكفه فيطرحها في التنور أفأصفاكم ربكم بالبنين
واتخذ من الملائكة إناثا خطاب للقائلين بأن الملائكة بنات الله سبحانه والإصفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة للإنكار والفاء للعطف
على مقدر يفسره المذكور أي أفضلكم على جنابه فخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته أخسها وأدناها كما في
قوله سبحانه ألكم الذكر وله الأنثى وقوله تعالى أم له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد النكير
وتأكيده وأشير بذكر الملائكة عليهم السلام وإيراد الإناث مكان البنات إلى كفرة لهم أخرى وهي وصفهم عم بالأنوثة التي هي أخس صفات
الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا إنكم لتقولون بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو إضافة الولد
إليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الإثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه أحد حيث تجعلونه تعالى
من قبيل الأجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون إليه ما تكرهون من
أخس الأولاد وتفضلون عليه أنفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالأنوثة التي هي أخس صفات
الحيوان فيا لها من ضلة ما أقبحها وكفرة ما أشنعها وأفظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا القرآن على وجوه
من التقرير في مواضع منه وإنما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا أي ليتذكروا فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه
والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء الحال أن يعرض عنهم ويحكي للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر
ويجوز أن يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على أساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه
جعله مكانا له أي أوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وقد جوز أن يراد به إبطال إضافتهم إليه تعالى البنات وأنت
تعلم أن إبطالها من آثار القرآن ونتائجه وما يزيدهم أي والحال أنه ما يزيدهم ذلك التصريف البليغ إلا نفورا عن الحق و
إعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدي إلى معرفة بطلان ما هم عليه من القبائح قل في إظهار بطلان ذلك من جهة أخرى لو كان
معه تعالى آلهة كما يقولون أي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبي صلعم والكاف في محل النصب على أنها نعت
لمصدر محذوف أي كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة إذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء
وجزاء للو أي لطلبوا إلى ذي العرش أي إلى من له الملك والربوبية على الإطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن الملوك
بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل بالتقرب إليه كقوله تعالى أولئك الذين يدعون
يبتغون إلى ربهم الوسيلة والأول هو الأظهر الأنسب لقوله سبحانه فإنه صريح في أن المراد بيان أنه يلزم مما يقولونه محذور
عظيم من حيث لا يحتسبون وأما ابتغاء السبيل إليه بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو
أمر يعتقدونه رأسا أي ينزه بذاته تنزيها حقيقيا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة التي هي أن يكون معه آلهة وأن
يكون له بنات علوا أي تعاليا كقوله والله أنبتكم من الأرض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وإنه سبحانه في أقصى غايات
الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه من أن له تعالى شركاء وأولادا في أبعد مراتب العدم أعني الامتناع لا لأنه في أعلى
مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فإن ما
يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وأن يكون معه آلهة ولا ريب في أن ذلك ليس بداخل في حد الإمكان فضلا

عن دخوله تحت الوجود وكونه من أدنى مراتب الوجود إنما هو بالنسبة إلى من من شأنه ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية
وقرئ سبحت له السموات السبع والأرض ومن فيهن من الملائكة والثقلين على أن المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به
لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وإن من شيء من الأشياء حيوانا كان أو نباتا أو جمادا إلا يسبح ملتبسا
بحمده أي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الأقدس من لوازم الإمكان ولواحق الحدوث إذ ما من موجود إلا وهو بإمكانه
وحدوثه يدل دلالة واضحة على أن له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها المشركون
لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من التفعيل إنه كان حليما ولذلك لم
يعاجلكم بالعقوبة مع ما أنتم عليه من موجباتها من الإعراض عن التدبر في الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في
الكفر والإشراك غفورا لمن تاب منكم وإذا قرأت القرآن الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم إلى العمل بما فيه من التوحيد ورفض
الشرك وغير ذلك من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة أوثر
الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وإنما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة
على أنها معظم ما أمروا بالإيمان به في القرآن وتمهيدا لما سينقل عنهم من إنكار البعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من أن
يدركوك على ما أنت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترأوا على تفوه العظيمة التي هي قولهم إن تتبعون إلا رجلا مسحورا
وحمل الحجاب على ما روي عن أسماء بنت أبي بكر رض من أنه لما نزلت سورة تبت أقبلت العوراء أم جميل امرأة أبي لهب وفي يدها
فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه أبو بكر رض فلما رآها قال يا رسول الله لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك
فقال عم إنها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على أبي بكر رض ولم تر رسول الله صلعم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم
الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم أو مستورا عن الحس بمعنى غير حسي أو مستورا في نفسه بحجاب آخر أو مستورا كونه
حجابا حيث لا يدرون أنهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم أكنة أغطية كثيرة جمع كنان أن يفقهوه مفعول لأجله أي
كراهة أن يفقهوه أو مفعول لما دل عليه الكلام أي منعناهم أن يقفوا على كنهه ويعرفوا أنه من عند الله تع وفي آذانهم وقرا
صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشئون النبي صلعم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن
الكريم ومج أسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال إثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان الحال وإيذانا بأن هذا التسبيح
من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه إلا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على أن حالهم هذا أقبح من حالهم السابق وحكاية
لما قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كشفا لا قصد به لما هو الإخبار عما
اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلعم جهلا وكفرا من اتصافهما بأوصاف مانعة من التصديق والإيمان ككون القرآن سحرا وشعرا
وأساطير وقس عليه حال النبي صلعم لا الإخبار بأن هناك أمرا وراء ما أدركوه قد حال بينهم وبين إدراكه حائل من قبلهم
ولا ريب في أن ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر
وقع موقع الحال أصله يحد وحده ولوا على أدبارهم أي هربوا ونفروا نفورا أو ولوا نافرين نحن أعلم بما يستمعون به
ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن يروى أنه كان يقوم عن يمينه عم رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان

فيستهزئون ويسخرون ويخلطون عليه بالاستهزاء اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع
الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لا ان العلم يستفاد هناك من احد وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع
بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون
فيما بينهم او الاول ظرف ليستمعون وكذا يتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجي
وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اي ذوو النجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل اي متناجون اذ يقول الظالمون
بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم في ذلك ظالمون
مجاوزون للحد اي يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم ان تتبعون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما تتبعون باللغو
والهزء الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة يتنفس اي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال اي مثلوك
بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا اي في جميع ذلك عن منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون
ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه احد او الى سبيل الهدى والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلعم ما لا يخفى وقالوا
ائذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي
ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال
الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون
لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث ونعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس
لتخصيصه به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافية
له وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر
النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم
تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل حال كونهم عظاما
ورفاتا كما يترائى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة
على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق
قل جوابا لهم وتقريعا لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي يعظم عندكم عن قبول الحيوة
لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة
من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم
القادر العظيم الذي فطركم اخترعكم اول مرة من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحيوة اليس
الذي يقدر على ذلك بقادر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فسينغضون اليك
رؤسهم اي يحركونها نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اي ما ذكرته من الاعادة قل لهم عسى ان يكون
ذلك قريبا نصب على انه خبر ليكون والظرف على ان كان تامة اي ان يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها اما النصب على

انه

انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث يقع في زمان قريب
او الرفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي كونه قريبا او وقوعه في زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اي اذكر
او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او بيكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظروف او بضمير المصدر
المستكن في عسى او يكون اعني البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير وما الحرب الا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير
لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة التأتي وبان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال من ضمير تستجيبون
اي منقادين له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها
وتظنون عطف على تستجيبون اي تظنون عند ما ترون من الامور الهائلة ان لبثتم اي ما لبثتم في القبور
الا قليلا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي اي المؤمنين يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي
اي الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم اي
يهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والمشاررة والمعارة والمضارة فلعل ذلك يؤدي الى تأكد
العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاي ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر
العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشأ يعذبكم
بالاماتة على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل
النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان وما ارسلناك عليهم وكيلا
موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة
والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين بالمؤمنين فشكوا
الى رسول الله صلعم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان تقولوا يهديكم الله ويرحمكم الله وربك اعلم بمن في السموات والارض وتفاصيل
احوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه وهو
رد عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من الاكابر والصناديد
وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرؤ عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال
والاتباع وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عليه السلام فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان
بتفضيل النبي صلعم فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وان المراد بعبادي الصالحين في قوله تعالى
ان الارض يرثها عبادي الصالحون هو النبي صلعم وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه في الاصل فعول بمعنى
المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول واما لان المراد آتينا داود زبورا من الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره صلعم وقرئ
بضم الزاي على انه جمع زبر بمعنى مزبور قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه تعالى من الملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون

فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا اي ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون
اي اولئك الالهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لانفسهم الى ربهم ومالك امورهم الوسيلة
القربة بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه
او ضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه
بتركها كدأب سائر العباد فاين هم من كشف الضر فضلا عن الالهية ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد
من الملائكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين
العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من الملائكة
والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة اي ما من قرية من قرى الكفار الا نحن
مهلكوها اي مخربوها البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل
وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس في غيره من الدلالة على التحقق والتقرر وانما قيل قبل يوم القيمة لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى
الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اي معذبو اهلها على الاسناد المجازي عذابا شديدا
لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الاخروية ايضا حسبما ينبئ عنه اطلاق
التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة
كان ذلك الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب في الكتاب اي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء الا بين فيه
بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت
في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال
بالصواعق والرواجف واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمرو الداني في كتاب الفتن انه
روي عن وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى تخرب
الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم وخراب
الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق
من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل
العراق وخراب الابلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت
من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابي هريرة
ان النبي صلعم قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه العمري من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده
السباق ولا السياق وما منعنا ان نرسل بالآيات اي الآيات التي اقترحتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو
ذلك الا ان كذب بها الاولون استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما منعنا ارسالها شيء من الاشياء الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم
حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارسالها كما هو ان كان بمشيئته المبنية على الحكم البالغة لا المنع بانع عن ذلك من التكذيب او غيره

لاستحالة

لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستئصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك
في العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافيا لارسال ما اقترحوه من الآيات
لتعين التكذيب المستدعي للاستئصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبات هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوقع
من ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته
لتأييده عليه السلام بالمعجزات وهو السر في ايثار الارسال على الايتاء لما فيه من الاشعار بتداعي الآيات الى النزول لولا ان تمسكها يد التقدير
واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا
وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان بان مدار عدم الاجابة الى ايتاء مقترحهم ليس الا صنيعهم وآتينا
ثمود الناقة عطف على ما ينبئ عنه النظم الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما
اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا من اقترحها ثمود الناقة مبصرة على صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار او بصائر
يدركها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها مجازا او جاعلتهم ذوي بصائر من ابصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح
الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرئ بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف فظلموا بها فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد
الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر او ظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب
مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا او لانها من جهة انها حيوان اخرج
من الحجر اوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا لمن ارسلت
عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة من الاعراب او تحمل الكون
حالا من ضمير ظلموا اي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال انا ما نرسل بالآيات التي هي من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي
يعقبها فنزل بهم ما نزل واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي علما كما نقله الامام الثعلبي عن ابن عباس فلا يخفى عليه شيء
من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس الى آخر الآية تنبيه على تحققها
بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة للعادات منزلة من جنابه سبحانه لتصديق
النبي صلعم فتكذيبهم لبعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما ان تكذيب الآخرين لغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد
بالرؤيا ما عاينه صلعم ليلة المعراج من عجائب الارض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه
لا فرق بينها وبين الرؤية او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناك عيانا
مع كونها آية عظيمة واية آية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم
والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا والمراد بلعنها لعن طاعميها على الاسناد المجازي او ابعادها عن الرحمة
فانها تنبت في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة اي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم
تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع
الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندر تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا

وقرئ بالرفع على حذف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بذلك وبنظائره من الآيات فإن الكل
للتخويف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا متجاوزا عن الحد
فلو أنا أرسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل بأشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة
لهذه الأمة إلى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل أكثر المفسرين الإحاطة على الإحاطة بالقدرة تسلية لرسول
الله صلعم عما عسى يعتريه من عدم الإجابة إلى إنزال الآيات التي اقترحوها لأن إنزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة
حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لأتيت بهذه المعجزات كما أتى بها موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
فكأنه قيل اذكر وقت قولنا لك إن ربك اللطيف بك قد أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته
فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما أمرتك به من تبليغ الرسالة ألا ترى أن الرؤيا التي أريناك من قبل جعلناها فتنة
للناس مورثة للشبهة مع أنها ما أورثت ضعفا لأمرك وفتورا في حالك وقد فسر الإحاطة بإهلاك قريش يوم بدر
وإنما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون إلى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في أخباره وأولت الرؤيا بما عسى رآه عم في المنام من مصارعهم
لما روي أنه عم لما ورد ماء بدر قال والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم وهو يومئ إلى الأرض ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع
فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا منه وبما رآه عم أنه سيدخل مكة وأخبر به أصحابه فتوجه إليها فصده المشركون
عام الحديبية واعتذر عن كونه ذكر مدنيا بأنه يجوز أن يكون الوحي بإهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع
واقعين بعد الهجرة ورد بأنه يلزم منه أن يكون افتتان الناس بكذا واقعا بعد الهجرة وأن يكون ازدياد طغيانهم
متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد فسر الرؤيا بما رآه عم في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى إذ يريكهم الله في منامك قليلا
ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في أن تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس وإذ قلنا للملائكة
تذكير لما جرى منه من الأمر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى أولئك الذين
يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ويعلم من حال
الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في التحقق وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال إبليس حال
من يعاند الحق ويخالف الأمر أي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك
فسجدوا له من غير تلعثم امتثالا بالأمر وأداء لحقه عم إلا إبليس وكان داخلا في زمرتهم ومندرجا تحت الأمر بالسجود قال
أي عندما وبخ بقوله تعالى يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين وقوله تعالى ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك وقوله تعالى ما منعك
أن تسجد لما خلقت بيدي كما أشير إليه في سورة الحجر أأسجد وأنا مخلوق من العنصر العالي لمن خلقت طينا نصب على نزع الخافض
أي من طين أو حال من الراجع إلى الموصول أي خلقته وهو طين أو من نفس الموصول أي أسجد له وأصله طين والتعبير عنه
بالموصول لتعليل إنكاره بما في حيز الصلة قال أي إبليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الإنظار المترتب على استنظاره المتفرع
على الأمر بخروجه من بين الملأ الأعلى باللعن المؤبد وإنما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع أخر فإن توسيط قال بين

كلامي

كلامي اللعين للإيذان بعدم اتصال الثاني بالأول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى قال
ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل لها من الإعراب وهذا
مفعول أول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه أي أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأن أمرتني بالسجود له
لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار أي أخبرني
أهذا من كرمته علي وقيل معنى أرأيتك أتأملت كأن المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه لئن أخرتني حيا إلى يوم
القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله لأحتنكن ذريته أي لأستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الأرض إذا
جرد ما عليها أكلا أو لأقودنهم حيث شئت ولأستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها إذا جعلت
في حنكها الأسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين وإنما علم تأتي ذلك إما تلقيا من
جهة الملائكة عم أو استنباطا من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو توسما من خلقه إلا قليلا منهم وهم المخلصون
الذين عصمهم الله تعالى قال اذهب أي امض لشأنك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم
فإن جهنم جزاؤكم أي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا أي جزاء مكملا من قولهم
فر لصاحبك عرضه فرة أي وفر وهو نصب على أنه مصدر مؤكد لما في قوله تعالى فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو لفعل
مقدر أو حال موطئة لقوله تعالى موفورا واستفزز أي استخف من استطعت منهم أن تستفزه بصوتك بدعائك إلى الفساد
وأجلب عليهم أي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك أي بأعوانك وأنصارك من راكب وراجل من أهل العيث
والفساد وقال ابن عباس رضي ومجاهد وقتادة إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من
خيل إبليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل إبليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلعم يا خيل الله اركبي والرجل
اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على أنه فعل بمعنى فاعل كتعب وتاعب وبضمها مثل حدث
وحدث وندس وندس ونظائرهما أي جمعك الراجل وقرئ ورجالك ورجالك وتجوز أن يكون استفزازه
بصوته وإجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكأنه مغوار وقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من أماكنهم ويقلقهم
عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وشاركهم في الأموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام
والتصرف فيها على ما لا ينبغي والأولاد بالحث على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة والإشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل
بالحمل على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على
كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الأمل وما يعدهم الشيطان إلا غرورا اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات إلى
الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الإشعار بعلية شيطنته للغرور
وهو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب إن عبادي الإضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه أن من تبعه ليس منهم وأن
الإضافة لثبوت الحكم في قوله تعالى ليس لك عليهم سلطان أي تسلط وقدرة على إغوائهم كقوله تعالى إنه ليس له سلطان على
الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن إغوائك والتعرض لوصف

الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم
ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لمنافعكم الفلك
ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهذا
تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية انه كان
بكم ازلا وابدا رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء
لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة الى جليلة وحقيرة واذا
مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون اي ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة او المسيح
او عزير الا اياه وحده من غير ان يخطر ببالكم احد منهم وتدعوه لكشفه استقلالا او اشتراكا او ضل كل من تدعونه عن
اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن
التوحيد واتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل لما سبق من الاعراض افأمنتم الهمزة للانكار والفاء
للعطف على محذوف تقديره انجوتم فأمنتم ان يخسف بكم جانب البر الذي هو مأمنكم اي يقلبه ملتبسا بكم او بسببكم
وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل
عليكم من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا ريحا ترمي الحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه
لا راد لامره الغالب ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر اوثرت كلمة في على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم
فيه تارة اخرى واسناد الاعادة اليه تعالى مع ان العود باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء
الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم وانتم في البحر وقرئ
بالنون قاصفا من الريح وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها
تتقصف اي تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح
بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي ثائرا يطالبنا بما فعلنا ودركا للثأر
من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني آدم قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة
والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة
ومن جملته ما ذكره ابن عباس من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة
القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده وحملناهم
في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما
حيث لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء وانت خبير بان الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم
من الطيبات اي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والادراكات
بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم من عدا الملائكة عليهم السلام

تفضيلا

تفضيلا عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه
من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملأ الاعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثنى جنس
الملائكة من التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان المراد بيان
التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة
القربة عند الله سبحانه ان قيل اي حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين حتى يستثنى الملائكة من تفضيل جميع
افراد البشر عليهم ليستتم استثناء من تفضيل بعض افراده عليهم قلت لا بد من تعيينه البتة وليس من الافراد الفاجرة احد
يفضل على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا بل هم ادنى من كل دني حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل
سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا يوم ندعو نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى
ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعو بقلب الالف واوا على لغة من يقول افعو في افعى وقد جوز كون
الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميرا وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة
الرفع وهو يكتفى بتقديره كما في يدعى كل اناس من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في
بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب
او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا او اهل كتاب كذا وقيل الامام
جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسنين رضي الله عنهما والستر على اولاد الزنا فمن اوتي من اولئك
المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه ابانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه
فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شأن جليل او اشعارا بان قراءتهم لكتبهم تكون على وجه
الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الايتاء وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم اي اولئك المختصون بتلك
الكرامة التي يشعر بها الايتاء المذكور يقرأون كتابهم الذي اوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون
الكرامات ولا يظلمون اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة فتيلا اي قدر فتيل وهو القشرة
التي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين في هذه الدنيا
التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل اعمى فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اوليناه
من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعناه من العقول والقوى فيما خلقت له
من العلوم والمعارف الحقة فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم ندعو اعمى كذلك اي لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما
يجديه لان العمى الاول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك
قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما واضل سبيلا اي من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه
هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه
حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان

من المكذبين الضالين بعد قوله فاما ان كان من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين
المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلعم لا ندخل
في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو
موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله
امرني بذلك وقيل في قريش حيث قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر
حتى تلم بآلهتنا فان مخففة من المشددة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية اي ان
الشأن قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد
لتفتري علينا غيره لتتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحته ثقيف او قريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا
اي لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا من الركون الذي هو ادنى ميل اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل
اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا
عن نفس الركون وهذا صريح في انه عم ما هم باجابتهم مع قوة الدواعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وعنايته
اذا لاذقناك لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف
ما يعذب في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات
يعني مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب
وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك العذاب وان كادوا
الكلام فيه كما في الاول اي كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض اي الارض التي انت
فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب باعمال اذن على ان
الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك خلافك اي بعدك قال خلت الديار خلافهم فكأنما
بسط الشواطب بينهن حصيرا اي لو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان
كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عم وقيل نزلت الآية في اليهود حسدوا مقام النبي صلعم بالمدينة فقالوا الشام
مقام الانبياء عليهم السلم فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عم فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل
منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة
وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم على ما
ينطق به قوله عز وجل ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها كما ينبئ عنه قوله عم اتاني
جبريل عم لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينيه وقيل لغروبها

من

من دلكت الشمس اي غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتأقيت مثلها في قولك لثلث خلون
الى غسق الليل الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلوة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة
في وقتها الذي عين لها ببيان جبريل عم كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى بيانه عم ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهى
في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لما ان الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت
العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد
بالصلوة صلوة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدأ وقتها ومنتهاه واستدل به على امتداد وقتها الى غروب الشفق وقوله وقرآن
الفجر اي صلوة الفجر نصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء قاله الزجاج وانما سميت قرآنا لانه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا
واستدل به على الركنية وليس له دلالة على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر
لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة الفجر
ان قرآن الفجر الظاهر في مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام به كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة
من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية
على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر ومن الليل قيل هو منصوب على الاغراء
اي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغري به حرفا ولا يجدي نفعا كون معناها التبعيض فان من واو مع ليست اسما بالاجماع وان كانت
بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية اي قم بعض الليل فتهجد به اي ازل واترك الهجود اي النوم فان صيغة التفعل تجيء
للازالة كالتحرج والتحنث والتأثم ونظائرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم
من قوله ومن الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في وقيل منصوب بتهجد اي تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة
واياي فارهبون نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه في تأخير
ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها او تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة
له صلعم في الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فانه عم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته
بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير
تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبادة زائدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القرآن اي
حال كونها صلوة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اي فصل في ذلك البعض
نافلة لك عسى ان يبعثك ربك الذي يبلغك الى كمالك اللائق بك من بعد الموت الاكبر كما انبعثك من النوم الذي هو
الموت الاصغر بالصلوة والعبادة مقاما نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة ولا مانع
من ان يكون العامل مثل هذا الظرف فلا كفه معنى الاقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اي يبعثك ذا مقام
محمودا عندك وعند جميع الخلق وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى ابو هريرة رضه ان رسول الله صلعم قال المقام المحمود
هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن ابن عباس رضه مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق

تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول
مدعو محمد صلعم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى
منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقل رب ادخلني اي القبر مدخل صدق اي ادخالا مرضيا
واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اي اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة فهو تلقين للدعاء بما وعده من البعث المقرون بالاقامة
المعهودة الى الكرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصود وقيل
ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله
من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح
على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا كقوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف
اي لم يدع فلم يبق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر
فاجيبت دعوته بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في
الارض وقل جاء الحق اي الاسلام والوحي الثابت الراسخ وزهق الباطل اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان
من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كانه ما كان كان زهوقا اي شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة
باجابة الدعاء بالسلطان النصير الذي تقدم عن ابن مسعود انه عم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما
فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد واحد ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن وقرئ وننزل من القرآن ما هو شفاء
لما في الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام ورحمة للمؤمنين به العاملين بما فيه اي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح
نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فان كل القرآن كذلك وعن النبي صلعم من لم يستشف بالقرآن
فلا شفاه الله او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه في كل نوبة ما تستدعي الحكمة نزوله حينئذ فيتبع
ذلك ممن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء الشافي المصادف لابانه من المرضى المحتاجين
اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تاخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتخصيص البعض باعتبار الشفاء
الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي لا يزيد القرآن كله او كل بعض منه
الكافرين المكذبين الواضعين للاشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا اي هلاكا لكفرهم وتكذيبهم
لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادي الاسلام
فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا
وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من
الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القرآن مع انهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار
كونه سببا لذلك وفيه تعجيب من امره من حيث يكون مدارا للشفاء والهلاك واذا انعمنا على الانسان بالصحة والنعمة اعرض

عن ذكرنا فضلا عن القيام بمواجب الشكر ونأى تباعد عن طاعتنا بجانبه اي لوى عن الشيء عطفه
وولاه ظهره فهو تاكيد للاعراض او عبارة عن الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة
من النوازل وفي اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك كان
يؤسا شديد الياس من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى واذا
مسه الشر فذو دعاء عريض ونظائره فان ذلك شان بعض آخر منهم وقيل المراد به الوليد بن المغيرة وقرئ وناء على القلب
كما يقال راء في رأى او على انه بمعنى نهض قل كل اي كل احد منكم وممن هو على خلافكم يعمل على شاكلته على طريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم الذي برأكم على هذه الطبائع
المتخالفة اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك
عن الروح الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدأ حياته روي ان اليهود قالوا
لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جميعا فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت
عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة قل الروح اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال
الاعتناء بشانه من امر ربي كلمة من بيانية والامر بمعنى الشان والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل
فيه وفيهما من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اي هو من جنس ما استاثر الله تعالى
بعلمه من الاسرار الخفية التي لا تكاد تحوم حولها عقول البشر وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي
انه صلعم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب قال عم بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الآية وانما قالوا ذلك لسوء فهمهم
فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته
سبحانه قليل ينال به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان او هو من الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكويني من غير تحليل
من مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه وما له انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس فيه من قبيل
قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر
او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت ما
استثني بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية
انما هو من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة
عليها معرفة ذاته واما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه اي كائن بتكوينه حادث باحداثه
بالامر التكويني فمع عدم ملاءمته لحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قلة علمهم فان ما سالوا عنه مما يفي به علمهم حينئذ
وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه
وكلامه لا من كلام البشر ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم

اتى او تيقنوا ما وثبتناك عليه حين كادوا ليفتنونك عنه ولولا ، لكدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشأنه
ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبأنه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن
جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد من الذهاب به المحو عن المصاحف والصدور وهو ابلغ
من الاذهاب عن ابن مسعود رضه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم
وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه
ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب ثم لا تجد
لك به اي القرآن علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا ومحفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك لعلها
تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه
بعد المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا تقدر قدره الجليل وتفرط في القيام بشكره
وهو اجل النعم واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا كارساله اليك وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك
قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شأنه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر لئن اجتمعت الانس
والجن اي اتفقوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم
وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله هو منهما لا من غيرهما لا ان غيرهما قادر على المعارضة
لا يأتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان
المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان
وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط
ماضيا كما في قول زهير وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان
بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يتألبوا
على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان
بمثله وهو عطف على مقدر اي لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا
مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلأن ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه
النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التأكيد كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا يأتون بمثله
على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل
بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريرا لما قبلها من قوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا لما قيل من
ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه ونفي الشيء انما يقرر نفي ما دونه لا نفي ما فوقه فان صعوبة الاسترداد بغير امره
من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة الى النبي صلعم بل الى المكابرين من قبله عم ولقد صرفنا كررنا
ورددنا على انحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمئنان للناس في هذا القرآن المنعوت بما ذكر

من النعوت الفاضلة من كل مثل من كل معنى بديع هو في حسن الغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر
الناس اوثر الاظهار على الاضمار تأكيدا وتوضيحا الا كفورا اي الا جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لم يصح
ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي كانه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم
لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء وقالوا
عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده ولا يقتضي
الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا
عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة اي بستان تستر اشجاره ما تحتها من
العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار اي تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة
اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا جمع كسفة كقطعة لفظا ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة
وسدر وهي حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك
قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء او تأتي بالله والملائكة قبيلا اي مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا تشهد بصحة ما ادعيته وهو
حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها اي والملائكة قبلاء كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب
او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء اي في
معارجها فحذف المضاف يقال رقى في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق
رقيك فيها حتى تنزل منها علينا كتابا فيه تصديقك نقرؤه نحن من غير ان نتلقى من قبلك عن ابن عباس رضه قال عبد
الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها وتأتي معك بصك منشور معه
اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا
اضعاف ما اقترحوا من الآيات ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال
قل تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن
منها او عن طلبك ذلك وتنبيها على بطلان ما قالوه سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي هل كنت الا بشرا لا ملكا حتى
يتصور مني الرقي في السماء ونحوه رسولا مأمورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي خيرة في الامر كسائر الرسل
وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله على ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله
في شيء منها وقوله بشرا خبر كنت ورسولا صفته وما منع الناس اي الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان
لمنع وقوله تعالى اذ جاءهم الهدى اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية
للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك او ما منعهم ان يؤمنوا ذلك وقت مجيء ما ذكر الا ان قالوا في محل الرفع على انه فاعل
منع اي الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول الله من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن
بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه

بمجرد قول يتفوهون به بأفواههم من غير أن يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من الإيمان فيما ذكر مع أن موانع شتى
لما أنه معظمها أو لأنه هو المانع بحسب الحال أعني عند سماع الجواب إذ لم يبق لهم بعد قوله هل كنت إلا بشرا رسولا إذ هو الذي يتشبثون
به حسبما من غير أن يخطر ببالهم شبهة أخرى من شبههم الواهية وفيه إيذان بكمال عنادهم حيث يشير إلى أن الجواب المذكور مع كونه
حاسما لمواد شبههم ملجئا إلى الإيمان فيعكسون الأمر ويجعلونه مانعا منه قل لهم أولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق
المزيح للريب لو كان أي لو وجد واستقر في الأرض بدل البشر ملائكة يمشون مطمئنين قارين فيها من غير أن يعرجوا في السماء
ويعلموا ما يجب أن يعلم لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يهديهم إلى الحق ويرشدهم إلى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه وأما
عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك إليهم مزاحم للحكمة التي عليها
مبنى التكوين والتشريع وإنما يبعث الملك من بينهم إلى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا
العالمين الروحاني والجسماني ليستفيضوا من جانب ويفيضوا إلى جانب وقوله ملكا يحتمل أن يكون حالا من رسولا وأن يكون موصوفا به
وكذلك بشرا في قوله أبعث الله بشرا رسولا والأول أوفى قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت
وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا إليه رأسا كفى بالله وحده شهيدا على أني أديت ما علي من مواجب الرسالة
أكمل أداء وأنكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوحيد الشهادة أي كونه عزم رسولا بإظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختير
لا يساعده قوله تعالى بيني وبينكم وما بعده من التعليل وإنما لم يقل بيننا تحقيقا للمفارقة وإبانة للمباينة وشهيدا إما حال أو تمييز
إنه كان بعباده من الرسل والمرسل إليهم خبيرا بصيرا محيطا بظواهر أحوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية
وفيه تسلية لرسول الله صلعم وتهديد للكفار ومن يهد الله كلام مبتدأ منفصل ما أشار إليه الكلام السابق من مجازاة
العباد إشارة إجمالية أي من يهده الله إلى الحق بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتدي إليه وإلى ما يؤدي إليه من الثواب
أو المهتدي إلى كل مطلوب ومن يضلل أي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم أو [illegible]
اعتبار المعنى من غيبة أو نشر في مقابلة الأفراد نظرا إلى لفظها ملوحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال
وكثرة الضلال أولياء من دونه من دون الله تعالى أي أنصارا يهدونهم إلى طريق الحق أو إلى طريق يوصلهم إلى مطالبهم الدنيوية
والأخروية أو إلى طريق النجاة من العذاب الذي يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لأحد منهم وليا على ما تقتضيه قضية مقابلة
الجمع بالجمع من انقسام الآحاد إلى الآحاد ونحشرهم التفات من الغيبة إلى التكلم إيذانا بكمال الاعتناء بأمر الحشر يوم
القيامة على وجوههم حال من الضمير المنصوب أي كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم أو مشيا فقد
روي أنه قيل لرسول الله صلعم كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم
عميا حال من الضمير المجرور في الحال السابقة وبكما وصما لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز أن يحشروا بعد
الحساب من الموقف إلى النار مؤفي القوى والحواس وأن يحشروا كذلك ثم تعاد إليهم قواهم وحواسهم فإن إدراكاتهم
هذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه مأواهم جهنم إما حال أو استئناف وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا

اى كلما

أي كلما سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما تتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقدا بأن بدلناهم جلودا غيرها
فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على إنكارهم الإعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد أخرى ليروها عيانا
حيث لم يعلموها برهانا كما ينبئ عنه قوله تعالى ذلك أي ذلك العذاب جزاؤهم بأنهم أي بسبب أنهم كفروا بآياتنا العقلية والنقلية
الدالة على صحة الإعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز أن يكون مبتدأ ثانيا وبأنهم خبره والجملة خبر لذلك وأن
يكون جزاؤهم بدلا من ذلك أو بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين أشد الإنكار أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون
خلقا جديدا إما مصدر مؤكد من غير لفظه أي لمبعوثون بعثا جديدا وإما حال أي مخلوقين مستأنفين أولم يروا أي ألم
يتفكروا ولم يعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض من غير مادة مع عظمها قادر على أن يخلق مثلهم في الصغر على أن المثل
مقحم والمراد بالخلق الإعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم أجلا لا ريب فيه عطف على أولم يروا فإنه
في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس وجعل لهم ولبعثهم أجلا
محققا لا ريب فيه وهو القيامة فأبى الظالمون وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة إلا كفورا أي جحودا
قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه التي أفاضها على كافة الموجودات وأنتم مرتفع بفعل يفسره المذكور
كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص إذا لأمسكتم لبخلتم خشية الإنفاق
مخافة النفاد بالإنفاق إذ ليس في الدنيا أحد إلا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فإنما يؤثره لعوض يتوقعه فإذن
هو بخيل بالإضافة إلى جود الله سبحانه وكان الإنسان قتورا مبالغا في البخل لأن مبنى أمره على الحاجة والضنة بما يحتاج إليه
وملاحظة العوض بما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله
وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر
ونتق الطور على بني إسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلث الأخير وتأباه أن بين الثلث لم تكن نزلت إذ ذاك وأن الأولين
لا تعلق لهما بفرعون وإنما أوتيهما بنو إسرائيل وعن صفوان بن عسال أن يهوديا سأل النبي صلعم عنها فقال أن لا تشركوا به شيئا
ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان
ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله
ولا يساعده أيضا ما ذكر ولعل جوابه عن مثل ذلك لأنه المهم للسائل وقبوله لما أنه كان في التورية مسطورا وقد علم أنه علمه
رسول الله صلعم إلا من جهة الوحي فاسأل بني إسرائيل وقرئ فسل أي فقلنا له سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني
إسرائيل أو سلهم عن إيمانهم أو عن حال دينهم أو سألهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم معك وقرئ فسأل رسول الله صلعم على صيغة الماضي وقيل الخطاب
للنبي صلعم أي فاسألهم عن ذلك لا لتزداد يقينا وطمأنينة أو ليظهر صدقك إذ جاءهم متعلق بقلنا أو سأل على التقديرين
وبآتينا أو بمضمر هو يخبروك أو اذكر على تقدير كون الخطاب للرسول صلعم فقال له فرعون الفاء فصيحة أي فأظهر عند فرعون
ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما أرسل به فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال
لقد علمت ما أنزل هؤلاء يعني الآيات التي أظهرها إلا رب السموات والأرض خالقها ومدبرها والتعرض لربوبيته لهما

لا مزان بانه لا يقدر على ايتاء مثل هاتيك الآيات العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الآيات اى بينات مكشوفات
تبصرك صدقى ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومن ضرورة ذلك العلم بانه عم على كمال رصانة
العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة التكلم اى لقد علمت يقينا انه عم ما هو ساحر ان هذه الآيات الباهرة انزلها الله عز سلطانه
فكيف يتوهم ان يحوم حولى سحر وانى لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا
اى ما صرفك او هالكا ولقد قارع عم ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عم يتاخم اليقين
فاراد اى فرعون ان يستفزهم اى يستخفهم وينزعجهم من الارض ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده
من بعد اغراقهم لبنى اسرائيل اسكنوا الارض التى اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة الآخرة او الحيوة
الآخرة او الساعة او الدار الآخرة اى قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم
من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضى
لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا محفوظا من تخليط
الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا وقرآنا
منصوب بمضمر يفسره قوله فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه لتقرأه على الناس على مكث على مهل
وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويتبع
من الحوادث والوقائع قل للذين كفروا آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه
نقصانا ان الذين اوتوا العلم من قبله اى العلماء الذين قرءوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحى وامارات
النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل او رأوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اى القرآن
عليهم يخرون للاذقان اى يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما وعد به فى تلك الكتب من
بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها
كما فى قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما ينبئ عنه قوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اى ان
لم تؤمنوا به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلعم كانه قيل تسل
بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون فى سجودهم سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب
او عن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من المثقلة واللام فارقة اى ان الشان ويخرون للاذقان يبكون
كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم امر الله تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ
القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى ويزيدهم اى القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا
الله او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلعم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة آلهتين وهو
يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى فى التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين

بانهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما
فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى
الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتسوية ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما فى اى من الابهام
والضمير فى له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة
على ما هو الدليل عليه وحسن جميع اسمائه يستدعى حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال
والجمال والاكرام ولا تجهر بصلوتك اى بقراءة صلوتك بحيث تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت
بها اى بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك اى بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا
امرا وسطا قصدا فان خير الامور اوساطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون
ويوصلهم الى المطلوب روى ان ابا بكر رضه كان يخفت ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رضه كان يجهر بها ويقول
اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلعم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر رضه ان يخفض قليلا وقيل
المعنى لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلوتك بدعائك
وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى
وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك فى الملك
اى الالوهية كما تقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة ولم يكن له ولى من الذل ناصر ومانع منه لاعتزازه به او لم يوال احدا
من اجل مذلة به ليدفعها به وفى التعرض فى اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من له هذه النعوت دون غيره
اذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يترتب عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمه او منعم عليه
ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى العبادة والتحميد ينبغى
ان يعترف بالقصور فى ذلك روى انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه عليه السلام
هذه الآية وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان
له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية الحمد لله سبحانه وله الكبرياء والعظمة والجبروت

سورة الكهف

الحمد لله الذى انزل على عبده محمد صلعم الكتاب اى الكتاب الكامل الغنى عن الوصف
بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع المنزل حينئذ كما هو
المراد فى وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما فى حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك
سعادة الدارين وفى التعبير عن الرسول صلعم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عم الى اعلى معارج العبادة وتشريف
له اى تشريف واشعار بان شأن الرسول ان يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى فى حق عيسى عم وتاخير المفعول الصريح
عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله ولم يجعل له عوجا اى شيئا من العوج بنوع اختلال فى النظم وتناف

في المعنى أو انحراف عن الدعوة إلى الحق وهو في المعاني كالعوج في الأعيان وأما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا مع كون
الجبال من الأعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل إنما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية
ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عُدّ من قبيل ما في المعاني وقيل الفتح في اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر في
اعوجاج غيره عينا كان أو معنى قيما بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الإنذار والتبشير فيكون
وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها أو متناهيا في الاستقامة
فيكون تأكيدا لما دل عليه نفي العوج مع إفادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة لا أنه نفي عنه العوج
مع كونه من شأنه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما وأما
على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب إذ لا فصل بين أبعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قِيَما لينذر متعلق بأنزل
والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه وإيثار الإطلاق عن ذكر المفعول الأول للإيذان بأن ما سيق له الكلام هو
المفعول الثاني وأن الأول ظاهر لا حاجة إلى ذكره أي أنزل الكتاب لينذر به الذين كفروا به بأسا أي عذابا شديدا
من لدنه أي صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدْنِه بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون
لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتباع ويبشر بالتشديد وقرئ بالتخفيف المؤمنين أي المصدقين الذين يعملون
الصالحات الأعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وإيثار صيغة الاستقبال في الصلة للإشعار بتجدد الأعمال الصالحة
واستمرارها وإجراء الموصول على موصوفه المذكور لما أن مدار قبول الأعمال هو الإيمان أن لهم أي بأن لهم بمقابلة إيمانهم
وأعمالهم المذكورة أجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين حال من الضمير المجرور في لهم فيه أي في
الأجر أبدا من غير انتهاء أي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الإنذار على التبشير لإظهار كمال العناية
بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الإنذار بقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الإنذار السابق من مستحقي البأس الشديد للإيذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم
وضلالهم أي وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون
الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك إجراء الموصول
على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للإيذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على أقبح الوجوه وإيثار صيغة الماضي
في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وحمل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه
الطائفة يؤدي إلى خروج سائر أصناف الكفرة عن الإنذار والوعيد وتعميم الإنذار هناك للمؤمنين أيضا بحمله على معنى مجرد
الإخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا يفضي إلى
خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز أن يكون الفاعل في الأفعال الثلاثة ضمير
الكتاب أو ضمير الرسول عم ما لهم به أي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع على الابتداء أو الفاعلية لاعتماده على الظرف
ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية أو مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم أي ما لهم بذلك شيء من علم أصلا لا لإخلالهم

بطريقه مع تحقق المعلوم أو إمكانه بل لاستحالته في نفسه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة
أو ما لهم علم بما قالوه أهو صواب أم خطأ بل إنما قالوه رميا بالقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له
بنين وبنات بغير علم أو بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات
يتفطرن منه الآية وهو الأنسب بقوله تعالى كبرت كلمة أي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه إلى ما
لا يكاد يليق بكبرياء جنابه والفاعل في كبرت إما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز أو ضمير مبهم مفسر بما بعده من
النكرة المنصوبة بمعنى أكبر بها كلمة والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت كلمة خارجة من أفواههم وقرئ كبْرت بإسكان الباء
مع إشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع تخرج من أفواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها وإسناد الخروج إليها
مع أن الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابستها بها إن يقولون ما يقولون في ذلك الشأن إلا كذبا إلا قولا كذبا
لا يكاد يدخل تحت إمكان الصدق أصلا والضمائر لهم ولآبائهم شبه حاله عم في شدة الوجد على إعراض القوم وتوليهم عن
الإيمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه إهلاك نفسه إثر فوت ما يحبه عند مفارقة أحبته تأسفا على مفارقتهم
وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له عم على الحذر والإشفاق من ذلك فلعلك باخع أي مهلك نفسك على
آثارهم غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالإضافة إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة
بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ أن المفتوحة أي لأن لم يؤمنوا فإعمال باخع بجعله على حكاية
حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه أسفا مفعول له لباخع أي لفرط الحزن والغضب أو حال مما فيه
من الضمير أي متأسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين أجزاء الطرفين لا بين الهيئتين
المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم إنا جعلنا ما على الأرض استئناف وتعليل لما في
لعل من معنى الإشفاق أي إنا جعلنا ما عليها مما عدا من وجه إليه التكليف من زخارفها حيوانا كان أو نباتا أو معدنا
كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا زينة مفعول ثان للجعل إن حمل على معنى التصيير أو حال إن حمل على معنى الإبداع واللام
في لها إما متعلقة بزينة أو بمحذوف هو صفة لها أي كائنة لها أي يستمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعون بها نظرا
واستدلالا فإن الحيات والعقارب من حيث تذكيرها بعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من
حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فإن الأزواج والأولاد أيضا من زينة الحياة الدنيا بل أعظمها ولا يمنع ذلك
كونهم من جملة المكلفين فإنهم من جهة انتسابهم إلى أصحابهم داخلون تحت الزينة ومن حيثية كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء
لنبلوهم متعلق بجعلنا أي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم أيهم أحسن عملا فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين
المحسن من المسيء وامتازت طبقات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة على أنظارهم وتفاوت
درجات أعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود وأي إما استفهامية مرفوعة بالابتداء وأحسن خبرها و
الجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك أجري مجراه بطريق التمثيل
أو الاستعارة التبعية وأما موصولة بمعنى الذي وأحسن خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم

والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا ويحتمل ان يكون الضمة في ايهم للبنا كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على
الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البنا الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب لان ما ذكر شرط
لجواز البنا لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها
وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات
والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم
المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين
على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانا لجاعلون فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات قاطبة
بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير ولادراج المكلفين فيه صعيدا مفعول ثان للجعل والصعيد التراب
او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه
بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال
الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاة والابل اذا اكلت ما عليها وهذه
جملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما
على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم
ام حسبت الخطاب لرسول الله صلعم والمراد انكار حسبانه عليه السلام وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث
لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا في بقائهم
على الحيوة مدة طويلة من الدهر من آياتنا من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرنا من جعل ما على الارض زينة لها لحكمة الابتلاء
ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كأن لم تغن بالامس عجبا اي آية ذات عجب وضعا له موضع المضاف او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة
وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التي من
جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على
باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان
وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في
الصحيحين اذ اوى ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجا الفتية اي اصحاب الكهف واوثر الاظهار على
الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا
منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف يجعلهم
بنجوة من العدو فقالوا ربنا آتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية
متعلقة بآتنا او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له اي آتنا كائنة

من لدنك

من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مهاجرة
الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا رشدا اصابة للطريق
الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار
الاعتناء بهما وابراز الرغبة في الموخر بتقديم احواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى
وروده ينبي عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله من لدنك على رحمة وتعلقه بآتنا ويجوز
ان يكون على من امرنا للابتداء ان من تمام الامر يكون المسئول مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك
رأيت منك اسدا فضربنا على آذانهم اي انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى
الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما انها المحتاج
الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الانامة
الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم من التصرف مع عدم ملاءمته لما سيأتي من البعث لا يدل
على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله اذ نادى فان الضرب المذكور وما يترتب
عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك آيات رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية
استجابة لدعوتهم في الكهف ظرف مكان لضربنا سنين ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه عددا اي ذوات عدد او تعد
عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو
الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم اي ايقظناهم
من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات وايا ما كان فهو غاية
للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز او بحمله على ما يعم وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء
كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما التي يتحقق فيها العلم بتحقق
متعلقه قطعا فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى
الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار والتمييز واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم
الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار والتمييز وتنتظم شيء من ذلك في سلك الغاية واما الذي ترتب عليه تفرقهم الى
مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني وليس شيء منهما من الاحصاء في شيء بل بحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على
جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر
قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأت بها من المغرب وهو المراد هنا فالمعنى بعثناهم
لنعاملهم معاملة من يختبرهم اي الحزبين اي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي احصى اي ضبط
لما لبثوا اي للبثهم امدا اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ
ابدانهم واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة

بكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا اوفى من تصوير التمثيل بان يقال ليعاملهم معاملة من يريد ان يعلم لوجهين وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى حمل الارادة بالعلم عبارة عن الاختبار فاختبر واختر هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة بأي في موقع المفعول الثاني فقط ان حمل العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين ان حمل تيقنيا اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى وروى عطاء عن ابن عباس ان احد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي زمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو آن انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على احد ولا يسمى احصاء كما ترى بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلاثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلاثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز ان يكون موصولة حذف عائدها من الصلة اي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين عددا فامدا مفعول به الوضعي على ما حققته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وامدا نصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وادعاء ان مجيء افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بانه عند سيبويه قياسي مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذلك القبيل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات واما ان التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلا نسلم ان يمنعه بصحة ان يقال ايهم احفظ لمدا الشهور زمانا وتعطيلا او يقال ان العامل في امدا فعل محذوف يدل عليه المذكور اي يحصى لما لبثوا امدا كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر مع ما فيه من الاعتساف والخلل معزول من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل الحزبين وتمييزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق له اصلا

وان

وان المقصود بالاختبار اظهار عجز الكل عنه رأسا هو فعل ماض قطعا وتوهم اشعاره بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله اذ اوى الفتية اي نحن نخبرك بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام نبأهم النبأ الخبر الذي له شأن وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبأهم او صفة له على رأي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اي نقص قصصا ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به او نقص نبأهم ملتبسا به او نبأهم الملتبس به وملخص ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع آرابه وعلقها في سور المدينة وابوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وعبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه احدا ولن نقر لما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شأنه وامهلهم الى رجوعه ليتأملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فاجمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فأووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه اناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين والجؤار وفوضوا امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر آباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى يمليخا ما رأى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وعلا انهم فتية استئناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة كالصبية للصبي آمنوا بربهم وايثار الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة لما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم وربطنا على قلوبهم اي قويناها حتى اقتحموا مضائق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين

قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال أكبرهم إني لأجد في نفسي شيئاً إن ربي رب السموات والأرض فقالوا نحن
أيضاً كذلك فقاموا جميعاً فقالوا ربنا رب السموات والأرض ضمنوا دعواهم ما يحقق لجوابها وتنبئ بمقتضاها فإن
ربوبيته عز وجل لهما تقتضي ربوبيته لما فيهما أي اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على
ترك عبادة الأصنام فح يكون ما سيأتي من قوله هؤلاء منقطعاً عما قبله صادراً عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو
من دونه إلها معبوداً آخر لا استقلالاً ولا اشتراكاً والعدول عن أن يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث
كانوا يسمون أصنامهم آلهة وللإشعار بأن مدار العبادة وصف الألوهية وللإيذان بأن ربوبيته تعالى بطريق الألوهية لا بطريق المالكية
المجازية لقد قلنا إذا شططا أي قولا ذا شطط أي تجاوز عن الحد أو قولا هو عين الشطط على أنه وصف بالمصدر مبالغة
ثم اقتصر على الوصف مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما أنها لا تعرى عن الاعتراف بألوهية المعبود والتضرع
إليه قيل لقد قلنا وإذا جواب وجزاء أي لو دعونا من دونه إلها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم
هؤلاء هو مبتدأ وفي اسم الإشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبر وفيه معنى الإنكار لو
لا يأتون تحضيض فيه معنى الإنكار والتعجيز أي هلا يأتون عليهم على ألوهيتهم أو على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان بين
بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم وإلقام حجر فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك إليه تعالى عن ذلك
علوا كبيرا والمعنى أنه أظلم من كل ظالم وإن كان سبك النظم على إنكار الأظلمية من غير تعرض لإنكار المساواة كما حقق في سورة
هود وإذ اعتزلتموهم أي فارقتموهم في الاعتقاد أو أردتم الاعتزال الجسماني وما يعبدون إلا الله عطف على الضمير
المنصوب وما موصولة أو مصدرية أي إذ اعتزلتموهم ومعبوديهم إلا الله أو وعبادتهم إلا عبادة الله وعلى التقديرين
فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كأهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الأوثان ويجوز كون ما نافية
على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه فأووا أي التجئوا إلى الكهف قال الفراء هو جواب
إذ كما تقول إذ فعلت كذا فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه أي إذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا
أو إذا أردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء إلى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك أمركم من رحمته
في الدارين ويهيئ لكم يسهل لكم من أمركم الذي أنتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا ما ترتفقون وتنتفعون به
وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين لما مر مرارا من الإيذان من أول الأمر بكون المؤخر
من منافعهم والتشويق إلى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعدما أووا إلى الكهف ولم يصرح به إيذانا بعدم الحاجة إليه
لظهور جريانهم على موجب الأمر به لكونه صادرا عن رأي صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه إذ أوى الفتية إلى الكهف
وما في من إضافة الكهف إليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول عم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الإخبار
بوقوع الرؤية تحقيقا بل الإنباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس إذا طلعت تزاور أي تتزاور وتتنحى بحذف إحدى
التاءين وقرئ بإدغام التاء في الزاي وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وتزوئر وكلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذي
أووا إليه فالإضافة لأدنى ملابسة ذات اليمين أي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل إلى قعره أي جانبه

الذي

الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم وإذا غربت أي تراها عند غروبها تقرضهم أي تقطعهم من القطيعة والصرم
ولا تقربهم ذات الشمال أي جهة ذات شمال الكهف أي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق
العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم في فجوة منه جملة حالية مبينة لكون ذلك أمرا بديعا أي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم
حولهم مع أنهم في متسع من الكهف معرض لإصابتها لولا أن صرفتها عنهم يد التقدير ذلك أي ما صنع الله بهم من تزاور
الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته
وحقية التوحيد وكرامة أهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل أن يسد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل
بنات النعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه
مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه
ولا تقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل الباب إلى جانب الغرب كان لذلك أو قع التزاور على كهفهم والقرض
على أنفسهم هذا فذلك ح إشارة إلى إيوائهم إلى كهف هذا شأنه وإنما جعله إشارة إلى حفظ الله سبحانه إياهم في ذلك الكهف تلك
المدة الطويلة أو إلى اطلاعه سبحانه لرسوله عم على أخبارهم فلا يساعده إيراده في تضاعيف القصة من يهد الله
إلى الحق بالتوفيق له فهو المهتد الذي أصاب الفلاح والمراد إما الثناء عليهم والشهادة لهم بإصابة المطلوب والإخبار بتحقيق ما
أملوه من نشر الرحمة وتهيئة المرافق أو التنبيه على أن أمثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها
ومن يضلل أي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه فلن تجد له أبدا وإن بالغت في التتبع والاستقصاء وليا ناصرا
مرشدا يهديه إلى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا أنك لا تجده مع وجوده أو إمكانه وتحسبهم بفتح السين
وقرئ بكسرها والخطاب فيه كما سبق أيقاظا جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم
على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم وهم رقود أي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا
على ذكره السابق من الضرب على آذانهم ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين نصب على الظرفية أي جهة تلي أيمانهم وذات الشمال
أي جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض قيل لهم تقلبتان
في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقرئ ويقلبهم على الإسناد إلى ضمير الجلالة وتقلبهم
على المصدر منصوبا بمضمر ينبئ عنه وتحسبهم أي وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع
فأنطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فإني أحب أحباء الله فناموا حتى أحرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم
ويؤيده قراءة كالبهم إذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد أحدهم أو زرعه أو غنمه واختلف في لونه فقيل كان أنمر
وقيل أصفر وقيل أصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل تتوه وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد
بن معدان ليس في الجنة من الدواب إلا كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان أسدا
باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وأبي جعفر من البصريين يجوز إعماله مطلقا
والذراع من المرفق إلى رأس الإصبع الوسطى بالوصيد أي بموضع الباب من الكهف لو اطلعت عليهم أي لو عاينتهم

وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا اي هربا مما شاهدت
منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي
فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول له ولملئت منهم رعبا وقرئ بضم
العين اي خوفا يملأ الصدر ويرعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت اعينهم
مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم
وقوله ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تأخير هذا عن ذكر
التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتب الاحوال لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من
حيث هو هو عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو
كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم
الآية فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى
ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم
وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اي ليسأل بعضهم بعضا
فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار
على ذكره لاستتباعه لسائر آثاره قال استئناف لبيان تساؤلهم قائل منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم
لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة قالوا اي بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لانهم
دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم
وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب قالوا اي بعض آخر منهم بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله
ربكم اعلم بما لبثتم اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة
حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم
فان الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقتضي ان الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا قيل ثم قالوا ربنا اعلم
بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ
عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري
بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو وسكون الراء مع الادغام وحملهم
لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى فلينظر ايها اي اهلها ازكى احل واطيب او اكثر وارخص طعاما
فليأتكم برزق منه اي من ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الاختفاء لئلا يعرف
ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي على الاول تأسيس وعلى
الثاني تأكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم

اي

اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم ان ثبتم على ما انتم عليه او يعيدوكم
في ملتهم اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا
وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة
وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب
في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فان
امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه اكثر واوفر ولن تفلحوا اذا اي ان دخلتم
فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى وكذلك
اي وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين اعثرنا اي اطلعنا الناس عليهم
ليعلموا اي الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله اي وعده بالبعث
او موعوده الذي هو البعث او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث او البعث الموعود دخولا
اوليا حق صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان
الساعة اي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها
فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها
لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم
بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله
ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر
له وجاحد به وقائل يقول ببعث الارواح دون الاجساد وآخر يقول ببعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ
رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا و
جلس على رماد وسأل ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس
باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روي ان المبعوث لما
دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك
فقص عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق
الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من
شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فرآهم في
المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم
الفتى مكانكم ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية

قيل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال
ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفا في قوله عز وجل . فقالوا . فصيحة
اي اعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا فماتوا فقالوا اي قال بعضهم . ابنوا عليهم . اي على باب كهفهم بنيانا
لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى . ربهم اعلم بهم . من كلام المتنازعين
كانهم لما راوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في
الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه رد القول الخائضين في حديثهم
من اولئك المتنازعين وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شانهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في
انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى . قال الذين غلبوا على امرهم . وهو الملك
والمسلمون . لنتخذن عليهم مسجدا . وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة
على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان
اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي
بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو مؤخر في الوقوع . سيقولون .
الضمير في الافعال الثلثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي عليه الصلوة والسلام من اهل الكتاب والمسلمين
لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم . ثلثة رابعهم كلبهم . اي هم ثلثة اشخاص رابعهم اي
جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا
وقرئ ثلاث بادغام الثاء في التاء . ويقولون خمسة سادسهم كلبهم . قيل قالته النصارى او العاقب منهم
وكان نسطوريا . رجما بالغيب . رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن
اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول
واحد او من محذوف مستأنف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين
للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك . ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم . هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقي من
هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة
لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي آخر كما قيل . قل . تحقيقا للحق وردا على الاولين . ربي اعلم
اي اقوى علما . بعدتهم . بعددهم . ما يعلمهم . اي عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم . الا قليل . من
الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت
العدة وعليه مدار قوله رضي الله تعالى عنه انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي آخر لما خفي عليه ولما احتاج
الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم
يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا . هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره . مرنوش . ودبرنوش

وشاذنوش

وشاذنوش . وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس
واسمه كفيشيططيوش . فلا تمار . الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين
الاولين فلا تجادلهم . فيهم . في شان الفتية . الا مراء ظاهرا . قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم
بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم
فانه مما يخل بمكارم الاخلاق . ولا تستفت فيهم . في شانهم . منهم . من الخائضين . احدا . فان فيما
قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من اهل الكتاب فالضمائر
الثلثة في الافعال الثلثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه
مخلص عما في من التكلف في جعل احد الاقوال المحكية المنظومة في سمط واحد ناشيا من الحكاية مع كون
الآخرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في لا تمار والمعنى حينئذ واذ قد وقفت على ان كلهم
ليسوا على خطا في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا ليس ما نطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان فيهم مصيبا
وان فرع النهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم
فالمعنى لا تراجع اليهم في شان الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي
من الوحي . ولا تقولن لشيء . اي لاجل شيء تعزم عليه . اني فاعل ذلك . الشيء . غدا . اي فيما يستقبل من الزمان
مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب
الكهف وذي القرنين فسألوه عليه السلام فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي
حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول بالعبارة هو الغد وما بعده مفهوم بطريق دلالة
النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه في مناط النهي فان وسعة المجال دليل القدرة فليتأمل . الا ان يشاء الله .
استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد
وهو ان يقال ان شاء الله او في وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيئته
اذن فان النسيان ايضا بمشيئته تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل
ومنافاته استثناء اعتراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التأبيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى وما كان
لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله . واذكر ربك . بقولك ان شاء الله متداركا له . اذا نسيت . اذا فرط منك
نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة
الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي
هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى
واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا
تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد

حمل على اداء الصلوة المنسية عندها . وقل عسى ان يهدين ربي . اى يوفقنى . لاقرب من هذا . اى
لشئ اقرب واظهر من نبأ اصحاب الكهف من الآيات والدلائل على نبوتى . رشدا . اى ارشادا للناس
ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك حيث اتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص
الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشد
وادنى خيرا من المنسى . ولبثوا فى كهفهم . احياء مضروبا على آذانهم . ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا
وهى جملة مستأنفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزته ونزارته وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم
اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم بكذا وبعضهم بكذا وروى عن على
رضى الله عنه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية
والتفاوت بينهما فى كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان
لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما حسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر
لما حذف فى الواحد وان الاصل فى العدد اضافته الى الجمع . قل الله اعلم بما لبثوا . اى بالزمان
الذى لبثوا فيه . له غيب السموات والارض . اى ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلها واللام للاختصاص
العلمى دون التكوينى فانه غير مختص بالغيب . ابصر به واسمع . دل بصيغة التعجب على ان شأن علمه
سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شئ ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت
بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفى والجلى والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية
والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير
لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما فى كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل
ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة
ولعل تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذى نحن بصدده من قبيل المبصرات . ما لهم . لاهل السموات
والارض . من دونه . تعالى . من ولى . يتولى امورهم وينصرهم استقلالا . ولا يشرك فى حكمه
فى قضائه او فى علم الغيب . احدا . منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ فى نفى الشريك
من ان يقال من ولى ولا شريك وقرئ على صيغة نهى الحاضر على ان الخطاب لكل احد ولما دل
اشتمال القرآن الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبى صلى الله عليه
وسلم من المغيبات على انه وحى معجز امره عليه الصلوة والسلام بالمداومة على دراسته
فقال . واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك . ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله
لا مبدل لكلماته . لا قادر على تبديلها وتغييرها غيره . ولن تجد . ابد الدهر وان بالغت فى الطلب
من دونه ملتحدا . ملجأ تعدل اليه عند الالمام ملمة . واصبر نفسك . احبسها وثبتها مصاحبا

مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى . اى دائبين على الدعاء فى جميع الاوقات وقيل فى طرفى
النهار وقرئ بالغدوة على ان ادخال اللام عليها وهى علم فى الاغلب على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء
المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم
من رؤساء الكفرة لرسول الله عليه الصلوة والسلام نح هؤلاء الموالى الذين كان ريحهم ريح الضأن حتى
نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول
لتعليل الامر بما فى حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة . يريدون . بدعائهم ذلك . وجهه
حال من المستكن فى يدعون اى مريدين لرضاه تعالى وطاعته . ولا تعد عيناك عنهم . اى لا يجاوزهم نظرك الى
غيرهم من عداه اى جاوزه واستعماله بعن لتضمنه معنى النبو او لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم
من عدوته عن الامر اى صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية
والمراد نهيه عليه الصلوة والسلام عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا الى زى الاغنياء . تريد زينة الحيوة
الدنيا . اى تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا وهى حال من الكاف على الوجه الاول من
القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثانى منها وضمير تريد للعينين واسناد الارادة اليه مجاز وتوحيده
للتلازم كما فى قوله . لمن زحلوفة زل . بها العينان تنهل . ومن المستكن فى الفعل على القرائتين الاخيرتين
ولا تطع . فى تنحية الفقراء عن مجلسك . من اغفلنا قلبه . اى جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر
بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اى لم نسمه بالذكر
عن ذكرنا . كاولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف
ما عليه المؤمنون من الدعاء فى مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه
عن جناب الله سبحانه وجهته وانهماكه فى الحسيات حتى خفى عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد
وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اى حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته
اذا وجدته غافلا . واتبع هواه وكان امره فرطا . ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء
ظهره من قولهم فرس فرط اى متقدم للخيل وهو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدى
الى اتباع الهوى المؤدى الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما فى
حيز الصلة للنهى عن الاطاعة . وقل . لاولئك الغافلين المتبعين هواهم . الحق من ربكم . اى ما اوحى
الى الحق لا غيره كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتى حتى يتصور فيه التبديل او يمكن التردد فى
اتباعه وقوله تعالى . فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . اما من تمام القول المأمور به والفاء لترتيب ما بعدها على
ما قبلها بطريق التهديد لا لتفريعه عليه كما فى قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب او قوله تعالى
الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اى عقيب تحقق ان ما اوحى الى حق لا ريب فيه وان ذلك الحق من جهته

ربكم من شاء ان يؤمن فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعلل ومن شاء ان يكفر فليفعل و
فيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى وأما
تهديد من جهته تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المامور به والمعنى قل لهم
ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه
فليفعل بقوله تعالى. انا اعتدنا. وهو تشديد وتاكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر او لما
يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي الاملاء و
الامهال وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم ذلك انا اعتدنا. للظالمين
اي هيأنا للكافرين بالحق بعدما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشيئة الكفر
واختياره تجاوز عن الحد ووضع الشيء في غير موضعه. نارا. عظيمة عجيبة. احاط بهم. اي يحيط
بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق. سرادقها. اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل
السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار. وان يستغيثوا. من
العطش. يغاثوا بماء كالمهل. كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم
يشوي الوجوه. اذا قدم ليشرب انشوى الوجه بحرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا
قرب اليه سقطت فروة وجهه. بئس الشراب. ذلك. وساءت. النار. مرتفقا. متكأ واصل الارتفاق
نصب المرفق تحت الخد واني ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا. ان الذين آمنوا. في محل
التعليل للحث على الايمان المفهوم من التخيير كانه قيل وللذين آمنوا وفي تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي
مآلي الفريقين اي ان الذين آمنوا بالحق الذي اوحي اليك. وعملوا الصالحات. حسبما بين في تضاعيفه. انا
لا نضيع اجر من احسن عملا. خبر ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من احسن منهم عملا او مستغنى
عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذي آمن وعمل الصالحات
اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة. لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار. استيناف لبيان الاجر او هو
الخبر وما بينهما اعتراض او هو خبر بعد خبر. يحلون فيها من اساور من ذهب. من الاولى ابتدائية والثانية بيانية
صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار. ويلبسون ثيابا خضرا. خصت
الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة. من سندس واستبرق. اي مما رق من الديباج
وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين. متكئين فيها على الارائك
على السرر على ما هو شان المتنعمين. نعم الثواب. ذلك. وحسنت. اي الارائك. مرتفقا. اي متكأ
واضرب لهم. اي للفريقين الكافر والمؤمن. مثلا رجلين. مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج
الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين والمؤمنين لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر آنفا من ان للاولين

صح فغضبت تميم ان يقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم

في الآخرة كذا وللآخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين
مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان كافر
اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف
المؤمن نصيبه الى وجوه المبار فآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر هو الاسود
بن عبد الاسد ومسلم هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد زوج ام سلمة رضي الله عنها اولا. جعلنا
لاحدهما. وهو الكافر. جنتين. بستانين. من اعناب. من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل
او صفة لرجلين. وحففناهما بنخل. اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا
اطافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به. وجعلنا بينهما
وسطهما. زرعا. ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة
والوضع الانيق. كلتا الجنتين آتت اكلها. ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرئ بسكون الكاف
وقرئ كل الجنتين اتى اكله. ولم تظلم منه. لم تنقص من اكلها. شيئا. كما يعهد ذلك في سائر البساتين
فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الاشجار ياتي بالثمر في بعض الاعوام دون
بعض. وفجرنا خلالهما. فيما بين كل من الجنتين. نهرا. على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ
بالتخفيف ولعل تاخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس للايذان
باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها
ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع على
السقي عادة وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو
لم تمسسه نار. وكان له. لصاحب الجنتين. ثمر. انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قال
ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب
والفضة خاصة. فقال لصاحبه. المؤمن. وهو. اي القائل. يحاوره. اي صاحبه المؤمن وان جاز
العكس اي يراجعه في الكلام من حار اذا رجع. انا اكثر منك مالا واعز نفرا. حشما واعوانا او اولادا
ذكورا لانهم الذين ينفرون معه. ودخل جنته. التي شرحت احوالها وعددها وصفاتها وتثنيتها
وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احداهما بالاخرى واما لان الدخول
يكون في واحدة فواحدة. وهو ظالم لنفسه. ضار لها بعجبه وكفره. قال. استيناف مبني على
سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال. ما اظن ان
تبيد هذه. الجنة اي تفنى. ابدا. لطول امده وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة
موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته ونهيه عن الاغترار بها وامره بتحصيل الباقيات الصالحات

وما اظن الساعة قائمة · كائنة فيما سيأتي · ولئن رددت · بالبعث عند قيامها كما تقول · الى ربي لاجدن
يومئذ خيرا منها · اى من هذه الجنة وقرئ منهما اى من الجنتين منقلبا · مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين
الفاجرة اعتقاد انه تعالى انما اولاه ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك
استدراج · قال له صاحبه · استئناف كما سبق · وهو يحاوره · جملة حالية كما مر فائدتها التنبيه من اول الامر
على ان ما يتلوه كلام معتنى بشانه مسوق للمحاورة · اكفرت · حيث قلت ما اظن الساعة قائمة · بالذي
خلقك · اى في ضمن خلق اصلك · من تراب · فان خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلقه منه حما ان خلق
كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه الصلوة والسلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت
انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام
من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي منه يحصل النطفة فتدبر
ثم من نطفة · هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد · ثم سواك رجلا · اى عدلك وكملك
انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر
والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا
خلقناكم من تراب الخ · لكنا هو الله ربي · اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان
فكان الادغام وهو ضمير الشان وهو مبتدأ خبره الله ربي وتلك الجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير
وقرئ باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه بالهاء ولكن بطرح
انا ولكن انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه قال انت كافر لكني مؤمن
موحد · ولا اشرك بربي احدا · فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك · ولولا اذ دخلت جنتك
قلت · اى هلا قلت عند ما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول في آن
الدخول من غير ريث لا للقصر · ما شاء الله · اى الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما
موصولة مرفوعة المحل او اى شئ شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد
تحضيضه على الاعتراف بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء افناها · لا قوة
الا بالله · اى هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته
تعالى واقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره
ان ترن انا اقل منك مالا وولدا · انا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الرؤية ان جعلت
علمية واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تاكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه
بين المبتدأ والخبر او ما اصله المبتدأ والخبر وقرئ اقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للرؤية او حال و
في قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد · فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك · هو جواب الشرط

بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين · اولياء من دوني
فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي · وهم · اى والحال ان ابليس وذريته · لكم عدو · اى اعداء
كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر
نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع
من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا · بئس للظالمين · اى الواضعين للشئ في غير موضعه بدلا
من الله سبحانه ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان
بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى · ما اشهدتهم · استئناف مسوق
لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من جناية
المحتد والفسق والعداوة اى ما احضرت ابليس وذريته · خلق السموات والارض
حيث خلقتهما قبل خلقهم · ولا خلق انفسهم · اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى
ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور حذارا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ
الانفس ولك ان ترجع الضمير الثاني الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على عود المعنى فيه
فان نفي اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء
على ان ادنى ما يصحح التولي حضور الولي خلق المتولي وحيث لا حضور لا مصحح للتولي قطعا واما نفي اشهاد
بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدارية الانكار المذكور في شئ على ان اشهاد بعضهم خلق
بعض ان كان مصححا لتولي الشاهد بناء على دلالته على كماله باعتبار ان له مدخلا في خلق المشهود في الجملة فهو
مخل بتولي المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور متمحضا في نفي الكمال المصحح للتولي
عن الكل وهو المناط للانكار المذكور · وما كنت متخذ المضلين · اى متخذهم وانما وضع موضعه
المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء · عضدا · اعوانا في
شان الخلق او في شان من شؤني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه
تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه
على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا
على نفي كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته فيهم وانهم
بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما هو هم في
شانهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما
اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة
للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين

وبعضد والقراءة بفتح التاء خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد
بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفى الاتخاذ وقرئ متخذ المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم
العين وسكون الضاد وبفتح وسكون التخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد
كرصد وراصد • ويوم يقول • اى الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة نادوا
شركائى الذين زعمتم • انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس
وذريته • فدعوهم • اى نادوهم للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باعانتهم على طريقة الشفاعة
اذ معلوم ان لا طريق الى المدافعة • فلم يستجيبوا لهم • فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفى ايراده
مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم فى الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به • وجعلنا بينهم • بين الداعين
والمدعوين • موبقا • اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح
فرحا اذا هلك اى مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هى فى الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضى الله عنه
لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا فى الآخرة
ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ
البعيد اى جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم فى قعر جهنم وهم فى اعلى الجنان
ورأى المجرمون النار • وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك • فظنوا • اى فايقنوا
انهم مواقعوها • مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذ رأوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة
ولم يجدوا عنها مصرفا • انصرافا او معدلا ينصرفون اليه • ولقد صرفنا • اى كررنا واوردنا على
وجوه كثيرة من النظم • فى هذا القرآن للناس • لمصلحتهم ومنفعتهم • من كل مثل • من جملته ما مر من مثل
الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعانى البديعة الداعية الى الايمان التى هى فى
الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوه • وكان الانسان • بحسب
جبلته • اكثر شىء جدلا • اى اكثر الاشياء التى يتأتى منه الجدل وهو هنا شدة الخصومة بالباطل
والمماراة من الجدل الذى هو الفتل والمجادلة الملاواة لان كلا من المجادلين يلتوى على صاحبه
وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل • وما منع الناس • اى اهل مكة
الذين حكيت اباطيلهم • ان يؤمنوا • من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك • اذ
جاءهم الهدى • اى القرآن العظيم الهادى الى الايمان بما فيه من فنون المعانى الموجبة له • ويستغفروا
ربهم • عما فرط منهم من انواع الذنوب التى من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل • الا ان تأتيهم سنة
الاولين • اى الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الا تقديره فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستيصال • او يأتيهم العذاب • اى عذاب الآخرة • قبلا

اى

اى انواعا جمع قبيل او عيانا كما فى قراءة قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او
العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور الموجبة للايمان بحيث لو لم يكن تمثيل
هذه الحكمة القوية لا امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط • وما
نرسل المرسلين • الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال • الا • حال كونهم • مبشرين • للمؤمنين
بالثواب • ومنذرين • للكفرة والعصاة بالعقاب • ويجادل الذين كفروا بالباطل
باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا
ليدحضوا به • اى بالجدال • الحق • اى ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو
ازلاقها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك
واتخذوا آياتى • التى تخر لها صم الجبال • وما انذروا • اى انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب
والعذاب او انذارهم • هزوا • استهزاء وقرئ بسكون الزاى وهو ما يستهزأ به • ومن اظلم
ممن ذكر بآيات ربه • وهو القرآن العظيم • فاعرض عنها • ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك
وان كان مدلوله الوضعى نفى الاظلمية من غير تعرض لنفى المساواة فى الظلم الا ان مفهومه
العرفى انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما فى حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار
بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد • ونسى ما قدمت يداه • اى عمله من الكفر
والمعاصى التى من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر فى عاقبتها
انا جعلنا على قلوبهم اكنة • اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع
على قلوبهم • ان يفقهوه • مفعول لما دل عليه الكلام اى منعناهم ان يقفوا على كنهه او مفعول له
اى كراهة ان يفقهوه • وفى آذانهم • اى جعلنا فيها • وقرا • ثقلا يمنعهم من استماعه • وان تدعهم
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا • اى فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن جزاء
للشرط وجواب عن سؤال النبى عليه الصلوة والسلام المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كانه قال عليه
الصلوة والسلام مالى لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع الى الموصول فى هذه المواضع
الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده فى المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه • وربك • مبتدأ
وقوله تعالى • الغفور • خبره وقوله تعالى • ذو الرحمة • اى الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة
على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر
على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهى فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى
وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير
العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل • لو يؤاخذهم • اى لو يريد مؤاخذتهم

بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم
وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار
المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد
من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال
وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة
فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه
بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر كأنه قيل
لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا من دونه موئلا منجى او ملجأ يقال وال اي نجا ووال
اليه اي لجأ اليه وتلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابها وهي مبتدأ على تقدير المضاف
اي واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به لما ظلموا اي وقت
ظلمهم كما فعلت قريش بما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم
اي لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور او اما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد
به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره وجعلنا لمهلكهم
اي عينا لهلاكهم موعدا اي وقتا معينا لا محيد لهم عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل
بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام
اي اهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى نصب باضمار فعل اي اذكر وقت قوله عليه السلام لفتاه
وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم
منه ويسمى التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا تذكير ما في
القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح من برح الناقص كزال
يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا
على ما يعقبه من قوله حتى ابلغ فان ذلك غاية تستدعي ذا غاية تؤدي اليها ويجوز ان يكون
اصل الكلام لا يبرح مسيري حاصلا حتى ابلغ فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب
الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام
كزال يزول اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي
المشرق وقيل طنجة وقيل هما الكر والرس بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق
او امضي حقبا اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان
منشأ هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله

عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فخطب خطبة بليغة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من
اعلم الناس قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند
مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي
القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اي عبادك احب اليك قال
الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي
عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى
فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل
البحر عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله
في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا الفاء فصيحة كما اشير اليه
مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذي جعل
فقدانه امارة وجدان المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي يوشع ان يقدمه
وموسى عليهما السلام ان يامره فيه بشيء روي انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحيوة
التي لا يصيب ماءها ميت الا حيي وضعا رؤسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش
وقد كانا اكلا منه وكان ذلك بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل توضأ من تلك العين
فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو
النفق قيل امسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر
عليهما السلام وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان
يتعلق باتخذ فلما جاوزا اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل اذلجا وسارا الليلة والغد الى
الظهر والقي على موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا اي ما نتغذى به وهو
الحوت كما ينبئ عنه الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة الى ما سار بعد مجاوزة الموعد نصبا
اي تعبا واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر باتيان الغداء اما باعتبار ان
النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما في اثناء التغدي من استراحة ما قال
اي فتاه عليهما السلام ارأيت اذ اوينا الى الصخرة اي التجأنا اليها واقمنا عندها وذكر الايواء اليها مع
ان المذكور فيما سبق مرتبا بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد
المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان الايواء اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان
عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه
السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه

علامة لوجدان المطلوب في هذا الاسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارايت ما نابني
يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول
محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل • فاني نسيت الحوت • وفيه تاكيد للتعجب وتربية لاستعظام
المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغدا مع انه المامور باتيانه للتنبيه من اول الامر على انه
ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغدا من حيث هو
غدا وطعام بل من حيث هو حوت كساير الحيتان مع زيادة اي نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت
منه من الامور العجيبة • وما انسانيه الا الشيطان • بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى • ان اذكره
بدل اشتمال من الضمير اي ما انساني ان اذكره لك وفي تعليق الانسا بضمير الحوت اولا وبذكره
له ثانيا على طريق الابدال المبني على تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضا ليس نفس
الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره وايثار ان اذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث
عند وقوعه والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة امثالها عند موسى و
الفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها • واتخذ سبيله في البحر عجبا • بيان لطرف من امر الحوت مبني عن
طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتنا بالاعتذار كانه قيل حي واضطرب ووقع في البحر و
اتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول
الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف
اي اتعجب منه عجبا وقد قيل انه من كلام موسى عليه السلام وليس بذاك • قال • اي موسى عليه السلام • ذلك
الذي ذكرت من امر الحوت • ما كنا نبغ • وقرئ باثبات اليا والضمير العايد الى الموصول محذوف اصله نبغيه
اي نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام • فارتدا • اي رجعا • على آثارهما • طريقهما الذي جاا منه • قصصا
يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة • فوجدا عبدا من عبادنا • التنكير
للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم
السلام • آتيناه رحمة من عندنا • هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب
الكبريا • وعلمناه من لدنا علما • خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب • قال له موسى
استيناف مبني على سوال نشا من السياق كانه قيل فما ذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى • هل
اتبعك على ان تعلمن • استيذانا منه في اتباعه له على وجه التعلم • مما علمت رشدا • اي علما ذا رشد
ارشد به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت محذوف وكلاهما
منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي
نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية

ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام • قال • اي الخضر • انك لن تستطيع معي
صبرا • نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله • وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبرا • ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب
الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى
علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك • قال • موسى عليه
السلام • ستجدني ان شا الله صابرا • معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثنا بين مفعولي
الوجدان لكمال الاعتنا بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر • ولا اعصي لك امرا • عطف على صابرا
اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان
او على ستجدني فلا محل له من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثنا حينئذ وفيه
دليل على ان افعال العباد بمشية الله سبحانه • قال فان اتبعتني • اذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفا
لتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى عليه السلام للصبر والطاعة • فلا تسالني عن شي • تشاهده
من افعالي اي لا تفاتحني بالسوال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض • حتى احدث لك منه
ذكرا • اي حتى ابتدي ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من ادب المتعلم
مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسالني بالنون المثقلة • فانطلقا • اي موسى والخضر عليهما
السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلام الى بني اسرائيل قيل انهما مرا
بسفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول • حتى اذا ركبا في السفينة • استعمال الركوب في
امثال هذه المواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه
لما اشرنا اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قيل من ان في ركوبها معنى الدخول • خرقها • قيل خرقها
بعد ما لججوا حيث اخذ فاسا فقلع من الواحها لوحين مما يلي الما فعند ذلك • قال • موسى • اخرقتها لتغرق
اهلها • من الاغراق وقرئ بالتشديد من التغريق وليغرق اهلها من الثلاثي • لقد جئت • اي اتيت و
فعلت • شيئا امرا • اي عظيما هايلا من امر الامر اذا عظم قيل الاصل امر مخفف • قال • اي الخضر
الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا • تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفا
بوعده • قال لا تواخذني بما نسيت • بنسياني او بالذي نسيته او بشي نسيته وهو وصيته بان لا يساله
عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه نسي وصيته ولا مواخذة على الناسي
كما ورد في صحيح البخاري من ان الاول كان من موسى نسيانا او اخرج الكلام في معرض النهي عن المواخذة بالنسيان
يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى
الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة • ولا ترهقني • اي لا

تعسّرني ولا تحملني من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك
المناقشة وقرئ عُسُرا بضمتين فانطلقا الفاء فصيحة اي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى
اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان ففتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل
اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى عليه السلام اقتلت نفسا زكية طاهرة عن الذنوب وقرئ
زاكية بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر
بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم
بجعل ما صدر عن الخضر عليه السلام ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام في
معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه السلام من الخوارق
البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها لقلة وقوعها في نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان
ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق منه عليه السلام خرج بوقوعه
مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب احوال موسى عليه السلام هل يحافظ على مراعاة
شرطه بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة خارق آخر او يسارع الى المناقشة كما مر في المرة الاولى فكان
المقصود افادته ما صدر عنه عليه السلام فيفعل ما فعل ولله در شأن التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح
والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد
لها فان كون القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما
يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما
لا يقتضي جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد
ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك
لن تستطيع معي صبرا زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه
الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية قال اي موسى عليه السلام
ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة فلا تصاحبني وقرئ من الافعال اي لا تجعلني
صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي قد اعذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلث
مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب
العجايب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية
هي انطاكية وقيل ابلة وهي ابعد ارض الله من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة باندلس عن النبي صلى الله
عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه و
قوله تعالى استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم على ان يكون صفة

للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روي انهما
طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ بالتخفيف
من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له وحقيقته ضاف مال اليه
من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يداني ان
يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع في
السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة
وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت
طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائتي ذراع
قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من
النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ
بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام
الذال في التاء قال اي الخضر عليه السلام هذا فراق بيني وبينك على اضافة المصدر الى
الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه اما نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي
هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك والسؤال الثالث اي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود
سأنبئك السين للتأكيد لعدم تراخي التنبئة بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا التأويل رجع
الشيء الى مآله والمراد به ههنا المآل والعاقبة اذ هو المنبأ به دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد
العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل
صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتأويل ما فعلت او بتأويل ما
رأيت ونحوهما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب اما السفينة التي خرقتها فكانت لمساكين
لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في
البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق التغليب ولان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين
فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اي امامهم وقد قرئ به او خلفهم
وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندى بن كركر وقيل منوله بن جلندى الازدي يأخذ كل سفينة
اي صالحة وقد قرئ كذلك غصبا من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ
ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدارها
كلا الامرين للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة الى التأويل وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الامر
الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان

في التاخير فصلا بين السفينة وضمير ما مع توهم رجوعه الى الاقرب • واما الغلام • الذي قتلته • فكان ابواه مومنين • لم يصرح بكفر انه او بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره • فخشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشي الوالدين المومنين • طغيانا • عليهما • وكفرا • لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مومنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان الله سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك • فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه • بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما • زكوة • طهارة من الذنوب والاخلاق الردية • واقرب رحما • اي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مومنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء انتصابه على التمييز مثل زكوة • واما الجدار • المعهود • فكان لغلامين يتيمين في المدينة • هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسون • وكان تحته كنز لهما • من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يودي زكوتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم • وكان ابوهما صالحا • تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء • فاراد ربك • اي مالكك ومدبر امورك ففي اضافة الرب الى ضمير موسى عليه السلام دون ضميرهما تنبيه له عليه السلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة • ان يبلغا اشدهما • اي حلمهما وكمال رايهما • ويستخرجا كنزهما • من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية • رحمة من ربك • مصدر في موقع الحال اي مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر موكد لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا • وما فعلته عن

عن امري • اي عن رايي واجتهادي تاكيدا لذلك • ذلك • اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة • تاويل ما لم تسطع • اي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف • عليه صبرا • من الامور التي رايت اي مآله وعاقبته فيكون انجازا للتنبئة الموعودة او الى البيان نفسه فيكون التاويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم وفي جعل الصلة عين ما مر تكرير للتنكير وتشديد للعتاب • تنبيه • اختلفوا في حيوة الخضر فقيل انه حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحيوة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها واخطأ ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحيوة يلتقيان كل سنة وقيل انه ميت لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حينئذ حيا لما عاش بعد مائة سنة • روي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به • ويسألونك عن ذي القرنين • هم اليهود سالوه على وجه الامتحان او سالته قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر • واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مرذبة من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل ان اسمه مرزبان بن مرزبة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن اثفيان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية • ان ذا القرنين هو ابو كرب سمي بن عير بن افريقيس الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال • نظم • قد كان ذو القرنين جدي مسلما • ملكا علا في الارض غير مفند • بلغ المشارق والمغارب يبتغي • اسباب امر من حكيم مرشد • وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام الرازي والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ • يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه

واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد
الصين وغزى الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مداين كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهر
زور ومات انتهى كلام الامام وروى ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد
وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط
عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب
فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب واغرب
منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا وثلثين سنة او ثنتين وثلاثين سنة وانه كان بعد داود وسليمن عليهما
السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل
وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه مما لا يكاد يتاتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على
اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره انه متناول للتمكين في الدنيا وكماله بالنبوة و
لقوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا
لما روي ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم
باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها
من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد
المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي وغيره
انه اسلم على يدي ابراهيم الخليل عليه السلام فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروى انه حج ماشيا فلما سمع ابراهيم
عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل
فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم عليه السلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره
وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا
ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه
تسميته بذي القرنين فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم و
الترك وقيل لانه كان في راسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذوابتان وقيل لانه كانت صفحتا
راسه من النحاس وقيل لانه راى في منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان
وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم
بعثه الله تعالى وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل
لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس
ابن ميطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن يونه بن شرخون بن رومه بن ثوفط بن نوفيل بن رومي بن الاصفر

ابن العيص بن اسحق بن ابرهيم الخليل عليهما السلام كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني
الاسكندرية الذي يورخ بايامه الروم وكان متاخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان هذا
قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن
دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال وانما نبهنا لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور
في القرآن العظيم هو هذا المتاخر فيقع بذلك خطا كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مومنا وملكا عادلا
وزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد
كان ما بينهما من الزمان اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذاك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من بلاد الروم
غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لا زالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة
عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم
بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها في نهاية شوكة والبها وسلطانها و
لقد مررت بها عند القفول عن بعض المغازي السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الآثار ما فيه عبرة
لاولي الابصار قل لهم في الجواب سأتلو عليكم اي ساذكر لكم منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ
مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهة الله عز وجل قيل سأتلو انا اي او سأتلو
من جهته تعالى في شانه ذكرا اي قرآنا والسين للتاكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تاييده عليه
السلام وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال سأشكر عمرا ان تراخت منيتي
ايادي لم تمنن وان هي جلت لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الآية ما نزلت
بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه عليه السلام عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف
فقال لهم عليه السلام ائتوني غدا اخبركم فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز
وجل انا مكنا له في الارض شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد
الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قوة وقدرة ولتلازمهما في
الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي
جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة
والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم نجعلكم قادرين على
ذلك فيها او مكنا لهم في الارض ما لم نمكن لكم وهذا اذا كان التمكين ماخوذا من المكان بناء على توهم ميميته اصلية
كما اشير اليه في سورة يوسف عليه السلام والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث
التدبير والرأي والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه
سواء وسهل عليه السير في الارض وذللت له طرقها وآتيناه من كل شيء اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة

بسلطانه سببا اى طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع سببا
اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتدا للاعاقة الحركة الشمسية
وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثانى حتى اذا بلغ مغرب الشمس
اى منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربى
الذى يقال له اوقيانوس الذى فيه الجزائر المسماة بالخالدات التى هى مبدأ الاطوال على احد القولين
وجدها اى الشمس تغرب فى عين حمئة اى ذات حمأة وهى الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت
حماتها وقرئ حامئة اى حارة روى ان معاوية قرأ حامية وعنده ابن عباس رضى الله عنهما فقال
حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب
الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين وروى تاط فوافق قول ابن عباس رضه وليس بينهما
منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون اليا فى الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما
قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضه بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون
قراءة ابن عباس قطعية فى مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط راها كذلك اذ ليس فى مطمح بصره
غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش
وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله جل ذكره بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك
قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر واما ان تتخذ فيهم حسنا اى امرا ذا حسن
على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد
الى الشرائع ومحل ان مع صلته اما الرفع على الابتداء او الخبر واما النصب على المفعولية اى اما تعذيبك
واقع او اما امرك تعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا الحال فى الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب
بواسطة نبى فى ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبى قال
اى ذو القرنين لذلك النبى او لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى امره تعالى مختارا للشق الاخير اما من ظلم اى
نفسه ولم يقبل دعوتى واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذى هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل و
عن قتادة انه كان يطبخ من كفر فى القدور ومن آمن اعطاه وكساه ثم يرد الى ربه فى الآخرة فيعذبه
فيها عذابا نكرا اى منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق
الوحى اليه وان مقاولته كانت مع النبى او مع من عنده من اهل مشورته واما من آمن بموجب دعوتى
وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله فى الدارين جزاء الحسنى اى فله المثوبة الحسنى او
الفعلة الحسنى او الجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به او منصوب بمضمر
يجزى بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه او حال اى مجزيا بها او تمييز وقرئ

منصوبا غير منون على انه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدأ والحسنى بدله
والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير
بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعى فى حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب
ويجوز ان تكون اما واما للتوزيع دون التخيير اى ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول
لمن بقى على حاله والثانى لمن تاب وسنقول له من امرنا اى مما نامر به يسرا اى سهلا ميسرا غير شاق
وتقديره ذا يسر او اطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا اى طريقا راجعا
من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع الذى تطلع
عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اى مكان طلوع الشمس فانه
مصدر قيل بلغه فى اثنتى عشرة سنة وقيل فى اقل من ذلك بناء على ما ذكر انه سخر له السحاب وطوى
له الاسباب وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء قيل هم
الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب
او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت
عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى
ومعى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا ننظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا
كهيئة الصلصلة فغشى على ثم افقت وهم يمسحوننى بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء
كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس
فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض
كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه لك فى رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب
من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل
الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من اللباس والاكنان والجبال وغير ذلك وقد
احطنا بما لديه من الاسباب والعدد والعدد خبرا يعنى ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم
اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يناسب ما جرى عليه وما
صدر عنه وما لاقاه فتامل ثم اتبع سببا اى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا
من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين الذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك
مما يلى المشرق لا جبلا ارمينية وآذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم
وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التى تستعمل اسما
ايضا كما ارتفع فى قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر فى قوله تعالى فراق بينى وبينك وجد من دونهما

من ورائهما مجاوزا عنهما. قوما. اى امة من الناس. لا يكادون يفقهون قولا. لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم
وقرئ من باب الافعال اى لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا فى انهم من اى الاقوام فقال الضحاك هم جيل من
الترك وقال السدى الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم
وعن قتادة انهم اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا
الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه السلام ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب
والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج قالوا
اى بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذو القرنين كلامهم وافهامه كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من
الاسباب. يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج. قد ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل ياجوج
من الترك وماجوج من الجيل واختلف فى صفتهم فقيل فى غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر
واحد وقيل فى نهاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه
كذلك وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان
من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتانيث
مفسدون فى الارض. اى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع
فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا. فهل نجعل لك خرجا.
اى جعلا من اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم فى الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد
كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس
والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه. على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا. وقرئ بالضم. قال ما مكنى. بالادغام وقرئ بالفك اى ما مكننى. فيه ربى. وجعلنى فيه
مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب. خير. اى مما تريدون ان تبذلوه الى من الخرج فلا
حاجة لى اليه. فاعينونى بقوة. اى بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبآلات لا بد منها
فى البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من مالهم او على عدم قبول خرجهم
اجعل. جواب الامر. بينكم وبينهم. تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير
ياجوج وماجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه فى قولهم
بيننا وبينهم. ردما. اى حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم
اى فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه. آتونى زبر الحديد. جمع زبرة كغرف
فى غرفة وهى القطعة الكبيرة وهذا لا ينافى رد خراجهم لان المامور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ
عنه القراءة بوصل الهمزة اى جيئونى بزبر الحديد على حذف الباء كما فى امرتك الخير ولان ايتاء الآلة من

قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من
الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها امس اذ هى الركن فى السد ووجودها اعز قيل حفر
للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب
والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز وعلا. حتى اذا ساوى بين
الصدفين. اى آتوه اياها فاخذ يبنى شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتى الجبلين من البنيان مساويا
لهما فى السمك على النهج المحكى قيل كان ارتفاعه مائتى ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من التسوية
وسووى على البناء للمجهول. قال. للعملة. انفخوا. اى بالكيران فى الحديد المبنى ففعلوا. حتى اذا
جعله. اى المنفوخ فيه. نارا. اى كالنار فى الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذى القرنين
مع انه فعل الفعلة للتنبيه على انه العمدة فى ذلك وهم بمنزلة الآلة. قال. للذين يتولون امر
النحاس من الاذابة ونحوها. آتونى افرغ عليه قطرا. اى آتونى قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه
قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وقرئ بالوصل اى جيئونى كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند
الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذى وقفت عليه آنفا وكذا الكلام فى قوله تعالى
ساوى وقوله تعالى اجعل. فما اسطاعوا. بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقى المتقاربين
وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء فصيحة اى ففعلوا
ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا
فجاء ياجوج وماجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا ان يظهروه اى يعلوه ويرقوا
فيه لارتفاعه وملاسته. وما استطاعوا له نقبا. لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر
الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان يكون
كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك
المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شئ قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب
من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا. قال. اى ذو القرنين لمن عنده
من اهل تلك الديار وغيرهم. هذا. اشارة الى السد وقيل الى تمكينه من بنائه والفصل للتقدم اى
هذا الذى ظهر على يدى وحصل بمباشرتى من السد الذى شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال. رحمة.
اى اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة. من ربى. على كافة العباد ولا سيما على مجاوريه وفيه ايذان
بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهى محض وان ظهر بمباشرتى
والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة. فاذا جاء وعد ربى. مصدر بمعنى المفعول وهو
يوم القيامة لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجئ مباديه

من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور
التي ستحكى تقع بعد مجيئه حتما. جعله. اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في
توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور. دكا. اي ارضا مستوية وقرئ دكاء اي مدكوكا مسوى بالارض
وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك اي المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء الوعد
بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته. وكان وعد ربي. اي وعده
المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا. حقا. ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل
من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر مؤكد لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته وقوله عز وجل و
تركنا بعضهم. كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا ومحقق لمضمونه اي جعلنا
بعض الخلائق. يومئذ. اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه. يموج في بعض. آخر منهم حين يخرجون
من السد مزدحمين في البلاد روي انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا
به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل
نغفا في اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم في
البحر ثم يرسل مطرا يغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد
نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال. ونفخ في الصور. هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى
فجمعناهم. ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا
يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الآخرة اي جمعنا الخلائق بعدما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم
في صعيد واحد للحساب والجزاء. جمعا. اي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه. وعرضنا جهنم. اظهرناها. وابرزناها
يومئذ. اي يوم اذ جمعنا الخلائق كافة. للكافرين. منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها
تغيظا وزفيرا. عرضا. اي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل
الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة. الذين كانت اعينهم. وهم في الدنيا. في غطاء. كثيف و
غشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب. عن ذكري. عن الآيات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين
فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشاني او عن القرآن
الكريم. وكانوا. مع ذلك. لا يستطيعون. لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله
عليه وسلم. سمعا. استماعا لذكري وكلامي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا
تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار والموصول
نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض
جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات واعراضهم عنها

مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به في الآخرة. أفحسب الذين كفروا. اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله
تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع
واستقباحه كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله أأضرب ابي والفاء للعطف على مقدر
يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله
تعالى افلا تعقلون منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي تسمعون
فلا تعقلون والمعنى اكفروا بي مع جلالة شاني فحسبوا. ان يتخذوا عبادي من دوني. من الملائكة وعيسى
وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي. اولياء. معبودين ينصرونهم من باسي وما قيل انها
للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت اعينهم وكانوا لا يستطيعون دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامي و
التصام وادخل عليهما همزة الانكار ذما على ذم وقطعا لعرق الحسبان المعطوف عليها لفظا لا معنى للايذان
بالاستقلال المؤكد للذم يأباه ترك الاضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامي والتصام على انهما
اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكرا من حيث انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن
تفريعه عليهما وايضا فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص
الانكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز صلة ان ساد مسد مفعولي حسب كما في
قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة اي افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ
في شيء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت
ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف اي افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان في
هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة وقرئ أفحسب الذين كفروا اي امحسبهم وكافيهم
ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى
الفعل في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى انكار الوقوع. انا اعتدنا جهنم. اي هيأناها. للكافرين. المعهودين
عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل. نزلا.
اي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل اي الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة
لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتاد العتاد. واعداد الزاد
ليوم الميعاد. فكأنه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفي
ايراد النزل ايماء الى ان لهم وراء جهنم من العذاب ما هو انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك
فسره ابن عباس رضي الله عنهما بالمثوى. قل هل ننبئكم. الخطاب للكفرة على وجه التوبيخ
والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر وللايذان بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا. بالاخسرين
اعمالا. نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال

الجنة في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غب بيان
حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم . الذين ضل سعيهم في اقامة
تلك الاعمال اي ضاع وبطل بالكلية . في الحيوة الدنيا . متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان
سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابي وقاص ومجاهد ويدخل في
الاعمال حينئذ ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهابنة الذين يحبسون انفسهم في
الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف لانه جواب السؤال كانه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين
او بدل منه او منصوبا على الذم على ان الجواب على ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الآية يأباه ان صدره ليس
منبئا عن خسران الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها
لكنه ساكت عن انباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا
على ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال راسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر بقضية نون العظمة
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللايق وهو حسنها الوصفي
المستلزم لحسنها الذاتي اي يحسبون انهم يعملون ذلك على الوجه اللايق وذلك لاعجابهم باعمالهم
التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل اي بطل سعيهم المذكور والحال
انهم يحسبون انهم محسنون في ذلك وينتفعون باثاره او من المضاف اليه لكونه في محل الرفع نحو قوله
تعالى اليه مرجعكم جميعا اي بطل سعيهم والحال انهم الخ والفرق بينهما ان المقارن لحالهم حسبانهم المذكور
في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والاول ادخل في بيان خطائهم . اولئك . كلام
مستانف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم
وتعيينهم بحيث ينطبق على المخاطبين غير داخل تحت الامر اي اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي
مع الحسبان المزبور . الذين كفروا بايات ربهم . بدلايله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض
لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور . ولقائه . بالبعث وما يتبعه من الامور الاخرة
على ما هي عليه . فحبطت . لذلك . اعمالهم . المعهودة حبوطا كليا . فلا نقيم لهم . اي لاولئك
الموصوفين بما مر من حبوط الاعمال وقوى بالفاء . يوم القيمة وزنا . اي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا
واعتبارا لان مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب
حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن
اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي
ليترتب عليه التكفير وعدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب

الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا . ذلك . بيان لمآل كفرهم وساير معاصيهم اثر بيان
مآل اعمالهم المحبطة بذلك اي الامر ذلك وقوله عز وجل . جزاؤهم جهنم . جملة مبينة له او ذلك مبتدا
والجملة خبره والعايد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم
عطف بيان للخبر . بما كفروا . تصريح بان ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لساير القبايح التي انبا عنها
قوله تعالى . واتخذوا آياتي ورسلي هزوا . اي مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات
والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا . ان الذين امنوا . بيان بطريق الوعد لمآل
الذين اتصفوا باضداد ما اتصفت به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد اي آمنوا
بايات ربهم ولقائه . وعملوا الصالحات . من الاعمال . كانت لهم . فيما سبق من حكم الله
تعالى ووعده وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرافة الازلية بخلاف ما مر من
جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم . جنات الفردوس . عن
مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك
هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة
من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب
عليه ان يكون من العنب وعن كعب انه ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين
مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فان سالتم الله تعالى فاسالوه الفردوس
فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة . نزلا . خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على
انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل
بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا
مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها عند ما اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة
وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر . خالدين فيها . نصب على الحالية . لا يبغون عنها حولا . تحولا
كالعود والصغر اي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور ان يكون شيء اعز عندهم وارفع منها
حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود والجملة حال
من صاحب خالدين او من ضميره فيه فيكون حالا متداخلة . قل لو كان البحر . اي جنس البحر . مدادا
وهو ما تمد به الدواة من الحبر . لكلمات ربي . لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من
الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك . لنفد البحر . مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه

س

قبل ان تنفد . وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد . كلمات ربى . لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على
نفادها بعد نفاد البحر وفى اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم فى
الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات فى موضع الاضمار
لزيادة التقرير . ولو جئنا . كلام من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن جئ به لتحقيق مضمونه
وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتاكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستانفة المقابلة
لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اى لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ
بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة . بمثله مددا . عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه
بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهى
الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا . قل . لهم بعد ما بينت لهم شان
كلماته تعالى . انما انا بشر مثلكم . لا ادعى الاحاطة بكلماته التامة . يوحى الى . من تلك الكلمات . انما
الهكم اله واحد . لا شريك له فى الخلق ولا فى سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان
يرجو لقاء ربه . الرجاء توقع وصول الخير فى المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضى
على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اى فمن استمر
على رجاء كرامته تعالى . فليعمل . لتحصيل تلك الطلبة العزيزة . عملا صالحا . فى نفسه لائقا بذلك المرجو
كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات . ولا يشرك بعبادة ربه احدا . اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا
بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار وضع المظهر
موضع المضمر فى الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان
للامر والنهى ووجوب الامتثال فعلا وتركا روى ان جندب بن زهير رضى الله عنه قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم انى لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرنى فقال عليه السلام ان الله لا يقبل ما
شورك فيه فنزلت تصديقا له وروى انه عليه الصلوة والسلام قال له لك اجران اجر السر و
اجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه الصلوة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قيل
وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها
كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه الصلوة
من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الخ كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون
عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور
ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ . الحمد لله تعالى وسبحانه على نعمه الظاهرة ولطفه الباهرة

سورة مريم

كهيعص . بامالة الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمهما وباخفاء النون قبل
الصاد لتقاربهما وقد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ
بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء للسور او مسرودة على نمط التعديد
وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا فى باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف
عليها جريا على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما فى المخرج فان جعلت اسما للسورة على
ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع اما على انه خبر لمبتدا محذوف والتقدير هذا كهيعص اى مسمى به وانما
صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار فى حكم الحاضر
المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او على انه مبتدا خبره . ذكر رحمة ربك . اى المسمى به ذكر رحمة الخ
فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هى عليه جعلت كانها ان يكون معلوم
الانتساب اليه عند المخاطب اولا علم بالتسمية من قبل فحقه الاخبار بها كما فى الوجه الاول وان جعلت
مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدا محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد
الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الخ او اسم اشارة
اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها اى هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدا قد
حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضى من التذكير اى هذا
المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان تنزيل السورة عليه عليه السلام تكميل له عليه
السلام وقوله تعالى . عبده . مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف اليها وقيل للذكر
على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرنى
معروف فلان اى بلغنى وقوله عز وعلا . زكريا . بدل منه او عطف بيان له . اذ نادى ربه نداء
خفيا . ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله اتساعا لا على الوجه الاول لفساد المعنى
وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما فى قوله واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عليه السلام
حسن الادب فى اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل فى الاخلاص وابعد من
الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادى لا يليق تعاطيها
فى اوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف
الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل
ثمانين وقيل اكثر منها كما مر فى تفسير سورة آل عمران . قال . جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب

رب انى وهن العظم منى . اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعام الجسد فاذا اصابه الضعف
والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها تأثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن
وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومنى متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ
وهن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتأكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها . واشتعل الراس شيبا .
شبه عليه السلام الشيب في البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه
كل مأخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج
التمييز واطلق الراس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل
اشتعل شيب رأسى فاسند الاشتعال الى الراس لما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة
الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل
ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين . ولم اكن بدعائك رب شقيا . اى ولم اكن بدعائى
اياك خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لى والجملة معطوفة على ما قبلها
او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل رأسى شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة
عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعى الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى
بعد ما عوّد عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض
في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد
ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته . وانى خفت الموالى . عطف على
قوله تعالى انى وهن مترتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادى خوفه عليه السلام من يلى
امره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا شرار بنى اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته من امته ويبدلوا عليهم
دينهم وقوله تعالى . من ورائى . اى بعد موتى متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اى فعل الموالى من بعدى او جور
الموالى وقد قرئ كذلك او بما في الموالى من معنى الولاية اى خفت الذين يلون الامر من ورائى لا بخفت لفساد المعنى
وقرئ وراى بالقصر وفتح اليا وقرئ خفت الموالى من ورائى اى قلّوا او عجزوا عن القيام بامور الدين
بعدى او خفت الموالى القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اى ارتحلوا
مسرعين اى درجوا قدامى ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت . وكانت امرأتى
عاقرا . اى لا تلد من حين شبابها . فهب لى من لدنك . كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما
فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثانى بمحذوف
وقع حالا من المفعول ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر

تفصيله في اوائل سورة آل عمران اى اعطنى من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق
الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية . وليا . اى ولدا من صلبى وتأخيره عن الجارين لاظهار
كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم
اذا أخّر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما
بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل او توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم
الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة
موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه
الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته
عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم
ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء
بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية . وقوله تعالى يرثنى . صفة لوليا وقرئ
هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اى يرثنى من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام
لا يورثون المال قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وقيل يرثنى الحبورة وكان عليه
السلام حبرا . ويرث من آل يعقوب . يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول
اليه امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اى ويرث
منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقال الكلبى ومقاتل هو يعقوب بن
ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبى كان بنو
ماثان رؤوس بنى اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته
ويرث من بنى ماثان ملكهم وقرئ يرثنى وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ
او يرث آل يعقوب بالتصغير ففيه ايماء الى وراثته عليه السلام لما يرثه في حالة صغره وقرئ
وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثنى على طريقة التجريد اى يرثنى به وارث وقيل من للتبعيض اذ
لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام نبيا ولا عالما . واجعله رب رضيا . مرضيا عندك قولا وفعلا
وتوسيط رب بين مفعولى الجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه . يا زكريا . على ارادة
القول اى قال تعالى يا زكريا . انا نبشرك بغلام اسمه يحيى . لكن لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك
بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكى له عليه السلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى
قل يا عبادى الذين اسرفوا الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام
ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى بل بعضا حسبما تقتضيه

المشتملة على الآثار المنبئة على الحكم البالغة فإن الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا مستجابي الدعوة لكنهم
ليسوا كذلك في جميع الدعوات ألا يرى إلى دعوة إبراهيم عليه السلام في حق أبيه وإلى دعوة النبي صلى
الله عليه وسلم حيث قال وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا
أن يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الأول دون الثاني حيث قتل قبل موت أبيه عليهما
السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا إشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه السلام تأكيد للوعد و
تشريف له عليه السلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا أي شريكا
له في الاسم حيث لم يتسم أحد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فإن التسمية بالأسامي البديعة
الممتازة عن أسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل والكمال كما في
قوله تعالى هل تعلم له سميا فإن المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه السلام
مثل في أنه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وأنه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصورا
فيكون هذا إجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من
الصالحين والأظهر أنه اسم أعجمي وإن كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لأنه حيي به
رحم أمه أو حيي دين الله تعالى بدعوته. قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال عليه السلام ح
فقيل قال رب ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى إليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع
والمناجاة والجد في التبتل إليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم أن علمه تعالى بما يصدر
عنه متوقف على توسطه كما أن علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة الأوقات. أنى
يكون لي غلام كلمة أنى بمعنى كيف أو من أين كان إما تامة وأنى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل
لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر أي كيف أو من أين يحدث لي غلام ويجوز أن تتعلق اللام
بمحذوف وقع حالا من غلام إذ لو تأخر لكان صفة له أي أنى يحدث كائنا لي غلام أو ناقصة اسمها ظاهر
وخبرها إما أنى ولي متعلق بمحذوف كما مر أو هو الخبر وأنى نصب على الظرفية وقوله تعالى وكانت امرأتي عاقرا
حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا حال منه مؤكدة للاستبعاد إثر
تأكيد أي كانت امرأتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت أنا من أجل
كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل والعظام وبلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو
وأصله عتوو كقعود فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الأولى ياء لسكونها
وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية أيضا لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون وكسرت العين
إتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداءة هنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما أنه
قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه وإنما المذكور هنا بلوغه أقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل وأما هنالك فلم

يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما أن المسارعة إلى بيان قصور شأنه أنسب وإنما
قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته للشواهد
المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه
في ذلك بإظهار أنه من محض لطف الله عز وعلا وفضله مع كونه في نفسه من الأمور المستحيلة عادة لا استبعادا
له وقيل إنما قاله ليجاب بما أجيب فيزداد المؤمنون إيقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه السلام
استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة
ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد. قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف والكاف
في قوله تعالى كذلك قال ربك مقحمة كما في مثلك لا يبخل محلها إما النصب على أنه مصدر تشبيهي لقال
الثاني وذلك إشارة إلى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا إلى قول آخر شبه هذا به وقد مر
تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وقوله تعالى هو علي هين جملة مقررة للوعد المذكور
دالة على إنجازه داخلة في حيز قال الأول كأنه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت أي
مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وإن كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو علي
هين فالجملة ح حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه أو اعتراض وعلى كل حال فهي مؤكدة
ومقررة لما قبلها ثم أخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة
وإدخال الروعة كقول الخلفاء أمير المؤمنين يرسم لك مكان أنا أرسم ثم أسند إلى الرب المضاف إلى ضميره
عليه السلام تشريفا له وإشعارا بعلة الحكم فإن تذكير جريان أحكام ربوبيته تعالى عليه عليه السلام من إيجاده
من العدم وتصريفه في أطوار الخلق من حال إلى حال شيئا فشيئا إلى أن يبلغ كماله اللائق به مما يقلع أساس
استبعاده عليه السلام لحصول الموعود ويورثه عليه السلام الاطمئنان بإنجازه لا محالة ثم التفت من
ضمير الغائب العائد إلى الرب إلى ياء العظمة إيذانا بأن مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته
تعالى له عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك إشارة إلى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على
طريقة قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة
بالواو لأنها لا تدخل بين المفسر والمفسر وأما الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف فذلك إشارة إلى ما تقدم
من وعده تعالى أي قال عز وعلا الأمر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك ح استئناف
مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الأولى أو حال من المستكن في الجار والمجرور وأيا ما
كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام في إسناد القول إلى الرب ثم الالتفات
إلى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك إشارة إلى ما قاله زكريا عليه السلام أي قال تعالى الأمر كما قلت تصديقا
له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك ح استئناف مسوق لإزالة

استبعاده بعد تقريره اى قال تعالى هو مع بعده فى نفسه على هين وفى القراءة الثانية ادخل فى افادة هذا المعنى
على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فمخل بسداد المعنى لان مآله تقرير صعوبته فى نفسه وقوله تعالى وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيئا جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم
المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه السلام وهو المخلوق من العدم
حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته فى ازالة الاستبعاد بقياس
حال ما بشر به على حاله عليه السلام لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من
افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت
انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان ابداعه
عليه السلام على ذلك الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط
السارى الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور
اليه وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان
يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين فى قوله تعالى ولقد
خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكانه قيل وقد خلقتك من قبل فى تضاعيف خلق آدم ولم تك
اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا فهذا وانما حمل الشئ على المعتد به اى ولم يك شيئا معتدا به
فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك قال رب اجعل لى آية اى علامة تدلنى على تحقق المسؤول
ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب
الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفى لا
يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان يظهر
ظهورا معتادا ولقد مرت الاشارة فى تفسير سورة آل عمران الى ان هذا السؤال ينبغى ان يكون بعدما مضى بعد
البشارة برهة من الزمان لما روى ان يحيى كان اكبر من عيسى عليه السلام بستة اشهر او بثلث سنين ولا
ريب فى ان دعاء زكريا عليه السلام كان فى صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهى انما ولدت عيسى عليه
السلام وهى بنت عشر سنين او بنت ثلث عشرة سنة والجعل ابداعى واللام متعلقة به وتقديمها على
المفعول لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان
صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعى لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون
آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ
قال آيتك ان لا تكلم الناس اى ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر
والتسبيح ثلاث ليال مع ايامهن للتصريح بها فى سورة آل عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد

لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اى تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوى الخلق
سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس فخرج على قومه من المحراب اى من المصلى او من الغرفة وكانوا
من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه
وقالوا مالك فاوحى اليهم اى اومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض ان فى قوله تعالى ان سبحوا
اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اى صلوا او بان صلوا بكرة وعشيا هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابى
العالية ان المراد بهما صلوة الفجر وصلوة العصر او نزهوا ربكم طرفى النهار ولعله كان امروا بان يسبحوا شكرا وامر
قومه بذلك يا يحيى استئناف طوى قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اى قلنا يا يحيى
خذ الكتاب اى التورية بقوة اى بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس
رضى الله عنهما الحكم النبوة استنبأه وهو ابن ثلث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التورية والفقه فى الدين روى انه
انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن و
الاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اى وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة فى قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما وزكوة اى طهارة
من الذنوب او صدقة تصدق الله به على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا
عن المعاصى وبرا بوالديه عطف على تقيا اى بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا متكبرا
عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام عليه من الله عز وجل يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بنى
آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من هول القيمة وعذاب النار واذكر فى
الكتاب كلام مستأنف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وامر بذكر قصة مريم اثر ذكر زكريا لما بينهما من كمال
الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هى التى صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها
وقصص الانبياء المذكورين فيها اى واذكر للناس فيها مريم اى نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى
اذ انتبذت ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المأمور به ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه
وحكى بعده بطريق الاستئناف داخل فى حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها نبأها وبما
فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كما فى قولك
اكرمتك اذ لم تكرمنى اى لان لم تكرمنى فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى من اهلها متعلق بانتبذت و
قوله مكانا شرقيا مفعول له باعتبار ما فى ضمنه من معنى الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل
فى الجار والمجرور وهو السر فى تأخيره عنه اى اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس
او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشئ
يسترها وذلك قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى

بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي مغتسلة اتاها الملك في صورة آدمي شاب امرد
وضيء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا اي جبريل عليه السلام عبر عنه بذلك
توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى
فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من
حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك
لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت
منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته للمقام
بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى قالت اني اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل
بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم
كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف
ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة
التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب
الشرط محذوف ثقة بدلالة السباق عليه اي فاني عائذة به او فتتعظ بتعوذي او فلا تتعرض لي قال
انما انا رسول ربك يريد عليه السلام اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول
ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان
يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفي بعض
المصاحف امرني ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من
سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام كما وصفت ولم يمسسني
بشر اي والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي
الولادة ولم اك بغيا عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس
عبارة عن المباشرة بالنكاح اي ولم اكن فاجرة تبغي الرجال وهي فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوي فادغمت
الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت الغين للياء وقيل هي فعيل بمعنى فاعل والا لقيل بغو كما يقال فلان نهو
عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اي يبغيها الرجال للفجور بها
قال اي الملك تقريرا لمقالته وتحقيقا لها كذلك اي الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك هو
استئناف مقرر له اي قال ربك ارسلني اليك هو اي ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك
بشر اصلا علي خاصة هين وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط

وقوله تعالى ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون
به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الخ والواو على الاول
اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته
ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلي وقدر وسطر في اللوح
لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عليه السلام
في درعها فدخلت النفخة في جوفها قيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل
الريح اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع
لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاث ساعات كما حملته وضعته وسنها حينئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين
وقد حاضت حيضتين فانتبذت به اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم والترابا
فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي فانتبذت ملتبسة به مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى
الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اي فالجأها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كآتى
في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به
وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء
والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها
من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت
بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا اي هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت
وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا
من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد
الامر عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة ولم اكن شيئا وعن بلال انه قال
ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا اي شيئا تافها شأنه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل
هما لغتان فيه كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول
مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسأ كعصا منسيا
لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا له بالسين فناداها اي جبريل عليه السلام من
تحتها قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اي من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها
عيسى عليه السلام وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم ان لا تحزني اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان
لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها الجار قد جعل ربك تحتك اي بمكان اسفل منك وقيل تحت
امرك ان امرته بالجري جرى وان امرته بالامساك امسك سريا اي نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ان

عباس رضى الله عنهما ان جبريل عليه السلام ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى
عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة
يابسة لا رأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله تعالى لها اذ ذاك راسا وخوصا وثمرا
وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا اى
سيدا نبيلا رفيع الشان جليلا وهو عيسى عليه السلام فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهى
عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتأكيد التعليل وتكميل التسلية • وهزى •
هز الشئ تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله
تعالى • اليك • اى الى جهتك • والباء فى قوله عز وعلا • بجذع النخلة • صلة للتأكيد كما فى قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة قال الفراء تقول العرب هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام او لالصاق الفعل بمدخولها اى
افعلى الهز به او هزى الثمرة به وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز اى هزى اليك
الرطب كائنا بجذعها • تساقط • اى تسقط النخلة • عليك • اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تتساقط
ويسقط من الاسقاط بالياء والتاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية وتساقط بادغامها
فى السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على ان التاء للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى
رطبا • على القراءات الثلاث الاول مفعول وعلى الست البواقى تمييز وقوله تعالى • جنيا • صفة له وهو ما قطع قبل
يبسه فعيل بمعنى مفعول اى رطبا مجنيا اى صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اى طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم
للاتباع • فكلى واشربى • اى من ذلك الرطب وماء السرى او من الرطب وعصيره • وقرى عينا • وطيبى نفسا
وارفضى عنها ما احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج فى صدور المتقيدين بالاحكام العادية
بان اظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة
امرك وقرئ وقرى بكسر القاف وهى لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه
من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنة
العين للمحبوب والمكروه • فاما ترين من البشر احدا • اى آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت
بالحج لما بين الهمزة والياء من التآخى • فقولى • له ان استنطقك • انى نذرت للرحمن صوما • اى صمتا
وقد قرئ كذلك او صياما وكان صيامهم بالسكوت • فلن اكلم اليوم انسيا • اى بعد ان اخبرتكم بنذرى
وانما اكلم الملائكة واناجى ربى وقيل أمرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب تسمى
كل ما وصل الى الانسان كلاما باى طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا أكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امر
بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه نص قاطع فى قطع
• فاتت به قومها • اى جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عند ما طهرت من نفاسها • تحمله • اى حاملة له • قالوا •

مؤنبة لها • يا مريم لقد جئت • اى فعلت • شيئا فريا • اى عظيما بديعا منكرا من فرى الجلد اى قطعه او
جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشئ تحقيقا للاستغراب • يا اخت هرون • استيناف لتجديد التعيير وتأكيد
التوبيخ عنوا به هرون النبى عليه السلام وكانت من اعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله
وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان فى زمانهم شبهوها به ان كنت عندنا مثله فى الصلاح
او شتموها به • ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا • تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على ان ارتكاب
الفواحش من اولاد الصالحين افحش • فاشارت اليه • اى الى عيسى عليه السلام ان كلموه والظاهر
انها بينت حينئذ نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المأمور به بيان نذرها
بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به • قالوا • منكرين لجوابها • كيف نكلم من كان فى المهد صبيا •
ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لايقاع مضمون الجملة فى زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو
ههنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هى زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة
او دائمة كما فى قوله تعالى وكان الله عليما حكيما • قال • استيناف مبنى على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كانه قيل
فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه الصلوة والسلام • انى عبد الله • انطقه الله عز وجل بذلك آثر
ذى اثر تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدى رضى
الله عنه لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت وروى انه عليه الصلوة والسلام
كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته فقال ما قال
وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان • آتانى الكتاب • اى الانجيل • وجعلنى نبيا •
وجعلنى • مع ذلك • مباركا • نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى فى الافعال الثلاثة اما باعتبار ما سبق فى
القضاء المحتوم او بجعل ما فى شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل اكمله الله عقلا واستنبأه طفلا • اينما كنت •
اى حيثما كنت • واوصانى بالصلوة • اى امرنى بها امرا مؤكدا • والزكوة • زكوة المال ان ملكته او تطهير
النفس عن الرذائل • ما دمت حيا • فى الدنيا • وبرا بوالدتى • عطف على مباركا اى جعلنى برا بها وقرئ
بالكسر على انه مصدر وصف به مبالغة او منصوب بفعل مضمر دل عليه اوصانى اى وكلفنى برا ويؤيده القراءة
بالكسر والجر عطفا على الصلوة والزكوة والتنكير للتفخيم • ولم يجعلنى جبارا شقيا • عند الله تعالى لفرط تكبره
والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا • كما هو على يحيى على ان التعريف للعهد والاظهر انه
للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما فى
قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى • ذلك • اشارة الى
من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك
المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس • عيسى بن مريم • لا ما يصفه النصارى وهو

تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه. قول الحق بالنصب
على انه مصدر مؤكد لقال اني عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى بن مريم اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان
والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدل او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال
الحق وقول الحق فان القول والقول في معنى واحد. الذي فيه يمترون. اي يشكون او يتنازعون فيقول
اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ بتاء الخطاب. ما كان لله. اي ما صح وما استقام له
تعالى. ان يتخذ من ولد سبحانه. تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه. وقوله تعالى. اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون. تبكيت لهم ببيان ان شانه تعالى اذا قضى امرا من الامور ان يتعلق به ارادته
فيكون حينئذ بلا تاخير فمن هذا شانه كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب. وقوله تعالى
وان الله ربي وربكم فاعبدوه. من تمام كلام عيسى عليه السلام قيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل
تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله
تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف على الصلوة. هذا. اي الذي ذكرته من التوحيد
صراط مستقيم. لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى. فاختلف الاحزاب من بينهم. لترتيب ما بعدها على
ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه
السلام مع كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والافراط
او فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه. فويل للذين كفروا. وهم المختلفون عبر
عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم. من مشهد يوم عظيم. اي من شهود يوم عظيم
الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيمة او من وقت شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم
عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء عليهم السلام والسنتهم وآذانهم وايديهم وارجلهم وسائر
آرائهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه. اسمع بهم وابصر
تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم وابصارهم. يوم يأتوننا. للحساب والجزاء
اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا في الدنيا صما عميا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ
وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موقع الرفع
وعلى الثاني في حيز النصب. لكن الظالمون اليوم. اي في الدنيا. في ضلال مبين. لا يدرك غايته حيث
اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم
وانذرهم يوم الحسرة. اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسئ فعلى اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضى

الامر. اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك
فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا اهل الجنة خلود
فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم
الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف. وهم في غفلة
اي عما يفعل بهم في الآخرة. وهم لا يؤمنون. وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال
مبين اي مستقرون في ذلك في تلك الحالين وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اي انذرهم
غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل. انا نحن نرث الارض ومن عليها. لا يبقى لاحد
غيرنا عليها وعليهم ملك وملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه. والينا
يرجعون. اي يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا او اشتراكا. واذكر. عطف على انذرهم. في
الكتاب. اي في السورة او في القرآن. ابرهيم. اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى
واتل عليهم نبأ ابرهيم فانهم ينتمون اليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح
انه كان صديقا. ملازما للصدق في كل ما ياتي ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى
وآياته وكتبه ورسله والجملة استيناف سيق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من دواعي
ذكره. نبيا. خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الآية اي كان جامعا
بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق
اذ قال. بدل اشتمال من ابرهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا اي كان جامعا بين الاثرين حين قال. لابيه. آزر متلطفا
في الدعوة مستميلا له. يا ابت. اي يا ابي فان التاء عوض من ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد
قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء. لم تعبد ما لا يسمع. ثناءك عليه عند عبادتك له وجؤارك اليه
ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك
ما ذكر دخولا اوليا. ولا يغني. اي لا يقدر على ان يغني. عنك شيئا. في جلب نفع او دفع ضر ولقد
سلك عليه السلام في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق
جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته
لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم
مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه
على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشئ لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على
النفع والضر مطيعا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف

الخلايق لما يراد منه في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع من حجر او شجر ليس له من
اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهي
مستقلا بالنظر السوي مصدرا الدعوة بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال • يا ابت اني قد جاءني
من العلم ما لم يأتك • ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك
بل ابرز نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال
فاتبعني اهدك صراطا سويا • اي مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي الى مهاوي
الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة
مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر به فقال • يا ابت لا تعبد الشيطان • فان
عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله • ان الشيطان كان للرحمن عصيا
تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع
للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موقع الاضمار • لزيادة التقرير
والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام وذريته
فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله • يا
ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن • تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه
بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل
ما غرك بربك الكريم • فتكون للشيطان وليا • اي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء
بامره • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل فماذا قال ابوه عندما سمع منه عليه السلام
هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده • اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم • اي معرض
ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كان الرغبة عنها مما لا يصدر عن
العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله تعالى • لئن لم تنته لارجمنك • تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة
والتذكير اي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان • واهجرني • اي
فاحذرني واتركني • مليا • اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به • قال • استئناف كما سلف • سلام
عليك • توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك
ولكن • سأستغفر لك ربي • اي استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به
تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على
الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ونقلا

واما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى الى انه عليه السلام
قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين الآية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابراهيم عليه السلام وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب
عليهما من قوله تعالى واغفر لابي الآية انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى
فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى
الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن لا لان ذلك كان قبل ورود النهي او لموعدة
وعدها اياه كما قيل لما ان النهي انما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام
قبل التبين فلم يتناوله النهي اصلا وان الوعد بالمحظور لا يرفع حظره بل لان المراد بما يؤتسى به ما يجب
الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان
للكافر المرجو ايمانه لا استحالته وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه احد من العقلاء واما
عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس
الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر
دون ما وقع ههنا لورودها على نهج التأكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على
على تبين الامر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى • انه كان بي حفيا • اي بليغا في البر
والالطاف تعليل لمضمون ما قبله • واعتزلكم • اي اتباعد عنك وعن قومك • وما تدعون من دون الله
بالمهاجرة بديني حيث لم يؤثر فيكم نصائحي • وادعو ربي • اعبده وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور
في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يقتضيه
السباق والسياق • عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا • اي خائبا ضائع السعي وفيه تعريض بشقائهم في
عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من
ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب
المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى • فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله • بالمهاجرة الى الشام • وهبنا له اسحق
ويعقوب • بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور ان الموهوب حينئذ
اسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب
هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما
شجرتا الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شأن خطير وذوو عدد كثير هذا وقد روي انه عليه الصلوة والسلام
لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب

الاظهر. وكلا اي كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى جعلنا نبيا. قدم عليه للتخصيص لكن لا
بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض. ووهبنا
لهم من رحمتنا. هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد
وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احد
من العالمين. وجعلنا لهم لسان صدق عليا. يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان
صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه
بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول
الملل والنحل. واذكر في الكتاب موسى. قدم ذكره على ذكر اسمعيل لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليهم السلام
انه كان مخلصا. موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ
مخلَصا على ان الله تعالى اخلصه. وكان رسولا نبيا. ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا
مع كونه اخص واعلى. وناديناه من جانب الطور الايمن. الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب
اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه
تمثل له الكلام من تلك الجهة. وقربناه نجيا. تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك
لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه وقيل مرتفعا لما
روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم. ووهبنا له من رحمتنا. اي من اجل رحمتنا ورأفتنا او
بعض رحمتنا. اخاه. اي معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون
اخي لا نفسه لانه كان اكبر منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى
هرون. عطف بيان له وقوله تعالى نبيا. حال منه. واذكر في الكتاب اسمعيل. فصل ذكره عن ذكر
ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى. انه كان صادق الوعد. تعليل لموجب
الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني
ان شاء الله صابرا فوفى. وكان رسولا نبيا. فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان
اولاد ابرهيم عليهم السلام كانوا على شريعته. وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة. اشتغالا بالاهم
وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر
اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل
اهله امته فان الانبياء عليهم السلام آباء الامم. وكان عند ربه مرضيا. لاتصافه بالنعوت الجليلة
التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة. واذكر في الكتاب ادريس. وهو سبط شيث وجد ابي نوح
فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهم السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم

لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روي انه تعالى انزل عليه
ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب. انه كان صديقا. ملازما للتصديق في
جميع احواله. نبيا. خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا. ورفعناه مكانا عليا. هو شرف
النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل
الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روي عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار ذات يوم في
حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني قد مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة
خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف
فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته فقال رب
اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الى السماء. اولئك. اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى. الذين انعم الله عليهم
صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى. من النبيين. بيان للموصول
وقوله تعالى. من ذرية آدم. بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم
من الانبياء واخص من الذرية. وممن حملنا مع نوح. اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم من عدا
ادريس عليه السلام فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح. ومن ذرية ابرهيم. وهم الباقون. واسرائيل
عطف على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد
البنات من الذرية. وممن هدينا واجتبينا. اي ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة
وقوله تعالى. اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا. خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا
استئنافا مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف
النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع
الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر للمجانسة
للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التأنيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد
في سجدته بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين
عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة
يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك. فخلف
من بعدهم خلف. يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء
بعدهم عقب سوء. اضاعوا الصلوة. وقرئ الصلوات اي تركوها او اخروها عن وقتها. واتبعوا

الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون المعاصي وعن علي رضي
الله تعالى عنه هم من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اى شرا فان كل
شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اى جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ
منه اوديتها وقوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في حق الكفرة فاولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا اى فاولئك المنعوتون بالتوبة
والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ولا يظلمون
شيئا اى لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق
لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض
او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هي او تلك جنات الخ او مبتدأ خبره التي وعد الخ وقرئ
جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلام
لمعاني الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى لذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا
ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى التي وعد الرحمن
عباده وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف
والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى بالغيب
متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنات او من عباده اى وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب اى غائبة
عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اى وعدها اياهم
بسبب ايمانهم انه كان وعده اى موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت
هي مثابة يرجع اليها قيل مأتيا اى يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا اى مفعولا
منجزا من اتى اليه احسانا اى فعله لا يسمعون فيها لغوا اى فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو
عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع اى لكن
يسمعون تسليم الملائكة عليهم وتسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اى لا يسمعون لغوا ما الا
سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا
وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل
المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشي تلك الجنة مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شان الجنة وتعيين
اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التي نورث اى نورثها من

عبادنا

عبادنا من كان تقيا اى نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة
اقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال
وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ
نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله عليهما السلام
لما سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه
اربعين يوما او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان
ذلك وانزل الله عز وجل هذه الآية وسورة الضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع التنزيل وقد يطلق على
مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الانزال والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته
وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة
ولا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا اى تاركا
لك يعني ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما
زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا الى ضميره عليه السلام من
تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم
بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها
سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم
من جهة الله تعالى اى وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب السموات
والارض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف
يتصور ان يحوم حول ساحته سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى
فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات و
الارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى فحين عرفته
تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه او حين
عرفت انه تعالى لا ينساك ولا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن
بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام
لا بحرف الاستعلاء كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد
والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اى اثبت له فيما يورد عليك من شداته هل تعلم له سميا السمي هو الشريك
في الاسم والظاهر ان يراد به هنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما
بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه وآكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية

ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استحالة عز وجل بذلك كلام واقعا
اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في
المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الآلهة والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى
هل تعلم شيئا يسمى بالاستحقاق آلها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة
ح باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر. ويقول الانسان. المراد به اما الجنس
باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل
واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتتها فقال يزعم محمد
انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد. أئذا ما مت لسوف
اخرج حيا. اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون
ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هنا مخلصة
للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال
وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر. اولا يذكر الانسان. من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار
في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شؤون التكوين
المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار
التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر. انا خلقناه من
قبل. اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه. ولم يك شيئا. اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا
فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة
وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر
على الاصل. فوربك. اقسامه باسمه عزت اسماؤه مضافا الى ضميره عليه السلام لتحقيق الامر بالاشعار بعليته
وتفخيم شانه عليه السلام ورفع منزلته. لنحشرنهم. لنجمعن القائلين بالسوق الى المحشر بعد ما اخرجناهم من الارض
احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان
ما بعد ذلك من الاهوال. والشياطين. معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون
مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ
نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة
القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده. ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا. ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه
فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم
الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو بواوين كما استثقل اجتماعهما

بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء
وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها
وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم من
هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون
كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم
يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة. ثم لننزعن
من كل شيعة. اي من كل امة شايعت دينا من الاديان. ايهم اشد على الرحمن عتيا. اي من كان منهم اعصى واعتى
فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة
فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل
كلا منهم طبقتها اللائقة به. وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل
وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ
منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين
يقال لهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل
شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق
بمحذوف كان سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى. ثم لنحن اعلم
بالذين هم اولى بها صليا. اي هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم
عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كالعتي صيغة واعلالا وقرئ بضمهما
الصاد. وان منكم. التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات
الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم اي ما منكم ايها الانسان. الا واردها. اي واصلها وحاضر دونها
يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة
الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله
تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها. كان
اي ورودهم اياها. على ربك حتما مقضيا. اي امرا محتوما اوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى انه لا بد من وقوعه
البتة وقيل اقسم عليه. ثم ننجي الذين اتقوا. الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه
الذي سلف فيساقون الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجى وينجي على البناء للمفعول وقرئ ثمة ننجي بفتح الثاء اي
هناك ننجيهم. ونذر الظالمين. بالكفر والمعاصي. فيها جثيا. منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان
المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيئاتهم وقوله تعالى

واذا تتلى عليهم . الآية الى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم اي واذا تتلى على المشركين . آياتنا . التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى . بينات . اي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات الاعجاز حال مؤكدة من آياتنا . قال الذين كفروا . اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحرث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى . للذين آمنوا . للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول اولى لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى . اي الفريقين . اي المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا اينا . خير . نحن او انتم . مقاما . اي مكانا وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة ومنزل . واحسن نديا . اي مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك ان خيريتهم حالا واحسنيتهم منالا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده اذ هو العيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورته هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والرأي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله . وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا . اي كثيرا من القرون التي كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما لبس منه ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الري وهو النعمة والترفه وقرئ ريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاء المعجمة من الزي وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة . قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا . لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل امر الفريقين اما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذة الفانية المبتهجين بها على ان من على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن في الضلالة لذمهم والاشعار بعلة الحكم اي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب

الامور

الامور فليمدد له الرحمن اي يمد له ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغي ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون . غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى . اما العذاب واما الساعة . تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فانه اما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى . فسيعلمون . جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اي حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي او الاخروي فقط فسيعلمون حينئذ . من هو شر مكانا . من الفريقين بان يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما . واضعف جندا . اي فئة وانصارا لا احسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك في الاندية والمحافل . ويزيد الله الذين اهتدوا هدى . كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر حسبما عرفته كأنه قيل من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات خير . على تقديري الاستئناف والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى . عند ربك . اي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه صلى الله عليه وسلم . ثوابا . اي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير اليه بقوله تعالى . وخير مردا . اي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيد لها وفي التفضيل مع ان ما للكفرة بمعزل من ان يكون له خير في

العاقبة تهكماً بهم. أفرأيت الذي كفر بآياتنا. اي بآياتنا التي من جملتها آيات البعث نزلت في العاص بن وائل
كان لخباب بن الارت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين تبعث
قال فاذا بعثت جئني فيكون لي ثمة مال وولد فاعطيك وفي رواية قال لا اكفر به حتى يميتك الله ثم تبعث فقال اني لميت
ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى اموت وابعث فأوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجيب
من حاله والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين ألم تر وأرأيت بعد
بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجيب بان الاول يتعلق بنفس المتعجب منه فيقال الم تر الى الذي صنع كذا بمعنى
انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يتعلق بمثل المتعجب منه فيقال أرأيت مثل الذي صنع كذا بمعنى انه من
الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وكأنه ذهب عليه قوله عز وجل أرأيت
الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها
ان يؤمن بها كل من يشاهدها. وقال. مستهزئا بها مصدرا للكلام باليمين الفاجرة والله. لأوتين. في الآخرة
مالا وولدا. اي انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة. هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم
وقد قيل ان أرأيت بمعنى أخبر والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك
الذين قالوا اي الفريقين خير مقاما الآية وانت خبير بان المشهور استعمال أرأيت في معنى اخبرني
بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ
ولدا على انه جمع ولد كأسد جمع اسد او على انه لغة فيه كالعرب والعرب. وقوله تعالى. أطلع الغيب
رد لكلمته الشنعاء واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجب منها اي اقد بلغ من عظمة الشأن
الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي استأثر به العليم الخبير حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا
واقسم عليه. ام اتخذ عند الرحمن عهدا. بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين
والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل
العمل الصالح فان وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله
كما ان كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى. كلا. ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على
خطائه. سنكتب ما يقول. اي سنظهر انا كتبنا قوله كقوله. اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة
اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فان نفس
الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فمبنى الاول
تنزيل اظهار الشيء الخفي منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز
فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤوس الاشهاد باحداثها ومدار الثاني
تسمية الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا. ونمد له من العذاب مدا

مكان

مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد اي نطول له من العذاب ما يستحقه او نزيد عذابه و
نضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه بآياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على
فرط الغضب. ونرثه. بموته. ما يقول. اي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتيه في الدنيا من المال
والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع عنه ما آتيناه. ويأتينا يوم القيامة
فردا. لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه ما زعم انه ينال في
الآخرة ونعطيه من يستحقه وما بمعنى الارث فقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى
انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وانت
خبير بان ذلك مبني على ان صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به راج
لوقوع مضمونه ولا ريب في ان ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وانما قاله بطريق الاستهزاء وتعليق
اداء دينه بالمحال. واتخذوا من دون الله آلهة. حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه
عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها لنقيض مضمونها اي اتخذوا الاصنام آلهة
متجاوزين الله تعالى. ليكونوا لهم عزا. اي ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل
وشفعاء عنده. كلا. ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به اطماعهم
الفارغة. سيكفرون بعبادتهم. اي ستجحد الآلهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول
ما عبدتمونا او سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله
ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى. ويكونون عليهم ضدا. على الاول تكون الآلهة التي كانوا
يرجون ان تكون لهم عزا ضدا للعز اي ذلا وهوانا او تكون عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث تجعل وقود
النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان
عون الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانته له عليه وعلى الثاني تكون الكفرة ضدا واعداء للآلهة كافرين
بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة المعنى الذي عليه يدور
مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يد على من سواهم وقرئ
كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله
اقلي اللوم عاذل والعتابن. وقولي ان اصبت لقد اصابن. او على معنى كل هذا الرأي كلا
وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون الخ. ألم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين. تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكته
عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادي
في الغي والانهماك في الضلال والافراط في العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف

تثبيتهم والاجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع
ذلك منهم باضلال الشياطين واغوائهم لا لان له مسوغا ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم
اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم
عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما
ينبئ عنه قوله تعالى • تؤزهم ازا • فانه اما حال مقدرة من الشياطين او استيناف وقع جوابا عما
نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزهم اي تغريهم وتهيجهم
على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الاز والهز والاستفزاز اخوات
معناها شدة الازعاج • فلا تعجل عليهم • اي بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن
آخرهم وتطهر الارض من فساداتهم والفاء للاشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى
النهي كما في قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة وقوله تعالى • انما نعد لهم
عدا • تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم اي لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس
نعدها عدا • يوم نحشر المتقين • منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق
العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة • كانه قيل
يوم نحشر المتقين اي نجمعهم • الى الرحمن • الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة • وفدا • وافدين
عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم • ونسوق المجرمين • كما تساق البهائم
الى جهنم وردا • عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء نفعل
بالفريقين من الافعال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الخ وقيل على الظرفية لقوله
تعالى • لا يملكون الشفاعة • والذي يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان ينتصب
باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استينافا مبينا لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله
وضميره عائد الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة
وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبني للفاعل و
على الثالث ينبغي ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله تعالى • الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا • على الاول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل والنصب على
اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى
او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل
الايمان والتقوى المؤدي الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف و

المستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اي لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ
العهد بالاسلام فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع
على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما • و
قالوا اتخذ الرحمن ولدا • حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملئكة بنات الله سبحانه
وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية جناية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله
تعالى • لقد جئتم شيئا ادا • رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط و
شدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالفتح
والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي اي فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر
قدره فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى • تكاد السموات • الخ صفة
لادا او استيناف ببيان عظم شانه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير • يتفطرن منه • يتشققن مرة
بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان تفعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع
فعل ولان اصل التفعل التكلف • وتنشق الارض وتخر الجبال • اي تسقط وتتهدم وقوله تعالى • هدا •
مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال اي تهد هدا او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لانه ح
بمعنى التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اي مهدودة
او مفعول له اي لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو
تصورت بصورة محسوسة لم تتحملها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها
في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها
ان دعوا للرحمن ولدا • منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور باضمارها اي تكاد السموات
يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور
في منه كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدأ محذوف اي الموجب لذلك ان دعوا الخ وقيل فاعل
هدا اي هدها دعاء الولد والاول اوجه ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول
كل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اي انتسب اليه وقوله تعالى • وما ينبغي
للرحمن ان يتخذ ولدا • حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا اتخذ الرحمن
ولدا او ان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع
الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو
مبدأ النعم ومولي اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح به قوله عز قائلا • ان كل من في السموات
والارض • اي ما منهم احد من الملئكة والثقلين • الا آتي الرحمن عبدا • الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية و

والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل . لقد احصاهم . اي احصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم
احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته . وعدهم عدا . اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شئ
عنده بمقدار . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا . اي كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع و
الانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل يأتيه
فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدا . ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات . لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين . سيجعل
لهم الرحمن ودا . اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان
والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله
عبدا يقول لجبريل عليه السلام احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب فلانا
فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة
فوعدهم ذلك ثم انجزه حين دجا الاسلام او لان الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد
فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيامة
من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن . فانما
يسرناه . اي القرآن . بلسانك . بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على او قيل ضمن التيسير معنى الانزال
اي يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد ايحاء السورة
الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك العربي المبين . لتبشر به المتقين . اي
الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهي . وتنذر به قوما لدا . لا يؤمنون به لجاجا وعنادا
واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى . وكم اهلكنا قبلهم من قرن . وعد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه السلام على الانذار
اي قرنا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى . هل تحس منهم من احد . استئناف مقرر لمضمون ما قبله
اي هل تشعر باحد منهم وترى . او تسمع لهم ركزا . اي صوتا خفيا واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز
الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى اهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث
لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي
عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من
دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

سورة طه

طه . فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه
وامالهما الباقون وهو من الفواتح التي يصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا
رجل وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند سعيد
على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عك
وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا
وما استشهد به من قول الشاعر . ان السفاهة طه في خلائقكم . لا قدس الله اخلاق الملاعين
ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طأ بصيغة الامر
من الوطئ فقلبت الهمزة في يطأ الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال . لا هناك المرتع . وها ضمير
الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه لما كان يقوم في
تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه كتابتهما على صورة الحرف كما تأبى التفسير بيا رجل
فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه على
ان اصله طأ فقلبت همزته هاء كما في امثال هرقت او قلبت الهمزة في يطأ الفا كما مر ثم بني منه الامر والحق
به هاء السكت واما على انه اكتفى في التلفظ بشطري الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة على المسميين
فكأنهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال او اكتفى بشطري الكلمتين و
عبر عنهما باسمهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما ليقعا معبرا عنهما بل
من حيث انهما جزآن لهما قد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان
يراد بضمير التثنية في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسمهما
الشطران من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفى في التلفظ بشطري الكلمتين اي الاسمين
فعبر عنهما اي عن الشطرين من هما مسميان بهما من حيث هما قائمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفى
في الكتابة بشطري الكلمتين يعني طا على تقديري كونه امرا او كونه حرف نداء وها على تقديري كونها
كناية الارض وكونها حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين في التلفظ باسمهما فبين البطلان
كيف وطا وها على ما ذكر من التقدير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول امر او حرف نداء
والثاني ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف في التلفظ بغيره من خواص حروف
المعجم كما مر فالحق ما سلف من انها من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد او باحد الوجهين المذكورين
في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا اما بعدها من قوله تعالى . ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى . فانه استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين
من التعب فان الشقاء شايع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب

البيت . بتمامه .
راحت بمسلمة البغال عشية . فارعي فزارة لا هناك المرتع .

بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم
والتحسر على أن يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ والتذكير وقد
فعلت فلا عليك إن لم يؤمنوا به بعد ذلك أو لصرفه عليه السلام عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة
في العبادة كما روي أنه عليه السلام كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبريل عليهما السلام أبق على
نفسك فإن لها عليك حقا أي ما أنزلناه عليك لتنهك نفسك وتحملها على الرياضات الشاقة والشدائد
الفادحة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة وقيل إن أبا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إنك شقي حيث تركت دين آبائك وإن القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بأنا ما أنزلناه عليك لما قالوا والأول
هو الأنسب كما يشهد به الاستثناء الآتي هذا وأما إن جعل اسما للقرآن فمحله الرفع على أنه مبتدأ ما بعده خبره والقرآن ظاهر
أوقع موقع العائد إلى المبتدأ كأنه قيل القرآن ما أنزلناه عليك لتشقى أو النصب على إضمار فعل القسم أو الجر بتقدير
حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز أن يكون اسما للسورة أيضا بخلاف الوجه الأول فإنه لا يتسنى على
ذلك التقدير لكن لا لأن المبتدأ يبقى حينئذ بلا عائد ولا قائم مقامه فإن القرآن صادق على السورة لا محالة
إما بطريق الاتحاد بأن يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض أو باعتبار الاندراج إن أريد به الكل بل لأن نفي
كون إنزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على إنزاله قطعا إما بحسب الحقيقة كما إذا أريد به معنى
التعب أو بحسب زعم الكفرة كما لو أريد به ضد السعادة ولا ريب في أن ذلك إنما يتصور في إنزال ما أنزل
من قبل وأما إنزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه منه أما باعتبار
الاتحاد فظاهر وأما باعتبار الاندراج فلأن مآله أن يقال بعض السور ما أنزلنا القرآن المشتمل عليها لتشقى و
لا يخفى أن جعلها مخبرا عنها مع أنه لا دخل لإنزالها في الشقاء السابق أصلا مما لا يليق بشأن التنزيل
الجليل. قوله تعالى. إلا تذكرة. نصب على أنه مفعول له لأنزلنا لكن لا من حيث إنه معلل بالشقاء على معنى
ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه إلا تذكرة الآية كقولك ما ضربتك للتأديب إلا إشفاقا لما
يجب في أمثاله من اتحاد العلتين طائفة بالسببية والمسببية حتما كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك
بالسوء لتتأذى إلا زجرا لغيرك فإن التأديب في الأول مسبب عن الإشفاق والتأذي في الثاني سبب
لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي ولا يجدي أن يراد به التعب في الجملة المجامع
للتذكرة لظهور أن لا ملابسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وإنما يتصور ذلك أن لو قيل مكان إلا تذكرة
إلا تكثير الثواب فإن الأجر بقدر التعب ولا من حيث إنه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه إلا قليل
لوجوب المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالهما بل من حيث إنه بدل من محل لتشقى معطوف عليه بحسب المعنى بعد
نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كأنه قيل ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه
ولكن تذكرة. لمن يخشى. وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل أي لمن من شأنه أن يخشى الله عز وجل

ويتأثر بالإنذار لرقة قلبه ولين عريكته أو لمن علم الله تعالى أنه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة و
التبليغ لأنهم المنتفعون بها وقوله تعالى. تنزيلا. مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله أي نزل تنزيلا
أو لما يفيده الجملة الاستثنائية فإنها متضمنة لأن يقال أنزلناه للتذكرة والأول هو الأنسب بما بعده
من الالتفات أو منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية أي يخشى تنزيلا من الله
تعالى وأنت خبير بأن تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد يعلق ذلك ببعض
أجزائه المشتملة على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم
بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على أنه مفعول له لأنزلنا إذ لا يعلل الشيء بنفسه ولا بنوعه
بل على أنه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك أو من القرآن ولا مساغ
له إلا بأن يكون قيدا لأنزلنا بعد تقييده بالقيد الأول وقد عرفت حاله فيما سبق وقرئ تنزيل
على أنه خبر لمبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى. ممن خلق الأرض والسموات العلى. متعلقة بتنزيلا
أو بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية ونسبة التنزيل إلى
الموصول بطريق الالتفات إلى الغيبة بعد نسبته إلى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الأفعال
والصفات إثر بيانها بحسب الذات بطريق الإبهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما
بالذكر مع أن المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى له ما في السموات وما في الأرض الآية
لأصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الأرض لكونه أقرب إلى الحس وأظهر عنده ووصف السموات
بالعلى وهو جمع العليا تأنيث الأعلى لتأكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك إلى قوله تعالى
له الأسماء الحسنى مسوق لتعظيم شأن المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي إلى تربية المهابة و
إدخال الروعة المؤدية إلى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية المفضية
إلى التذكر والإيمان. الرحمن. رفع على المدح أي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة أن المرفوع
مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وإن لم يكن تابعا له في الإعراب ولذلك التزموا حذف المبتدأ ليكون
في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على أنه صفة صريحة للموصول وما قيل من أن الأسماء الناقصة
لا يوصف منها إلا الذي وحده مذهب الكوفيين وأياما كان فوصفه بالرحمانية إثر وصفه بخالقية
السموات والأرض للإشعار بأن خلقهما من آثار رحمته تعالى كما أن قوله تعالى رب السموات والأرض وما
بينهما الرحمن للإيذان بأن ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه إشارة إلى أن تنزيل القرآن أيضا من أحكام رحمته
تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن أو رفع على الابتداء واللام للعهد والإشارة إلى
الموصول والخبر قوله تعالى. على العرش استوى. وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شأنه
أن يكون معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للإيذان بأن ذلك أمر بين لا سترة به غني عن الإخبار

به صريحا وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدأ محذوف كما في
قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز من الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن
يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير اصلا
والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها وقوله تعالى . له ما في السموات وما في الارض
سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما . وما بينهما . من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء
والسحاب او اكثريا كالطير اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء
واماتة وايجادا واعداما . وما تحت الثرى . اي ما واراه التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة
التقرير روي عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين السبع وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض
السابعة . وان تجهر بالقول . بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته
لجميع الكائنات اي وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك . فانه يعلم السر واخفى
اي ما اسررته الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا
او ما اسررته لنفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها فيما سيأتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا
اما نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد
للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها
من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى . الله . خبر مبتدأ
محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق اي
ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى . لا اله الا هو . تحقيق للحق وتصريح
بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية
والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى . له الاسماء الحسنى . بيان لكون ما ذكر من الخالقية
والرحمانية والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فانه روي ان المشركين
حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها
آخر والحسنى تانيث الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب اخرى وآياتنا
الكبرى . وهل اتاك حديث موسى . استئناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذي اليه انتهى مساق الحديث
وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل له انني انا الله
لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقاله حيث قال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب
النبي صلى الله عليه وسلم في الائتساء بموسى عليه السلام في تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في
تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان مساق النظم الكريم لصرفه عليه السلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى

اذ رأى نارا . ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر
مقدم اي اذكر وقت رؤيته نارا روي انه عليه السلام استأذن شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وأخيه
فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد
له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده
وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور . فقال لاهله
امكثوا . اي اقيموا مكانكم امرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب
الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمرأة والولد
والخادم وقيل لها وحدها والجمع لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء
سواكم . اني آنست نارا . اي ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به
والجملة تعليل للامر والمامور به . لعلي آتيكم منها . اي اجيئكم من النار . بقبس . اي بشعلة مقتبسة
من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب القبس . او اجد على النار هدى . هاديا
يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف اي ذا هداية او على انه اذا
وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني الى ابواب الدين فان افكار الابرار مغمورة بالهمة
الدينية في عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله
وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة الآية وكلمة او في الموضعين لمنع
الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب
منها او لانهم عند الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بهما
مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي وهي اما علة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر
بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم واما حال من فاعله اي فاذهب اليها لآتيكم
او كي آتيكم او راجيا ان آتيكم منها بقبس الآية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله تعالى يا ايها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . فلما اتاها . اي النار التي آنسها قال ابن
عباس رضي الله عنه رأى شجرة خضراء اطافت بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوء ما يكون
فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها
قالوا النار اربعة اصناف صنف ياكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا ياكل وهي نار الشجر الاخضر
وصنف ياكل ويشرب وهي نار جهنم وصنف لا ياكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا ايضا
هي اربعة انواع نوع له نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار و
نوع له نور بلا احراق وهي نار موسى عليه السلام ونوع له احراق ولا نور له وهي نار الجحيم روي ان الشجرة

تمامه وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا (آب بارد وعذب)

فسر بذلك لينبه على انه صفة المصدر لا صفة الفاعل م

متضمن تبصيصه الامر بالمكث والاخبار بايناس النار منه

كانت عوسجة وقيل كانت سمرة. نودي يا موسى. اي نودي فقيل يا موسى. اني انا ربك. او عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت وذلك لان سماع ما ليس من شانه ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الخالق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة. فاخلع نعليك. امر عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل في التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كانا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى. انك بالوادي المقدس. تعليل لوجوب الخلع المامور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقدسها روي انه عليه السلام خلعهما والقاهما وراء الوادي طوى. بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي ندائين او قدس مرة بعد اخرى. وانا اخترتك اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى. فاستمع لترتيب الامر والمامور به على ما قبلها فان اختياره عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع والامر به واللام في قوله تعالى. لما يوحى. متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من انه من باب التنازع واعمال الاول فلا بد حينئذ من اعادة الضمير مع الثاني بل لان قوله تعالى. انني انا الله لا اله الا انا. بدل من ما يوحى لا ريب في ان اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى. فاعبدني. لترتيب المامور به على ما قبلها فان اختصاص الالوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل. واقم الصلوة. خصت الصلوة بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى. لذكري. اي لتذكرني فان ذكري كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلوة او لتذكرني فيها لاشتمالها على الاذكار او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون ذاكرا لي غير ناس وقيل لذكري اياها وامري بها في الكتب او لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوات او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليصلها

اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري وقرئ لذكري بالف التانيث وللذكرى معرفا وللذكر بالتعريف والتنكير وقوله تعالى. ان الساعة آتية. تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلوة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها بابرازها في معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين اكاد اخفيها. اي لا اظهرها بان اقول انها آتية ولولا ان في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه من الاضداد يجئ بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى. لتجزى كل نفس بما تسعى. متعلق بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المامور به وتخصيصه في معرض الغاية لاتيانها مع انه لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المامور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط علق بالاخيرين لما ذكر من ان المقصود الاصلي من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ هذا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل. فلا يصدنك عنها. اي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشان موسى عليه السلام وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى من لا يؤمن بها. لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشئ ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية عن اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم الخ فان صد الكافر حيث كان سببا لانصداده عليه السلام كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهي عن المسبب وارادة النهي عن السبب على ان يراد نهيه عليه السلام عن اظهار لين الجانب للكفرة

فان ذلك سبب لصده اياه عليه الصلوة والسلام كما في قوله لا اربنك ههنا فان المراد به نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته • واتبع هواه • اي ما يهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية • فتردى • اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن اهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانت تردى • وما تلك بيمينك يا موسى • شروع في حكاية ما كلفه عليه السلام من الامور المتعلقة بالخلق اثر حكاية ما امر به من الشئون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اي وما تلك قارة او مأخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وعلا وهذا بعلي شيخا وقيل تلك موصولة اي ما التي هي بيمينك واياما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه • قال هي عصاي • نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه السلام وقرئ عصي على لغة هذيل • اتوكأ عليها • اي اعتمد عليها عند الاعياء او الوقوف على رأس القطيع • واهش بها • اي اخبط بها الورق واسقطه • على غنمي • وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء والاقبال اي ازجرها منحيا ومقبلا عليها • ولي فيها مآرب اخرى • اي حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روي انه عليه الصلوة والسلام كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها قيل ومن جملة الآيات انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال العليم الخبير • قال • استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عز وجل فقيل قال • القها يا موسى • لترى من شانها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتأكيد التنبيه • فالقاها • على الارض • فاذا هي حية تسعى • روي انه عليه الصلوة والسلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة • قال • استئناف كما سبق • خذها ولا تخف • عن ابن عباس رضي الله عنهما انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شيء من الصخرة والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفر وملكه ما يملك البشر عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفي عطف النهي على الامر اشعار بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله تعالى • سنعيدها سيرتها الاولى • مع كونه استئنافا مسوقا لتعليل الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده وايذان بكونها مسخرة له عليه السلام ليكون على طمأنينة من امره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمها وياخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها وايقاعها حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها اي سائرة سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل • واضمم يدك الى جناحك • امر عليه السلام بذلك بعد ما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت اي ادخلها تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى • تخرج • جواب الامر وقوله تعالى • بيضاء • حال من الضمير فيه وقوله تعالى • من غير سوء • متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه روي انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر • آية اخرى • اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك وقوله تعالى • لنريك من آياتنا الكبرى • متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لآياتنا او لنريك بذلك من آياتنا ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول وايا ما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه بما دل عليه آية اي دللنا بها لنريك الخ او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدي الى عرآء آية العصا عن وصف الكبر فتدبر • اذهب الى فرعون • تخلص الى ما هو المقصود

من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اى اذهب اليه بما رأيته من
الآيات الكبرى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقوله تعالى • انه طغى • تعليل للامر او لوجوب المأمور به
اى جاوز الحد فى التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظمة التى هى دعوى الربوبية • قال • استئناف مبنى
على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حين أمر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال
مستعينا بربه عز وجل • رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى • لما أمر بما أمر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز
وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى وسأله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه
ويجعله عليما بشؤن الحق واحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر
وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذى هو اجل الامور واعظمها
واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفى زيادة كلمة لى مع انتظام الكلام بدونها
تأكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفى تقديمها وتكريرها اظهار مزيد الاعتناء
بشأن كل من المطلوبين وفضل استهتام باستدعائهما حصولهما له واختصاصهما به • واحلل عقدة من لسانى •
روى انه كان فى لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه فى صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم
فاخذ لحيته فنتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبى لا يفرق بين الجمر والياقوت
فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها فى فيه ولعل تبيضها فى فيه واحترقت يده فاجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه
قال الى اى رب تدعونى قال الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنه واختلف فى زوال العقدة بكمالها فمن قال
به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو افصح منى وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب
عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من
لسانى اى عقدة كائنة من عقد لسانى وجعل قوله تعالى • يفقهوا قولى • جواب الامر وغرضا من الدعاء فبحلها
فى الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها فى الجملة اما قوله تعالى هو افصح منى فلانه عليه
السلام قاله قبل استدعاء الحل كما ستعرفه على ان الافصحية منه عليهما السلام لا تستدعى بقاءها اصلا لا تستدعى
عدم البقاء لما ان الافصحية توجب ثبوت اصل الفصاحة فى المفضول ايضا وذلك مناف للعقدة رأسا
واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين فى العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا
وتنكيرها انما يفيد قلتها فى نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق كلمة من فى قوله تعالى من لسانى
بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلقها بنفس العقد فان المحلول اذا كان متعلقا بشئ ومتصلا به
فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشئ ايضا باعتبار ازالته عنه او ابتداء حصوله منه • واجعل لى وزيرا
من اهلى هرون اخى • اى موازرا يعاوننى فى تحمل اعباء ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذى هو الثقل او
ملجأ اعتصم برأيه على انه من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير

والجليس قلبت همزته واوا كقلبها فى موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول الذى هو
قوله تعالى هرون اعتناء بشأن الوزارة ولى صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا اذ هو صفة
له فى الاصل ومن اهلى اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لى وزيرا وهرون عطف بيان
للوزير ومن اهلى كما مر من الوجهين واخى فى الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل هما
وزيرا من اهلى ولى تبيين كما فى قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين فى باب النواسخ
صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزير مبتدأ والخبر عنه بما بعده • اشدد به ازرى واشركه
فى امرى • كلاهما على صيغة الدعاء اى احكم به قوتى واجعله شريكى فى امر الرسالة حتى نتعاون على
ادائها كما ينبغى وفصل الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن
جعله وزيرا واما الاشراك فى الامر فحيث كان من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف • كى نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا • غاية للادعية الثلثة الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا
لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له فى نفسه ايضا بسبب تقويته وتأييده اذ ليس المراد
بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او فى الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما
يكون منهما فى تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب فى اختلاف حاله
فى حالتى التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه
مثله حال الانفراد وكثيرا فى الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اى ننزهك عما
لا يليق بك من الصفات والافعال التى من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية
من ادعاء الشركة فى الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال
تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى كى
نصلى لك كثيرا ونحمدك ونثنى عليك فلا يساعده المقام • انك كنت بنا بصيرا • اى عالما
باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا فى تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان
هرون نعم الرد فى اداء ما امرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل • قال
قد اوتيت سؤلك • اى اعطيت مسؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والايتاء
عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديره اياها حتما
فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كتيسير الامر وشد الازر و
باعتباره قيل سنشد عضدك باخيك وقوله تعالى • يا موسى • تشريف له عليه السلام بشرف
الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى • ولقد مننا عليك • كلام مستأنف مسوق
لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم

الثابتة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى وتصديره
بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اى وبالله لقد انعمنا . مرة اخرى . اى فى وقت غير هذا الوقت
لا ان ذلك مؤخر من هذا فان اخرى تانيث آخر بمعنى غير والمرة فى الاصل اسم للمرور الواحد ثم
اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع فى كل فرد واحد من افراد
ماله افراد متجددة فصار علما فى ذلك حتى جعل معيارا لما فى معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء
المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها هيهنا الوقت الممتد الذى وقع فيه ما سيأتى
ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى . اذ اوحينا الى امك ما يوحى . ظرف لمننا والمراد بالايحاء
اما الايحاء على لسان نبى فى وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين الآية واما الايحاء بواسطة
الملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم واما الالهام كما فى قوله تعالى واوحى ربك الى النحل و
اما الاراءة فى المنام والمراد بما يوحى ما سيأتى من الامر بقذفه فى التابوت وقذفه فى البحر ابهم اولا تهويلا
له وتفخيما لشأنه ثم فسر ليكون اقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغى ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط
الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحى وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحى اذ لا تفخيم لشأنه فى ان
يكون مما لا يعلم الا بالالهام او بالاراءة فى المنام وان فى قوله تعالى . ان اقذفيه فى التابوت . مفسرة
لان الوحى من باب القول او مصدرية حذف عنها الباء اى بان اقذفيه ومعنى القذف هيهنا الوضع
واما فى قوله تعالى . فاقذفيه فى اليم . فالالقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا خفت عليه
فالقيه فى اليم لا القذف بلا تابوت . فليلقه اليم بالساحل . لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا
واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج
الامر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف فى البحر والملقى بالساحل وان كان هو التابوت اصالة
لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له فى ذلك . يأخذه عدو لى وعدو له
جواب للامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة فى التصريح بالامر والاشعار بان عداوته له مع تحققها لا تؤثر
فيه ولا تضره بل تؤدى الى المحبة فان الامر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه فى البحر ووقوعه
فى يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صورى وقيل الاول
باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط
وهو ما يلى الساحل من البحر بحيث يجرى ماؤه الى نهر فرعون لما روى انها جعلت فى التابوت
قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه
فأتى به الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح
فاذا هو صبى اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى

والقيت عليك محبة منى . كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما فى تنكيرها من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اى محبة عظيمة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك
من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل هى متعلقة بالقيت اى احببتك ومن احبه الله تعالى
احبته القلوب لا محالة وقوله تعالى . ولتصنع على عينى . متعلق بالقيت معطوف على علة له مضمرة
اى ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتى وحفظى او بمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء
المحبة والجملة مبتدأة اى ولتصنع على عينى فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام
وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب اى وليكون عملك على عين منى لئلا تخالف به عن امرى . اذ تمشى
اختك . ظرف لتصنع على ان المراد به وقت وقع فيه مشيها الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القبول
والرجع الى امها فتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عينى اذ لا شفقة اعظم من شفقة
الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ اوحينا على ان المراد به زمان متسع متباعد الاطراف
وهو الانسب بما سيأتى من قوله تعالى فنجيناك من الغم الى آخره فان جميع ذلك من المنن الالهية ولا تعلق لشئ منها
بالصنع المذكور واما كونه ظرفا لالقيت كما جوز فربما يوهم ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب فى ان معظم
آثار القائها ظهر عند فتح التابوت . فتقول . اى لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة
تقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع فى الفعلين لحكاية الحال الماضية . هل ادلكم على من يكفله
اى يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها يروى انه فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا
غلاما فى النيل لا يرتضع ثدى امرأة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت اخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة
فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بامه فقبل ثديها فالفاء فى قوله تعالى . فرجعناك الى امك . فصيحة
معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها اى فقالوا دلينا عليها فجاءت بامك فرجعناك اليها
كى تقر عينها . بلقائك . ولا تحزن . اى لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك والا فزوال الحزن
مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها
وقتلت نفسا . هى نفس القبطى الذى استغاثه الاسرائيلى عليه . فنجيناك من الغم . اى غم قتله
خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء عنه بالمهاجرة الى مدين . وفتناك
فتونا . اى ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء
كحجوز فى حجزة وبدور فى بدرة اى خلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن
ومفارقة الالاف والمشى راجلا وفقد الزاد وقد روى ان سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضه
فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد فى عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته
امه فى البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه فى

وبلغت النصرة غايتها . فأتياه . أمر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما أمر بالذهاب اليه
فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده . فقولا انا رسولا ربك . أمر بذلك تحقيقا
للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شأنهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى
فأرسل معنا بني اسرائيل . لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما
والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما
الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى . ولا تعذبهم . اى بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت
ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة ويقتلون
ذكور اولادهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجئ بآية
دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه
وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان المجئ
بالآية نوع طول كما ترى فتأخير ذلك عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل
على ان تخليص المؤمنين عن الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا . قد جئناك بآية من ربك . تقرير
لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالآية من جهته تعالى
مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة
الى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى
ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى اولو جئتك بشئ مبين واما
قوله تعالى فأت بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها آية من الآيات . والسلام
المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين . على من اتبع الهدى . بتصديق
آيات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى . انا قد
اوحي الينا . من جهة ربنا . ان العذاب . الدنيوي والاخروي . على من كذب . اى بآياته
تعالى . وتولى . اى اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب
به ما لا مزيد عليه . قال . اى فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما أمرا به وانما طوى ذكره للايجاز والاشعار
بانهما كما أمرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى
التصريح به . فمن ربكما يا موسى . لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا
ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا
بد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في
سورة الشعراء والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب

السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربه اى اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا من ربكما الذي ارسلكما و
تخصيص النداء بموسى عليه السلام مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة وهرون وزيره واما ما
قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عليه السلام رتة فاراد ان يفحمه فيرده ما شاهده منه عليه السلام من حسن
البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما مر . قال
اى موسى عليه السلام مجيبا له . ربنا . اما مبتدأ وقوله تعالى . الذي اعطى كل شئ خلقه . خبره او هو خبر لمبتدأ
محذوف والموصول صفته واياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل
جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اى هو ربنا الذي اعطى كل شئ من الاشياء
خلقه اى صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شئ تحتاج هي اليه
وترتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج
الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على
صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول
اى كل شئ خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار مع كونه منويا مدلولا عليه بقرينة
الحال اى اعطى كل شئ خلقه تعالى ما يحتاج اليه . ثم هدى . اى الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرفه
كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات او طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية
والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما على الهداية
التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق
عليه السلام جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع
الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية
من جملة هداياته تعالى اياه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر
والآلات الظاهرة والباطنة . قال فما بال القرون الاولى . لما شاهد اللعين ما نظمه عليه السلام
في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته
عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى ما لا
يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى ان يظهر فيه نوع
غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية
وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلة
مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من انه سأله عن حال
من خلا من القرون عن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى . قال علمها عند ربي

وبلغت النصرة غايتها. فأتياه. أمر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما أمر بالذهاب اليه
فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده. فقولا انا رسولا ربك. أمر بذلك تحقيقا
للحق من أول الامر ليعرف الطاغية شأنهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى
فارسل معنا بني اسرائيل. لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما
والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما
الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى. ولا تعذبهم. اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت
ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة ويقتلون
ذكور اولادهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء بآية
دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه
وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء
الآية نوع طول كما ترى فتأخير ذلك عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل
على ان تخليص المؤمنين عن الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا. قد جئناك بآية من ربك. تقرير
لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بآية من جهته تعالى
مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة
الى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى
ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين واما
قوله تعالى فأت بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها آية من الآيات. والسلام. اي التحية
المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين. على من اتبع الهدى. بتصديق
آيات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى. انا قد
اوحي الينا. من جهة ربنا. ان العذاب. الدنيوي والاخروي. على من كذب. اي بآياته
تعالى. وتولى. اي اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب
به ما لا مزيد عليه. قال. اي فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوي ذكره للايجاز والاشعار
بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى
التصريح به. فمن ربكما يا موسى. لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق الحكاية لما في قوله تعالى انا رسولا
ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا
بد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في
سورة الشعراء والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب

السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربه اي اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا من ربكما الذي ارسلكما و
تخصيص النداء بموسى عليه السلام مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة وهرون وزيره واما ما
قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عليه السلام رتة فاراد ان يفحمه فيرده ما شاهده منه عليه السلام من حسن
البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما مر. قال.
اي موسى عليه السلام مجيبا له. ربنا. اما مبتدأ وقوله تعالى. الذي اعطى كل شيء خلقه. خبره او هو خبر لمبتدأ
محذوف والموصول صفته وايا ما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل
جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شيء من الاشياء
خلقه اي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شيء تحتاج هي اليه
وترتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج
الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على
صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول
اي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار مع كونه منويا مدلولا عليه بقرينة
الحال اي اعطى كل شيء خلقه تعالى ما يحتاج اليه. ثم هدى. اي الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرفه
كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات او طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية
والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما على الهداية
التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق
عليه السلام جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع
الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية
من جملة هداياته تعالى اياه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر
والآلات الظاهرة والباطنة. قال فما بال القرون الاولى. لما شاهد اللعين ما نظمه عليه السلام
في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته
عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى ما لا
يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع
غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية
وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلة
مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من انه سأله عن حال
من خلا من القرون عن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى. قال علمها عند ربي

فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه
من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤل عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب
ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام
الآيتين . في كتاب . اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره
في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى . لا يضل ربي ولا ينسى . اي
لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان
اثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء وبقاء واظهار ربي في موقع الاضمار للتلذذ بذكره و
لزيادة التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب
عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده
من بيان شؤنه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عنه تعالى وجل لما سيأتي من الالتفات . الذي جعل
لكم الارض مهدا . على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدأ محذوف اي جعلها لكم
كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او
جمع مهد اي جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم . وسلك لكم فيها سبلا . اي حصل لكم طرقا ووسطها بين
الجبال والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها
وانزل من السماء ماء . هو المطر . فاخرجنا به . اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما
التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا من
قادر مطاع عظيم الشان تنقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من
السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به
حدائق ذات بهجة خلا ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما هاهنا فحكاية عنه تعالى وجعل قوله
تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات
لعدم اتحاد المتكلم . ازواجا . اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض . من نبات
بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى . شتى . اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون
صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة و
الشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى
ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم
وقوله تعالى . كلوا وارعوا انعامكم . حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا منها اصناف النبات
قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لانتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين في ذلك . ان في

ذلك

ذلك . اشارة الى ما ذكر من شؤنه تعالى وافعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد
منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى . لآيات . للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة
على شؤن الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما السلام . لاولي
النهى . جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك
اي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فئة الباغية
وتخصيص كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها . منها خلقناكم
اي في ضمن خلق ابيكم آدم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ
لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر
افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا
للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من الارض بوسائط
وقيل ان الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة
فيخلق من التراب والنطفة . وفيها نعيدكم . بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على
كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها . ومنها نخرجكم تارة اخرى . بتأليف اجزائكم
المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج
تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج واحد من
الفعلات المتجددة كما مر في المرة . ولقد اريناه . حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام
وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عليه السلام بجلائل نعمائه الداعية له الى قبول الحق والانقياد له و
تصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى
موسى نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيم شأنها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة
والعناد اي وبالله لقد بصرنا فرعون او عرفناه . آياتنا . حين قال لموسى عليه السلام ان كنت
جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع
يده فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما من
بدائع الامور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين في تفسير قوله تعالى اذهب
انت واخوك بآياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهياء فانه
روي انه عليه السلام لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع
لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس
مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك

الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت
مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك الحق ونزع
يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس
يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففي تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة
صراحة اكدت بقوله تعالى كلها كانه قيل اريناه آياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا الى بيان
انه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الآيات التسع منها لما انها انما ظهرت على يده عليه
السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب
في ان امر السحرة مترقب بعد وابعد من ذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان
من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الآيات الظاهرة لبني اسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء اريد
به الحجر الذي فر بثوبه او الذي انفجرت منه العيون وكذا ان يعد منها الآيات الظاهرة على
الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكايته عليه السلام اياها لفرعون في حكم اظهارها بين
يديه واراءته اياها لاستحالة الكذب عليه عليه السلام فان حكايته عليه السلام اياها لفرعون
مما لم يجر ذكره ههنا على ان ما سيأتي من حمل ما اظهره عليه السلام على السحر والتصدي للمعارضة
بالمثل يأباه اباء بينا ويقطع بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز جعل ما
فصله عليه السلام من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية واحكامها من جملة
الآيات فكذب موسى عليه السلام من غير تردد وتأخير مع ما شاهد في يده من
الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا وابى الايمان والطاعة لعتوه واستكباره
وقيل كذب بالآيات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تعالى قال اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار
الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال والمجيء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدي
له اي اجئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر
بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وانما
قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه السلام بابراز ان مراده عليه السلام ليس مجرد انجاء
بني اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية
حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمى ما اظهره عليه السلام من المعجزة
الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه بمثل ما اتى به عليه السلام فقال فلنأتينك
بسحر مثله الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك

فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا اي وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله
تعالى لا نخلفه فان المناسب له المكان والزمان اي لا نخلف ذلك الوعد نحن ولا انت وانما
فوض اللعين امر الوعد الى موسى عليه السلام للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال
واظهار الجلادة واراءة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال
الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط كلمة النفي بينهما للايذان
بمسارعته الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عليه السلام ولذلك
اكد النفي بتكرير حرفه وانتصاب مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف
او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه فحينئذ يكون مطابقة الجواب في قوله تعالى
قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع
الناس فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او
وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد به المصدر ومعنى سوى
منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ
وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم
كل عام وانما خصه عليه الصلوة والسلام بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على
ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور
الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رؤس الاشهاد وليشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد
وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون
وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم فتولى فرعون اي انصرف عن المجلس
فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة وادواتهم ثم اتى اي الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفي
كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لأي وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى
بطريق الاستيناف المبني على السؤال يقتضي بان المترقب من احواله عليه السلام ح والمحتاج الى
السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه عليه السلام من الكلام واما اتيانه اولا فامر محقق غني عن
التصريح به كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل
قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته التي ستظهر على يدي سحرا
كما فعل فرعون فيسحتكم اي يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ
يسحتكم من الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ونجد وقد خاب من افترى
اي على الله كائنا من كان باي وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا او وقد خاب

فرعون المفترى فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها فتنازعوا اي
السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلام كأن ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذي اريد منهم
من مغالبته عليه السلام وتشاوروا وتناظروا بينهم في كيفية المعارضة وتجاذبوا
اهداب القول في ذلك واسروا النجوى اي من موسى عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه
وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اي بطريق التناجي والاسرار ان هذان لساحران
الى آخره فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر
والتشاور وان مخففة من انّ وقد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذانّ
وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ انّ بالتشديد وهذان اسمها على
لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان
لساحران خبرها وقيل انّ بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ
وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ
ان هذين لساحران وهي قراءة واضحة يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اي ارض مصر بالاستيلاء
عليها بسحرهما الذي اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بمذهبكم الذي هو افضل
المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة
السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام
ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء
عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على
اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله
على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا بد ان يكون
الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من
بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم آمنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم
لوجوه القوم واشرافهم لما انهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا فائدة فيه
وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي
اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا
كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة
وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغي
ثم ائتوا صفا اي مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين واخلع لانجلاب الرهبة من

المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا
اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس
وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا والله
اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عليه السلام بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا
امرهم في قطر آخر منه ثم امروا بان ياتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس
فيه في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة مصلى
من المصليات بعد تعيين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى وقد افلح اليوم من استعلى
اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين اي قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب
ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب
انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود
في المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب اطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا
مقالة موسى عليه السلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان
كان من السماء فله امر فيكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه وجعل قولهم ان هذان لساحران الخ على
انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت
آراؤهم على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة واما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا
ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامرا لهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على
وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استئناف مبني على
سؤال ناشئ من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم
ما قالوا فقيل قالوا يا موسى وانما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهور
امرهما وغناهما عن البيان اما ان تلقي اي ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل
الالقاء محذوف لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم واما ان نكون اول
من القى ما يلقيه او اول من يفعل الالقاء خيروه عليه السلام بما ذكر مراعاة للادب لما راوا منه
عليه السلام ما راوا من مخائل الخير ورزانة الرأي واظهارا للجلادة باراءة انه لا يختلف حالهم بالتقديم
والتاخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف اي اختر القاءك
اولا او القاءنا او الامر اما القاؤك او القاؤنا قال استئناف كما سلف ناشئ من حكاية تخيير السحرة
اياه عليه السلام كأنه قيل فماذا قال عليه السلام فقيل قال بل القوا انتم اولا مقابلة للادب باحسن
من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من

الميل الى البدء او ليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم ويستنفدوا اقصارى وسعهم ثم يظهر
الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم ان ما سيظهر بيده سيلقف ما يلفقون
من مكائد السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم
الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجأة
والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها
فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى عليه السلام وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم
وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت
فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى
منه بدل اشتمال وقرئ يخيل باسناده اليه تعالى وقرئ تخيل بحذف احدى التائين من تتخيل
فاوجس في نفسه خيفة موسى اى اضمر فيها بعض خوف من مفاجأته بمقتضى البشرية المجبولة
على النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك
فلا يتبعوه وليس بذاك كما ستعرفه وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف اى ما توهمت
انك انت الاعلى تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه وآكده كما يعرب
عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة
وصيغة التفضيل والق ما في يمينك اى عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام
تهويلا لامرها وتفخيما لشأنها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة
بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة
عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي هذا وحمل الابهام على
التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى
يلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر تنبيه على ان ذلك المعنى انما يليق
بما لو فعلت العصي ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى تلقف ما صنعوا
بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتأنيث لكون ما عبارة عن العصا اى
تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير
والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى التائين من تتلقف
وقرئ بالرفع على الحال او الاستئناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها للتعليل
الموجب ببيان كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس في
نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عليه الصلوة لم يكن مما ذكر من مخالجة

الشك

الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه السلام والا لعلل بما يزيله من الوعد بما يوجب ايمانهم واتباعهم
له عليه السلام وقوله تعالى ان ما صنعوا الخ تعليل لقوله تعالى تلقف ما صنعوا وما اما موصولة
او موصوفة اى ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر
لان اى كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير وقرئ بالنصب
على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او على
معنى ذي سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس حيث
اتى اى حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشأن العصا وكونها معجزة
الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تعالى فالقي السحرة
سجدا كما سلف فصيحة معربة عن محذوفين ينساق اليهما النظم الكريم غنيين عن التصريح بهما لعدم
احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود اى
فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب
السحر وانما هي آية من آيات الله عز وجل روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت
الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات فاستدل بتغير احوال الاجسام
على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته لا جرم القاهم
ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وآمنوا واتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤسهم حتى
رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم
منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الخ لان كون تلك المنازل
منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم قالوا استئناف كما مر غير مرة آمنا برب هرون
وموسى تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا
هكذا اما لكبر سن هرون عليه السلام واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون
وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عليه السلام في صغره فلو قدموا موسى عليه السلام لربما توهم
اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون قال اى فرعون للسحرة آمنتم له اى لموسى
عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان
آذن لكم اى من غير ان آذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
لا ان اذنه لهم في ذلك واقع بعده او متوقع انه يعني موسى عليه السلام لكبيركم اى في
فنكم واعلمكم به واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او فعلكم شيئا دون
شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان

منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتداً به وانهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرة
بما اظهروه كما لا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة
في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال فلاقطعن اي فوالله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية
كأن القطع ابتدأ من مخالفة العضو فان المبتدئ من المعروض مبتدئ من العارض ايضاً
وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اي لاقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان
بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لا لانها افظع من غيرها
ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زماناً مديداً
تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا هو اول من صلب
وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقد قرئا بالتخفيف ولتعلمن اينا يريد به نفسه وموسى
عليه السلام لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى
وهذا اما لقصد توضيع موسى عليه السلام والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لاراءة ان
ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عليه السلام حيث رأوا
ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضاً وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا
به بقولهم آمنا برب هرون وموسى اشد عذاباً وابقى اي ادوم قالوا غير مكترثين
بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالايمان والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى
عليه السلام من البينات من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده عليه السلام من العصا
كان مشتملاً على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها
والذي فطرنا اي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخيره لان ما في ضمنه
آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى
لهم للاشعار بعلية الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم
له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل هو قسم
محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك الخ ولا مساغ لكون المذكور
جواباً له عند من يجوز تقديم الجواب ايضاً لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى
فاقض ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اي فاصنع ما انت صانعه
او فاحكم ما انت حاكم به وقوله تعالى انما تقضي هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة
المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اي انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الحيوة

الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة الفانية
حتى نتأثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على
خطايانا اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا
من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطايانا اظهاراً لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم
في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه
نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل ارادوا الاكراه على تعلم السحر حيث روي ان رؤساءهم
كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم
السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى عليه السلام نائماً
فوجدوه عليه السلام تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه
ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم ان لنا لاجراً ان كنا نحن الغالبين
وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون والله خير اي في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي
فطرنا وابقى اي جزاء ثواباً كان او عذاباً او خير ثواباً وابقى عذاباً وقوله تعالى انه الى آخر
الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيراً وابقى جزاءً وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما
بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونهما لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره
مع ما فيه من زيادة التقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن
مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كأنه قيل ان الشان الخطير هذا اي قوله تعالى
من يأت ربه مجرماً بان مات على الكفر والمعاصي فان له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه
وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن يأته مؤمناً به تعالى
وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه قد عمل الصالحات الصالحة
كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالباً مع الموصوف وهي كل ما استقام من الاعمال
بدليل العقل والنقل فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في
الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم
اي فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة
الدرجات العلى اي المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل
الصالح في استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز
بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقاً وهل التشاجر الا فيه جنات عدن بدل من الدرجات

العلى او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة فقوله تعالى تجري من تحتها
الانهار حال من الجنات وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم والعامل معنى
الاستقرار او الاشارة وذلك اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى
ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزاء من تزكى اي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الايمان
والاعمال الصالحة وهذا لتحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية
عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله انا اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الآيات
الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا ليس في القرآن ان فرعون فعل بأولئك المؤمنين
ما اوعدهم به ولم يثبت في الاخبار ولقد اوحينا الى موسى ح حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون
وقومه وقد طوي في البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه
السلام بعد ما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الاعراف وتصديرها بالقسم
لابراز كمال العناية بمضمونها وان في قوله تعالى ان اسر بعبادي اما مفسرة لان في الوحي
معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عبادا له تعالى
لاظهار المرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم
وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل اي وبالله لقد اوحينا اليه عليه السلام
ان اسر بعبادي الذين ارسلتك لانقاذهم من ملكة فرعون اي سر بهم من مصر ليلا
فاضرب لهم اي فاجعل او فاتخذ لهم طريقا في البحر يبسا اي يابسا على انه مصدر وصف
به الفاعل مبالغة وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب
وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد الاسباط لا تخاف دركا حال من المأمور
اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعائد محذوف وقرئ لا تخف جوابا
للامر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل في حكمه اي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استيناف
اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا و
تقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا
لمدركون فاتبعهم فرعون بجنوده اي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم اي
تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم
فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده اي ساقهم
خلفهم وايا ما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا بكمال
مسارعة موسى عليه السلام الى الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه

كذا في النسخ

فاتبعهم

فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روي ان موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة
وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم فلحقهم
بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه السلام بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود
العظيم فعبر موسى عليه السلام بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم
ما غشيهم اي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم
ما سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع
قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل
فرعون لانه الذي ورطهم للهلكة ويأباه الاظهار في قوله تعالى واضل فرعون قومه اي سلك
بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي
المتصل بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تعالى وما هدى اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب
من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض
مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفي الهداية من شخص مشعر
بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال
والهداية على ما يختص بالديني منهما يأباه مقام بيان سوقه لجنوده الى مساق الهلاك الدنيوي
وجعلهما عبارة عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بني اسرائيل حكاية
لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما
افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم اصالة وبهم تبعا
ويرده ما سيأتي من قوله تعالى وما اعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية
بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اي وقلنا يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه
حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ
انجيتكم ونجيتكم وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر على الجوار
اي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اي اتيان موسى
عليه السلام للمناجاة وانزال التوراة عليه ونسبت المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه السلام نظرا
الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم
ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق والمصور بالذات هو آدم عليه السلام
وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني حيث كان ينزل

عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح
الرجل منه ما يكفيه كما مر مرارا كلوا جملة مستانفة مسوقة لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة
عليهم من طيبات ما رزقناكم اى من لذائذه او حلالاته وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء
ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اى فيما
رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم
غضبي جواب للنهي اى فيلزمكم عقوبتي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل
عليه غضبي فقد هوى اى تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا
نزل واني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر وآمن بما يجب
الايمان به وعمل صالحا اى عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان
فيما ذكر وحث على التوبة والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى اى استقام على الهدى اشارة الى ان
من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما
جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة
المذكورة اى وقلنا له اى شيء اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على
النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخائل اغفالهم وعدم الاعتداد
بهم مع كونه مامورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه الصلوة
والسلام لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفي الانفراد المنافي
للاستصحاب والمعية حيث قال هم اولاء على اثري يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة
ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا
وبعد ما ذكر عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضي حيث قال وعجلت اليك
رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة رب لمزيد الضراعة
والابتهال رغبة في قبول قال استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام وسر
في وروده على صيغة الغائب لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين
على صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه تعالى فقيل قال فانا قد فتنا قومك
من بعدك اى ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام
وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء
على اخبار موسى عليه السلام بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة
المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روي انهم

اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع ايامها اربعين وقالوا
قد اكملنا العدة وليس من موسى عليه السلام عين ولا اثر واضلهم السامري حيث كان هو
المدبر في الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عليه السلام ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام
عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار
تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة ونظائره او لان السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام
وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ واضلهم
السامري على صيغة التفضيل اى اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة
من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى
ابن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه
عند رجوعه المعهود اى بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية لا عقيب الاخبار بالفتنة
فسببية ما قبل الفاء لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا
لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور
لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة
فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية
الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين
قال استيناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال
يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة
لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه وآكده اى وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره
والفاء في قوله تعالى افطال عليكم العهد اى الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف
ونفيه فقط اى أوعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطاتم بسببه ام اردتم ان يحل اى
يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من ربكم اى من مالك امركم على الاطلاق
فاخلفتم موعدي اى وعدكم اياي بالثبات على ما امرتكم به الى ان ارجع من الميقات على
اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم
وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام اشنع منه من حيث اضافته اليهم
والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد
بطول العهد فاخلفتموه خطأ ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد

مضافاً الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود
بعد الاربعين فمما لا يساعده السباق ولا السياق اصلاً قالوا ما اخلفنا موعدك اي
وعدنا اياك الثبات على امرك تابه واثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى
فاعله لما مر آنفاً بملكنا اي بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول
لنا السامري ما سوله مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم
وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزاراً من زينة القوم
استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا
احمالاً من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل
كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم
وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزاراً لانها تبعات
وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ فقذفناها اي في النار رجاء الخلاص عن ذنبها
فكذلك اي مثل ذلك القذف القى السامري اي ما كان معه منها وقد كان اراهم
انه ايضاً يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذي القاه التربة
التي اخذها من اثر الرسول كما سيأتي روي انه قال لهم انما تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار
فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها ناراً ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا فاخرج اي
السامري لهم للقائلين عجلاً من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع كونه مفعولاً صريحاً
عن الجار والمجرور لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع
طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى جسداً اي جثة ذا دم
ولحم او جسداً من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اي صوت عجل نعت له
فقالوا اي السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي اي غفل عنه
وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلاً وقولاً من جهته تعالى قصداً
الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا
والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكورين للكل لا لبعضهم
فقط خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم
بتسويله مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفة للمعتذرين فافتتانهم بعد ذلك
اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة
الاخلاف الى انفسهم وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلاناً مع ان القاتل

واحد منهم كأنهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا بامرنا بملكنا بل تمكنت الشبهة في قلوب
العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم
عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سباق النظم الكريم وسياقه
وقوله تعالى افلا يرون الخ انكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعاً
وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وهو
اتخاذه الهاً والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا يتفكرون فلا يعلمون ان لا
يرجع اليهم قولاً اي انه لا يرجع اليهم كلاماً ولا يرد عليهم جواباً فكيف يتوهمون انه اله
وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية فان ان الناصبة لا تقع بعد افعال
اليقين اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولاً من الاقوال وتعليق الابصار
بما ذكر مع كونه امراً عدمياً للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم
وقوله تعالى ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي فلا
يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضراً او يجلب لهم نفعاً او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه
او ينفعهم ان عبدوه ولقد قال لهم هرون من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار
والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اي
وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر من قبل رجوع موسى عليه السلام اليهم وخطابه
اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كأنه عليه السلام اول ما ابصره حين طلع
من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم يا قوم انما فتنتم به اي
اوقعتم في الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس
الى مقابله الذي يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس الى قيد آخر على معنى انما فعل بكم
الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى وان ربكم الرحمن
بكسر ان عطفاً على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية
والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل
اي ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء في قوله تعالى فاتبعوني لترتيب ما بعدها على
ما قبلها من مضمون الجملتين اي اذا كان الامر كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين واطيعوا امري
هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شأنه قالوا في جواب هرون عليه السلام لن نبرح عليه على
العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عليه السلام اليهم
غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عليه السلام بل بطريق

التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عليه السلام لا يرجع بشيء مبين تعويلا على مقالة
السامري روي انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عليه السلام في اثني عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا
العجل فلما رجع موسى عليه السلام وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين
كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى قال استيناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون عليه السلام كأنه قيل فماذا قال موسى لهرون حين سمع
جوابهم له وهل رضي بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته ورأسه
يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك
المقالة الشنعاء ان لا تتبعن اي ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان للمنع وهو عامل
في اذ اي اي شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من
كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني فان المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما
منعك ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فيكون مفارقتك مزجرة لهم وفيه ان نصائح هرون عليه السلام
حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلان لا تزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار بانهم اذا علموا
انه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزجرون عن ذلك بمعزل
من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عليه السلام افعصيت
امري اي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فان قوله عليهما السلام اخلفني متضمن للامر بهما
حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للانكار
التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ألم تتبعني او اخالفتني فعصيت امري
قال يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان
اخاه لامه فان الجمهور على انهما كانا شقيقين لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي بشعر رأسي روي
انه عليه السلام اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه
السلام حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى اني
خشيت الخ استيناف سيق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي الى ترك المقاتلة وتحقيق انه
غير عاص لامره بل ممتثل به اي اني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا ان تقول
فرقت بين بني اسرائيل برأيك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون
القوم ونحوه واراد عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع
ولم ترقب قولي يريد به قوله عليه السلام اخلفني في قومي واصلح الخ يعني اني رأيت ان الاصلاح
في حفظ الدهماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استأنيتك لتكون انت المتدارك

للامر حسبما رأيت لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى
ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قال استيناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما
سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامري واعتذار هرون عليه السلام كأنه قيل فماذا صنع
موسى عليه السلام بعد سماع ما حكي من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامري فقيل قال
موبخا له هذا شأنهم فما خطبك يا سامري اي ما شأنك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عليه السلام
بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين
به ولمن خلفهم من الامم قال اي السامري مجيبا له عليه السلام بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد
فيهما وقرئ بكسرها في الاول وفتحها في الثاني وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام
وقومه اي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له او رأيت ما لم يروه وهو الانسب لما
بعده من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه
موسى عليه السلام جرأة عظيمة لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عليه السلام
فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان رأى ان جبريل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما رفع
الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف ان له شأنا
فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس
الرسول اي من تربة موطئ فرس الملك الذي ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان
الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الالهية تأكيدا لما صدر به مقالته
والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ
بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول
للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها اي في الحلي المذابة فكان
ما كان وكذلك سولت لي نفسي اي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة الى
مصدر الفعل المذكور بعده ومحل الكاف في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر
محذوف والتقدير سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر
واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد
لا نعتا له اي ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل
جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا بشيء آخر من
البرهان العقلي او الالهام الالهي فعند ذلك قال عليه السلام فاذهب اي من بين الناس
وقوله تعالى فان لك في الحيوة الخ تعليل لموجب الامر وفي متعلقة بالاستقرار في لك اي ثابت

لك في الحيوة او بمحذوف وقع حالاً من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف المذكور لاعتماده
على ما هو مبتدأ معنى لا بقوله تعالى ان تقول لا مساس لمكان ان اى ثابت لك كائنا في الحيوة
اى مدة حيوتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار
الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حُمّا من ساعته
حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواكلته
ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل
اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ
لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة
التضاد فانه لما انشأ الفتنة بما كانت ملابسته سبب الحيوة للموات عوقب بما يضاده حيث جعلت
ملابسته سبب الحمى التي هي من اسباب موت الاحياء وان لك موعدا اى في الآخرة لن تخلفه
اى لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر
انه من اخلفت الموعد اى وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل وانظر الى الهك
الذي ظلت عليه عاكفا اى ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء
بنقل حركة اللام اليها لنحرقنه جواب قسم محذوف اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق و
قيل بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه اى لنذرينه
وقرئ بضم السين في اليم رماداً او مبروداً كانه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد
فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره و
استحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين انما الهكم الله استيناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل
بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اى انما معبودكم المستحق للعبادة الله الذي لا اله في الوجود
لشيء من الاشياء الا هو وحده من غير ان يشاركه شيء من الاشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها
احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى وسع كل شيء علما اى وسع
علمه كل ما من شانه ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم الذي وسع كل شيء علما لا غيره كائنا ما كان
فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسّع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى
فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل وسع علمه كل شيء
وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى كذلك
نقص عليك كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من
انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان

بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اى نقص عليك
من انباء ما قد سبق من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصصا مثل ذلك القص المار
والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من انباء في حيز النصب اما على انه مفعول
نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك
اى جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق وقد مر
تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتاخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر اى مثل ذلك القص البديع الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا
منه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا
ذكرا اى كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة
بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتاخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى
ذكرا عظيما وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول
بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم من اعرض عنه عن ذلك الذكر العظيم
الشان المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما شرطية او موصولة واياما كانت
فالجملة صفة لذكرا فانه اى المعرض عنه يحمل يوم القيمة وزرا اى عقوبة ثقيلة فادحة على كفره
وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح
الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سياتي من تسميتها حملا وقوله تعالى
خالدين فيه اى في الوزر او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود
في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر الثلثة بالنظر الى لفظها وساء
لهم يوم القيمة حملا اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم
واللام للبيان كما في هيت لك كانه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة
التقرير وتهويل الامر يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد
حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل
وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له و
بالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته ونحشر
المجرمين يومئذ اى يوم اذ ينفخ في الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل
وقرئ ويحشر المجرمون زرقا اى حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوء
الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا

في صفة العدو اسود الكبد واصهب السبال وازرق العين او عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى يتخافتون
بينهم اى يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استيناف ببيان ما يأتون وما
يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين اى يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة ان لبثتم اى ما لبثتم في الدنيا
الا عشرا اى عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم
عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر
وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات لا يتمالكون
من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والا فهم
اقطع من ان يمكنهم من الاشتغال بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتأسف عليها نحن اعلم بما يقولون
وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اى اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما ونسبة هذا القول
الى امثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول ويسألونك عن
الجبال اى عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء فقل ينسفها ربي
نسفا اى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين فيذرها
الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها اى فيذر ما انبسط منها
وساوى سطحه سطوح سائر اجزاء الارض بعد نسف ما نتأ منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال
لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل
سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل السهل وقيل المنكشف
من الارض وقيل المستوي الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء
كأن اجزاءها صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب وهو مفعول ثان ليذر
على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها اى في
مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين اى اعوجاجا ما كأنه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني
اى لا تدركه ان تأملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اى نتوا يسيرا استيناف مبين لكيفية ما سبق من القاع
الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف
النظم الكريم يومئذ اى يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى
يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك اى يتبع الناس داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل
عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال
المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل

عنه وخشعت الاصوات للرحمن اى خفضت لهيبته فلا تسمع الا همسا اى صوتا خفيا
ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ
اى يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من
اذن له الرحمن ان يشفع له ورضي له قولا اى ورضي لاجله قول الشافع في شأنه او
رضي قوله لاجله وفي شأنه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء
المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى
من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن
له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لما ان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له ان لا يملكها
ولا تصدر هي عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم
امكان صدورها عمن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل
منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها يعلم ما بين ايديهم
اى ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل
من امر الآخرة ولا يحيطون به علما اى لا يحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اى من
حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او
لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم اى
ذلت وخضعت خضوع العناة اى الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله
تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس
رضي الله عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او
اعتراض كأنه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل
الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات
قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه كما انه كذلك على الوجه
الاول اى ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين
في تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق وهو مؤمن فان الايمان شرط في صحة الطاعات
وقبول الحسنات فلا يخاف ظلما اى منع ثواب مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا
منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف
على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات

المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيامة واهوالها اي مثل ذلك الانزال انزلناه اي
القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شانه وكونه مركوزا في العقول حاضرا
في الاذهان قرآنا عربيا ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن
طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد اي كررنا فيه بعض
الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا لعلهم يتقون اي كي يتقوا الكفر والمعاصي
بالفعل او يحدث لهم ذكرا اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام
له تعالى ولشؤنه التي يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك
اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله واحواله الملك النافذ
امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت
في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه اي يتم كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليهما السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة
لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار
الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما
بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل اي في نفسك رب زدني
علما اي سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل
انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان
مما لا ريب في صحته ومشروعيته ولقد عهدنا الى آدم كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من
تصريف الوعيد في القرآن وبيان ان اساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان
مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك
وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام في
جواب قسم محذوف اي واقسم او وبالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اي من قبل هذا الزمان
فنسي اي العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه او تركه ترك المنسي عنه وقرئ فنسي اي نساه الشيطان
ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع
ان يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها
ويذوق شريها واريها عن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد
قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه اخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود
العلمي فله مفعولاه قدم الثاني على الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب كان

الفائدة

الفائدة هو المفعول وليس في الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كانه قيل ولم
نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه
وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر وقت
قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة
في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما
وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كانها
موجودة في زمن المخاطب بوجوداتها العينية اي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك
نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستأنفة وقعت
جوابا عن سؤال نشأ عن الاخبار بعدم سجوده كانه قيل فما باله لم يسجد فقيل ابى واستكبر ومفعول ابى
اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين او غير منوي رأسا بتنزيله منزلة
اللازم اي فعل الاباء واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصحه يا آدم ان هذا الذي رأيت
ما فعل عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اي لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما
من ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجكما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا ارينك ههنا
والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب للنهي واسناد الشقاء
اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقائه لشقائها مع
ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال
ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهي فان اجتماع اسباب
الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يؤدي الى
الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له عليه السلام فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب
وتمتعا باصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى الى
ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه
على ما فيها من انواع الشقاوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي اليها على ان
الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى
ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في
موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الى آخره ان لا يصيبك
شيء من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد يحصل بعد عروض اضدادها باعواز

الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كلما وقع شهوة وميل الى شيء من
الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا
وفصل الظمأ عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية
مقام الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظمأ
لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه
على ان نفي كل واحد من الامور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد
والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على
ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع
وقوعها خبرا لها لما ان المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق
فيما في حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة
موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبريتها ما فيهما من الحكم الايجابي
او السلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم
من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المأولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها
في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال
ان ان زيدا قائم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي
عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل
وقائمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها حيث لم يكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم
من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظمأ خلا
انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عليه السلام عدم الظمأ والضحو مطلقا كما فعل مثله في المعطوف عليه بل
قصد بيان ان الثابت له عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدري المحض ان المفيدة له كأنه
قيل ان لك فيها عدم ظمئك على التحقيق فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسته او اسرها
اليه قال اما بدل من وسوس او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل فماذا قال في وسوسته
فقيل قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على
حاله او بأن يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل
بوجه من الوجوه فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي الله عنه عريا عن النور الذي كان
الله تعالى ألبسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره في سورة الاعراف
وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود او عن المأمور به او عن

الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام
بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اي
اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك
اجتمعته او من جبى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتاب عليه اي
قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وافراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى اي الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب
العصمة قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كأنه قيل فماذا امره
تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اي انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى
بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشأ الاولاد اي
متعادين في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فاما يأتينكم مني هدى من كتاب
ورسول فمن اتبع هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة
في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري
اي عن الهدى الذاكر لي والداعي الي فان له في الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع
همته ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف
من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويوسع
ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو ان اهل القرى آمنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب آمنوا الى قوله تعالى
لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر
ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا
لانه جواب الشرط يوم القيامة اعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استئناف كما مر رب لم حشرتني اعمى
وقد كنت بصيرا اي في الدنيا وقرئ اعمى بالامالة في الموضعين وفي الاول فقط لكونه جديرا
بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف قال كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بقوله
تعالى اتتك آياتنا واضحة نيرة بحيث لا تخفى على احد فنسيتها اي عميت عنها و
تركتها ترك المنسي الذي لا يذكر اصلا وكذلك ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته

في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقاً لكن لا ابداً كما قيل بل الى ما شاء
الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذاباً فوق
العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا وكذلك
اي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات ولم يؤمن
بآيات ربه بل كذبها واعرض عنها ولعذاب الآخرة على الاطلاق او عذاب النار اشد
وابقى اي من ضنك العيش او منه ومن الحشر على العمى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من
القرون كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والهمزة
للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها
منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف واياً ما كان فالفاعل
هو الجملة بمضمونها ومعناها والضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى أغفلوا
فلم يفعل الهداية لهم او فلم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد مر في قوله عز وجل
على اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد الى الله عز وجل
ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا الخ اما معلق للفعل ساد مسد مفعوله او
مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل ولا وجه ان لا يلاحظ له مفعول كانه قيل افلم يفعل الله تعالى
لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا الخ بياناً لتلك الهداية ومن القرون في محل
النصب على انه وصف لمميز كم اي كم قرناً كائناً من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم حال
من القرون او من مفعول اهلكنا اي اهلكناهم وهم في حال امن وتقلب في ديارهم او من الضمير في
لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة من اصحاب الحجر وثمود
وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم
مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل باولئك وقرئ يمشّون
على البناء للمفعول اي يمكّنون من المشي ان في ذلك تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم
اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد
منزلته وعلو شأنه في بابه لآيات كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق
فاذاً هو هاد وايّما هاد ويجوز ان يكون كلمة في تجريدية فافهم لأولي النهى لذوي العقول الناهية
عن القبائح التي من اقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك
من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت
من ربك كلام مستأنف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الآية من ان

يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اي ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة
الى الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاماً اي لازماً لهؤلاء الكفرة
بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل باولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تلويح بان ذلك التأخير لتشريفه عليه السلام كما ينبئ عنه قوله
تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما
فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي
ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة او يوم بدر لما تأخر عذابهم وفصله عما عطف عليه
للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل
الآي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن في كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلاً
للفصل بالخبر منزلة التأكيد اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كدأب عاد وثمود
واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون اي اذا كان الامر على
ما ذكر من ان تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة على ما يقولون من كلمات الكفر فان
علمه صلى الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر وسبح ملتبساً بحمد
ربك اي صل وانت حامد لربك الذي يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه
اليه مما لا يليق بشأنه الرفيع حامداً له على ما ميزك بالهدى معترفاً بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر
المناسب لقوله تعالى قبل طلوع الشمس الخ فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلوة الفجر وقبل
غروبها يعني صلوتي الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة لقوله تعالى
قبل طلوع الشمس وقيل صلوة العصر ومن آناء الليل اي من ساعاته جمع إنْي بالكسر والقصر وآناء
بالفتح والمد فسبح اي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان
القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة
الليل هي اشد وطأ واقوم قيلاً واطراف النهار تكرير لصلوتي الفجر والمغرب ايذاناً باختصاصهما بمزيد
مزية ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقول من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه
نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس
او امر بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان
تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اي يرضيك
ربك ولا تمدن عينيك اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل الى ما متعنا به من زخارف

الدنيا وقوله تعالى أزواجا منهم اي اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به
او هو حال من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على ان معنى
من التبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا زهرة الحيوة الدنيا منصوب
بمحذوف يدل عليه متعنا اي اعطينا او به على تضمين معناه او بالبدلية من محل به او من ازواجا
بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة
في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد
لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار بهجته حالا
اي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك
اي ما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى خير مما منحهم في الدنيا لانه
مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه وابقى فانه لا يكاد
ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا وأمر اهلك بالصلوة امر عليه السلام بان يأمر اهل
بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم
ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وثابر عليها غير مشتغل بامر
المعاش لا نسألك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك
واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة الحميدة للتقوى اي لاهل التقوى على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روي انه عليه السلام كان اذا اصاب
اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا باية من ربه حكاية لبعض اقاويلهم
الباطلة التي امر عليه السلام بالصبر عليها اي هلا يأتينا باية تدل على صدقه في دعوى النبوة
او باية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد الى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها
صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى
أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى اي التورية والانجيل وساير الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا
لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوه تحتها من اتيان الآية بان اتيان القرآن الكريم الذي
هو ام الآيات واس المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة
بنوع من الامور الخارقة للعادات اي امر كان ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو
اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين والآخرين على يد امي
لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعد وروده واي آية

ترام

ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وساير الكتب
السماوية اي شاهدا بحقية ما فيها من العقائد الحقة واصول الاحكام التي اجمعت عليها كافة
الرسل وبصحة ما ينطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات
حقية غيره ما لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان
اليه مع جعلهم اياه مأتيا به للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة لانكار الوقوع
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل ألم يأتهم ساير الآيات ولم يأتهم خاصة
بينة ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتأتى منهم انكاره اصلا
وان اجترؤوا على انكار ساير الآيات مكابرة وعنادا وقرئ اولم يأتهم بالياء التحتانية وقرئ
الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب الى آخر الآية جملة مستأنفة
سيقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم
القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل من قبله متعلق باهلكنا او
بمحذوف هو صفة لعذاب اي بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم
لقالوا اي يوم القيمة ربنا لولا ارسلت الينا في الدنيا رسولا ونخزى بدخول النار
اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء قل لاولئك الكفرة المتمردين كل اي كل واحد منا ومنكم
متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون عن قريب
من اصحاب الصراط السوي اي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد وقرئ السوء والسوأى
والسوي تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها
الرفع بالابتداء خبر ما بعدها والجملة سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة
بخلاف الاولى لعدم العائد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على
ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط وقيل العائد في الاولى محذوف والتقدير من هم
اصحاب الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب
المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا سورة طه ويس والله تعالى اعلم

سورة الانبياء

اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة
غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذي يفصح

عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب
اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لان سياق
الكلام لبيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على
الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوؤهم ويورثهم
رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي
خلق لكم ما في الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان كون الخلق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة
فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تاكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط اقترب
حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل مما
يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم السيئة
الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بان
يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء
مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه
في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة
الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من
الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في
نفسه ايضا فيصار حينئذ الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا
لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وانما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة
قريب في نظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة
الى شيء آخر وهم في غفلة اي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم
باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء معرضون اي
عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا
لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون
الظرف حالا من المستكن في معرضون ما ياتيهم من ذكر من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم
ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر ومن في قوله تعالى من ربهم لابتداء
الغاية مجازا متعلقة بياتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه
وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع محدث بالجر صفة
لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى الا استمعوه استثناء

مفرغ

مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول ياتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى وهم
يلعبون حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى منه او من واو يلعبون و
المعنى ما ياتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين
عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور
والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر واسروا النجوى كلام مستانف
مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى
اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر
احد بانهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا بدل من واو اسروا منبئ عن كونهم موصوفين
بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا
النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى
هل هذا الا بشر مثلكم الى آخره في حيز النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال
نشا عما قبله كانه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الى آخره او بدل من اسروا او معطوف عليه
او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث هل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى افتاتون السحر
للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى وانتم تبصرون حال من فاعل تاتون
مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر تعلمون ذلك
افتاتونه وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم
الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وذل عنهم ان
ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي يقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون وانما اسروا ذلك
لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد
في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون قال ربي يعلم القول في
السماء والارض حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعدما اوحى اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور
امرهم وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني
مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا
كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله تعالى في السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول
اي كائنا في السماء والارض وقوله تعالى وهو السميع العليم اي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من
جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن
للوعيد بل قالوا اضغاث احلام اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول

آخر مضطرب في مطالب البطلان اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا الا بشر وفي
حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا انه تخاليط الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا بل افتراه
من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا بل هو شاعر وما اتى به شعر يخيل الى
السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب
بين فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل
من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر
ولا ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال قالوا بل اضغاث احلام والاعتذار بان بل قالوا مقول
لقالوا المضمر قبل قوله تعالى بل هذا الا بشر كانه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل اضغاث احلام
وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله فليأتنا بآية جواب شرط
محذوف يفصح عنه السياق كانه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية كما ارسل
الاولون اي مثل الآية التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل
الكاف الجر على انها صفة لآية ويجوز ان تكون مصدرية فالكاف منصوبة على انها مصدر تشبيهي اي نعت
لمصدر محذوف اي فليأتنا بآية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان
بالآية من فروع الارسال بها اي مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد
كل واحد من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الارسال وفي جانب
المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الآخر حسبما مر في آخر سورة يونس عليه
السلام ما آمنت قبلهم من قرية كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني
بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه وان في ترك الاجابة
اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة
الله عز وجل في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال
لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية اي
من اهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله تعالى اهلكناها اي باهلاك اهلها لعدم
ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى افهم يؤمنون لانكار الوقوع
والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين
فالمعنى انه لم يؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات أانهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون
لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ما آمنت على ان الفاء متقدمة
على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها

الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور وقوله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا جواب لقولهم هل
هذا الا بشر الخ متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه صلى
الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب
قولهم فليأتنا بآية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما مر
في تفسير قوله تعالى قل انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا
بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم
الكريم والحق ان ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى الحكمة
ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق
المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم
للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك
منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين
بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى نوحي اليهم
استئناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف
المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك
الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس مستأهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة
الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام وغيرهما من القصص والاخبار كما نوحي اليك من
غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى
نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا
يفهمون انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون
ما يقولون وقرئ يوحى اليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا
بتعين الفاعل وقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه
له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير عند تحقيق الحق على طريقة
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه الحقيق بالخطاب في امثال تلك الحقائق الانيقة
واما الوقوف عليها بالاستخبار فلغيره من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على
ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا
ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلاة لتزول شبهتكم

أمروا بذلك لأن أخبار الجم الغفير توجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته
صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وما جعلناهم جسداً بيان لكون الرسل عليهم السلام أسوة لسائر
أفراد الجنس في أحكام الطبيعة البشرية إثر بيان كونهم أسوة لهم في نفس البشرية والجسد
جسم الإنسان والجن والملائكة ونصبه إما على أنه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسداً بعد أن لم يكن
كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغّر البعوض وكبّر الفيل كما في قوله تعالى وجعلنا
آية النهار مبصرة وإما حال من الضمير والجعل إبداعي وإفراده لإرادة الجنس المنتظم للكثير أيضاً
وقيل بتقدير المضاف أي ذوي جسد وقوله تعالى لا يأكلون الطعام صفة له أي وما جعلناهم
جسداً مستغنياً عن الأكل والشرب بل محتاجاً إلى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا
خالدين لأن مآل التحلل هو الفناء لا محالة وفي إيثار ما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على أن عدم
الخلود مقتضى جبلتهم التي أشير إليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستأنف والمراد
بالخلود إما المكث المديد كما هو شأن الملائكة أو الأبدية وهم معتقدون أنهم لا يموتون والمعنى
جعلناهم أجساداً متغذية صائرة إلى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا أجساداً
مستغنية عن الأغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقررة
لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشراً لا ملكاً مع ما في ذلك من الرد على قولهم
ما لهذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى
إليهم على الاستمرار التجددي كأنه قيل أوحينا إليهم ما أوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم
في تضاعيف الوحي بإهلاك أعدائهم فأنجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن يستدعي
الحكمة إبقاءه ممن سيؤمن هو أو بعض فروعه بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال
وأهلكنا المسرفين أي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي لقد أنزلنا إليكم كلام مستأنف
مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة إعراض الناس عما يأتيهم
من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحراً وتارة أضغاث أحلام وأخرى مفترى وشعراً
وبيان علو رتبته إثر تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ببيان أنه كسائر الرسل الكرام
عليهم الصلوة والسلام وقد صدّر بالتوكيد القسمي إظهاراً لمزيد الاعتناء بمضمونه وإيذاناً
بكون المخاطبين في أقصى مراتب النكير أي والله لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش كتاباً عظيم الشأن
نيّر البرهان وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتاباً مؤكدة لما أفاده التنكير التفخيمي من كونه جليل
المقدار بأنه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة أي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وإنه لذكر لك
ولقومك وقيل ما تحتاجون إليه في أمور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الأخلاق

وقيل

وقيل فيه موعظتكم وهو الأنسب بسباق النظم الكريم وسياقه فإن قوله تعالى أفلا تعقلون
إنكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في أمر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ
والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
أي ألا تتفكرون فلا تعقلون أن الأمر كذلك أو لا تعقلون شيئاً من الأشياء التي من جملتها ما ذكر
وقوله تعالى وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل لإجمال قوله تعالى وأهلكنا المسرفين وبيان لكيفية
إهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على أنها مفعول لقصمنا ومن
قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بإبانة أجزاء المكسور وإزالة تأليفها بالكلية
من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على أنها صفة
لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الآتي أي وكثيراً قصمنا من أهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى
كافرين بها كدأبكم وأنشأنا بعدها أي بعد إهلاكها قوماً آخرين أي ليسوا منهم نسباً ولا ديناً
ففيه تنبيه على استئصال الأولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية إنشاء هؤلاء
على حكاية مبادي إهلاك أولئك بقوله تعالى فلما أحسوا بأسنا أي أدركوا عذابنا الشديد إدراكاً تاماً
كأنه إدراك المشاهد المحسوس إذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم
في فرط الإسراع لا تركضوا أي قيل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال من الملك أو ممن ثمة من المؤمنين
بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من النعم والتلذذ والإتراف إبطار
النعمة ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها لعلكم تسألون تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في
المهمات والنوازل أو تفتقدون إذا رأيت مساكنكم خالية وتسألون أين أصحابها أو يسألكم
الوافدون نوالكم على أنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء أو بخلاء فقيل لهم ذلك تهكماً إلى تهكم
قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وأيقنوا بنزول العذاب يا ويلنا أي هلاكنا إنا كنا ظالمين
أي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم
ذلك فما زالت تلك دعواهم أي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى أي دعوة لأن المولول
كأنه يدعو الويل قائلاً يا ويل تعال فهذا أوانك حتى جعلناهم حصيداً أي مثل الحصيد وهو المحصود
من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع خامدين أي ميتين من خمدت النار إذا طفئت وهو مع حصيداً
في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلواً حامضاً والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود
أو حال من الضمير المنصوب في جعلناهم أو من المستكن في حصيداً أو صفة لحصيداً لتعدده معنى لأنه في حكم
جعلناهم أمثال حصيد وما خلقنا السماء والأرض إشارة إجمالية إلى أن تكوين العالم وإبداع بني آدم
مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على أن ما حكي من العذاب الهائل

والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وتنبيه
للمخاطبين المقتدين باثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم اى ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التى لا تحصى
اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها واحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن
الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قال لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى
عن الخلق الخالى عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد فى استحالة صدوره عنه سبحانه
بل انما خلقناها وما بينهما ليكون مبدءا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل
معرفتنا التى هى الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات
والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اى لو
اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا اى من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشاننا
من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة فى رفع العروش
وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا
وقوله تعالى ان كنا فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اى ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل
ان نافية اى ما كنا فاعلين اى لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء التالى لانتفاء
المقدم او لارادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالى وقيل اللهو الولد بلغة
اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق على الباطل اضراب
عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شاننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل
الذى من قبيله اللهو وتخصيص شانه هذا من بين سائر شئونه تعالى بالذكر للتخلص لما سيأتى من الوعيد
فيدمغه اى يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف
الذى هو الرمى الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذى هو كسر الشئ الرخو الاجوف
وهو الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب
وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اى ذاهب بالكلية وفى اذا الفجائية والجملة الاسمية
من الدلالة على كمال المسارعة فى الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكانه زاهق من الاصل ولكم الويل مما
تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة
بالاستقرار الذى تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره فى الخبر وما اما مصدرية او موصولة
او موصوفة اى واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشانه الجليل او بالذى تصفونه
او بشئ تصفونه به من الولد او كانه مما تصفونه تعالى به وله من فى السموات والارض استئناف مقرر لما قبله

من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اى له
تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد
فى ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما
عبر عنهم بمن فى السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك
بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته اى لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا
ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة فى الحسور للتنبيه
على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفى المبالغة
فى الحسور مع ثبوت اصله فى الجملة كما ان نفى الظلامية فى قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة
كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفى المبالغة فى الظلم مع ثبوت اصل الظلم فى الجملة
وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم فى من فى السموات والارض للتعظيم
كما فى قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية يسبحون الليل والنهار
اى ينزهونه فى جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله
كانه قيل ماذا يصنعون فى عباداتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون
وكذا قوله تعالى لا يفترون اى لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل آخر ام اتخذوا
آلهة حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر
تحقيق الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره
وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشانه من
الامور التى من جملتها الانداد ومعنى الهمزة فى ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله
تعالى من الارض متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لآلهة واياما كان فالمراد هو التحقير
لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون اى يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذى يدور عليه
الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اى بل اتخذوا آلهة من الارض هم
خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها آلهة بمعزل عن ذلك وهم وان
لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه
من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص فى تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم
للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما فى قوله تعالى افى الله شك وقوله تعالى ابالله وآياته كنتم تستهزؤن
فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه ويستهزأ به ويجوز ان يجعل ذلك
من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة فحيث ادعوا

للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا بذلك مدعين لاصل
الانشار **لو كان فيهما آلهة الا الله** ابطال لتعدد الآلهة باقامة البرهان على انتفائه بل
على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر اتخاذ الآلهة لا لان للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا
فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها
لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع
على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب اى لو كان في السموات و
الارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل **لفسدتا** اى لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى
التالي علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد
بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على
ما هما عليه اما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتأثير
واحد منها فالبواقي بمعزل من الالهية قطعا واعلم ان جعل التالي فسادهما بعد وجودهما
لما انه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما والا فالبرهان يقتضي باستحالة التعدد على الاطلاق
فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت
فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى **فسبحان الله**
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اى فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه
عما لا يليق به من الامور التي من جملتها ان يكون له شريك في الالوهية وايراد الجلالة في موقع الاضمار
للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق
به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى **رب العرش** صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه
عز وجل **عما يصفون** متعلق بالتسبيح اى فسبحوه عما يصفونه من ان يكون من دونه آلهة **لا
يسأل عما يفعل** استئناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس
لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالهية
وهم اى العباد **يسألون عما يفعلون** نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه
وعيد للكفرة **ام اتخذوا من دونه آلهة** اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة
آلهة حقيقة باظهار خلوها من خصائص الالهية التي من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع
على استحالة تعدد الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم
تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم بالجائهم الى
اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان

الاشراك

الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل
اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شئونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية آلهة مع ظهور
خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية **قل** لهم بطريق التبكيت والقام الحجر **هاتوا برهانكم**
على ما تدعونه من جهة العقل والنقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه في الامور الدينية لا سيما في مثل
هذا الشأن الخطير وما في اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ضرب من التهكم
بهم وقوله تعالى **هذا ذكر من معي وذكر من قبلي** انارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب
الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان
لاظهار كمال عجزهم اى هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر امتي
اى عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب انزل
على امتي وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلثة والصحف فراجعوها وانظروا
هل في واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض
مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وبه ومن
الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى **بل اكثرهم لا يعلمون الحق** اضراب من
من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان
انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه
وبين الباطل **فهم** لاجل ذلك **معرضون** اى مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع
الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون
عما القي عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وتوسيط
بين السبب والمسبب تاكيدا للتسبيب وقوله تعالى **وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه
لا اله الا انا فاعبدون** استئناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب
الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول واياما كان
فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا**
حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه
سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدي
ان قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض
لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة
مقالتهم الباطلة **سبحانه** اى تنزه بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح

اي بعدا او سبحه تسبيحا على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله
تعالى بل عباد اضراب وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى
مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره
تعالى اي لا يقولون شيئا حتى يقوله تعالى او يامرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاسند
السبق اليهم منسوبا اليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم
عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى
وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافي عن التكرار
وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته اسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان
من سبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى
وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فانى يتوهم
صدوره عنهم وهم بامره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى
فيه كانه قيل هم بامره يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار
معتبر بالنسبة الى غير امره لا الى امر غيره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم استئناف وقع تعليلا
لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا
يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى ولا يشفعون الا لمن
ارتضى اي يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته عز وجل مشفقون
مرتعدون واصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف
مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلى ينعكس الامر ومن
يقل منهم اي من الملائكة اذ الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم اني اله من دونه
متجاوزا اياه تعالى فذلك الذي فرض قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغني
عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته
واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزي
الظالمين مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون
الاشياء في غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان
دون الزيادة اي لا جزاء انقص منه اولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في
الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته
والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا

ان السموات والارض كانتا اي جماعتا السموات والارضين كما في قوله تعالى ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى اما على حذف المضاف
او هو بمعنى المفعول اي كانتا ذواتي رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اي شيئا رتقا اي
مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة والحسن البصري
وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء
الى حيث هي واقر الارض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والارض ملتصقتين ثم
خلق ريحا فتوسطتها ففتقتها وعن الحسن خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس
كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها
وبسط منها وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السموات
مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة
واحدة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس رض في رواية عطاء وعليه اكثر المفسرين
ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر
والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق او السموات جميعا
على ان لها مدخلا في الامطار وعلم الكفرة الرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعنى
الاول فهم وان لم يعلموهما لكنهم متمكنون من علمهما اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر
الى موثر قديم واما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شيء حي اي خلقنا
من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده او لفرط
احتياجه وانتفاعه به او صيرنا كل شيء حي من الماء اي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم
المفعول الثاني للاهتمام به لا لمجرد ان المفعولين في الاصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا
ان يتقدم على المبتدأ فان ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول
ثان والظرف كما في الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى المؤخر افلا يؤمنون انكار
لعدم ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والانفسية الدالة
على تفرده عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته و
الفاء للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اي ايعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في
الارض رواسي اي جبالا ثوابت جمع راسية من رسا الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف جمع
المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى اشهر معلومات واياما معدودات
ان تميد بهم اي كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالباس

ان تميد بهم اى كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالتباس
وجعلنا فيها اى فى الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه او
فى الرواسى لانها المحتاجة الى الطرق فجاجا مسالك واسعة وانما قدم على قوله تعالى سبلا وهو
وصف له ليصير حالا فيفيد انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه
تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد لعلهم يهتدون اى الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا
السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم
بمشيئتنا او من استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته
وقدرته وارادته التى بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه فى علمى الطبيعة والهيئة
معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذى
خلق الليل والنهار والشمس والقمر الذين هما آيتاهما بيان لبعض تلك الآيات التى هم عنها
معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوى الكلام اى هو الذى خلقهن وحده
كل اى كل واحد منهما على ان التنوين عوض عن المضاف اليه فى فلك يسبحون اى يجرون
فى سطح الفلك كالسبح فى الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من
الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو
العقلاء لان السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اى فى الدنيا لكونه مخالفا للحكمة
التكوينية والتشريعية أفإن مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون نزلت حين قالوا
نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها وجودا و
عدما من شماتتهم بموته عليه السلام فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغى ان يصدر عن
العاقل كأنه قيل أفإن مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى كل نفس ذائقة
الموت اى ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم ونبلوكم
الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين او للكفرة بطريق الالتفات اى نعاملكم معاملة
من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون اولا فتنة مصدر
مؤكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم
حسبما يظهر منكم من الاعمال فهو الاول وعد ووعيد وعلى الثانى وعيد محض وفيه ايماء الى
ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون
بالياء على الالتفات واذا رآك الذين كفروا اى المشركون ان يتخذونك الا هزوا
اى ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معك عليه السلام على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى

قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كأنه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه
فى قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى فى سورة الانعام أهذا الذى يذكر آلهتكم على ارادة القول
اى ويقولون او قائلين ذلك اى يذكرهم بسوء كما فى قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ وقوله
تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون فى حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم
يعيبون عليه عليه السلام ان يذكر آلهتهم التى لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم
عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم
احقاء بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون
بذكر الرحمن والضمير الثانى تأكيد لفظى للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد
بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه تنزيلا لما طبع
عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن
عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد روى انها نزلت فى النضر بن الحارث حين استعجل
العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان
المراد بالانسان آدم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم و
روى انه لما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى
فى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع فى خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق الانسان خلقا ناشئا
من عجل فذكره لبيان انه من دواعى عجلته فى الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام
ساريا الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له ههنا وقوله تعالى سأريكم آياتى تلوين
للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد
اى سأريكم نقماتى فى الآخرة كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهى عما
جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد اى وقت مجئ الساعة
التى كانوا يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما
يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقته بطريق الالزام كما فى سورة الملك ان كنتم صادقين
اى فى وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة
المنبئة عن مجئ الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف فى مثل قوله تعالى
فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه
بطريق العجلة فان ذلك فى قوة الامر بالاتيان عجلة قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم
الذين كفروا استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم

انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار
عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل
بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قولك لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء
الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان لا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير
للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا
عن ظهورهم مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته
الى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضا
مع انكار الكفرة بذلك للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة له الى الاخبار به وانما حقه الانتظام
في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اي لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه
بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذي يحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور
بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما للاحاطة بالكل
بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم ولا هم ينصرون من جهة
الغير في دفعها لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا
منزلة اللازم اي لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الى آخره استئناف مقرر لجهلهم ومبين
لاستمراره الى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال بل تأتيهم عطف
على لا يكفون اي لا يكفونها بل تأتيهم اي العدة او النار او الساعة بغتة فتبهتهم اي تغلبهم
او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا الهاء في قوله تعالى فلا
يستطيعون ردها بتأويل الوعد بالنار او العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار او
الى البغتة اي لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون اي يمهلون ليستريحوا
طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عليه السلام في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية
بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم الصلوة والسلام وتصديرها
بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو
صفة له اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل
زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق اي احاط عقيب ذلك
او نزل او حل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر و
الحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي من اولئك

الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن
للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها
والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به
حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور راجع الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع
كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم
عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط اي فنزل على وضع السبب
موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب
الاخروي بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية
تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بني الوزن
وقد مر تفصيله في سورة الاعراف في قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية الى آخرها قل خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليته بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامر له عليه السلام
بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل و
النهار من الرحمن اي من بأسه الذي تستحقون نزوله ليلا او نهارا وتقديم الليل لما ان
الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم
ليس الا رحمته العامة وبعد ما امر عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما تقتضيه
حالهم لانهم بحيث لولا ان الله تعالى يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون الآفات فهم احقاء بان
يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا على ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى
بل هم عن ذكر ربهم معرضون ببيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم
وهي انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من
الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة قول من قال عوجوا فحيوا
لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار وفي تعليق الاعراض بذكره تعالى
وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته
تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة
ام في قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا منقطعة وما فيها من معنى بل
للاضراب والانتقال عما قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ
عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها
والهمزة لانكار ان يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز

منعنا او حفظت او من عذاب كائن من عندنا فهم معوّلون عليها واثقون بحفظها وفي
توجيه الانكار والنفي الى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع لا الى نفس الصفة بان يقال ام
تمنعهم آلهتهم ح من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلاً عن رتبة المنع ما لا يخفى
وقوله عز وجل لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف مقرر لما قبله
من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم اي انهم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا هم يصحبون
بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى
طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم
من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا
وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبت
بما يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل افلا يرون اي الا ينظرون فلا يرون
انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها فكيف يتوهمون انهم ناجون
من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يخربه الله عز وجل من ديارهم على ايدي المسلمين ويضيفها
الى دار الاسلام افهم الغالبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء
لانكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل
ابعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله
تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعريف تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون
بها قل انما انذركم بعد ما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجلونه ونهاية سوء حالهم عند
اتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار
وغير ذلك من مساوي احوالهم أمر عليه السلام بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من
الساعة بالوحي الصادق الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال اي انما شأني
ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ
الايمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اما من تتمة الكلام الملقن تذييل
له بطريق الاعتراض قد أمر عليه السلام بان يقوله لهم توبيخاً وتقريعاً وتسجيلاً عليهم
بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاماً اولياً او للعهد فوضع المظهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصامم وتقييد نفي السماع بقوله تعالى اذا ما ينذرون
مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذاراً كان او تبشيراً لبيان كمال شدة الصمم كما ان ايثار
الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات

يستعجلونه

عالية مكررة مقارنة لهيآت دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما
من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى
الله عليه وسلم من الاسماع بنصب الصم والدعاء كانه قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم و
قرئ بالياء ايضاً على ان الفاعل هو عليه السلام وقرئ على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على اسماع
الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب
اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة
ادنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء
ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم
وقوله تعالى ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين
العادلة التي توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي
والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الاعراف وافراد القسط لانه
مصدر وصف به مبالغة ليوم القيامة التي كانوا يستعجلونها اي لجزائه او لاجل اهله او
فيه كما في قولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئاً حقاً من حقوقها
او شيئاً ما من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه ان خيراً فخير وان شراً فشر والفاء لترتيب انتفاء
الظلم على وضع الموازين وان كان اي العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل
اي مقدار حبة كائنة من خردل اي وان كان في غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل في الصغر
وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة أتينا بها اي احضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة
الخردل للوزن والتأنيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا بها اي جازينا بها من الايتاء بمعنى
المجازاة والمكافأة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها وكفى
بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى
للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالاً نوحي اليهم الى قوله تعالى
واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار
كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التورية وكذا بالضياء والذكر اي وبالله لقد
آتيناهما وحياً ساطعاً وكتاباً جامعاً بين كونه فارقاً بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في
ظلمات الجهل والغواية وذكرى يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره
المغتنمون لمغانم آثاره او ذكرى ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر
والاول هو الاليق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما التورية

فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما ارسل الاولون
وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين يخشون ربهم اي عذابه مجرور
المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح بالغيب
حال من المفعول اي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث
لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي
خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر
بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم
بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه
وهذا اي القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من
تذكر وصف بالوصف الاخير للتورية لمناسبة المقام وموافقته لما مر في صدر السورة
الكريمة مبارك كثير الخير غزير النفع يتبرك به انزلناه اما صفة ثانية لذكر او خبر آخر افانتم
له منكرون انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كايتاء التورية كانه قيل ابعد ان علمتم
ان شأنه كشأن التورية في الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان
ذلك بعد ملاحظة حال التورية مما لا مساغ له اصلا ولقد آتينا ابراهيم رشده اي
الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة
الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده
وهو لغة كالحزن والحزن من قبل اي من قبل ايتاء موسى وهرون التورية وتقديم ذكر ايتائهما
لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه ويأباه المقام
وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات
مختار في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه
الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله
اي اذكر وقت قوله لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لتقف على كمال رشده
وغاية فضله والتمثال اسم لشيء مصنوع مشبها بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه
السلام حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة او شرح الاسم كانه لا يعرف
انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها بمطلق
العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها
واذلالها وتوبيخا لهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى

انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا
وجدنا آباءنا لها عابدين اجابوا بذلك لما ان مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن
سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف لها كانه عليه السلام
قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ما يعتد به التجأوا الى
التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث قال لقد كنتم انتم وآباؤكم
الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة في ضلال عجيب لا يقادر قدره مبين اي ظاهر
بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا
استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اي والله لقد كنتم مستقرين
على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقية في الجملة قالوا لما
سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم
بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد اجئتنا بالحق اي
بالجد ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي ايراد الشق
بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال عليه السلام اضرابا عما بنوا
عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كانه
قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه
لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه
تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية
اي انشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم وآباؤكم وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه
ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح
المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات وانا على ذلكم الذي ذكرته من
كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين اي العالمين
به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك
ادلاؤه عليه واثباته بها كانه قال وانا ابين على ذلك وابرهن عليه وتالله وقرئ بالباء
وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم اي
لاجهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله
عليه السلام سرا وقيل سمعه رجل واحد بعد ان تولوا مدبرين من عبادتها الى عيدكم
وقرئ تولوا من التولي بحذف احدى التاءين ويعضده قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء

فى قوله تعالى فجعلهم فصيحة اى فولوا فجعلهم جذاذا اى قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذى
هو القطع كالحطام من الحطم الذى هو الكسر وقرئ بالكسر وهى لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ
بالفتح وجُذذا جمع جذيذ وجُذَذا جمع جذة روى ان آزر خرج به فى يوم عيد لهم فبدؤا ببيت
الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت
الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقى ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما
مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب فى عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر
الكل بفاس كان فى يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفاس فى عنقه وذلك قوله تعالى الا كبيرا
لهم اى للاصنام لعلهم اليه اى الى ابراهيم عليه السلام يرجعون فيحاجهم بما سيأتى
فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان من شأن المعبود ان يرجع اليه
فى الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار
بمن كسرهم قالوا اى حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا من فعل هذا بآلهتنا على طريقة
الانكار والتوبيخ والتشنيع والتعبير عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهى بين ايديهم مبالغة
فى التشنيع وقوله تعالى انه لمن الظالمين استيناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة
فى حيز الرفع على انها خبر لها والمعنى الذى فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة
اما لجرأته على اهانتها وهى حقيقة بالاعظام او لافراطه فى الكسر والحطم وتماديه فى الاستهانة بها
او بتعريض نفسه للهلكة قالوا اى بعض منهم مجيبين للسائلين سمعنا فتى يذكرهم اى
يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى
مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا
من الناس انه عليه السلام يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح يقال له ابراهيم صفة اخرى لفتى اى
يطلق عليه هذا الاسم قالوا اى السائلون فأتوا به على اعين الناس اى بمرأى منهم بحيث
يكون نُصُب اعينهم فى مكان مرتفع لا يكاد يخفى على احد لعلهم يشهدون اى يحضرون
عقوبته وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير ح ليس للناس بل للبعض منهم
مبهم او معهود قالوا استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية قولهم كأنه قيل فماذا فعلوا به بعد
ذلك هل اتوا به اولا فقيل قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم اقتصارا على حكاية
مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على ان اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غنى عن البيان
قال بل فعله كبيرهم هذا مشيرا الى الذى لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه
الى مقصده الذى هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل فى شأن آلهتهم مع

ما فيه من التوقى من الكذب حيث ابرز الكبير قولا فى معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه
فى ذلك المعرض فعلا بجعل الفاس فى عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك
الاصنام غاظته عليه السلام حين ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ
كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل
هو حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد
ويدعى الها ان يقدر على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه عليه السلام قال فعله كبيرهم هذا غضب
ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام تنبيههم على غضب
الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادة الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل
الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضى يبلغ فيه
غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل لذلك بما لو قال لك امى فيما كتبته بخط رشيق وانت
شهير بحسن الخط ءانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك
مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها له فبمعزل عن التحقيق لان خلاصة المعنى فى المثال
المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله فى السؤال
لابتنائه على ان صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالته عندك ولا ريب فى ان مراده عليه
السلام من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم فى سؤالهم لابتنائه على احتمال
صدوره عن الغير عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل فى احوال اصنامهم كما ينبئ عنه
قوله تعالى فاسألوهم ان كانوا ينطقون اى ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه السلام
ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال هو
الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك اولا حسبما نطق به قوله تعالى
فرجعوا الى انفسهم اى راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على
الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة
له فكيف يستحق ان يكون معبودا فقالوا اى قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم انتم الظالمون
اى بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه
بقولكم انه لمن الظالمين او انتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها ثم نكسوا على رؤسهم اى انقلبوا
الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ اعلاه
وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اى نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
على ارادة القول اى قائلين والله لقد علمت ان ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم

على ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع قال مبكتا لهم
أفتعبدون اي اتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله اي متجاوزين عبادته تعالى
ما لا ينفعكم شيئا من النفع ولا يضركم فان العلم بحاله المنافية للالوهية مما يوجب
الاجتناب عن عبادته قطعا أف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عليه السلام من
اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا
واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له أفلا تعقلون اي الا
تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة
وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة
القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا
آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اي للنصر او لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن
كنعان بن السنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه
هيون وقيل هدير خسفت به الارض روي انهم لما اجمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له
حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في
الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة
لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة
وهجها ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها فاتى ابليس وعلمهم
عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل
فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها
فقال له جبريل عليهما السلام هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال
حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا
يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير
ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة واقامة كوني ذات
برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي
وسلمنا سلاما عليه روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا
عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وروي انه عليه السلام
مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن
يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه

عليه فرآه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس حسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به
فناداه يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فقم فاخرج فقام يمشي فخرج
منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رأيته معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي
ليؤنسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك
فقال عليه السلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي
ولكن سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ
ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من ابدع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا
وان لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات
وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها كما تراه في السمندر كما يشعر
به ظاهر قوله تعالى على ابراهيم وارادوا به كيدا مكرا عظيما في الاضرار به فجعلناهم
الاخسرين اي اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه
عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب
ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاتها
العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات
والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه عليه السلام نزل
بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق و
يعقوب نافلة اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق
فيختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة وكلا اي وكل واحد من هؤلاء الاربعة
لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا
فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عليه
السلام بقوله ومن ذريتي يهدون اي الامة الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا
اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام
العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانافته وحذفت
تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا خاصة
دون غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم غير عبادتنا ولوطا قيل هو منصوب بمضمر يفسره
قوله تعالى آتيناه اي وآتينا لوطا وقيل باذكر حكما اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم

بالحق وعلما بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث
اي اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما
يؤذن به قوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا
اي في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اي اذكر
نوحا اي خبره وقوله تعالى اذ نادى اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر
اي اذكر نبأه الواقع وقت دعائه من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه
الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان و
قيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار
ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا باياتنا وحمله على فانتصر يأباه ما ذكر من دعائه عليه
السلام فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى
انهم كانوا قوم سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين
فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا و
داود وسليمان اما عطف على معمول لعامله واما منصوب معطوف على ذلك العامل بتقدير
المضاف وقوله تعالى اذ يحكمان ظرف لذلك المضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية
لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما في الحرث اي في حق الزرع او الكرم المتدلية
عناقيده كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت اي تفرقت وانتشرت
فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين
والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص
الوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد
الاعتناء بشأنه ففهمناها سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها
والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال احدهما ان غنم
هذا دخلت في حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام
فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له
بحق النبوة والابوة اخبرني بالذي ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم الى صاحب
الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى
ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما
السلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه السلام غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله ارى ان

تدفع الخ صريح في انه ليس بطريق الوحي والا لبت القول بذلك ولما ناشده داود عليه السلام لاظهار
ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بداءة وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق
ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان رأي سليمان
عليه السلام استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين ورأي داود عليه السلام قياس
كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في
ذلك او يفديه عند الشافعي وقد روي انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت
واما سليمان عليه السلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع
بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان
يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن
القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الآبق ترادا وفي
قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه مع ان الحكم المبني
على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لما ان ذلك من خصائص شريعتنا على
انه ورد في الاخبار ان داود عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما
حكم المسألة في شريعتنا فعند ابي حنيفة رحمه الله لا ضمان ان لم يكن معها سائق او قائد وعند
الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لدفع ما عسى يتوهم
تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكما شرعيا اي وكل واحد
منهما آتينا حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطأ المجتهد لا يقدح في
كونه مجتهدا وقيل بل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل
لاحتمل توافقهما على ان قوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عليه
السلام كان حينئذ ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع في بيان ما
يختص بكل منهما من كرامته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما يسبحن اي يقدسن الله عز
وجل معه بصوت يتمثل له او بخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو
حال من الجبال او استئناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد
والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والطير
مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكيد والفصل وكنا
فاعلين اي من شأننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم وعلمناه
صنعة لبوس اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال قائلهم البس لكل حالة لبوسها

إما نعيمها وإما بوسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلّمنا
او بمحذوف هو صفة للبوس لتحصنكم اي اللبوس بتأويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير
لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية
الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم من بأسكم قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع
السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان
الريح اي وسخرنا له الريح وايراد اللام ههنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت
فان تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الكلي له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية
تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عليه السلام
والاقتداء به في عبادة الله عز وعلا عاصفة حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اي
وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب من حيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة
يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة
وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع على
الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حال من ضمير المبتدأ في الخبر والعامل ما فيه
من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل
من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعد ما سارت به
منه بكرة قال الكلبي كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى
حيث شاء ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن
الشياطين اي وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفائسه ومحل
من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر ويعملون عملا دون ذلك اي غير ما ذكر
من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل
الآية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها
باعتبار معناها بعد ما رشح جانبه بقوله تعالى من الشياطين روي ان المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنهم
لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو
مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من في قوله تعالى
وداود وسليمان اي واذكر خبر ايوب اذ نادى ربه اني اي باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار
القول او تضمين النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال
ونحوهما وانت ارحم الراحمين وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض

المطلب لطفا في السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى
وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه
ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات روي
ان امرأته ماصر بنت ميشا بن يوسف عليه السلام او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت
الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله تعالى ان ادعوه وما
بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت
بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما اخذت
منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب
وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عليه السلام كانك افتتنت بقول
اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من
طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا
فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض
برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة
الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد
صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام
جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله
تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امرأته قالت
في نفسها هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت
تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت
صاحب الحلة ان تأتيه وتسأل عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت
اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال اتعرفينه
اذا رأيته قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا
وذكرى للعابدين اي آتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر
فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا
لهم واسمعيل وادريس وذا الكفل اي واذكرهم وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا
سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى
النصيب والكفالة والضعف كل اي كل واحد من هؤلاء من الصابرين اي على مشاق التكاليف

وشدائد النوب والجملة استيناف وقع جوابا عن سوال نشأ من الامر بذكرهم وادخلناهم في رحمتنا
اي في النبوة او في نعمة الآخرة انهم من الصالحين اي الكاملين في الصلاح الكامل الذي
لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون اي واذكر
صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام اذ ذهب مغاضبا اي مراغما لقومه لما برم من طول
دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب
فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة
او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن
نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده انه قرئ مشددا او لن نعمل فيه قدرتنا
وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن ان لن نقدر عليه اي نعامل معاملة من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته
قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده اي نعامل معاملة من يحسب ذلك
وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا
للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة اي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى
في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل
ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل ان لا اله الا انت
اي بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف او اي لا اله الا انت على انها
مفسرة سبحانك انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب
من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له
اي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه وحسنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل
بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل الخطيئة وكذلك
اي مثل ذلك الانجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى
منه وفي الامام نجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم
على ان اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع
من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع
المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند
الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن
آخره وزكريا اي اذكر خبره اذ نادى ربه وقال رب لا تذرني فردا اي وحيدا بلا ولد

يرثني وانت خير الوارثين فحسبي انت ان لم ترزقني وارثا فاستجبنا له اي دعاءه ووهبنا
له يحيى وقد مر كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة
بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى انهم كانوا
يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء المذكورين اي
كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في
على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في
قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او
راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب والمعصية او للرغب والرهب
وكانوا لنا خاشعين اي مخبتين متضرعين او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى
ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتي احصنت فرجها اي اذكر خبر التي احصنته
على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شانها وتنزيهها عما زعموه في حقها
آثر ذي اثير فنفخنا فيها اي احيينا عيسى في جوفها من روحنا من الروح الذي هو من امرنا
وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبرئيل عليه السلام وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما
آية للعالمين فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية
التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل اريد بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات
المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ان هذه
اي ملة التوحيد والاسلام المشار اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد امتكم
اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس
قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام اذ لا
مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم
والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع
على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا امرهم
بينهم التفات الى الغيبة لينعي عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين وجعل امره قطعا موزعة
وينهي قبائح افعالهم الى الآخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي اجمعت
عليه كافة الانبياء عليهم السلام كل اي كل واحدة من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد كل
واحدة من تلك الفرق الينا راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد
اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات الخ تفصيل للجزاء

اى فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه اى لا
حرمان لثواب عمله ذلك عبّر عن ذلك بالكفران الذى هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى
عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة
عليه تعالى ونفى نفى الجنس للمبالغة فى التنزيه وعبّر عن العمل بالسعى لاظهار الاعتداد به وانا له اى
لسعيه كاتبون اى مثبتون فى صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية اى ممتنع
على اهلها غير متصور منهم وقرئ حِرْم وهى لغة كالحل والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا
به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون فى حيز الرفع على انه مبتدأ خبره حرام او فاعل
له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما فى أن من معنى التحقيق
معتبر فى النفى المستفاد فى حرام لا فى المنفى اى ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لا ان عدم رجوعهم
المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به
قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة
على ان لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على انه استئناف تعليلى لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف
اى حرام عليها ذلك وهو ما ذكر فى الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعى المشكور
ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا
على هذا المعنى بحذف اللام عنها اى لانهم لا يرجعون وحتى فى قوله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج
هى التى يحكى بعدها الكلام وهى على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كانه قيل يستمرون على ما هم عليه
من الهلاك حتى اذا قامت القيمة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الخ وعلى الثانى غاية للحرمة اى
يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيمة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج
ومأجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج والمراد بفتحها
فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ فتّحت بالتشديد وهم
اى يأجوج ومأجوج وقيل الناس من كل حدب اى نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر
ينسلون اى يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين واقترب
الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء
لا النفخة الاولى فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد
الفاء الجزائية كما فى قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط
والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول
اى يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط قد كنا فى غفلة تامة

من هذا الذى دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين
اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اى لم نكن غافلين عنه حيث نُبّهنا عليه بالآيات
والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها
للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم خطاب
لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة فى الانذار
وازاحة الاعذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التى يعبدونها كما يفصح عنه
كلمة ما وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الآية قال له ابن الزبعرى
خصمتك ورب الكعبة أليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة
رد عليه بقوله عليه السلام ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روى انه
عليه السلام رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك لما روى ان ابن
الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة او لكل من عُبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل
من عُبد من دون الله تعالى اذ ليس شئ منهما نصا فى عموم كلمة ما كما ان الاول نص فى خصوصها
وشمول حكم النص لا يقتضى شموله بطريق العبارة بل يكفى فى ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص
بجامع الشركة فى المعبودية من دون الله تعالى فلعله عليه السلام بعد ما بيّن مدلول النظم الكريم
بما ذكر وعدم دخول المذكورين فى حكمه بطريق العبارة بيّن عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا
تأكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو
زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبنى عن الغضب على العبدة والمعبودين مما
يوهم الرخصة فى عبادته فى الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية فى شئ حتى يتوهم
دخولهم فى الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام فى المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم
الشياطين التى امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن الآية فهم الداخلون فى الحكم المذكور لاشتراكهم للاصنام فى المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين
عليه السلام وهذا هو الوجه فى التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما
سيأتى من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ بيانا للتجوز والتخصيص فمما لا يساعده السباق
والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به ويهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء
وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب
جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما
يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء اى اصنامهم آلهة كما يزعمون ما وردوها وحيث تبين ورودهم

ايّاها تعيّن امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لانّ
المراد اثبات نقيض ما يدّعونه وهم انما يدّعون آلهية الاصنام لا آلهية الشياطين حتى يحتج
بورودها النار على عدم آلهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة
بانجرار الكلام اليه عند بيان ما سيق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال
سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في
الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب ببيان انّ المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون
في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلّا يلزم التدافع بين الخبرين وكلّ
اي من العبدة والمعبودين فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير اي انين و
تنفّس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير
للعبدة لعدم الالباس وكذا في قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير
بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرّهم من الكلام انّ الذين
سبقت لهم منّا الحسنى شروع في بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنّة
التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب اي سبقت لهم منّا في التقدير الخصلة
الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالتبشير
بالثواب على الطاعة وهو الاظهر الادخل في الحمل عليها لما انّ الاولين مع خفائهما ليسا مقدورا
المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا
كفران لسعيه وانا له كاتبون كما انّ ما قبلها من قوله انكم وما تعبدون الخ تفصيل لما اجمل في قوله تعالى
وحرام الخ اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتّصافه بما في حيّز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل عنها
اي عن جهنم مبعدون لانهم في الجنة وشتّان بينها وبين النار وما روي انّ عليّا رضي الله تعالى
عنه خطب يوما فقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد
الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة فقام يجرّ رداءه ويقول
لا يسمعون حسيسها ليس بنصّ في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحسّ به اي لا
يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا وان كان صوته في غاية الشدة
لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره مسوقة للمبالغة في انقاذهم عنها
وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك
والمعاطب اي دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر

بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه
بالضرورة عن الحسن رحمه الله انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين
يذبح الموت في صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض
وليس بذاك فانّ الآمن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا جميع المؤمنين
الموصوفين بالاعمال الصالحة على انّ الاكثرين على انّ ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتي
في سورة النمل وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم مهنّئين لهم هذا يومكم على ارادة القول
اي قائلين هذا اليوم يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا وتبشّرون بما فيه من فنون المثوبات
على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في انّ المراد بالذين سبقت لهم الحسنى كافة المؤمنين
الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة
كما قيل يوم نطوي السماء بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع
وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف في توعدون والطيّ ضدّ النشر وقيل
المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول كطيّ السجل وهي الصحيفة اي طيّا كطيّ الطومار
وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجلّ على وزن العتلّ وهما لغتان واللام في قوله تعالى للكتب
متعلقة بمحذوف هو حال من السجل او صفة له على رأي من يجوّز حذف الموصول مع بعض صلته اي
كطي السجل كائنا للكتب او الكائن للكتب فانّ الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلّها بعض
اجزائها وبه يتعلق الطيّ حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل اي كما يطوى الطومار
للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب اعمال بني آدم
اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما بدأنا اوّل خلق نعيده اي
نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونها ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة
والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدأ لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول
القدرة لهما على السواء ما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة
والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير
الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة
علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا في الزبور هو كتاب داود
عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام من بعد الذكر اي التورية
وقيل اللوح المحفوظ اي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التورية او كتبنا في
جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا واثبتنا في اللوح المحفوظ انّ الارض يرثها عبادي الصالحون اي

عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اي فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا اي لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين اي لقوم همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك اي بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من الامور التي هي مناط السعادة الدارين الا رحمة للعالمين هو في حيز النصب على انه استثناء من اعم العلل او من اعم الاحوال اي ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة او ما ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فانما فرط في نفسه وحرمه حقه لا انه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستئصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد لانه المقصود الاصلي من البعثة واما ما عداه فمن الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك انما يقوم زيد اي ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك انما زيد قائم اي ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون اي مخلصون العبادة لله تعالى مختصون لها به تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها قالوا فيه دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحي فقل لهم آذنتكم اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء كائنين على سواء في الاعلام به لم اطو عن احد منكم او مستوين به انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وان ادري اي ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من القول اي ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا وان ادري لعله فتنة لكم اي ما ادري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين اي وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرئ قل رب على صيغة الامر اي اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عليه السلام حيث عذبوا ببدر اي تعذيب وقرئ

رب احكم بضم الباء وربي احكم على صيغة التفضيل وربي احكم من الاحكام وربنا الرحمن مبتدأ وخبر اي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان اي المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدأ واضافة الرب فيما سبق الى ضميره عليه السلام خاصة لما ان الدعاء من الوظائف الخاصة به عليه السلام كما ان اضافته ههنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين ايضا لما ان الاستعانة من الوظائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم فاصابهم يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله عز وجل حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن تم

سورة الحج

يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة وان كان خطاب المشافهة مخصوصا بالفريق الاول على الوجه الذي مر تحقيقه في مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال ترهيبا وترغيبا اي احذروا عقوبة مالك اموركم ومربيكم وقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الاهوال والاحوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كأنها هي التي تزلزل الاشياء او اضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه

زلزلة الساعة بقيامها وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى يوم ترونها منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اي وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها تذهل كل مرضعة اي مباشرة للارضاع عما ارضعت اي تغفل وتذهب مع دهشة عما هي بصدد ارضاعه من طفلها الذي التقمه ثديها والتعبير عنه بما دون من لتاكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اي تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اي تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي واما على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فقيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل ان ذلك تكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تاثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلاف مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس سكارى الخ وانما اوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اي يراهم كل احد سكارى اي كانهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فيرهقهم هوله ويطير عقولهم ويسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قائما او رؤيتك قائما والناس منصوب اي تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتانيث على تاويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء اي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وبسكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس كلام مبتدا جيء به اثر بيان عظم شان الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى او بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اي وبعض الناس او وبعض كائن من الناس من يجادل في الله اي

في شانه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر به المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم روي انها نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة له ولاضرابه من العتاة المتمردين ويتبع اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما ياتي وما يذر من الامور الباطلة التي من جملتها ذلك كل شيطان مريد عات متمرد متجرد للفساد واصله العري المنبئ عن التجرد له كالتشمر ولعله ماخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اي على الشيطان صفة اخرى له وقوله تعالى انه فاعل كتب والضمير للشان اي رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشان من تولاه اي اتخذه وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبرها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اي من تولاه فشانه انه يضله من طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله وقطعي وقيل فانه معطوف على انه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل وقيل مما لا يخلو عن التمحل والتاويل وقرئ فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله يامر بالعدل والاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه على راي من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات يا ايها الناس اثر ما حكي احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب في الجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم في ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم في البعث قد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اي فانظروا الى مبدا خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم من تراب في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب ثم من علقة اي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني ثم من مضغة اي قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة اي مستبينة الخلق مصورة

وغير مخلقة اي لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك فان جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدا لخلقهم مزيد دلالة على عظيم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم لنبين لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا اي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها سر البعث فان من تامل فيما ذكر من الخلق التدريجي تاملا حقيقا جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط وانشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاحوال والاطوار من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون في القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى ونقر في الارحام ما نشاء استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظمها وما عطف عليه في سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متمماته ومن مبادي التبيين ايضا لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين اشارة الى ان بعض ما في الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فيسقط والتعرض لا زاله لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وان ما فصل الى هنا هي الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرئ نقر بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدي

الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الآثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالابابيد والقتود وكانها حيث كانت شدة في غير شيء بنيت على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اي علم كثير شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج اي صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره ذلك بان الله هو الحق كلام مستانف جيء به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانساني والنباتي لبيان ان ذلك من آثار الوهيته تعالى واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما ينكرونه من وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من اسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس والآفاق ومبادي صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدا خبره الجار والمجرور اي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء وانه يحيي الموتى اي شانه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا واعادة والا لما احيى النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شيء قدير اي مبالغ في القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر واما الاستدلال

على ذلك بان قدرته تعالى لذاته الذي نسبته الى الكل سوآء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء
بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها فمنشأ هذه الفضول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون
الاثار المحصية المذكورة من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر
مع كونه من جملة الاشياء المعدودة عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لابراز
الاعتناء به وان الساعة آتية اى فيما سيأتي وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق
اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة وتعليله بان التغير من مقدمات الانصرام
وطلائعه مبني على ما ذكر من الفضول وقوله تعالى لا ريب فيها اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة
في الخبر ومعنى نفي الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها
مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من
الجملتين داخلة مثلهما في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث من في القبور لكن لا من
حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تأثير القدرة فيها بل من حيث ان
كلا منهما سبب داع له عز وعلا بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء
الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما ليتأملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة
ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل
بل لما خلق العالم رأسا وهذا كما ترى من احكام حكمته تعالى في افعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله
من احكام قدرته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما
من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كأنه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى
كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير بان
مآله الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتهما لما ذكر
من خلق الانسان واحياء الارض فتأمل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى ان الساعة آتية ليس
معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر
ان الساعة آتية وان الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا بان الله هو الحق الى آخره
ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل
هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كما ان الاول من يقلدهم على ان الشيطان
عبارة عن المضل المغوي على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل اى كائنا بغير
علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى ولا هدى هو الاستدلال والنظر
الصحيح الهادي الى المعرفة ولا كتاب منير وهو منظر للحق اى يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة

ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس
لهم به علم واما ما قيل من ان المراد بالمجادل الاول والتكرير للتأكيد والتمهيد لما بعده ولما بعده من بيان انه
لا سند له من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وان وصفه باتباع كل شيطان موصوف
بما ذكر يغني عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي ثاني عطفه حال اخرى من فاعل يجادل اى
عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اى
مانع لتعطفه ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف
بانه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين او الناس
جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم
الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي
لا هداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما
سلكه من الطريقة اى ثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار
ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اى النار المحرقة ذلك اى ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي
وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله
تعالى بما قدمت يداك اى بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب
عادة يكون بالايدي والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله عز وعلا وان
الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده
بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر
من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محلها الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت
حاله في سورة الانفال ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع في بيان حال المذبذبين اثر
بيان حال المجاهرين اى ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف الى
طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اى دنيوي من الصحة والسعة اطمأن
به اى ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف
ولا يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اى شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او ماله انقلب
على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا
وولدت امرأته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن
وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد رضي الله عنه ان يهوديا اسلم فاصابته

فتشأم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال
فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله
بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا
على خسرانه او على انه خبر مبتدأ محذوف ذلك اي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان
بكونه في غاية ما يكون هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله
استئناف مبين لعظم الخسران اي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه
ان عبده اي جمادا ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال البعيد
عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن الطريق يدعو لمن ضره اقرب من
نفعه استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى
يتوهم من نفي الضر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبيب ايضا فالدعاء
بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره اقرب
والجملة صلة للمبتدأ الاول وقوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير جواب لقسم مقدر هو وجوابه
خبر للمبتدأ الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه عن
النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والامعان في ذمه اي يقول ذلك الكافر يوم القيمة بدعاء
وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب
من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية
ويجوز ان يكون يدعو الثاني اعادة للاول لا تأكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده
اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته
لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير
فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام
اي يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به ايضا والجملة القسمية
مستأنفة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات استئناف جيء به لبيان
كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من اجل
المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريقي المجاهرين والمذبذبين وان
معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته
ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار صفة لجنات فان اريد بها الاشجار
المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير

مضاف اي من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء
الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله
يفعل ما يريد تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اي يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة
المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها اثابة من آمن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من
اشرك به وكذب برسوله عليه السلام ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله عز
وعلا من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه
وآكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة
من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن
يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرته ما يرده من المكائد فليبالغ في استفراغ
المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق خنقا مما يرى من
ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سقف
بيته ثم ليقطع اي ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل
بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر في قوله تعالى فلينظر هل
يذهبن كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصوره اي فليتصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذي
هو اقصى ما انتهت اليه قدرته في باب المضارة والمضادة ما يغيظه من النصرة كلا ويجوز ان يراد
فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة
وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره و
يأباه ان مساق النظم الكريم بيان ان الامور المفوضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من
اذهاب ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما
قطع الوحي فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على
المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر وآخرون من المشركين يريدون
اتباعه عليه السلام ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد
الله تعالى لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم
يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك
اي مثل ذلك الانزال البديع المنطوي على الحكم البالغة انزلناه اي القرآن الكريم كله وقوله تعالى
آيات بينات اي واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه
بذلك وان الله يهدي به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد فيه من يريد هدايته او تثبيته

او زيادة فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر اى ولان الله يهدي من يريد انزله كذلك او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى والامر ان الله يهدي من يريد هدايته ان الذين
آمنوا اى بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر
دخولا اوليا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس
والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن
دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام
وقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة فى حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير
الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتأكيد اى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة
على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثاني بحسب استحقاق
افراد كل منهما وقوله تعالى ان الله على كل شيء شهيد تعليل لما قبله من الفصل اى عالم بكل شيء
من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة
واجراء جزائه اللائق به عليه وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض بيان لما يوجب
المذكور من اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام
والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التى من جملتها اعمالهم واحوالهم والمراد
بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على
انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة
المبنية على تشبيهه باكمل افعال المكلف فى باب الطاعة ايذانا بكونه فى اقصى مراتب التسخر والتذلل وتخصيص السجود
الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادته شمول
الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم و
الجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة
بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس فانه مرتفع بفعل
مضمر يدل عليه المذكور اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك
عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول
هو الاولى لما فيه من الترغيب فى السجود والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اى من الناس
الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعالى وكثير معطوفا على كثير
الاول للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق
عليه العذاب اى بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا اى حق عليه العذاب حقا ومن

يهن الله بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر فما له من مكرم يكرمه بالسعادة
وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمى ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء التى من جملتها الاكرام والاهانة
هذان تعيين لطرفى الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحدة من الفرق الست
وبين البواقى وتحرير لمحله اى فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس خصمان
اى فريقان مختصمان وانما قيل اختصموا فى ربهم حملا على المعنى اى اختصموا فى شأنه عز وجل وقيل
فى دينه وقيل فى ذاته وصفاته والكل من شئونه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان
ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت
اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله منكم آمنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم
به حسدا فنزلت فالذين كفروا تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم اى
قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اى نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب
بلابسها يصب من فوق رؤسهم الحميم اى الماء الحار الذى انتهت حرارته قال ابن عباس رضى الله عنهما
لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستأنفة او خبر ثان للموصول او حال من
ضمير لهم يصهر به اى يذاب ما فى بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد والجلود
عطف على ما وتأخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تأثيرها
فى الباطن اقدم من تأثيرها فى الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم للكفرة
اى لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهى آلة القمع كلما ارادوا ان يخرجوا منها اى
اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما يروى انها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى اعلاها
ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا من غم اى من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال
من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج اعيدوا فيها اى فى
قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا على تقدير قول معطوف
على اعيدوا اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اى الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر
بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة
بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة
على تحقق مضمون الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف
من الاحلاء بمعنى الالباس اى تحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المرأة اذا لبست حليتها

ومن في قوله تعالى من اساور اما للتبعيض اي بعض اساور وهي جمع اسورة جمع سوار او للبيان
لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى
يلبسون من ذهب بيان للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف
او منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون اي يؤتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولؤا بقلب
الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبها يآء بعد قلبهما واوا وليليا بقلبهما يآء ولباسهم فيها حرير غير
الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او لمجرد
المحافظة على هيئة الفواصل بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ لا
يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم
الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على
بيان حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا
الجنة الآية وهدوا الى صراط الحميد اي المحمود نفسه او عاقبته وهي الجنة ووجه تأخير هذه الهداية عن ذكر
الهداية الى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية الى طريقها لرعاية الفواصل
وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التأخير
حينئذ ان ذكر الحمد يستدعي ذكر المحمود ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ليس المراد
حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين
آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة
آخر الآية الكريمة عليه فان من الحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب من جمع اليه
الكفر والصد عن سبيل الله باشد من ذلك احق واولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله
قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى الذي جعلناه للناس اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي
وآفاقي سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارئ وسواء اي مستويا مفعول ثان لجعلنا و
العاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع
الصادين عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل و
قرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول
كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان
والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف
الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا يقال بوأه منزلا اي انزله فيه ولما لزمه جعل
الثاني مباءة للاول قيل لابراهيم مكان البيت وعليه مبنى قول ابن عباس رضي الله عنهما جعلناه اي اذكر

وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة
ومكان ظرف كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان
وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج
كنست ما حوله فبناه على اسه القديم روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احديها
بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه السلام
والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة
بناء ابن الزبير رضي والخامسة بناء الحجاج وقد اوردنا ما في هذا الشان من الاقاويل في تفسير
قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وان في قوله تعالى ان لا تشرك بي شيئا مفسرة
لبوأنا من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهي
وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة شيئا وطهر
بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود اي وليطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف
به ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل
باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس اي
ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال
يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء
فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية يأتوك جواب
للامر رجالا اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده
ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر عطف على رجالا اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه
بعد الشقة فهزله او زاد هزاله يأتين صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون على
انه صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق واسع
عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ
متعلق بيأتوك لا باذن اي ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع
الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى لهم متعلق بمحذوف هو صفة
لمنافع اي منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي
جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك

عنه في ايام معلومات هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان
المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين
بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب والفاء
فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح
به كما في قوله تعالى فانفجرت اي فاذكروا اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر
للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء
ومساواتهم واطعموا البائس اي الذي اصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج وهذا الامر
للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا ثم ليقضوا تفثهم اي ليؤدوا ازالة وسخهم او ليحكموها
بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم
ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا
طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت
العتيق اي القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من
من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل واما الحجاج الثقفي فانما قصد اخراج ابن
الزبير رضي الله عنه منه لا التسلط عليه ذلك اي الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل بين
الكلامين او بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله اي احكامه وسائر ما لا يحل
هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة
والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له اي فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه
اي في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره من لتشريفه والاشعار
بعلة الحكم واحلت لكم الانعام وهي الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى
الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على ان ما عبارة
عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله
من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم
الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل لحمل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا
المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة
حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فانه مترتب على ما يفيده
قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان
بيان حل الانعام من دواعي التعاطي لا من مبادي الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب

عنه

عنه من الحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن يعظم حرمات الله
فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب
الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا
قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور وكانه لما حث على تعظيم
الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوهما والافتراء
على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عليه السلام قال عدلت شهادة
الزور الاشراك بالله تعالى ثلثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كالافك المأخوذ
من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل
هو قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك
حنفاء لله مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى غير مشركين به
اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا
ومن يشرك بالله جملة مؤكدة مبتدأة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم
الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى
حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد
الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما واصلهما تختطفه او تهوي به الريح اي تسقطه وتقذفه
في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع
ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه هلاكا شبيها
بهلاك احد الهالكين ذلك اي الامر ذلك او امتثلوا ذلك ومن يعظم شعائر الله اي الهدايا
فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق
لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية
الاثمان روي انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان
عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها اي فان تعظيمها من تقوى القلوب
اي من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من او فان تعظيمها
ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت
ظهر اثرها في سائر الاعضاء لكم فيها اي في الهدايا منافع هي درها ونسلها وصوفها وظهرها
الى اجل مسمى هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه ثم محلها اي وجوب نحرها او وقت
نحرها منتهية الى البيت العتيق اي الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الرتبي اي لكم فيها

منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية اعظمها في النفع محلها اي وجوب نحرها او وقت وجوب
نحرها الى البيت العتيق اي منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى
لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء
ايام الحج ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اي منتهية اليه بان يطوفوا به
طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة ولكل امة
اي لكل اهل دين جعلنا منسكا اي متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر
السين اي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اي لكل امة من الامم جعلنا
منسكا لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا اسم الله خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم
لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي من المناسك تذكر المعبود على
ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام
والخطاب في قوله تع فالهكم اله واحد للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فان جعله تع لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تع وانما قيل اله واحد ولم
يقل واحد لما ان المراد بيان انه تع واحد في ذاته كما انه واحد في الهيته للكل والفاء في قوله تع
فله اسلموا لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تع وتقديم الجار والمجرور
على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه
لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك وبشر المخبتين تجريد للخطاب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة بهم الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تع لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم
من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ بنصب
الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون
في وجوه الخيرات والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمعا بدنة
وقيل الاصل ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ
الوقف وانما سميت به الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في الاجزاء
عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا في الشريعة
جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على انه مبتدأ والجملة خبره
وقوله تع من شعائر الله اي من اعلام دينه التي شرعها الله تع مفعول ثان للجعل ولكم ظرف
لغو متعلق به وقوله تع لكم فيها خير اي منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررة لما قبلها

فاذكروا

فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك
صواف اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام
على ثلث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافنا
بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على
لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قوله لعلي ارى باق على الحدثان فاذا وجبت جنوبها سقطت
على الارض وهي كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع اي الراضي بما عنده وبما يعطى من
غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال والمعتر
اي المتعرض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ذلك التسخير
البديع المفهوم من قوله تع صواف سخرناها لكم مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم
حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون
لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله اي لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع
القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله
التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى الامتثال بامره تع وتعظيمه والتقرب
اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم فهم به المسلمون فنزلت كذلك
سخرها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله تع لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر
عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال والذبح على ما هداكم اي ارشدكم الى طريق تسخيرها
وكيفية التقرب بها وما مصدرية او موصولة اي على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا
لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين اي المخلصين في كل ما يأتون وما يذرون في امور دينهم ان
الله يدافع عن الذين امنوا كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى
ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره بكلمة
التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او للدلالة على تكرر الدفع
فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة اي يبالغ في
دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها
عنهم مرة بعد اخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما في قوله تع كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفأها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تع ان الله لا يحب كل خوان كفور
تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزي ونفي
المحبة كناية عن البغض اي ان الله يبغض كل خوان في امانة الله تع وهي اوامره ونواهيه او في جميع

الامانات التي هي معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية
الخيانة والكفر او للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا اذن اي
رُخّص وقرئ على البناء للفاعل اي اذن الله تعالى للذين يُقاتَلون اي يقاتلهم المشركون والمأذون
فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة
وقرئ على صيغة المبني للفاعل اي يريدون ان يقاتلوا المشركين فيما سيأتي ويحرصون عليه فدلالته
على المحذوف اظهر بانهم ظُلموا اي بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون
اليه فيقول عليه السلام لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول آية نزلت
في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتأكيد
لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم عن ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم
عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد
تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى الذين أُخرجوا من ديارهم في حيز الجر على
انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار مبتدأ والجملة
مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق باخرجوا اي اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم
وقوله تعالى الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجبا
للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير
ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع لهدّمت
لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع للرهابنة وبيع للنصارى
وصلوات اي وكنائس لليهود وسميت بها لانها تصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرية فعربت
ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصّت
بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع و
البيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام ولينصرن الله من
ينصره اي وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه ولقد انجز الله عز سلطانه وعده
حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم
ارضهم وديارهم ان الله لقوي على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه
شيء ولا يدافعه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر

وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى
اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عِدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان
رضي الله تعالى عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا
وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة
العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رحمهم الله هم امة محمد صلى
الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ولله خاصة عاقبة الامور فان
مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد
كذبت قبلهم قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من
يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان
لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود
تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اي وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم
انك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم
ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين اي رسلهم ممن ذكر ومن لم يذكر وانما حذف لكمال ظهور
المراد او لان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح الى آخره وكذب موسى غير النظم
الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما ان
ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على ان بني اسرائيل ايضا
قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك
من الآيات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال الوضوح
وقوله فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم والفاء لترتيب امهال
كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل و
وضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى عليه السلام
حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم اي اخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة
املائه وامهاله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بالاهلاك اي فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول
والفظاعة وقوله تعالى فكأين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها اي فاهلكنا
كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء و
اهلكناها خبره اي فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم فكيف
كان نكير وهي ظالمة جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى فهي خاوية عطف على اهلكناها

لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال خوائها فعلى الاول لا محل له من الاعراب كالمعطوف
عليه وعلى الثاني محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة
حيطانها على عروشها اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها
فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان
لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلى من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء عروشها
وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر اي فهي خالية وهي على عروشها
اي قائمة مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة
فهي مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر
آنفا وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك
اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان او مجصص اخليناه
عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر
بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا
قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع
المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير
مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا فيها
فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون
بها ما يجب ان يعقل من التوحيد او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار
الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة
او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة
وذكر الصدور للتأكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص
بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم فنزلت ويستعجلونك بالعذاب
كانوا منكرين لمجيء العذاب المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله
صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى
ولن يخلف الله وعده اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم به
واظهار خطئهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده
ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف

سنة مما تعدون جملة مستأنفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية مسوقة
لبيان خطئهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق
عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طوالا عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى
انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترئون على
الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار
وقرئ يعدون على صيغة الغيبة اي يعده المستعجلون او في لهذا المعنى وقد جعل الخطاب في
القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه
من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في
قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فيكون الجملة الاولى حالية
كانت او اعتراضية مبنية لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة
الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر
بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون
الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفى في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل
المستعجل به على عذاب الآخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن
ايام الآخر الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه
فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق
الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا يرى الى قوله تعالى وكاين من قرية الى آخره فانه كما سلف من قوله
تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اي وكم
من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام
مبالغة في التعميم والتهويل امليت لها كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعدوا من العذاب
واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى
ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل
العقوبة كدأب هؤلاء ثم اخذتها بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى
والي المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان مآل امر
المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا
ولا شركة فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين انذركم انذارا
بينا بما اوحي من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به

به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما اشير اليه من ان مساق الحديث للكفرة وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما ندر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته والذين سعوا في آياتنا معاجزين اي سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله من عاجزه وعجّزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب الجحيم اي ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام ولذلك شبه عليه السلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جماء غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اي هيأ في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته اي يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في شئون الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية من موجبات احكام آياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شأنه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا او خطاء حكيم في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليهما السلام فاغتم به فعزاه الله

عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقى الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي عليه الصلوة والسلام وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله وفي الآية دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لما ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق سائر الانبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية والقاسية قلوبهم اي المشركين وان الظالمين اي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد اي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا العلم انه اي القرآن الحق من ربك اي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجليلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عليه السلام فحينئذ لا حاجة الى تخصيص التمكين بما سبق بالالقاء في حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى فيؤمنوا به اي بالقرآن اي يثبتوا على الايمان به او يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من الاوامر والنواهي ورجع الضميرين لا سيما الثاني الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له وان الله لهادي الذين آمنوا اي في الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية اي في شك وجدال منه اي من القرآن وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والاول هو الاظهر بشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى انه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا بآياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان في امنيته فمما لا مساغ له لان ذلك ليس من مناتهم التي تستمر الى الامد المذكور

بل انما هي مريتهم في شأن القرآن ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لما ان مريتهم المستمرة
كما انها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة انها مستمرة منهم من لدن نزول
القرآن الكريم حتى تأتيهم الساعة اي القيمة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى بغتة اي فجأة
فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت او يأتيهم عذاب يوم عقيم اي يوم
لا يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة
ايضا كأنه قيل او يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على
اشراطها لما عرفته واما ما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون
فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اي ثكلى
فيوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم يلقح شجرا
او لانه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم اصلا كيف لا وان
تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب
والعذاب الاخرويين يقتضي بان المراد يوم القيمة قضاء بينا لا ريب فيه الملك اي
السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق يومئذ لله وحده بلا شريك
اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا
صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل
عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لما ان التقييد المعتبر مع
اليوم حيث توسط بين طرفي الجملة يجب ان يكون مدار الحكمها اعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع
عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب في ان ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما له تعلق بما ذكر فضلا عن
المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة
التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور احكام الملك الحق جل جلاله فالتنوين نائب عن نفس
الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تأتيهم الساعة او عذابها لله تعالى وقوله تعالى
يحكم بينهم جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كأنه
قيل فماذا يصنع بهم فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والممارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى فالذين
آمنوا الى آخره تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه
وعملوا الصالحات امتثالا بما امروا في تضاعيفه في جنات النعيم اي مستقرون فيها
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اي اصروا على ذلك واستمروا فاولئك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في

الشر والفساد اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم
عذاب جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم خبر لاولئك
وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ واولئك
مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم
السيئة كما ان تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب
الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى مهين صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة وفيه
من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله اي في الجهاد حسبما يلوح به
قوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء
وقوله تعالى ليرزقنهم الله جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية
وجوابها خبر المبتدأ يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى رزقا حسنا اما مفعول
ثان على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر موكد والمراد به ما لا ينقطع
ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن
متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروي ان بعض اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم
الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف
خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق
بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى
ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما
اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي
انما قيل يرضونه لما انهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه
وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة ذلك خبر مبتدأ
محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف ومن
عاقب بمثل ما عوقب به اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء
الجناية للمشاكلة او لكونه سببا له ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله على من
بغى عليه لا محالة ان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر
ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر
وغفر ان ذلك اي ما ذكر من الصبر والمغفرة من عزم الامور فان فيه حثا بليغا على العفو

المغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك وتنبيها على انه تعالى
قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اشارة الى النصر وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل اى بسبب انه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على
بعض والمداولة بين الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الآخر بان
يزيد فيه ما ينقص عن الآخر او بتحصيل احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر المواد واوضحها وان
الله سميع بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب بصير بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله ذلك
اى الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان
وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات
او الثابت الهيته فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه الها وقرئ
على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه عبارة عن الآلهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين
هو الباطل اى المعدوم في حد ذاته او الباطل الوهيته وان الله هو العلي على جميع الاشياء
الكبير من ان يكون له شريك لا شئ اعلى منه شأنا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من
السماء ماء استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف
على انزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة
الاخضرار ان الله لطيف يصل لطفه او علمه الى كل ما جل ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة
ظاهرا او باطنا له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وتصرفا وان الله لهو الغني عن كل
شئ الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اى جعل ما فيها
من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد
من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ
بالرفع على الابتداء تجرى في البحر بامره حال من الفلك على الاول وخبر على الآخرين ويمسك
السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى
الاستمساك الا باذنه اى بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها
مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها ان الله بالناس
لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال

بالآيات

بالآيات التكوينية والتنزيلية وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في
مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم عند مجئ آجالكم ثم يحييكم عند البعث ان الانسان لكفور
اى لجحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده لكل امة كلام مستأنف
جئ به لزجر معاصريه عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته عليه السلام ببيان
حال ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطائهم في النظر اى لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية
جعلنا اى وضعنا وعينا منسكا اى شريعة خاصة لا لامة اخرى منهم على معنى عينا كل
شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا
استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد
من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اى تلك الامة المعينة
ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام
منسكهم التورية هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث
النبي صلى الله عليهما وسلم منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند
بعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيمة فهم امة واحدة منسكهم
الفرقان ليس الا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء في قوله تعالى
فلا ينازعنك في الامر لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم التي من جملتهم هذه
الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان شريعتهم ما عين
لآبائهم الاولين من التورية والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء
امة مستقلة منسكهم القران المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه عليه السلام
عن الالتفات الى نزاعهم المبني على زعمهم المذكور واما جعله عبارة عن نهيه عليه السلام
عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه السلام والمبالغة في
تثبيته واياما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك وجعله عبارة عن قول
الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله مما لا سبيل اليه اصلا
كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التي
جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل وادع اى وادعهم او وادع الناس
كافة على انهم داخلون فيهم دخولا اوليا الى ربك الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم و
شريعتهم انك لعلى هدى مستقيم اى طريق موصل الى الحق سوي والمراد به اما الدين والشريعة

اوادلتها وان جادلوك بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما يعملون من الاباطيل التي من جملتها المجادلة الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيمة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم استيناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه ان ذلك اي ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم من بناء امر دينهم على غير مبني من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدته اشد اعراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اي بجواز عبادته سلطانا اي حجة وما ليس لهم به اي بجواز عبادته علم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين اي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضي ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رأيهم او يدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم آياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي بينات اي حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشر الذي يقصدونه بظهور مخائله من الاوضاع والهيئات والكاب بقوله تعالى يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا اي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم واطم من ان يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شيء ما اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهر ولكن يهديهم الى الحق البين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين افانبئكم اي أأخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونهم من الغوائل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون

الجملة المفعلية استئنافا كالوجه الاول او حالا من النار باضمار قد وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب مثل اي بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رائعة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله الى آخره بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله سبحانه في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ولو اجتمعوا له اي لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما في موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وان يسلبهم الذباب شيئا بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اي ان ياخذ الذباب منهم شيئا لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل في اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد بايجاب كافة الموجودات تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا يقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب اي عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات عن آخرها عزيز غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لاذلتها العجزة عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم له تعالى الله يصطفي من الملئكة رسلا يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام بالوحي ومن الناس وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم

التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرائعه
واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شيء من الاشياء بين
ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل وهو
اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات واقصى الغايات لمن علاه من الموجودات
تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة وقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى
وقولهم بنات الله وغير ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير عليم بجميع المسموعات والمبصرات
فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور
لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا اي في
صلوتكم امرهم بها لما انهم ما كانوا يفعلونها اول الاسلام او صلوا عبر عن الصلوة بهما لانهما
اعظم اركانها او اخضعوا الله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا
الخير وتحروا ما هو خير واصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام و
مكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير
متيقنين له واثقين باعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعي رح لظاهر ما فيها من الامر بالسجود
ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله
اي لله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه
السلام انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده
اي جهادا وافيا حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم و
اضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله
هو اجتباكم اي هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه
وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع
لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه السلام
اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في
المضائق وفتح عليهم باب التوبة وسوغ لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات
في حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف
المضاف اي وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله
اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم
الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته عليه السلام فغلبوا

على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القرآن والضمير
لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين في القرآن وان لم تكن منه
عليه السلام كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل في هذا
تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا
عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع
وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة اي فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما
وفضلهما واعتصموا بالله اي ثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه
هو موليكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير اذ لا مثل له في الولاية والنصرة
بل لا ولي ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وما بقي

سورة المؤمنون

قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقاء في الخير والافلاح
الدخول في ذلك كالابشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يجيء متعديا بمعنى الادخال
فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد ههنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت
من قبل لا لتوقع الاخبار به ضرورة ان المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار
بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم
فان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه
ان اريد بالافلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق الا في الآخرة فالاخبار به على
صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان اريد كونهم بحال تستتبعه
البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على اكلوني البراغيث و
قرئ افلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما في قول من قال ولو ان الاطبا كان حولي والمراد بالمؤمنين
اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث
والجزاء ونظائرها فقوله تعالى الذين هم في صلوتهم خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة
لهم واما الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة الصلوة اليهم فهي صفات موضحة او مادحة
لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني مع الايمان اجمالا او تفصيلا كما مر في اوائل سورة

البصر والخشوع الخوف والتذلل اي خائفون من الله عز وجل متذللون له يلزمون ابصارهم
مساجدهم روي انه عليه السلام كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده
وانه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن
اللغو اي عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال معرضون اي في عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه
الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا
ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في امورهم كما
قيل فان ذلك ربما يوهم ان لا يكون في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان
يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة
عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا
فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم
بالخشوع في الصلوة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية
والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته
بالخشوع في الصلوة والزكوة مصدر لان الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه ومعنى
الفعل قد حرر تحقيقه في تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين على تقدير
المضاف والذين هم لفروجهم حافظون ممسكون لها فالاستثناء في قوله تعالى الا على
ازواجهم من نفي الارسال الذي ينبئ عنه الحفظ اي لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم وفيه ايذان
بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك
يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما في قوله تعالى اذا اكتالوا على
الناس اي حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير
حافظون اي حافظون لها في جميع الاحوال الا حال كونهم والين او قوامين على ازواجهم وقيل
بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير
ملومين فحمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج لا يتعداهن كما
يقال حجر حافظين الا عليهن تاكيدا على تاكيد تكلف على تكلف او ما ملكت ايمانهم اي
سراريهم عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن القصور
وقوله تعالى فانهم غير ملومين تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن اي فانهم
غير ملومين على عدم حفظها منهن فمن ابتغى وراء ذلك الذي ذكر من الحد المتسع وهو اربع
من الحرائر وما شاء من الاماء فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون فيه

وليس فيه ما يدل حتما على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة
له فوجب ان لا تحل له اما انها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة
له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على
ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له في الجملة واما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها واما
ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة
فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه
ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون اي قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح
وقرئ لامانتهم والذين هم على صلوتهم المفروضة عليهم يحافظون يواظبون عليها
ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر وهو السر في
جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بان كلا
منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا في الذكر لربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة
اولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار
بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليهم حسا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم
وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة هم
الوارثون اي الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الاموال والذخائر
وكرائمها الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير
لها بعد ابهامها تفخيما لشأنها ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما
يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على
انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها اي في الفردوس
والتأنيث لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روي انه تعالى
بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية
ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا يخرجون
منها ابدا والجملة اما مستأنفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله
اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الانسان شروع
في بيان مبدأ خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان
حال بعض افراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها
والمراد بالانسان الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق آدم عليه السلام

خلقاً اجمالياً حسبما تحققته في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقاً من سلالات جعلت نطفاً
بعد ادوار واطوار فبعيد من سلالة السلالة ما سُلّ من الشيء واستخرج منه فان فعالة
اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصوداً منه كالخلاصة واخرى غير مقصود منه
كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية
متعلقة بالخلق ومن في قوله تعالى من طين بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اي
خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تتعلق بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية
كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين
وقد وقفت على التحقيق ثم جعلناه اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لآدم عليه السلام او جعلنا
نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان آدم عليه السلام نطفة بان خلقناه منها
او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار اي مستقر وهو
الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها
مثل طريق سائر او بمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هي واحرزت ثم خلقنا النطفة
علقة اي دماً جامداً بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة اي قطعة
لحم لا استبانة ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة اي غالبها ومعظمها او كلها عظاماً بان صلبناها
وجعلناها عموداً للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة فكسونا العظام
المعهودة لحماً من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا كل عظم
من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف
للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس
وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فحسب ثم انشاناه خلقاً آخر هي صورة البدن او الروح او القوى
بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رح على ان من غصب بيضة
فافرخت عنده فلزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في علمه
الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار
بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل من سمع ما فصل من آثار
قدرته عز وعلا او لاحظه ان يسارع الى التكلم به اجلالاً واعظاماً لشؤونه تعالى احسن الخالقين
بدل من الجلالة وقيل نعت بناء على ان الاضافة ليست محضة وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو
احسن الخالقين خلقاً اي المقدرين تقديراً حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون
فيه في قوله تعالى أُذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اي احسن الخالقين خلقاً فالحسن للخلق

قيل

قيل نظيره قوله عليه السلام ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه فانقلب مرفوعاً فاستتر روي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الوحي فلما انتهى عليه السلام الى قوله خلقاً آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عليه
السلام فقال عليه السلام اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك
فلحق بمكة كافراً ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هكذا انزل يا عمر وكان رضي الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في اربع الصلوة خلف
المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن او ليبدلنه الله خيراً منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه
ان طلقكن الآية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سبباً لسعادة
عمر رضه وشقاوة ابن ابي سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ولا يقال فقد تكلم البشر
ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح في اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقداراً اقصر السور على
ان اعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما ينبئ عنه الفاء فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما
قبله ثم انكم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الاشارة من معنى البعد
المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازاً منزلاً منزلة الامور الحسية
لميتون لصائرون الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث
الذي يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم انكم يوم القيمة اي عند النفخة الثانية تبعثون
من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ولقد خلقنا فوقكم بيان لخلق ما يحتاج
اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما
تعرض لها بعد خلقهم سبع طرائق هي السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق
بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها
وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هي السموات او عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها او عن
الناس غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر
لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل الى ما في الارض منافعها كما ينبئ
عنه قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء هو المطر او الانهار النازلة من الجنة قيل هي خمسة انهار
سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من
عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في فنون معايشهم
ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق

الى الموخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو
بقدر بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم
فاسكناه في الارض اى جعلناه ثابت قرارها وانا على ذهاب به اى ازالته بالافساد او
التصعيد او التغوير بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب
ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم
غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشأنا لكم به اى بذلك الماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في
الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون
معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يعود الضميران للنخيل والاعناب اى لكم في ثمراتها
انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة
بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله اى ومما انشئ لكم به
شجرة وتخصيصها بالذكر من سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هى اول شجرة نبتت
بعد الطوفان وقوله تعالى تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين
ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منهما
علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس
من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث
بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة
صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلي
لها تنبت بالدهن صلة معدية اى تنبته بمعنى متضمنة ومتصلة به فان النبات حقيقة صفة
للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما في قول زهير
رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها
ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان وصبغ
للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشئ على الآخر اى تنبت بالشئ الجامع
بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ
في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة
اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى
عبرة لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه
ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما ان محل العبرة فيه اظهر مما في النبات وقوله تعالى نسقيكم مما في

على قراءة من كسر السين

عند نحو

بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد
بالبطون الجوف او عن العلف الذى يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها
وقرئ بفتح النون وبالتاء اى تسقيكم الانعام ولكم فيها منافع كثيرة غير ما ذكر من اصوافها و
اشعارها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها وعليها اى على
الانعام فان الحمل عليها لا يقتضى الحمل على جميع انواعها بل يتحقق الحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل
المراد هى الابل خاصة لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر
قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدى زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن
وعلى الفلك تحملون اى في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة
في تحملها الحمل وهو الداعى الى تاخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها من ذكر منفعة
الاكل المتعلقة بعينها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه شروع في بيان اهمال الامم السابقة
وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق
بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص
مما لا يخفى وجهه وفي ايراده اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف والواو
ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اى
وبالله لقد ارسلنا نوحا ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله في
سورة الاعراف وسورة هود فقال متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق يا قوم اعبدوا
الله اى اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود ان لا تعبدوا الا الله وترك التقييد
للايذان بانها هى العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شئ راسا وقوله تعالى
ما لكم من اله غيره استيناف مسوق لتعليل العبادة المامور بها او تعليل الامر بها وغيره
بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على انه فاعل او مبتدأ خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص
والتبيين اى ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه افلا تتقون
اى افلا تتقون ان يغشيكم عذابه الذى يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله
تعالى انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا
عباده الله الذى هو ربكم الخ وليس بذاك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة لانكار
الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اتعرفون ذلك اى مضمون
قوله تعالى ما لكم من اله غيره فلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد
الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون

ذلک فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة تح في الكمية وفي الاول في الكيفية فقال الملأ
اى الاشراف الذين كفروا من قومه وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال
عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اى قالوا لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم اى في الجنس والوصف
من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن
منصب النبوة يريد ان يتفضل عليكم اى يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم
بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه عليه الصلوة والسلام
واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى ولو شاء الله لانزل ملائكة بيان لعدم رسالة
البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام اى لو شاء الله تعالى ارسال
الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال
فمفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم
ونظائره ما سمعنا بهذا اى بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما
سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام في دعوى النبوة في آبائنا الاولين اى الماضين قبل بعثته
عليه السلام قالوه اما لكونهم وآبائهم في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد
وانهماكهم في الغي والفساد وايا ما كان فقولهم هذا ينبغي ان يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته
عليه السلام كما ينبئ عنه الفاء في قوله تعالى فقال الملأ الخ وقيل معناه ما سمعنا به عليه السلام انه نبي
فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذي صدر
عنهم في اواخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم ان
هو الا رجل به جنة اى جنون او جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به اى
احتملوه واصبروا عليه وانتظروا حتى حين لعله يفيق مما فيه محمول حينئذ على ترامي احوالهم في
المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه به من البشرية وارادة التفضل الى وصفه عليه السلام
بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول على تناقض
مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلام
الكفرة كانه قيل فماذا قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد اصروا
على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحي اليه
انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن رب انصرني باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه
السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الخ بما كذبون اى بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم
فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك ان مفسرة لما في الوحي من معنى القول باعيننا

ملتبسا

ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كان معه عليه السلام منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من
التعدي او من الزيغ في الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء في
قوله تعالى فاذا جاء امرنا لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما في
قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل وبمجيئه كمال اقترابه او ابتداء
ظهوره اى اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى وفار التنور عطف بيان لمجيء
الامر روي انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان
تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء اخبرته امرأته فركبوا و
اختلف في مكانه وقيل كان في مسجد الكوفة اى في موضعه عن يمين الداخل من باب كندة
اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفصيله في تفسير سورة هود عليه السلام
فاسلك فيها اى ادخل فيها يقال سلك فيه اى دخل فيه وسلكه فيه اى ادخله فيه
ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر من كل اى من كل امة زوجين اى فردين مزدوجين
كما يعرب عنه قوله تعالى اثنين فانه نص في الفردين دون الجمعين او الفريقين وقرئ
بالاضافة على ان المفعول اثنين اى من كل امة زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال
والنوق والحصن والرماك وهذا صريح في ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة
هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل اما على
انه حكاية لامر آخر تنجيزي ورد عند فوران التنور الذي نيط به الامر التعليقي اعتناء بشان
المامور به او على ان ذلك هو الامر السابق بعينه لكن لما كان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق
في حق ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز
وقد مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم واهلك منصوب بفعل معطوف
على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين لادائه الى اختلال المعنى اى
واسلك اهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها
لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى معاونة
من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر ضرب تفصيل
بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدي الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم الا من
سبق عليه القول منهم اى القول باهلاك الكفرة وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء
باللام في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبني في الذين ظلموا
بالدعاء لانجائهم انهم مغرقون تعليل للنهي او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اى انهم

مقضي عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له و
لا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى فاذا استويت انت
ومن معك اي من اهلك واشياعك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين و
قل رب انزلني في السفينة او منها منزلا مباركا اي انزالا او موضع انزال يستتبع
خيرا كثيرا وقرئ منزلا اي موضع نزول وانت خير المنزلين امر عليه السلام بان يشفع
دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر مع
شركة الكل في الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان في دعائه و
ثنائه مندوحة عما عداه ان في ذلك الذي ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه لآيات
جليلة يستدل بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذووا الاعتبار وان كنا لمبتلين ان
مخففة من انّ واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف اي وانّ الشأن
كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر
من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشأنا من بعدهم اي من
بعد اهلاكهم قرنا آخرين هم عاد حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعليه اكثر
المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة
قوم نوح وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم جعلوا موضعا للارسال كما في قوله تعالى كذلك
ارسلناك في امة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من
اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله
تعالى رسولا منهم اي من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان في قوله تعالى
ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اي قلنا لهم على لسان الرسول
اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى ما لكم من اله غيره تعليل للعبادة المأمور بها او للامر بها او لوجوب
الامتثال به افلا تتقون اي عذابه الذي يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام
في العطف كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقال الملأ من قومه حكاية لقولهم الباطل
اثر حكاية القول الحق الذي نطق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على ان المراد
حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لا حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة
والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على السؤال كما ينبئ عنه ما سيأتي
من حكاية سائر الامم اي وقال الاشراف من قومه الذين كفروا في محل الرفع على انه صفة للملأ

وصفوا

وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم في الكفر وتأخيره من قومه لعطف قوله تعالى و
كذبوا بلقاء الآخرة وما عطف عليه على الصلة الاولى اي كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب
والثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم
في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد اي قالوا لاعقابهم مضلين لهم ما هذا
الا بشر مثلكم اي في الصفات والاحوال وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة في تهوين
امره عليه السلام وتوهينه يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما
خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن
اطعتم بشرا مثلكم اي فيما ذكر من الاحوال والصفات اي ان امتثلتم باوامره انكم
اذا اي على تقدير الاتباع لخاسرون عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث اذللتم انفسكم
انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا دون عبادة
الاصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذا واقع بين اسم ان وخبرها لتأكيد
مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة اي
وبالله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم استيناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم
عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده انكم اذا متم
بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة
عن اللحوم والاعصاب اي كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم
التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا
ومتأخروكم عظاما وقوله تعالى انكم تأكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى
مخرجون اي من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبره على معنى اخراجكم
اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بالفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا متم وقع
اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول
وقرئ ايعدكم اذا متم الى آخره هيهات هيهات تكرير لتأكيد البعد اي بعد الوقوع
او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما في هيت لك كانهم لما صوتوا
بكلمة الاستبعاد قيل لما ذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد
وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة
وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال
التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حياتنا فاقيم الضمير مقام الاولى

لدلالة الثانية عليها حذراً من التكرار واشعاراً باغنائها عن التصريح كما في بيت النفس تحمل ما
حملت وبيت العرب تعول ما نابت وحيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت
ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى نموت ونحيى جملة مفسرة لما ادعوه
ان الحيوة هي الحيوة الدنيا اى يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر وما نحن
بمبعوثين بعد الموت ان هو اى ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه
من ارساله وفيما يعدنا من ان الله تعالى يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما
يقوله قال اى هود عليه السلام عند يأسه من ايمانهم بعد ما سلك في دعوتهم كل
مسلك متضرعاً الى الله عز وجل رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون اى
بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه قال تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما
قليل اى عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة كما زيدت في
قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اى شيء قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوا
من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين اصابتهم
الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها بالصيحة الهائلة ايضا وقد روى ان شداد بن عاد حين اتم
بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس
العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال قائلهم صاح الزمان بآل برمك صيحة
خروا لشدتها على الاذقان بالحق متعلق بالاخذ اى بالامر الثابت الذي لا دفاع له او
بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء اى كغثاء السيل وهو حميله فبعداً
للقوم الظالمين اخبار او دعاء وبعداً من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا
بعداً اى هلكوا واللام لبيان من قيل له بعداً ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ثم انشأنا
من بعدهم اى بعد هلاكهم قروناً آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام
وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اى ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي عين
لهلاكهم اى ما تهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستأخرون ذلك الاجل ساعة وقوله
تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف على انشأنا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ عن انشاء
القرون المذكورة جميعاً بل على معنى ان ارسال كل رسول متأخر عن انشاء قرن مخصوص
بذلك الرسول كانه قيل ثم انشأنا من بعدهم قروناً آخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولاً
خاصاً به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المضروب
لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي تترى اى متواترين واحداً بعد واحد

من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور والالف للتأنيث باعتبار ان
الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالاً وقوله تعالى كلما جاء
امة رسولها كذبوه استئناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة
والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة
الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء
امته المخصوصة به لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت
كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم
فاتبعنا بعضهم بعضاً في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضاً في مباشرة الاسباب التي
هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها
المعتبرون وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهياً كاعاجيب جمع اعجوبة وهي
ما يتعجب منه اى جعلناهم احاديث يتحدث بها تلهياً وتعجباً فبعداً لقوم لا يؤمنون اقتصر
ههنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالاً واما القرون الاولون
فحيث نقل عنهم ما مر من العتو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا
موسى واخاه هارون بآياتنا هي الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع
والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هي الآيات التي
كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين اى حجة واضحة ملزمة للخصم وهي اما العصا
وافرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما انها ام آياته عليه السلام واولها وقد تعلقت
بها معجزات شتى من انقلابها ثعباناً وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه
واما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة
وشجرة خضراء مثمرة ودلواً ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون
وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام واما نفس الآيات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام
عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيهاً على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلاً لتغايرهما
منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملائه اى اشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال
بني اسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا
قوماً عالين متكبرين متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر
للاستكبار اى كانوا قوماً عادتهم الاستكبار والتمرد اى قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة
انؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر لانه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشراً سوياً كما يطلق على

بالجمع كما في قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه
القصص كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم
بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث
يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية
المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب
ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها في اسفل سافلين كاولئك
الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون بني اسرائيل لنا عابدون
اي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بشانهما عليهما السلام
وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون
قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على
زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في
نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في
حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما اي
فتموا على تكذيبهما واصروا واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم
ولقد آتينا اي بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من ملكتهم موسى الكتاب اي التوراة وحيث
كان ايتاؤه عليه السلام اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو شأن الكتب الالهية جعلوا كانهم
اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اي الى الطريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والاحكام وقيل اريد
آتينا قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون
وملئهم اي من آل فرعون وملئهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التوراة انما نزلت
بعد اغراقهم لبني اسرائيل واما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما
اهلكنا القرون الاولى فمما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون الاولى ما يتناول قوم فرعون
بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة
القصص وجعلنا ابن مريم وامه آية اي آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس
بشر فالآية امر واحد نسب اليهما او وجعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه
آية بانها ولدته من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما
كونه عليه السلام ابنها وكونها امه عليه السلام للايذان من اول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبته عليه

السلام اليها مع انه لا ينتسب الى الآباء دالة على انه لا اب له اي جعلنا ابن مريم وحده من غير ان
يكون له اب وامه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الاب آية وتقديمه عليه السلام لاصالته
فيما ذكر من كونه آية كما ان تقديمها في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لاصالتها
فيما نسب اليها من الاحصان والنفخ وآويناهما الى ربوة اي ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض
بيت المقدس فانها مرتفعة فانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا على
ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربى
وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم ذات قرار مستقر من ارض منبسطة سهلة
يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها ومعين
اي وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في المشي او من الماعون وهو
النفع لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها
بذلك للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير
كلفة والتنزه بمنظره المونق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات حكاية لرسول الله صلى الله عليه و
سلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها اثر حكاية ايواء عيسى عليه السلام و
امه الى الربوة ايذانا بان ترتب مبادي التنعم لم يكن من خصائصه بل اباحة الطيبات شرع قديم
جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به اي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا
فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة
على بطلان ما عليه الرهبانية من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وامه عند
ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل خطاب له والنداء والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد
وقتادة والسدي والكلبي رحمهم الله تعالى انه خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحده على دأب
العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات
ما يستطاب ويستلذ من مباحات المآكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفيه
واعملوا صالحا اي عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون من الاعمال
الظاهرة والباطنة عليم فاجازيكم عليه وان هذه استئناف داخل فيما خوطب به الرسل
عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما امر به كافة الرسل والامم
وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في
سلك الامور المشاهدة امتكم اي ملتكم وشريعتكم ايها الرسل امة واحدة اي ملة وشريعة

متحدة في اصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل
والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة وانا ربكم من غير
ان يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى فاتقون اي في شق العصا والمخالفة
بالاخلال بموجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بي للرسل والامم جميعا على ان الامر في حق الرسل
للتهييج والالهاب وفي حق الامم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الامر او وجوب الامتثال به على
ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الامة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وان هذه
بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولان هذه امتكم امة وانا ربكم فاتقون اي اتقوا فاتقون كما مر
في قوله تعالى واياي فارهبون وقيل على العطف على ما اي اني عليم بان امتكم امة الخ وقيل على
حذف فعل عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم الخ وقرئ وان هذه على انها مخففة من ان
فتقطعوا امرهم حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل
عليه الامة من اربابها او لها على التغليب والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح
حالهم اي تقطعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة بينهم زبرا اي
قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو
تقطعوا او مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا
من امرهم على تقدير المضاف اي مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من اولئك
المتحزبين بما لديهم من الدين الذي اختاروه فرحون معجبون معتقدون انه الحق فذرهم
في غمرتهم شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم
والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما
لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم
حتى حين هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وفي التنكير
والابهام ما لا يخفى من التهويل أيحسبون انما نمدهم به اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة
وقوله تعالى من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه قد مر وجهه في سورة
الكهف لا خبر لان وانما الخبر قوله تعالى نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع الى الاسم اي
ايحسبون ان الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار
الواقع واستقباحه وقوله تعالى بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي كلا لا نفعل
ذلك بل هم لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا ان ذلك الامداد

استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك
يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول ان الذين
هم من خشية ربهم مشفقون استئناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات اثر
اقناط الكفار منها وابطال حسبانهم الكاذب اي من خوف عذابه حذرون والذين هم
بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون
شركا جليا ولا خفيا ولذلك أخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في
المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك والذين يؤتون
ما آتوا اي يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما اتوا اي يفعلون ما
فعلوه من الطاعات وأيا ما كان فصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقق
كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار وقلوبهم وجلة حال من
فاعل يؤتون او يأتون اي يؤتون ما آتوه او يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان
قلوبهم خائفة اشد الخوف انهم الى ربهم راجعون اي من ان رجوعهم اليه عز وجل على
ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا
مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة
واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل
واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كأنه قيل ان الذين هم من خشية
ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الى آخره وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل
واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال
الموصوف بها اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد
للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة
خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات اي في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات
العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة وقوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين فقد اثبت
لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في
الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم
وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها
متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية

وهم لها سابقون اى اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما فى قوله تعالى هم لها عاملون
اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى
يرغبون فى الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها
سابقون الناس والاول هو الاولى ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستانفة سيقت
للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدى الى نيل الخيرات ببيان
سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اى عادتنا جارية على ان لا
نكلف نفسا من النفوس الا ما فى وسعها على ان المراد استمرار النفى بمعونة المقام لا نفى
الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان
انه تعالى لا يكلف عباده الا ما فى وسعهم فان لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب السابقين
فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام
فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تعالى ولدينا كتاب الخ تتمة
لما قبله ببيان احوال ما كلفوه من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب
والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التى يقرؤنها عند الحساب حسبما يعرب عنه
قوله تعالى ينطق بالحق كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون
اى عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد على ما هى عليه او اعمال السابقين والمقتصدين
جميعا لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله
بالحق متعلق بينطق اى يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر
كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها ويرتب عليها
اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى وهم لا يظلمون بيان لفضله تعالى وعدله
فى الجزاء اثر بيان لطفه فى التكليف وكتب الاعمال اى لا يظلمون فى الجزاء بنقص ثواب او بزيادة
عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التى كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون
تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اى لا يظلمون بتكليف ما ليس فى وسعهم ولا بعدم
كتب بعض اعمالهم التى من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين
بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا
منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب اصل الثواب فضلا عن
ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب
درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا تكليف ما فى الوسع

ولكن

وكتب الاعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها
بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى بل قلوبهم فى
غمرة من هذا اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله اى بل قلوب الكفرة فى غفلة
غامرة لها من هذا الذى بين فى القرآن من ان لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على
رؤس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سياتى من قوله تعالى قد كانت آياتى تتلى عليكم الخ وقيل
مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ولهم اعمال سيئة كثيرة من دون ذلك الذى
ذكر من كون قلوبهم فى غفلة عظيمة مما ذكر وهى فنون كفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ما سياتى
من طعنهم فى القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف
به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لا قرينة فى وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطى للاعمال
الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره هم لها
عاملون مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها حتى اذا اخذنا
مترفيهم اى متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية
لاعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون الشرطية اى لا يزالون يعملون اعمالهم الى حيث اذا
اخذنا رؤساءهم بالعذاب قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذى اصابهم
حين دعا عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والاولاد والحق انه
العذاب الاخروى اذ هو الذى يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر
واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما
استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر
حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكن
لم يرد عليه بالاقناط حيث روى انه عليه السلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك اذا هم يجأرون
اى فاجؤا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط
وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور
انعكاس حالهم وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية
غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم من الحماة
والخدم اولى واقدم لا تجأروا اليوم على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا
باطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان

تنفر منهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلي في الجملة الشرطية
هو الجواب فيؤدي ذلك الى ان يكون مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود اصلي وقوله تعالى انكم
منا لا تنصرون تعليل للنهي عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه اي لا يلحقكم من جهتنا نصرة
تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق النظم الكريم لان جؤارهم
ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى قد كانت
آياتي تتلى عليكم الى آخره صريح في انه تعليل لما ذكر من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم
بالآيات ولو كان النصر المنفي متوهما من الغير لعلل بعجزه وذلة او بعزة الله تعالى وقوته اي قد كانت آياتي
تتلى عليكم في الدنيا فكنتم على اعقابكم تنكصون اي تعرضون عن سماعها اشد الاعراض
فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به اي بالبيت الحرام او
بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بانهم خدامه وقوامه او بكتابي
الذي عبر عنه بآياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم على المسلمين قد
حدث بسبب استماعه ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى سامرا اي تسمرون بذكر القرآن والطعن
فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا
والسامر كالحاضر في الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان يتعلق
بقوله تعالى تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان او الترك اي تهذون في شان القرآن او تتركونه
او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش فيه وقرئ تهجرون
من هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى افلم يدبروا القول الهمزة لانكار الواقع واستقباحه
والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي افعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم
يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم
فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شانه من القبائح وام في قوله تعالى ام جاءهم ما لم يأت آباءهم
الاولين منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بآخر
والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع اي بل اجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الاولين
حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني ان مجيء الكتب
من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يستنكر وان مجيء القرآن على
طريقته فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى ما لم يأت آباءهم الاولين كاسماعيل
عليه السلام واعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب واسد بن
خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد فآمنوا به تعالى وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا

رسولهم اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لانكار الوقوع ايضا اي
بل الم يعرفوه عليه السلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم
من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام فهم له منكرون
اي جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشانه عليه السلام ومن ضرورة
انتفاء المبني بطلان ما بني عليه او فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تاكيد لما قبله ام يقولون
به جنة انتقال الى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل يقولون به جنة اي جنون
مع انه ارجح الناس عقلا واثقبهم ذهنا واتقنهم رايا واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات
الاربعة التي اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به عليه السلام الترقي من الادنى الى
الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من
الوجوه ثم وبخوا بشيء لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق
بالرسول صلى الله عليه وسلم من عدم معرفتهم به عليه السلام وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير
ولا شر ثم بما لو كان فيه عليه السلام ذلك لقدح في رسالته عليه السلام بل جاءهم بالحق
اضراب عما يدل عليه ما سبق اي ليس الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول عليه السلام
بل جاءهم عليه السلام بالحق اي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه اصلا ولا مدخل فيه
للباطل بوجه من الوجوه واكثرهم للحق من حيث هو حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط كما
ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار كارهون لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب
للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا
الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا
الحق المبين فتامل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ اقوامه
او لقلة فطنته وعدم تفكره لا كراهة الحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع
اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا ولو اتبع الحق اهواءهم استئناف مسوق
لبيان ان اهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان
ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا لاهوائهم الباطلة لفسدت السموات
والارض ومن فيهن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك
وفيه من تنويه شان الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به عليه السلام
اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر ففيه انه لا يلائم فرض مجيئه
عليه السلام به وكذا ما قيل لو كان في الواقع آلهة لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم

للخروج عن الالهية مما لا احتمال له اصلاً بل آتيناهم بذكرهم انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي
يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد
بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك
اي بل آتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال فهم بما فعلوا
من النكوص عن ذكرهم اي فخرهم وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك مما لا يوجب
الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء
لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من ايتاء ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الايتاء
مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم اعراضاً عن ذكرهم هو ايتاء ذكرهم لا الايتاء مطلقاً وفي
اسناد الاتيان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه السلام تنويه لشأن النبي
صلى الله عليه وسلم وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي ايراد القرآن الكريم عند
نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية
والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه
مقام حكاية ما قاله المبطلون في شأنه واما التشريف فانما يليق به تعالى لا سيما رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم احد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا
ذكراً من الاولين وقيل وعظهم وايد ذلك بانه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين اشد
فان الاعراض عن وعظهم ليس في مثابة اعراضهم عن شرفهم او عن ذكرهم الذي يتمنونه في
الشناعة والقباحة ام تسألهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة الى
التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل ام يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة خرجاً اي جعلا
فلاجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى فخراج ربك خير اي رزقه في الدنيا وثوابه في
الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار اي لا تسألهم ذلك فان ما رزقك
الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من تعليل الحكم وتشريفه عليه السلام ما لا يخفى والخرج بازاء الدخل
يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج
ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج من النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج
وخراجاً فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك
بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وعلا وازاح عللهم في هذه الآيات حيث حصر اقسام ما

يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة وصفوا بذلك تشنيعاً لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حيوة
الا الحيوة الدنيا واشعاراً بعلة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من
اقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله عن الصراط اي عن جنس الصراط لناكبون
لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول ادل
على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط
ولو كان معوجاً ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدب للجوا لتمادوا في
طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
والمؤمنين يعمهون اي عامهين عن الهدى روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي و
لحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء
ابو سفيان الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك
بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو
كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه
من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك و
قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية
والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التي من جملتها
القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا
لربهم بذلك اي لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه اما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى
كون او افتعال من السكون قد اشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه
من العتو والاستكبار وقوله تعالى وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي ليس من
عادتهم التضرع اليه تعالى حتى اذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد هو عذاب الآخرة كما ينبئ
عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد اذا هم فيه مبلسون
اي متحيرون آيسون من كل خير اي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما رؤي منهم
لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره ابو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع
اليه تعالى في شيء وانما هو نوع خنوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع
طغى واكثرهم مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد
بالباب الجوع فانه اشد من القتل والاسر والمعنى اخذناهم اولا بما جرى عليهم يوم

من قبل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي
هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد
يستعطفك والوجه هو الاول وهو الذي انشا لكم السمع والابصار لتشاهدوا بها
الآيات التنزيلية والتكوينية والافئدة لتتفكروا بها ما تشاهدونها وتعتبروا اعتبارا
لائقا قليلا ما تشكرون اي شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما ان
العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له و
انتم تخلون بذلك اخلالا عظيما وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وبثكم فيها
بالتناسل واليه تحشرون اي تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون
به ولا تشكرونه وهو الذي يحيي ويميت من غير ان يشاركه في ذلك شيء من الاشياء
وله خاصة اختلاف الليل والنهار اي هو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او اختلافهما
ازديادا وانتقاصا او لامره وقضائه اختلافهما افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا
تعقلون او تتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع
الممكنات التي من جملتها البعث وقرئ يعقلون على ان الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء
حال المخاطبين لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذاك بل
قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون
اي آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون تفسير
لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا
اي البعث من قبل متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم اي ووعد
آباؤنا من قبل او بمحذوف وقع حالا من آباؤنا اي كائنين من قبل ان هذا اي ما هذا
الا اساطير الاولين اي اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة وقيل
جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم
ان كنتم تعلمون جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اي ان كنتم تعلمون
شيئا ما فاخبروني به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي
تجهيلهم ما لا يخفى او ان كنتم تعلمون ذلك فاخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لذلك و
لذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قيل سيقولون لله لان بديهة العقل
تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها قل اي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم افلا
تذكرون اي تعلمون ذلك او تقولون ذلك فلا تتذكرون ان من فطر الارض وما فيها

ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول
وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم اعيد
الرب تنويها لشان العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا للسموات وجودا او ذكرا وقد روعي في
الامر بالسؤال الترقي من الادنى الى الاعلى سيقولون لله باللام نظرا الى معنى السؤال
فان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ هو وما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال
قل انكارا لهم وتوبيخا افلا تتقون اي اتعلمون ذلك ولا تتقون انفسكم عقابه بعدم
العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية
قل من بيده ملكوت كل شيء مما ذكر ومما لم يذكر اي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه وهو
يجير اي يغيث غيره اذا شاء ولا يجار عليه اي ولا يغيث احد عليه اي لا يمنع احد
بالنصر عليه ان كنتم تعلمون اي شيئا ما او ذلك فاجيبوني على ما سبق سيقولون
لله اي لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه قل فانى تسحرون اي فمن اين
تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحورا
مختل العقل لا يكون كذلك بل اتيناهم بالحق الذي لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث
وانهم لكاذبون فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما يقوله
النصارى والقائلون ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وما كان معه
من اله يشاركه في الالوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم اذا لذهب كل اله بما
خلق جواب لمحاجتهم وجزاء الشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما تقولون
لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب
والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده وحده ملكوت
كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب
الوجود واحد بالذات سبحان الله عما يصفون اي يصفونه من ان له اندادا واولادا
عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف وايا ما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى
بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فتعالى عما يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب
لتعاليه عن ان يكون له شريك قل رب اما تريني اي ان كان لا بد من ان تريني ما يوعدون
من العذاب الدنيوي المستاصل واما العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلني
في القوم الظالمين اي قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه

من العذاب في كونه بحيث يجب ان يستعاذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد لانكارهم اياه و
استعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به عليه السلام هضما لنفسه وقيل لان شؤم
الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروي انه
تعالى اخبر نبيه عليه السلام بان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير
النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما نعدهم
من العذاب لقادرون ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا
لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان
المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستأصلا لا يظهر على يديه عليه السلام
للحكمة الداعية اليه ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها
لكن لا بحيث يؤدي الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف
والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم
الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به
او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وارشاد له عليه السلام الى تفويض امره اليه تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين اي وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة
بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على
الاسراع او الوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك
رب ان يحضرون امر عليه السلام بان يعوذ به تعالى من حضورهم بعدما امر بالعوذ به من همزاتهم
للمبالغة في التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور
به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء اي اعوذ بك من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال
وتخصيص حال الصلوة وقراءة القران كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وحال حلول الاجل
كما روي عن عكرمة رح لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها حتى اذا جاء احدهم الموت
حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة
بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين ان يزلوه عليه
السلام عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى انه العامل فيه لفظا والمعنى بل انه معمول لمحذوف
يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظا ومعنى اي يستمرون على الوصف المذكور
حتى اذا جاء احدهم اي احد كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له احوال الآخرة قال تحسرا على ما

فرط فيه من الايمان والطاعة رب ارجعون اي ردني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب
وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك ونظائره لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي
في الايمان الذي تركته لم ينظمه في سلك الرجا كسائر الاعمال الصالحة بان يقول لعلي اؤمن فاعمل
للاشعار بانه امر متقرر الوقوع غني عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع
اي لعلي اعمل في الايمان الذي آتي به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال او من الدنيا وعنه
عليه السلام اذا عاين المؤمن الملئكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان
بل قدوما الى الله تبارك وتعالى واما الكافر فيقول ارجعوني كلا ردع عن طلب الرجعة
واستبعاد لها انها اي قوله رب ارجعون الخ كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة
عليه ومن ورائهم اي امامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد
في الضمائر الاول باعتبار اللفظ برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم
القيمة وهو اقناط كلي عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما
الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة وهي النفخة الثانية
التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها على ان الصور جمع
الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا انساب بينهم تنفعهم
لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه او الانساب يفتخرون بها يومئذ كما هي بينهم اليوم ولا يتسالون
اي لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا ينافضه قوله تعالى فاقبل بعضهم على
بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذاك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه
موزونات حسناته من العقائد والاعمال اي فمن كانت له عقائد صحيحة واعمال صالحة
يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون
من كل مهروب ومن خفت موازينه ومن لم يكن له من العقايد والاعمال ماله وزن وقدر عنده
تعالى وهم الكفار لقوله تعالى ولا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام
في تفسير سورة الاعراف فاولئك الذين خسروا انفسهم ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا
استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان
افراد الضميرين في الصلتين باعتبار لفظه في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك
تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفخ الا انه اشد تاثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها
اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصي المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على

الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ
كلحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به
استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون
حينئذ قالوا ربنا غلبت علينا اي ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا
كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرئ شقاوتنا بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح والكسر
وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما
ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم
بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة
والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله
تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان
عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم
انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم
فان عدنا صريح في انهم حينئذ على الايمان والطاعة وان الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات
عليهما لا احداثهما قال اخسؤوا فيها اي اسكتوا في النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا
انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ اي انزجر ولا تكلمون
اي باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده
التعليل الآتي وقيل لا تكلمون رأسا وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق
والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية قطعا وقوله تعالى
انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اي ان الشان وقرئ بالفتح اي لان الشان كان فريق من
عبادي وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يقولون
في الدنيا ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اي اسكتوا عن
الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم كنتم تستهزؤون بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتتشاغلون باستهزائهم
حتى انسوكم اي الاستهزاء بهم ذكري من فرط اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم
تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم استئناف لبيان حسن
حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم بما صبروا بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم
الفائزون ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر
الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن قال اي الله عز وجل او الملك

المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسؤوا
فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك كم لبثتم في الارض التي تدعون ان ترجعوا اليها عدد
سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها
فاسأل العادين اي المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة
العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي المتعدين فانهم ايضا يقولون
ما نقول كأنهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اي
القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم قال اي الله تعالى او الملك وقرئ
قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون اي تعلمون
شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لعلمتم يومئذ قلة
لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي الم
تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة اي
عابثين او مفعول له اي انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما فان
خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون
بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي تصرف عليها عباده من
البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة
المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة
الملك الحق الذي يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماتة عقابا
واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده رب
العرش الكريم فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما
لانه منه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم او الخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم
الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع
مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير
بجناحيه جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما
شهدت بديهة العقول بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق
منه بالاحسان فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه فهو مجازيه على قدر ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون
اي ان الشان الخ وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه
انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى

حسابهم انهم لا يفلحون ٭ بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح
عن الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل وقل
رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من قد
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه
عليه السلام انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون
حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ
باربع من آخرها نجا وافلح

سورة النور

سورة خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها
باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى انزلناها مع ما عطف عليه
صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات واما
كونها مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فيأباه ان
مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لا ان في جملة ما اوحي الى النبي عليه السلام سورة شأنها كذا
وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات
وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب او على تقدير اقرأ او نحوه
او دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزلنا النصب على الوصفية وفرضناها اي اوجبنا
ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد
لتأكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف وانزلنا فيها اي
في تضاعيف السورة آيات بينات ان اريد بها الآيات التي نيطت بها الاحكام المفروضة
وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على
معانيها على الاطلاق فانها اسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال
السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشأنها وان اريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال
الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات عين السورة وانزالها عين انزالها
لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى
ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون

بحذف احدى التائين وقرئ بادغام الثانية في الذال اي تتذكرونها فتعملون بموجبها عند
وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى مست
الحاجة اليها استحضروها الزانية والزاني شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان احكامها
والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني
لانها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله
تعالى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول
والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف
اي فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم
وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا ويكفينا في تعيين الناسخ
القطع بانه عليه السلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة
وفي الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروي
عن علي رضي الله تعالى عنه جلدتهما بكتاب الله ورجمتهما بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة وهي الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله
والله عزيز حكيم ويأباه ما روي عن علي رضي الله تعالى عنه ولا تأخذكم بهما رأفة وقرئ بفتح الهمزة
وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة ورقة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا
فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد
في اجراء احكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين اي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب
والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلاثة كما روي عن قتادة وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب
المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من
ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص المشركين
كانه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما فلا تحوموا حوله

كيلا ينتظموا في سلكها او يتسموا بسمتها فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية اما
للتعريض بقصر الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن او لتأكيد العلاقة بين الجانبين
مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير
هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في
سلك المشركة وحرم ذلك اي نكاح الزواني على المؤمنين لما ان فيه من التشبه بالفسقة
والتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة والطعن في النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك من
المفاسد ما لا يكاد يليق باحد من الاداني والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه
بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص
بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي
انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من
ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان والذين يرمون المحصنات بيان لحكم العفائف اذا
نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الاحصان ههنا مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة
عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة الآلة
وايلام المرمي وبعده عن الرامي ايذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهن بالزنا
لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع
على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك
الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه مؤنة بيان تأخر نزول الآية عن قوله تعالى
فاستشهدوا عليهن اربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على ان فيه شائبة المصادرة
كانه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا ثم لم يأتوا باربعة شهداء
يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تأخير الاتيان بالشهود كما ان في
كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء
خلافا للشافعي فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج
المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة لظهور كذبهم وافترائهم
بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب
ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع ان حكم رمي
المحصنين ايضا ذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن ولا تقبلوا لهم شهادة عطف

على اجلدوا وداخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مولم للقلب كما ان الجلد مولم للبدن وقد
آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف
هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها
تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر
المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة من اهليته السابقة بل من اهلية
حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعبأون
بسب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك
بدون ما مر من الاعتبار تعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات
حال كونها حاصلة لهم عند الرمي ابدا اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة
للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله واولئك
هم الفاسقون كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم
الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك هم المحكوم عليهم
بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كانهم هم المستحقون لاطلاق
اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى الا الذين تابوا استثناء من الفاسقين كما
ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وقوله تعالى من بعد ذلك لتهويل
المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم التي
من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف فان
الله غفور رحيم تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كانه قيل فحينئذ
لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ في المغفرة و
الرحمة هذا وقد علق الشافعي حرف الاستثناء بالنهي فمحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير في
لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها والذين
يرمون ازواجهم بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهم لكن لا بان
يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد
فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة تراخي
نزولها كما سيأتي فيبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لما بين في موضعه ان دليل
النسخ غير معلل ولم يكن لهم شهداء يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتاء تأنيث الفعل الا
انفسهم بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول

الا مر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة
اليهم في قوله تعالى فشهادة احدهم اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى اربع شهادات
خبره اي فشهادتهم المشروعة اربع شهادات بالله متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها
وقرئ اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على انه اما خبر لمبتدأ محذوف اي فالواجب
شهادة احدهم واما مبتدأ محذوف الخبر اي فشهادة احدهم واجبة انه لمن الصادقين اي فيما
رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتأكيد والخامسة
اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن مع
كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار
الصدق وهي مبتدأ خبره ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا فاذا
لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم او تلاعن ويدرأ عنها العذاب اي العذاب الدنيوي
وهو الحبس المغيا على احد الوجهين بالرجم الذي هو اشد العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله
انه اي الزوج لمن الكاذبين اي فيما رماني به من الزنا والخامسة بالنصب عطفا على اربع شهادات
ان غضب الله عليها ان كان اي الزوج من الصادقين اي فيما رماني به من الزنا و
قرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ ان بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ
ان غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء
كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى
روي ان آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المنبر فقام عاصم
ابن عدي الانصاري رضه فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين و
ردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة
شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما
وراءك قال شر وجدت على امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي
ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبرا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فنزلت
فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى
ولا يتأبد حكمها حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف
وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله تعالى هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع
بعد ذلك ابدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم التفات الى خطاب
الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله

والاشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وانه تعالى مبالغ في
قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان مما كان
مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف
مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة
وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها
موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة
فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب احدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية و
قد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو اتم مما درأته عنه واطم وفي ذلك
من احكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى اما على الصادق فظاهر واما على الكاذب
فهو امهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان
توابيته سبحانه ما اعظم شانه واوسع رحمته وادق حكمته ان الذين جاؤا بالافك اي بابلغ
ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه
مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما افك به الصديقة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وفي لفظ
المجيء اشارة الى انهم اظهروه من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت
عائشة رضه فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله
تعالى عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة
نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت
الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني
ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم
يحسبون اني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعدما
استمر الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت انهم سيفقدونني
ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي
من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا
بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت اليها
فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني
الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي

مطلب

فهلك من هلك وقوله تعالى عصبة منكم خبر ان اي جماعة وهي من العشرة الى الاربعين وكذا
العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت
جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم استئناف خوطب به رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك بل هو خير
لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة آية في نزاهة
ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم
اي من اولئك العصبة ما اكتسب من الاثم بقدر ما خاض فيه والذي تولى كبره اي معظمه
وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه منهم من العصبة وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه بين الناس
عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح
به فافراد الموصول ح باعتبار الفوج او الفريق او نحوهما له عذاب عظيم اي في الآخرة
او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهورا عليه بالنفاق
وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد
وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى لولا اذ سمعتموه تلوين للخطاب
وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد
ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيرا لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه
المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم
عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم
اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقوله تعالى
ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع والتوبيخ عليه
ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان
الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره
المنافقون ايضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ
ح متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر
التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به
رأسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات اول ما سمعوه
ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا وقالوا في ذلك

الآن هذا افك مبين اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق ام المؤمنين
حرمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لولا جاؤا عليه باربعة شهداء اما من تمام القول
المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه
منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء يشهدون
على ما قالوا فلم يأتوا بهم واما قيل بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك اشارة
الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي
اولئك المفسدون عند الله اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة
هم الكاذبون الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم
عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج
على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا ولولا فضل الله عليكم خطاب
للسامعين والمسمعين جميعا ورحمته في الدنيا من فنون النعم التي من جملتها الامهال للتوبة
والآخرة من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة لمسكم عاجلا فيما
افضتم فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره
يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ
والجلد اذ تلقونه بحذف احدى التائين ظرف للمس اي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت
تلقيكم اياه من المخترعين بالسنتكم والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول
معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة و
قرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم
على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته
فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي تقولون قولا
مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لانه ليس بتعبير عن علم في
قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له او ليس له
كبير عقوبة وهو عند الله والحال انه عنده عز وجل عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستجرار
العذاب ولولا اذ سمعتموه من المخترعين او المشايعين لهم قلتم تكذيبا لهم وتهويلا لما
ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا ان نتكلم بهذا وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله
نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة او الاستقامة والانبغاء وهذا اشارة الى ما سمعوه
وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم

على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن لتفيد أنه المحتمل للوقوع المنفرد الى التحضيض على تركه واما ترك
القول نفسه فأمر لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل
ما قيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر
الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل من ان ظروف الاشياء منزلة منزلة انفسها لوقوعها
فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما تستعمل فيما اذا
وضع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا صريحا للفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم
خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكر واما ههنا فلا حاجة اليها اصلا لما عرفت
ان مناط التقديم توجه التحضيض اليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها سبحانك تعجب ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة
التعجب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل
متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج
فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه واستحالة
صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله اي ينصحكم ان
تعودوا لمثله اي كراهة ان تعودوا او يزجركم من ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك
وعظته في كذا فتركه ابدا اي مدة حياتكم ان كنتم مؤمنين فان الايمان وازع
عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن
الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها اي ينزلها كذلك اي مبينة ظاهرة الدلالة على
معانيها لا انه يبينها بعد ان لم يكن كذلك وهذا كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي
خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار لتفخيم شأن البيان والله عليم باحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها حكيم في
جميع تدابيره وافعاله فأنى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة
الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال
الاعتراض التذييلي والاشعار بعلية الالوهية للعلم والحكمة ان الذين يحبون اي يريدون
ويقصدون ان تشيع الفاحشة اي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي
بالزنا او نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها اي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك
لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة في الذين آمنوا متعلق
بتشيع اي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة

فالموصول

فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة اي يحبون ان تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين
المؤمنين وفي شأنهم لهم بسبب ما ذكر عذاب اليم في الدنيا من الحد وغيره مما يتفق
من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا
ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره والآخرة من
عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع الامور التي من جملتها ما في
الضمائر من المحبة المذكورة وانتم لا تعلمون ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال
والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال
الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا
جعل العذاب العظيم في الدنيا عبارة عن حد القذف او منتظما له كما اطبق عليه الجمهور واما
اذا ابقي على اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها التصدي للاشاعة وهو الانسب
بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على ان عذاب من يباشر
الاشاعة ويتولاها اشد واعظم ويكون الاعتراض التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم
وانتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب العظيم لهم وتعليلا له ولولا فضل الله عليكم ورحمته
تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة وان الله رؤف رحيم
عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة
الالوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد بيان اتصافه
تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار
لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما ان المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة
ما قبله عليه يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا مسالكه في كل
ما تأتون وما تذرون من الافاعيل التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء
وبفتحها ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان وضع الظاهران موضع ضميريهما حيث لم يقل ومن
يتبعها او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير فانه يأمر بالفحشاء والمنكر
علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دأبه المستمر ان يأمر بهما فمن اتبع
خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشاء ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير انه للشيطان
وقيل للشأن على رأي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط او على ان الاصل يأمره وقيل هو عائد
الى من اي فان ذلك المتبع يأمر الناس بهما لان شأن الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة
الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملته ما تبكت

البينات والتوفيق للتوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى اى ما طهر من دنسها
وقرئ ما زكى بالتشديد اى ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى منكم بيانية وفي قوله تعالى من احد
زائدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى وفي محل النصب على المفعولية على القراءة
الثانية ابدا لا الى نهاية ولكن الله يزكى يطهر من يشاء من عباده بافاضة آثار فضله
ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله سميع مبالغ في سمع الاقوال التي
من جملتها ما اظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص
في التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تاكيد استقلال
الاعتراض التذييلي ولا يأتل اى لا يحلف افتعال من الألية وقيل لا يقصر من الالو والاول هو
الاظهر لنزوله في شأن الصديق رضي الله تعالى عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق
عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل اولوا الفضل منكم
في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله تعالى عنه والسعة في المال ان يؤتوا
اى على ان لا يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات اولى القربى والمساكين والمهاجرين في
سبيل الله صفات لموصوف واحد جئ بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة
لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره اى
على ان لا يؤتيهم شيئا وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغضاء عنه وقد قرئ الامران
بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم اى بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم
الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة
وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل
الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها على ابي بكر
رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا
ان الذين يرمون المحصنات اى العفائف مما رمين به من الفاحشة الغافلات عنها على
الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شئ منها ولا من مقدماتها اصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة
ما ليس في المحصنات او السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء المؤمنات اى المتصفات
بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ
عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب
عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عائشة
الصديقة رضي الله تعالى عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لسائر امهات المؤمنين لاشتراك

الكل في العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت
قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل امهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا اوليا
واما ما قيل من ان المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة
من نساء الامة فيأباه ان العقوبات المرتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين
ولا ريب في ان رمي غير امهات المؤمنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين
فانهن قد خصصن من بين سائر المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز و
جل وحماية لحمى الرسالة عن ان يحوم حوله احد بسوء حتى ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جعله
اغلظ من سائر افراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه
قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة رضي الله تعالى عنها وما هو منه رضي الله عنه الا التهويل
امر الافك والتنبيه على انه كفر غليظ لعنوا بما قالوا في حقهن في الدنيا والآخرة
حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة ابدا ولهم مع ما ذكر من اللعن الابدي
عذاب عظيم هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم
تشهد عليهم الى آخره اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت
حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها
على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من
معنى الاستقرار لا للعذاب وان اغضيا عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه
مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على انه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا
للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة
كأنه قيل يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يكون من
الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول المذكور عبارة عن
جميع اعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح
المذكورة بها انه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من افاعيل صاحبها
لا ان كلا منها تخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون
العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن احديهما خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال
والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة
وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لامر الوازع والجمع بين
صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على

مطلب

الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا
وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اى يوم اذ تشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم
الله تعالى جزاءهم الثابت الذى يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان
ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون
يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اى اذكر
يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل ويعلمون عند معاينتهم الاهوال والخطوب
حسبما نطق به القرآن الكريم ان الله هو الحق الثابت الذى يحق ان يثبت لا محالة فى
ذاته وصفاته وافعاله التى من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التى يشاهدونها منطبقة
عليها المبين المظهر للاشياء كما هى فى انفسها او الظاهر انه هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته
تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة
للمقام كما ان تفسيره بذى الحق البين اى العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما فى القرآن المجيد من
آيات الوعيد الواردة فى حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع
المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبى صلى الله عليه وسلم فى
علو الشان والنباهة واظهار رتبة الصديقة رضى الله عنها فى العفة والنزاهة وقوله تعالى
الخبيثات الى آخره كلام مستأنف مؤسس على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق
على موجب ان لله ملكا يسوق الاهل الى الاهل اى الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال
اى مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص والخبيثون ايضا
للخبيثات لان المجانسة من دواعى الانضمام والطيبات منهن للطيبين منهم
والطيبون ايضا للطيبات منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الى من عداهن
وحيث كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اطيب الاطيبين وخيرة الاولين والآخرين
تبين كون الصديقة رضى الله عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل فى حقها من
الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى اولئك مبرؤن مما يقولون على ان الاشارة الى اهل
البيت المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصديقة
وصفوان وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم
فى الفضل اى اولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤن مما يقوله اهل الافك فى حقهم من الاكاذيب
الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء اى مختصة ولائقة بهم لا ينبغى
ان تقال فى حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال فى حقهم خبائث القول والطيبات

العادل

من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال فى شانهم طيبات
الكلم اولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون فى حقهم فماله تنزيه الصديقة ايضا
وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقى الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون
من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من
الفريقين اى مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام
لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث اى لا يصدر
عنهم مثل ذلك فماله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم لهم مغفرة عظيمة لما لا يخلو
عنه البشر من الذنب ورزق كريم هو الجنة يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير
بيوتكم اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمى العفائف عنه شرع فى تفصيل الزواجر
عما عسى يؤدى الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن فى اوقات الخلوات
وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت
بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التى هى سكنى كل احد فى ملكه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان
عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء حتى تستأنسوا اى تستأذنوا
من يملك الاذن من اصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ اذا ابصره
فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يؤذن له او من الاستئناس الذى هو خلاف
الاستيحاش لما ان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس وتسلموا
على اهلها عند الاستئذان روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان التسليم ان يقال السلام
عليكم أادخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم اى الاستئذان مع التسليم
خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا
غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى
ان رجلا قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أستأذن على امى قال نعم قال ليس لها خادم
غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال عليه السلام اتحب ان تراها عريانة قال لا قال
عليه السلام فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمضمر اى امرتم به او قيل لكم هذا كى
تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه فان لم تجدوا فيها احدا اى ممن يملك الاذن على
ان من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة
هو النهى عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف
فى ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان

مط

الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع
على العورات اولى فلا تدخلوها واصبروا حتى يؤذن لكم اي من جهة من يملك الاذن عند
اتيانه ومن فسره بقوله حتى يأتي من يأذن لكم او حتى تجدوا من يأذن لكم فقد ابرز القطع
في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب
مطلقا بل في تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الآمر ممن يملك الاذن اولا فارجعوا ولا تلحوا
بتكرير الاستيذان كما في الاول ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى ان يأتي الاذن كما في الثاني
فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروة اي قدح هو اي الرجوع ازكى
لكم اي اطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة
والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه ليس عليكم
جناح ان تدخلوا اي بغير استيذان بيوتا غير مسكونة اي غير موضوعة لسكنى طائفة
مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذها مسكنا كالربط
والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله
تعالى فيها متاع لكم فانه صفة للبيوت او استيناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اي فيها
حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشرى والبيع والاغتسال
وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا بأس بدخولها بغير استيذان من داخليها
من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات واصحاب
الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله
ان الله تعالى قد انزل عليكم آية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات
افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من
جملة ما ينتظم البيوت لا انها المرادة فقط وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات قل للمؤمنين شروع
في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم
البيوت اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رأيه عليه السلام لانها تكاليف متعلقة
بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا
عليهم ومفعول الامر امر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا يغضوا

يغضوا من ابصارهم عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد
بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ذلك اي ما ذكر من الغض والحفظ ازكى لهم اي اطهر لهم
من دنس الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي
من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا
على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا
ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه ويحفظن فروجهن بالتستر او التصون عن الزنا و
تقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد ولا يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما
يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ما لا يخفى الا ما ظهر منها عند مزاولة
الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا
وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية و
المستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة وليضربن بخمرهن على جيوبهن ارشاد
الى كيفية اخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية
يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فامرن بارسال
خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي بعلى وقرئ
بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه
باعتبار الناظر بعد ما استثني عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور الا لبعولتهن
فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود او آبائهن
او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن
لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من
النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر
الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذارا من ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن
المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال
او ما ملكت ايمانهن اي من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد
لما روي انه عليه السلام اتى فاطمة رضي الله تعالى عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به
رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس
انما هو ابوك وغلامك او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم

الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم
ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية او الطفل الذين لم يظهروا على
عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور
بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم
ما يخفين اي ما يخفينه من الرؤية من زينتهن اي لا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع
خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن
ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابداء عينها من المبالغة في الزجر عن ابداء
مواضعها ما لا يخفى وتوبوا الى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات
المهمات الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع
تفريط في اقامة موجب التكاليف كما ينبغي ودونك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم شيبتني سورة
هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات
وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه
كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى ايها المؤمنون تأكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان
موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة الدارين
وانكحوا الايامى منكم بعد ما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع
كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك وايامى مقلوب ايايم
جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال
فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار
والحرائر والصالحين من عبادكم وامائكم على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار
الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشانه
ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا
يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم
مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة
الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة او آجلة وقيل
المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ازاحة لما عسى يكون
وازعا من النكاح من فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز

وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغناء
لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد
لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
وليستعفف ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابه الى ما هو اولى لهم واحرى بهم
بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اي
اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل
عليهم بالغنى ولطف لهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى
بالاعفاء وادنى من الصلحاء والذين يبتغون الكتاب بعد ما امر بانكاح صالحي المماليك الاحقاء
بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي الذين يطلبون
المكاتبة مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على
كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه عتق قالوا
معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك اي
تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق ان المكاتبة اسم
للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول
ولا ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة
الا الاتيان باحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما
يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا ان كلا من ذينك الفعلين لما كان
بحيث لا يمكن تحققه في نفسه الا منوطا بتحقق الآخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة البدل
من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع
الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشتري
لم يكن بد من تضمين احدهما الآخر وقت الانشاء فكما ان قول البائع بعت انشاء لعقد البيع
على معنى انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا
على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء
لعقد الكتابة اي ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل
العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول
الرفع على الابتداء خبره فكاتبوهم والفاء لتضمنه معنى الشرط او النصب على انه مفعول لمضمر

يغيروها والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا يجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا
ومنجما وغير منجم وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه ان علمتم فيهم خيرا
اي امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي الناس
بعد العتق واطلاق العنان وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي ببذل شيء من اموالهم
وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في ذلك اقل ما يتمول وعن علي رضي الله تعالى عنه
حط الربع وعن ابن عباس رضي الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي للوجوب ويرده
قوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما وايضا
لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد
معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم
بعد ان يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر
بتحقيق المأمور به كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم
من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من اقوى الدواعي الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل
هو امر باعطاء سهمهم من الصدقات فالامر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين المأخذ
وقيل هو امر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان
غنيا لتبدل العنوان حسبما نطق به قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية
ولا تكرهوا فتياتكم اي امائكم فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى
ذلك مبنى قوله عليه السلام ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ولهذه العبارة
في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى على البغاء
وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن
من العجائز والصغائر وقوله تعالى ان اردن تحصنا ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف
عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني
ولخصوص الزمان او لخصوص المكان او لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة
على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور
شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح
فان عبد الله بن ابي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان
منهن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا
يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فان من له ادنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من امائه فضلا

عن امرهن به واكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل
من ان ذلك لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وما قيل من انه ان جعل شرطا للنهي لا
يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فانهما بمعزل من التحقيق
وايثار كلمة ان على اذا مع تحقق الارادة في مورد النص حتما للايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه
عند كون ارادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع
وتعليله بان الارادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية
يأباه اعتبار تحققها ابتداء وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا قيد للاكراه لكن
لا باعتبار انه مدار للنهي عنه بل باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم
عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير اي لا تفعلوا ما انتم عليه من اكراههن على البغاء
لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن
لنيل المطلوب في استيفائه بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق
المتناول للطلب السابق الباعث عليه ومن يكرههن الى آخره جملة مستأنفة سيقت
لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة
ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة اي ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء فان الله
من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن
عباس رضي الله تعالى عنهم وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات
على ان الاكراه مصدر من المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك
السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري اذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن
والله وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين ايضا في الشرطية دلالة
بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كانه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد
الى اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا او معهن اخلال بجزالة النظم
الجليل وتهوين لامر النهي في مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم
اما باعتبار انهن وان كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة
البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما
لغاية تهويل امر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير
المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام
العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب ولقد انزلنا اليكم آيات

مبينات كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة
شؤونها المستوجبة للإقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لإبراز
كمال العناية بشأنه اي وبالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما
بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادي بيانها
على ان اسناد التبيين اليها مجازي او آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة
والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين و
قرئ على صيغة المفعول اي التي بينت واوضحت في هذه السورة في معاني الاحكام والحدود و
قد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم عطف على آيات اي وانزلنا مثلا كائنا من
قبيل امثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم في
الكتب السابقة والكلام الجارية على ألسنة الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة
رضي الله عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الامثال
الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل
المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات وموعظة
يتعظون به وينزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب
فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار
العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما بين
الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله و
قوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وأما قيل
للمتقين مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى انزلنا اليكم حثا للمخاطبين
على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من
انوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات
والامثال والمواعظ فقوله تعالى الله نور السموات والارض الى آخره حينئذ استئناف مسوق
لتقرير ما فيها من البيان مع الاشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على
الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحتاج الى بيانه
من الاحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل
في البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب

البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بانه
تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور
الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الامور
التي لها مدخل في ارشاد الناس بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام
العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه او على شمول البيان
لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا
او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على
تعلق البيان باهلهما كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون
وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى لهما من العدم الى الوجود
اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وسائر
الكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء عليهم
السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره سبحانه لامورهما وامور ما فيهما مما
لا يلايم المقام ولا يساعده حسن النظام مثل نوره اي نوره الفائض منه تعالى على الاشياء
المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال والتبيين وقد
صرح بكونه نورا ايضا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وزيد
ابن اسلم رحمهم الله وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل
يأباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان
المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شأن القرآن الكريم واما الحق فالمعتبر في
مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة اي صفة نوره العجيبة كمشكاة
اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير فيها مصباح سراج ضخم ثاقب و
قيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المصباح في زجاجة اي قنديل
من الزجاج الصافي الازهر وقرئ بفتح الزاي وكسرها في الموضعين الزجاجة كأنها كوكب
دري متلألئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ودراري الكواكب عظامها المشهورة وقرئ
دريء بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على انه فعيل من الدرء وهو الدفع اي مبالغ
في دفع الظلام بضوئه او في دفع بعض اجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم
الدال والباقي على حاله وفي اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار
عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دري

من تفخيم شانها ورفع مكانها بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدها لها
بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلي دون الوصف المبني على الاشارة الى الثبوت في الجملة ما لا يخفى
ومحل الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة واللام مغنية
عن الرابط كانه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كانها كوكب دري يوقد من شجرة اي ابتداء ايقاد
المصباح من شجرة مباركة اي كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة
لانها تنبت في الارض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها
بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشانها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة
دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي من التفعل اي ابتداء ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف
احدى التائين من تتوقد بحذف احدى التائين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة لا شرقية ولا غربية
تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة او صحراء واسعة
فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رضي وسعيد بن جبير وقتادة
وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها لكنها شرقية غربية اي يصيبها الشمس عند طلوعها وعند
غروبها فيكون شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وقيل لا نابتة في شرق المعمورة
ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما
فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة
ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي هو في الصفاء والانارة بحيث
يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء
شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه
ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما
يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب والمنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا
بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في
بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه
مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او
عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الاحوال ويكتفى
عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند
تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب
والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان

تحقق

تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا
ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على
الحالية من المستكن في الفعل الموجب او المنفي اي يعطي او لا يعطي كائنا على جميع الاحوال وتقدير
الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار اي يضيء كائنا على كل حال من
وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب لدلالة الثانية عليها
دلالة واضحة نور خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى على نور متعلق بمحذوف هو صفة له
مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما
يعقبه اي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشان بما فصل من
صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين
فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه
بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه
عادة فان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب
انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر
والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما
يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به
مما لا يليق بشان التنزيل الجليل يهدي الله لنوره اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب
حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره في مقام الاضمار لزيادة تقريره وتاكيد
فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل من يشاء
هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز
والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية
وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى
المطالب ويضرب الله الامثال للناس في تضاعيف الهداية حسبما تقتضي حالهم
فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لاوابد
المعاني بصورة المانوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار
الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما اسند اليه تعالى من الهداية الخاصة
وضرب الامثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثانية
بالناس كافة والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن

فقضيته ان يتعلق مشيئته بهدايته من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته
الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هداية العامة على فنون مختلفة
وطرائق شتى حسبما يقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار
الاسم الجليل لتاكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال
المحكوم به ذاتا وتعلقا في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه لما ذكر شان
القرآن الكريم في بيانه للشرائع والاحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب
وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار
حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور
انما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر
الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت
المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضه وقيل هي المساجد التي بناها نبي من انبياء الله
تعالى الكعبة التي بناها ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان
عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذان بناهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتنكيرها
للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها
بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري وايا ما كان ففي
التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المامور ان يكون متوجها الى المامور به قبل ورود الامر
به ناويا لتحقيقه كانه مستاذن في ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع
اذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى يسبح له وقوله تعالى فيها تكرير لها للتاكيد والتذكير
لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت
فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس يستعمل باللام وبدونها ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم
ربك الاعلى لو اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى
بالغدو والآصال اي بالغدوات والعشايا على ان الغدو اما جمع غداة كقُني في جمع قناة كما
قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وهو العشي وهو
شامل للاوقات ما عدا صلوة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به نفس التنزيه على انه عبارة عما
يقع منه في اثناء الصلوات واوقاتها لزيادة شرفه وانافته على سائر افراده او عما يقع في
جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين
وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ والايصال وهو

الدخول في الاصيل وقوله تعالى رجال فاعل يسبح وتاخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ
يسبح على البناء للمفعول باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه
حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة
كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتانيث الفعل مبنيا للفاعل لان
جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول على ان يسند الى اوقات الغدو
والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة
اي تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقت كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزى قوما
اي ليجزى الجزاء قوما بل هذا اولى من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح لا تلهيهم تجارة صفة لرجال
مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكي عنهم
من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة
بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة ولا
بيع اي ولا فرد من افراد المبايعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت
التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني
الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهائها ما عداه نفي الهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير
النفي وتاكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشراء لانه اصلها ومبدؤها وقيل
هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه عن ذكر الله بالتحميد والتسبيح والتمجيد
واقام الصلوة اي اقامتها لمواقيتها من غير تاخير وقد اسقطت التاء المعوضة
عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
اي عدة الامر وايتاء الزكوة اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا
وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع
ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى
يخافون الخ فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم وايا ما كان فليس خوفهم مقصورا
على كونهم في المساجد وقوله تعالى يوما مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى تتقلب
فيه القلوب والابصار صفة ليوما اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع
وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها وتتقلب
فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب

تمامه
ومختبط مما تطيح الطوائح

صدره
ان الخليط اجدوا البين فانجردوا

القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم
الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من المداومة
على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى
احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى
سبعمائة ضعف ويزيدهم من فضله اي يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها او بمقاديرها
ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى
وزيادة وقوله عليه السلام حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى والله يرزق
من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من
الخيرات ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما
فيأباه نظمها في سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم
بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض
مشيته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انهم ممن شاء تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم
الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الآخر
واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي هو المعني بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى
بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الى آخره من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة
بمحذوف هو صفة لمشكوة اي كائنة في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل
مما لا يليق بشان التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد
قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء
التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المبني
لنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات
ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز والذين كفروا عطف على
ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين آمنوا اعمالهم حالا ومآلا كما وصف والذين كفروا اعمالهم
اي اعمالهم التي هي من ابواب البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت
واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله
تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الآية كسراب وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها
وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اي

كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات
بتاء ممدودة كديمات اما على انها جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد
منها الف يحسبه الظمآن ماء صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من
يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي
هو المطلع المطمع والمقطع المؤيس حتى اذا جاءه اي اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه
لم يجده اي ما حسبه ماء وعلق به رجاءه شيئا اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه
من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجد الله
عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد
ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شان
الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة
معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من
اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم
بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيئا كانه قيل حتى اذا
جاء الكفرة يوم القيمة اعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا ووجدوا
الله اي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم اي اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اي حساب اعمالهم
المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا
وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل
واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد
في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب وكلمة
او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد
بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية
يغتر بها المغترون بظلمات كائنة في بحر لجي اي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر
وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه يغشاه صفة اخرى للبحر اي يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله
تعالى من فوقه موج جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور
وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما في قوله تعالى نور على نور اي يغشاه امواج
متراكمة متراكبة بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة لموج الثاني على احد الوجهين

المذكورين اي من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كانها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدأ محذوف اي هي ظلمات بعضها فوق بعض اي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها اذا اخرج اي من ابتلي بها واضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها لم يكد يراها وهي اقرب شيء منه فضلا عن ان يراها ومن لم يجعل الله له نورا ‌ اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم اي ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به فما له من نور اي فما له هداية ما من احد اصلا وقوله تعالى الم تر استئناف خوطب به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه السلام اعلى مراتب النور واجلاها وبين له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اي قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح ان الله يسبح له اي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشانه الجليل من نقص وخلل من في السموات والارض اي ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشان من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال واكد ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شيء مما عز وهان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شانه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال ايضا لما ان مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية ونسبتهم اليه اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازي شامل للتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه يرده ان بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا

وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم فيها غير العقلاء ايضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار اشرفها التي هي الانسانية والطير بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى صافات اي تسبحه تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد ادمج في تضاعيفه الاشارة الى ان لكل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه ان كل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه ان كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لان يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشانه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلوة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز ان يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين في كل انواع الطير او افرادها وبالصلوة والتسبيح ما الهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على ان يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا بارتفاعها فانه يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر اريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس اي وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات اجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه اي دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما وان صدورهما

عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وايقان من غير اخلال بشيء منها حسبما الهمه
تعالى فان الهامه تعالى لكل نوع من انواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدي اليه جهابذة العقلاء
مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا
انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل الى جحره حتى روي انه كان بقسطنطينية قبل
الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون
بانذاره بتدارك امور سفائنهم وغيرها وكان السبب في ذلك انه كان يقتني في داره قنفذا يستدل
باحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها اظهر وجودا واقرب
حملا على التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون اي ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
وما على الوجه الاول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير
عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني اما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص
بالطير معا او عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض
حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاول لتسبيح الكل هذا وقد قيل ان الضمير في قوله تعالى
قد علم لله عز وجل وفي صلاته وتسبيحه للكل اي قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما في السموات و
الارض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على ان يكون ما عبارة عما
تعلق به علمه تعالى من صلاته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له وافعاله الصادرة عنه وهما
داخلتان فيه دخولا اوليا ولله ملك السموات والارض لا لغيره لانه الخالق لهما ولما فيهما
من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما بدءا واعادة وقوله تعالى
والى الله اي اليه تعالى خاصة لا الى غيره المصير اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص
الملك به تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى في المبدأ واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم الم تر ان الله يزجي سحابا الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة
غلب في سوق شيء يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى ان السحاب بالنسبة
الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير
همزة ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر اثر تراكمه وتكاثفه
وقوله تعالى يخرج من خلاله اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل
المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب
بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل
مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فان كل ما علاك سماء

سماء من جبال اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة فيها وقوله تعالى من برد
مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل اشتمال
من الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف
ومن برد بيان للجبال اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر
لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية
ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد اي مشبهة بالجبال
في الكثرة واياما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان في الارض جبالا
من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة
فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد
تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا
وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك مستند
الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح فيصيب به اي بما ينزل من البرد
من يشاء ان يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله ويصرفه عمن يشاء ان
يصرفه عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر
من الازجاء والتاليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور
امره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين
وبرقه بفتح الراء على انه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمهما للاتباع بضمة
الباء يذهب بالابصار اي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفي اطلاق
الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تاثيره فيها كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض
وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من
الاذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما
وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها
ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه ان في ذلك اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه
من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة لدلالة واضحة
على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته و
تنزهه عما لا يليق بشانه العلي لاولي الابصار لكل من له بصر والله خلق كل دابة اي كل

حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء
مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن
نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية و
تسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي
على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش وعدم التعرض
لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في
منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب
لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا
على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل
مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور والايذان
بانه من احكام الالوهية ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار
الجلالة لما ذكر مع تاكيد استقلال الاستئناف التعليلي لقد انزلنا آيات مبينات
اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية والله يهدي من يشاء ان يهديه
بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل في مطاويها الى صراط مستقيم موصل
الى حقيقة الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول شروع في بيان احوال
بعض من لم يشأ الله هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون
الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصمه يهودي فدعاه الى كعب بن الاشرف
واليهودي يدعوه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله
تعالى عنه في ارض وماء فابى ان يحاكم الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واياما كان فصيغة الجمع
للايذان بان للقائل طائفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا
فلانا والقاتل واحد منهم واطعنا اي اطعناهما في الامر والنهي ثم يتولى عن قبول
حكمه فريق منهم بعد ذلك اي بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله و
بالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا
به واجب المراعاة وما اولئك اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم
اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القائلين مقتض لنفيه
عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الكفر والفساد
اي وما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم

في العقد والعمل بالمؤمنين اي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اي ليسوا بالمؤمنين المعهودين
بالاخلاص في الايمان والثبات عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول
بينهم لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم الله تعالى حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه
السلام والايذان بجلالة محله عنده تعالى اذا فريق منهم معرضون اي فاجأ فريق
منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق
عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق لا عليهم ياتوا اليه مذعنين
منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجيء يعديان
بالى او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون
والتقديم للاختصاص أفي قلوبهم مرض انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشائه
بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشائية بينها فمدار
الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وام من الامور الثلثة بل هو منشائيتها له كانه قيل
اذلك اي اعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ام لانهم ارتابوا
في امر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيتها ام لانهم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
ثم اضرب عن الكل وابطلت منشائيته وحكم بان المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل
بل اولئك هم الظالمون اي ليس ذلك لشيء مما ذكر اما الاولان فلانه لو كان لشيء
منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه عليه السلام مذعنين لحكمه
لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه راسا حيث كانوا لا يخافون
الحيف اصلا لمعرفتهم بتفاصيل احواله عليه السلام في الامانة والثبات على الحق بل لانهم هم
الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيابون المحاكمة اليه عليه السلام
لعلمهم بانه عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب في الاولين
هو وصف منشائيتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل والوصف
جميعا هذا وقد خص الارتياب بماله منشأ مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى ام ارتابوا بان
راوا منه تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه السلام فمدار النفي حينئذ نفس الارتياب و
منشائيته معا فتامل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما تقتضيه النظر الجليل
انما كان قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ
بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل في التعريف وذلك
هو الفعل المصدر بان اذ لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اختزلت عنه

الاضافة لكن قراءة الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى لمقتضى المقام لما ان مصب الفائدة وموقع البيان
فى الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على
نسبة خاصة بعيدة من الوقوع فى الخارج وفى ذهن السامع ولا ريب فى ان ذلك ههنا فى ان مع
ما فى حيزها اتم واكمل فاذن هو احق بالخبرية واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية
بحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة
مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المومنين اذا
دعوا الى الله ورسوله ليحكم اى الرسول عليه السلام بينهم اى وبين خصومهم
سواء كانوا منهم او من غيرهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اى خصوصية هذا القول
المحكي عنهم لا قولا آخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين اى انما
كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه من جعل اخص النسبتين
وابعدهما وقوعا وحضورا فى الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع
وابراز ما هو بخلافها فى معرض القصد الاصلى ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا
الى مصدره مجازا والقولة تعالى اذا دعوا اى ليفعل الحكم كما فى قوله تعالى لقد تقطع بينكم
اى وقع التقطع بينكم واولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور
عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل اى اولئك
المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون اى هم الفائزون بكل مطلب و
الناجون عن كل محذور ومن يطع الله ورسوله استئناف جئ به لتقرير مضمون ما
قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم فى الانتظام فى سلكهم اى ومن يطيعهما
كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل فى الفرائض والسنن
والاول هو الانسب بالمقام ويخش الله ويتقه باسكان القاف المبنى على تشبيه تقه بكتف وقرئ
بكسر القاف والهاء وباسكان الهاء اى ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل
فاولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء هم الفائزون بالنعيم
المقيم لا من عداهم واقسموا بالله حكاية لبعض آخر من اكاذيبهم مؤكدا بالايمان
الفاجرة وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب على انه مصدر مؤكد لفعله الذى هو فى حيز
النصب على انه حال من فاعل اقسموا اى اقسموا به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد
اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها
وطاقتها اى جاهدين بالغين اقصى مراتب اليمين فى الشدة والوكادة وقيل هو مصدر

مؤكد لاقسموا اى اقسموا اقسام اجتهاد فى اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد فى اليمين
لئن امرتهم اى بالخروج الى الغزو لا عن ديارهم واموالهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا
وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ليخرجن جواب لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية
قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر عليه السلام برد ها حيث قيل
قل اى ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا
تقسموا اى على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف
والجملة تعليل للنهى اى لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة
باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك مشهور
معروف لكل احد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية
بتقدير ما يناسبها من مبتدأ او خبر او فعل مثل الذى يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية
او طاعة معروفة امثل اوليكن طاعة معروفة او اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام
ان الله خبير بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة التى من جملتها ما تظهرونه من
الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه فى قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على
مخادعة المومنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية
مشعر بان مدار شهرة امرها فيما بين المومنين اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بانه تعالى مجازيهم
بجميع اعمالهم السيئة التى منها نفاقهم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر بالقول
لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول فى الاول نهى بطريق الرد والتقريع
كما فى قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفى الثانى امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق
الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه
على انها ليست من الطاعة فى شئ اصلا وقوله تعالى فان تولوا خطاب للمأمورين بالطاعة
من جهته تعالى وارد لتأكيد الامر بها والمبالغة فى ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب
والترغيب لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن
اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما اشير اليه فى تفسير قوله تعالى
ولو جئنا بمثله مددا لا سيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان
فى خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى اياهم بوساطته عليه السلام وتصديه لبيان حكم
الامتثال بالامر والتولى عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة ما لا غاية

وراه وتوهم انه داخل تحت القول مأمور بحكايته من جهته تعالى وانه ابلغ في التبكيت تعكيس للامر
والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلام للمأمور به اليهم وعدم التصريح به للايذان بغاية
ظهور مسارعته عليه السلام الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة الى الذكر اي ان تتولوا عن الطاعة
اثر ما امرتم بها فانما عليه اي فاعلموا انما عليه عليه السلام ما حمل اي امر به من التبليغ وقد
شاهدتموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم اي ما امرتم به من الطاعة
ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه مؤنة باقية في عهدتهم بعد كأنه قيل وحيث توليتم
عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وان تطيعوه
اي فيما امركم به من الطاعة تهتدوا الى الحق الذي هو المقصد الاقصى الموصل الى كل خير والمنجي
عن كل شر وتأخيره من بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من
بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله من ان
غائلة التولي وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما
اوليا او للعهد اي ما على جنس الرسول كائنا من كان او ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما
يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه
وانما بقي ما حملتم وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم استيناف مقرر لما في قوله تعالى
وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه
من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي
نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اي طائفة كان و
في اي وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة
عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا
الصالحات عطف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي امر بها ورتب
عليها ما انتظم في سلك الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة
الايمان وعراقته في استتباع الآثار والاحكام والايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب
عليهم واما تأخيره عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا
عظيما فلأن من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه الصلوة والسلام من خلص المؤمنين ولا ريب في
انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليهما فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم
الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وللامة عموما على ان من تبعيضية او
له عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على انها بيانية فقد نأى عما تقتضيه سباق النظم الكريم

وسياقه بمنازل وابعد عما يليق بشأنه عليه السلام بمراحل ليستخلفنهم في الارض جواب
للقسم اما بالاضمار او بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفاء
متصرفين فيها تصرف الملوك في مما لكهم او خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال
الصالحة كما استخلف الذين من قبلهم هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام
بعد اهلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التي اشير اليهم في قوله تعالى
الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم
بالبينات الى قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم
ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية اي
ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول
فليس العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبني للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه
تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كأنه قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافا
اي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل
قوله تعالى فانبتها الله نباتا حسنا على احد الوجهين اي فنبت نباتا حسنا وعليه قول من قال
وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي فلم يبق الا مسحت
وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه
اجل الرغائب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها في
الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه في كل ما يأتون
وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لآخر يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه
قوله تعالى انا مكنا له في الارض ونظائره وكلمة في للايذان بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على
كمال ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار
مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة
الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولان في توسيطها بينه و
بين وصفه اعني قوله تعالى الذي ارتضى لهم وتأخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة
الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت
عليه وليبدلنهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال من بعد خوفهم اي من الاعداء امنا حيث
كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا
يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال عليه السلام

لا تغيرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية
وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم
وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب
والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد
او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد لا يشركون بي شيئا
حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا ومن كفر اي اتصف بالكفر بان ثبت
واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترغيب والترهيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل
التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول
هو الانسب بالمقام بعد ذلك اي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية
المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها فاولئك البعداء عن الحق التائهون
في تيه الغواية والضلال هم الفاسقون الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان
خطابه تعالى للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب من التولي بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه
تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الخ ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل
الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر
بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فآمنوا واعملوا صالحا واقيموا او فلا تكفروا واقيموا
وعطفه على اطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا الرسول امرهم الله
سبحانه بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول عليه السلام ثم باطاعته التي هي طاعته تعالى في الحقيقة
تأكيدا للامر السابق وتقريرا لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب
المرضية ايضا اي واطيعوه في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين اي تخصيص المتعلقين
بالصلوة والزكوة على ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع اي واطيعوه في سائر ما يأمركم به تعالى وقوله
تعالى لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلاثة
اي افعلوا ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين ان ترحموا لا تحسبن الذين كفروا لما بين حال
من اطاعه عليه السلام ومآل امره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيهم في الفسق تكميلا لامر الترغيب و
الترهيب والخطاب اما لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على منهاج قوله
تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من
يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى

معجزين تنبيها وقوله تعالى في الارض ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي
فيها لا في غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع اجزائها
اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم في قطر من اقطار الارض بما رحبت
وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بياء الغيبة على ان الفاعل كل احد والمعنى
كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه في الارض او هو الموصول والمفعول
الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كانه قيل لا يحسبن الكافرون انفسهم معجزين
في الارض واما جعل معجزين مفعولا اول وفي الارض مفعولا ثانيا فمعزل من المطابقة لمقتضى
المقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين
في الارض وقد مر في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله تعالى ومأواهم النار
معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية لان المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق
نفي الحسبان كانه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم الخ او على جملة مقدرة وقعت
تعليلا للنهي كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون ومأواهم الخ
وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر ولبئس المصير جواب لقسم مقدر والمخصوص
بالذم محذوف اي وبالله لبئس المصير هي اي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
وفي ايراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب
من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در شأن التنزيل يا ايها الذين آمنوا رجوع الى بيان تتمة
الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي
الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال
خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق التغليب روي
ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو
نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله تعالى نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا
ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم من العبيد والجواري
والذين لم يبلغوا الحلم اي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم
لكونه اظهر دلائله منكم اي من الاحرار ثلث مرات اي ثلاثة اوقات في اليوم والليلة
والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الاوقات لمرور

المستأذنين بالمخاطبين لا انفسها من قبل صلوة الفجر لظهور انه وقت القيام عن المضاجع
وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلث مرات او الرفع
على انه خبر لمبتدأ محذوف اى احدها من قبل الخ وحين تضعون ثيابكم اى ثيابكم التى
تلبسونها فى النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى من الظهيرة وهى شدة الحر عند
انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعنى وضع الثياب فى هذا الحين دون الاول
والآخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها ايراد الحين
مضافا الى فعل حادث متقضّ ووقوعها فى النهار الذى هو مئنة لكثرة الورود والصدور
ومظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما فى الوقتين المذكورين
فان تحقق التجرد واطراده فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به ومن بعد صلوة العشاء
ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين
مطلقهما المتحقق فى الوقت الممتد المتخلل بين الصلوتين كما فى قوله تعالى وان كنت من قبله
لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى بل ما يعرض منهما لطرفى ذلك
الوقت الممتد المتصلين بالصلوتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى ثلث عورات
خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى لكم متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات اى كائنة
لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان اى هن ثلثة اوقات يختل
فيها التستر عادة والعورة فى الاصل هو الخلل غلب فى الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى
بستره اطلقت على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلث عورات
بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم اى على المماليك والصبيان جناح
اى اثم فى الدخول بغير استئذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات
بعدهن اى بعد كل واحدة من تلك العورات الثلث وهى الاوقات المتخللة بين
كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل وقت من تلك الاوقات قبل عورة
من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذى هو عبارة
عن رفعه اذ الرخصة انما تتصور فى فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين
مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها فى
محل الرفع على انها صفة اخرى لثلث عورات واما على القراءة الثانية فهى مستأنفة
لا غير اذ لو جعلت صفة لثلث عورات وهى بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستأذنكم
هؤلاء فى ثلث عورات لا اثم فى ترك الاستئذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم

حينئذ مما لم يعلمه السامع الا بهذا الكلام لم تستحسن ابرازه فى معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع
فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استئناف ببيان
العذر المرخص فى ترك الاستئذان وهى المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على
تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلثة وبين غيرها بكونها عورات بعضكم
على بعض اى بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك
اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شان المشار اليه
والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اى مثل ذلك التبيين يبين
الله لكم الآيات الدالة على الاحكام اى ينزلها بينة واضحة الدلالات عليها لا انه
تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع انه مؤد الى تخصيص الآيات بما ذكر ههنا
والله عليم مبالغ فى العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم حكيم فى جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه
صلاح امركم معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم لما بين فيما مر آنفا حكم الاطفال
فى انه لا جناح فى ترك الاستئذان فيما عدا الاوقات الثلثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ
دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اى
اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب فليستأذنوا اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما
استأذن الذين من قبلهم فى حيز النصب على انه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول
عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء
باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما ان المقصود بالتشبيه بيان كيفية
استئذان هؤلاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى ذلك الا بتشبيهه باستئذان المعهودين عند السامع
ولا ريب فى ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك فى الواقع وانما
المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم اى فليستأذنوا استئذانا كائنا مثل استئذان المذكورين
قبلهم بان يستأذنوا فى جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف
كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذى سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة
فى الامر بالاستئذان واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من النساء اى العجائز
اللاتى قعدن عن الحيض والحمل اللاتى لا يرجون نكاحا اى لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح
ان يضعن ثيابهن اى الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام فى القواعد بمعنى

اللاتي او للوصف بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات لزينة مما امر باخفائه في قوله تعالى ولا
يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج
سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال
وان يستعففن بترك الوضع خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ في
سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب
ما لا يخفى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كانت هؤلاء الطوائف
يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذارا من استقذارهم اياهم وخوفا من تأذيهم بافعالهم واوضاعهم
فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين اكيله وهو لا يشعر به والاعرج يتفسح في مجلسه
فيأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون
على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم او الى بعض من
سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل
اهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا
هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان يأكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم
عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف
المعدودة ولا على انفسكم اي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال من المؤمنين حرج ان تأكلوا
اي تأكلوا انتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يأباه ما قبله وما بعده فان الخطاب
فيهما لغير اولئك الطوائف حتما من بيوتكم اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت
الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله عليه السلام ان اطيب ما يأكل
الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم
وبكسر الاولى وفتح الثانية او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم
او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي تملكون التصرف فيها
باذن اربابها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح
مفاتيح وقرئ مفتاحه او صديقكم اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية
فانهم ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الاقرباء روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الصديق
اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما وهذا فيما اذا علم رضى
صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم

وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر
من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون ان يأكلوا
طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يواكله
لم يأكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه
الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني
منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج ان آكل معك
وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص
لهم في ان يأكلوا كيف شاؤوا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى واشباهه طعاما على
حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تأكلوا واشتاتا عطف عليه
داخل في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال امر شت اي متفرق او على انه في الاصل مصدر وصف به
مبالغة اي ليس عليكم جناح ان تأكلوا مجتمعين او متفرقين فاذا دخلتم شروع في بيان الآداب التي
يجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه بيوتا اي من البيوت المذكورة
فسلموا على انفسكم اي على اهلها الذين بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية
الموجبة لذلك تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة
للتحية فانها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم
مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن
انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت
بيتك فسلم عليهم يكثر خيرك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار كذلك يبين الله لكم الآيات
تكرير لتأكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون اي ما في تضاعيفها من الشرائع والاحكام
وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك بسعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية
القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبها من الجزالة ما لا يخفى انما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله استئناف جيء به في اواخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتأكيدا لوجوب مراعاتها
وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع
خبرا للمبتدأ مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان
بهما منتظما في سلكه فقوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع الخ معطوف على آمنوا داخل معه
في حيز الصلة اي انما الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم واطاعوهما
في جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة في الوقوع

واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه عليه السلام على امر مهم يجب اجتماعهم في
شأنه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع اولي الآراء والتجارب
ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا اي عن المجمع مع كون ذلك الامر
مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمع ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى
يستأذنوه عليه السلام في الذهاب لا على ان نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل
الغاية هي الاذن المنوط برأيه عليه السلام والاقتصار على ذكره لانه الذي يتم من قبلهم وهو المعتبر
في كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما انه كالمصداق لصحته
والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما في الذهاب بغير اذنه عليه السلام من الجناية
وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله
فقضى بان المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الاول بان الكاملين في الايمان هم الجامعون
بين الايمان بهما وبين الاستئذان وفي اولئك من تفخيم شان المستأذنين ما لا يخفى فاذا
استأذنوك بيان لما هو وظيفته عليه السلام في هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين
وان الاذن عند الاستئذان ليس بامر محتوم بل هو مفوض الى رأيه عليه السلام والفاء لترتيب ما
بعدها على ما قبلها اي بعد ما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستأذنون فاذا استأذنوك لبعض
شأنهم اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم فأذن لمن شئت منهم لما علمت في ذلك من حكمة
ومصلحة واستغفر لهم الله فان الاستئذان وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم
الدنيا على امر الآخرة ان الله غفور مبالغ في مغفرة فرطات العباد رحيم مبالغ في افاضة
آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار لهم يا ايها الذين آمنوا
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء
بشأنه اي لا تجعلوا دعوته عليه السلام اياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا اي لا
تقيسوا دعاءه عليه السلام اياكم على دعاء بعضكم بعضا في حال من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها
المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه السلام بغير استئذان فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا
دعاءه عليه السلام ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب لا مرد له
عند الله عز وجل وتقرير الجملة ح لما قبلها اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه عليه السلام مما
يوجب امتثالهم باوامره عليه السلام ومتابعتهم له في الورود والصدور اكمل ايجاب واما من
حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه السلام المؤدي الى ما يوجب هلاكهم من دعائه عليه
السلام عليهم واما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت

والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم
والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم
الى آخره وعيد للمخالفين امره عليه السلام فيما ذكر من قبل فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له و
التسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما ان ربما تجيء للتكثير حسبما بين في
مطلع سورة الحجر اي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية لواذا اي ملاوذة بان
يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن ارادة انه من اتباعه وقرئ بفتح
اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون اي ملاوذين او على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال
في الحقيقة اي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره لترتيب الحذر
او الامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة اي يخالفون امره بترك
مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن اما لتضمينه معنى الاعراض او حمله على معنى يصدون
عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما ان المقصود بيان
المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة او للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المقصود
بالذكر ان تصيبهم فتنة اي محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي في الآخرة وكلمة او لمنع
الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على ان الامر للايجاب
فان ترتيب العذابين على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال به حتما
الا ان لله ما في السموات والارض من الموجودات باسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما
بدأ واعادة قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع التي من جملتها الموافقة
والمخالفة والاخلاص والنفاق ويوم يرجعون اليه عطف على ما انتم عليه اي يعلم يوم يرجع
المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق
علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما ان العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه
وآكده وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان
يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل فينبئهم
بما عملوا من الاعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء
وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية والله بكل شيء عليم
لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان

او عقلية
٦

تبارك الذي نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية وكثرة الخير ودوامه
ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته
وصفاته وافعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شانه تعالى وسمو صفاته و
ابتناء افعاله على اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة
فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب اليه تعالى
الا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان
من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة
ح يجوز ان يكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث
متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء
والانباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تع ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى
والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اي فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه
او بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه من بعض في نفسه او في انزاله على عبده محمد
صلى الله عليه وسلم وايراده عليه السلام بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه عليه السلام في اقصى
مراتب العبودية والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى ليكون
غاية للتنزيل اي نزله عليه ليكون هو عليه السلام او الفرقان للعالمين من الثقلين نذيرا
اي منذرا او انذارا مبالغة او ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على احوال
الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها ان
تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال
قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد كقوله تع لا ريب فيه الذي له ملك السموات والارض
اي له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان
للقدرة التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما
يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة
لما قبلها او على انه نعت للموصول الاول او بيان له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبي لانه من تمام
صلته ومعلومية مضمونه للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تع قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون لله ونظائره او مدح له تع بالرفع او بالنصب ولم يتخذ ولدا كما زعم الذين يقولون
في حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه في

سلك

سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد
تقرير ما قبله ولم يكن له شريك في الملك اي ملك السموات والارض وهو ايضا عطف
على الصلة وافراده بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص ملكهما به تع مستلزم له قطعا للتصريح
ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والرد في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد
بينهما للتنبيه على استقلاله واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول وخلق كل
شيء اي احدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته
ارادته المبنية على الحكم البالغة بان خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه
قوى وخواص مختلفة الآثار والاحكام فقدره اي هيأه لما اراد به من الخصائص والافعال
اللائقة به تقديرا بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك
والنظر والتدبر في امور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال
المختلفة وهكذا احوال سائر الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من
غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه في نفس الامر فالمعنى اوجد كل شيء فقدره في ذلك
الايجاد تقديرا واما ما قيل من انه سمى احداثه تع خلقا لانه تع لا يحدث شيئا الا على وجه
التقدير من غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده
عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثاني
هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى وايا ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل
المنتظمة مثلها في سلك الصلة فان خلقه تع لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما
يقتضي استقلاله تع باتصافه بصفات الالوهية يقتضي انتظام كل ما سواه كائنا ما كان
تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعا ومن كان كذلك كيف يتوهم
كونه ولدا له سبحانه او شريكا في ملكه واتخذوا من دونه آلهة بعد ما بين حقيقة الحق
في مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تع للفرقان العظيم على رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ووصفه تع بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل عقب ذلك
بحكاية اباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل والمنزل عليه على الترتيب واظهار
بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم اي
اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات
والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير
آلهة لا يخلقون شيئا اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء اصلا وهم يخلقون

كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على ان يخلقوا شيئاً وهم يخلقون حيث يخلقهم عبدتهم
بالنحت والتصوير وقوله تعالى ولا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعاً لبيان ما لم يدل عليه ما قبله
من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب
النفع في الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف في ضر ما ليدفعوه عن انفسهم ولا في
نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئاً منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه
اهم في نفسه اول مراتب النفع واقدمها والتنصيص على قوله تعالى ولا يملكون موتاً ولا حيوة
ولا نشوراً اي لا يقدرون على التصرف في شيء منها باماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم بعد
بيان عجزهم عما هو اهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد
مما ذكر على التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادراً على جميع ذلك وفيه ايذان
بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الامور المذكورة
مفتقرون الى التصريح بذلك وقال الذين كفروا ان هذا الا افك شروع في حكاية اباطيلهم
المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معاً وابطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم في الكفر
والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضاهاهم وروي عن
الكلبي ومقاتل ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة الباقين له في ذلك واما عن
كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والايذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم و
كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اي ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه افتراه يريدون انه اختلقه
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانه عليه اي على اختلاقه قوم آخرون يعنون اليهود
بان يلقوا اليه اخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة
ويقرآن التورية والانجيل وقيل هو عابس وقد مر تفصيله في سورة النحل فقد جاؤا ظلماً منصوب
بجاؤا فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته او بنزع الخافض اي بظلم قاله الزجاج
والتنوين للتفخيم اي جاؤا بما قالوا ظلماً هائلاً عظيماً لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكاً مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق
بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة
اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث
لا تناله عقول البشر ولا يفي بفهمه القوى والقدر وزوراً اي كذباً كبيراً لا يبلغ غايته حيث
نسبوا اليه عليه السلام ما هو بريء منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انهما امران متغايران
حقيقة يقع احدهما عقيب الآخر ويحصل بسببه بل على ان الثاني هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب

بحسب

بحسب التغاير الاعتباري وقد تحقق ذلك المعنى فان ما جاؤوا من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان
مغايراً له في المفهوم واظهر منه بطلاناً رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلاً لامره وقالوا اساطير
الاولين بعد ما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكاً مختلقاً باعانة البشر بينوا على زعمهم الفاسد كيفية
الاعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات اكتتبها
اي كتبها لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه عليه السلام امي اكتتبها
له كاتب فحذف اللام وافضي الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف
الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه فهي
تملى عليه اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من
ذلك المكتتب لكونه امياً لا يقدر على ان يتلقاها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى
اكتتبها اراد اكتتابها واستكتابها ورجع الضمير المجرور اليه عليه السلام لاسناد الكتابة
في ضمن الاكتتاب اليه عليه السلام بكرة واصيلاً اي دائماً او خفية قبل انتشار الناس
وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى هذه الجراءة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون
قل لهم رداً عليهم وتحقيقاً للحق انزله الذي يعلم السر في السموات والارض وصفه تعالى
باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطواء ما انزله على اسرار مطوية عن
عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى
اي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة واساطير
الاولين بل هو امر سماوي انزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه
فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته
واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدي اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم
الخبير وقد جعلتموه افكاً مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم سوط
العذاب صباً فقوله تعالى انه كان غفوراً رحيماً تعليل لما هو المشاهد من تاخير العقوبة اي
انه تعالى ازلاً وابداً مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعتين للتاخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم
على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابه اياها وغاية قدرته تعالى عليها وقالوا ما لهذا الرسول
شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع
ونفيه مرفوعة على الابتداء وخبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشانه عليه السلام وتسميته
عليه السلام رسولاً بطريق الاستهزاء به عليه السلام كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم وقوله تعالى ياكل الطعام حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار

واصله

اي اي شيء او اي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في
الاسواق لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب
الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا
فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب
نقيضه كذلك كل من الاكل والمشي امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه
خلا ان استبعاد المسبب وانكار السبب في نفسه في عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الاكل و
المشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما
وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه
فما باله لم يخالف حاله حالنا وما هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز
الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك اي على صورته وهيئته فيكون معه نذيرا
تنزل منهم عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون معه
ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى
او يلقى اليه كنز تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا
يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى او تكون له جنة يأكل منها
تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو ايسر منه واقرب من الوقوع وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد
مكابرة وفرط تحكم وقال الظالمون هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم
تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه
من نسبته صلى الله عليه وسلم الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين ان تتبعون اي ما تتبعون
الا رجلا مسحورا قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشرا لا ملكا على ان الوصف
لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحالهم انظر كيف ضربوا لك الامثال استعظام
للاباطيل التي اجترؤوا على التفوه بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك تلك
الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك
الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع فضلوا اي عن طريق المحاجة حيث
لم يأتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين فلا يستطيعون سبيلا
الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا
عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال امثال هذه

الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة تبارك الذي اي تكاثر وتزايد
خير الذي ان شاء جعل لك في الدنيا عاجلا شيئا خيرا لك من ذلك الذي اقترحوه من
ان يكون لك جنة تأكل منها بان يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى جنات تجري من تحتها
الانهار بدل من خيرا او محقق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار
ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على نفسه لان الشرط
اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كما في قول القائل وان اتاه خليل يوم مسألة
يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ
بالنصب على انه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان عدم جعلها بمشيئته المبنية
على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل
واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وانما الذي له وجه في الجملة هو
الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام قد اوتوا في الدنيا مع
النبوة ملكا عظيما بل كذبوا بالساعة اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه
الى توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب
بقوله تعالى واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا الخ اي اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال
شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل من كذب
بها كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في
التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاء به
الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اشير الى سببية تكذيبها
لدخولها وقيل هو عطف على ما قالوا اما لهذا الخ على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث كذبوا
بالساعة وانكروها والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراءتهم على التكذيب بها وعدم
خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله
من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات في الآخرة مسوق لبيان ان ذلك لا يجدي
نفعا ولا يحلي بطائل على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من

نؤي واحجار

والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما
وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا
ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى اذا رأتهم صفة
للسعير اي اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان

بحيث يكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز كأن بعضها يرى البعض فنسبة الرؤية اليها
لا اليهم للايذان بان التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا
وفي قوله تعالى من مكان بعيد اشعار بان بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج
عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي والسدي من
مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي صوت تغيظ على تشبيه
صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم
تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها
فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا نصب على الظرفية ومنها حال منه
لانه في الاصل صفة له ضيقا صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح
مع السعة وهو السر في وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما
وابن عمر رضه تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك
فقال والذي نفسي بيده انهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون
يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء مقرنين حال
من مفعول القوا اي اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع
وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطانه وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك اي
في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبورا اي يتمنون هلاكا وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك
واوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا على تقدير قول اما منصوب على انه حال من فاعل دعوا اي دعوه مقولا
لهم ذلك حقيقة بان يخاطبهم الملئكة به لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون
ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب
اي دعوه حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك واما مستانف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا
يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا عما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم
الملجئ لهم الى استدعاء الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد وادعوا
ثبورا كثيرا اي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه
كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه
دعاء واحدا وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب
لتكرير الدعاء في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد
العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم

فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته
او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا
ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه
من العذاب الشديد وتقييد النهي والامر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كسائر الايام
المعهودة قل تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم اذلك اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها
بما فصل من الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة
اي قل لهم اذلك الذي ذكر من السعير التي اعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت وشأن اهلها
ذيت وذيت خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اي وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل
للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية او الثالثة
منها فقط كانت تلك الجنة لهم في علم الله تعالى وفي اللوح او لان ما وعده الله تعالى فهو كائن لا
محالة فحكى تحققه ووقوعه جزاء على اعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم ومصيرا ينقلبون اليه لهم فيها
ما يشاؤن اي ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات وانواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي
انفسكم ولعل كل فريق منهم يقتنع بما اتيح له من درجات النعيم ولا تمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب
العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب اهل الجنان خالدين حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور
لاعتماده على المبتدأ وقيل من فاعل يشاؤن كان اي ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد
المتقون على ربك وعدا مسؤلا اي موعودا حقيقا بان يسئل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون
او مسؤلا يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملئكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات
عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان
تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بانه عليه السلام هو الفائز آثر ذي اثير بمغانم الوعد الكريم
ما لا يخفى ويوم يحشرهم نصب على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل اذلك الخ اي واذكر
لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث
الهائلة قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان
بقصور العبارة عن بيانه اي يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه المقال وقرئ بنون
العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين ايضا وما يعبدون من دون الله اريد به ما يعم
العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه انك اذا رأيت شبحا من بعيد تقول ما هو او لانه
اريد به الوصف لا الذات كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على انهم مثلها في

السقوط عن رتبة المعبودية او اعتبار الغلبة عبدتها او اريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال
والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الايدي والارجل فيقول اي
الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا
بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء بان دعوتموهم
الى عبادتكم كما في قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ام هم ضلوا السبيل
اي عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل
الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين لما
ان المقصود بالسؤال هو المتصدي للفعل لا نفسه قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال
كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة معصومون او جمادات
لا قدرة لها على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم الاضلال او
او تنزيها له تعالى عن الانداد ما كان ينبغي لنا اي ما يصح وما يستقيم لنا ان نتخذ من دونك اي
متجاوزين اياك من اولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ
وليا غيرك فضلا ان يتخذنا وليا او ان نتخذ من دونك اولياء اي اتباعا فان الولي كما يطلق على
المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل ومنه اولياء الشيطان اي اتباعه
وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى مفعولين كما في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني
من اولياء على ان من للتبعيض اي ان نتخذ بعض اولياء وهي على الاول مزيدة وتنكير اولياء من حيث
انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام ولكن متعتهم واباءهم استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون
بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة
اي ما اضللناهم ولكنك متعتهم واباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات
وانهمكوا فيها حتى نسوا الذكر اي غفلوا عن ذكرك او عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا اسباب
الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية وكانوا اي في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق بما
سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة قوما بورا هالكين على ان بورا مصدر وصف
به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب
وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير
قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك قد كذبكم المعبودون ايها الكفرة بما تقولون
اي في قولكم انهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا والباء ان يكذبهم في هذا القول لا تعلق له بما

بعض

بعده من عدم استطاعتهم للتصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم آلهتهم و
ناصروهم واما ما كان فالباء بمعنى في او هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب
وقرئ بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك الآية فما تستطيعون اي ما تملكون صرفا
اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة و
حيلة من قولهم انه ليتصرف في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة ولا نصرا اي فردا من افراد النصر
لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن
لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون
عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اي ما يستطيع
آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر
بيانه ومن يظلم منكم ايها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا
على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد نذقه في الآخرة عذابا كبيرا
لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمصدر الفعل الواقع
شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في
اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق جواب
عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف
قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير الا وانهم
ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم
تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار
الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبما في قوله تعالى
لبعض رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول فتنة اي ابتلاء ومحنة
لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد
البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الاخرين ضرورة
ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض
مبهم من الاولين ببعض مبهم من الآخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض

معيّن من الرسل كانه قيل وجعلنا كل آية مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعيّن المبعوث
اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلاً على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء
البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض آخر كما
فيأباه قوله تعالى اتصبرون فانه غاية للجعل المذكور ومن البيّن ان ليس ابتلاء كل احد من آحاد
الناس مغيّا بالصبر مما يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما يقابله مما يدل على
ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيحصل
به تسلية له عليه السلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين باممهم وبمنابذتهم
لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى
وكان ربك بصيرا وعد كريم للرسول عليه السلام بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد
تشريف له عليه السلام بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره عليه الصلوة والسلام وقال
الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض آخر من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها
اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول الخ ووضع
الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم في الشناعة بحيث لا يصدر عمن
يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشئ عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع مانع من ادراكه بوجه
من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه تعالى كما في قوله
تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث و
الحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم
لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع
الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم لولا انزل علينا الملئكة اي
هلّا انزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد عليه السلام وقيل هلّا انزلوا علينا بطريق الرسالة وسؤالهم
لقولهم او نرى ربنا من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوّهم في المكابرة والعتو حسبما
يعرب عنه قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى اجترؤا على التفوه
بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان عتوا كبيرا بالغا
اقصى غاياته حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسيط الرسول والملك
كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال
فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منّتهم انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد ترنو اليها احداق الامم

ولا يمتد

ولا يمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا اولوا العزائم الماضية من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
واللام جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا والآية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه
والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملئكة استيناف مسوق
لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملئكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان
كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم ينزل الملئكة ايذانا من اول الامر
بان رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب
على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ
المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انه بمعنى يمنعون البشرى او
يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعران بان هناك
بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات
ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على
ثبوت النذرى لهم على ابلغ وجه وآكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان لا غير نافية
للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملئكة ويومئذ على
كل حال تكرير للتاكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا للقصر بنفي
البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع
موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالاجرام مع ما لهم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين
ثم الالتجاء في اخراجهم عن الحرمان الكلي الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات
فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت آخر بمعزل من الحق بعيد ويقولون عطف
على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم
يقولون عند مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم
نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم
فكان المعنى نسأل الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع
واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون نزول الملئكة عليهم السلام
ويقترحونه وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا
يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس فظيع ومحجورا صفة لحجرا وارادة للتاكيد كما قالوا ليل اليل
ذائل وليل اليل وقيل يقولها الملئكة اغاظة للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى
اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا

بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومنّ على اسير وغير
ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال
اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد
الى ما تحت ايديهم فانحى عليها بالافساد والتحريق ومزقها كل ممزق بحيث لم يدع لها عينا ولا
اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا
شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة
وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم
بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في
قوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون المذكورون في قوله تعالى
قل اولئك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الخ يومئذ الى يوم اذ يكون ما ذكر من عدم
التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا خير مستقرا المستقر المكان الذي
يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا المقيل المكان الذي
يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع
يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل
الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على
المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة
الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة
الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى
قل اذلك خير الآية هذا وقد جوزوا ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم و
زمانهم اطيب مما يتخيل من الامكنة والازمنة ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق
فحذفت احدى التائين كما في تلظى وقرئ بادغام التاء في الشين بالغمام بسبب طلوع
الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل ونزل الملائكة
تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود وقيل تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام
بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة وتنزل وننزل على صيغة المتكلم من
الانزال والتنزيل ونزل الملائكة ونُزّل الملائكة على حذف النون الذي هو
فاء الفعل من تنزل الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء

الكلي العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ
فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد ان
ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا
تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف
على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت
للملك وللرحمن على ما ذكر وايا ما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف اي ينفرد الله تعالى
بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان
احواله واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة
لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون
الملك فيه لله المبالغ في الرحمة لعباده يوما على الكافرين عسيرا شديدا لهم و
تقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد
جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمنين حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة
صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ويوم يعض الظالم على يديه
عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات من الغيظ
والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان
يكثر مجالسة النبي عليه السلام فدعاه عليه السلام يوما الى ضيافته فابى عليه السلام ان
ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أُبيّ بن خلف صديقه فعاتبه وقال
صبأت فقال لا ولكن ابى ان لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له
فقال اني لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا
في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك
بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله تعالى عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت
الانصاري وطعن عليه السلام أبيا يوم احد في المبارزة فرجع الى مكة فمات واما جنس
الظالم وهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى يقول الخ حال من فاعل يعض وقوله تعالى
يا ليتني الخ محكي به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادى محذوف اي يا هؤلاء
ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق
الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة او حصلت في صحبته عليه السلام طريقا ولم اكن ضالا

لا للعنصر لانه معلوم على تقدير الاخير ايضا منه

لا طريق لي قط يا ويلتى بقلب ياء المتكلم الفاً كما في صحارى ومدارى وقرئ على الاصل يا ويلتي
اي هلكتي تعالي واحضري فهذا اوانك ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً يريد من اضله في الدنيا
فان فلاناً كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس وقيل فلان كناية عن علم
ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من
الاناث والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالنداء الا في ضرورة كما في قوله
في لجة امسك فلاناً عن فل وقوله خذا حدثاني عن فل وفلان وليس فل مرخماً
من فلان خلافاً للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فان اريد بالظالم
عقبة ففلان كناية عن ابي وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائناً من كان
من شياطين الانس والجن وهذا التمني منه وان كان مسوقاً لابراز الندم والحسرة لكنه
متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته الى الغير وقوله تعالى لقد اضلني عن الذكر
تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه و
اظهار ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني عن ذكر الله تعالى او عن القرآن او عن موعظة
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وقوله تعالى
وكان الشيطان للانسان خذولاً اي مبالغاً في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك
ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام كلام الظالم على
انه سمى خليله شيطاناً بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف الشيطانية او على
انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه السلام
بوسوسته واغوائه فان وصفه بالخذلان يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بانه ينفعه
في الآخرة وهو ادخل في حال ابليس وقال الرسول عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون
لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الاهوال
والخطوب وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي
عنهم قدحاً في رسالته عليه السلام اي قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ما شاهد منهم غاية
العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل يا رب ان قومي يعني الذين حكي عنهم
ما حكي من الشنائع اتخذوا هذا القرآن الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة
من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الاشارة مهجوراً اي متروكاً بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا
اليه رأساً ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بان من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا
يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفاً

لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجوراً
اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجوراً فيه اما على زعمهم الباطل واما بان هجروا فيه
اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد جوز ان يكون المهجور
بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجراً وهذياناً وفيه من التحزين والتخويف ما لا يخفى فان
الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل
نبي عدواً من المجرمين تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله
من الانبياء عليهم السلام اي كما جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون
من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدواً من مجرمي
قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى وكفى بربك هادياً ونصيراً وعد كريم له عليه السلام بالهداية
الى كافة مطالبه والنصر على اعدائه اي كفاك مالك امرك ومبلغك الى الكمال هادياً لك الى ما يوصلك
الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب اجله واجراء احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيامة
ونصيراً لك على جميع من يعاديك وقال الذين كفروا حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرآن والاشعار
بعلة الحكم لولا نزل عليه القرآن التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى هلا انزل
كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب
المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها واما القرآن الكريم فبينة صحته
وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر
السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الاحوال
ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتماً على ان فيه فوائد جمة قد اشير الى بعض منها بقوله تعالى
كذلك لنثبت به فؤادك فانه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في
التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك اشارة
الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلاً
مغايراً له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسيراً لحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الاحكام
والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على انها منوطة باسبابها
الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلاً بالنسخ من احوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من
الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها
كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة
على انهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل

فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بالكل وقوله تعالى ورتلناه
ترتيلا عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا
لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد
جعلنا بعضه في اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل
قرأناه عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا في عشرين او في ثلث وعشرين سنة على تؤدة
وتمهل ولا يأتونك بمثل من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة
عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان
يريدون به القدح في حقك وحق القرآن الا جئناك في مقابلته بالحق اي بالجواب
الحق الثابت الذي ينحي عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة
الحقة القالعة لعروق اسولتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى واحسن تفسيرا
عطف على الحق اي جئناك باحسن تفسيرا او على محل بالحق اي آتيناك الحق واحسن تفسيرا
اي بيانا وتفصيلا على معنى انه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا ان ما يأتون به له حسن في
الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اي لا يأتونك
بمثل الا حال اتياننا اياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال
ما اتوا به وتثبيت فؤاده عليه السلام ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الاسولة
وبصحة جميع الاجوبة وباشارته منبئ عن بطلان السؤال الاخير وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القرآن
على التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عليه
السلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا
يقترحون كونه عليه السلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب و
حيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون
اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق
لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته
وهو الذي انت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه
ان يكون ما اعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل دامغا لها ولا ريب
في ان ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد آتاه من اول الامر لا بمقابلة
ما حكي عنهم من الاقتراحات لاجل دمغها وابطالها الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم

اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على
قفاهم وارجلهم الى فوق روي عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة
اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما
قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم
ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب
او الرفع على الذم او الرفع على الابتداء وقوله اولئك بدل منه او بيان له وقوله شر
مكانا واضل سبيلا خبر له او اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول
ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى
الله تعالى عليه وسلم على منهاج قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه
الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه صلى الله عليه وسلم
وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله
تعالى اصحاب الجنة خير مستقرا واحسن مقيلا ولقد آتينا موسى الكتاب جملة مستأنفة
سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا
ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما
هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اي وبالله لقد آتينا موسى التورية اي انزلناها عليه
بالآخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى اخاه مفعول اول له وقوله
تعالى هرون بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى
وزيرا مفعول ثان له وقد مر تحقيق معنى الوزير اي جعلناه في اول الامر وزيرا له فقلنا
لهما حينئذ اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات
التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند
ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما
المتأخر عن الامر به بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة
استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير اي فذهبا اليهم فارياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيبا
مستمرا فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستمر تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك
كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على
معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم
بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك

القوم ولم يكن له مدخل في اهلاكهم كسائر الآيات للايذان من اول الامر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال
ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق
بما في التورية من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فد
مرتهم وفدمرانهم وفدمرانّهم على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح منصوب بمضمر يدل
عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس بذاك ضرورة
ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لاسيما وقد بين سببه بقوله تعالى لما كذبوا
الرسل اي نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على
التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم وانما يستقيم ذلك
على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه حينئذ جواب
لها وجواب لما لا يعمل فيما قبلها مع انه مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما ان الكل
ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم استيناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم
اي جعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية اي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها
وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها
لكان صفة لها واعتدنا للظالمين اي لهم والاظهار في موضع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد
في الكفر والتكذيب عذابا اليما هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتاد العذاب
الذي قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب
فيدخل في زمرتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي وعادا عطف على
قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين اذ هو في معنى وعدنا الظالمين
وكلاهما بعيد وثمود الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمودا على تأويل الحي او على
انه اسم الاب الاقصى واصحاب الرس هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى
اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف
بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه
فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة
ابن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء
لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان
اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فاصابتها الصاعقة
ثم انهم قتلوه عليه السلام فاهلكوا وقيل هم قوم كذبوا رسولهم ورسوه اي دسوه في بئر وقرونا

اي اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك
اي بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك
ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المذكور وذلك
المحسوب كثيرا لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شأن تلك القرون بهذا البيان
الاجمالي لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة وكلا منصوب
بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه
التنوين عبارة اما عن الامم التي لم يذكر اسباب هلاكهم واما عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح
وقوم فرعون تكذيبهم للآيات وللرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا
كل واحد من المذكورين ضربنا له الامثال اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر
والمعاصي بواسطة الرسل وكلا اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا
لما انهم لما لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل
التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب
والفضة ولقد اتوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم
اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد اتى قريش في متاجرهم الى
الشام على القرية التي امطرت اي اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمس قرى
ما نجت منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة
وهي المرادة بقوله تعالى مطر السوء وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في
انبته الله نباتا حسنا اي امطار السوء او على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر
السوء افلم يكونوا يرونها توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لانكار
نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها لا لانكار
استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها في الجملة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او اكانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرار
مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية
معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا
اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم
بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا انه اكتفى عن التصريح
بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني

عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء
الاخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده
وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه
وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق وانما
انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور وإذا
رأوك ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه
السلام على اتخاذهم اياه عليه السلام هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر
من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع
الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر
هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزئون بك قائلين اهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار وابراز
بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته عليه السلام مع كونهم في
غاية النكير لبعثه عليه السلام بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا ابعث الله هذا رسولا او
اهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي انه
كاد ليضلنا عن آلهتنا اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها
فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي لولا ان
صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في امثال هذا الكلام يجري مجرى التقييد
للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بانه صلى
الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى
حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل وسوف
يعلمون جواب من جهته تعالى لآخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه من نسبته عليه السلام الى الضلال في
ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان تراخى حين يرون العذاب الذي يستوجبه كفرهم
وعنادهم من اضل سبيلا وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم
ارأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية
قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث يجب
ان يرى ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه امر
التعجيب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل عنه ان المفعول الذي
في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة اي ارأيت من جعل هواه الها لنفسه من غير ان يلاحظه

وبنى عليه امر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب
منه وقوله تعالى افانت تكون عليه وكيلا انكار واستبعاد لكونه عليه السلام حفيظا عليه
يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده الى الحق طوعا او كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من
الحالة الموجبة له كأنه قيل ابعدما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقسره
على الايمان شاء او ابى وقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون اضراب وانتقال
عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه عليه السلام لهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده
عليه السلام في الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على انه لا يقع كالاول بل على
انه لا ينبغي ان يقع اي بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات حق السماع او يعقلون
ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني بشأنهم وتطمع
في ايمانهم وضمير اكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناه كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها
وضمير الفعلين للاكثر لا لما اضيف هو اليه وقوله تعالى ان هم الا كالانعام الخ مستأنفة
مسوقة لتقرير النكير وتأكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع بما
يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا
كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة بل هم اضل منها سبيلا لما انها تنقاد
لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها و
تجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتأوي الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم
وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو اعدى عدوهم ولا
يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك
ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا
لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل
وفرعوا عليها احكام الشرور ولان احكام جهالتها وضلالتها مقصورة على انفسها لا تتعدى
الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان
الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت
هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة
الاصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك اعظم العقاب واشد النكال الم تر الى ربك
بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف

عليه السلام وللايذان بان ما يعقبه من آثار ربوبيته تعالى ورحمته تعالى اي الم تنظر الى بديع صنعه تعالى
كيف مد الظل اي كيف انشأ ظلا اي ظل كان من جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا
لا انه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح
بكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه يأباه سياق النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع
الفجر وطلوع الشمس وانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن
الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود فغير سديد اذ لا ريب في ان المراد
تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه
من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه
من مواقع ضح الشمس وما ذكر وان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا
ولا يصفونه باوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته عليه السلام
لكيفية مد الظل للتنبيه على ان نظره عليه السلام غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنايع
بل مطمح انظاره معرفة شؤون الصانع المجيد وقوله تعالى ولو شاء لجعله ساكنا جملة اعترضت بين المعطوفين
للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة
ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء
اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون
لما ان مقابله الذي هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين الظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة
وانتقالا وحاصله انه لا يعتريه اختلاف حال بان لا تنسخه الشمس واما التعليل بان تجعل الشمس مقيمة
على وضع واحد فمداره الغفول عما سيق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته
الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة
السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا لذكر قدرته تعالى على بعض
الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر
من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهي اولى واحق بالايراد في معرض البيان
وقوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا عطف على مد داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل بها احواله
المتغيرة على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات
الى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد
المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله
تعالى ثم قبضناه عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في بيان كون القبض والمد متباينين

دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخي
الرتبي اي ازلناه بعد ما انشأناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع شعاع الشمس
موقعه من غير ان يكون له تأثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه
لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى الينا للتنصيص على كون مرجعه
اليه تعالى كما ان حدوثه منه عز وجل قبضا يسيرا اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع الشمس
على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى
السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض لعدم النير وذلك
مده تعالى اياه وهو لو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك
الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص
ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير او قبضا سهلا عند قيام الساعة
بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر
انشاؤه بانشائها ووصفه باليسر على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة
على تحقق الوقوع وهو الذي جعل لكم الليل لباسا بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع
احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة
بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما بعقبه من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال
الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه اي هو الذي جعل لكم الليل
كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس والنوم سباتا اي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا
قطعا عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة
التامة في انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها وجعل النهار نشورا اي زمان بعث من ذلك السبات كبعث
الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث على طريقة المبالغة وفيه
اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام
فتوقظ كذلك تموت وتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ بالتوحيد على ان المراد هو
الجنس بشرا تخفيف بشر جمع بشور اي مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور
اي ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى
بين يدي رحمته استعارة بديعة اي قدام المطر والالتفات الى نون العظمة في قوله تعالى
وانزلنا من السماء ماء طهورا لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح

اي أنزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة وما قيل انه
مايكون طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور في العربية اما صفة كما تقول ماء طهورا واسم
كما في قوله عليه السلام التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا
حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عليه السلام لا صلوة الا بطهور ووصف الماء به اشعار
بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فان الماء الطهور اهناء وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته
وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك واولى لنحيي به
اي بما انزلنا من الماء الطهور بلدة ميتا باثبات النبات والتذكير لان البلدة بمعنى
البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض
عامرة كانت او غامرة ونسقيه اي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض
والمنابع او الآبار مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي اهل البوادي الذين يعيشون بالحياض ولذلك
نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع
فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب
غالبا مع ان مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث
كانت قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها
احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له
سقيا واناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ اناسي
بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كاناعم في اناعيم ولقد صرفناه اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي
هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية بينهم
اي بين الناس من المتقدمين والمتاخرين ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته وواسع
رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد
دون غيرها او في بعض الاوقات دون بعض او جعله تارة وابلا واخرى طلا وحينا ديمة ووقتا
رهمة والاول هو الاظهر فابى اكثر الناس ممن سلف وخلف الا كفورا اي لم يفعل الا كفران النعمة
وقلة الاكتراث لها او الا جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن
لا يرى الامطار الا من الانواء فهو كافر بخلاف من يرى ان الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات
بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن
لم نشأ ذلك فلم نفعل بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك

اي ذو بنية كالحزة آه

وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل فلا تطع الكافرين اي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد
في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف
في الدعوة لما انه عليه السلام كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد في ذلك بتاليف قلوبهم
اشد الاجتهاد وجاهدهم به اي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع الزواجر والمواعظ
وتذكير احوال الامم المكذبة جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا
يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير
بان مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا
ان يجعل الباء للملابسة ويكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم
كانه قيل جاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل
قرية نذيرا من كونه عليه السلام نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل
نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر
من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عليه السلام وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى
جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه
مزيد فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية
وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج
دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج
بليغ الملوحة وقرئ ملح فلعله تخفيف مالح كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا غير
مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا كان كلا منهما
يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة يدخل البحر وتشقه وتجري
في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالمالح البحر الكبير و
بالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان
مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي خلق من
الماء بشرا هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام او جعله جزءا من مادة البشر
ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة فجعله نسبا
وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينتسب اليهم وذوات صهر اي اناثا

يصاهرهن كقوله تعالى وجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا في
القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله
قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله
الذي شأنه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس من شأنه النفع والضر اصلا وهو الاصنام
او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق مستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذي
ذكرت آثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل
وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله
تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل
لهم ما اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر من جهتكم الا
من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده
بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليها فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان
به واستثنى منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون
نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء
عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا
ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت
الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن
خبيرا اي مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة
اخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة
الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من انشأ هذه الاجرام العظام
على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات معينة
مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول
احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح اي هو الرحمن وهو في الحقيقة
وصف آخر للحي كما قرئ بالجر متبعه لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه في
الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث

لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل
والمبتدا في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها
على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية
وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى فاسأل به
خبيرا اي فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء لا بتفصيلهما فقط او بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال
حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسؤول
امرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك
وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا على ان الخطاب له عليه السلام والمراد
غيره بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر فاسأل معتنيا به خبيرا عظيم
الشأن محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل
فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير
للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء
ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبرا وقرئ فسل واذا قيل
لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قالوا لما انهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا
ان المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بسجوده او لامرك ايانا
من غير ان نعرف ان المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول
بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بالسجود للرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في
السماء بروجا هي البروج الاثنا عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة
كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا هي الشمس
لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا
بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر وهي جمع قمراء ولما ان الليالي بالقمر تكون قمرا اضيف اليها ثم حذف
واجري حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي الله عنه بردى يصفق بالرحيق
السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه
فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف
كالركبة والجلسة من ركب وجلس لمن اراد ان يذكر اي يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر في
بدائع صنعه فيعلم انه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم بالعباد او اراد شكورا

اى ان يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى
الآخر وقرى ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن كلام مستانف مسوق لبيان اوصاف
خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له
والاضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو اولئك فى اخر السورة
الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة وقرى وعُبّاد الرحمن اى عباده المقبولون الذين يمشون
على الارض هونا اى بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على انه حال من فاعل
يمشون او على انه نعت لمصدر اى مشيا هينا لينى الجانب من غير فظاظة او مشيا هينا
وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون اى السفهاء كما فى قول من قال الا لا يجهلن احد علينا فنجهل
فوق جهل الجاهلينا قالوا سلاما بيان لحالهم فى المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم فى
انفسهم اى اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل
سدادا من القول يسلمون فيه من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال
نسختها آية القتال كما نقل عن ابى العالية وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
بيان لحالهم فى معاملتهم مع ربهم اى يكونون ساجدين لربهم وقائمين اى يحيون الليل
كلا او بعضا بالصلوة وقيل من قرا شيئا من القرآن فى صلوة وان قل فقد بات
ساجدا او قائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام
لرعاية الفواصل والذين يقولون اى فى اعقاب صلواتهم او فى عامة اوقاتهم ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اى شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح
لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق يخافون العذاب و
يبتهلون الى الله تعالى فى صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة انهم الى ربهم راجعون انها ساءت مستقرا ومقاما تعليل لاستدعائهم المذكور
بسوء حالها فى نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا لما ذكر ولبيس و
ساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت
مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها قيل ويجوز
ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها اسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد فال عما فى
الاول من المبالغة فى بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف
هو الانفاق فى المعاصى والقتر منع الواجب والقرب وقرى بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرها مخففة

والاول هو الاولى لما فيه من اثبات الاوصاف المذكورة لهم قصدا والاشارة بكونهم من عباد الرحمن فيه بها فانه عين اللائق بالعبودية وفيه من المبالغة فى الحث على الاتصاف بها ما لا يخفى ١٢

ومشددة مع ضم الياء وكان بين ذلك اى بين ما ذكر من الاسراف والقتر قواما وسطا
وعدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى به سواء لاستوائهما وقرى بالكسر وهو ما يقام به الحاجة
لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة وهو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم
كان على انه مبنى لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار
بشئ عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر شروع فى بيان اجتنابهم عن المعاصى
بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفى الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصحيح
بوصفهم بنفى الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل
امر القتل والزنا بنظمهما فى سلكه والتشنيع بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اى لا يعبدون
معه تعالى الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله اى حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة فى التحريم الا بالحق اى لا يقتلونها بسبب من
الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها او لا يقتلون قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق
او لا يقتلونها فى حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق ولا يزنون اى الذين لا يفعلون
شيئا من هذه العظائم القبيحة التى جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين
على قتل النفوس المحرمة التى من جملتها الموؤدة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا
ومن يفعل ذلك اى ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين يلق فى الآخرة وقرى
يُلقى وقرى يُلَقَّ بالتشديد مجزوما اثاما وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل
هو الاثم اى يلق جزاء الاثم والتنوين على التقدير للتفخيم وقرى اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام
لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لاتحادهما فى المعنى كقوله متى تاتنا
تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرى بالرفع على الاستيناف او على الحالية وكذا ما
عطف عليه وقرى يُضعَّف ونُضعِّف له العذاب بالنون ونصب العذاب ويخلد فيه
فى ذلك العذاب المضاعف مهانا ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسمانى والروحانى
وقرى يُخلَد ويُخلَّد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرى تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ
عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصى الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى
الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات
مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة فاولئك اشارة الى الموصول
والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد فى الافعال الثلثة باعتبار لفظه اى اولئك الموصوفون بالتوبة
والايمان والعمل الصالح يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت

مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ومن تاب اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات فانه بما فعل يتوب الى الله اي يرجع اليه تعالى متابا اي متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع اليه تعالى او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الكاذبة ولا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه واذا مروا على طريق الاتفاق باللغو اي بما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوع عليهم والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم المنطوية على المواعظ والاحكام لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يقيموا عليها سامعين باذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمنين اذا ساعدهم اهلهم في طاعة الله عز وجل وشاركوهم فيها يسر بهم قلبهم وتقر عينهم لما يشاهدونه من مشايعتهم لهم في مناهج الدين وتوقع لحوقهم بهم في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم ومن ابتدائية او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين ولا ريب في قلتها نظرا الى غيرها واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا بحيث يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وانت خبير بان مدار الكل صدور هذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما خلا انه حكيت عبارة الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد

الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وابقى اماما على حاله وقيل الامام جمع آم بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شأن خطير حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم اولئك اشارة الى المتصفين بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يجزون الغرفة والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية لما لهم في الآخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال اي يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم جنس اريد به الجميع كقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وقيل هي اسم من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها من جهة الملائكة تحية وسلاما اي يحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة عن الآفات او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه كالذي مر في مقابله قل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا اي قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم اي اي عبء يعبأ بكم واي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه اي وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز ان تكون ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اي فقد كذبتم بما اخبرتكم به وخالفتموه ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون

اى الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين مع فائدة الايذان بان مناط فوز احدهما وخسران الآخر مع الاتحاد والجنسية المصحح للاشتراك فى الفوز ليس الا اختلافهما فى الاعمال فسوف يكون لزاما اى يكون جزاء التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم فى النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره وللتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله تعالى هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الفرقان لقى الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة آتية وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء

طسم بتفخيم الالف وبامالتها واظهار النون وبادغامها فى الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على احد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وهو اظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه فى مطلع سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وتلك فى قوله تعالى تلك آيات الكتاب المبين اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هناك وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه فى الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هى آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة لعلك باخع نفسك اى قاتل واصل البخع ان يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اى اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين اى لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى ان نشأ الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهى عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اعنى قوله تعالى ننزل عليهم من السماء آية اى ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فظلت

اعناقهم لها خاضعين اى منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم فى الصيغة ايضا كما فى قوله تعالى رأيتهم لى ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس اى فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم اشنع واقبح اى ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور اى ما يأتيهم من ذكر فى حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا اى كذبوا بالذكر الذى يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء فى قوله تعالى فسيأتيهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اى فسيأتيهم البتة من غير تخلف اصلا انباء ما كانوا به يستهزؤن عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما وقع فى قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن وانباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبأ بها القرآن الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبأ لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اى فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزؤن به قبل من غير ان يتدبروا فى احواله ويقفوا عليها اولم يروا الهمزة للانكار التوبيخى والواو للعطف

على مقدر يقتضيه المقام اي افعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء
بها ولم ينظروا الى الارض اي الى عجايبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على
ما اعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى كم انبتنا فيها من كل زوج كريم استيناف
مبين لما في الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما
بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اي صنف
تمييز والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده اي كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها
وتخصيص انباته بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة
معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم
للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم
يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون ان في ذلك اشارة الى مصدر انبتنا او الى كل واحد
من تلك الازواج وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل لآية اي
آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها ونهاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة
للايمان وازعة عن الكفر وما كان اكثرهم اي اكثر قومه عليه السلام مؤمنين قيل اي في
علم الله تعالى وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذي عليه يدور
امر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى
وما اكثرهم مؤمنين وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد
موجبات الايمان من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم
معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما اشير اليه من التحقيق مما خفي على مهرة العلماء المتقنين كانه قيل ان
في ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة
وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن وان ربك
لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من هؤلاء الرحيم المبالغ
في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات
وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام
من الكفرة ما لا يخفى واذ نادى ربك موسى كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم
عن كل ما ياتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات
التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام اي واذكر لاولئك المعرضين

المكذبين وقت ندائه تعالى اياه عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه
زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين الظالمين
حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما ياتيهم من الآيات لكن لا لالتباس حال هؤلاء بحال اولئك فقط
بل بمشاهدة اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم به كما
يلوح به تكرير قوله تعالى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا ان ائت بمعنى اي ائت
على ان ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف عنها الجار القوم الظالمين اي بالكفر
والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء وانما هو ما فصل
في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى وايراد ما جرى في قصة
واحدة من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه في اوايل سورة الاعراف
عند قوله قال انظرني قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له جيء به للايذان بانهم علم في
الظلم كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة
ان نفسه اول داخل في الحكم الا يتقون استيناف جيء به اثر ارساله عليه السلام اليهم
للانذار تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة
الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب عليهم كان ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك
وهم وان كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه
مبلغه اليهم واسماعه مبدا اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتامل وقرئ
بكسر النون اكتفاء به عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا
قال استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية ما مضى كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل
متضرعا الى الله عز وجل رب اني اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق صدري ولا ينطلق
لساني معطوفان على اخاف فارسل اي جبريل عليه السلام الى هرون ليكون معي
واتعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاءه ذلك على الامور الثلثة خوف التكذيب
وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه السلام من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند
ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسة
حتى لا يختل دعوته ولا ينقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الامر في شيء وانما هو استدعاء
لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذر فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون
فيكونان من جملة ما يخاف منه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف واقيم المضاف

اليه مقامه او سمى باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة الى
قصة مبسوطة في غير موضع فاخاف اي ان اتيتهم وحدي ان يقتلون بمقابلته قبل
اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها
وقوله تعالى قال كلا فاذهبا باياتنا حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع
عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ
عنه الردع كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله تعالى باياتنا
رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى انا معكم مستمعون تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما
بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر
هنا في المعية وقيل اجريا مجرى الجماعة ويأباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية اي سامعون ما يجري
بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم
ليمد اولياءه ويظهرهم على اعدائهم مبالغة في الوعد بالاعانة او استعير الاستماع الذي هو بمعنى
الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والاصوات وهو خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء
في قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم
وليس هذا مجرد تاكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد
الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله تعالى ان
ارسل معنا بني اسرائيل مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم
وشانهم ليذهبوا معهما الى الشام قال اي فرعون لموسى عليه السلام بعد ما اتياه وقالا له ما امرا
به يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا
يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه
السلام فقال عند ذلك الم نربك فينا في حجرنا ومنازلنا وليدا اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب
عهده بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين
واقام به عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين
وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله اعلم وفعلت فعلتك
التي فعلت يعني قتل القبطي بعد ما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ونجه بما جرى
عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل وانت
من الكافرين اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي او انت حينئذ ممن تكفرهم الان وقد افترى عليه
عليه السلام او جهل امره عليه السلام حيث كان يعايشهم بالتقية والا فاين هو عليه السلام من
مشاركتهم

في الدين فالجملة حال من احدى الضمائر ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالالهية او ممن
يكفرون في دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين بغمطها ومن اعتاد
ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر
فعلتها اذن وانا من الضالين اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت
افتراء اي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تأديبه
او الذاهبين عما يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما
الاخرى ففررت منكم الى ربي لما خفتكم ان تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه
بجنايتي من العقاب فوهب لي ربي حكما اي حكمة او نبوة وجعلني من المرسلين رد
اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان
صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على ان ذلك كان في الحقيقة نقمة فقال وتلك نعمة تمنها
علي ان عبدت بني اسرائيل اي تلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك
بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك
وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل
ان عبدت الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها
وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف
والفرار منه ومن ملائه قال فرعون لما سمع منه عليه السلام تلك المقالة المتينة وشاهد
تصلبه في امره وعدم تاثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع في الاعتراض على دعواه
عليه السلام فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع في
عبارته عليه السلام اي اي شيء رب العالمين الذي ادعيت انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين
رب سواه حسبما يعرب عنه قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري ونطق به وعيده
عند تمام اجوبته عليه السلام قال موسى عليه السلام مجيبا له رب السموات والارض وما بينهما
بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه
بحمل العالمين على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين بالاشياء محققين
لها علمتم ذلك او ان كنتم موقنين بشيء من الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة
دليله قال اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تاثيره في قلوب قومه واذا
عانهم له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا خمسمائة

عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون مرائيا لهم ان ما سمعوه من جوابه عليه السلام مع
كونه مما لا يليق بان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا
منه حيث يدعي خلاف امر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه قال عليه السلام تصريحا
بما كان مندرجا تحت جوابه السابق ربكم ورب آبائكم الاولين وحطا له من ادعاء الربوبية
الى مرتبة المربوبية قال اي فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف
من تأثرهم منه فاراهم ان ما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا
لمقالته الشنعاء بحرفي التأكيد ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليفتنهم بذلك ويصرفهم
عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء واضافه الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه
قال عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما قاله عليه السلام تكميلا لجوابه الاول
وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والارض وما
بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى للسموات والارض وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى
للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات احوالها
واوضاعها وكون الارض تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق معرفة ربوبيته
تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات
وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث
قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها استغناءها
عن الموجد المتصرف ان كنتم تعقلون اي ان كنتم تعقلون شيئا من الاشياء او ان كنتم
من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل
في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون
قال لما سمع اللعين منه عليه السلام تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة وشاهد
شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة
بالانصاف ونأى بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال
والجواب لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لم يقتنع منه عليه السلام بترك
دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه السلام ان يتخذه الها لغاية عتوه وغلوه فيما
فيه من دعوى الالوهية وهذا صريح في ان تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عليه السلام الى
الجنون في الجواب الثاني كان لنسبته عليه السلام الربوبية الى غيره واما ما قيل من ان سؤاله كان
عن حقيقة المرسل وتعجيبه من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه بذكر احواله فلا يساعده النظم

الكريم ولا حال فرعون ولا مقالته واللام في المسجونين للعهد اي لاجعلنك ممن عرفت احوالهم
في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو
جئتك بشيء مبين اي اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي موضح لصدق دعواي يعني
به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت
على يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل قالوا الواو في اولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام
اي جائيا بشيء مبين وقد سلف منا مرارا انها للعطف وان كلمة لو ليست لانتفاء الشيء في
الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة
قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده
الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال
بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما
عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره
اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها
المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع
الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من
احواله المفروضة فتعلق الحكم بابعدها منه ليظهر بتحققه معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا منافاة
بينها وبين الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد
يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحقيقة كلتا
الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو للحال وتصدير المجيء بما ذكر من كلمة لو دون ان ليس لبيان
استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى اتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال مجيئي
به قال فأت به ان كنت من الصادقين اي فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشيء مبين
موضح لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر ثعبانيته لا انه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء
فانثعب اي فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وسورة طه ونزع يده
من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الآية الاولى قال هل لك غيرها فاخرج
يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار
ويسد الافق قال للملأ حوله اي مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر
عليم فائق في فن السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان

المعجزة وغيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم
او الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا في الرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف
من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام قالوا
ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين اي شرطا يحشرون السحرة
يأتوك اي الحاشرون بكل سحار عليم فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم هو ما عينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل
للناس هل انتم مجتمعون قيل لهم ذلك استبطاء لهم في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه لعلنا
نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اي نتبعهم في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس
مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما مرادهم ان لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم
مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا
عظيما ان كنا نحن الغالبين لا موسى عليه السلام قال نعم لكم ذلك وانكم مع ذلك اذا
لمن المقربين عندي قيل قال لهم تكونون اول من يدخل علي وآخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين
وهما لغتان قال لهم موسى اي بعد ما قال له السحرة اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى القوا
ما انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى
اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اي وقد قالوا عند الالقاء بعزة
فرعون انا لنحن الغالبون قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى
به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف اي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التاءين
من تتلقف ما يأفكون اي ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم
وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين اي اثر ما شاهدوا
ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأن ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه
امر الهي قد ظهر على يده عليه السلام لتصديقه وفيه دليل على ان قصارى ما ينتهي اليه همم السحرة هو التمويه
والتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له قالوا آمنا برب العالمين بدل اشتمال من القي او حال باضمار
قد وقوله تعالى رب موسى وهارون بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث
كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من المعجزة القاهرة
قال اي فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم
او علمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن

بصيرة وظهور حق وقرئ آمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان لما اوعدهم به قالوا اي السحرة لا ضير لا ضرر فيه علينا وقوله
تعالى انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في
الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه
لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى انا نطمع
ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اي لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد
تعليل ثان لنفي الضير اي لا ضير علينا في قتلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المؤمنين
وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره كقول العامل
لمستأجر اخر اجرته ان كنت عملت لك فوفني حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك
بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا
حسبما فصل في سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرئ بكسر النون
ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم
فرعون وجنوده مصبحين فاسر بمن معك حتى لا يدركوكم قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم
فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بمسيرهم في المدائن حاشرين جامعين للعساكر ليتبعوهم
ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم وهم ستمائة الف وسبعون الفا
بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج
فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان على رأسه بيضة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث وانهم لنا لغائظون اي فاعلون
ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم
يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال
الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها
الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول دال على التجدد والثاني
على الثبات وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء او اشداء
وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا فيهم داعية
الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كانت لهم حملة ذلك
كذلك اما مصدر تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجناهم او صفة لمقام اي كريم
من مقام كريم كائن كذلك او خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل اي ملكناها

بصيرة

اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها
فاتبعوهم اى فلحقوهم وقرى فاتبعوهم مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس اى طلوعها
فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرى تراآت الفئتان قال اصحاب
موسى انا لمدركون جاؤا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفى التأكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما
وقرى لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى اى لمتتابعون فى الهلاك على ايديهم قال
كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معى ربى بالنصرة والهداية سيهدين البتة الى
طريق النجاة منهم بالكلية روى ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر
امامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان وروى
ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدى موسى عليه السلام فقال اين أمرت فهذا البحر امامك وقد غشيك
آل فرعون قال أمرت بالبحر ولعلى اؤمر بما اصنع فأمر بما أمر به وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى
ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق الفاء فصيحة اى فضرب فانفلق فصار اثنى
عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت فى
مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب منها وازلفنا اى قربنا ثمة الآخرين اى فرعون وقومه
حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
الى البر ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان فى ذلك اى فى جميع ما فصل مما صدر عن موسى
عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل
بهم من العذاب والنكال وما فى اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل امر المشار اليه وتفظيعه كتنكير الآية فى
قوله تعالى لآية اى آية آية وآية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لأن يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شأن
النبى صلى الله عليه وسلم بشأن موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطى ما كانوا
يتعاطونه من الكفر والمعاصى ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل
باولئك او ان فيما فصل من القصة من حيث حكايته عليه السلام اياها على ما هى عليه من غير ان يسمعها من احد
لآية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحى الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه
السلام وما كان اكثرهم اى اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه السلام مؤمنين لا بان يقيسوا
شأنه بشأن موسى عليهما السلام وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين المهلكين ولا بان يتدبروا فى
حكايته عليه السلام لقصتهم من غير ان يسمعها من احد مع كون كل من الطريقين مما يؤدى الى الايمان قطعا
ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة كما هو رأى سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس
ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة

تقريرا لما مر من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الخ وايثار الجملة
الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز ان يجعل كان بمعنى
صار كما فعل فى قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية
العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال
تحققه وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الآية وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التى
من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم البالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم
بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحى مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذى يقتضيه جزالة النظم
الكريم من مطلع السورة الكريمة الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه
واما ما قيل من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث
لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل ومريم ابنة ياموشا التى دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل
بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من
التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة فى السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه
السلام انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يفصح عنه
تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بايديهم من الآيات العظام ما يوجب عليهم الايمان
ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية
وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار بهلاكهم وعد
المؤمنين من جملتهم اولا واخراجهم منها آخرا مع عدم مشاركتهم لهم فى شئ مما حكى عنهم من الجنايات اصلا
مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر المقدر عاملا لاذ نادى فتح الخ
على المشركين نبأ ابراهيم اى خبره العظيم الشأن حسبما اوحى اليك لتقف على ما ذكر من عدم ايمانهم
بما يأتيهم من الآيات باحد الطريقين اذ قال منصوب اما على الظرفية لنبأ اى نبأه وقت قوله
لابيه وقومه او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبأ اى واتل عليهم وقت قولهم ما تعبدون على
ان المتلو ما قاله لهم فى ذلك الوقت سألهم عليه السلام عن ذلك ليبنى على جوابهم ان ما يعبدونه بمعزل
من استحقاق العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافى
بان يقولوا اصناما كما فى قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا
الحق ونظائره بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصدا الى ابراز ما فى نفوسهم
من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة
العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها او

او مستديرين حولها وهذا ايضا من جملة اطنابهم قال استيناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم هل
يسمعونكم اي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول
كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى اذ تدعون عليه وقرئ هل يُسمعونكم من الاسماع اي هل يسمعونكم
شيئا من الاشياء او الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها كانه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل
سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم بسبب عبادتكم لها او يضرون اي يضرونكم بترككم لعبادتها
اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع او دفع ضر قالوا بل وجدنا
آباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا
الى اظهار ان لا سند لهم سوى التقليد اي ما علمنا او ما رأينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا آباءنا كذلك
يفعلون اي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون اي انظرتم فابصرتم
او تأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه انتم وآباؤكم الاقدمون حق الابصار او حق العلم وقوله
تعالى فانهم عدو لي بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اي فاعلموا انهم اعداء لعابديهم
الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان
المغري بهم على عبادتهم والحامل عليها هو الشيطان الذي هو اعدى عدو الانسان لكنه عليه السلام
صور الامر في نفسه تعريضا بهم فانه انفع في النصيحة من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه
ليكون ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو
تشبيها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع
اي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما
يعرب عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على ان الضمير لكل معبود
وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى الذي خلقني صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده
خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك وبما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته
تعالى للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة
به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار الآجلة والعاجلة عليه تعالى فهو
يهدين اي هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ
الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى يهدي كل ما خلقه لما
خلق له من امور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه
ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم

الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم والذي هو يطعمني ويسقين عطف على الصفة
الاولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة
الموصول للايذان بان كل واحدة من تلك الصفات نعت جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيق
بان تجري عليه تعالى بحيالها ولا تجعل من روادف غيرها واذا مرضت فهو يشفين عطف على
يطعمني ويسقين نظم معهما في سلك الصلة لموصول واحد لما ان الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب
غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه
السلام فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من معظم خصائصه
تعالى كالاحياء بدأ واعادة وقد نيطت امور الآخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد
في قوله تعالى والذي يميتني ثم يحيين على ان الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه السلام للحياة الابدية بمعزل
من ان يكون غير مطبوع عنده عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكره عليه السلام
هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى
يندر منه عليه السلام من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على ان يتأملوا في امرهم فيقفوا على انهم من سوء
الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه السلام مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية
حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة
على كلماته الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض
لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام بعد هذه المقاولة الجارية
بينه وبين قومه اما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام واما الاوليان فلانهما
وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر و
تعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يومئذ يتبين ولان في ذلك
تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر رب هب لي حكما بعد ما ذكر عليه السلام لهم فنون الالطاف
الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط
العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة
الخلق والحقني بالصالحين ووفقني من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة
الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها او اجمع بيني وبينهم في
الجنة ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين
اي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي
محبة له ومثنية عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه

من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم عليه السلام. واجعلني
في الآخرة من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم واغفر لابي بالهداية والتوفيق
للايمان كما يلوح به تعليله بقوله تعالى انه كان من الضالين اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير
سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض
الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبني على هضم النفس منه
عليه السلام او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من
الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون اي الناس كافة والاضمار قبل
الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم
يوم لا ينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون جيء به تاكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من
الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر و
الخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستاهلين للشفاعة احدا الا من اتى الله بقلب سليم
اي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تاييد لكون استغفاره عليه
السلام لابيه طلبا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عليه السلام بعدم
نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من او بنوا
من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار
كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع اي الا حال من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة عن سلامة القلب
كانه قيل الا سلامة قلب من اتى الله الآية لان غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع
والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه وازلفت الجنة للمتقين عطف على لا ينفع وصيغة فيه وفيما
بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما ان صيغة المضارع
في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع اي
قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون
المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين الضالين عن طريق الحق
الذي هو الايمان والتقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة
ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا وقيل لهم اينما كنتم في الدنيا تعبدون
من دون الله اي اين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في هذا الموقف هل
ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع
له جواب ولذلك قيل فكبكبوا فيها اي القوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا

في قعرها هم اي آلهتهم والغاوون الذين كانوا يعبدونهم وفي تاخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز الى انهم
يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم وجنود ابليس اي شياطينه
الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر فنون الكفر
والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو
الوجه اجمعون تاكيد للضمير وما عطف عليه وقوله قالوا الى آخره استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشا من حكاية حالهم كانه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قال العبدة وهم فيها يختصمون
اي قالوا معترفين بخطئهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم والحال انهم في الجحيم بصدد
الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام صالحة
للاختصام بان يعطيها القدرة على الفهم والنطق تالله ان كنا لفي ضلال مبين ان مخففة من الثقيلة قد
حذف اسمها الذي هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية اي ان الشان كنا في ضلال واضح
لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان عظم خطئهم في رايهم مع وضوح
الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين ظرف
لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف
صناعي من حيث ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها
الاصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وقولهم
وما اضلنا الا المجرمون بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر
الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا
في تحققه او يكون بسبب اضلال الغير كانه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم
والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا
السبيلا وعن السدي هم الاولون الذين اقتدوا بهم واياما كان ففيه اذى ونصيب من التعريض للذين
قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل و
انواع المعاصي فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام ولا صديق
حميم كما نرى لهم اصدقاء اذ ما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء
على ان عدمهما كناية عن عدم نفعهما كما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعا في مهلكة فتخلص الصديق
منهما شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق

لغلبته او لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو وتشبيهاً لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى فلو ان
لنا كرة للتمني كليت لما ان بين معنييهما تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة اي رجعة
الى الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت
ويأباه قوله تعالى فنكون من المؤمنين لتحتم كونه جواباً للتمني مفيداً لترتب ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف
كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو على اصلها اذ غاية
ما يفيده تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معاً من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان اصلاً
مع انه المقصود حتماً ان في ذلك اي فيما ذكر من نبأ ابراهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان
عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه امر عبدتها يوم القيمة من اعترافهم بخطائهم الفاحش
وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما
ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب لآية
اي آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام كافة لاسيما على اهل مكة الذين يدعون انهم
على ملة ابراهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفاً ان يحيق بهم مثل ما حاق
باولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه او ان في ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير ان يسمعه من
احد لآية عظيمة دالة على ان ما يتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان قطعاً
وما كان اكثرهم مؤمنين اي اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه
من الكفر والضلال واما جعل ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عليه كما توهم فمما لا سبيل اليه اصلاً لظهور انهم ما ازدادوا
بما سمعوا منه عليه السلام الا طغياناً وكفراً حتى اجترءوا على تلك العظيمة التي فعلوها به عليه السلام فكيف يعبر عنهم
بعدم ايمان اكثرهم وانما آمن له لوط فنجاه الله عز وجل الى الشام وقد مر بقية الكلام في آخر قصة موسى
عليه السلام وان ربك لهو العزيز الرحيم اي هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم
رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك
يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول الشرائع
التي لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب و
يلبس البرود وما له الا دابة وبردة واذ في قوله تعالى اذ قال لهم ظرف للتكذيب على انه عبارة عن زمان
مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه
السلام الى انتهائها اخوهم اي نسيبهم نوح الا تتقون الله حيث تعبدون غيره اني لكم رسول
من جهته تعالى امين مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة
لله تعالى وما اسألكم عليه اي على ما انا متصد له من الدعاء والنصح من اجر اصلاً ان اجري فيما تولاه

الا على رب العالمين والفاء في قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه
السلام من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتاكيد والتنبيه على ان كلاً منهما
مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون الياء قالوا انؤمن لك و
اتبعك الارذلون اي الاقلون جاهاً ومالاً جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جارياً مجرى الاسم
كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كالاكالب والاكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد
او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة رأي وقد كان ذلك
منهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم انظارهم على حطام الدنيا وكون
الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظاً والارذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة
وان النعيم هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب
عما اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اي ما وظيفتي الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها
دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم ان حسابهم اي ما محاسبة اعمالهم والتنقير عن كيفياتها
البارزة والكامنة الا على ربي فانه المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون اي بشيء من الاشياء
او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون وما انا بطارد
المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم
مانعاً عنه وقوله تعالى ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين
وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع
الاغنياء او ما علي الا انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الآخرين
قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المرميين بالحجارة
قالوه قاتلهم الله تعالى في اواخر الامر ومعنى قوله تعالى قال رب ان قومي كذبون تموا على تكذيبي
واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فراراً كما يعرب عنه دعاؤه
بقوله فافتح بيني وبينهم فتحاً اي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل
في سورة نوح ونجني ومن معي من المؤمنين اي من قصدهم او من شؤم اعمالهم فانجيناه ومن
معه حسب دعائه في الفلك المشحون اي المملوء بهم وبما لا بد لهم منه ثم اغرقنا بعد اي بعد
انجائهم الباقين اي من قومه ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم على اكثر قوم نوح ابعد من السداد وابعد كذبت عاد
المرسلين انث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم ابيهم الاقصى اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون
الكلام في ان المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ما فاكما مر في صدر قصة نوح عليه السلام لم ي

الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه
من اجر ان اجرى الا على رب العالمين الكلام فيه كالذى مر وتصدير القصص بها للتنبيه على ان
مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وان
الانبياء عليهم السلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا فى بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة
والاعصار وانهم منزهون عن المطامع الدنية بالكلية اتبنون بكل ريع اى مكان مرتفع
ومنه ريع الارض لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم
فى اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم او
قصورا عالية يفتخرون بها وتتخذون مصانع اى مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا
لعلكم تخلدون اى راجين ان تخلدوا فى الدنيا اى عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون
بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين مسلطين غاشمين بلا رأفة
ولا قصد تأديب ولا نظر فى العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الافعال واطيعون فيما
ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذى امدكم بما تعلمون من الوان النعماء واصناف الآلاء
اجملها اولا ثم فصلها بقوله امدكم بانعام وبنين باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل
بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل فى ذلك وجنات وعيون انى اخاف عليكم ان لم
تقوموا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم فى الدنيا والآخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب
كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد
قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لن نرعوى عما نحن عليه وتغيير الشق الثانى
عن مقابله للمبالغة فى بيان قلة اعتدادهم بوعظه كانهم قالوا ام لم تكن من اهل الوعظ ومباشرته
اصلا ان هذا ما هذا الذى جئتنا به الا خلق الاولين اى عادتهم كانوا يلفقون مثله
ويسطرونه او ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذى
نحن عليه من الموت والحيوة الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء اى
اختلاق الاولين كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا
ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من الاعمال فكذبوه اى اصروا على ذلك
فاهلكناهم بسببه بريح صرصر ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون الله تعالى انى لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا
آمنين انكار ونفى لان يتركوا فيما هم فيه من النعمة او تذكير للنعمة فى تخليته تعالى اياهم واسباب

تنعمهم

تنعمهم آمنين وقوله تعالى فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من المبهم و
الهضيم اللطيف اللين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها
كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر
اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او
حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو
ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير للطاعة التى هى انقياد الآمر
لامتثال الامر او ارتسامه نسب حكم الآمر الى امره مجازا الذين يفسدون فى الارض وصف
موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص افسادهم
عن مخالطة الاصلاح قالوا انما انت من المسحرين اى الذين سحروا حتى غلب على عقولهم
او من ذوى السحر اى الرئة من الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا تأكيدا له
فأت بآية ان كنت من الصادقين اى فى دعواك قال هذه ناقة اى بعدما اخرجها
الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه السلام حسبما مر تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود لها
شرب اى نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم ولكم
شرب يوم معلوم فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب
وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من
تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لما ان عاقرها عقر برأيهم ولذلك عمهم العذاب
فاصبحوا نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم
الندم وان كان بطريق التوبة فاخذهم العذاب اى العذاب الموعود ان فى ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل فى نفى الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء
الى انه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن
منهم وانت خبير بان قريشا هم المشهورون بعدم ايمان اكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من
اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين اى اتأتون من بين بنى آدم
من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتأتونهم من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة
النساء مع كونهن اليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى
الثانى الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم وكلمة من فى قوله تعالى من ازواجكم
للبيان ان اريد بما جنس الاناث وهو الظاهر وللتبعيض ان اريد بها العضو المباح منهن تعريضا

بانهم كانوا يفعلون ذلك بسائر الناس ايضا بل انتم قوم عادون متعدون متجاوزون الحد في جميع
المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل
الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط اي عن تقبيح امرنا او نهينا عنه او عن دعوى النبوة
التي من جملتها احكامها او التعرض لنا لتكونن من المخرجين اي من المنفيين من قريتنا وكانهم
كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين اي من المبغضين
غاية البغض كانه يقلي الفؤاد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال اني لعملكم قال لدلالته
على انه عليه الصلوة والسلام من زمرة الراسخين في البغض المشهورين في قلاه ولعله عليه السلام
اراد اظهار الكراهة في مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم
وتوجه الى الله تعالى قائلا رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤم اعمالهم وغائلته فنجيناه و
اهله اجمعين اي اهل بيته ومن اتبعه في الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم
الا عجوزا هي امراة لوط استثنيت من اهله فلا يضره كونها كافرة لان لها شركة في الاهلية
بحق الزواج في الغابرين اي مقدرا كونها من الباقين في العذاب لانها كانت مائلة
الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها حجر في الطريق فاهلكها كما مر في سورة الحجر وسورة
هود وقيل كانت فيمن بقي في القرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الآخرين
اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه وامطرنا عليهم مطرا اي مطرا غير معهود قيل امطر الله تعالى
على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع
المضاف فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة
التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب
عليه السلام وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل
اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا
وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اللافظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اي اتموه ولا تكونوا
من المخسرين اي حقوق الناس بالتطفيف وزنوا اي الموزونات بالقسطاس
المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال
وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اي حق كان

وهذا

وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل
والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين اي وذوي الجبلة
الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء
كالخلقة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة
على ان كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين
اي فيما تدعيه من النبوة فاسقط علينا كسفا من السماء اي قطعا وقرئ بسكون السين وهو
ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة والمراد بالسماء اما السحاب
او المظلة ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد ان كنت من الصادقين في
دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما اخطروه ببالهم فضلا
ان يطلبوه قال ربي اعلم بما تعملون من الكفر والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب فسينزله
عليكم في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه اي فتموا على تكذيبه واصروا عليه فاخذهم
عذاب يوم الظلة حسبما اقترحوا اما ان ارادوا بالسماء السحاب فظاهر واما ان ارادوا
المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفي اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها
ايذان بان لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام
ولياليها فاخذهم بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم
سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روي ان
شعيبا عليه السلام بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة
والرجفة واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم اي في الشدة و
الهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع التي اوحيت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه السلام عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على
فواته تحقيقا لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الآية فان كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد
النزول قد اتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها
على التفصيل قصة بعد قصة لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي
الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بان يتاملوا في شان الآيات الكريمة الناطقة بتلك
القصص على ما هي عليه مع علمهم بانه عليه السلام لم يسمع شيئا منها من احد اصلا واستمروا

على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كأن لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حق في
خاتمة قصة موسى عليه السلام وانه اى ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص
الحكمية او القرآن الذي هي من جملته لتنزيل رب العالمين اى منزل من جهته تعالى سمي به مبالغة
ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نزل به اى انزله الروح الامين اى جبريل عليه السلام
فانه امين وحيه تعالى وموصله الى انبيائه عليهم السلام وقرئ بتشديد الزاي ونصب الروح
والامين اى جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك اى روحك وان اريد به العضو
فتخصيصه به لان المعاني الروحانية تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما
من التعلق ثم تتصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة لتكون من المنذرين متعلق
بنزل به اى انزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهائلة وايثار ما عليه النظم
الكريم للدلالة على انتظامه عليه السلام في سلك اولئك المنذرين المشهورين في حقية
الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان عربي مبين واضح المعنى ظاهر المدلول
لئلا يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق بنزل به وتأخيره للاعتناء بامر الانذار وللايماء
الى ان مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد انزاله عليه عليه السلام
لا انزاله باللسان العربي وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدي الى ان غاية
الانزال كونه عليه السلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب
ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى في باب الانذار ما انذره نوح وموسى عليهما
السلام واشد الزواجر تأثيرا في قلوب المشركين ما انذره ابراهيم عليه السلام لانتمائهم
اليه وادعائهم انهم على ملته عليه السلام وانه لفي زبر الاولين اى وان ذكره او
معناه لفي الكتب المتقدمة فان احكامه التي لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار
من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ
والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح اولم يكن لهم آية الهمزة
للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل أغفلوا عن ذلك ولم
يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه في زبر الاولين على ان لهم متعلق
بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به او بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها
نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به او بمحذوف هو حال من آية قدمت
عليها لكونها نكرة الذي هو قوله تعالى ان يعلمه علماء بني اسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء

بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى ان يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من انزل
عليه وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة
اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز
ان يكون لهم آية هي جملة الشأن وان يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث
تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو
بنظمه الرائق المعجز على بعض الاعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو
جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الاعجميين وفي لفظ البعض اشارة
الى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان فقرأه عليهم قراءة
صحيحة خارقة للعادات ما كانوا به مؤمنين مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز
المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين
بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك
فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد كذلك سلكناه اى
مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اى ادخلنا القرآن في قلوب المجرمين
ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز و
من حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على
تضمنها للبشارة بانزاله وبعثة من انزل عليه باوصافه فقوله تعالى لا يؤمنون به
جملة مستأنفة مسوقة لبيان انهم لا يتأثرون بامثال تلك الامور الداعية الى
الايمان به بل يستمرون على ما هم عليه حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان به
حين لا ينفعهم الايمان فيأتيهم بغتة اى فجأة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون
باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال
لتلافي ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به
والتكذيب له وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موقع الايضاح والتلخيص
له او في موقع الحال اى سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية
عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتآخذ مبادي الهداية والارشاد وانقطاع
اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به
مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن ومجاهد رحمهم الله ادخلنا الشرك
والتكذيب في قلوب المجرمين افبعذابنا يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة

من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقولهم فائتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب
كما وصف من طلب الانظار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أيكون حالهم
كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي
ما لا يخفى على احد او ايغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار
والمجرور للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية
الفواصل افرأيت لما كانت الرؤية من اقوى اسباب الاخبار بالشيء واشهرها
شاع استعمال ارأيت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب
الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة في
على الهمزة وتأخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو راي الجمهور اي فاخبرني
ان متعناهم سنين متطاولة بطول الاعمار وطيب المعايش ثم جاءهم ما
كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم اي شيء او اي اغناء اغنى عنهم
ما كانوا يمتعون اي كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على ان ما مصدرية او ما
كانوا يمتعون به من متاع الحيوة الدنيا على انها موصولة حذف عائدها واياما كان فالاستفهام
للانكار والنفي وقيل ما نافية اي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول
هو الاولى لكونه اوفق لصورة الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده
كأن كل من من شأنه الخطاب قد كلف ان يخبر بان تمتيعهم ماذا افادهم واي شيء
اغنى عنهم فلم يقدر احد على ان يخبر بشيء من ذلك اصلا وقرئ يمتعون من الامتاع وما
اهلكنا من قرية من القرى المهلكة الا لها منذرون قد انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى
اي تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار كانه قيل مذكرون
ذكرى او على انه مصدر مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون اي الا لها منذرون يذكرونهم
ذكرى او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم في
التذكرة او خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بمفردها
الواقع في حيز النفي على معنى ان لكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر
واحد او اكثر وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار والتعبير عن ذلك بنفي
الظالمية مع ان اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لبيان
كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر في
سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وما تنزلت به الشياطين رد

لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم من انه من قبيل ما تلقيه الشياطين على الكهنة بعد
تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين وما ينبغي لهم اي ما يصح وما يستقيم لهم ذلك
وما يستطيعون ذلك اصلا انهم عن السمع لكلام الملئكة لمعزولون لانتفاء
المشاركة بينهم وبين الملئكة في صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان انوار
الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم
خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من فنون الشرور
فما ابعد لهم ان يحوموا حول القرآن الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة الغيبية التي
لا يمكن تلقيها الا من الملئكة عليهم السلام فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين خوطب
به النبي عليه الصلوة والسلام مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه عنه عليه السلام تهييجا
وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء بحيث
ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه وانذر العذاب الذي يستتبعه
الشرك والمعاصي عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم
روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا
الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا
بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا
ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ويا صفية
عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا واخفض جناحك لمن
اتبعك من المؤمنين اي لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان
ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او لغيره او للتبعيض على ان
المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فحسب فان عصوك ولم يتبعوك
فقل اني بريء مما تعملون اي مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر
على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه
بدل من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم اي الى التهجد وتقلبك في الساجدين
وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام
تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت
الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام
والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه التي بها يستأهل

ولايته بعد أن عبر عنه بما ينبئ عن قهر أعدائه ونصر أوليائه من وصفي العزيز الرحيم تحقيقاً للتوكل وتوطيناً لقلبه عليه (إنه هو السميع) بما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) أي تتنزل بحذف إحدى التاءين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية ليس لأنها ليست موضوعة للاستفهام بل الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل وقوله تعالى (تنزل على كل أفاك أثيم) قصر لتنزلهم على كل من اتصف بالإفك الكثير والإثم الكبير من الكهنة والمتنبئة وتخصيص لهم بهم بحيث لا يتخطاهم إلى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة من أن يحوم حولها شائبة شيء من تلك الأوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه السلام (يلقون) أي الأفاكون (السمع) إلى الشياطين فيتلقون منهم أوهاماً وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق أكثرها الواقع وذلك قوله تعالى (وأكثرهم كاذبون) أي فيما قالوه من الأقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة أو يلقون السمع أي المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني وأما في أكثره فهم كاذبون وما قاله أكثر أقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب إلى أكثرهم كون أقلهم صادقين على الإطلاق وليس معنى الأفاك من لا ينطق إلا بالإفك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الإفك فلا ينافيه أن يصدق نادراً في بعض الأحايين وقيل الضمير للشياطين أي يلقون السمع أي المسموع من الملأ الأعلى قبل أن رجموا من بعض المغيبات إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون إليهم إذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم ولا سبيل إلى حمل إلقاء السمع على تسمعهم وإنصاتهم إلى الملأ الأعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما أن يلقون كما صرحوا به إما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة التنزل للإلقاء أو استئناف مبين للغرض من التنزل مبني على السؤال عنه ولا ريب في أن إلقاء السمع إلى الملأ الأعلى بمعزل من احتمال أن يقارن التنزل أو يكون غرضاً منه لتقدمه عليه قطعاً وإنما المحتمل لهما الإلقاء بالمعنى الأول فالمعنى على تقدير كونه حالاً تنزل الشياطين على الأفاكين ملقين إليهم ما سمعوه من الملأ الأعلى وعلى تقدير كونه جواباً عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون إليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الإخبار كما فعله بعضهم غير سديد لأن ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور

قبله غير خليق بجزالة التنزيل وأما على تقدير كون ضمير يلقون للأفاكين فهو صفة لكل أفاك لأنه في معنى الجمع سواء أريد بإلقاء السمع الإصغاء إلى الشياطين أو إلقاء المسموع إلى الناس ويجوز أن يكون استئنافاً إخباراً بحالهم على كلا التقديرين لما أن كلا من تلقيهم من الشياطين وإلقائهم إلى الناس يكون بعد التنزل وأن يكون استئنافاً مبنياً على السؤال على التقدير الأول فقط كأنه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون إليهم أسماعهم ليحفظوا ما يوحون به إليهم وقوله تعالى (وأكثرهم كاذبون) على التقدير الأول استئناف فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون أي يلقون ما سمعوه من الشياطين إلى الناس والحال أن أكثر أقوالهم كاذبة فتدبر (والشعراء يتبعهم الغاوون) استئناف مسوق لإبطال ما قالوا في حق القرآن العظيم من أنه من قبيل الشعر وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد إبطال ما قالوا إنه من قبيل ما تلقي الشياطين على الكهنة من الأباطيل بما مر من بيان أحوالهم المضادة لأحواله عليه السلام والمعنى أن الشعراء يتبعهم أي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الأفعال والأقوال لا غيرهم من أهل الرشد المهتدين إلى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) استشهاد على أن الشعراء إنما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد إلى أن حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء أي ألم تر أن الشعراء في كل واد من أودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه المجون والوقاحة دينهم تمزيق الأعراض المحمية والقدح في الأنساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الإفراط والتفريط في المدح والهجاء (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) من الأفاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم أن يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن أن يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الأمور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الأخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الأنسية مستقراً على المنهاج القويم مستمراً على الصراط المستقيم ناطقاً بكل أمر رشيد داعياً إلى صراط العزيز الحميد مؤيداً بالمعجزات القاهرة والآيات الظاهرة

نسب الشاعر بالمرأة نسيبا اذا شبب بها

مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق
ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقيل في تنزيهه عليه السلام من ان يكون من الشعراء ان اتباع
الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم
كونه عليه السلام منهم بكون اتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل
الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة
ابن وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت
قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل
يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا
استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر
اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة
والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان
بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار
ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن
مالك وكعب بن زهير بن ابي سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول
لحسان قل وروح القدس معك وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد
شديد ووعيد اكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم
وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد تلا ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد
اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون
ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق
بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلوة والسلام

سورة النمل

طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير

قدم

كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا طس اي مسمى
به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان
ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك تلك اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت
بذكر اسمها لا الى آياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها تأبى اضافتها الى القرآن كما سيأتي
وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في
الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره آيات القرآن والجملة مستأنفة مقررة
لما افادته التسمية من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة
حسبما ذكر في فاتحة الكتاب اي تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشأن اي بعض
منه مترجم مستقل باسم خاص وكتاب اي كتاب عظيم الشأن مبين مظهر لما في تضاعيفه
من الحكم والاحكام واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او لسبيل الرشد
والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان وفي تنكيره
فخامة شأنه الجليل ما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم
المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المنبئة عن اشتماله
على صفات كمال الكتب الالهية فكأنه كلها وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم
حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكرناه من الوجه وما قيل
من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين ابانة
فيه لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه
بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس
الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين في حيز
النصب على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كأنهما
نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما
بدلان من الآيات او خبران آخران لتلك او لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم
مهتدون انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
واما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم
فيها نعيم مقيم وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة مادحة

لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينتا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعتان
لساير الاعمال الصالحة وقوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كانه قيل
وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من
عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب او هو من تتمة
الصلة والواو حالية او عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة
يقينهم وثباته لانهم اوحديون فيه ان الذين لا يؤمنون بالآخرة بيان لاحوال
الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اى لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال
الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن زينا لهم اعمالهم القبيحة
حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت النار
بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في انفسها حالا واستتباعها لفنون
المنافع مالا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم فهم يعمهون يتحيرون
ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة
لما يتبعها من نفع وضر او في الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب
على السبب وعلى الثاني لترتيب مقتضى المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ
وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور اولئك اشارة الى المذكورين
وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اى اولئك الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم
سوء العذاب اى في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون
اى اشد الناس خسرانا لفوت الثواب واستحقاق العقاب وانك لتلقى القرآن
كلام مستأنف قد سيق بعد بيان بعض شئون القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص
وتصديره بحرفي التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اى لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين
من لدن حكيم عليم اى اى حكيم واى عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشان القرآن وتنصيص على
علو طبقته عليه السلام في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فان من تلقى
العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما
مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان ما في القرآن
من العلوم منها ما هو حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار
الغيبية وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به

النبي عليه الصلوة والسلام وامر بتلاوته بعضا من القرآن الذي يلقاه عليه السلام من
لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اى اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لاهله في وادي
طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نار انى آنست
نارا سآتيكم منها بخبر اى عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع
بعد في المسافة وتأكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امرأته لما كني
عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة في التسلية او آتيكم بشهاب قبس بتنوينهما
على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اى بشعلة نار مقبوسة اى
مأخوذة من اصلها وقرى بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو
القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين
منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عنه ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للايذان
بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد
يجمع على عبده حرمانين لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة
فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك معناه اى بورك على ان ان مفسرة لما في
النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة
المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف
لما ان الدعاء يخالف غيره في كثير من الاحكام من في النار ومن حولها اى من في مكان
النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الوادي الايمن
في البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرى تباركت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك
الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم
احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى موسى فيها وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون
وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني تنتشر بركاته في اقطار الشام
وهو تكليمه تعالى اياه عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده عليه السلام
وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك
مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشئون
ومن احكام تربيته تعالى للعالمين يا موسى انه انا الله استئناف مسوق لبيان آثار
البركة المذكورة والضمير اما للشان وانا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وانا خبره
والله بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على

يده من المعجزات اي انا القوي القادر على ما لا يناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها
امر العصا واليد الدال على كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير رصين والق عصاك عطف على بورك منتظم
معه في سلك تفسير النداء اي نودي ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى
وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان
حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها و
دلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كأنه
قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فابصرها فلما ابصرها متحركة بسرعة واضطراب وفي قوله تعالى كأنها
جان اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز كما اشير اليه او من
ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى
مدبرا من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب
لظنه ان ذلك الامر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا
لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع
الاوقات بل حين يوحي اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله
عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه
او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور
رحيم استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم
من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلوة والسلام فانهم وان صدر عنهم
شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد
به التعريض بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطي والالتفات وتسميتها ظلما لقوله عليه
السلام رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف
لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اي آفة كبرص ونحوه
في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان
يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات
على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا
انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال اي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما
جاءتهم آياتنا وظهرت على يد موسى مبصرة بينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها

لفرط

لفرط وضوحها وانارتها كانها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي
والعمي لا تهتدي فضلا عن الهداية او مبصرة كل من ينظر اليها ويتأمل فيها وقرئ مبصرة
اي مكانا يكثر فيها التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها اي كذبوا بها
واستيقنتها انفسهم الواو للحال اي وقد استيقنتها اي علمتها انفسهم علما يقينيا
ظلما اي للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها اي ظلم حيث حطوها
عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذاك وعلوا اي استكبارا عن
الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما اما على العلة من جحدوا
بها او على الحالية من فاعله اي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين من الاغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على
انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا داود وسليمان علما كلام مستأنف
مسوق لتقرير ما سبق من انه عليه السلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما
السلام من جملة القرآن الكريم تلقيه عليه السلام من لدنه تعالى كقصة موسى عليه السلام وتصديره
بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه اي آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم اللائقة به من علم الشرائع
والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير او علما سنيا غزيرا وقالا
اي قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا من العلم على كثير من
عباده المؤمنين على ان عبارة كل منهما فضلني الا انه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع
الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة
جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا وقد مر في سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من
العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على ايتاء ما اوتي كل منهما لا على ايتاء ما اوتي نفسه فقط وقيل
في العطف بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه
فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قيل ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة
فيه وقالا الحمد لله الآية فتأمل والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما ويأباه تبيين الكثير بالمؤمنين
فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصهما الاكثر بالذكر رمز الى ان البعض مفضلون
عليهما وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل
ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على ان يحمدوا الله تعالى
على ما آتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم

ربع

كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعم قال امير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان
داود اي النبوة والعلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون ساير بنيه وكانوا تسعة
عشر وقال تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعا للناس الى التصديق بذكر المعجزات
الباهرة التي اوتيها يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ المنطق في
المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من
المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من اصناف الطير يتفاهم
اصواته والذي علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من
معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه
اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا
العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس
فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوي فقال
يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمري
فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وصاحت رخمة فقال يقول سبحان ربي الاعلى ملء
سمائه وارضه وقال الحدأ يقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم
والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن
آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول
سبحان ربي القدوس واراد عليه السلام بقوله علمنا واوتينا النون التي يقال لها نون
الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا وتجبرا بل تمهيدا لما اراد منهم من
حسن الطاعة والانقياد له في اوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير بقوله من كل شئ
كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه
مثل قوله تعالى واوتيت من كل شئ وقال ابن عباس رضي الله عنه كل ما يهم من امر الدنيا والآخرة وقال مقاتل
يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين والريح ان هذا اشارة الى ما ذكر من
التعليم والايتاء لهو الفضل والاحسان من الله تعالى المبين الواضح الذي لا يخفى على احد
او ان هذا الفضل الذي اوتيه لهو الفضل المبين على انه عليه السلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا
لا فخرا ولعله عليه السلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس الى الغزو فان اخبارهم بايتاء
كل شئ من الاشياء التي من جملتها آلات الحرب واسباب الغزو مما ينبئ عن ذلك

فمعنى قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده جمع له عساكره من الجن والانس والطير بمباشرة مخاطبيه
فانهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتجميع الناس للكل تغلبا و
تقديم الجن على الانس في البيان للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه
من اول الامر لما ان الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير
فهم يوزعون اي يحبس اوائلهم على اواخرهم اي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي
فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف
كما هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوائلهم بالذكر دون سوق
اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم
من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو روي ان معسكره عليه السلام كان
مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة
وعشرون للوحش وكان له عليه السلام الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة
وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان
يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب
وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم
الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع
ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء
تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم
احد بشئ الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما
فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه
ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتي آل داود حتى اذا اتوا على وادي النمل
حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء
امرنا وفار التنور قلنا احمل الآية وهي ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير
كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا وادي النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطائف
على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم
كان من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشئ اذا انفذه وبلغ
آخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي اذ حينئذ يخافهم ما في الارض لا عند سيرهم
في الهواء وقوله تعالى قالت نملة جواب اذا كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم فصاحت

صيحة فتبعت بها ما بحضرتها من النمل لما رأت منها الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فأجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشي وهي تتكاوس فنادت فقالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي في الحقيقة للنمل عن التأخر في دخول مساكنكم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه السلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى وهم لا يشعرون حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت بذلك الايذان بانها عارفة بشئون سليمان وسائر الانبياء عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استيناف اي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعدها من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين وتفقد الطير اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين كأنه قال اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غائب فاضرب عنه فاخذ يقول اهو غائب لاعذبنه عذابا شديدا قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان

مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتينني بنونين اولاهما مفتوحة مشددة قيل انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد اي زمانا غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ عليه السلام برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله فقال احطت بما لم تحط به اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق ولا خفاء في انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ناموس حقائق العلوم ودقائق المعارف التي تكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف ارباب العلم والحكمة لتتوقف على علم رصين وفضل مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدي نبي الله تعالى سليمان عليه السلام تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره ونفيها عنه عليه السلام جناية على جنابه فيحتاج الى الاعتذار عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه السلام بذلك مع ما اوتي عليه السلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه السلام في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو

من الامور المحسوسة التي لا يعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف
ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عليه السلام لم يشاهده
ولم يسمع خبره من غيره قطعاً فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه السلام وترغيبه في الاصغاء
الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المبني على امر بديع اقبل والى تلقي
ما لا تعلمه اميل ثم ايده بقوله وجئتك من سبإ بنبإ يقين حيث فسر ابهامه نوع
تفسير واراه عليه السلام انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبأ الذي هو
الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والا فما ذا صدر عنه عليه السلام مع ما حكي عنه
ما حكي من الحمد والشكر واستدعاء الايزاع حتى يليق بالحكمة الالهية تنبيهه عليه السلام على تركه
وسبأ منصرف على انه اسم لحي سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على
انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وعلى هذه
القراءة يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم
وقوف سليمان عليه السلام على نبأهم قبل انباء الهدهد لبعض امر بديع لا بد له من حكمة داعية
اليه البتة وان استحال خلو افعاله تعالى من الحكم والمصالح لما ان المسافة بين محطه عليه السلام
وبين مأرب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه السلام هناك وبين مجيء الهدهد
بالخبر ايضا قصيرة نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه مبني على حكم بالغة
يستأثر بها علام الغيوب وقوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم استئناف لبيان ما جاء
به من النبأ وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان
ابوها ملك ارض اليمن كلها وورث الملك من اربعين اباً ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده
على الملك ودانت لها الامة وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس وايثار وجدت على رأيت
لما اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بابراز نفسه في معرض من
يتفقد احوالها ويتعرفها كأنها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير
تملكهم لسبأ على انه اسم الحي او لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على انه اسم لها واوتيت
من كل شيء اي من الاشياء التي يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم قيل كان ثلثين ذراعاً
في ثلثين عرضاً وسمكاً وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللاً بالجواهر وكانت قوائمه
من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستعظام
الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الى حالها او الى

عروش امثالها من الملوك وقد جوز ان لا يكون لسليمان عليه السلام مثله واياً ما كان فوصفه بذلك
بين يديه عليه السلام لما مر من ترغيبه عليه السلام في الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته عليه السلام نحو تسخيرها
ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من
دون الله اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم
التي هي عبادة الشمس ونظائرها من اصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب
ذلك عن السبيل اي سبيل الحق والصواب فان تزيين اعمالهم لا يتصور بدون
تقويم طرف كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق الى العوج فهم بسبب
ذلك لا يهتدون اليه وقوله تعالى الا يسجدوا لله مفعول له اما للصد او للتزيين
على حذف اللام منه اي فصدهم لان لا يسجدوا له تعالى او زين لهم اعمالهم لان لا يسجدوا
او بدل على حاله من اعمالهم وما بينهما اعتراض اي زين لهم ان لا يسجدوا او قيل هو في
موقع المفعول ليهتدون باسقاط الى فيصح لا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل
الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا له تعالى وقرئ الا يا اسجدوا على التنبيه
والنداء والمنادى محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في قوله الا يا اسلمي يا دارمي على البلى
ونظائره وعلى هذا يحتمل ان يكون استئنافا من جهة الله عز وجل او من سليمان ويوقف
على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه واياً ما كان فالسجود
واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب
الذي يخرج الخبء في السموات والارض اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان
وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر اوصافه
الموجبة لذلك لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها
ما اودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض واشير بعطف قوله
ويعلم ما تخفون وما تعلنون على يخرج الى انه تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما
يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان المراد يظهر ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر
ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم او للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهي وقرئ ما يخفون
وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبء يعم اشراق الكواكب واظهارها
من آفاقها بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء
الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان و
العدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف

وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبا من السماء والأرض
ويعلم سركم وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم الذي هو أول
الأجرام وأعظمها وقرئ العظيم بالرفع على أنه صفة الرب واعلم أن ما حكي من الهدهد
من قوله الذي يخرج الخبا إلى هنا ليس داخلا تحت قوله أحطت بما لم تحط به وإنما هو من
العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عليه السلام أورده بيانا لما هو عليه وإظهارا
لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنانه عن تعذيبه
عليه السلام إلى غزوها وتسخيرها لابتهاجه قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من
حكاية كلام الهدهد كأنه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال
سننظر أي فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد أي سنتعرف بالتجربة
البتة أصدقت أم كنت من الكاذبين كان مقتضى الظاهر أم كذبت وإيثار
ما عليه النظم الكريم للإيذان بأن كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين
بالكذب الراسخين فيه فإن مساق هذه الأقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل قلوب
السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم السلطان
لا يصدر إلا عمن له قدم راسخ في الكذب والإفك وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فألقه
إليهم استئناف مبين لكيفية النظر الذي وعده عليه السلام بعدما كتب كتابه في ذلك
المجلس أو بعده وتخصيصه عليه السلام إياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أمناء
الجن الأقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخائل العلم والحكمة وصحة الفراسة
ولئلا يبقى له عذر أصلا ثم تول عنهم أي تنح إلى مكان قريب تتوارى فيه فانظر
أي تأمل وتعرف ماذا يرجعون أي ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول وجمع الضمائر
لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل إلى الإسلام قالت أي بعدما ذهب الهدهد بالكتاب
فألقاه إليهم وتنحى عنهم حسبما أمر به وإنما طوي ذكره إيذانا بكمال مسارعته إلى إقامة ما أمر
به من الخدمة وإشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي أنه عليه السلام كتب كتابه
وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب
وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح
الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود
حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت
قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك

قالت لأشراف قومها يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه
أو لكونه من عند ملك كريم أو لكونه مختوما أو لغرابة شأنه ووصوله إليها على منهاج غير
معتاد إنه من سليمان استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل ممن هو وما مضمونه
فقالت إنه من سليمان وإنه أي مضمونه أو المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم وفيه إشارة
إلى سبب وصفها إياه بالكرم وقرئ أنه وأنه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه بكونه مصدرا
باسم الله تعالى وقيل على أنه بدل من كتاب وقرئ أن من سليمان وأن باسم الله على أن المفسرة
ألا تعلوا علي أن مفسرة ولا ناهية أي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية
ناصبة للفعل ولا نافية محلها الرفع على أنها بدل من كتاب أو خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام أي
مضمونه ألا تعلوا أو النصب بإسقاط الخافض أي بأن لا تعلوا علي وقرئ ألا تغلوا بالغين
المعجمة أي لا تتجاوزوا حدكم وأتوني مسلمين أي مؤمنين وقيل منقادين والأول هو الأليق بشأن
النبي عليه السلام على أن الإيمان مستتبع للانقياد حتما روي أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان
ابن داود إلى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين
ليس الأمر فيه بالإسلام قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فإن إلقاء
الكتاب إليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة قالت
كررت حكاية قولها للإيذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها يا أيها الملأ أفتوني في أمري
الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث
المشكلة غالبا تهويلا للأمر ورفعا لمحلهم بالإشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها ما
كنت قاطعة أمرا أي من الأمور المتعلقة بالملك حتى تشهدون أي إلا بمحضركم وبموجب آرائكم
استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير قالوا استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه قيل فماذا قالوا في جوابها فقيل قالوا نحن أولو قوة
في الأجساد والآلات والعدد وأولو بأس شديد أي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب
والأمر إليك أي هو موكول إليك فانظري ماذا تأمرين ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك
نمتثل به ونتبع رأيك أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة والكل
الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة فلما أحست منهم الميل إلى الحرب والعدول
عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة عن شأن سليمان عليه
السلام وذلك قوله تعالى قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية من القرى على منهاج المقاتلة
والحرب أفسدوها بتخريب عماراتها وإتلاف ما فيها من الأموال وجعلوا أعزة أهلها

اذلة بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال وكذلك يفعلون تأكيد
لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير بان ذلك عادتهم المستمرة
وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله تعالى
ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي واني مرسلة اليهم بهدية
تقرير لرأيها بعدما زيفت آراءهم واتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف
التحقيق للايذان بانها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف اي واني
مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون حتى اعمل بما يقتضيه الحال روي
انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة
راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية
على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا
من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين
الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر
اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد
فاخبر سليمان عليه السلام بذلك فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه
في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب
والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن
وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي
من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش
والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب
تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر
اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل عليهما السلام بما فيه
فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها
في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في
الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها
والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء سليمان اي
الرسول قال اي مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن

معه ويؤيده انه قرئ فلما جاؤا والاول اولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمهما
لبلقيس وقومها ويؤيد الافراد في قوله تعالى ارجع اليهم اتمدونن بمال وهو انكار لامدادهم
اياه عليه السلام بالمال مع علو شانه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير
وقوله تعالى فما آتاني الله اي مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه خير مما آتاكم
اي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للانكار ولعله
عليه السلام انما قال لهم هذه المقالة الى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق وغيرها كما اشير
اليه لا انه عليه السلام خاطبهم بها اول ما جاؤه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء وقرئ اتمدوني
بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون اضراب
عما ذكر من انكار الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي اهدوها اليه عليه السلام فرح
افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان
والجواري وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه على ان امداده عليه السلام بالمال منكر
قبيح وعد ذلك مع انه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس فيه المتنافسون اقبح والتوبيخ
به ادخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون حبا لزيادة
لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا ارجع افرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة
فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل اي ارجع ايها الرسول اليهم
اي الى بلقيس وقومها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة
لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبأ اذلة اي
حال كونهم اذلة بعدما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى
وهم صاغرون اي اسارى مهانون حال اخرى مفيدة لكون اخراجهم بطريق الاسر لا
بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة
بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم الخ قال يا ايها الملأ
ايكم يأتيني بعرشها قاله عليه السلام لما دنا مجيء بلقيس اليه عليه السلام يروى انه لما رجعت
رسلها اليها بما حكي من خبر سليمان عليه السلام قالت علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به
من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه
من دينك ثم آذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل
تحت كل قيل الوف ويروى انها امرت فجعل عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها في
بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله

اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يريها بعض ما خص الله عز سلطانه
به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام
ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى قبل ان
يأتوني مسلمين لما ان ذلك ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظيم
قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات
في اول مجيئها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذ مالها بغير رضاها قال عفريت اي مارد
خبيث من الجن بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه ذكوان او
صخرا انا آتيك به اي بعرشها قبل ان تقوم من مقامك اي من مجلسك للحكومة وكان
يجلس الى نصف النهار وآتيك اما صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان
به لا محالة واوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية اي انا آت به في تلك المدة البتة واني عليه
اي على الاتيان به لقوي لا يثقل علي حمله امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي
عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتيهما
على الاتيان به من كمال التباين او لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن
برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به
اجاب وقيل الخضر او جبريل او ملك ايده الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان
نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او
اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود ومن ابتدائية انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شئ وارتداده انضمامها ولكونه
امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة
ما كما في وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بانه
امر متحقق غني عن الاخبار به وجئ بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة معطوفة على جملة مقدرة
دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره بل داخلة
على الشرطية حيث قيل فلما رآه مستقرا عنده اي رأى العرش حاضرا لديه كما في قوله عز و
جل فلما رأينه اكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهور
ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام اياه واستغنائه ايضا عن التصريح به اذ التقدير
فأتاه به فرآه فلما رآه الخ فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كأنه لم
يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه السلام اياه شئ ما اصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده

عليه السلام تأكيد لهذا المعنى لايهامه انه لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان ايضا كأنه لم يزل
موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه قال اي
سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن ابناء جنسه من انبياء الله تعالى عليهم
السلام وخلص عباده هذا اي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة او التمكن
من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل ربي اي تفضله علي من غير استحقاق له
من قبلي ليبلوني أأشكر بان اراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة واقوم
بحقه ام اكفر بان اجد لنفسي مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شأن سائر
النعم الفائضة على العباد ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب
به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران ومن كفر اي لم يشكر
فان ربي غني عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر قال اي سليمان عليه
السلام كررت الحكاية مع كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين
السابق واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه نكروا لها
عرشها اي غيروا هيئته بوجه من الوجوه ننظر بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع
على الاستئناف اتهتدي الى معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله
تعالى ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه
الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب ويأباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان
ذلك مما لا دخل فيه للتنكير ام تكون اي بالنسبة الى علمنا من الذين لا يهتدون اي الى
ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها في نفس الامر منهم وان كان امرا
مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه امر حادث يظهر بالاختبار فلما
جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام اي فلما جاءت بلقيس
سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه قيل اي من جهة سليمان عليه السلام بالذات
او بالواسطة اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو
المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش في معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين
حالها وقد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة العقل قالت كأنه هو فابانت عن كمال رجاحة
عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة
في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب في محاورته عليه السلام و
اوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كأنها ظنت انه عليه السلام اراد

بذلك اخبار عقلها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي
شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت
وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبد
من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الى
الآن اى صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى انها كانت من قوم كافرين
تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اى انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن
قادرة على اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملكة سليمان عليه السلام
وقرئ انها بالفتح على البدلية من فاعل صد او على التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل من
ان قوله تعالى واوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام و
ملائه كانهم لما سمعوا قولها كانه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشأنها اصابت
في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة
وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على
ذلك قولهم واوتينا العلم الخ اى واوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده
قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله
تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني
الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل
صحن الدار روي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج
ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره
فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره و
تحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها
كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا
من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين
ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقيها ورجلها فلما
رأته وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله خبرا
حسبته لجة وكشفت عن ساقيها وتشمرت لئلا يبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس
ساقا وقدما خلا انها شعراء قيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها
واستنكحها عليه السلام وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة

ويقيم عندها ثلثة ايام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة
امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ سأقيها حملا للمفرد على الجمع في سؤوق و
اسؤق قال عليه السلام حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه اى الذي ظننته
ماء صرح ممرد اى مملس من قوارير من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة
ايضا رب اني ظلمت نفسي بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمان
حيث ظننت انه يريد اغراقها في اللجة وهو بعيد واسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية
به ونافي قوله تعالى لله رب العالمين من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية
العالمين لاظهار معرفتها بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع
الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ولقد ارسلنا
عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من
تقرير انه عليه السلام ليلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من
جملة القرآن الكريم الذي لقيه عليه السلام واللام جواب قسم محذوف اى وبالله
لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان في قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة
لما في الارسال من معنى القول او مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون
اتباعا لها للباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فامن
فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال عليه السلام للفريق الكافر منهم بعد
ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له
عليه السلام يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اى بالعقوبة
السيئة قبل الحسنة اى التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم
يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون الله هلا
تستغفرونه تعالى قبل نزولها لعلكم ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عند
النزول قالوا اطيرنا اصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما انهم كانوا
اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا
تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى
وقسمته او من عمل العبد اى تشاءمنا بك وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا
الشدائد وقد كانوا قحطوا او لم نزل في اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم قال طائركم
اى سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من الشر عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده

وقوله تعالى بل انتم قوم تفتنون اى تختبرون بتعاقب السراء والضراء او تعذبون
او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق
بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه وكان فى المدينة وهى الحجر تسعة رهط اى اشخاص
وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة
او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب
الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورئاب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن
كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفى وقدار بن سالف وهم
الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم
يفسدون فى الارض لا فى المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه شىء ما من الاصلاح
كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون اى لا يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون
شيئا من الاشياء قالوا استيناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد اى قال بعضهم
لبعض فى اثناء المشاورة فى امر صالح عليه السلام وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب
وقوله تمتعوا فى داركم ثلثة ايام الخ تقاسموا بالله امر مقول لقالوا او ماض وقع
بدلا منه او حالا من فاعله باضمار قد وقوله تعالى لنبيتنه واهله اى لنباغتن صالحا
واهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على الغيبة وضم
التاء على ان تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن لوليه اى لولى صالح وقرئ بالتاء و
الياء كما قبله ما شهدنا مهلك اهله اى ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان
هلاكهم فضلا ان تولى اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وانا لصادقون
من تمام القول او حال اى نقول ما نقول والحال انا لصادقون فى ذلك لان الشاهد للشىء
غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت
ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا اى اهلكناهم
اهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون او جازيناهم بمكرهم من حيث لا يحتسبون فانظر
كيف كان عاقبة مكرهم شروع فى بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف
معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اى فتفكر فى انه كيف كان
عاقبة مكرهم وقوله تعالى انا دمرناهم اما بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهى تامة
وكيف حال اى فانظر كيف حصل اى على اى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدأ محذوف
والجملة مبينة لما فى عاقبة مكرهم من الابهام اى هى تدميرنا اياهم وقومهم الذين لم يكونوا

منهم فى مباشرة التبييت اجمعين بحيث لم يشذ منهم مخبر واما تفصيل ما ينبئ عنه الامر بالنظر
فى كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحرف التجاوز اى لانا دمرناهم الخ وقيل كان
ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان فالاوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى انا دمرناهم
تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم الخ بالكسر على الاستيناف روى انه كان لصالح عليه
السلام مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ
منه ومن اهله قبل الثلث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم
فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر
قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا ومن معه
وقيل جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم وقد ارسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون
الحجارة ولا يرون راميا فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى خاوية اى خالية
او ساقطة متهدمة بما ظلموا اى بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة
وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف ان فى ذلك اى فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم
لآية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اى ما من شأنه ان يعلم من الاشياء او لقوم يتصفون
بالعلم وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون الكفر والمعاصى
اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا فى صدر
قصة صالح وداخل معه فى حيز القسم اى وارسلنا لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال
على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب
لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا اى وانجينا لوطا وهو بعيد أتأتون
الفاحشة اى الفعلة المتناهية فى القبح والسماجة وقوله تعالى وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل
تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطى القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون
من بصر القلب اى تفعلونها والحال انكم تعلمون علما يقينيا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض
لما كانوا يعلنون بها ائنكم لتأتون الرجال شهوة تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه
من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرف التأكيد للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه
احد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين
الشهوة التى علل بها الاتيان من دون النساء متجاوزين النساء اللاتى هن محال الشهوة بل انتم
قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بقبحها او تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اى بل
انتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة للقوم لكونهم فى حيز الخطاب فما كان جواب قومه

الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار
ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه استهزاء وقد مر في سورة الاعراف ان
هذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام
بالامر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها اي قدرنا
انها من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا غير معهود فساء
مطر المنذرين قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة قل الحمد لله و
سلام على عباده الذين اصطفى اثر ما قص الله تعالى على رسوله صلى الله عليه و
سلم قصص الانبياء المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى
وعظم شأنه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم
وصحة اخبارهم وبين على السنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك
وان من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح
صدره عليه السلام بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية ونور
قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به
قوله عز وجل وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم امره صلى الله عليه وسلم بان يحمده
تعالى على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح ويسلم
على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه اخبارهم التي هي من جملة المعارف التي
اوحيت اليه عليه السلام اداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو امر للوط عليه السلام
بان يحمده تعالى على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن
الهلاك ولا يخفى بعده الله خير اما يشركون اي الله الذي ذكرت شؤونه العظيمة
خير ام ما يشركونه به تعالى من الاصنام ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته
تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما اشركوه به تعالى شائبة خير ما
حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية
بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم
الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فانبتنا الخ
فانه صريح في ان التبكيت من قبله عز وعلا بالذات وحمله على انه حكاية منه عليه السلام
لما امر به بعبارته كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم تعسف
ظاهر من غير داع اليه وام في قوله تعالى ام من خلق السموات والارض منقطعة

وما فيها من كلمة بل على القراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى
التصريح به خطابا على وجه اظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد واما على القراءة الثانية فلتثنية
التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الآتية والهمزة لتقريرهم اي حملهم على الاقرار
بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان لا يعترف
بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق به من منافعه من اخس
تلك المخلوقات واذناها بل بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره
محذوف مع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق في الاستفهام الاول خلا
ان التشريك ههنا بالخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الآتية
والمعنى بل أمن خلق قطري العالم الجسماني ومبدأي منافع ما بينهما وانزل لكم
التفات الى خطاب الكفرة على القراءة الاولى لتشديد التبكيت والالزام اي انزل
لاجلكم ومنفعتكم من السماء ماء اي نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدائق اي بساتين
محدقة ومحاطة بالحوائط ذات بهجة اي ذات حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان
لكم اي ما صح وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة
خير ام ما تشركون وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله وتقديم صلتي الانزال
على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فانبتنا
لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف
والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء
الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييدها بقوله تعالى
ما كان لكم سواء كانت صفة لها او حالا وتوحيد وصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان
المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها أاله
مع الله اي أاله آخر كائن مع الله الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها
غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفي الالوهية
عما يشركونه به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه
بما ذكر من الترديد فان احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة
لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه رأسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما
سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الآتية وقيل المراد نفي ان يكون معه تعالى اله
آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفي ذلك النفي فقط كيف

لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله بل باشراكهم به تعالى في العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم
الالوهية كانه قيل أإله آخر مع الله في خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في العبادة
وقيل المعنى اغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تعالى بالخلق و
التكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين
السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والاوفق بحق المقام
لافادته نفي وجود اله آخر معه تعالى رأسا لا نفي معيته في الخلق وفروعه فقط وقرئ أإله
بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ أإلها باضمار فعل يناسب
المقام مثل أتدعون او أتشركون بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم
بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكايته لغيرهم اى بل هم قوم عادتهم العدول عن
طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل امر من الامور فلذلك يفعلون
ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل
البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة ام من
جعل الارض قرارا قيل هو بدل من ام من خلق السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلث
وحكم الكل واحد والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها
الى التبكيت بوجه آخر ادخل في الالزام بجهة من الجهات اى جعلها بحيث يستقر عليها الانسان
والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم وجعل
خلالها اوساطها انهارا جارية ينتفعون بها وجعل لها رواسي اى جبالا ثوابت
يمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها
من المصالح ما لا يحصى وجعل بين البحرين اى العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا
برزخا مانعا من الممازجة وقد مر في سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلثة الاخيرة ابداعي
وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق أإله مع الله في الوجود او في ابداع هذه
البدائع على ما مر بل اكثرهم لا يعلمون اى شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم
عليه من الشرك مع كمال ظهوره ام من يجيب المضطر اذا دعاه وهو الذي احوجته شدة
من الشدائد والجأته الى اللجأ والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو
افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضه هو المجهود وعن السدي رح من لا حول له ولا قوة وقيل
المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر ويكشف السوء

وهو الذي يعتري الانسان مما يسوؤه ويجعلكم خلفاء الارض اى خلفاء فيها بان ورثكم
سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط أإله
مع الله الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون اى تذكرا
قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما
يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم ايذان بان
مضمونه مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه
اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل وتذكرون ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام
ام من يهديكم في ظلمات البر والبحر اى في ظلمات الليالي فيهما على ان الاضافة للملابسة
او في مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح
بشرا بين يدي رحمته وهي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة
الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها للهواء فلا ريب في ان
الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وعلا والفاعل للسبب فاعل للمسبب
قطعا أإله مع الله نفي لان يكون معه اله آخر وقوله تعالى تعالى الله عما يشركون
تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم اى تعالى وتنزه
بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية
لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون اى عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقا
فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى او عن اشراكهم ام من يبدأ
الخلق ثم يعيده اى بل أمن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث ومن يرزقكم من
السماء والارض اى باسباب سماوية وارضية قد رتبها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة
التي عليها يبنى امر التكوين خير ام ما تشركون في العبادة من جماد لا يتوهم قدرته على شيء ما اصلا
أإله آخر موجود مع الله حتى يجعل شريكا له في العبادة وقوله تعالى قل هاتوا برهانكم امر
له عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت اى هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل على ان معه تعالى الها
لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون
كونه من لوازم الالوهية وان كان منها في الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم
مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا واني لهم
ذلك ان كنتم صادقين اى في تلك الدعوى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا
الله بعد ما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة

الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلاً لما قبله وتمهيداً
لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة
علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كانه قيل ان كان الله تعالى ممن
فيهما ففيهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد بمن في السموات والارض من تعلق علمه بهما
واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازي عام له تعالى ولاولي العلم من خلقه ومن
موصولة او موصوفة وما يشعرون ايان يبعثون اي متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد
لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة
وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سيأتي من الضمائر الخاصة
بهم قطعاً وقيل للكل الخ واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل
بعض منهم بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم
بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تاكيده وتقريره بان اضرب عنه وبين انهم في جهل
افحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا مع تعاضد اسباب
معرفتها على ان معنى ادارك علمهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شان الآخرة التي ما ذكر
من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً لكن لا على
معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئاً فشيئاً بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم
ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجرآء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما
لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو
اسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل بل هم في شك منها اي في شك مريب من نفس الآخرة
وتحققها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلاً فضلاً عن الامور التي ستقع فيها ثم اضرب عن ذلك
الى بيان ان ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل بل هم منها عمون بحيث لا يكادون يدركون
دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفني وقد فسره الحسن
البصري باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناها الظاهر اي تكامل واستحكم او تم اسباب
علمهم بان القيامة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة
فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم
بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب من وصفهم بالشك الى وصفهم
بما هو اشد منه وافظع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن
دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم

بهم فيكون وصفاً لهم بالجهل مبالغة والاضرابان على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرأ أبي فابدلت
التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقرئ بل ادرك و
اصله افتعل وبل ادّرك بهمزتين وبل آادّرك بالف بينهما وبل ادّرك بالتخفيف والنقل وبل
ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام وبلى ادرك وبلى
أادرك وام تدارك وام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك
فهو انكار ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذي
هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على
ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم وقال
الذين كفروا بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم ائذا كنا ترابا
وآباؤنا ائنا لمخرجون اي أنخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون ولا مساغ
لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج بوقت
كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا
وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى
وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتاكيد وتكرير الهمزة في ائنا
للمبالغة والتشديد في الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما
يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره
على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا
بهمزة واحدة مكسورة وقرئ انا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا اي الاخراج نحن وآباؤنا من
قبل اي من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث اخر قصد به
المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التاكيد وقوله تعالى
ان هذا الا اساطير الاولين تقرير اثر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده و
باليوم الآخر الذي تنكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار وفي التعبير عن
المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على الكفر والتكذيب
ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ
بكسر الضاد وهما لغتان مصدر ويجوز ان يكون المفتوح مخففا من ضيّق وقد قرئ كذلك اي لا تك

في امر محقق ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب العاجل الموعود ان كنتم صادقين في اخباركم
باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار بذلك قل عسى ان يكون ردف لكم اي تبعكم
ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل
يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر
وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار و
اشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجري وعد الله تعالى ووعيده
والايثار على النظم الكريم على ان يقال عسى ان يردفكم لكونه ادل على تحقق الوعد وان ربك
لذو فضل على الناس اي لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تاخير عقوبة
هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون
لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشيء اي سترته وما يعلنون
من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح
غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة
عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض
اي من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب
ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية الا في كتاب مبين اي بين او مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح
المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون من جملته ما اختلفوا في شأن المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا
متن العتو والغلو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكد في اشياء
حتى بلغ المشاقة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في
حيز الانصاف وانه لهدى ورحمة للمؤمنين على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل
دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم اي بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته
ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد حكمه وقضاؤه العليم بجميع الاشياء التي من
جملتها ما يقضى به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب الامر على ما ذكر من شؤونه عز و
جل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به اي فتوكل على الله الذي هذا شانه فانه موجب على
كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى انك على الحق المبين تعليل صريح
للتوكل عليه تعالى بكونه عليه السلام على الحق البين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل

فان كونه عليه السلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لا محالة وقوله
تعالى انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى
وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه من جهته تعالى
اعني قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من جهته عليه السلام على احد الوجهين
اعني كونه عليه السلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه الآخر اعني اعانته تعالى وتأييده للمحق
ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى
فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وداع
الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعني بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم
بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات
ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر يشير
الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون
بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى
لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد مزية ولا تسمع الصم الدعاء اي الدعوة الى امر من الامور
وتقييد النفي بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فانهم مع صممهم
عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع
الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ
ولا يسمع الصم الدعاء وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم هداية موصلة الى المطلوب
كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة
بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد
الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما
تسمع سماعا يجدي السامع نفعا الا من يؤمن بآياتنا اي من من شانهم الايمان بها وايراد
الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يؤمن
لما ان طريق الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية فهم مسلمون تعليل لايمانهم بها
كانه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه
لله واذا وقع القول عليهم بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون من
تتمة ما يستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجيء الساعة
وما فيها من فنون الاهوال التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك

به للايذان بشدة وقعها وتأثيرها واسناده الى القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انها
مصداق القول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى اتى امر
الله اي اذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ومصداقه اخرجنا لهم
دابة من الارض وهي الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من
الدلالة على غرابة شأنها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث
ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم
ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل
وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما
بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقي
خلقها الطير وروي عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كانه يشير
الى انه رجل والمشهور انها دابة وروي لا يخرج الا رأسها ورأسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب
وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله تعالى عنه
لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله تعالى عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس
ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة
فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات تخرج
باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة
على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من
المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عليه السلام
يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما
يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن
في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت
الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم
انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرع
الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى ابو هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال بئس الشعب شعب جياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال
تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك
قوله تعالى تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اي تكلمهم انهم كانوا لا يوقنون بآيات الله

تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها او بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التي
من جملتها خروجها بين يدي الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرئ بان الناس الآية
واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها حكاية
منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص
الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اي بآيات
ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم
ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ ان الناس بالكسر
على اضمار القول او اجراء الكلام مجراه والكلام في الاضافة كالذي سبق وقيل هو
استيناف سيق من جهته تعالى لتعليل اخراجها او تكليمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق في الدنيا والمراد بالناس
اما الكفرة على الاطلاق او مشركو مكة وقد روي عن وهب انها تخبر كل من تراه ان اهل
مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من
الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة ايضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده
ويوم نحشر من كل امة فوجا بيان اجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان
بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا
الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا اي واذكر لهم وقت
حشرنا اي جمعنا من كل امة من امم الانبياء عليهم السلام او من اهل كل قرن من القرون جماعة
كثيرة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى ممن يكذب
بآياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين بها فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا
ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم
ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون
بين يدي اهل مكة وهكذا الحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار حتى اذا جاءوا الى موقف
السؤال والجواب والمناقشة والحساب قال اي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب و
الالتفات لتربية المهابة اكذبتم بآياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى ولم تحيطوا بها
علما جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ
اي اكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق

حسبما وبها نص في ان المراد بالآيات فيما سلف في الموضعين هي الآيات القرآنية لانها هي
المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التي لم تحيطوا بها علما مع وجوب ان تتأملوا وتتدبروا
فيها لانفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم اي اجمعتم بين التكذيب وعدم
التدبر فيها ام ماذا كنتم تعملون اي ام اي شئ كنتم تعملون بها او ام اي شئ كنتم
تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصي مع انهم
ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون في النار وذلك قوله
تعالى ووقع القول عليهم اي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله
ونزوله بما ظلموا بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بآيات الله فهم لا ينطقون لانقطاعهم
عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر
من قبيل المعقولات اي الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار
والنهار مبصرا اي ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب في امور المعاش فبولغ فيه
حيث جعل الابصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التي جعل عليها بحيث
لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما ان تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة
تأثير ضوء النهار في الابصار ان في ذلك اي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للاشعار ببعد درجته في الفضل لآيات اي عظيمة كثيرة لقوم يؤمنون
دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من
تأمل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة تحار في فهمها
العقول ولا يحيط بها الا الله عز وعلا وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت
بضياء النهار المضاهي للحيوة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو اخو الموت بالانتباه
الذي هو مثل الحيوة قضى بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قضاء
متقنا وجزم بانه تعالى قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وان الآيات الناطقة
به وبكون حال الليل والنهار برهانا عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى ويوم
ينفخ في الصور اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه او بمضمر معطوف عليه والصور
هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل
فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال

القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده ان عظم دارة فيه كعرض السماوات والارض
فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحيوة احد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة
لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذي
يستدعيه سباق النظم الكريم وسياقه ان المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في
قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض ما يعتري الكل عند البعث والنشور
بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات في الانفس والآفاق من الرعب والتهيب
الضروريين الجبليين وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه اعني ينفخ مضارعا
للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تأخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخة
عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل امة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا
بان كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهيا حقيقة بالتذكير على حيالها ولو روعي الترتيب
الوقوعي لربما توهم ان الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما مر في قصة البقرة الا من شاء
الله اي ان لا يفزع قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل
الحور والخزنة وحملة العرش وكل اي كل واحد من المبعوثين عند النفخة اتوه حضروا
الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة والحساب وقرئ
اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه وقرئ اتوه اي حاضروه داخرين
اي صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير
وقوله عز وعلا تحسبها جامدة اي ثابتة في اماكنها اما بدل منه او حال من ضمير ترى او
من مفعوله وقوله تعالى وهي تمر مر السحاب حال من ضمير الجبال في تحسبها او في جامدة اي
تراها رأي العين ساكنة والحال انها تمر مر السحاب الذي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك
ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا يكاد يتبين حركتها وعليه قول من قال بارعن
مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد اندرج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال
بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا
ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيآتها
ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيآت الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت و
تصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به
قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا

ولا امنا يومئذ متبعون الداعي وفي قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله
الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى
لا يكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا في تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض
بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة
على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد هي النفخة
الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في السموات
ومن في الارض فلا يختص اثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم
وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في ان ذلك مما
ينبغي ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع
التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي اريدت بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة
ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها
رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر وكالقنديل المعلق ترجحه الارواح فانه مما لا ارتباط له
بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما سيأتي من قوله تعالى
وهم من فزع يومئذ آمنون صنع الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي صنع الله ذلك
صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم
شان تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم
وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية او يكون لها عاقبة بل هي
من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها
رتب مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى
الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما
تفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين
وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب اجزيتها
عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا
بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة
فله خير منها بيان لما اشير اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اي من جاء
منكم او من اولئك الذين اتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها
واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس

رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة وهم اي الذين جاؤوا بالحسنات من فزع اي عظيم هائل
لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات
والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه حين
يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي المنادي يا اهل الجنة خلود
فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور آمنون
لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي يعتري كل من في السموات
ومن في الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون
الاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار
وبدونه كما في قوله تعالى افامنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها
ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الاولى لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار
الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداها ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء
بالسيئة قيل هو الشرك فكبت وجوههم في النار اي كبوا فيها على وجوههم منكوسين
او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم
تعملون على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك انما امرت ان
اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر عليه السلام بان يقول لهم ذلك بعد ما بين
لهم احوال المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة تنبيها لهم على انه قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه
ولم يبق له عليه السلام بعد ذلك شان سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل والاستغراق
في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا صلحوا او فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا
بامور انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه السلام بامر دعوتهم انه عليه السلام يظهر
لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما
شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة
لتفخيم شانها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف
وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى
فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية
شناعة ما فعلوا فيها الا يرى انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها
وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على
تعاطي افجر افراد الفجور واشنع احاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها

الاوثان وعكفوا على عبادتها فانهم الله انّى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى
وله كل شئ اى خلقاً وملكاً وتصرفاً من غير ان يشاركه شئ فى شئ من ذلك تحقيق للحق
وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات
وامرت ان اكون من المسلمين اى اثبت على ما كنت عليه من كونى من جملة الثابتين على
ملة الاسلام والتوحيد اى الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن دينا
ممن اسلم وجهه لله وان اتلو القرآن اى اواظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه
الرائعة المخزونة فى تضاعيفه شيئاً فشيئاً او على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة
وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيهاً على كفايته فى الهداية والارشاد من غير حاجة
الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه حينئذ فمن
اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه
اياى فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه
لا الىّ ومن ضل بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتى فيما ذكر فقل فى
حقه انما انا من المنذرين وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس علىّ من وبال ضلاله
شئ وانما هو عليه فقط وقل الحمد لله اى على ما افاض علىّ من نعمائه التى اجلها نعمة النبوة
المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقنى لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة
الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى سيريكم آياته من جملة الكلام
المأمور به اى سيريكم البتة فى الدنيا آياته الباهرة التى نطق بها القرآن كخروج الدابة
وسائر الاشراط وقد عدّ منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى فتعرفونها اى فتعرفون
انها آيات الله تعالى حين لا ينفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل
سيريكم فى الآخرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق من جهته تعالى
بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير
النبى صلى الله عليه وسلم وتخصيص الخطاب اولاً به عليه السلام وتعميمه ثانياً للكفرة تغليبا
اى وما ربك بغافل عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات
فيجازى كلاً منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك
بغافل عن اعمالهم فسيعذبهم البتة فلا يحسبوا ان تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة
له والله تعالى اعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم السلام وكذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله

الا الله

سورة القصص

طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مرّ ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل فى اشباهه
نتلو عليك اى نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز ان يكون التلاوة مجازاً من
التنزيل من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلو اى بعض نبائهما بالحق متعلق
بمحذوف هو حال من فاعل نتلو او من مفعوله او صفة لمصدره اى نتلو عليك بعض
نبائهما ملتبسين او ملتبساً بالحق او تلاوة ملتبسة بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلو
وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون به ان فرعون علا فى
الارض استيناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التاكيد للاعتناء
بتحقيق مضمون ما بعده اى انه تجبر وطغى فى ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة فى
الظلم والعدوان وجعل اهلها شيعاً اى فرقاً يشيعونه فى كل ما يريده من الشر و
الفساد او يشيع بعضهم بعضاً فى طاعته او اصنافاً فى استخدامه يستعمل كل صنف
فى عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله
ضرب عليه الجزية او فرقاً مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم
يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعاً
او استيناف وقوله تعالى يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم بدل منها وكان ذلك لما ان
كاهناً قال له يولد فى بنى اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ
لو صدق فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين اى الراسخين
فى الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء
عليهم السلام ونريد ان نمن اى نتفضل على الذين استضعفوا فى الارض
على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع فى نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف
على ان فرعون علا لتناسبهما فى الوقوع فى حيز التفسير للنبأ او حال من يستضعف بتقدير
المبتدأ اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف
مقارنة المراد له لما ان تعلق الارادة بالمن تعلق استقبالى على ان منة الله تعالى عليهم
بالخلاص لما كانت فى شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول
موضع الضمير لابانة قدر النعمة فى المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها ونجعلهم ائمة يقتدى
بهم فى امور الدين بعد ان كانوا اتباعاً مسخرين لآخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان

منتظماً في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتأخير
ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم أئمة مع تقدمها عليه زماناً لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا
ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى ونمكن لهم في الارض اي
نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيهما كيف ما يشاؤن واصل التمكين ان يجعل للشيء مكاناً
يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم اي من اولئك المستضعفين ما كانوا
يحذرون ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء
ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما
امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه فالقيه
في اليم وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة بالغرق ولا شدة ولا تحزني انا رادوه اليك
عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن
وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون
رده وجعله من المرسلين لا محالة روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون
بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلام فقالت لها لينفعني حبك
اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها و
دخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت
لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته
في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا
شيئاً فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله
تعالى النار عليه برداً وسلاماً فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله تعالى اليها ما اوحى
وقد روي انها ارضعته ثلثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله والقار
في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة
على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلاً على دلالة الحال وايذاناً بكمال سرعة
الامتثال اي فالقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه آل
فرعون اي اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضي الله
عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس اليه
وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ
منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه

فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه
امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن
يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت
عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا
بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروا بالسفن
فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية
فرأت نوراً في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده
واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبناً فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت
ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعته وقيل لما نظرت الى وجهه
برأت فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي تحذر منه رمي في البحر
فرقاً منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتي واللام في
قوله تعالى ليكون لهم عدواً وحزناً لام العاقبة ابرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم
تشبيهاً له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حُزناً وهما لغتان كالسُقم والسَقم
جعل عليه السلام نفس الحزن ايذاناً بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون وهامان و
جنودهما كانوا خاطئين اي في كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا لاجله
الوفاً ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي انه ذبح في طلبه عليه السلام
تسعون الف وليد او كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم
فالجملة اعتراضية لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على
انه تخفيف خاطئين او على انه بمعنى متعدين الصواب الى الخطأ وقالت امرأة فرعون
اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك اي هو قرة عين لنا لانهما
لما رأياه احباه او لما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال
لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيماً ليساعدها
فيما تريده عسى ان ينفعنا فان فيه مخائل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رأت فيه من
العلامات المذكورة او نتخذه ولداً اي نتبناه فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون
حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وقالت امرأته
له كيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه
والتبني له وقوله ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطائهم وقيل حال من احد

ضميري تتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد
ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون
كقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم
بينهم فرغ اي هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او لسماعها ان
فرعون عطف عليه وتبناه وقرئ مؤسى بالهمز اجراء للضمة في جارة الواو مجرى ضمتها في همز
كما في وجوه ان كادت لتبدي به اي انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط
الحيرة والدهشة او الفرح لتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون
من المؤمنين اي المصدقين بوعد الله تعالى او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون
وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه وقالت لاخته
مريم والتعبير عنها باخوته عليه السلام دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة
للامتثال بالامر قصيه اي اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به اي ابصرته عن جنب عن
بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون انها تقصه وتتعرف
حاله او انها اخته وحرمنا عليه المراضع اي منعناه ان يرتضع من المرضعات والمراضع
جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه اعني الثدي من قبل
اي من قبل قصها اثره فقالت عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بامره وطلبهم
من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه
وتربيته روي ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت
انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بامه وموسى
على يد فرعون يبكي وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها
فقال من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة
اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فقرره في يدها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها
وذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه
ولتعلم ان وعد الله اي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه
بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فيرتابون فيه
او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت
بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده اي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلثين
الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين واستوى

اي اعتدل قده او عقله آتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء
وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل فعلا يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه
تعالى استنباه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه
نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة اي مصر من قصر فرعون وقيل منف او حابين
او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه
فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من
شيعته اي ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اي من مخالفيه
دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته اي سأله ان
يغيثه بالاعانة كما ينبئ عنه تعديته بعلى وقرئ استعانه على الذي من عدوه فوكزه
موسى اي ضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله
واصله انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه
لم يكن مامورا بقتل الكفار او لانه كان مامونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح
ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه جريا على
سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر انه عدو
مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال قال توسيطه بين كلاميه عليه السلام لا
بانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول رب اني ظلمت
نفسي اي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له ذلك انه هو الغفور الرحيم اي المبالغ
في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت علي اما قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك
علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اي
بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن تؤدي معاونته الى الجرم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول
وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك
فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة او الاجناد فاذا الذي استنصره
بالامس يستصرخه اي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له موسى انك لغوي
مبين اي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد موسى ان يبطش
بالذي هو عدو لهما اي لموسى وللاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء
لبني اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء قال اي الاسرائيلي ظانا انه

عليه السلام يبطش بهما بوهمه تسميته اياه غويا يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا بالامس قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني
فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك وامر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطي
ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض وهو الذي يفعل كل ما يريده من الضرب
والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان
تكون من المصلحين بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى المدينة اي كائن من
آخرها او جاء من آخرها يسعى اي يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور صفة له لا
متعلق بجاء فان تخصصه بها يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه خربيل وقيل شمعون
وقيل شمعان قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك اي يتشاورون بسببك فان
كلا من المتشاورين يأمر الآخرين ويأتمر فاخرج اي من المدينة اني لك من الناصحين اللام
للبيان لما ان الصلة لا تتقدمها فخرج منها اي من المدينة خائفا يترقب لحوق الطالبين
قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء
مدين اي نحو مدين وهو قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن تحت
سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرائق فاخذ
في الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا في الآخرين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل
حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد
ماء مدين اي وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه اي فوق شفيرها امة
جماعة كثيفة من الناس يسقون اي مواشيهم ووجد من دونهم في موضع اسفل منهم
امرأتين تذودان اي تمنعان ما معهما من الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم
مع عدم الفائدة في التقدم قال عليه السلام لهما حين رآهما على ما هما عليه من التأخر والذود
ما خطبكما ما شأنكما فيما انتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقي كدأب هؤلاء قالتا
لا نسقي حتى يصدر الرعاء اي عادتنا ان لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها
عن الماء عجزا من مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقي اليوم الى تلك الغاية وحذف
مفعول السقي والذود والاصدار لما ان الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هي التي دعت موسى
عليه السلام الى ما صنع في حقهما من المعروف فانه عليه السلام انما رحمهما لكونهما على الذياد والعجز
والعفة وكونهم على السقي غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ

لا نسقي من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرجال واما الرعاة
فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تعالى وابونا شيخ كبير ابلاء منهما للعذر اليه عليه السلام
في توليهما للسقي بانفسهما كانهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة
الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا
من تأخير السقي الى ان يقضي الناس اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام
في حذف مفعوله كما مر آنفا روي ان الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة
رجال وقيل اربعة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع
ولعله عليه السلام زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه السلام عن ذلك فان
الظاهر انه عليه السلام غب ما شاهد حالهما سارع الى السقي لهما وقد روي انه دفعهم عن الماء الى ان
سقى لهما وقيل كانت هناك بئر اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه عليه السلام سألهم
دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها
وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما ثم تولى الى الظل الذي كان هناك
فقال رب اني لما انزلت الي اي اي شيء انزلته الي من خير جل او قل وحمله الاكثرون على
الطعام بمعونة المقام فقير اي محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جيء بلام الدعاء
لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الي من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا
لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه السلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك فجاءته
احداهما قيل هي كبراهما واسمها صفوراء او صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيراء اي جاءته عقيب
ما رجعتا الى ابيهما روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال
لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي وقوله
تعالى تمشي حال من فاعل جاءته وقوله تعالى على استحياء متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي
اي جاءته تمشي كائنة على استحياء فمعناه انها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند
المجيء فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة اي شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها
قالت استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيئها اياه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت له
عليه السلام ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي جزاء سقيك لنا اسندت الدعوة
الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة
ما لا يخفى روي انه عليه السلام اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته
فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليهما السلام فلما

جاءه وقص عليه القصص اي ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذي يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى
عليه السلام انما اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام
ويستظهر برأيه لا ليأخذ بمعروفه اجرا حسبما صرحت به الاية الى ما روي ان شعيبا
لما قدم اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف
ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليهما السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول
بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من
بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم
لا سيما في دار نبي من انبياء الله تعالى عليهم الصلوة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه
عليه السلام ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب
انه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه السلام
انما فعله ليكون ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر قالت احديهما وهي التي
زوجها من موسى عليهما السلام يا ابت استأجره اي لرعي الغنم والقيام بامرها
ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار
وللمبالغة في ذلك جعل خيرا اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على انه امين
مجرب روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ما شاهدت
منه عليه السلام من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها
بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني اي تكون اجيرا لي
او تثيبني من اجرته كذا اذا اثبته اياه وقوله تعالى ثماني حجج على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول
به على تقدير مضاف اي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي
غير ممدود وآجرت ممدودا والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا والمعنى على
ان تأجرني نفسك وقوله تعالى ثماني حجج ظرف كالوجه الاول فان اتممت عشرا في الخدمة
والعمل فمن عندك اي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق
الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرأيه على موسى عليه السلام واستدعاء منه للعقد
لا انشاء وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة
في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك
يشق عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رأيك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من

الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه السلام بالاستثناء
التبرك به وتفويض امره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى قال ذلك
بيني وبينك مبتدأ وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم
وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على
نفسك وقوله تعالى ايما الاجلين اي اكثرهما او اقصرهما قضيت اي وفيتكه بأداء
الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب
الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة
مع عدم تحقق العدوان في اكثرهما رأسا للقصد الى التسوية بينهما في الانتفاء اي كما لا اطالب
بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني او ايما الاجلين قضيت فلا اثم علي
يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط وقرئ اي الاجلين ما قضيت
فما مزيدة لتأكيد القضاء كما انها في القراءة الاولى مزيدة لتأكيد ابهام اي وشياعها
وقرئ ايما بسكون الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت
والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا
الى الخروج عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عليهما السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في انشاء عقد
النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف
عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا
روي انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من
تلك العصي وكانت عنده عصي الانبياء عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام
من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان
مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا وقيل اخذها
جبريل عليه السلام بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل
اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تأتيه بعصا فاتته بها فردها سبع
مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا
ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم
يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت الا عصا من الشجر
اعترضها اعتراضا وعن الكلبي رحمه الله الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه
ولما اصبح قال له شعيب صلوات الله عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك

مواظرة

فان الكلاء وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين
ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل
فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما ابصرها دامية والتنين
مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليه السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون
غزيرة اللبن فاخبره موسى عليهما السلام بالشان ففرح وعلم ان لموسى والعصا
شأنا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحى اليه في المنام
ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت ادرع
ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء في قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة اي فعقد العقدين وباشر
موسى ما التزمه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روي انه عليه
السلام قضى ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى
مصر فاستأذنه في ذلك فاذن له فخرج باهله آنس من جانب الطور اي ابصر من الجهة التي
تلي الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه
او جذوة اي عود غليظ سواء كانت في راسه نار اولا قال قائلهم باتت حواطب ليلى يلتمسن لها
جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها
والتهابها ولذلك بين بقوله تعالى من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم
تصطلون اي تستدفئون فلما اتاها اي النار التي آنسها نودي من شاطئ الواد
الايمن اي اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عليه السلام في البقعة المباركة
متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة على
الشاطئ ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا لما في طه والنمل
لكنه موافق له في المعنى المراد وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودي
والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال
عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها اي فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها
تهتز كانها جان اي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ولى مدبرا اي منهزما من الخوف
ولم يعقب اي لم يرجع يا موسى اي قيل يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين
عن المخوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك اي ادخلها فيه تخرج
بيضاء من غير سوء اي عيب واضمم اليك جناحك اي يديك المبسوطتين لتتقي بهما الحية
كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالهما في

الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو واظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة
ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر
فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب اي من اجل الرهب
اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وضمهما
والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك
برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم
بره الرجل اذا ابيض ويقال للمراة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من
السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن في قوله تعالى من ربك
متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان اي كائنان منه تعالى الى فرعون وملائه واصلان
ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا
احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف
ان يقتلون بمقابلتها واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا اي معينا وهو في
الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير
الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة
وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ
يصدقني بالجزم على انه جواب الامر قال سنشد عضدك باخيك اي سنقويك به فان قوة
الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل
لكما سلطانا اي تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة
باياتنا متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع اخر اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما باياتنا
او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون
في قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما يبينه او صلة له على ان اللام للتعريف
لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات اي واضحات الدلالة على صحة رسالته موسى
عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان اظهرهما موسى عليه السلام اذ ذاك
والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي سحر مختلق
لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف
السحر وما سمعنا بهذا اي السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين اي واقعا في ايامهم
وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب

عن مقابليه ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن السامع بينهما فيميز صحيحهما من
الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها
الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب
واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيآت الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية
انه لا يفلح الظالمون اى لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور وقال فرعون
يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة
فكان من امرهم ما كان فاوقد لى يا هامان على الطين اى اصنع آجرا فاجعل لى
منه صرحا اى قصرا رفيعا لعلى اطلع الى اله موسى كأنه توهم انه لو كان لكان جسمانيا فى
السماء يمكن الترقى اليه ثم قال وانى لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبنى له رصدا
يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة
وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كما فى قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات
والارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق
معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول
من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم
ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام واستكبر هو وجنوده فى الارض ارض
مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء وقرئ
بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو انسب بالمقام فاخذناه
وجنوده عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم فى اليم قد مر تفصيله
وفيه من تفخيم شان الاخذ وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى
اخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين و
بينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اى صيرناهم فى عهدهم ائمة يدعون الناس الى النار
الى ما يؤدى اليها من الكفر والمعاصى اى قدوة يقتدى بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم
الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة دعاة الى النار كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا فلا نسب حينئذ ان يكون الجعل بعد هلاكهم فيما بين الامم ويكون الدعوة
الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيمة لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة

ولعنا من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملائكة عليهم السلام والمؤمنون خلفا عن سلف
ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة
منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه قال ابن عباس رضى الله عنهما يقال قبحه الله و
اقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيمة اما متعلق
بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذى او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل
وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب اى التورية من بعد ما
اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان
كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة
الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى
من موجبات اندراس معالم الشرايع وانطماس آثارها واحكامها المؤديين الى اختلال
نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على
مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة
للاعتبار كانه قيل ولقد آتينا موسى التورية على حين حاجة الى ايتائها بصائر للناس
اى انوارا لقلوبهم تبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم و
الادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما ان البصر نور العين الذى به
تبصر وهدى اى هداية الى الشرايع والاحكام التى هى سبل الله تعالى ورحمة حيث نال
من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر والهدى
والرحمة او على حذف المضاف اى ذا بصائر الخ وقيل على العلة اى آتيناه الكتاب
للبصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر
تحقيق القول فى ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت
بجانب الغربى شروع فى بيان ان انزال القرآن الكريم ايضا واقع فى زمان شدة مساس
الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل
ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها
وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحى من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت
لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الآية اى وما كنت من الشاهدين اى من جملة
الشاهدين للوحى وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من امر موسى فى ميقاته
وكتبة التورية له فى الالواح فتخبره للناس ولكنا انشأنا قرونا اى ولكنا خلقنا بين زمانك

وزمان موسى قروناً كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام
وعميت عليهم الانباء لاسيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك
فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وقوله تعالى وما كنت ثاوياً في اهل
مدين نفي لاحتمال كون معرفته عليه السلام للقصة بالسماع ممن شاهدها اي وما كنت
مقيماً في اهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى تتلو عليهم اي تقرأ على اهل
مدين بطريق التعلم منهم آياتنا الناطقة بالقصة اما حال من المستكن في ثاوياً او
خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك الآيات ونظائرها
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اي وقت ندائنا موسى اني انا الله رب العالمين
واستنبائنا وارسالنا اياه الى فرعون ولكن رحمة من ربك اي ولكن ارسلناك بالقرآن
الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك
ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلية الرحمة وتشريفه
عليه السلام بالاضافة وقد اكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى
كما اكتفى في الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصاً على ما هو المقصود و
واشعاراً بانه المراد فيهما ايضاً ولله در شان التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوماً متعلق بالفعل
المعلل بالرحمة فهو ما ذكرنا من ارساله عليه السلام بالقرآن حتماً لما انه المعلل بالانذار لا
تعليم ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ما اتاهم من نذير من
قبلك صفة لقوماً اي لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة
وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة
ببني اسرائيل لعلهم يتذكرون اي يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء
الامر والثواء في اهل مدين والنداء للتنبيه على ان كلاً من ذلك برهان مستقل على ان
حكايته عليه السلام للقصة بطريق الوحي الالهي ولو ذكر اولاً نفي ثوائه عليه السلام في اهل
مدين ثم نفي حضوره عليه السلام عند النداء ثم نفي حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب
الوقوعي لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر في قصة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة
اي عقوبة بما قدمت ايديهم اي بما اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا عطف على تصيبهم
داخل في حيز لولا الامتناعية على ان مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف
عليه وانما ذكره في حيزها للايذان بانه السبب الملجئ لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولاً
اي هلا ارسلت الينا رسولاً مؤيداً من عندك بالآيات فنتبع آياتك الظاهرة على

يده وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة
بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما ارسلناك
لكن لما كان قولهم ذلك محققاً لا محيد عنه ارسلناك قطعاً لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم
اي اهل مكة الحق من عندنا وهو القرآن المنزل عليه عليه الصلوة والسلام قالوا تعنتاً
واقتراحاً لولا اوتي يعنونه عليه السلام مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واليد
والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عليه السلام وقوله تعالى اولم يكفروا بما
اوتي موسى من قبل رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتاً محضاً لا طلباً لما يرشدهم الى الحق
اي الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى
قالوا استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله
تعالى سحران خبر لمبتدأ محذوف اي هما يعنون ما اوتي محمد وما اوتي موسى عليهما السلام سحران
تظاهرا اي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك انهم بعثوا رهطاً منهم الى رؤساء
اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا انا نجده في التورية بنعته وصفته
فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى وقالوا انا بكل اي بكل واحد
من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحراً وذلك
لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمداً
صلى الله تعالى عليهما وسلم وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك
ما قيل وقيل الا ترى الى قوله تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما اوتياه
من التورية والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى اتبعه جواب للامر
اي ان تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته
لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت
والافحام ان كنتم صادقين اي في انهما سحران مختلقان وفي ايراد كلمة ان مع امتناع
صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اي فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان
بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذاناً بانه عليه السلام
على كمال امن من امره كان امره عليه السلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد
وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند
ذلك غالباً ولا يكاد يقال استجاب الله دعاءه فاعلم انما يتبعون اهواءهم الزائغة
من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلاً اذ لو كان لهم ذلك لاتوا به ومن اضل ممن اتبع

سواء استفهام انكاري للنفي اي لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي هو اضل
من مكان ضال وان كان ظاهر التركيب لنفي الاضل لا النفي المساوي كما قرر في نظائره مرارا
وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع في التشنيع
والتضليل والا مقارنته لهداية تعالى بينة الاستحالة ان الله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق
المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ بالتخفيف اي انزلنا القرآن عليهم متواصلا
بعضه اثر بعض حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا قصصا وعبرا
ومواعظ ونصايح لعلهم يتذكرون فيؤمنون بما فيه الذين آتيناهم الكتاب من قبله
اي من قبل ايتاء القرآن وهم به يؤمنون وهم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل اربعون من
اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واذا يتلى
اي القرآن عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا اي الحق الذي كنا نعرف حقيته وهو
استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تعالى انا كنا من قبله اي من قبل نزوله مسلمين
بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وانهم على
دين الاسلام قبل نزول القرآن اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون
اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم
على الايمانين بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين
ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة
السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو من اللاغين اعرضوا
عنه عن اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا لهم لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم
ولا نريد مخالطتهم انك لا تهدي هداية موصلة الى البغية لا محالة من احببت من
الناس ولا تقدر على ان تدخله في الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في
السعي كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء ان يهديه فيدخله في الاسلام وهو اعلم
بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن
اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى
بني ابيك غضاضة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة

وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا
ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن
عبد مناف حيث اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك
وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى اولم نمكن
لهم حرما آمنا اي الم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرما ذا امن لحرمة البيت الحرام الذي تتناحر
العرب حوله وهم آمنون يجبى اليه وقرئ تجبى اي تجمع وتحمل اليه ثمرات كل شيء من
كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من
لدنا فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة اصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة
البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اي جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا
ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من
عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال
من الثمرات على انه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم احقاء
بان يخافوا بأس الله تعالى بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكثير من اهل قرية
كانت حالهم كحال هؤلاء في الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم
وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم
الا قليلا اي الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لم يبق من يسكنها
الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم
في ديارهم وسائر ذات ايديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها
كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى
كفرت وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى
المذكورة اي وما صح وما استقام بل استحال في سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان
في حكمه الماضي وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها
حتى يبعث في امها اي في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن
وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك
لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك والالتفات
الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكي القرى عطف على ما
كان ربك وقوله تعالى الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما كنا مهلكين

لاهل القرى بعد ما بعثنا في امهاتها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه في حال من الاحوال
الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب
السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه في سورة بني
اسرائيل وما اوتيتم من شيء من امور الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي فهو شيء
شانه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل وما عند الله وهو الثواب خير في نفسه من ذلك
لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم وابقى لانه ابدي افلا
تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو
خير وقرئ بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم
افمن وعدناه وعدا حسنا اي وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه اي مدركه
لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحقق النسبة وعطفت
بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام
منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه
بين اهل الدنيا واهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وبين
ما عند الله تعالى اي ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى ثم هو
يوم القيمة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر
له كانه قيل كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار او العذاب وايثار
الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في
الزمان او في الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم
منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول
تفسير للنداء اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي
فحذف المفعولان معا ثقة بدلالة الكلام عليهما قال استئناف مبني على حكاية السؤال كانه
قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال الذين حق عليهم القول وهم شركاؤهم من الشياطين او
رؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم في كل ما امروهم به ونهوا
عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع
ايضا لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن
تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم

لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما
لان العبدة قد قالوه اعتذارا او هؤلاء انما قالوا ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة
ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول
ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره
ورده وقوله تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اي ما اكرهناهم
على الغي وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم
غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر
تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم
يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون
اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا
شركاءكم اي تهكما او تبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم
قدرتهم على الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون
لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمني اي تمنوا
انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله
سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء
يومئذ اي صارت كالعمي عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة
والتنبيه على ان ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى
استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب منهم
مما اجابوا به الرسل او جميع الانباء وهي داخلة فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام
يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسئول فما ظنك
باولئك الضلال من الامم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة
او العلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان
والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين
عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع
الافلاح وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه ولا منع
له اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك
مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف

ويؤيده ما روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان
لهم فيه الخير والصلاح سبحان الله اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد
او يزاحم اختياره اختياره وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه
به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده وما
يعلنون كالطعن فيه وهو الله اي المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها
الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق
كافة يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء
النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقريرا
لما ذكر ارأيتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو
المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص من الدلاص يقال درع دلاص اي ملساء
لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من
اله غير الله صفة لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت والالزام
كما في قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما
خلا انه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الخ لا يراد التبكيت
والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين افلا تسمعون هذا الكلام الحق سماع تدبر
واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير
الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعل تجريد الضياء
عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع افلا تبصرون
هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم
تشكرون ولكي تشكروا نعمة الله تعالى فعل ما فعل او لتعرفوا نعمة الله تعالى وتشكروه عليها
ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع
اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك كما لا شيء
ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى ونزعنا عطف على يناديهم وصيغة

الماضي للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال
الاعتناء بشأن النزع وتهويله اي اخرجنا من كل امة من الامم شهيدا نبيا يشهد
عليهم بما كانوا عليه لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقلنا لكل من
تلك الامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا يومئذ ان الحق لله
في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم اي غاب غيبة الضائع ما كانوا يفترون
في الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث
ابن لاوي بن يعقوب وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى
عليه السلام ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرأ بني اسرائيل
للتورية ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح
والقربان لهارون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة
والقربان لهارون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست
على شيء الى متى اصبر قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا اصدقك
حتى تأتي بآية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها
في القبة التي كان الوحي ينزل اليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا
فاذا بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من
السحر وذلك قوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره
او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكرناه
في حق موسى وهرون عليهما السلام وآتيناه من الكنوز اي الاموال المدخرة
ما ان مفاتحه اي مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه
وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة
ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة
الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه كما في قوله تعالى
ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ قال له قومه منصوب بتنوء وقيل ببغى
ورد بان البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بان الايتاء ايضا
غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا
بما بعده من قوله تعالى قال انما اوتيته ويكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح
اي لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول

عن ذوبها بها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتماً ولذلك
قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعاً من محبته عز وعلا ان الله
لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ وقرئ واتبع فيما آتاك الله من
الغنى الدار الآخرة اي ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ولا تنس اي لا
تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك واحسن
الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك فيما انعم به عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة
كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي عما كان عليه من الظلم والبغي ان
الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيباً لناصحيه انما اوتيته على علم عندي كأنه يريد به الرد
على قولهم كما احسن الله اليك لانبائه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب
واستحقاق من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه
وعلى علم في موقع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة
وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز
هذا عندي اي في ظني ورأيي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة
واكثر جمعاً توبيخ له من جهة الله عز وجل على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في
التورية وتلقياً من موسى عليه السلام وسماعاً من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ
التورية ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به او رد
لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع
الهالكين ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كان قارون
لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ان ذلك لم يكن مما يختص
باولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على
قومه عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته اما متعلق بخرج او بمحذوف هو
حال من فاعله اي فخرج عليهم كائناً في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج
من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام
وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفاً عليهم المعصفرات
وهو اول يوم رئي فيه المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من المؤمنين جرياً على سنن الجبلة
البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وعن قتادة انهم تمنوه
ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كان المتمنون قوماً كفاراً انه لذو حظ عظيم

تعليل لتمنيهم وتأكيد له وقال الذين اوتوا العلم اي باحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وانما لم
يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيهاً على ان العلم باحوال النشأتين يقتضي الاعراض عن الاولى
والاقبال على الثانية حتماً وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك
شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير مما تمنونه لمن آمن و
عمل صالحاً فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى ولا يلقاها اي هذه الكلمة التي تكلم
بها العلماء او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة
والطريقة الا الصابرون اي على الطاعات وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الارض
روي انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة
فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني
اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طشتاً من ذهب مملوة ذهباً
فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيباً فقال من سرق قطعناه ومن زنى
غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني
اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام ان تصدق فقالت جعل
لي قارون جعلاً على ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجداً لربه يبكي ويقول يا رب ان
كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان
الله تعالى بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون ومن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي
فليعتزله فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم
فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه السلام بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم
لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه
موسى عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان
له من فئة جماعة مشفقة ينصرونه من دون الله بدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين
اي الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح
الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيته لا
لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب
وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك
وان وتقديره ويك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطأ والتندم والمعنى انهم

قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا على ذلك لولا ان منّ الله علينا بعدم اعطائه
ايانا ما تمنيناه واعطانا مثل ما اعطاه اياه وقرئ لولا منّ الله علينا لخسف بنا كما خسف به
وقرئ لخُسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخُسف بنا كقولك
انقطع به وقرئ لتُخُسِّف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما
وُعدوا من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي
سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الارض اي غلبة و
تسلطا ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون وفي تعليق
الموعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد تحذير منهما وعن علي رضي الله تعالى عنه ان الرجل
ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة الحميدة
للمتقين اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال من جاء بالحسنة
فله بمقابلتها خير منها ذاتا ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا
السيئات وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم
الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة
في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك
الى معاد اي معاد وتمتد اليه اعناق الهمم وترنوا اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي
وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى قد وعده وهو بمكة في اذية وشدة
من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ
الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابرهيم عليه السلام فنزل جبرئيل
عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى
وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى
عالم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين
وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله تعالى وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك
الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه اليك
رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي
لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك
اي الكافرون عن آيات الله اي عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وفرضت
عليك وقرئ يُصِدّنك من اصدّ المنقول من صدّ اللازم وادع الناس الى ربك الى

عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور ولا تدع مع الله الها آخر
هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين عن مساعدته عليه السلام لهم واظهار
ان المنهي عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا لا اله
الا هو وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه كائنا ما كان ممكن في حد ذاته
عرضة للهلاك والعدم له الحكم اي القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون عند البعث
للجزاء بالحق والعدل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر
بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت

الم الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظائره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق
به تعلقا اعرابيا احسب الناس الحسبان ونظائره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين
الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء او انتفاء شيء عن شيء بحيث يتحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما في
عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان والواقعة صلة للموصول الاسمي
او الحرفي فان كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا
فتنة لمجرد ان يقولوا آمنا او ان يقال احسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا
متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف
كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الانفس
والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب
اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روي
انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين
وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضه رماه عامر بن الحضرمي
بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة
من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى احسب او بقوله
تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين
الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب

الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكأين من نبي
قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا
الآيات وعن النبي عليه الصلوة والسلام قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه
فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم
وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا اي في قولهم آمنا
وليعلمن الكاذبين في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما ينفصح عنه ما قبلها من
وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة
وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير اي فوالله ليتعلقن علمه
بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون
فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل
المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس
وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين
يعملون السيئات ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم
وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها
من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى
التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسيئاتهم
وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على
المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان
ماله اخلده ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه
حكمهم ذلك من كان يرجو لقاء الله اي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة
حكمه يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه
وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث و
والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل و
قد علم مولاه بجميع ما كان يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او
بضده لما سخطه فان اجل الله الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من
الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت
الذي عينه تعالى لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان

اجزاء الزمان على التقضي والتصرم دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء البتة وإتيان
وفيه موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اي فليختر من الاعمال ما يؤدي الى حسن
الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق امله
ويصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى وهو السميع لاقوال العباد العليم باحوالهم
من الاعمال الظاهرة والعقائد ومن جاهد في طاعة الله عز وجل فانما يجاهد
لنفسه لعود منفعتها اليه ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم وانما
امرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن
عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن
الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا
الانسان بوالديه حسنا اي بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن
لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجري مجرى أمر معنى وتصرفا غير انه
يستعمل فيما كان في المأمور به نفع عائد الى المأمور او غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا
احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي
وقلنا أولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه
وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بالهيته عبر عن
نفيها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف
بما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من
اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار
بان موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية الي مرجعكم اي مرجع
من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بان
اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص
عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان بن امية ان لا تنتقل من الضح الى
الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التي في سورة لقمان
وسورة الاحقاف وقيل نزلت في عياش ابن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر
ابن الخطاب رضه حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل والحارث اخواه لامه اسماء فنزلا بعياش
وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم

ش

ولا اشرب ولا آوي بيتاً حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب واستشارا
عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى
عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب
فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطي لنفسه وله
فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى
ترجع عن دين محمد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة
الراسخين في الصلاح والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول انبياء
الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وقال في حق ابراهيم عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين
وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله اي في شأنه تعالى بان عذبهم
الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اي ما يصيبه من اذيتهم كعذاب الله في الشدة
والهول فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى اصلاً ولئن جاء نصر من
ربك اي فتح وغنيمة ليقولن بضم اللام نظراً الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق
بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اي مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم
وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من
المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي باعلم منهم
بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن
المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق وما لحق من قوله تعالى
وليعلمن الله الذين آمنوا اي بالاخلاص وليعلمن المنافقين سواء كان كفرهم باذية
الكفرة او لا اي ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق وقال الذين كفروا للذين آمنوا
بيان لحملهم للمؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم
بالكفر ههنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جناياتهم وفيما سبق لبيان جناية
من اضلوه واللام للتبليغ اي قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا اي اسلكوا طريقتنا
التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلاً للمسلك
منزلة السالك فيه او اتبعونا في طريقتنا ولنحمل خطاياكم اي ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ
عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين له على امرهم بالاتباع للمبالغة
في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى

وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقرئ من خطيئاتهم اي وما هم بحاملين شيئاً من خطاياهم
التي التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة
اعتراض او حال انهم لكاذبون حيث اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على
انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار
ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وليحملن اثقالهم
بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم
اصلاً والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم
مضمر اي وبالله ليحملن اثقال انفسهم كاملة واثقالا اخر مع اثقالهم لما تسببوا
له بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه شيء ما
اصلاً وليسألن يوم القيامة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون اي يختلقونه
في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه
فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم السلام
باذية اممهم اثر بيان افتتان الانبياء عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان المؤمنين
باذية الكفار تأكيداً للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثاً لهم
على الصبر فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره
وصبروا عليها فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام الفاً وخمسين
عاماً وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفاً واربعمائة سنة ولعل
ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه
ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله عليه
السلام وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة رأي الذين يحسبون
انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير من نوع بشاعة فاخذهم الطوفان
اي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة
من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اي والحال انهم
مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا
عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية فانجيناه اي نوحاً عليه السلام واصحاب
السفينة اي ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين
وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة والقصة

آية للعالمين يتعظون بها وابراهيم نصب بالعطف على نوحاً وقيل باضمار اذكر وقرئ
بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه على الاول ظرف للارسال اي ارسلنا
حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث
حيث تصدى للارشاد والخلق الى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابراهيم اعبدوا الله
اي وحده واتقوه ان تشركوا به شيئاً ذلكم اي ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم
اي مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لا خيرية فيه قطعاً باعتبار زعمهم الباطل ان كنتم تعلمون
اي الخير والشر وتميزون احدهما من الآخر او ان كنتم تعلمون شيئاً من الاشياء بوجه
من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى انما تعبدون من
دون الله اوثاناً بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى
الدين الحق اي انما تعبدون من دونه تعالى اوثاناً هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس
فيها وصف غير ذلك وتخلقون افكاً اي وتكذبون كذباً حيث تسمونها آلهة وتدعون
انها شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير
في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التائين من تخلق بمعنى
تكذب وتخرص وقرئ افكاً على انه مصدر كالكذب واللعب او نعت بمعنى خلقاً ذا افك
ان الذين تعبدون من دون الله بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم
نفعاً لا يملكون لكم رزقاً اي لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئاً من الرزق فابتغوا عند الله
الرزق كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له على نعمائه
متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد اليه ترجعون اي
بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعاً وان تكذبوا
اي تكذبوني فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون بالبعث فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب
اي فلا تضروني بتكذيبهم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث
وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئاً وانما ضروا انفسهم حيث تسبب لما حل
بهم من العذاب فكذا تكذيبهم وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الذي لا يبقى معه شك
وما عليه ان يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم
بعد ذلك اصلاً اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى لانكار
تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها
والواو للعطف على مقدر اي الم ينظروا ولم يعلموا علماً جارياً مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية

خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب
لتشديد الانكار وتأكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى ثم يعيده عطف على يبدئ لعدم
وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياساً على الابداء وقد جوز العطف
على يبدئ بتأويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشأ في السنة السابقة
من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير
ريب ان ذلك اي ما ذكر من الاعادة على الله يسير اذ لا يفتقر فعله الى شيء اصلاً
قل سيروا في الارض امر لابراهيم عليه السلام ان يقول لهم ذلك اي سيروا فيها فانظروا
كيف بدأ الخلق اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبائع متغايرة واخلاق
شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض موقوف بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين
في اقطارها ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي شاهدتموها والتعبير
عن الاعادة التي هي محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة اولى
للتنبيه على انهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسماً من حيث ان كلاً منهما اختراع
واخراج من العدم الى الوجود لا فرق بينهما الا بالاولية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد
وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف
الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اي ينشئ فينشؤون النشأة الآخرة كما في
قوله تعالى وانبتها نباتاً حسناً والجملة معطوفة على جملة سيروا في الارض داخلة معها
في حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدأ الابراز مزيد
الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى ان
الله على كل شيء قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته على جميع الاشياء
التي من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعدما
اخبر به يعذب اي بعد النشأة الآخرة من يشاء ان يعذبه وهم المنكرون لها
حتماً ويرحم من يشاء ان يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم
التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب واليه تقلبون عند ذلك لا
الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة وما انتم بمعجزين له تعالى عن اجراء
حكمه وقضائه عليكم في الارض ولا في السماء اي بالتواري في الارض او الهبوط
في مهاويها ولا بالتحصن في السماء التي هي افسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله
تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا او القلاع الذاهبة

فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اى ولا من في السماء وما لكم من دون
الله من ولى ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء او يدفعه عنكم
والذين كفروا بآيات الله اى بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله
فيدخل فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به وهو الاولى
وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام ولقائه الذي ينطق به تلك الآيات اولئك
الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه يئسوا من رحمتي اى ييأسون منها يوم القيمة
وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او يئسوا منها في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء واولئك
لهم عذاب اليم وفي تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من
الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اى اولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه
وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة
عذاب لا يقادر قدره في الشدة والايلام فما كان جواب قومه بالنصب على انه خبر كان واسمها
قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وقرى بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره
وليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابرهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة
كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي
في المرة الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى فانجاه الله من
النار الفاء فصيحة اى فالقوه في النار فانجاه الله تعالى منها بان جعلها عليه عليه السلام بردا
وسلاما حسبما بين في مواضع أخر وقد مر في سورة الانبياء بيان كيفية القائه عليه السلام
فيها وانجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع اصلا ان في ذلك
اى في انجائه منها لآيات بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها في زمان يسير
وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون
ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون وقال اى ابرهيم عليه السلام مخاطبا لهم انما اتخذتم
من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم
على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف اى اوثانا آلهة ويجوز ان تكون مودة
هو المفعول بتقدير المضاف او بتأويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة مبالغة
اى اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة وقرى مودة منونة
منصوبة ناصبة للظرف وقرئت بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اى
هى مودودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على

ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة
ومضافة بفتح بينكم كما قرى لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرى انما مودة بينكم والمعنى
ان اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا في الحيوة وقد اجريتم احكامه حيث فعلتم بي ما فعلتم
لاجل مودتكم لها انتصارا منى كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم ثم يوم القيمة ينقلب
الامور ويتبدل التواد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم وهم العبدة
ببعض وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضا اى يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان
حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر ومأواكم النار اى هي منزلكم الذي تأوون اليه
ولا ترجعون منه ابدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني
فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اى ما لاحد منكم من ناصر اصلا فآمن له لوط اى
صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر
وما قيل انه آمن له حين راى النار لم تحرقه ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان
الرتبة العالية منها وهى التي لا يرتقى اليها الا همم الافراد الكمل ولوط هو ابن اخته عليهما
السلام وقال انى مهاجر اى من قومي الى ربى الى حيث امرني به انه هو العزيز
الغالب على امره فيمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا
يأمرني الا بما فيه صلاحي وروى انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة
عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب
ولدا ونافلة حين ايس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب
اى جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا
باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء
والصلوة عليه آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين اى الكاملين في الصلاح و
لوطا منصوب اما بالعطف على نوحا او على ابرهيم والكلام في قوله تعالى اذ قال لقومه
كالذي مر في قصة ابرهيم عليه السلام انكم لتأتون الفاحشة اى الفعلة المتناهية
في القبح وقرى ائنكم ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لكمال قبحها
فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع
وتنفر منه النفوس ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة
اى بالفاحشة حيث روى انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل
بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتأتون

فى ناديكم اى تفعلون فى مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها
مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمى بالبنادق
والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش فى المزاح وقيل
السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة فى ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا
بعذاب الله ان كنت من الصادقين اى فما كان جوابا من جهتهم شئ من الاشياء الا هذه الكلمة
الشنيعة اى لم يصدر عنهم فى هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان اوعدهم
فيها بالعذاب واما ما فى سورة الاعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم الآية وما فى سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل
لوط من قريتكم الآية فهو الذى صدر عنهم بعد هذه المرة وهى المرة الاخيرة من مرات المقاولات
الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد مر تحقيقه فى سورة الاعراف قال رب انصرنى اى بانزال
العذاب الموعود على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار
عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب
عليهم ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى اى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا اى لابرهيم
عليه السلام فى تضاعيف الكلام حسبما فصل فى سورة هود وسورة الحجر انا مهلكوا اهل هذه
القرية اى قرية سذوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين
تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم فى فنون الفساد وانواع المعاصى قال ان
فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين عن مكان
لوط عليه السلام فيها بل عمن لم يتعرض له ابرهيم عليه السلام من اتباعه المؤمنين وانهم
معتنون بشأنهم اتم اعتناء حسبما يفصح عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم اى والله لننجينه
واهله الا امرأته كانت من الغابرين اى الباقين فى العذاب او القرية ولما ان جاءت
رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم لابرهيم عليه السلام لوطا سيئ بهم اعتراه المساءة
بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان صلة لتاكيد ما بين الفعلين من الاتصال
وضاق بهم ذرعا اى ضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه
رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير
الذراع وقالوا لما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة
قومه بعد اللتيا والتى حتى آلت به الحال الى ان قال لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن
شديد لا تخف اى من قومك علينا ولا تحزن اى على شئ وقيل باهلاكنا اياهم انا

منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امرأتك كانت من الغابرين وقرئ لننجينه
ومنجوك من الانجاء واياما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف
على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء استئناف مسوق
لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذى يقلق المعذب
اى يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اى من القرية آية بينة هى قصتها العجيبة
وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على
وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو
متعلق اما بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا
فى قصة نوح اى وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا
اليوم الآخر اى توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم من الاعمال
ما تأمنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء
بمعنى الخوف ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة
الشديدة وفى سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام
فانها الموجبة للرجفة بسبب تموجها للهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا فى دارهم اى
بلدهم او منازلهم والافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود
منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اى اهلكنا وقرئ وثمودا بتأويل الحى وقد تبين لكم
من مساكنهم اى وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها
ذهابا الى الشام وايابا منه وزين لهم الشيطان اعمالهم من فنون الكفر والمعاصى فصدهم
عن السبيل السوى الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستدلال
ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم السلام
لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عادا وقيل
تقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما
كانوا سابقين منفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد
ادركهم امر الله عز وجل اى ادراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه
عدم سبقهم بطريق الابهام اى فكل واحد من المذكورين اخذنا بذنبه اى عاقبناه
بجنايته لا بعضه دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل

لا خذ اى ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهو قوم لوط ومنهم من اخذته
الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم
نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته
تع ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع
الكفر والمعاصى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمداً ومتكلاً
كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا
لان له حقيقة وانتفاعا فى الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل
بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب
فى الاستعمال التانيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات واما
العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
حيث لا يرى شئ يدانيه فى الوهن والوهى لو كانوا يعلمون اى شيئا من الاشياء
لجزموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت
عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم
ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شئ على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله
تع وما استفهامية منصوبة بتدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة
وشئ مفعول تدعون او مصدرية وشئ عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم
ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ يدعون بالياء والكلام على الاولين تجهيل
لهم وتاكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان
اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر
القاهر على كل شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وان
من هذه صفاته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اى هذا المثل وامثاله نضربها
للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها على ما هى عليه من الحسن واستتباع
الفوائد الا العالمون الراسخون فى العلم المتدبرون فى الاشياء على ما ينبغى وعنه
صلى الله تعالى عليه وسلم انه تلى هذه فقال العالم من عقل عن الله تع وعمل بطاعته واجتنب
سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اى محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه
حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذى لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية
على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على

شئونه

شئونه تع المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تع ان فى ذلك لآية للمؤمنين
دالة لهم على ما ذكر من شئونه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية
والارشاد فى خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك اتل ما اوحى اليك من الكتاب
تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما فى تضاعيفه من المعانى وتذكيراً للناس وحملاً
لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق واقم الصلوة
اى داوم على اقامتها وحيث كانت الصلوة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة
بالجماعة وكان امره عليه السلام باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه قيل وصل بهم ان الصلوة تنهاهم
عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله
تع فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلى عن معاصيه قال ابن مسعود
وابن عباس رضى الله تع عنهم فى الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصى الله تعالى
فمن لم يامره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله تع الا بعداً
وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فصلوته وبال عليه وروى
انس رضه ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع
شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام حاله فقال ان صلوته ستنهاه
فلم يلبث ان تاب وحسن حاله ولذكر الله اكبر اى وللصلوة اكبر من سائر
الطاعات وانما عبر عنها به كما فى قوله تع فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من
ذكر الله تع هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر
الله تع عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فى الزجر عنهما وقيل
ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن
سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود و
النصارى الا بالتى هى احسن اى بالخصلة التى هى احسن كمقابلة الخشونة باللين
والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على وجه لا يدل على الضعف ولا
يؤدى الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ بآية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط
فى الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب ح
المدافعة بما يليق بحالهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا من القرآن وانزل اليكم
اى وبالذى انزل اليكم من التورية والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما فى خاتمة

سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله
وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد
لا شريك له في الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك تجريد للخطاب الى رسول الله عليه الصلوة
والسلام وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار
اليه في الفضل اي مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب انزلنا اليك
الكتاب اي القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى فالذين
آتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل
الكتابين خاصة كان من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد
الرسول صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما
وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم
به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء اي ومن العرب او اهل مكة على الاول
او ممن في عصره عليه السلام على الثاني من يؤمن به اي بالقرآن وما يجحد بآياتنا عبر عن
الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت
الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها الا الكافرون المتوغلون في الكفر
المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم
كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله اي ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب
تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب ولا تخطه ولا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد
او ما كانت عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يقدر
على التلاوة والخط او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث
لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير
المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه السلام عن ذلك
بل هو اي القرآن آيات بينات واضحات ثابتة راسخة في صدور الذين اوتوا العلم
من غير ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد بآياتنا مع
كونها كما ذكر الا الظالمون المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد وقالوا
لولا انزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ

آية قل انما الآيات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لاحد في ذلك قطعا وانما انا
نذير مبين ليس من شأني الا الانذار بما اوتيت من الآيات اولم يكفهم كلام مستأنف وارد
من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي أقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات انا انزلنا عليك الكتاب
الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها و
ممارستها يتلى عليهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما
تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم من
نعتك ونعت دينك ان في ذلك الكتاب العظيم الشأن الباقي على مر الدهور لرحمة
اي لنعمة عظيمة وذكرى اي تذكرة لقوم يؤمنون اي لقوم همتهم الايمان لا التعنت
كاولئك المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم
الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بما صدر عني وعنكم يعلم ما
في السموات والارض اي من الامور التي من جملتها شأني وشأنكم فهو تقرير لما قبله
من كفايته تعالى شهيدا والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله تعالى
وكفروا بالله مع تعاضد موجبات الايمان به اولئك هم الخاسرون المغبونون في
صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية
الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتي هي احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان
بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما في قوله تعالى وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم
متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا حجارة او ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا اجل مسمى
قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح لجاءهم العذاب المعين لهم حسبما استعجلوا به
قيل المراد بالاجل يوم القيمة لما روي انه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا يعذب قومه بعذاب الاستيصال وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر
وقيل وقت فنائهم بآجالهم وفيه بعد ظاهر لما انهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا
كانوا يستعجلون به وليأتينهم جملة مستأنفة مبينة لما اشير اليه في الجملة السابقة
من مجيء العذاب عند محل الاجل اي وبالله ليأتينهم العذاب الذي عين لهم عند حلول
الاجل بغتة اي فجأة وهم لا يشعرون اي باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك انه

لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسؤلهم فان ذلك اتيان برايهم
وشعورهم لانه يأتيهم وهم قارون آمنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات
النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب
الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب وان جهنم
لمحيطة بالكافرين استيناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رايهم وفيه دلالة على
ان ما استعجلوه عذاب الآخرة اي يستعجلونك بالعذاب والحال ان محل العذاب الذي
لا عذاب فوقه محيط بهم كانه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اي سيحيط
بهم وانما جيء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها او تنزيلا لحال السبب
منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر
والمعاصي هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله
في سورة الاعراف عند قوله والوزن يومئذ الحق ولام الكافرين اما للعهد ووضع
الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا يوم يغشاهم
العذاب ظرف لمضمر قد طوي ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كانه قيل يوم يغشاهم
العذاب الذي اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي به
المقال وقيل ظرف للاحاطة من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي من جميع جهاتهم و
يقول اي الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة او بعض الملائكة بامره ذوقوا
ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من
جملتها الاستعجال بالعذاب يا عبادي الذين آمنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين
الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وارشاد
لهم الى الطريق الاسلم ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة
في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه السلام
من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم
ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا
العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول
مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم الينا
ترجعون جملة مستأنفة جيء بها حثا على المسارعة في الامتثال بالامر اي كل نفس من
النفوس واجدة مرارة الموت وكربه فراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالها فمن

كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا اي علالي وهو مفعول ثان للتبوئة
وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا حينئذ اما باجرائه مجرى لننزلنهم
او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك
المستقيم تجري من تحتها الانهار صفة لغرفا خالدين فيها اي في الغرف
او في الجنة نعم اجر العاملين اي الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة
بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم الذين صبروا اما صفة للعاملين او نصب على المدح
اي صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم
يتوكلون اي ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى وكاين من دابة لا تحمل
رزقها روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى
المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت اي وكم من دابة لا تطيق حمل
رزقها لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها
مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى
لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة وهو السميع
المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا العليم المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم ولئن سألتهم اي
اهل مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله اذ لا سبيل لهم الى
انكاره ولا الى التردد فيه فانى يؤفكون انكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل
بموجبه اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى
فيما ذكر من الخلق والتسخير الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له من عباده ويقدر له اي
يقدر لمن يشاء ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر
لمن يبسط له على التعاقب ان الله بكل شيء عليم فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسط
له ومن يليق بقدره له فيقدر له او فيعلم ان كلا من البسط والقدر في اي وقت يوافق الحكمة
والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض
من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم
يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على شيء ما اصلا قل الحمد لله
على ان جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وان اظهر حجتك عليهم وقيل على ان عصمك
من امثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده بل اكثرهم لا يعقلون اي شيئا من الاشياء

فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه وتعالى اخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون
ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف
لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة
ما سقى الكافر منها شربة ماء الا لهو ولعب اى الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون
عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه وان الدار الاخرة لهى الحيوان اى لهى دار الحيوة
الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها او هى فى ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان
مصدر حيى سمى به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا ولما فى بناء فعلان
من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحيوة فى هذا المقام المقتضى
للمبالغة لو كانوا يعلمون اى لما اثروا عليها الدنيا التى اصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث
فيها من الحيوة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال فاذا ركبوا فى الفلك
متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه
كما فى قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله ههنا وفى امثاله بكلمة فى للايذان
بان المركوب فى نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر فى سورة هود والمعنى
انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا فى البحر ولقوا شدة دعوا الله مخلصين له
الدين اى كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى
لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اى فاجؤا
المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا اى يفاجئون الاشراك ليكونوا كافرين
بما آتيناهم فسوف يعلمون اى عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب اولم يروا
اى الم ينظروا ولم يشاهدوا انا جعلنا اى بلدهم حرما آمنا مصونا عن النهب والتعدى
سالما اهله من كل سوء ويتخطف الناس من حولهم اى والحال انهم يختلسون من حولهم اى والحال
انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب افبالباطل
يؤمنون اى ابعد ظهور الحق الذى لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق وبنعمة
الله يكفرون وهى المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة فى الموضعين
لاظهار كمال شناعة ما فعلوا ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا
اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفى الاظلم من غير تعرض لنفى المساوى وقد مر
مرارا وكذب بالحق لما جاءه اى بالرسول او بالقرآن وفى لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم
يتاملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب آثر ذى اثير اليس فى جهنم مثوى للكافرين

تقرير لثوائهم فيها كقول من قال الستم خير من ركب المطايا اى الا يستوجبون الثواء
فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح او انكار واستبعاد
لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اى الم يعلموا ان فى جهنم
مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا اى فى شاننا ولوجهنا
خالصا اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا سبل
السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله
تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
وان الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة وعنه عليه السلام من قرأ سورة
العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين تم

سورة الروم

الم الكلام فيه كالذى مر فى امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم فى ادنى الارض اى
ادنى ارض العرب منهم اذ هى الارض المعهودة عندهم وهى اطراف الشام او فى ادنى ارضهم
من العرب على ان اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هى ارض الجزيرة وهى ادنى ارض
الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ فى ادنى الارض وهم اى
الروم من بعد غلبهم اى من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهى لغة كالجلب والجلب
سيغلبون اى سيغلبون فارس فى بضع سنين روى ان فارس غزوا الروم
فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون
وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل الكتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا
على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضى الله عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم
على فارس بعد بضع سنين فقال له ابى بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك
عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فاخبر به ابو بكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر ومادّه فى
الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت
الروم على فارس عند راس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين
فاخذ ابو بكر رضى الله تعالى عنه الخطر من ذرية ابى فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحته

النبوة وكون القرآن من عند الله تعالى حيث اخبرت عن الغيب الذى لا يعلمه الا العليم الخبير
وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت
على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون فى السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم
فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد اى فى اول الوقتين وفى
آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين ومن بعد كونهم مغلوبين
وهو وقت كونهم غالبين والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين اولا وغالبين اخرا ليس
الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من
غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ اى
يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم يفرح المؤمنون
بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار
مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله اظهار صدق
المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى
انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهما
شوكة الآخر وفى ذلك قوة وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه وافق ذلك
يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو
الانسب لقوله تعالى ينصر من يشاء اى من يشاء ان ينصره من عباده على عدوه
ويغلبه عليه فانه استئناف مقرر لمضمون قوله لله الامر من قبل ومن بعد وهو
العزيز البالغ فى العزة والغلبة فلا يعجزه من شاء ان ينصر عليه كائنا من كان
الرحيم المبالغ فى الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اى فريق كان والمراد بالرحمة
هو الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر لما ان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة
الاخروية واما على القراءة الاخيرة فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد
ههنا نصرهم الذى هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه فى
الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله فى معنى الوعد كانه قيل وعد
الله وعدا لا يخلف الله وعده اى وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة
الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم فى موضع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة
استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف
كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى ما سبق من

شئونه يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهو ما يشاهدونه منها من زخارفها وملاذها
وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم
عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فانهما ليسا مما علموه منها بل
من افعالهم المترتبة على علمهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة
كما توهم اى يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا وهم عن الآخرة التى هى الغاية
القصوى والمطلب الاسنى هم غافلون لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا
ما يؤدى الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سياتى والجملة معطوفة
على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير
للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم
عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور
ادراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون احوالها التى هى من مبادى العلم بامور الآخرة
واشعارا بان العلم المذكور وعدم العلم رأسا سيان اولم يتفكروا انكار
واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحيوة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى فى انفسهم ظرف للتفكر و
ذكره مع استحالة كونه فى غيرها لتحقيق ولتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى ما خلق
الله السموات والارض وما بينهما الخ متعلق اما بالعلم الذى يؤدى اليه التفكر و
يدل عليه او بالقول الذى يترتب عليه كما فى قوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض
ربنا ما خلقت هذا باطلا اى اعلموا ظاهر الحيوة الدنيا فقط او قصروا النظر عليه
ولم يحدثوا التفكر فى قلوبهم فيعلموا انه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التى هم
من جملتها ملتبسة بشئ من الاشياء الا ملتبسة بالحق او يقولوا هذا القول
معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق ان يثبت
لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذى هو استشهاد
المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل و
وحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالعبودية وصحة اخباره التى من جملتها
احياؤهم بعد الفناء بالحيوة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم عندما تبين المحسن من
المسئ وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم
واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب فى المصنوعات من الآيات والدلائل

والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك
فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود وقوله تعالى واجل مسمى عطف على الحق اي وباجل
معين قدره الله تعالى لبقائها لابد لها من ان تنتهي اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة
هذا وقد جوز ان يكون قوله تعالى في انفسهم صلة للتفكر على معنى اولم يتفكروا في انفسهم
التي هي اقرب المخلوقات اليهم وهم اعلم بشؤونها واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها
فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال
وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى
الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير
وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر معاد الانسان ومجازاته
بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة
الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الاجراء تعكيس للامور فتدبر وقوله تعالى
وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم
غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن احوال الآخرة والاعراض عن الافكار فيما
يرشدهم الى معرفتها في خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم
منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث اولم يسيروا توبيخ لهم بعدم
اتعاظهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير المنفي
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا في
الارض وقوله تعالى فينظروا عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ
والمعنى انهم قد ساروا في اقطار الارض وشاهدوا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى كانوا اشد منهم قوة الخ
بيان لمبدأ احوالهم ومآلها يعني انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحيوة الدنيا حيث
كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وغير ذلك وعمروها اي عمرها اولئك بفنون العمارات
من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها اكثر مما عمروها اي عمارة
اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط

لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف
حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتقلب في اكناف الارض
باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجؤن الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس
وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم
اي فكذبوهم فاهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك
بالظلم مع ان اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة اهل
السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه
تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان
اجترؤا على اقتراف ما يوجبه من المعاصي العظيمة ثم كان عاقبة الذين اساؤا اي
عملوا السيئات ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم
السوأى اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وافظعها التي هي العقوبة بالنار فانها تأنيث
الاسوأ كالحسنى تأنيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها
نفس السوء وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو
ادخل في الجزالة وقوله تعالى ان كذبوا بآيات الله علة لما اشير اليه من تعذيبهم
الدنيوي والاخروي اي لان كذبوا او بان كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم السلام
ومعجزاتهم الظاهرة على ايديهم وقوله تعالى وكانوا بها يستهزؤن عطف على كذبوا
داخل معه في حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده
هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل الله يبدأ الخلق اي ينشئهم ثم
يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه ترجعون للموقف للحساب والجزاء
والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم الساعة التي هي
وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه يبلس المجرمون اي يسكتون متحيرين لا ينبسون
يقال ناظرته فابلس اذا سكت وآيس من ان يحتج وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا
افحمه واسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تعالى
كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا
وكانوا بشركائهم كافرين اي بآلهتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه امرهم
وصيغة الماضي للدلالة على تحقيقه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك
اذ ليس في الاخبار به فائدة يعتد بها ويوم تقوم الساعة اعيد لتهويله وتفظيع

مايقع فيه وقوله تعالى يومئذ يتفرقون تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق
يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم
ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم الى
فريق المؤمنين والكافرين كما في قوله فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب
وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون تفصيل وبيان
لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها
للتفخيم والمراد بها الجنة والحبر السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة
كل نعمة حسنة والتعبير التحسين واختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن
كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي فقال يا
رسول الله هل في الجنة من سماع قال عليه السلام يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار
من كل بيضاء خوصانية تتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال
الراوي فسألت ابا الدرداء بما تتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس
من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتحرك تلك الاجراس
باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها هذه
الآيات الناطقة بما فصل ولقاء الآخرة صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات
للاعتناء بامره وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
من الكفر والتكذيب بآياته تعالى وبلقاء الآخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم
وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للاشعار ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بما فصل من القبائح في العذاب
محضرون على الدوام لا يغيبون عنه ابدا فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اثر ما بين حال فريقي المؤمنين
العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب
أمروا بما ينجي من الثاني ويفضي الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشأنه
سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقدم الاول على الثاني كما ان التخلية متقدمة
على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اي نزهوه
عما ذكر سبحانه اي تسبيحه اللائق به في هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد

له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض في معنى الامر به على ابلغ وجه وآكده
وتوسيطه بين اوقات التسبيح للاعتناء بشأنه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ
عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال
حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كان مثل زبد البحر وقوله
عليه السلام من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيمة
بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله عليه السلام كلمتان خفيفتان على اللسان
ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات و
الاحاديث وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من آيات قدرته
تعالى واحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده
حتما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل
وتغيير الاسلوب لما انه لا يجئ منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح
والظهيرة ولعل السر في ذلك انه ليس من الاوقات التي تختلف فيها احوال الناس
وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة
فان كلا منها وقت تتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا اما في المساء والصباح فظاهر واما
في الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما قرر في سورة النور
وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتمالها عليهما وقد روي عن ابن عباس ان الآية
جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوات الفجر وعشيا
صلوة العصر وحين تظهرون صلوة الظهر وكذلك ذهب الحسن الى انها مدنية اذ كان يقول
ان الواجب بمكة ركعتان في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت
بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي آخر من خمس صلوات كل يوم وليلة على النبي صلى الله عليه وسلم
من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه
عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون
ادرك ما فاته في يومه ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا
تصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطير من البيضة ويخرج الميت
من الحي النطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها
وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا
نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده ومن آياته الباهرة الدالة على انكم تبعثون

لا يجي من العشي الفعل بمعنى الدخول في العشي

دلالة اوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم اظهر من دلالة الاخراج الحي من الميت
واخراج الميت من الحي ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها ان خلقكم اي في ضمن
خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام منطو على خلق ذرياته انطواء اجماليا
من تراب لم يشم رايحة الحيوة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم وصفاتكم
ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في
الارض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة الآية ومن آياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء
ان خلق لكم اي لاجلكم من انفسكم ازواجا فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع آدم عليه
السلام متضمن لخلقهن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق
لقوله تعالى لتسكنوا اليها اي لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي
التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر وجعل بينكم اي بين
اما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف
المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل او بين افراد
الجنس اي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى مودة ورحمة فان المراد بهما ما كان منهما
بعصمة الزواج قطعا اي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون
بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم قيل المودة والرحمة من قبل
الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة
منا ان في ذلك اي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة
والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد منزلته لآيات
عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف تلك الافاعيل
المتينة المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان
ما ذكر ليس بآية فذة كما ينبئ عنه قوله ومن آياته بل هي مشتملة على آيات شتى ومن
آياته الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتعلق به من الجزاء خلق السموات والارض
اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة
على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده
كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف السنتكم اي

لغاتكم بان علم كل صنف لغة او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم
واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه والوانكم
بياض الجلد وسواده وتوسط فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها
وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى ان التوأمين مع توافق موادهما
واسبابهما والامور الملاقية لهما في جميع حلية التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة
وان كانا في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والارض
مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم
للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم ان في ذلك اي فيما
ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان لآيات عظيمة في انفسها
كثيرة في عددها للعالمين اي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون
وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة
ومن آياته منامكم بالليل والنهار لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية
وابتغاؤكم من فضله فيهما فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوين وان كان
الاغلب وقوع الاول في الاول والثاني في الثاني او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد
والموافق لسائر الآيات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين
الاخرين لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان
في ذلك لآيات لقوم يسمعون اي شأنهم ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث
يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى ومن آياته يريكم
البرق الفعل اما مقدر بأن كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى اي ان
احضر او منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وهو
على حاله صفة لمحذوف اي آية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت
واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها واخرى ابتغي فيها او ومن آياته
شيء او سحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم
ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق يستلزم رؤيتهم
اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع او على تأويل الخوف
والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال نحو كلمته شفاها
وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها

ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فانها من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل عند
استعماله في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ومن آياته ان تقوم السماء والارض
بامره اي بارادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي
والاسباب وليس المراد باقامتهما انشاءهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق
السموات والارض ولا اقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما
وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما
واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تعالى فيما قبل ما خلق الله السموات والارض
الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة
بالبعث في الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر ايضا فقيل ثم اذا دعاكم
دعوة من الارض اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده
بعد انقضاء اجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كما قيل
كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض على هيئاتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره
الله تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم اي بعد انقضاء الاجل وانتم في قبوركم دعوة
واحدة بان قال ايها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ
يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال
دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وله من
في السموات والارض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك
بوجه من الوجوه كل له قانتون اي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شان من شؤونه
تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد
لما بعده من قوله تعالى وهو اهون عليه اي بالاضافة الى قدركم والقياس على
اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة
لما انها مأولة بان يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشاء
بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب
الذي لا بد من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل
من التحصيل اذ ليس المراد باهونية الفعل اقربيته الى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية للفعل
الى ايجاده وفق اقتضائها التعلق قدرته به بل اسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته
بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب

او بطريق الاختيار وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى العجيب الشان من القدرة العامة
والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن
فسره بقوله لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية في السموات والارض
متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى انه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على السنة
الخلائق والسنة الدلائل وقيل متعلقة بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل او من
ضميره في الاعلى وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن واعادته الحكيم الذي
يجري الافعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم مثلا يتبين به بطلان الشرك من
انفسكم اي منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها دلالة
على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى هل لكم الى آخره تصوير للمثل
اي هل لكم مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وما
يجري مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتاكيد
النفي المستفاد من الاستفهام بقوله تعالى فانتم فيه سواء تحقيق لمعنى الشركة وبيان
لكونهم وشركائهم متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على ان هناك محذوفا معطوفا
على انتم لانه عام للفريقين بطريق التغليب اي هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم امثالكم
في البشرية واحكامها ان يشاركوكم فيما رزقناكم وهو معار لكم فانتم وهم فيه سواء شرع يتصرفون
فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم تخافونهم خبر آخر لانتم او حال من ضمير الفاعل
في سواء اي تهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه بدون رايهم كخيفتكم انفسكم اي كخيفة
كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية
اي لا ترضون بان يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم وهم امثالكم في البشرية غير مخلوقين
لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه
بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه كذلك اي مثل ذلك التفصيل الواضح
نفصل الآيات اي نبينها ونوضحها لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة
بصورة المحسوس وابراز لاوابد المدركات على هيئة المأنوس فيكون في غاية الايضاح
والبيان لقوم يعقلون اي يستعملون عقولهم في تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم
تفصيل الآيات للكل لانهم المنتفعون بها بل اتبع الذين ظلموا اعراض عن مخاطبتهم
ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة
وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كانه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة بل اتبعوا اهواءهم

الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم في ذلك الاتباع ظالمون
واضعون للشي في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بغير علم
اي جاهلين ببطلان ما اتوا منكبين عليه لايلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم
اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه فمن يهدي من اضل الله اي خلق فيه الضلال لصرف اختياره
الى كسبه اي لايقدر على هدايته احد وما لهم اي لمن اضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى
من ناصرين يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد منهم
ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع فاقم وجهك للدين تمثيل لاقباله على الدين
واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب اسبابه فان من اهتم بشي محسوس بالبصر عقد عليه
طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه اي فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا
وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله الفطرة الخلقة
وانتصابها على الاغراء اي الزموا او عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله
تعالى منيبين والافراد في اقم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الامة فامره عليه السلام
مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل
الشياطين وقيل على المصدر اي فطر الله فطرة وقوله تعالى الذي فطر الناس عليها صفة لفطرة
الله موكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم
للحق وتمكنهم من ادراكه او عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم
لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين
الانس والجن ومنه قوله عليه السلام حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم
عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون
ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للامر بلزوم فطرة
تعالى او لوجوب الامتثال به اي لا صحة ولا استقامة لتبديله للاخلال بموجبه وعدم ترتيب
مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشياطين وقيل لا يقدر احد على ان يغيره فلا بد
حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها رأسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير
مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع
قطعا فالتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة متحققة في كل احد فلابد من لزومها بترتيب
مقتضاها عليها وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك
اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء او الى

الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتاويل المذكر او باعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي
لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه صدودا منيبين اليه حال من
الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لعمومه الامة حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض
اي راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقوله تعالى واتقوه اي من مخالفة
امره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين
المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين باعادة
الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال
التحذير عن الانتماء الى حزب من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ
فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا اي فرقا تشايع كل منها امامها
الذي اضلها كل حزب بما لديهم من الدين المعوج المؤسس على الرأي الزائغ والزعم الباطل
فرحون مسرورون ظنا منهم انه حق وانى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو الظرف
المتقدم اعني من الذين فرقوا ولا يخفى بعده واذا مس الناس ضر اي شدة دعوا
ربهم منيبين اليه راجعين من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة
اذا فريق منهم بربهم الذي كانوا دعوه منيبين اليه يشركون اي فاجأ فريق منهم الاشراك
وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم
مقتصد اي مقيم على طريق القصد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ليكفروا بما آتيناهم
اللام فيها للعاقبة وقيل للامر التهديدي كقوله تعالى فتمتعوا غير انه التفت فيه للمبالغة
وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات
الى الغيبة في قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم
بطريق المباثة سلطانا اي حجة واضحة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو
يتكلم تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون
واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا واشرا لا حمدا وشكرا
وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤا
القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون اولم يروا اي الم ينظروا اولم يشاهدوا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى

حقه من الصلة والصدقة وسائر المبرات والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه فالخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم اولمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله
ذاته او جهته ويقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى
واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربوا
زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اي غشيتموه اي رهقتموه من
اعطاء ربوا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكوا في اموالهم فلا يربوا عند الله اي لا
يبارك فيه وقرئ لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم من زكوة تريدون
وجه الله اي تبتغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك هم المضعفون اي ذووا الاضعاف
من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم
واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
اثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام
وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه
تنزيهه عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون وقد جوز ان يكون الموصول
صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى و
الثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيد التعميم المنفي وكل منها
مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب
والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او
الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ البحور بما كسبت ايدي الناس بشوم
معاصيهم او بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفي البحر بان جلندى كان ياخذ
كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا اي بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام
للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا آثارهم كان اكثرهم مشركين
استيناف للدلالة على ان ما اصابهم بفسق الشرك فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم وما
دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم اي البليغ الاستقامة من قبل
ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر احد على رده من الله متعلق بياتي او بمرد لانه مصدر
والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اصله

اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة
ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين
للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيمهدون او يصدعون
وقيل بيمهدون اي يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزي كلا منهما بحسب اعمالهم
وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في معرض الغاية وعبر عنه
بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الآخر بقوله
تعالى انه لا يحب الكافرين فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع
للعقوبة لا محالة ومن آياته ان يرسل الرياح اي الشمال والصبا والجنوب فانها
رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته
وهي المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو
مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل
ليبشركم بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا و
كذا ارسلها لا لامر آخر لا تعلق له بمنافعكم ولتجري الفلك بسوقها بامره ولتبتغوا
من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم كما ارسلناك الى قومك فجاؤهم بالبينات
اي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء في قوله تعالى
فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم
الموصول للتنبيه على مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان
حقا علينا نصر المؤمنين مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على
على الله ان ينصرهم واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا
على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق
وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب
الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة
بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام الله الذي يرسل
الرياح استيناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا
فيبسطه متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء سائرا او واقفا مطبقا وغير مطبق

من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة اخرى اى قطعا وقرئ بسكون
السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج
من خلاله فى التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده اى بلادهم واراضيهم
اذا هم يستبشرون فاجاؤا الاستبشار بمجئ الخصب وان كانوا ان مخففة من
ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف اى وان الشان كانوا من قبل ان ينزل عليهم
اى المطر من قبله تكرير للتاكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم
منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون
وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل
ليفيد سرعة تقلب قلوبهم من اليأس الى الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب
زمانيهما ببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية
لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اى آيسين فانظر الى آثار رحمة الله المترتبة
على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه
وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيى اى الله تعالى الارض بعد موتها فى حيز النصب
بنزع الخافض وكيف معلق لانظر اى فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل
على الحالية بالتأويل وايا ما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة
رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ تحيى بالتأنيث على الاسناد
الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الذى ذكر شؤونه لمحى الموتى لقادر على احيائهم
فانه احداث لمثل ما كان فى موادّ ابدانهم من القوى الحيوانية كما ان احياء الارض احداث
لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شئ قدير
تذييل مقرر لمضمون ما قبله اى مبالغ فى القدرة على جميع الاشياء التى من جملتها احياؤهم
لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه اى الاثر المدلول عليه بالآثار
او النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان
يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام فى لئن موطئة
للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء فى فرأوه فصيحة واللام فى قوله تعالى لظلوا لام
جواب القسم الساد مسد الجوابين اى وبالله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت
زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم
بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفى الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب

عليهم ان يتوكلوا على الله فى كل حال ويلجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم المطر ولا ييأسوا
من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا فى الاستبشار
وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم
واتوا بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه
على انهم جامعون لخصلتى السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء له ولو كان
فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من
اوضاعه وحركاته لشئ من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه اصلا فلا يكاد يفهم
منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهاد العمى عن ضلالتهم سموا عميا اما لفقد
المقصود الحقيقى من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدى العمى ان تسمع اى ما تسمع
الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من يشارف
الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لائقا فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به من الحق الله
الذى خلقكم من ضعف مبتدأ وخبر اى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم
كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اى خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد
ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة اذا اخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد فى الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضى الله
عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر
والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتأخر يخلق ما يشاء من الاشياء التى من
جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ فى العلم والقدرة
فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة
اى القيمة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة
وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا اى فى القبور
او فى الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتى وليس لبثهم فى
الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين
فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم
اهى اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا
او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون فى الدنيا عن

الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملئكة والانس لقد
لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه وعينه او في اللوح او القرآن وهو قوله
ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وايدوه باليمين كانهم
من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون
انه يكون بعد فناء الخلق كافة ويقدرون كذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوه والحقه فرد
العالمون مقالتهم ونبهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها
ويبكتونهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي كنتم توعدون في
الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق فتستعجلون بها استهزاء والفاء جواب شرط محذوف
كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسان فيومئذ
لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم وقرئ تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان
توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم
من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني
فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي بينا لهم كل حال ووصفنا
لهم كل صفة كانها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين
يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم ولئن
جئتهم باية من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط عتوهم
وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان انتم
الا مبطلون اي مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها
وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر
على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك
بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك
لا يحملنك على الخفة الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم اياها
وايذائهم لك باباطيلهم التي من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا
يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون المخففة وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق اي لا
يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين وايا ما كان فنظام النظم الكريم وان
كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه لكونه في الحقيقة نهيا له عليه السلام عن التاثر

من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن
قوم على ان لا تعدلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع يومه وليلته

سورة لقمان

الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو
وصف له بنعته تعالى والاصل الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا
اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب
على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئا بالرفع على انهما خبران آخران
لاسم الاشارة او لمبتدأ محذوف للمحسنين اي العاملين الحسنات فان اريد
بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله الالمعي الذي يظن
بك الظن كان قد رأى وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث
بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة
كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل
مرهوب لحيازتهم قطري العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة
بما لا مزيد عليه ومن الناس محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف
ومن في قوله من يشتري لهو الحديث موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية
والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يشتري او فريق يشتري على ان مناط
الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات
اولئك المذكورين كما مر في قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآية
ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير
التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى
من التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك
وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا

ويقول ان كان محمد عليه السلام يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم
واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد
الاسلام ومنعه منه ليضل عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل اليه تعالى او عن قراءة
كتابه الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليثبت ويستمر على ضلاله او يزداد
فيه بغير علم اي بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض و
يتخذها بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام
والقرآن اي ويتخذها هزوا مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري وقوله
تعالى اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار
لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في
الشرارة اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال لهم عذاب مهين لما
اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس عنه واذا تتلى عليه اي على
المشتري افرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الاول باعتبار لفظة من بعد ما جمع فيما
بينهما باعتبار معناها آياتنا التي هي آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين ولى
اعرض عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا في التكبر كان لم يسمعها حال من ضمير ولى
او من ضمير مستكبرا والاصل كانه مخفف في ضمير الشان وخففت المثقلة اي مشبها حاله حال
من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها
من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كانك لم تجزع على ابن طريف
كان في اذنيه وقرا حال من ضمير لم يسمعها اي مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز
ان يكونا استئنافين وقرئ في اذنيه بسكون الذال فبشره بعذاب اليم اي فاعلمه بان العذاب
المفرط في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بيان لحال المؤمنين بآيات الله تعالى اثر بيان الكافرين بها اي الذين آمنوا بآياته وعملوا بموجبها
لهم بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم جنات النعيم اي نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة
خبر ان والاحسن ان يجعل لهم هو الخبر لان جنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى خالدين
فيها حال من الضمير في لهم او من جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق
به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله تعالى
لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا
فدل على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي

يعلمه

لا يغلبه شيء ليمنعه من انجاز وعده او تحقيق وعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة
والمصلحة خلق السموات بغير عمد الخ استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه
على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره
وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اي يسند
يقال عمدت الحائط اذا دعمته اي بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى
ترونها استئناف جيء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم
لها كذلك او صفة لعمد اي خلقها بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها
بعمد لا ترى هي عمد القدرة والقى في الارض رواسي بيان لصنعه البديع في قرار
الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات اي القى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه
من الكلام في سورة الرعد اي تميل بكم كراهة ان تميد بكم فان بساطة اجزائها تقتضي
تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز
معين ووضع مخصوص وبث فيها من كل دابة من كل نوع من انواعها وانزلنا
من السماء ماء هو المطر فانبتنا فيها بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف
كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما هذا
اي ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة خلق الله اي مخلوقه
فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى
استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني
متعلق به وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل
عليهم بالضلال البين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة
لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتأثروا من الالزام
والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشراكهم واضعون
للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحد وظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد
ولقد آتينا لقمان الحكمة كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن
باعورا من اولاد آزر ابن اخت ايوب عليه السلام او خالته وعاش حتى ادرك داود
عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل و
الجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية
باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها

ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يساله عنها فلما اتمها لبسها
فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام
بحق ما سميت حكيما وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه
فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى
باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله
عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ومعنى ان اشكر الله
اي اشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان ايتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى
ومن يشكر الخ استيناف مقرر لمضمون ما قبله موجب الامتثال بالامر اي ومن يشكر له تعالى
فانما يشكر لنفسه لان منفعته التي هي ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها
ومن كفر فان الله غني عن كل شيء فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد
حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال
وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما ان الحمد متضمن للشكر بل هو راسه كما قال عليه السلام
الحمد راس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعا واذ قال لقمان
لابنه انعم وقيل ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان الياء
وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك
جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي او للانتهاء عن الشرك ووصينا
الانسان بوالديه الخ كلام مستانف اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصية لقمان تأكيدا
لما قبلها من النهي عن الشرك وقوله تعالى حملته امه الى قوله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر
وقوله تعالى وهنا حال من امه اي ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تهن وهنا
وقوله تعالى على وهن صفة للمصدر اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها
لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن
يوهن وهنا وفصاله في عامين اي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي
وعند ابي حنيفة رحمهما الله هي ثلاثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ وفصله
ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية ولذلك قال
عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير تعليل لوجوب الامتثال
بالامر اي الي الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر وان جاهداك
على ان تشرك بي ما ليس لك به اي بشركته له تعالى في استحقاق العبادة علم فلا تطعهما

في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه المروة
واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم اي مرجعك
ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي
كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى يا بني الخ شروع في حكاية بقية وصايا
لقمان اثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتاكيده بالاعتراض انها ان تك
مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة والاحسان ان تك مثلا في الصغر
كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتانيث لاضافة المثقال
الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة والسيئة فتكن
في صخرة او في السموات او في الارض اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر والقماءة
في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في عالم العلوي او السفلي يأت بها
الله اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير بكنهه و
بعد ما امره بالتوحيد الذي هو ما وجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه
على كمال علم الله تعالى وقدرته امره بالصلوة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل
بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر
بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد والمحن لا سيما
فيما امرت به ان ذلك اشارة الى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الفضل من عزم الامور اي مما عزمه الله تعالى
وقطعه على عباده من الامر لمزيد مزيتها مصدر اطلق على المفعول وقد جوز ان يكون بمعنى
الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من
الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته ولا تصعر خدك للناس اي لا تمله ولا
تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير
فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل
علاه وعالاه واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال
او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله لا يحب
كل مختال فخور تعليل للنهي او موجبه وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال
وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح
فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول

عايشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرى
بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص
منه واقصر ان انكر الاصوات اي اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه واكده
مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير
عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد
ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجمع حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا
الجنس من بين اصوات ساير الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات
وما في الارض رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين و
توبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه من مشاهدتهم لدلايل التوحيد والمراد بالتسخير اما
جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله
حسبما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان
او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون دخل في استعماله كجميع ما في
السموات من الاشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا او معادا واما جعله منقادا
للامر مذللا على ان معنى لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات والارض من الكاينات مسخرة لله
تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر
فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة
لكم وغير معروفة لكم وغير معرفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرى اصبغ
بالصاد وهو جار في كل سين قارنه الغين او الخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ
وفي سقر صقر وفي سائغ صائغ وقرى نعمة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده
وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة الرسول عليه السلام ولا كتاب
منير انزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اي لمن يجادل والجمع باعتبار
المعنى اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا يريدون به عبادة
الاصنام اولو كان الشيطان يدعوهم اي آباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار
الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك
اي اتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير فهم
متوجهون اليه حسب دعوته والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى
اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون في سورة البقرة بما لا مزيد عليه

ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض اليه مجامع اموره واقبل عليه بكليته وحيث
عدي باللام قصد معنى الاختصاص وقرى بالتشديد وهو محسن اي في اعماله
آت بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في آخر سورة النحل فقد استمسك
بالعروة الوثقى اي تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل
بالطاعة بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه
والى الله لا الى احد غيره عاقبة الامور فيجازيه احسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره
فانه لا يضرك في الدنيا ولا في الآخرة وقرى فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر
الزاي ليس بمستفيض الينا مرجعهم لا الى غيرنا فننبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر
والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضماير الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد
في الاول باعتبار لفظها ان الله عليم بذات الصدور تعليل للتنبئة المعبر بها عن
التعذيب نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد امد طويل
بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام
الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والتضييق ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف به قل الحمد
لله على ان جعل دلايل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا بل اكثرهم لا يعلمون
شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم
لله ما في السموات وما في الارض فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني
عن العالمين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمده احد والمحمود بالفعل يحمده كل مخلوق
بلسان الحال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اي لو ان الاشجار اقلام وتوحيد
الشجرة لما ان المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده اي من بعد نفاده سبعة
ابحر اي والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك
الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت كلمات الله ونفدت
تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وقرى يمده
من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه
اعظم منها واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار
العظام اولا ومنها ينصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة في الكلمات للايذان
بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج

عن عمله وكلمته امر فلا تنفذ كلماته الموسعة عليهما ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
اى الا كخلقها وبعثها فى سهولة التأتى اذ لا يشغله شأن عن شأن لان مناط وجود الكل
تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما امرنا لشىء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله
علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر قيل الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق
اى الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار
فى الليل اى يدخل كل واحد منهما فى الآخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة
ونقصانا وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج
احد الملوين فى الآخر متجدد فى كل حين واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما
التعدد والتجدد فى آثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجرى اى بحسب حركته الخاصة
وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة بحسب تعدد الايام جريا
مستمرا الى اجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة كما روى عن الحسن فانه
لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان
الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه السلام يجوز ان تكون حالا
من الشمس والقمر فان جريانهما الى يوم القيمة من جملة ما فى حيز رؤيته عليه السلام هذا
وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما فى فلكهما والاجل المسمى عن منتهى
دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه
على كيفية ايلاج احد الملوين فى الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس
على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الراس تزداد القوس
التى هو فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان
يبلغ المدار الذى هو اقرب المدارات الى سمت الراس وذلك عند بلوغها الى راس
السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الراس فلا تزال القسى التى فوق
الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ
المدار الذى هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الراس وذلك عند بلوغها برج الجدى
وقوله تعالى وان الله بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج الخ داخل معه فى حيز
الرؤية على تقديرى خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق

والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله ودقائقها
ذلك اشارة الى ما تلى من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها
فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق اى بسبب بيان انه تعالى
هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد وان ما يدعون من دونه
الباطل اى ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعون من دونه لكونها شاهدة بذلك شهادة
بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة اختصاص حقية الالهية
به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد والايذان
بان الدلالة على بطلان ما ذكر بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا
وان الله هو العلى الكبير اى وبيان انه تعالى هو المترفع عن كل شئ المتسلط عليه فان
ما فى تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى اتم بيان هذا
وقيل ذلك اى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى
تعالى به بسبب انه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وانت
خبير بان حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام
المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل لها فى المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه فى
سلك الاسباب بل هو تعكيس الامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هى المقتضية لبطلانها
لان بطلانها يقتضيها الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله باحسانه فى تهيئة
اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة
بتجرى او بمقدر هو حال من فاعله اى ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات
الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته اى بعض دلائل
وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور تعليل لما قبله
اى ان فيما ذكر لآيات عظيمة فى ذاتها كثيرة فى عددها لكل من يبالغ فى الصبر على المشاق
فيتعب نفسه فى التفكر فى الانفس والآفاق ويبالغ فى الشكر على نعمائه وهما صفتا
المؤمن فكأنه قيل لكل مؤمن واذا غشيهم اى علاهم واحاط بهم موج كالظلل
كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله
مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهى
والشدائد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى مقيم على القصد السوى الذى
هو التوحيد او متوسط فى الكفر لانزجاره فى الجملة وما يجحد بآياتنا الا كل ختار غدار فانه

فانه نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر والجحد كفور مبالغ
في كفران نعم الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
اي لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اي لا
يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او هو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا
وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين
ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن اخلافه
اصلا فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان المبالغ في الغرور
بان يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله عنده علم الساعة علم
وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى
الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى
وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه
الآية وينزل الغيث في ابانه الذي قدره والى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل
من الانزال ويعلم ما في الارحام من ذكر او انثى او تام او ناقص وما تدري نفس
من النفوس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء منهما فتفعل خلافه
وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك
الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا
قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني فتلقيني ببلاد الهند ففعل ثم
قال الملك لسليمان عليهما السلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت امرت
بان اقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد
للايذان بانه ان عمل حيلة وبذل في التعرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه
وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها
بتأنيث كل في كلتهن ان الله عليم مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء
التي من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من
عمل بالمعروف ونهي عن المنكر

سورة السجدة

الم اما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بالم والاشارة
اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سره واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من
الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق
على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل
الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا
للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل
فحقها الاخبار بها وقوله تعالى لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين
وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى من رب العالمين متعلق بمضمر هو حال
من الضمير المجرور اي كائنا منه لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه
انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون
الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى
ام يقولون افتراه فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان
يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك
وابطل حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة
كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل بل هو الحق من ربك
باضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين
تشريفا له عليه السلام ثم ايد ذلك ببيان غايته حيث قيل لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند
كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر
وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال
الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه السلام اي ما اتاهم
من نذير من قبلك انذرك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته عليه السلام
اي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم او لرجاء اهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التأييد انما
يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ واما على سائر الوجوه فلا تأييد اصلا
لان قوله من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين
واياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد لحكم آخر فتدبر الله الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه فيما سلف

ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم
ويجيركم من بأسه او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في
مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير
افلا تتذكرون اي لا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او اتسمعونها فلا تتذكرون
بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني على عدم التذكر
مع تحقق ما يوجبه من السماع يدبر الامر من السماء الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب
سماوية من الملائكة وغيرها نازلة آثارها واحكامها الى الارض ثم يعرج اليه اي يثبت
في علمه موجودا بالفعل في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اي في برهة
من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من
الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم
يعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة
عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر
وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيامها وقيل يدبر
المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه
خالصا الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير بان قلة
الاعمال الخالصة لا تقتضي بطء عروجها الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء
ذلك اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض و
استواء العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير امر الكائنات على ما ذكر من الوجه
البديع وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشأن عالم الغيب والشهادة
فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده وهما خبران
آخران وفيه ايماء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الذي احسن كل شيء
خلقه خبر آخر او نصب على المدح اي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه
الا وهو مرتب على ما تقتضيه وتستوجبه المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت
الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله
قيمة المرء ما يحسن اي يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق وايقان وقرئ خلقه على انه
بدل اشتمال من كل شيء والضمير للبدل منه اي حسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على ان
الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اي احسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن

على تضمينه معنى اعطى اي اعطى كل شيء خلقه اللائق بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو
مفعوله الاول وكل شيء مفعوله الثاني والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين
الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون اليه وقال
ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شيء
خلقه ثم هدى وبدأ خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع
تحار العقول في فهمه حيث برأ آدم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر
افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها
المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى ثم جعل نسله الخ اي ذريته سميت بذلك لانها
تنسل وتنفصل منه من سلالة من ماء مهين هو المني الممتهن ثم سواه اي عدله
بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه اليه تعالى تشريفا
له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شأنا له مناسبة الى حضرة الربوبية وان
اقصى ما تنتهي اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة
اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما في قوله قل الروح من امر ربي وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة الجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرات
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم
الكريم اي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها في انفسها نعما جليلة لا يقادر
قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها
بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد
والبعث وبابصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بافئدتكم على حقيتهما
وقوله تعالى قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على
ان القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفي
حكاية احوال الانسان من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله
بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية
وراءه وقالوا كلام مستأنف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان
ما ذكر من عدم شكرهم تلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق
المباثة ءاذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا
فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم

اذا انتن وقيل من الصلة وهى الارض اى صرنا من جنس الصلة قيل القائل ابى بن خلف و
لرضاهم بقوله اسند القول الى الكل والعامل فيه اذا ما يدل عليه قوله تعالى انا لفى
خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتاكيده وقرى انا على
الخبر واياما كان فالمعنى على تاكيد الانكار لا انكار التاكيد كما هو المتبادر من تقدم الهمزة على ان
فانها مؤخرة عنها فى الاعتبار وانما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة بل هم بلقاء
ربهم كافرون اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه وهو
كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل بيانا للحق وردا
على زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان
بموجب الجبلة اى يقبض ارواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئا او لا يترك منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه وافظعها
من ضرب وجوهكم وادباركم الذى وكل بكم اى بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون
بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون وهم القائلون ائذا ضللنا فى الارض الآية او جنس المجرمين
وهم من جملتهم ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزى عند ظهور قبائحهم اقترفوها فى الدنيا ربنا
اى يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اى صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات
المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا
صالحا حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى انا موقنون ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم
معانى الآيات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشعرى البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا وكنا
من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان و
كمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد فى الاستدعاء طمعا فى الاجابة الى ما سالوه من الرجعة وانى لهم
ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون
الكفر والمعاصى على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملئكة بان مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى ابصرنا
قبح اعمالنا وكنا نراها فى الدنيا حسنة وسمعنا ان مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد
بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى
لهم حينئذ يكون باظهار مدلول ما اخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه
وقيل وسمعنا قول الرسل اى سمعنا سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك
رؤية فى ذلك الوقت او يقدر ما ينبئ عنه صلة اذ والمضى فيها وفى لو باعتبار ان الثابت فى علم الله
تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اى لرايت امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح
له كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها

براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهى الفظيعة بل كل من يتاتى منه الرؤية
يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور
الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص رؤيته راء دون راء بل كل من يتاتى منه الرؤية فله مدخل فى هذا الخطاب
فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان
كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها مقدر بقول
معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا الخ اى ونقول لو شئنا اى لو تعلقت مشيئتنا
تعلقا فعليا بان نعطى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدى به الى الايمان والعمل الصالح
لاعطيناها اياه فى الدنيا التى هى دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول منى اى
سبقت كلمتى حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم
بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغى باغوائه ومشيئتنا
لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم
وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سياتى من قوله تعالى
انما يؤمن باياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى فى الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق
القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلى بافعال العباد عند حدوثها لان المشيئة الازلية
من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها
منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى ازلا بصرف اختيارهم فيما سيأتى الى الغى وايثارهم له على
الهدى فلو اريدت هى من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها وتبطل ذلك بما ذكر من المناط على منهاج
قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من
اللطف الذى لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد
اشتبه عليه الشؤون والفاء فى قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه
ما قبله من نفى الرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكى والباء فى قوله تعالى بما نسيتم لقاء يومكم هذا للايذان
بان تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه
قيل لا رجع لكم الى الدنيا او حق وعيدى فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه
والاستعداد له بالكلية انا نسيناكم اى تركناكم فى العذاب ترك المنسى بالمرة وقوله تعالى وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون تكرير للتاكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوى للذوق والاشعار بان

بسببه ليس بمجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اُخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها
في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منهما في استيجاب العذاب وفي
ابهام المذوق اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستيناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة
على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى انما يؤمن بآياتنا استيناف مسوق لتقرير عدم
استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل
انكم لا يؤمنون بآياتنا ولا يعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به
قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا خروا سجدا
اثر ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اي
سقطوا على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم اي نزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها
العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء الآيات والتوفيق للاهتداء
بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد
وبانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم وهم لا يستكبرون اي والحال انهم خاضعون له
تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم اي ترتفع وتتنحى عن المضاجع
اي الفراش ومواضع المنام والجملة مستانفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضي الله عنه
نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله
عليه وسلم وعن انس ايضا انه قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من
صلوة المغرب الى صلوة العشاء وهي صلوة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة
والمشهور ان المراد منه صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه
وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعن النبي
صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلوة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين
جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين
تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في البأساء والضراء
فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من
ضمير جنوبهم اي داعين له تعالى على الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا في
رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه البر والحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا
ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم اي لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة

من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم وما تخفى لهم وما اخفيت لهم على صيغة المتكلم وما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ
قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل
جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة
قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا اي
ابعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق
الذي ذكرت احواله لا يستوون التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة بالمرة على ابلغ وجه وآكده
لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى
اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما
في الدنيا واضيفت الجنة الى المأوى لانها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من
الجنات وايا ما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا
نزلا اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية بما كانوا يعملون
في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم واما الذين فسقوا اي خرجوا عن الطاعة فمأواهم اي ملجأهم
ومنزلهم النار مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استيناف
لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى انه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من
بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة
على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة
في غيظهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به اي بعذاب النار تكذبون على الاستمرار في الدنيا
ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر
دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذين يشاهدونه وهم في الحيوة يرجعون
يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله تعالى عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن
اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من
قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها
الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها
اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من
المجرمين اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم واشد

جرما من كل مجرم ولقد آتينا موسى الكتاب اى التورية عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين
الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عليه السلام فلا تكن في مرية
من لقائه من لقاء الكتاب الذى هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل
ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحى فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره
وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى عليه السلام وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسرى
بى موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة وجعلناه اى الكتاب الذى
آتيناه موسى هدى لبنى اسرائيل قيل لم يتعبد بما في التورية ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة
يهدون بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه
من دين الله وشرائعه بامرنا اياهم بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا هى لما التى فيها معنى الجزاء والجواب
اليك لما اغنى والضمير للائمة وتقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هى ظرف بمعنى الحين اى جعلناهم
ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة الدين او صبرهم
عن الدنيا وقرئ لما صبروا اى لصبرهم وكانوا بآياتنا التى في تضاعيف الكتاب يوقنون
لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذى آتيناكه هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون
مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل اى يقضى بينهم قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المؤمنين
والمشركين يوم القيمة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين اولم يهد لهم
الهمزة للانكار والواو للعطف على منوى يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطى في ان المراد ايقاع
نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى
كم اهلكنا اى اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او ولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون
مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى
ايضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم
اى يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشّون
للتكثير ان في ذلك اى فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية او في مساكنهم لآيات عظيمة في
انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء
الى الارض الجرز اى التى جرز نباتها اى قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك
الارض زرعا تأكل منه اى من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب
المخصوصة بها وقرئ يأكل بالياء وانفسهم كالحبوب التى يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون
اى الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ويقولون كان المسلمون

يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق
الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اى النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين في
ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم
عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رح يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم
للتنبيه على انه ليس مما ينبغى ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار وكذا ايمانهم واستنظارهم
يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لا تستعجلوا فكأنى
بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الاخيرين فالموصول
عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء
يوم الفتح وناسا آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم
وهلاكهم انهم منتظرون قيل اى الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر
ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام الآية
ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظروه فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه
من الكفر والمعاصى في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على
معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ
الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك اعطى من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عليه الصلوة
والسلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب

يا ايها النبى اتق الله في ندائه عليه السلام بعنوان النبوة تنويه بشانه وتنبيه على سمو مكانه
والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال
مداه ولا تطع الكافرين اى المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اى فيما يعود بوهن
في الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روى ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور
السلمى قدموا عليه عليه السلام في الموادعة التى كانت بينه عليه السلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن
ابى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل
انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهموا
بقتلهم فنزلت اى اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين

من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشيآء
من المصالح والمفاسد فلا يامرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه
الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع اي في كل ما تاتي وتذر
من امور الدين ما يوحى اليك من ربك من الآيات التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله تعالى
الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتاكيد وجوب الامتثال بالامر ان
الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقيل له عليه السلام
وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب
وايا ما كان فالجملة تعليل للامر وتاكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كانه
قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه
الاخير فبطريق الترغيب فقط كانه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك
وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكائد والمفاسد ويامرك بما ينبغي لك ان تعمله في دفعها
وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض جميع امورك اليه وكفى
بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي
الذي امر عليه السلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي
تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وتنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون الدعي
ابنا اي بمنزلة الام والابن في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف
واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر
او لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين اي ما جمع الله قلبين في رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومة في امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين
حقيقة الزوجية والامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما في القلب لا بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية
واحكام الامومة ونفي الجمع بين احكام الدعوة واحكام البنوة على الاطلاق بل بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية
واحكام الامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة واحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة
على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعي ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي
ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية
وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر
للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان
الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاء وقرئ اللائي بالياء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التاءين من تتظاهرون

وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى
عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل
بمعنى فاعل كتقي واتقياء كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتيل وقتلاء واسير واسراء ذلكم اشارة الى ما يفهم مما
ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من سياق الكلام اي دعاؤكم بقولكم هذا ابني قولكم بافواهكم فقط
من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم والله
يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل
ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما
في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اي
الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم
فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اي فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية وليس
عليكم جناح اي اثم فيما اخطاتم به اي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو والنسيان او سبق اللسان
ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله
غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه
منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم اي في كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون
عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه
اقدم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن آباءنا
وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية
ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اي منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق التعظيم
واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء واولوا الارحام
اي ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة و
الموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزله وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله
تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى
بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من
اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا
اي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي
اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق ومنك ومن

نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد
مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولى العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم
الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عهدا عظيم الشان او موكدا باليمين
وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف مبنى على تنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى
تفخيما لشانه كما فى قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه
برحمة منا وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ
الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب
بالالتفات الى الغيبة اى فعل الله ذلك ليسأل يوم القيمة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول
الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اى ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه
لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او المصدقين لهم عن
تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم
حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا
اليما عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين
او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون
اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كانه
قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين الآية يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ان جعل النعمة مصدرا
فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اى كائنة عليكم اذ جاءتكم جنود ظرف لنفس النعمة
او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا وعلى انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش
وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم
ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسى ثم خرج فى ثلثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق
بينه وبين القوم وامر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم
النفاق فى المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط
ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن
ابى جهل وهبيرة بن ابى وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بنى محارب قد ركبوا
خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع فخرج
على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فى نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التى اقتحموا منها فاقبلت الفرسان
نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له على رضى الله تعالى عنه يا عمرو انى ادعوك الى الله ورسوله والى الاسلام

قال

قال لا حاجة لى اليه قال فانى ادعوك الى النزال قال يا ابن اخى والله لا احب ان اقتلك قال على رضى الله تعالى عنه
لكنى والله احب ان اقتلك فحمى عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره او
ضرب وجهه ثم اقبل على على كرم الله وجهه فتنازلا وتجاولا فضربه على كرم الله تعالى وجهه ضربة فيها نفسه فلما قتله
انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل
بن عبد الله المغيرة المخزومى قتله ايضا على رضى الله تعالى عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة
حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا عطف على جاءتكم مسوق لبيان
النعمة اجمالا وسيأتى بقيتها فى آخر القصة وجنودا لم تروها وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا
الفا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وامر الملائكة
فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل
بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد
الاسدى اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر
الخندق وترتيب مبادى الحراب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اى بما يعمله الكفار
اى من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصى بصيرا ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض
مقرر لما قبله اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادى من جهة المشرق وهم
بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم
اليهود من قريظة والنضير ومن اسفل منكم اى من اسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم
من الاحابيش وبنى كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة آلاف واذ زاغت الابصار
عطف على ما قبله داخل معه فى حكم التذكير اى حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى
نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب
الحناجر لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى
الحلقوم وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب فى
قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا لمن يظهر الايمان على الاطلاق اى تظنون به تعالى انواع الظنون
المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده فى اعلاء دينه كما يعرب عنه
ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف
الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة
المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها
لمراعاة الفواصل كما تزاد فى القوافى هنالك ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اى فى ذلك

الزمان الهائل او المكان الدحض ابتلي المؤمنون اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص
من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح
الزاء واذ يقول المنافقون عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على
استمرار القول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض اي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله
ورسوله من اعلاء الدين والظفر الا غرورا اي وعد غرور وقيل قولا باطلا القائل معتب
ابن قشير واضرابه راضون به قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا
ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي
واشياعه يا اهل يثرب هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية
منها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة او طابة كانهم ذكروها بذلك
الاسم مخالفة له صلى الله عليه وسلم ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع
اليها لا مقام لكم لا موضع اقامة لكم او لا اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم اي لا قيام
او لا موضع قيام لكم فارجعوا اي الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا
لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في دين محمد عليه السلام فارجعوا
الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم في يثرب
فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله ويستاذن فريق منهم النبي
معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استاذنوه
عليه السلام في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستاذن او حال من فاعله او استئناف
مبني على السؤال عن كيفية الاستئذان ان بيوتنا عورة اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق
فاذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد
جوز ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اي اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام
الاعتذار كما يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون
ما يريدون بالاستئذان الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع
عليهم لما ان المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور و
لا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور من اقطارها اي من جميع جوانبها
لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراده من اهل الدعارة والفساد
ثم سئلوا من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة اي الردة والرجعة
الى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الايمان والطاعة لاتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية

الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لاتوها بالقصر اي لفعلوها وجاؤها وما تلبثوا بها بالفتنة اي
ما البثوها وما اخروها الا يسيرا ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال
البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللائق
بالمقام هذا وان تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة مع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول
عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى
الحق تعللوا بشيء يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه آثر ذي اثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف
يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة
اخرى مع ان العساكر المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض
عن الحق المجدون في الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا الله من
قبل لا يولون الادبار فان بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا
ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة
فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسؤولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به
وقيل مسؤولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل
شخص من حتف انف او قتل بسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا
لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا
قليلا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او
يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين
منكم اي المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين
لاخوانهم من منافقي المدينة هلم الينا وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر او قرب ويستوي
فيه الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال اي قربوا
انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة ولا
ياتون البأس اي الحرب والقتال الا قليلا اي اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون
ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا
شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا ياتي
اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم اي بخلاء عليكم بالمعاونة
او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل ياتون او من المعوقين

او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم فى احداقهم كالذى يغشى عليه
من الموت صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من اعينهم اى ينظرون
نظراً كائناً كنظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوراً ولواذاً بك او ينظرون كائنين
كالذى الخ او تدور اعينهم دوراناً كائناً كدوران عينه او تدور اعينهم كائنة كعينه فاذا ذهب الخوف
وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم
وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد او اللسان وقرئ
صلقوكم اشحة على الخير نصب على الحالية او الذم ويؤيده القراءة بالرفع اولئك الموصوفون
بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم اى اظهر بطلانها اذ لم تثبت
لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعاً لمنفعة دنيوية اصلاً وكان ذلك
الاحباط على الله يسيراً هيناً وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شئ عليه تعالى يسير لبيان ان
اعمالهم حقيقة بان يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعى وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت
الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون فى الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو
حاصلون بين الاعراب وقرئ بدّى جمع باد كغاز وغزّى يسألون كل قادم من جانب المدينة
وقرئ يتساءلون اى يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون
الاعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما اسندت اليه
فاعلاً من وجه ومفعولاً من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما فى المثال المذكور ونظائره عن انبائكم عما
جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلاً رياء
وخوفاً من التعيير لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة حقها ان يؤتسى بها
كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد او هو فى نفسه قدوة يحق التأسى به كقولك فى البيضة عشرون
مناً حديداً اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهى لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر اى ثواب الله او لقاءه او ايام الله واليوم الآخر خصوصاً وقيل هو مثل قولك ارجو
زيداً وفضله فان اليوم الآخر من ايام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من
لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله اى وقرن الرجاء بذكر الله كثيراً اى
ذكراً كثيراً او زماناً كثيراً فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدى الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الايتساء
برسول الله صلى الله عليه وسلم ولما رأى المؤمنون الاحزاب بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند
اشتباه الشئون واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اى لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم

قالوا هذا مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلاً عن تذكيره وتأنيثه
فانهما من احكام اللفظ كما مر فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وجعله اشارة الى الخطب
او البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذى هو ما وعدنا الله ورسوله
فان ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب
وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام ان الاحزاب
سائرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله اى ظهر صدق
خبر الله تعالى ورسوله او صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم
اى ما رأوه الا ايماناً بالله تعالى وبمواعيده وتسليماً لاوامره ومقاديره من المؤمنين اى المؤمنين
بالاخلاص مطلقاً لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات
مع الرسول عليه السلام والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضى الله عنهم نذروا انهم اذا لقوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حرباً ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله
وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقنى اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب
اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما فى قولهم صدقنى سن بكره اى فى سنه واما بجعل
المعاهد عليه مصدوقاً على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال للكوماء تحرتنى الاعداء ان لم تنحرى
وقالوا ان يستغنى بك وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوباً فمنهم
من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم
الانسان شيئاً من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والفاء ومحل الجار والمجرور الرفع
على الابتداء على احد الوجهين المذكورين فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اى
فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك و
غيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بان يكون ما
نذروه افعالهم الاختيارية التى هى المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيداً
او كان مستعاراً لالتزامه على ما سيأتى ومنهم اى وبعضهم او وبعض منهم من ينتظر اى قضاء
نحبه لكونه متوقتاً كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم
مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى
حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقى وهو القتال الى الموت شهيداً هذا ويجوز

ان يكون النحب مستعاراً لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التي هي افعال اختيارية للناذر منزلة
التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح واياما كان
ففي وصفهم بالاستطار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما
ما قيل من ان النحب المستعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها
واخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفي حاله فاعله
اي وما بدلوا عهدهم وما غيروه تبديلا اي تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين
فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم
اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثاني
لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضميره للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روي
ان طلحة رضه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب
طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه عليه السلام في رواية جابر من سره ان ينظر الى شهيد
يمشي على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضها من سره ان ينظر الى شهيد
يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين حكما ليجزي
الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع الى
وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم
كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا
ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ان شاء تعذيبهم او يتوب
عليهم ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثباته المعرض به كان المنافقين
قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا
وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون
الاحزاب كانه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الآية فتأمل وبالله التوفيق ان الله
كان غفورا رحيما اي لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ورد الله الذين كفروا
رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا و
جنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزي الله كانه قيل اثر حكاية الامور المذكورة
وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ واما على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة
طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل
ما صدر عن فريقي اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها

الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اي فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورددنا
بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى بغيظهم
حال من الموصول اي متلبسين به وكذا قوله تعالى لم ينالوا خيرا بتداخل او تعاقب اي غير ظافرين
بخير او الثانية بيان للاولى او استئناف وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من ارسال الريح
والجنود وكان الله قويا على احداث كل ما يريد عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين
ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب المردودة من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم
من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوك الديك وقذف
في قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم واولادهم للاسر حسبما ينطق
به قوله تعالى فريقا تقتلون وتأسرون فريقا من غير ان يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة
والاستعصاء روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي
انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال أتنزع لامتك والملائكة
ما وضعوا السلاح ان الله يأمرك ان تسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا
العصر الا ببني قريظة فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار
فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم
وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة
فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة واسر سبعمائة وقرئ تأسرون بضم السين كما قرئ
الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع ان مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في
قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل
واورثكم ارضهم وديارهم اي حصونهم واموالهم نقودهم واثاثهم ومواشيهم روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال عليه السلام
انكم في منازلكم فقال عمر رضه اما تخمس كما خمست يوم بدر قال عليه السلام لا انما جعلت هذه لي طعمة دون
الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤوها اي واورثكم في علمه وتقديره ارضا
لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر وكان الله على كل شيء
قديرا فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الاراضي التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها
يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا اي السعة والتنعم فيها وزينتها
وزخارفها فتعالين اي اقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني
وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن بالجزم جوابا للامر وكذا واسرحكن اي اعطكن المتعة

واطلقكن سراحاً جميلاً طلاقاً من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستيناف روي انهن سألنه
عليه السلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيّرها فاختارت الله ورسوله
والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله تعالى ذلك فنزل لا يحل لك النساء من
بعد واختلف في ان هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار
اولا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما كان تخييراً لهن بين
الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين امتعكن
واسرحكن وذهب آخرون الى انه كان تفويضاً للطلاق اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان
ذلك طلاقاً وكذا اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم
اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء اصلاً ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة
عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان رحمه وروي عن زيد
ابن ثابت رضه انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلث طلقات
وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي رضي الله تعالى عنه انها اذا اختارت زوجها فواحدة
رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه رضي الله تعالى عنه ايضاً انها ان اختارت
زوجها لا يقع شيء اصلاً وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روي عن عائشة رضه خيّرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقاً وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه
قطع لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد
واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون
نصف مهرها اقل من ذلك فح يجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم وان كنتن
تردن الله ورسوله اي تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله عليه السلام عنده
تعالى والدار الآخرة اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعاً فان الله اعد
للمحسنات منكن بمقابلة احسانهن اجراً عظيماً لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن
للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز
عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف السراح بالجميل
يا نساء النبي تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن هنا وفيما
بعده بالاضافة اليه عليه السلام لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام من يأت
منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد
بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن و

طلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتمّ لاجله وقرئ بالتاء الفوقانية يضاعف
لها العذاب ضعفين اي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح
فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق
وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعّف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعّف
بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيراً لا يمنعه عن التضعيف
كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن يقنت منكن وقرئ
بالتاء اي من يدم على الطاعة لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة
والتقوى واخرى على طلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ
يعمل بالياء حملاً على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا لها في الجنة زيادة
على اجرها المضاعف رزقاً كريماً مرضياً يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد
وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن
كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضا
رسوله او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن فلا تخضعن بالقول عند مخاطبة الناس
اي لا تجئن بقولكن خاضعاً ليناً على سنن قول المريبات والمومسات فيطمع الذي في
قلبه مرض اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفاً على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب
نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب وقلن قولاً
معروفاً بعيداً من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث او قولاً حسناً مع كونه خشناً وقرن
في بيوتكن امر من قرّ يقرّ من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها
كما في قولك ظلن او من قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقاراً اذا ثبت واستقر
واصله اوقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد او من قرّ يقرّ حذفت احدى رائي اقررن ونقلت
كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا تبرجن اي لا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية
الاولى اي تبرجاً مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس
ونوح عليهم السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس درعاً من اللؤلؤ
فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية
الاخرى الفسوق في الاسلام ويؤيده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية
كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة امرهن بهما لانافتهما على غيرهما
وكونهما اصلي الطاعات البدنية والمالية واطعن الله ورسوله اي في كل ما تأتين وما تذرن لا سيما

فيما أمرتن به ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اى الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل
لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث
قيل بطريق النداء او المدح اهل البيت مرادا بهم من حواهم بيت النبوة ويطهركم من اوضار الاوزار
والمعاصى تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما
ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبى صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان رأى الشيعة
فى تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة رضى الله عنها وعلى وابنيه رضوان الله تعالى عليهم واما ما تمسكوا به
من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر اسود وجلس فاتت فاطمة
فادخلها فيه ثم جاء على كرم الله تعالى وجهه فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا
كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها فى مقابلة النص واذكرن ما يتلى فى بيوتكن
اى اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب
الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على
فنون العلوم والشرايع وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحى
وما شاهدن من برحاء الوحى مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار
فيما كلفنه والتعرض للتلاوة فى البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحى لعمومها
لجميع الآيات ووقوعها فى كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم
تعيين التالى لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبى عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعلما وتعليما
ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح فى الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهى او يعلم
من يصلح للنبوة ومن يستاهل ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات اى الداخلين فى السلم
المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان
يصدق به من الفريقين والقانتين والقانتات المداومين على الطاعات القائمين
بها والصادقين والصادقات فى القول والعمل والصابرين والصابرات عن الطاعات
وعن المعاصى والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين
والمتصدقات بما وجب فى مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين
فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم
اعد الله لهم بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن
مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحات واجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات والآية

وعدلهن ولا شاملهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روى ان ازواج النبى صلى الله عليه
وسلم ورضى عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف
ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروى انه لما نزل فى نساء النبى عليه السلام
ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين
وهو ضرورى واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك
ترك فى قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه
النعوت الجميلة وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اى ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة من
المؤمنين اذا قضى الله ورسوله امرا اى اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره والاشعار
بان قضاءه عليه السلام قضاء الله عز وجل لانه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد
المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هى واخوها عبد الله وقيل فى ام
كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هى
واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده ان يكون لهم الخيرة من امرهم اى ان يختاروا
من امرهم ما شاؤا بل يجب عليهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه عليه السلام واختيارهم تلوا لاختياره
وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما فى سياق النفى وقيل الضمير الثانى للرسول عليه
السلام والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله فى امر من الامور ويعمل فيه برأيه
فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا اى بين الانحراف عن سنن الصواب واذ تقول اى
واذكر وقت قولك للذى انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته
وانعمت عليه بالعتق بما وفقك الله له من فنون الاحسان التى من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة
وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه عليه السلام من اظهار خلاف ما فى ضميره
اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلا هما مما لا يتصور فى حق زيد امسك عليك
زوجك اى زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت فى نفسه حالة جبلية
لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن
لذلك فوقع فى نفسه كراهة صحبتها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتى
فقال ما لك اراك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم على فقال
امسك عليك زوجك واتق الله فى امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها وتخفى فى
نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به
والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على

الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر
الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر
كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزوجها منه عليه السلام
وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة
ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج ضيق ومشقة في ازواج ادعيائهم اي في حق تزوجهن اذا
قضوا منهن وطرا فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه عليه السلام وحكم الامة سواء
الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي ما يريد تكوينه من الامور او مامورا به الحاصل بكن مفعولا مكونا
لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ما كان على النبي من حرج اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون
له ضيق فيما فرض الله له اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر
لاعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج اي
سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم السلام حيث وسع عليهم في
باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة
وسبعمائة سرية وقوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط
بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة
للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل ما يأتون ويذرون لا سيما في
امر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم ولا يخشون احدا الا الله في
وصفهم بقصر الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه السلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح
في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او
محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي على
الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه
عليه السلام ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له عليه السلام
لا لهم ولكن رسول الله اي كان رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم
وسبب لحياتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينهم وبينه عليه السلام فحكمه حكمهم وليس للتبني
والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص وخاتم النبيين اي كان آخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء
اي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ
لكان نبيا ولم يكن هو عليه السلام خاتم النبيين كما روي انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا

ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن
نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته
وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب يا ايها
الذين آمنوا اذكروا الله بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال
وسبحوه ونزهوه عما لا يليق به بكرة واصيلا اي اول النهار وآخره على ان تخصيصهما بالذكر
ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد
التسبيح من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم
الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامر
فان صلوته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى
عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني
عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلوة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ
الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا
حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم
والانعطاف المعنوي المأخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب
في ان استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما
قيل فاعتباره ينزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي
اي يعتني باموركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى وكان
بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم رحيما
ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان
بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه
سلام بيان للاحكام الآجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي الاعتناء بامرهم وهدايتهم
الى الطاعة اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور
او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملائكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى واعد لهم اجرا
كريما بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل
ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى
الموعود ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة

الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم
الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيمة اداء
مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار وداعيا
الى الله اى الى الاقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله باذنه اى بتيسيره اطلق عليه
مجازا لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتاتى الا بامداد
من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة
وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية
وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال
الناس وبشر المؤمنين منهم بان لهم من الله فضلا كبيرا اى على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف
او زيادة على اجور اعمالهم بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهى عن مداراتهم
في امر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة
في الزجر والتنفير عن المنهى عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب
فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم اى لا تبال باذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار
وتوكل على الله في كل ما تاتي وما تذر من الشئون التي من جملتها هذا الشان فانه تعالى يكفيكهم وكفى
بالله وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتاكيد
استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف عليه السلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه
خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الامر بالتبشير
حسبما ذكر انفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما تحققته وقوبل
الداعي اليه تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل
السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي
الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه يا ايها الذين آمنوا اذا
نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اى تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما
لكم عليهن من عدة بايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم
فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق
الازواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى
تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان
المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما
يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب فمتعوهن اى ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب
للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي اخرى غير مستحبة وسرحوهن
اى اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ
لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي آتيت اجورهن اى مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها
في العقد واياما كان فتقييد الاحلال له عليه السلام به ليس لتوقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد
بلا تسمية ويجب مهر المثل والمتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له عليه السلام كتقييد
احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق
بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات
عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه
السلام خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه
فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة بالنصب
عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق
ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف اى احللناها لك ايضا ان وهبت نفسها للنبي اى
ملكته بعضها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته عليه السلام
استنكاحها كما نطق به قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اى ان يتملك بضعها كذلك اى بلا مهر
فان ذلك جار منه عليه السلام مجرى القبول حيث لم يكن ههنا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح
ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف في اتفاق هذا
العقد فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عنده عليه السلام احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة
بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده
عليه السلام في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت
الحكم فيختص به عليه السلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة لك اى خلص لك
احلالها خالصة اى خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة او خلص احلال ما احللنا
من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى من دون المؤمنين على الاول ان الاحلال
المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثاني ان احلال
الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهود و
قرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى ذاك خلوص لك وخصوص او هي اى تلك المراة او الهبة

خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى قد
علمنا ما فرضنا عليهم اى على المؤمنين فى ازواجهم اى فى حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال
المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد
وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه السلام تكرمة له وتوسعة عليه اى قد علمنا ما ينبغى ان يفرض عليهم فى حق ازواجهم
وما ملكت ايمانهم وعلى اى حد واى صفة يحق ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك
ببعض الخصائص لكيلا يكون عليك حرج اى ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت
الاحلال وحصوله له عليه السلام لا باعتبار اختصاصه به عليه السلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثانى الذى هو
عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك وسع الامر فى مواقع الحرج
ترجى من تشاء منهن اى تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوى اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء منهن
وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ومن ابتغيت اى
طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك فى شئ مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض
لانه اما ان يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق فاما ان يخلى المعزولة
او يبتغيها وروى انه ارجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكان
ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروى انه كان يسوى بينهن مع ما
اطلق له وخير الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضى الله عنها وقالت لا تطلقنى حتى احشر فى زمرة
نسائك ذلك اى ما ذكر من تفويض الامر الى مشيتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن
كلهن اى اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن
ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرئ تُقِرَّ بضم التاء ونصب
اعينهن وتُقَرَّ على البناء للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تاكيد لهن والله يعلم ما
فى قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا فى احسانها وكان الله عليما مبالغا فى العلم فيعلم كل ما تبدونه
وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فانها امهال لا اهمال لا يحل لك النساء بالياء
لان تأنيث الجمع غير حقيقى ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد اى من بعد التسع وهو فى حقه كالاربع فى حقنا
وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتى خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله
ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل اى تتبدل بحذف احدى التائين بهن اى بهؤلاء
التسع من ازواج بان تطلق واحدة منها وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق اراد الله
تعالى لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتى توفى عليه السلام عنهن وهن
عائشة بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابى سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابى

امية وصفية بنت حيى الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية
ابنة الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتى احللناهن
لك بالصفة التى تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقد يأباه
قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد ان يكون معنى
التبدل بهن احلال نكاح غيرهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذى ليس من الوظائف البشرية ولو اعجبك
حسنهن اى حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله
فى التنكير قيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة
ولو اعجبتكم وقيل هى اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابى طالب رضى الله عنهما اى ممن اعجبه عليه
السلام حسنهن واختلف فى ان الآية محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك
من تشاء وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة
رضى الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال انس رضى الله عنه مات عليه
السلام على التحريم الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع
وكان الله على كل شئ رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطى حلاله الى حرامه يا ايها
الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى شروع فى بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبى
صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يجب مراعاته عليه عليه السلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان يؤذن
لكم استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تدخلوها فى حال من الاحوال الا حال كونكم مأذونا لكم وقيل
من اعم الاوقات اى لا تدخلوها فى وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة
نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المأول لا يقال آتيك ان يصيح
الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى الى طعام متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء
للاشعار بانه لا ينبغى ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى غير
ناظرين اناه اى غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت
والحال معا عند من يجوزه ومن المجرور فى لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز
الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام اى ادرك ولكن اذا دعيتم
فادخلوا استدراك من النهى عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة
اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبى صلى
الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته
عليه السلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولا مستأنسين لحديث اى لحديث

بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او لا تمكثوا
مستأنسين ان ذلكم اي الاستيناس الذي كنتم تفعلونه من قبل كان يؤذي النبي لتضييق
المنزل عليه وعلى اهله وايجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم اي
من اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فانه يستدعي ان يكون المستحيى منه امرا حقا متعلقا بهم لا نفسهم
وما ذلك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة
وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر
بيوته عليه السلام متاعا اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن اي المتاع من وراء حجاب
اي ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب
فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي
ذلك فنزلت ذلكم اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستيناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من
وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم اي ما صح وما
استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتأذى به ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا اي من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عليه السلام ونكاح
ازواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد كان عند الله عظيما اي امرا
عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا
وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم
او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية
لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح
عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استيناف لبيان
من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن
ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله
تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات
فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لما انهن
عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما
ولا نسائهن اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة
وقد مر في سورة النور واتقين الله في كل ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه
ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ولا يتفاوت في علمه الاحوال ان الله وملائكته

وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة
ما بعده عليه على رأي البصريين يصلون على النبي قيل الصلوة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة
الاستغفار وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون
يتبركون وقال ابو العالية صلوة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوتهم دعاؤهم له فينبغي
ان يراد بها في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له اي يعتنون
بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه بالرحمة
ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك
فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد وسلم او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم
انقياد امره والآية دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار
وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي وقوله عليه السلام من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله و
يروى انه عليه السلام قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك
الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند مسلم
فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك ويقول الله تعالى وملائكته جوابا لذينك
الملكين آمين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه السلام كما قيل في
آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب
في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه
صلى الله عليه وسلم ان يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه في الصلوة بان يقال اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط
في جواز الصلوة عندنا وعن ابراهيم النخعي رح ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتفون عن ذلك
بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا واما الصلوة
على غير الانبياء عليهم الصلوة والسلام فتجوز تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل
ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله اريد بالايذاء ارتكاب
ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التأذي في حقه تعالى وقيل في ايذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى
والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى
عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في آياته وفي ايذاء الرسول عليه السلام هو قولهم شاعر ساحر كاهن
مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم

فيهما واما ايذاؤه عليه السلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره
عنده تعالى وان ايذاءه عليه السلام ايذاء له سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا و
الآخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا يصيبهم في
الآخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتأذون به من قول او فعل وتقييده
بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان
اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا
اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله تعالى عنه ويسمعونه ما لا خير
فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء
حوائجهن وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا
لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتي من اراجيف المرجفين يا ايها النبي
بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يأمر بعض المتأذين
منهم بما يدفع ايذاءهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة
على رأسها وتبقي منه ما ترسله الى صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يستتر به اي يغطين بها وجوههن
وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء
بعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين ذلك اي ما ذكر
من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن ويميزن عن الاماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم
فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من
التفريط رحيما بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال هاتيك الجزئيات لئن لم ينته
المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم مرض عما هم
عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة من الفريقين عما هم عليه
من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية
واصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة
غير ثابتة لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك
على ذلك ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة
جوار الرسول عليه السلام اعظم ما يصيبهم فيها اي في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا
ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم او الحال على ان الاستثناء

وارد عليه ايضا على رأي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا يجوز ان ينتصب عن قوله تعالى
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في
الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم الماضية سنة وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبياء
عليهم السلام وسعوا في توهين امرهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا اصلا
لابتنائها على اساس الحكمة التي يدور عليها فلك التشريع يسألك الناس عن الساعة اي عن
وقت قيامها كان المشركون يسألونه عليه السلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود
امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وسائر الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه
ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما يدريك خطاب مستقل له عليه السلام غير داخل تحت الامر
مسوق لبيان انها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها
اي لا يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت قريب
وانتصابه على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت
وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير
وتأكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين على الاطلاق اي طردهم وابعدهم
من رحمته العاجلة والآجلة واعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسونها
في الآخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم منها يوم تقلب
وجوههم في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم
تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كاللحم يشوى في النار او يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة
الى جهة او من حال الى حال او يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التاءين من
تتقلب ونقلب باسناد الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص
الوجوه بالذكر لما انها اكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان تكون عبارة عن كل
الجسد فقوله تعالى يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كأنه قيل
فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول
فلن نبتلى بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او مفعول لعامل في يوم وقالوا عطف
على يقولون والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو
ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم
قبوله في حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ
ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام

التحير والامانة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا الالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا
ربنا آتهم ضعفين من العذاب اى مثلى العذاب الذى آتيتناه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم
لعنا كبيرا اى شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء المكرر للمبالغة في الجؤار واستدعاء الاجابة
يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة
الناس فبرأه الله مما قالوا اى فاظهر براءته عليه السلام مما قالوا في حقه اى من مضمونه ومؤداه
الذى هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما
فاظهر الله تعالى نزاهته عليه السلام عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون
وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عند خروجه معه الى الطور
فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب
في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه
عليه عند اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبدا لله
وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى في كل ما تأتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه
فضلا عما يؤذى رسوله عليه السلام وقولوا في كل شان من الشئون قولا سديدا قاصدا
الى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم
عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة
او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول و
العمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهى التى من جملتها هذه التكليفات فقد فاز في
الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها لما بين عظم شان طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين
عنهما من العذاب الاليم ومنال المراعين لهما من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شان
ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم
من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية
اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم
بمراعاتها والمحافظة عليها واداءها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة
الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة
في قبولهن لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية
فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة

التى يستعمل فيها القوى الجسمانية التى اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك
الامانة في عظم الشان بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التى هى مثل في القوة والشدة مراعاتها
وكانت ذات شعور وادراك لابين قبولها واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير
المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه وحملها الانسان
اى عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياها يوم الميثاق اى تكلفها
والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبولها بموجب استعداده
الفطرى او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا اعتراض وسط بين الحمل
وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اى انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في
الجهل اى بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم السابق دون
من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول اشير بقوله عز وجل ليعذب
الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اى حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده
الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل
لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض
اى كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن
الطاعة بالكلية والى الفريق الثانى اشير بقوله تعالى ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اى
كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله تعالى على هؤلاء من افراده اى يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة
الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته
وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة
والاظهار في موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من مقامى الوعيد
والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التى شانها ان تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التى
هى من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم
الذى ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بجعل تعظيم شان الطاعة ذريعة
الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين
يأباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة
مطلق الانقياد الشامل للطبيعى والاختيارى وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل
من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة
واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لامانتنا واتين بما امرناك

بكقوله تعالى ائتيا طائعين وخانها الانسان حيث بأبت بما امر به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى
لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن
عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام
عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة
العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي
الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب
عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتأمل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستئناف
وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز
على طاعاتهم قال عليه السلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

مطلب

سورة السبأ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا
بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكأنه قيل له
جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم
الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة ببيان تفرده تعالى واستقلاله
بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد
ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شانه
فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى
وقوله تعالى وله الحمد في الآخرة بيان لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار
متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه
في الآخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم
الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الجنة وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الآية
وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان
والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة
والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي
احكم امور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة الخبير ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى
يعلم ما يلج في الارض الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدينية والدنيوية

اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها وما يخرج منها كالحيوان والنبات
وماء العيون ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد وبنون
العظمة وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم للحامدين على
ما ذكر من نعمه الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ارادوا
بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما اراد وبنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم
حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود
الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها
الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس
الامر الا اتيانها وقوله تعالى وربي لتأتينكم تأكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم على تأويل
الساعة باليوم او الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الخ امداد للتأكيد وتشديد له اثر تشديد وكسر لسورة
نكيرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم
عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة
ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان المستشهد به كلما كان اجل واعلى كانت الشهادة
آكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى لا سيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص
بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشهر افراده وادخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه
لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما
اصلا فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة
وقرئ علام الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح لا يعزب عنه اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاي
مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض اي كائنة فيهما ولا اصغر من ذلك
اي من مثقال ذرة ولا اكبر اي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى الا في كتاب مبين هو اللوح
المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ لا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف
المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لما ان الاستثناء يمنعه
الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى
لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله تعالى
لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات
الجليلة لهم بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم

لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين
أي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين أي مثبطين عن الإيمان من أراده أولئك لهم عذاب
الكلام فيه كالذي مر آنفا ومن في قوله تعالى من رجز للبيان قال قتادة الرجز سوء
العذاب وقوله تعالى أليم بالرفع صفة عذاب أي أولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء
العذاب شديد الإيلام وقرئ أليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين أوتوا العلم أي يعلم أولو العلم
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الأمة أو من آمن من علماء أهل
الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما رضي الله تعالى عنهم الذي أنزل إليك من ربك
أي القرآن هو الحق بالنصب على أنه مفعول ثان ليرى والمفعول الأول هو الموصول الثاني
وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثاني ليرى وقوله تعالى ويرى إلى آخره
مستأنف مسوق للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف
على ليجزي أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة معاينة أنه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا
به على المكذبين وقد جوز أن يراد بأولي العلم من لم يؤمن من الأحبار أي ليعلموا يومئذ أنه هو الحق
فيزدادوا حسرة وغما ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لأنه في تأويله كما في قوله
تعالى صافات ويقبضن أي وقابضات كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك
الحق وهاديا إلى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستأنف
وقيل حال من الذي أنزل على إضمار مبتدأ أي وهو يهدي كما في قول من قال نجوت وأرهنهم مالكا
وقال الذين كفروا هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون
به النبي صلى الله عليه وسلم وإنما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية قاتلهم الله تعالى ينبئكم أي يحدثكم
بأعجب الأعاجيب وقرئ ينبئكم من الإنباء إذا مزقتم كل ممزق أي إذا متم ومزقت أجسادكم
كل تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا إنكم لفي خلق جديد أي تستقرون
فيه عدل إليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون أو تخلقون خلقا جديدا لكمال
في الاستبعاد والتعجب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لما أن ما بعد
إن لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول
من جد النساج الثوب إذا قطعه ثم شاع أفترى على الله كذبا فيما قاله أم به جنة أي
جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على أن بين الصدق والكذب واسطة
هو ما لا يكون من الإخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء أخص من الكذب بل الذين
لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على

طريقة الاستفهام بالإضراب عن شقيه وإبطالهما وإثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة
الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما قالوا في حقه عليه السلام كأنه قيل ليس الأمر كما زعموا
بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والإدراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي
إليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه
للمسارعة إلى بيان ما يسوءهم ويفت في أعضادهم والإشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كأنه
يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول
موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على أن علة ما ارتكبوه واجترؤوا عليه من الشناعة الفظيعة
كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى
أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤوا
عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه عليه السلام وأنه من العظائم
الموجبة لنزول أشد العقاب وحلول أفظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على
مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى إن نشأ الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر إحاطتهما بهم من المحذور
المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب وقوعه إلا تعلق المشيئة به أي أفعلوا
ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا إلى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث
لا مفر لهم عنه ولا محيص إن نشأ جريا على موجب جناياتهم نخسف بهم الأرض كما خسفناها
بقارون أو نسقط عليهم كسفا أي قطعا من السماء كما أسقطناها على أصحاب الأيكة
لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرته وما
يحتمل فيه إزاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديد عليها والمعنى أعموا فلم
ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم هي وإن نشأ
نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتأمل وكن
على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله وكسفا بسكون السين
إن في ذلك أي فيما ذكر من السماء والأرض من حيث إحاطتهما بالناظر من جميع الجوانب
أو فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر لآية واضحة لكل عبد منيب شأنه الإنابة إلى
ربه فإنه إذا تأمل فيهما أو في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب إليه تعالى وفيه حث
بليغ على التوبة والإنابة وقد أكد ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا أي آتيناه
لحسن إنابته وصحة توبته فضلا على سائر الأنبياء عليهم السلام أي نوعا من الفضل وهو ما ذكر
بعد فإنه معجزة خاصة به عليه السلام أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك

والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا للتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى
وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما
حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد لها يتمكن عندها فضل تمكن يا جبال
اوبي معه من التأويب اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله
تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ اوبي من الاوب
اي ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح
معجزة له عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها
والطير باصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطير بالنصب
عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره
كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل
الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية
العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الوجه وفي تنزيل الجبال
والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان وجماد وصامت
وناطق الا وهو منقاد لمشيته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه تعالى
وكمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولي الالباب والنا له الحديد اي جعلناه لينا في نفسه كالشمع
يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى قوته
التي آتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية ان اعمل امرناه ان اعمل على
ان ان مصدرية حذف عنها الباء وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى سابغات واسعات
وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل
صفائح قالوا كان عليه السلام حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس
ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال
نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند
ذلك سأل ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع
الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر في السرد
السرد نسج الدروع اي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تجعلها
دقاقا ولا غلاظا ورد بان دروعه عليه السلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه الانة الحديد وقيل معنى قدر
في السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقي فاصرفه الى العبادة

وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه السلام
ولاهله اني بما تعملون بصير تعليل للامر او لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح اي وسخرنا
له الريح وقرئ برفع الريح اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر
اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة اما مستأنفة او حال من الريح
وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رح كان يغدو اي من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح
فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا
في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه
غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له عين
القطر اي النحاس المذاب اساله من معدنه كما الان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبوع
الماء من الينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام وقوله تعالى
ومن الجن من يعمل بين يديه اما جملة من مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة
باذن ربه بامره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا اي ومن يعدل منهم عما امرناه
به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من ازاغه نذقه من عذاب السعير اي عذاب
النار في الآخرة روي عن السدي رحمه الله تعالى كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى
عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى من
محاريب الخ بيان لما يشاء اي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها
ويحارب عليها وقيل هي المساجد وتماثيل وصور الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه
فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع
جديد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسد
ان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان جمع جفنة وهي الصحفة كالجواب
كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ
باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقدور راسيات ثابتات على الاثافي
لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له
او مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له او لفعله المحذوف اي اشكروا شكرا او حال اي شاكرين
او مفعول به اي اعملوا شكرا وقليل من عبادي الشكور اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه
وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى
نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي انه عليه السلام جزأ ساعات الليل

والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي فلما قضينا
عليه الموت اي على سليمان عليه السلام ما دلهم اي الجن او آله على موته الا دابة الارض اي
الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة
ارضا فأرضت ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فأكلت اكلا تأكل منسأته اي عصاه
من نسأت البعير اذا طردته لانه يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة
ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنساءته على مفعالة كميضاءة في ميضاة ومن سأته
اي من طرف عصاه من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ اكلت منسأته فلما
خر تبينت الجن من تبينت الشيء اذا علمته بعد التباسه عليك اي علمت الجن علما بينا بعد التباس
الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته عليه السلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده
حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى اي ظهرت الجن وأن مع ما في حيزها بدل اشتمال
من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين
في الحقيقة هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن
من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي ان داود اسس
بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فتوفي قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهما السلام فاستعمل
فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم به سأل ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه
ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه
فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا
وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى عليه السلام فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلوته الا احترق
فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة
فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا
على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره عليه السلام ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث
عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه
لقد كان لسبأ بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين لها اي لاولاد
سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا
ولعله اخراج لها بين بين في مسكنهم وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع
سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث ليال آية دالة بملاحظة احوالها
السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي للمحسن والمسيء

معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام جنتان بدل من آية او خبر لمبتدأ محذوف
اي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين عن
يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك في تقاربها وتضامها كانها
جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له
حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم
احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به اي
بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره
وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل
فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيها من مؤذيات الهوام
شيء فاعرضوا عن الشكر بعد ابانة الآيات الداعية لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلثة عشر نبيا فدعوهم
الى الله تعالى وذكروهم نعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم اي سيل الامر
العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل
العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل
سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار
وتركت فيها خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو
الفار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي
وقرئ العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلى الله عليهما وسلم
وبدلناهم بجنتيهم اي اذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما جنتين ذواتي اكل خمط اي ثمر بشع فان الخمط
كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض والمر من كل شيء وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها
فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل الاراك وكل شجر ذي شوك والتقدير اكل اكل خمط
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وبتخفيف اكل واثل وشيء من
سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ
واثلا وشيئا عطفا على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك
يغرس في البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له
ثمرة عفصة لا تؤكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد ههنا هو الثاني حتما وقال قتادة كان شجرهم
خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك اشارة الى
مصدر قوله تعالى جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في

الفظاعة ومحله على الأول النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على أنه مفعول ثان له أي ذلك
الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر وذلك التبديل جزيناهم لا غيره **بما كفروا** بسبب كفرانهم النعمة حيث
نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها أو بسبب كفرهم بالرسل **وهل نجازي إلا الكفور** أي وما نجازي هذا
الجزاء إلا المبالغ في الكفران أو الكفر وقرئ يجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول
ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول أيضا وهذا بيان لما أوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها
من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها** حكاية لما أوتوا
من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا
لعاقبتهم وإنما لم يذكر الكل معا لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبأ لا على ما بعده
من الجمل الناطقة بأفعالهم أو بأجزيتها أي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم أي بين بلادهم
وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين **قرى ظاهرة** متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها
فهي ظاهرة لأعين أهلها أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم **وقدرنا
فيها السير** أي جعلناها في نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل قيل كان
الغادي من قرية يقيل في أخرى والرائح منها يبيت في أخرى إلى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما أوتوا
من أنواع النعماء وتوفيرها لها في الحضر والسفر **سيروا فيها** على إرادة القول أي وقلنا لهم سيروا في
تلك القرى **ليالي وأياما** أي متى شئتم من الليالي والأيام **آمنين** من كل ما تكرهونه لا يختلف
الأمن فيها باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي وأياما
كثيرة أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير
المذكور وتسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور منزلة أمرهم بذلك **فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا** وقرئ
يا ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل الثوم و
البصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد لكان أجدر أن نشتهيه وسألوا أن يجعل الله تعالى
بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الأزواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله
تعالى لهم الإجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا بعد
بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد
بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف
الأول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها ودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم
بنعم الله تعالى كأنهم يتشاجون على الله تعالى ويتحازنون عليه **وظلموا أنفسهم** حيث عرضوها للسخط
والعذاب حين بطروا النعمة أو غمطوها **فجعلناهم أحاديث** أي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم

متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم **ومزقناهم كل ممزق** أي فرقناهم كل تفريق على
أن الممزق مصدر أو كل مطرح ومكان تفريق على أنه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل
وخرقه من تهويل الأمر والدلالة على شدة التأثير والإيلام ما لا يخفى أي مزقناهم تمزيقا لا غاية وراءه بحيث يضرب به
الأمثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان وأصل
قصتهم على ما رواه الكلبي عن أبي صالح أن عمرو بن عامر من أولاد سبأ وبينهما اثنا عشر أبا وهو الذي يقال له مزيقيا
ابن ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتغريق سيل العرم الجنتين وعن أبي زيد الأنصاري
أن عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم أنه لا بقاء له بعد وقيل إنه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع أملاكه وسار
بقومه وهم ألوف من بلد إلى بلد حتى انتهى إلى مكة المعظمة وأهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا
ولاية البيت على بني إسمعيل عليه السلام وغيرهم فأرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم إلى
أن يرجع إليه رواده الذين أرسلهم إلى أصقاع البلاد يطلبون موضعا يسعه ومن معه من قومه فأبوا فاقتتلوا
ثلاثة أيام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم إلا الشريد وأقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا
فأصابتهم الحمى فاضطروا إلى الخروج وقد رجع إليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الأزد
وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم
الأنصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو
ابن عامر وهو لحي فولي أمر مكة وحجابة الكعبة ثم جاءهم أولاد إسمعيل عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحولهم
فأذنوا لهم في ذلك وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فروة بن مسيك الغطيفي سأل النبي عليه الصلوة
والسلام عن سبأ فقال عليه السلام هو رجل كان له عشرة أولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والأزد
والأشعريون وحمير وأنمار منهم بجيلة وخثعم وأربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان ولما هلكت
أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا أيدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة
ونزلت الأوس والخزرج بيثرب فكانوا أول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة
والنضير فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم ونزلت طوائف أخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا
فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على أن
جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة
ومضر وأما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها إلى قحطان وبعضهم إلى عدنان والله تعالى أعلم **إن في ذلك**
أي فيما ذكر من قصتهم **لآيات** عظيمة **لكل صبار شكور** أي شأنه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى
مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لأنهم المنتفعون بها **ولقد صدق عليهم إبليس ظنه** أي حقق
عليهم ظنه أو وجده صادقا وقرئ بالتخفيف أي صدق في ظنه أو صدق بظن ظنه ويجوز تعدية الفعل إليه بنفسه لأنه

نوع من القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال
له الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين راى انهماكهم في
الشهوات او ببني آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزما وقيل ظن
ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه
اى اهل سبأ او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم
بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان اى
تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك
استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اى ما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا
ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر
ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل شيء حفيظ اى
محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان قل اى للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا
لهم ادعوا الذين زعمتم اى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته
والثاني لقيام صفته اعني قوله تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم مع
الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون
لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة
من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض اى في امر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا
او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة
للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم اى لآلهتهم فيهما من شرك
اى شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اى لله تعالى منهم من آلهتهم من ظهير يعينه في تدبير
امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده اى لا توجد رأسا كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من
وقوعها وقوله تعالى الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تنفع الشفاعة في حال من
الاحوال الا كائنة لمن اذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة
فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن
في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على
الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة
للكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستأهلين لها في حال من الاحوال

الا كائنة لمن اذن له اى لاجله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين لها
فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في
شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حين
حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلأن يحرموها من جهة العجزة عنها اولى
وقرئ اذن له مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اى قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين
واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بالف منزل والتفزيع
ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار
بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستيذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كأنه
قيل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستيذان والاستدعاء ويتوقفون على
وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اى
المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بامره ماذا قال ربكم اى في شأن الاذن قالوا
اى الشفعاء لانهم المباشرون للاستيذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة الحق
اى قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اى ما قاله
الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل
وقصور شأن كل من سواه اى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا
باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء
المهملة والغين المعجمة اى نفي الوجل عنها وافني من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد
المجازي لان الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاده فاسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن
تخفيف الراء واصله فرغ الوجل عنها اى انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور
وبه يعرف حال التفريغ وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات
والارض امر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة
فيهما وان الرازق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض
ام من يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام
قيل له عليه السلام قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
اى ان احد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين
يشركون به في العبادة الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال
المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال

ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقرى وانا او اياكم اما على هدى
او فى ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بان الهادى كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها
والضال كانه منغمس فى ظلام لا يرى شيئا او محبوس فى مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسئلون
عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون وهذا ابلغ فى الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه
الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر
الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اى يحكم بيننا
ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم
الفيصل فى القضايا المنغلقة العليم بما ينبغى ان يقضى به قل ارونى الذين الحقتم اى الحقتموهم
به شركاء اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه السلام اظهار خطائهم العظيم واطلاعهم
على بطلان رأيهم اى ارونيها لانظر بأى صفة الحقتموها بالله الذى ليس كمثله شئ فى استحقاق العبادة
وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو
الله العزيز الحكيم اى الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التى هى اخس
الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله عز وعلا او للشأن كما فى قل هو الله احد وما
ارسلناك الا كافة للناس اى الا ارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج
منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا
من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغى والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم متى هذا الوعد
بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان
كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به قل لكم ميعاد يوم اى وعد
يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرى ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعنى للتعظيم
لا تستأخرون عنه عند مفاجأته ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفى هذا الجواب من المبالغة
فى التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار فى الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا
ويجوز ان يكون نفى الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه
وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه اى من الكتب القديمة الدالة
على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون
نعته فى كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه القيمة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون للبعث
موقوفون عند ربهم اى فى موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اى يتجاورون

ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا بيان من يرجع اى يقول الاتباع للذين استكبروا
فى الدنيا واستتبعوهم فى الغى والضلال لولا انتم اى لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان لكنا
مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا فى الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم
الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين فى الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار اى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف
اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى وقرى بل مكر
الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين اى بل صدنا مكركم فى الليل والنهار على ان التنوين عوض عن
المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرى بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اى تكرون الاغواء
كرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اى بل صدنا كركم الاغواء فى الليل والنهار على ما مر
من الاتساع فى الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية اى بل تكرون الاغواء كر
الليل والنهار اى كرا دائما وقوله تعالى اذ تأمروننا ظرف لمكر اى بل مكركم الدائم وقت امركم لنا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما فى قوله تعالى يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى واى نعمة واما
امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة لما
رأوا العذاب اى اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الآخر
مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا
اى فى اعناقهم والاظهار فى موقع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا
يعملون اى لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملونه او الا بما كانوا يعملونه على نزع الجار وما ارسلنا فى
قرية من القرى من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ
الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اى الفريقين خير مقاما
واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة فى حقه عليه السلام
وكادوه بنحو ما كادوا به عليه السلام وقاسوا امور الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا
انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهموها وعلى
ذلك الرأى الركيك بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين انا بنا رسيلى على

انتفاء العذاب الاخروي بناء على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الآخرة على تقدير
وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر التكوين ان
ربي يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له ويقدر على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد
من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر
وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما
يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعذاب الذين مناطهما الطاعة وعدمها
وقرئ ويقدّر بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة
ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع
الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستأنف من جهته عز وجل خوطب به
الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة اموالكم واولادكم
بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث او بالخصلة التي تقربكم
وقرئ بالذي اي بالشيء الذي الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي وما الاموال
والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق امواله في سبيل الله تعالى ويعلم اولاده الخير ويربيهم
على الصلاح ويرشحهم للطاعة وقيل من اولادكم واموالكم على حذف المضاف اي الا اموال من الخ فاولئك
اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل
الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك
وفيه تأكيد لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على
الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف
ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ
جزاءٌ الضعفُ على فاولئك لهم الضعف جزاءً وجزاءَ الضعفَ على ان يجازوا الضعفَ وجزاءٌ الضعفُ
بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات اي غرفات الجنة
آمنون من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون
في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او زاعمين انهم يفوتوننا اولئك في
العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
اي يوسعه عليه تارة ويقدر له اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا
لنفحاته تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما آجلا وهو خير الرازقين فان

غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة له رازقية ويوم يحشرهم جميعا اي المستكبرين والمستضعفين
وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متأخر سيأتي تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر
ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أأنت
قلت للناس اتخذوني الخ واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم
اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك بظهورهم وقصورهم عن رتبة المعبودية
وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فماذا يقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين
عن ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقق
اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم
ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين
حيث اطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم
وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون الضمير
الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا
ولا ضرا من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرؤ عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون
بذلك على رؤوس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة
رجائهم بالكلية والفاء ليس لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا
بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي
هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم
في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما لتعميم العجز
او لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف
المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ
وقوله عز وجل ونقول للذين ظلموا عطف على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال
يوم القيامة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال
للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا
ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون يكون من الاحوال
والاهوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات بيان لبعض
آخر من كفرانهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم آياتنا الناطقة بحقية التوحيد

وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد
آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى انفسهم
لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا يعنون
القرآن الكريم الا افك اى كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع مفترى باسناده
الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق اى لامر النبوة او الاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف
العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر ولا تأمل فيه ان هذا الا سحر
مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين
والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه
وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها
ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم
اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا
المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم
من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم اى ما بلغ هؤلاء
عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء
من البينات والهدى فكذبوا رسلي عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير
كقوله تعالى كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا الخ فكيف كان نكير اى انكارى لهم بالتدمير فليحذر
هؤلاء من مثل ذلك قل انما اعظكم بواحدة اى ما ارشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هى
ما دل عليه قوله تعالى ان تقوموا لله على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدأ محذوف اى هى ان
تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة
والتقليد مثنى وفرادى اى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام
ويخلط الافكار بالاوهام وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمئنان ثم تتفكروا
في امره صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيته وقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة كلام
مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا الامر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والآخرة
لا يتصدى لادعائه الا مجنون ولا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد
من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم انه عليه السلام ارجح العالمين عقلا
واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات البشرية وجب ان

تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على
معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان يكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا
اى شئ به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد هو عذاب الآخرة فانه عليه السلام
مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال رأسا
كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تعالى
ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في
القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه السلام قرباهم ان اجري الا على
الله وهو على كل شئ شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ ان اجري بسكون الياء
قل ان ربي يقذف بالحق اى يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه
او يرمي به في اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق علام الغيوب
صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتدأ
محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة
غائب قل جاء الحق اى الاسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد اى زهق
الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا مأخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة
فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد
وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيد اى ولا يبدي خيرا لاهله ولا يعيده
وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها قل ان ضللت عن الطريق الحق فانما اضل
على نفسي فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا
الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى وان اهتديت فبما يوحي الي ربي لان الاهتداء بهدايته
وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء انه سميع قريب يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله وان
بالغ في اخفائهما ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف
اى لرأيت امرا هائلا فلا فوت فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن واخذوا من مكان
قريب من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها او من تحت اقدامهم
اذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا
ويؤيده انه قرئ واخذ بالعطف على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به اى بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم وانى لهم التناوش التناول

السهل اي ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف
وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من
يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها
وهو من ناشت الشيء اذا طلبته وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت
اذا ابطأت وتأخرت ومنه قول من قال تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور
وقد كفروا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب الشديد الذي انذرهم اياه من قبل من قبل ذلك في
اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول عليه
السلام من المطاعن او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه من مكان بعيد من جهة بعيدة من حاله
عليه السلام حيث ينسبونه عليه السلام الى الشعر والسحر والكذب وان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد
شيء من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي
شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم
ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم
بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع
الايمان والنجاة من النار وقرئ باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل اي باشباههم
من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب اي موقع في الريبة او ذي ريبة والاول
منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك
كما يقال شعر شاعر والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق
رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا تم

سورة الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه وقانون
ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة
محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق
جاعل الملائكة الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تعالى رسلا منصوب به
على الوجه الثاني من الاضافة بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر
يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال ابو سعيد
السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لانه باضافته الى الاول تعذرت اضافته

الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل
بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه
والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه
ايضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييريا اما على تقدير كونه ابداعيا
فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين اولي اجنحة صفة لرسلا واولو اسم
جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى
مثنى وثلث ورباع صفات لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت
ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد
منهم جناحان وخلقا اجنحة كل منهم ثلثة وخلق آخر لكل منهم اربعة اجنحة ويروى ان صنفا
من الملائكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون اجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما امروا
من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه راى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سأله عليهما
السلام ان يترائى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج عليه
السلام في ليلة مقمرة فاتاه جبريل صلوات الله عليهما في صورته فغشي عليه السلام ثم افاق
وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى
ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح
منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز
وجل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير يزيد في الخلق ما يشاء استئناف مقرر لما قبله
من تفاوت احوال الملائكة في عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من احكام مشيئته تعالى لا لامر راجع
الى ذواتهم ببيان حكم كلي ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب مشيئته
ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيص
بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة
بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم
المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاؤه ايجابا
بينا ما يفتح الله للناس من رحمة عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس الخزائن التي
يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام اي اي شيء يفتح الله من خزائن
رحمته اية رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها

اى لا احد يقدر على امساكها وما يمسك اى اى شئ يمسك فلا مرسل له اى لا احد يقدر على
ارساله واختلاف الضميرين لما ان مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثانى مطلق يتناولها وغيرها
كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده اى من بعد امساكه وهو العزيز
الغالب على كل ما يشاء من الامور التى من جملتها الفتح والامساك الحكيم الذى يفعل كل ما يفعل حسبما
يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب
الحكمة التى عليها يدور امر التكوين وبعد ما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيها
بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد فى ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة
خاصة بشكر نعمه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم اى انعامه عليكم ان جعلت النعمة
مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اى راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص
العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة فى نعمة الايجاد ونعمة
الابقاء نفى ان يكون فى الوجود شئ غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام
الانكارى المنادى باستحالته بجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله اى هل خالق مغاير
له تعالى موجود على ان خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له
باعتبار محله كما انه نعت له فى قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى
يرزقكم من السماء والارض اى بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محل له من الاعراب
داخل فى حيز النفى والانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورته
لان معناه نفى وجود خالق موصوف بوصفى المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفى وجود
ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل من انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله
تعالى من خالق على الفاعلية اى هل يرزقكم من خالق الخ لما ان معناهما نفى رازقية خالق مغاير له تعالى
من غير تعرض لنفى وجوده راسا مع انه المراد حتما الا يرى الى قوله تعالى لا اله الا هو فانه استيناف
مسوق لتقرير النفى المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة فحيث كان
هذا ناطقا بنفى الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء فى قوله تعالى فانى تؤفكون
لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية
والخالقية والرازقية فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك فقد
كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابى
الناس مسارعة الى تسليته عليه السلام بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اى
وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت عليهم الحجة والقمتهم الحجر فتأس

باولئك الرسل فى المصابرة على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن
ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة اى رسل اولو شأن خطير
وذوو عدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازى كلا منك ومنهم بما انتم عليه من الاحوال
التى من جملتها صبرك وتكذيبهم وفى الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا
وعقابا من المبالغة فى الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل
فى التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير ان وعد الله
المشار اليه برجع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهى بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول
الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهى صورة اليها كما فى قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى
ولا يغرنكم بالله وعفوه وكرمه تعالى الغرور اى المبالغ فى الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة
مع الاصرار على المعاصى قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن
لكن تعاطى الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول
السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهى للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين فى الكيفية وقرئ الغرور
بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود وجمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد
تزول وتقديم لكم للاهتمام به فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له فى عقائدكم وافعالكم وكونكم على حذر منه
فى مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته
بالتنبيه على ان غرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل
مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين فى الدنيا عند سعى بعضهم فى حاجة بعض بل هو
توريطهم والقاؤهم فى العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم و
اجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذى من جملته
عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
اما تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتى الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى
تينك العاقبتين والفاء للانكار وترتيب ما بعدها على ما قبلها اى ابعد كون حالهما كما ذكر يكون
من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان
والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى فان
الله يضل الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اى فانه تعالى يضل من يشاء

يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدي من يشاء
ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلى عليين وانما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام عن
التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي
بهم قطعا اي ابعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات دلالة بينة وانما تمهيد لصرفه عليه السلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة
في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي ابعد ما ذكر من زين له الكفر
من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته
فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الخ عليه انه ممن شاء الله تعالى ان يضله
فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تُذهب نفسك وقوله تعالى حسرات اما
مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام على
احوالهم او على كثرة قبايح اعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه
حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته
واما حال كان كلها صارت حسرات وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون اي من القبايح تعليل
لما قبله على الوجوه الثلثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي
مكة والله الذي ارسل الرياح مبتدأ وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى فتثير سحابا
لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد
بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها او للدلالة على استمرار الاثارة فسقناه
الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب
فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اي يبسها
وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما
به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذي شبه به بقوله
تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية
اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة التأتي
من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى
من تحت العرش ماء فينبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا
يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا
يتعززون بهم من الذين آمنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون

المؤمنين ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها
فلله العزة جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة اي فليطلبها منه لا من غيره
فاستغني عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح
وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة
عن كمال الاعتناء به كقوله تعالى هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم
الطيب الذي به يطلب العزة لا الى الملئكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطي
طلبته بالذات والملئكة في رفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب
العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يُصعد من الاصعاد
على البناء للمفعول والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعا
والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اذا قاله العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله
الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملئكة الا استغفروا
لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الى آخره
والذين يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب
والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات
وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الرأي في احدى الثلث التي
هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه
عنده لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه
من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي
امرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان
يمكروا به عليه السلام هو يبور اي هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد ابارهم الله
تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلث
التي اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل آخر على صحة
البعث والنشور اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا
ثم من نطفة اي ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا او ذكرانا واناثا وعن

قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته
وما يعمر من معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمره
اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه
زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة
اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار صلى
الله عليه وسلم بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص
ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم
ذهب يومان وهكذا حتى ياتي على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم
الا في كتاب عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان
ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام على الله يسير
لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه
وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل
انحداره لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيّغ كسيّد وسيغ بالتخفيف وملح
ككتف وقوله تعالى ومن كل اي من كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وتستخرجون اي من المالح
خاصة حلية تلبسونها اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل
والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما متفاوتان فيما هو المقصود
بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر المؤمن وان
شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء
احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكماله اللائق دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر من حيث
انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق
فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك
فيه اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل احد يتاتى منه
الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط مواخر شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة
لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما
يدل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اي ولتشكروا
على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل

بزيادة احدهما ونقص الآخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الآخر وسخر الشمس والقمر عطف على
يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد
فيه وانما المتعدد والمتجدد آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجري اي بحسب حركته الخاصة وحركته
القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا لاجل مسمى قدره
الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن رحمه الله تعالى وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين
بهما في فلكيهما والاجل المسمى عن منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله
في سورة لقمان ذلكم اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة
وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم الشان الذي ابدع هذه الصنائع البديعة
الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك البدايع مما يوجب ثبوت تلك
الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدأ في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء
التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
استيناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شانه السماع
ولو سمعوا على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من انهم
متبرؤن منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا ويوم القيمة يكفرون بشرككم
اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير اي
لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد
تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله
في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم
وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم
ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد اي المستغني على الاطلاق المنعم
على سائر الموجودات المستوجب ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد ليسوا على صفتكم
بل مستمرون على الطاعة او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك اي ما ذكر من الاذهاب بكم والاتيان
بآخرين على الله بعزيز بمتعذر ولا متعسر ولا تزر وازرة اي لا تحمل نفس آثمة وزر اخرى
اثم نفس اخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها واما ما في قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
من حمل المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلاهما اوزارهم
ليس فيها من اوزار غيرهم شيء وان تدع مثقلة اي نفس اثقلتها الاوزار الى حملها ليحمل بعض

اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب بحمل شيء منه ولو كان اي المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى
ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا نفي للحمل اختيارا والاول نفي له اجبارا انما تنذر استئناف
مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اي انما تنذر بهذه الانذارات الذين يخشون ربهم بالغيب
اي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غائب عنهم
واقاموا الصلوة اي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع انذارك
وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اي تطهر من اوضار
الاوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما ان من
تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ من ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم
الصلوة لانهما من معظم مبادي التزكي والى الله المصير لا الى احد غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيهم
على تزكيهم احسن الجزاء وما يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمؤمن ولا الظلمات و
النور اي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق
ولا الظل ولا الحرور اي ولا الثواب ولا العقاب وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء
وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور
ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول
ولذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين وقيل تمثيل
للعلماء والجهلة ان الله يسمع من يشاء ان يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما
انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع في اقناطه عليه السلام
من ايمانهم ان انت الا نذير ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من وظائفك
ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق اي محقين او محقا انت او ارسالا
مصحوبا بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق
وان من امة اي ما من امة من الامم الدارجة في الازمنة الماضية الا خلا اي مضى فيها
نذير من نبي او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا
آنفا ولان الانذار هو الانسب بالمقام وان يكذبوك اي تموا على تكذيبك فلا تبال بهم
وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم من الامم العاتية جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات
الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل
والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم
اخذت الذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة الاخذ

فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها الم تر استئناف مسوق
لتقرير ما قبله من اختلاف احوال الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات
من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية اي الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به
والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة
ثمرات مختلفا الوانها اي اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيآتها
واشكالها او الوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تعالى ومن الجبال جدد
اي ذو جدد اي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم
جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة
والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد
ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تاكيد لمضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد للاسود
كالفاقع للاصفر والقاني للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة
والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اي ومنهم بعض مختلف الوانه او وبعضهم
مختلف الوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما
لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس في الاحوال الباطنة لما ان
اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل
على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث
ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المبني على الحمل عليها والترغيب
فيها بخلاف احوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية عن التأمل فلذلك جردت عن
التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف اي صفة
لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك اي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ
الوانها وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل
من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية فبطريق
التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق
بها من البيان اي انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله
الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى منه عز وجل كما قال

ركبان مكة بين الغيل والسند تمامه

عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة
بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس
الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا
ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب
عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله اى يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت
سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين
من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية
تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية
الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام
والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها في ذكر
استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها
وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان الباقى مشروعا ليس الا حكمها لكن لا من حيث
انه حكمها بل من حيث انه حكم القرآن واما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة
واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد اليهما
وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر
ان وقوله تعالى لن تبور اى لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة للتجارة جئ بها للدلالة على
انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم
من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على
معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على
ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عد من افعالهم المرضية اى فعلوا ذلك ليوفيهم
وقيل بيرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اى غفور
لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو انفقوا
والذى اوحينا اليك من الكتاب وهو القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء
هو الحق مصدقا لما بين يديه اى احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته
تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن
امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار
على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اى

قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه وقيل اورثناه من الامم السالفة اى
اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير
بسيرتهم او الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء
على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله عليهم الصلوات وليس من ضرورة وراثة الكتاب
مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الاية فمنهم ظالم لنفسه
بالتقصير في العمل به وهو المرجأ لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات
ولا يخلو من خلط السيء ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قيل هم السابقون الاولون من
المهاجرين والانصار وقيل هم الملازمون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن
الله اى تيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها وقيل الظالم الجاهل و
المقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق
الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا
واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول الحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روى
ان عمر رضه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله
عز وعلا لا ينال الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة
المسبب او مبتدأ خبره يدخلونها وعلى الاول هو مستأنف وجمع الضمير لان المراد بالسابق
الجنس وتخصيص حال السابقين ومآلهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وان لم يدل
على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريضا على السعي في ادراك
شأو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ
يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت
المرأة فهي حالية من اساور هي جمع اسورة جمع سوار من ذهب من الاولى تبعيضية
والثانية بيانية اى يحلون بعض اساور من ذهب كانه افضل من سائر افرادها ولؤلؤا بالنصب
عطفا على محل من اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب اى من ذهب مرصع من لؤلؤ او من ذهب في
صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر سره في سورة الحج وقالوا اى يقولون
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو ما اهمهم من خوف

سوء العاقبة وعن ابن عباس رضه حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن
وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين
والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في
قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون
التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور اي للمذنبين
شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا من فضله
من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا
فيها لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح
بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين
كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان و
قرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تع ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها
بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران
لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى الكل وقرئ يجازى وهم يصطرخون
فيها يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا
اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من
غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه
وقوله تع اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم عمرا
يتذكر فيه من تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل سبعون سنة وعن ابن عباس اربعون
سنة وروي ذلك عن علي رضي الله تع عنهم وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم قال عليه السلام
اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تع وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية
لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تع الم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لانه في معنى قد شرحنا الخ والمراد
بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب
والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام والفاء في قوله تع فذوقوا لترتيب الامر بالذوق
على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تع فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب
السموات والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما
فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور

وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف
والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاءه في ارضه والقى اليكم مقاليد
التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم واورثكم
ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية
وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تع ولا يزيد الكافرين كفرهم
عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى
اياهم اي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده شر وخسار
والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين القبيحين
بطريق الاستقلال والاصالة قل تبكيتا لهم ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله
اي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تع من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل
جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا
من الارض بدل اشتمال من ارأيتم كانه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء خلقوا من
الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه وتعالى في خلق السموات
ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على
بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين
كما في قوله تع ام انزلنا عليهم سلطانا الخ وقرئ على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في
اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في
ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للاتباع بانهم
شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا لان
الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما اي ما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه
تع او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء
انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جنايتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين
بان تهدا هدا حسبما قال تع تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض الخ وقرئ ولو زالتا واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل
فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من

الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير واي
نذير اشرف الرسل عليهم السلام مازادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا
في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم و
مكرا السيء ثم ومكر السيء وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس فظن سكونا او وقفة
خفيفة وقرئ ومكرا سيئا ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون اي ماينظرون الا سنة
الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بان يضع موضع
العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء
لتعليل مايفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي
وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد انتفائهما اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد على ماقبله من جريان سنته تعالى
على تعذيب المكذبين بمايشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الامم
الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في
مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة
واطول اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على
الحالية وقوله تعالى وماكان الله ليعجزه من شيء اي ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض
اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استيصال الامم السالفة وقوله تعالى انه كان عليما قديرا
اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك ولو
يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا من السيئات كما فعل باولئك ماترك على ظهرها اي على
ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل ومن غيرهم ايضا من شؤم
معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله تعالى عنهما ويعضده الاول قوله تعالى
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا
فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبي صلى الله تعالى عليه و
سلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة
كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او النصب على انه مفعول

لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسين بالرفع والنصب اي هذه ياسين او اقرأ ياسين ولامساغ
للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء
الاول ولامجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف
كما سلف في فاتحة سورة البقرة من ان ماكانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف
ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين وياسين وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل يتأتى
فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما في
حيث واين حسبما يشهد بذلك قراءة ياسين بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد في
الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه يا انسان في لغة طي وقالوا
المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا انيسين فاقتصر على شطره كما قيل
من الله في ايمن الله والقرآن بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا
على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم الحكيم اي المتضمن للحكمة او الناطق بها
بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم
قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة
المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان انك لمن المرسلين جواب للقسم والجملة لرد انكار
الكفرة بقولهم في حقه عليه السلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه
بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به اولا و
بوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشانه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عليه السلام من حيث نظمه
المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء استشهاد
على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى
على صراط مستقيم خبر آخر لان او حال من المستكن في الجار والمجرور على انه عبارة عن الشريعة
الشريفة بكمالها لاعن التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته عليه السلام اقوم الشرائع
واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه عليه السلام من جملة المرسلين بالشرائع
تنزيل العزيز الرحيم نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على انه
بدل من القرآن وايا ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته
في كونه منزلا من عند الله عز وجل كانه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية بعد بيان
فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة
والرأفة العامة حث على الايمان به ترهيبا وترغيبا واشعارا بان تنزيله ناشئ عن غاية

الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد
لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استيناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة
شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيد لمضمون الجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل
على الوجوه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير اي لتنذر به كما في صدر الاعراف وقيل
هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين اي انك مرسل لتنذر قوما ما انذر آباؤهم اي
لم ينذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فيكون صفة مبينة لغاية
احتياجهم الى الانذار او الذي انذره او شيئا انذره آباؤهم الابعدون على انها
موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم الاقدمين على انها مصدرية
فيكون نعتا لمصدر مؤكد اي لتنذر انذارا كائنا مثل انذارهم فهم غافلون على الوجه
الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين اي لم ينذر آباؤهم فهم
جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما يفيده
انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره عليه السلام او ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما
على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر آباؤهم الاقدمون لامتداد
المدة واللام في قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم جواب القسم اي والله لقد ثبت
وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم
الاختياري على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان
وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف
لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملأن جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما
يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس
وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم
من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه
عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على
ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر
وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان اي
فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه و
لا يطأطئون رؤسهم له فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون

يرون الحق او ينظرون الى جهته وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم
لا يبصرون اما تتمة للتمثيل وتكميل له اي تكميل اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما
ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء اصلا
واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث
لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة
الغي والجهالات محرومين عن النظر في الادلة والآيات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل
ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشا
وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن رأسه
فاتاه وهو عليه السلام يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه
عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تعالى بصره
وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم بيان لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اي مستو
عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى لا يؤمنون استيناف
مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء او حال مؤكدة له او بدل منه ولما بين كون الانذار
عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل انما تنذر اي انذارا مستتبعا للاثر من اتبع
الذكر اي القرآن بالتأمل فيه او الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشي الرحمن بالغيب
اي خاف عقابه وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته ولم يغتر برحمته
فانه منتقم قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب الاليم فبشره بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة
او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية انا نحن نحيي الموتى بيان لشأن عظيم ينطوي على
الانذار والتبشير انطواء اجماليا اي نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى
الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة
وغيرها وآثارهم التي ابقوها من الحسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه
من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان
وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها
لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الآثار وقرئ
ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان احصيناه في امام مبين
اصل عظيم الشأن مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع

واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله
تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط واخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد
الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اى بينا لكم احوالا بديعة
هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار
على تكذيب الرسل اى طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول
اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله اصحاب
القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب
القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين
بناء على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما
اى فاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا اى قويناهما يقال عزز المطر الارض اذا لبدها
وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به
بثالث هو شمعون فقالوا اى جميعا انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما اتى
تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام
اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه
قال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام
فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا
قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم
بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا
خبره الى الملك فآنس به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب
بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال
صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس
العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فاخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين
ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت آلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس
عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع
ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام
فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت
ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان

مطلب

فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم
جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم
في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه ممن يؤمن احد سوى حبيب ولو آمن الملك
وقوم من حواشيه آمنوا لكان الظاهر ان يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك او قتلوا
كدأب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية
على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار قالوا اى اهل انطاكية
الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم
بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء مما تدعونه من
الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون
استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا
اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار وما علينا اى من جهة ربنا الا البلاغ المبين
اى الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة
لنا بعد ذلك من جهة ربنا او ما علينا شيء نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه
المذكور وقد فعلناه فاي شيء تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك قالوا لما ضاقت عليهم
الحيل وعيت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون
بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان
مستتبعا لسعادة الدارين او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة
ضر متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه
حبس عنهم القطر فقالوا لئن لم تنتهوا اى عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة
وليمسنكم منا عذاب اليم لا يقادر قدره قالوا طائركم اى سبب شؤمكم معكم
لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم اى وعظتم بما فيه
سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اى تطيرتم وتوعدتم بالرجم
والتعذيب وقرئ بالف بين همزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم وان
ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب
عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للتشؤم او مصححا للتوعد اى ليس الامر كذلك
بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او في الظلم والعدوان
ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى

مطلب

هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة
سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره عليه السلام احد قبل
مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه قال استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كانه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا
المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم
واستمالتها نحو قبول النصيحة وقوله اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون تكرير للتأكيد
وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى
خير الدنيا والدين وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة
لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة
خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق
الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة انكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تعالى ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا تنفعني شيئا من النفع ولا ينقذون من ذلك
الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب
اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردن بفتح الياء على معنى ان
يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر اني اذا اي اذا اتخذت من دونه آلهة لفي ضلال مبين
فان اشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير الا خيره
ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز في الجملة اني آمنت بربكم خطاب منه للرسل بطريق
التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك وانما
اكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير
واظهارا للاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم الذي ارسلكم او الذي تدعونني الى الايمان به
فاسمعون اي اسمعوا ايماني واشهدوا لي به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك
اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه
على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك
لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن
وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها
وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة الى بيانه
والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد

التصلب في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى قال يا ليت
قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية
حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله
ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا على سنن
الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه
كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة او مصدرية
والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اي باي شيء غفر لي
ربي يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده
من بعد قتله او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق
بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شأن الرسول صلى الله
عليه وسلم وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انا قدرنا
لكل شيء سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف
وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ما موصولة
معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة وغيرها ان
كانت اي ما كانت الاخذة والعقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام وقرئ
الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ الا زقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون
ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت
كالرماد كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة
على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى
ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت
بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون او قد تلهف عليهم
الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز ان يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق
الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي ونصبها
لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد
بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا
اي الم يعلموا وهو معلق عن العمل في قوله تعالى كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها
ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في

قولک الم تروا ان زیدا لمنطلق وان لم یعمل فی لفظه انهم الیهم لا یرجعون بدل من کم اهلکنا
علی المعنی ای الم یروا کثرة اهلاکنا من قبلهم من المذکورین آنفا ومن غیرهم کونهم غیر راجعین
الیهم وقری بالکسر علی الاستیناف وقری الم یروا من اهلکنا والبدل حینئذ بدل اشتمال
وان کل لما جمیع لدینا محضرون بیان لرجوع الکل الی المحشر بعد بیان عدم الرجوع الی الدنیا وان
نافیة وتنوین کل عوض من المضاف الیه ولما بمعنی الا وجمیع فعیل بمعنی مفعول ولدینا ظرف له
او لما بعده والمعنی ما کلهم الا مجموعون لدینا محضرون للحساب والجزاء وقیل محضرون معذبون
فکل عبارة عن الکفرة وقری لما بالتخفیف علی ان ان مخففة من الثقیلة واللام فارقة وما
مزیدة للتاکید والمعنی ان کلهم مجموعون لح وآیة لهم الارض المیتة بالتخفیف وقری بالتشدید
قوله تعالی آیة خبر مقدم للاهتمام به وتنکیرها للتفخیم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعنی العلامة او بمضمر
صفة لها والارض مبتدأ والمیتة صفتها وقوله تعالی احییناها استیناف مبین لکیفیة
کونها آیة وقیل آیة مبتدأ ولهم خبر والارض المیتة مبتدأ موصوف واحییناها خبره والجملة مفسرة
لآیة وقیل الارض مبتدأ واحییناها خبره والجملة خبر لآیة وقیل الخبر لها هو الارض واحییناها صفتها
لان المراد بها الجنس لا المعینة والاول هو الاولی لان مصب الفائدة هو کون الارض آیة لهم
لا کون الآیة هی الارض واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه یاکلون تقدیم الصلة للدلالة
علی ان الحب معظم ما یوکل ویعاش به وجعلنا فیها جنات من نخیل واعناب ای من انواع
النخل والعنب ولذلک جمعهما دون الحب فان الدال علی الجنس مشعر بالاختلاف ولا کذلک
الدال علی الانواع وذکر النخیل دون التمور لیطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزید النفع
وآثار الصنع وفجرنا فیها وقری بالتخفیف والفجر والتفجیر کالفتح والتفتیح لفظا ومعنی من العیون
ای بعضا من العیون فحذف الموصوف واقیمت الصفة مقامه او العیون ومن مزیدة علی رای
الاخفش لیاکلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتاخیره عن تفجیر العیون لانه من مبادی الاثمار
ای وجعلنا فیها جنات من نخیل ورتبنا مبادی اثمارها لیاکلوا من ثمر ما ذکر من الجنات والنخیل
باجراء الضمیر مجری اسم الاشارة وقیل الضمیر لله تعالی بطریق الالتفات الی الغیبة والاضافة
لان الثمر بخلقه تعالی وقری بضمتین وهی لغة فیه او جمع ثمار وبضمة وسکون وما عملته ایدیهم
عطف علی ثمره وهو ما یتخذ منه من العصیر والدبس ونحوهما وقیل ما نافیة والمعنی ان الثمر بخلق
الله تعالی لا بفعلهم ومحل الجملة النصب علی الحالیة ویوید الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذف
العائد من الصلة احسن من الحذف من غیرها افلا یشکرون انکار واستقباح لعدم شکرهم
للنعم المعدودة والفاء للعطف علی مقدر یقتضیه المقام ای ایرون هذه النعم او ایتنعمون بها

فلا

فلا یشکرون سبحان الذی خلق الازواج کلها استیناف مسوق لتنزیهه تعالی عما فعلوه
من ترک شکره علی آلائه المذکورة واستعظام ما ذکر فی حیز الصلة من بدائع آثار قدرته واسرار
حکمته وروائع نعمائه الموجبة للشکر وتخصیص العبادة به والتعجیب من اخلالهم بذلک والحالة
هذه وسبحان علم للتسبیح الذی هو التبعید عن السوء اعتقادا او قولا ای اعتقاد البعد عنه
والحکم به من سبح فی الارض والماء اذا ابعد فیهما وامعن ومنه فرس سبوح ای واسع الجری وانتصابه
علی المصدریة ولا یکاد یذکر ناصبه ای اسبح سبحانه ای انزهه عما لا یلیق به عقدا وعملا تنزیها خاصا به حقیقا
بشانه وفیه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الی التفعیل ومن جهة العدول
عن المصدر الدال علی الجنس الی الاسم الموضوع له خاصة لا سیما العلم المشیر الی الحقیقة الحاضرة
فی الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقیل هو مصدر کغفران ارید به التنزه التام و
التباعد الکلی عن السوء ففیه مبالغة من جهة اسناد التنزه الی الذات المقدسة فالمعنی
تنزه بذاته عن کل ما لا یلیق به تنزها خاصا به فالجملة علی هذا اخبار من الله تعالی بتنزهه وبراءته
عن کل ما لا یلیق به مما فعلوه وما ترکوه وعلی الاول حکم منه عز وجل بذلک وتلقین للمومنین
ان یقولوه ویعتقدوا مضمونه ولا یخلوا به ولا یغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف
والانواع مما تنبت الارض بیان لها والمراد به کل ما ینبت فیها من الاشیاء المذکورة
وغیرها ومن انفسهم ای خلق الازواج من انفسهم ای الذکر والانثی ومما لا یعلمون
ای والازواج مما لم یطلعهم الله تعالی علی خصوصیاته لعدم قدرتهم علی الاحاطة بها ولما لم یتعلق
بذلک شیء من مصالحهم الدینیة والدنیویة وانما اطلعهم علی ذلک بطریق الاجمال علی منهاج
قوله تعالی ویخلق ما لا تعلمون لما نیط به وقوفهم علی عظم قدرته تعالی وسعة ملکه وسلطانه وآیة لهم
اللیل جملة من خبر مقدم ومبتدأ موخر کما مر وقوله تعالی نسلخ منه النهار جملة مبینة
لکیفیة کونه آیة ای نزیله ونکشف عن مکانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بین الحیوان
وجلده من الاتصال والاغلب فی الاستعمال تعلیقه بالجلد یقال سلخت الاهاب
من الشاة وقد یعکس ومنه الشاة المسلوخة فاذا هم مظلمون ای داخلون فی
الظلام مفاجأة وفیه رمز الی ان الاصل هو الظلام والنور عارض والشمس
تجری لمستقر لها لحد معین ینتهی الیه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسیره او لکبد
السماء فان حرکتها فیه توجد ابطأ بحیث یظن ان لها هناک وقفة قال والشمس حیری لها فی
الجو تدویم او لاستقرار لها علی نهج مخصوص او لمنتهی مقدر لکل یوم من المشارق والمغارب
فان لها فی دورها ثلثمائة وستین مشرقا ومغربا تطلع کل یوم من مطلع وتغرب من مغرب

ثم لا تعود اليها الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرى الى مستقر لها وقرى
لا مستقر لها اى لا سكون لها فانها متحركة دايما وقرى لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس
ذلك اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته
وبعد منزلته اى ذلك الجرى البديع المنطوى على الحكم الرائقة التى تحار فى فهمها العقول و
الافهام تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم
والقمر قدرناه بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرى بالرفع على الابتداء اى قدرنا
له منازل وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطان
البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة
الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة
النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم
فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاها
ولا يتقاصر عنها فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس
حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرى
كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل هو ما مر عليه
حول فصاعدا لا الشمس ينبغى لها اى يصح ويتسهل لها ان تدرك القمر فى سرعة
السير فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او فى الآثار والمنافع او فى المكان
بان تنزل فى منزله او فى سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على انها مسخرة
لا يتيسر لها الا ما قدر لها ولا الليل سابق النهار اى يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه
وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا
للاول وايراد السبق مكان الادراك لانه الملائم لسرعة سيره وكل اى وكلهم على ان التنوين
عوض من المضاف اليه الذى هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض
لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما فى الذات او الى الكواكب فان
ذكرهما مشعر بها فى فلك يسبحون يسيرون بانبساط وسهولة وآية لهم انا حملنا ذريتهم
اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونسائهم الذين يستصحبونهم فان الذرية
تطلق عليهن لا سيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم فى السفن اشق
واستمساكهم فيها ابدع فى الفلك المشحون اى المملوء وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل
ذرياتهم فيها حمل آبائهم الاقدمين وفى اصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص اعقابهم بالذكر دونهم لانه ابلغ فى

تسخير القهر والقسر

الامتنان وادخل فى التعجب الذى عليه يدور كونه آية وخلقنا لهم من مثله مما يماثل الفلك
ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها
مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامه
بل لمزيد اختصاص اصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا
ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة
ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار وان نشأ نغرقهم مع تمام
الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين
له الدين وقرى نغرقهم بالتشديد وفى تعليق الاغراق بمحض المشية اشعار بانه قد تكامل ما يوجب
اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيته تعالى به اى ان نشأ نغرقهم فى اليم مع ما حملناهم
فيه من الفلك فحديث خلق الابل ح كلام جئ به فى خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل
بين الابل والفلك فكانها نوع منه او مع ما يركبون من السفن والزوارق فلا صريخ لهم اى فلا
مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم اتاهم الصريخ
ولاهم ينقذون اى ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى الا رحمة منا ومتاعا استثناء مفرغ
من اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة اى لا يغاثون ولا ينقذون لشئ
من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ وتمتيع بالحيوة مترتب عليهما
ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اى
لنوع من الرحمة وتمتيع الى حين اى الى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل ولم اسلم لكى ابقى ولكن
سلمت من الحمام الى الحمام واذا قيل لهم اتقوا بيان لاعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان
اعراضهم عن الآيات الآفاقية التى كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها اى اذا قيل لهم بطريق
الانذار بما نزل من الآيات او بغيره اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من الآفات والنوازل
فانها محيطة بكم او ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون او من الوقايع
النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم فى الآخرة او من نوازل السماء ونوائب الارض
او من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون اما حال من واو
اتقوا او غاية له اى راجين ان ترحموا او كى ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس
الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم
الا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا اما اذا كان الانذار بالآية الكريمة فبعبارة النص واما ان
كان بغيرها فبدلالته لانهم حين اعرضوا عن آيات ربهم فلان يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية

كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على
الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية و
اضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه في
حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما نزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي
من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للاقبال عليها
والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الآيات
التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الآيات الثلث المعدودة
آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحي وظهور تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التي من
جملتها ما ذكر من شؤنه الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين
للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان به تعالى وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى
وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان
الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز النصب على انها
حال من مفعول تأتي او من فاعله المخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ
من اعم الاحوال اي ما تأتيهم من آية من آيات ربهم في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها او ما تأتيهم
آية منها في حال من احوالها الا حال اعراضهم عنها واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي اعطاكم
بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الانفاق
على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال
بالامر وكذلك من التبعيضية اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من
فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره قال الذين كفروا بالصانع
عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور
بمشيئة الله تعالى انطعم حسبما تعظوننا به من لو يشاء الله اطعمه اي على زعمكم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله
ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم
التي زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون انه تعالى لما لم يشأ اطعامهم
وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده باسباب
من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك ان انتم الا في ضلال مبين
حيث تأمروننا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز ان يكون جوابا لهم من جهته تعالى او حكاية

لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي فيما تعدوننا به من قيام
الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم آيات
الوعد بقيامها ومعنى القرب في هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد
ما ينظرون جواب من جهته تعالى اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم
مفاجأة وهم يخصمون اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها
كقوله تعالى فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علائمها ولا يزعموا انها لا تأتيهم
واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ
بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع
بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله
فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ان كانوا فيما بين اهليهم ولا الى اهلهم يرجعون
اذا كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا ونفخ في الصور هي النفخة
الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها
فاذا هم من الاجداث اي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم مالك امرهم على الاطلاق
ينسلون يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم
السين قالوا اي في ابتداء بعثهم من القبور يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا
من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا
وقيل اصله هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير وقيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم
لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم
فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس رضه وابي بن كعب وقتادة رح ان الله
تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال
القيمة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب يصير
عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر
والمرقد اما مصدر اي من رقادنا او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة
او المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على ان الذي يهمهم
هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه
وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من

كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون بانفسهم او بعضهم بعضاً
وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد الخ خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون حق ان كانت اي ما كانت النفخة التي حكيت آنفاً الا صيحة واحدة
حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فاذا هم جميع اي مجموع لدينا محضرون
من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الاسباب
ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة شيئاً من الظلم ولا
تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شيء
واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده انه تعالى يوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافاً مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب
المعد لهم تحقيقاً للحق وتقريعاً لهم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر
بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم
عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما
سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم
والمراد ههنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به
ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او
السماع او ضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او
شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم
كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه
فقط بل بيان انه من جملة اشغالهم وتخصيص كل منهم كلاً من تلك الامور بالذكر محمول على
اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جاره خبر لان وفاكهون خبر آخر لها اي انهم مستقرون
في شغل واي شغل في شغل عظيم الشان متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم
هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها تنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها
ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل بفتحتين وبفتحة
وسكون والكل لغات وقرئ فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس وفاكهين
وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون

استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسروراً من شركة ازواجهم
لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على ان هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران
صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل او هو والجاران بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة
وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستأنف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على
انه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكين بلا همز نصباً على الحال من المستكن في الظرفين
او احدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال
او هذا الضمير هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده
قراءة في ظلل والارائك جمع اريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا يكون اريكة حتى
يكون عليها حجلة وقوله تعالى لهم فيها فاكهة الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون
به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلاً لبيان
كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى
ولهم ما يدعون موصولة او موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشان معين او مبهم ايذاناً بانه الحقيق
بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به نوعاً لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه او هي باقية
على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر واياً ما كان فهو مبتدأ ولهم خبره
والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعونه على فاكهة لئلا يتوهم كونه عبارة
عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشان او كل ما يدعونه
كائناً ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور واياً ما كان ففيه دلالة على انهم في اقصى غاية
البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما اشير اليه مثل اشتوى واجتمل اذا شوى
وجمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع علي
ما شئت بمعنى تمنه علي وقال الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة يأتيهم وقيل افتعال
بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره
الكواشي وقوله تعالى سلام على التقدير الاول خبر ما يدعون او خبر لمبتدأ محذوف وقولاً
مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كانه قيل ولهم سلام
او ما يدعون سلام يقال لهم قولاً كائناً من جهة رب رحيم اي يسلم عليهم من جهته تعالى
بواسطة الملك او بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والملائكة يدخلون
عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة
كما يقال لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبر والجار والمجرور لبيان من له ذلك

ای علی تقدیر کون ما خبراً علی [illegible]

اي ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب
رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر اي لهم سلام اي تسليم قولا من
رب رحيم او سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره
سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصب
لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ
سِلْم وهو بمعنى السلام في المعنيين **وامتازوا اليوم** عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان
احوال اهل الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه
بل على انه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف
ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين
وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشان
وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم **ايها المجرمون**
اي عن مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى
ولا يُرى واما ما قيل من ان المضمر فليمتازوا وانعزلوا من السداد لما ان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر
من الحال المرضية حتى يستدعي ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون
ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدي نفعا لان مناط الاضمار انسياق الاذهان اليه
وانصباب نظم الكلام عليه فبعدما نزلت تلك الحالة منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام
من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية
يكون التصدي لاضمار شيء يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة **الم اعهد اليكم يا بني آدم
ان لا تعبدوا الشيطان** من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز
وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة
والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم السلام من الاوامر والنواهي التي من جملتها
قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق
المأخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بني آدم واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية
والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به
اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل
وقرئ اِعهد بكسر الهمزة واعهِد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واحّد بالادغام وهي لغة بني تميم

انه لكم

انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي **وان
اعبدوني** عطف على ان لا تعبدوا على ان ان فيهما مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر
او مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي
على الامر لما ان حق التخلية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى **هذا صراط
مستقيم** فانه اشارة الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى
هذا صراط علي مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام في
قوله تعالى **ولقد اضل منكم جبلا كثيرا** جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ
وتأكيد التقريع ببيان ان جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من
العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان فالخطاب لمتأخريهم الذين من
جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء
وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين
وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة وقرئ
جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اي وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط
المستقيم الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ
الآفاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى **افلم تكونوا تعقلون** للعطف على
مقدر يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم
او فلم تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى **هذه
جهنم التي كنتم توعدون** استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند
اشرافهم على شفير جهنم اي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان
مثل قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم
فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم
اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى **اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون** امر تنكيل واهانة كقوله تعالى
ذق انك انت الخ اي ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى
اليوم نختم على افواههم اي نمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة
استدعى ان يعرض عنهم ويحكي احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من مقتضيات
الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم **وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم
بما كانوا يكسبون** يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم

فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم
القيمة اني لا اجيز على شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلي
بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها
على افعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي والنصب
على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشية محذوف
على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم
لفعلناه وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار
عدم المشية فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل
قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما قرر في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير
فاستبقوا الصراط اي فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه على ان انتصابه بنزع
الجار او بتضمين الاستباق معنى الابتدار او بالظرفية فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك
ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم اي مكانهم الا ان المكانة اخص كالمقامة
والمقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار
ولا رجوع وذلك قوله تعالى فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اي لا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة
الفاصلة عن ابن عباس رضي الله عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على
ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر
من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من
آثار دمار امثالهم احقاء بان يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وان
المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشية الالهية به كانه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا
على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشاءها جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين
الى امهالهم ومن نعمره اي نطل عمره ننكسه في الخلق اي نقلبه فيه ونخلقه على عكس
ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وينتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود
الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من
الثلاثي وننكسه من الانكاس افلا يعقلون اي ايرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك
يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيته تعالى بهما وقرئ تعقلون
بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال لما كانوا يقولون في حقه عليه السلام من انه

شاعر وما يقوله شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام
متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات
واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون
الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن اين اشتبه عليهم الشؤون
واختلط بهم الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه
مطلب
اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط لتكون الحجة اثبت
والشبهة ادحض واما قوله عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله عليه
السلام هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة
من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن اي وما ينبغي للقرآن ان
يكون شعرا ان هو اي ما القرآن الا ذكر اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين
كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقرآن مبين اي كتاب سماوي بين كونه كذلك
او فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما
فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوه لينذر اي القرآن او الرسول عليه السلام ويؤيده
القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار من كان
حيا اي عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحيوة الابدية
بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول اي تجب كلمة العذاب على
الكافرين المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم من آثار
الحيوة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة اولم يروا الهمزة للانكار والتعجب
والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي الم يتفكروا او الم يلاحظوا
ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة انا خلقنا لهم اي لاجلهم وانتفاعهم مما عملت
ايدينا اي مما تولينا احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة
في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به انعاما مفعول خلقنا وتأخيره عن الجارين
المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن
لا سيما عند كون المقدم منبئا عن كون المؤخر امرا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار
الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس
شوقا اليه ورغبة فيه ولان في تأخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى فهم لها مالكون

الآيات اى محلكين لها بايجاد وايثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية لعمله اى فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم فى ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما فى قول من قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى وذللناها لهم تاسيسا لنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اى صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصى عليهم فى شئ مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى فمنها ركوبهم الخ فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اى فبعض منها ركوبهم اى مركوبهم اى معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم اى ذو ركوبهم ومنها ياكلون اى وبعض منها ياكلون لحمه ولهم فيها اى فى الانعام بكلى قسميها منافع اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران ومشارب من اللبن جمع مشرب وفى هذا المجمل ما فصل فى سورة النحل افلا يشكرون اى يشاهدون هذه النعم او يتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا من دون الله اى متجاوزين الله تعالى الذى شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة آلهة من الاصنام واشركوها به تعالى فى العبادة لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور او ليشفعوا لهم فى الآخرة وقوله تعالى لا يستطيعون نصرهم الخ استيناف سيق لبيان بطلان رايهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اى لا تقدر آلهتهم على نصرهم وهم اى المشركون لهم اى لآلهتهم جند محضرون يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون فى الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فان الفاء فى قوله تعالى فلا يحزنك قولهم لترتيب النهى على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة واما كونهم معدين لخدمتهم وحفظهم فبمعزل من ذلك والنهى وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه فى الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عن التأثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه وآكده فان النهى من اسباب الشئ ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية وقد يوجه النهى الى المسبب ويراد النهى عن السبب كما فى قولك لا ارينك هنهنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم

الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وانهم شركاء لله سبحانه فى المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاى من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى انا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهى بطريق الاستيناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اى انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التى لا يعزب عن علمنا شئ منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة فى بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما فى الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدم على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه مضمر فى القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة كلام مستانف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا فى انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهده كما ان ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هى مستتبعة للمعطوف كما مر فى الجملة الانكارية السابقة اى الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة الخ او هى عين الجملة السابقة اعيدت تاكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احق منه بالانكار والتعجيب لما ان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وهنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب فى ان علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالانكار والتعجيب من الاخلال بذلك ادخل كانه قيل الم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم ايضا مع كون العلم بذلك فى غاية الظهور ونهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول قبيح والثانى ابعد واقبح ويجوز ان يكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على انها متفقة فى الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة فى الكلام كما هو راى الجمهور وايراد الانسان موردا لضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان كما فى قوله تعالى اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين اى شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل فى حيز الانكار والتعجيب كانه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجا خصومتنا

في امر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بيّنة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في
الخصومة واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابيّ بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص
ابن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابيّ بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد
ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن اليه ولأخصمنه واخذ عظما باليا
فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى ان الله يحيي هذا بعد ما رمّ قال صلى الله عليه وسلم
نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما
ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو
حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من متممات شواهد صحة
البعث فقوله تعالى وضرب لنا مثلا معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار
والتقبيح واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب
لنا مثلا اي اورد في شأننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي
انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد
وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل
على العموم وقوله تعالى ونسي خلقه اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان
ما ضربه اما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه
وقوله تعالى قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل اي مثل
ضرب او ماذا قال فقيل قال من يحيي العظام منكرا له اشد النكير مؤكدا له بقوله وهي
رميم بالية اشد البلى بعيدة من الحيوة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى
للعظام فانه امر عجيب في نفس الامر حقيق بغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضرورة جزم
جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل اهون منه في قياس العقل وعلى
الثاني هو احياؤه تعالى لها فانه امر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد
الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء او اهون منه
واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه
خبر المؤنث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الاية الكريمة
من اثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر
ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي
حساس قل تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشادا الى

ط

طرفيه الاستشهاد بها يحييها الذي انشأها اول مرة فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها
والمادة على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء
واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها واوضاع
بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على
النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب
او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر
ليس كانشائه للمنشآت وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل من الموصول الاول
وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اي خلق لاجلكم
ومنفعتكم منه نارا على ان الجعل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع
تأخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا
الى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل
السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فينقدح
النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى فاذا انتم منه توقدون فمن قدر على احداث النار
من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة
الى ما كان غضا فطرأ عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
الخ استئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذي امر عليه السلام بان يخاطبهم
بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أليس
الذي انشأها اول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض
مع كبر جرمهما وعظم شأنهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالنسبة اليهما
فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى بلى جواب من جهته تعالى وتصريح
بما افاده الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او
تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى وهو الخلاق العليم عطف على ما يفيده الايجاب اي
بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما انما امره اي شأنه اذا اراد
شيئا من الاشياء ان يقول له كن اي ان يعلق به قدرته فيكون فيحدث من غير
توقف على شيء آخر اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما اراده بامر الآمر المطاع للمأمور
المطيع في سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على

يقول فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عز و علا عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما
قالوا فى شانه تعالى وقد مر تحقيق معنى سبحان والفا للاشارة الى ان ما فُصل من شئونه تعالى
موجب لتنزيهه وتنزيهه اكمل ايجاب كما ان وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها
مقتضية لذلك اتم اقتضاء والملكوت مبالغة فى الملك كالرحموت والرهبوت وقرى ملكة كل
شئ ومملكة كل شئ وملك كل شئ واليه ترجعون لا الى غيره وقرى ترجعون بفتح التاء
من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس كنت لا اعلم ما روى فى فضائل
يس وقرائتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له واعطى
من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل ملك الموت سورة
يس نزل بكل حرف فيها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له و
يشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو
فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب
الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان
ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه
وسلم ان فى القرآن سورة تشفع قارئها وتغفر لمستمعها الا وهى سورة يس

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملئكة الفاعلات
للصفوف على ان المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول او الصافات انفسها
اى الناظمات لها فى سلك الصفوف بقيامها فى مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى
وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات
اقدامها فى الصلوة وقيل اجنحتها فى الهوآء فالزاجرات زجرا اى الفاعلات للزجر او
الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور
ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصى وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغوآء وعن استراق
السمع كما سيأتى وصفا وزجرا مصدران موكدان لما قبلهما اى صفا بديعا وزجرا بليغا و
اما ذكرا فى قوله تعالى فالتاليات ذكرا فمفعوله التاليات اى التاليات ذكرا عظيم الشان
من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد

والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر موكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات
ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها فى الفضل اما بكون الفضل للصف
ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو
للدلالة على ترتب الموصوفات فى مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات ذوات
فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات
نفوس العلماء العمال الصافات انفسها فى صفوف الجماعات واقدامها فى الصلوات
الزاجرات بالمواعظ والنصايح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرايعه واحكامه وقيل
طوائف الغزاة الصافات انفسهم فى مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص او طوائف
قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو فى المعارك طردا التاليات
آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه فى تضاعيف ذلك الكلام فى العطف ودلالته على ترتيب الصفات
فى الفضل او ترتب موصوفاتها فيه كالذى سلف واما الدلالة على الترتيب فى الوجود كما
فى قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فغير ظاهرة فى شئ من الطوائف
المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر فى الملئكة والقراءة فتاخر التلاوة عن الزجر
غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصى
والتاليات كل ما يتلو كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء فى
الصاد والزاء والذال ان الهكم لواحد جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذى هو التوحيد
بما هو المألوف فى كلامهم من التاكيد القسمى وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به اعنى قوله تعالى
رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع
من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما فى قوله تعالى لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر لمبتدأ محذوف اى مالك السموات والارض
وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب
فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من
مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم فى مغرب منها واما قوله تعالى رب المشرقين ورب
المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما انا زينا السماء الدنيا اى القربى منكم بزينة عجيبة
بديعة الكواكب بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اى ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها
واوضاع بعضها من بعض زينة واى زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة
على كل ما يزان به فيقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هى به وهو ضوءها

عن ابن عباس رضه بزينة الكواكب بضوء الكواكب وهذا اما على تقدير كون الزينة مصدرا فاما
على تقدير اضافتها الى الفاعل بان زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها
الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها واصله بزينة الكواكب والمراد هو التزيين في رأي
العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كانها جواهر متلالئة في سطح سماء
الدنيا بصور بديعة واشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا
القمر في الستة المتوسطة ان ثبت ذلك وحفظا منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى
كانه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد اى خارج عن الطاعة
برمى الشهب فيه اما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل به كانه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها
بالكواكب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون
الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية
الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال
مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما
حذفت من قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم حذف ان واهدر عملها كما في قول من قال
الا ايهذا الزاجري احضر الوغا لما ان كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فاما
اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون
يتسمعون والملأ الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضه هم الكتبة وعنه اشراف الملائكة عليهم السلام
اى لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف ويقذفون يرمون من كل
جانب من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها دحورا علة للقذف اى للدحور وهو
الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر مؤكد لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اى قذفا
دحورا مبالغا في الطرد وقد جوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع ولهم عذاب واصب اى ولهم
في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا لهم
عذاب السعير الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس
والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة
وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب اى تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه
والشهاب ما يرى منقضا من السماء ثاقب مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين
اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم قالوا وانما يعود من يسلم منهم حيا طمعا في
السلامة ونيل المراد كراكب السفينة فاستفتهم فاستخبر مشركي مكة اهم اشد خلقا اى اقوى

تمام
وان اشهد اللذات هل انت مخلدی

خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا ام من خلقنا من الملائكة والسماء والارض
وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه
اطلاقه ومجيئه بعد ذلك لاستقامة قراءة من قرأ ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب
فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد
ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب بل عجبت
اى من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك
وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي الى حيث عجبت
منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وسخروا ممن
يجوزه والتعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة
تعتري الانسان عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اى قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا
اى واذا وعظوا بشيء من المواعظ لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على
صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم واذا رأوا آية اى معجزة تدل على صدق
القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر
منها وقالوا ان هذا اى ما يرونه من الآية الباهرة الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما اى كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية
والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون اى قوله تعالى ائنا لمبعوثون اى نبعث لا نفسه لان دونه خطوبا
لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية له
غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في ائنا للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد
الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى
افلا تعقلون على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور
وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية فقط اوآباؤنا الاولون رفع على الابتداء وخبره
محذوف عند سيبويه اى وآباؤنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها
وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما اشركنا
ولا آباؤنا وايا ما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ
او آباؤنا قل تبكيتا لهم نعم والخطاب في قوله تعالى وانتم داخرون لهم ولآبائهم بطريق
التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اى كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم
بكسر العين وهي لغة فيه فانما هي زجرة واحدة هي اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة

والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي الخ او لا تستصعبوه فانما
هي الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية فاذا هم قائمون
من مراقدهم احياء ينظرون يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا اي المبعوثون
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر يا ويلنا اي يا هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك و
قوله تعالى هذا يوم الدين تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اي اليوم الذي نجازى
فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم
فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون كلام
الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق
بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا خطاب من الله عز وجل للملائكة او منهم
لبعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اي اشباههم
ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا
ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله
من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى الآية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم
بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط الجحيم اي عرفوهم طريقها ووجهوهم
اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم في الموقف كان الملائكة عليهم السلام سارعوا الى ما امروا
به من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى انهم مسؤولون ايذانا من اول الامر بان ذلك
ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل
فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله عز وجل ما لكم لا تناصرون بطريق
التوبيخ والتقريع والتهكم اي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتأخير هذا السؤال
الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها
بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام
بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم
بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر واقبل حينئذ بعضهم على بعض هم
الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق
الخصومة والجدال قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف
تساءلوا فقيل قالوا اي الاتباع للرؤساء او الكل للقرناء انكم كنتم تأتوننا في الدنيا عن اليمين

عن اقوى الوجوه وامتنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا
مستعار من يمين الانسان الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك سمي يمينا
وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الغي وهو الاوفق للجواب او عن الحلف
حيث كانوا يحلفون انهم على الحق قالوا استئناف كما سبق اي قال الرؤساء او القرناء
بل لم تكونوا مؤمنين اي لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم
منه وآثرتم الكفر عليه وما كان لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم
بل كنتم قوما طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه فحق علينا اي لزمنا وثبت علينا
قول ربنا وهو قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا لذائقون اي
العذاب الذي ورد به الوعيد فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم
واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من
الدعوة لتكونوا امثالنا في الغواية فانهم اي الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب
مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك اي مثل ذلك الفعل البديع الذي
يقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في الاجرام وهم المشركون كما يعرب
عنه التعليل بقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا اله الا الله
يستكبرون عن القبول ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق
المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان
واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة انكم بما فعلتم
من الاشراك وتكذيب الرسول عليه السلام والاستكبار لذائقوا العذاب الاليم و
الالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر
الله الا قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء
ما كنتم تعملونه من السيئات او الا بما كنتم تعملونه منها الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع
من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس
الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون
الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا مضاعفة مما لا وجه له اصلا الا ان يجعل
استثناء متصلا بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فانه ليس في حيز الاحتمال فالمعنى انكم
لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى اولئك
اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص في عبادته تعالى عمن عداهم

اشبازا بانها ستنظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم اما خبره وقوله تعالى رزق مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار او مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لاولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما افاده الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هى خبر للاستثناء المنقطع على انه بمعنى لكن المبتدأ وقوله تعالى معلوم اى معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى فواكه اما بدل من رزق او خبر مبتدأ مضمر اى ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه اى ما يوكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك اعظم المثوبات واليقها باولى الهمم وقيل مكرمون فى نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسوال كما هو شان ارزاق الدنيا وقرى مكرمون بالتشديد فى جنات النعيم اى فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن فى مكرمون او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى على سرر محتمل للحالية والخبرية فقوله تعالى متقابلين حال من المستكن فيه او فى مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم اما استيناف مبنى على سوال نشا من حكاية تكامل مجالس انسهم او حال من الضمير فى متقابلين او فى احد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون بكاس باناء فيه خمر او بخمر فان الكاس يطلق على نفس الخمر كما فى قول من قال وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها من معين متعلق بمضمر هو صفة لكاس اى كائنة من شراب معين او من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به الخمر وهو للانهار لانها تجرى فى الجنة فى انهار كما يجرى الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتا ايضا لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة كانها نفس اللذة او لانها تانيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدى تركته بارض العدى من خيفة الحدثان يريد به النوم لا فيها غول اى غائلة كما فى خمور الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله افرده بالنفى مع اندراجه فيما قبله من نفى الغول عنها لما انه من معظم مفاسد الخمر كانه جنس برأسه المعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم ولا هم يسكرون وقرى ينزفون بكسر

الزاء من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرى ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف بفتح الزاء فيهما وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف اى يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم فى الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضى للتاكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم فى تضاعيف محاوراتهم انى كان لى فى الدنيا قرين مصاحب يقول لى على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث ائنك لمن المصدقين اى بالبعث وقرى بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اى لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اى ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال ابن مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله تعالى فى الآخرة خيرا منه فقال ائنك من المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما لتاكيد انكار الجزاء المبنى على انكار البعث قال اى ذلك القائل بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه فى الدنيا هل انتم مطلعون اى الى اهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان فى الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار فاطلع اى عليهم فرآه اى قرينه فى سواء الجحيم اى فى وسطها وقرى فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرى مطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط فى اطلاعه اطلاعهم كما هو دين الجلساء فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرى مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله

الغرض طلبا بالنيام فنسب اليه الحكم

اذا ما خشوا من محدث الدهر معظما

هم الفاعلون الخير والآمرون به او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي قال اي القائل مخاطبا لقرينه تالله ان كدت لتردين اي لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة من انّ وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة اي تالله ان الشان كدت لتردين ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين اي من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت واضرابك وقوله تعالى افما نحن بميتين رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما اتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قالوه تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح فنودي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها وما نحن بمعذبين كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اي الامر العظيم الذي نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي اذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم التي حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة في اصل الجحيم طلعها اي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل والطلوع من الشجر قال لوا

اول الثمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كانه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها اي من الشجرة او من طلعها فالتانيث مكتسب من المضاف اليه فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها على الشجرة التي ملأوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان يكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم اي مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم الى شجرة الزقوم فياكلون منها الى ان يتملؤا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم القوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به اصلا اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق او لا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تامل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي انبياء اولي عدد كثير وذوي شان خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له راسا والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى عنهم المخلصون بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون

وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشار اليه
الاستثناء كقوم يونس عليهم السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غني عن البيان واللام في
جواب قسم محذوف وكذا في قوله تعالى فلنعم المجيبون اى وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان
قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة
فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله
من الكرب العظيم اى من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا
الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روى انه مات كل من كان معه في
السفينة غير ابنائه وازواجهم اوهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة رضه الناس
كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس
والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا
عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح اى هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك
قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة
قول مقدر اى فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار والمجرور
ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها ابدا في العالمين من الملئكة والثقلين جميعا وقوله
تعالى انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة
دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة
المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة
الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له عليه السلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها اى مثل ذلك
الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين تعليل
لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى ثم اغرقنا
الآخرين اى المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته اى ممن شايعه في اصول
الدين لابراهيم وان اختلفت فروع شرايعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي
او اكثري وعن ابن عباس رضه من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب في دين الله
ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم
الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما في الشيعة من معنى
المشايعة بقلب سليم اى من آفات القلوب او من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل

ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم اى اى شيء تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون اى اتريدون
آلهة من دون الله افكا اى للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم
مكافحتهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم تفسير الافك
بقوله آلهة من دون الله دلالة على انها افك في نفسها للمبالغة او يراد بها عبادتها بحذف المضاف
ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين اى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين
حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اى شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام
له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به فنظر نظرة في النجوم
قيل كانت له عليه السلام حمى لها نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة
فاذا هي قد حضرت فقال اني سقيم وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل
اراد اني سقيم القلب لكفركم وقيل نظر في علمها او في كتبها او احكامها ولا منع من ذلك حيث كان
قصده عليه السلام ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به عليه السلام الى معيدهم ليتركوه فان القوم كانوا
نجامين فاوهمهم انه قد استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم اى مشارف للسقم وهو الطاعون
وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معيدهم وتركوه
في بيت الاصنام وذلك قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين اى هاربين مخافة العدوى فراغ الى
آلهتهم اى ذهب اليها في خفية واصله الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء الا تأكلون
اى من الطعام الذي كانوا يضعونه عندها لتتبرك عليه ما لكم لا تنطقون اى بجوابي فراغ عليهم
فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى ضربا باليمين مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل
مضمر هو حال من فاعله اى فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو الحال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل اى فراغ
عليهم ضاربا باليمين اى ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة
الآلة تقتضي قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما في قوله اذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين اى بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوي الكلام ويؤكده
وقيل بسبب الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اى المأمورون باحضاره
عليه السلام بعد ما رجعوا عن عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا
انه عليه السلام فعله فقيل فأتوا به يزفون حال من واو اقبلوا اى يسرعون من زفيف النعام وقرئ
يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اى حمله على الزفيف اى يزف بعضهم بعضا ويزفون
على البناء للمفعول اى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون

من زفافه واذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا للتسارع اليه عليه السلام قال اى بعد ما اتوا به عليه السلام
وجرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم
الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى
والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ اى والحال انه تعالى خلقكم وخلق
ما تعملونه فان جوهر اصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه
وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد والاسباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه
موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر
اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومه فينتظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه
من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اى عملكم على انه
بمعنى المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى
بذلك قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم اى في النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة التاجج
واللام عوض من المضاف اليه اى جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء فارادوا
به كيدا فانه عليه السلام لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم
فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه عليه السلام بجعل النار
عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي اى مهاجر الى حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الى
ربي وهو الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادته تعالى سيهدين اى الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي
وبت القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى
عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع رب هب لي
من الصالحين اى بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد
لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا
اخاه هرون نبيا ولقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فانه صريح في ان المبشر به عين ما استوهبه عليه
السلام ولقد جمع فيه بشارات ثلث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واى حلم
يعادل حلمه عليه السلام حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء
الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم
وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعد اعدل بينة بذلك والفاء في قوله تعالى فلما بلغ معه السعي
فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة
التخلف والتاخر بعد البشارة كما مر في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه وفي قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده

اى فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه
السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا يتقدمه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه لما ذكر السعي قيل
مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه
اولانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال اى ابراهيم عليه السلام
يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اى ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتاويله وقيل
انه رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح
الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمة سمي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف
انه من الله تعالى فمن ثمة سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل
ان الملئكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن فهو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك
والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذي وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق
بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده
اسمعيل عليه السلام والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تعالى له حفر
زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك
سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في ايام
ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه
الامر بذبحه مراهقا وما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق
الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه عليه الصلوة والسلام
قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب
الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ اني بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الرأي وانما شاوره
فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم ويوطن
نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا تري بضم التاء وكسر الراء وفتحها
مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تؤمر اى ما تؤمر به فحذف الجار اولا على القاعدة المطردة
ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصاله الى الفعل او حذفا دفعة او افعل
امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة
على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدني ان شاء الله من الصابرين
على الذبح او على قضاء الله تعالى فلما اسلما اى استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم
لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقرئ بهن جميعا واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له
ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم منقولان منه ومعناهما اخلص نفسه لله وجعلها

سالمه له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة رضي الله عنه في اسلما اسلم ابرهيم ابنه واسمعيل
نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه
على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين امر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة
من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر اليوم وناديناه ان يا ابرهيم
قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان بالمامور به وترتيب مقدماته وقد روي انه امر السكين
بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع
النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل كان ما كان مما لا يحيط به
نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق
لما لم يوفق احد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك
انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل
وقوع المامور به فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا
لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شيء
اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم اي عظيم الجثة سمين او عظيم
القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به
اسمعيل عليه السلام وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب من ابرهيم عليه السلام
عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقي سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض
له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح
لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة والفادي في الحقيقة هو ابرهيم وانما
قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او الاسناد وتركنا عليه في الآخرين
سلام على ابرهيم قد سلف بيانه في خاتمة قصة نوح كذلك نجزي المحسنين ذلك اشارة الى
ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا
انه من عبادنا المؤمنين الراسخين في الايمان على وجه الايقان والاطمئنان وبشرناه باسحق نبيا
من الصالحين اي مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة
الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به
لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق
نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم
وقت الدخول واسحق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق

جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها
لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق
بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام او افضنا عليهما
بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او لنفسه بالايمان والطاعة
وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا تاثير له في الهداية والضلال
وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا على موسى وهرون اي انعمنا
عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل من
الكرب العظيم هو تملك آل فرعون وتسلطهم عليهم بانواع الظلم والعذاب كما في قوله تعالى واذ نجيناكم
من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة ونصرناهم اي اياهما وقومهما
على عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما
في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وفي هذه التنجية وان كانت
بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن
المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذي يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليبه عليه ثم بالغلبة
لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلث نعمة جليلة على حيالها وآتيناهما
بعد ذلك الكتاب المستبين اي البليغ في البيان والتفصيل وهو التورية وهديناهما بذلك
الصراط المستقيم الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام
وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون اي ابقينا فيما بين الامم الآخرين هذا الذكر
الجميل والثناء الجزيل انا كذلك الجزاء الكامل نجزي المحسنين الذين هما من جملتهم لا جزاء
قاصرا عنه انهما من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين هو الياس
ابن ياسين من سبط هرون اخي موسى عليه السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ
مكانه ادريس وادراس وقرئ ايليس وقرئ الياس بحذف الهمزة اذ قال لقومه الا تتقون
اي عذاب الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل
بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله
اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان
يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب
بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين اي وتتركون
عبادته وقد اشير الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى الله ربكم ورب
آبائكم الاولين بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض
لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم لتاكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم ايضا فكذبوه

فانهم بسبب تكذيبهم ذلك لمحضرون اى العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على
ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين استثناء من ضمير محضرون
وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين هو لغة فى الياس كسيناء فى سينين وقيل
هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمثنين
وقرئ باضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس انا
كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين مر تفسيره وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه
اى اذكر وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين اى الباقين فى العذاب
او الماضين الهالكين ثم دمرنا الآخرين فان فى ذلك شواهد على جلية امره وكونه من جملة
المرسلين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم فى متاجركم الى الشام وتشاهدون
آثار هلاكهم فان سدوم فى طريق الشام مصبحين داخلين فى الصباح وبالليل اى ومساء
او نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون
اتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم وان يونس لمن
المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق اى هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من
قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اى المملوء فساهم فقارع اهله فكان
من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه عليه السلام
لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها
عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه فى الماء فالتقمه الحوت
فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل فى الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح
مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره
او فى بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فانه عليه السلام كان
كثير الصلوة فى الرخاء للبث فى بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر
وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه فى السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا
الحوت على لفظه بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة
رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه
سالما لم يتغير منه شئ فاسلموا وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف فى مقدار
لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم
اخرج من بطنه بعيد الوقت الذى التقمه فيه روى انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت
انى جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن
الطفل حين يولد وانبتنا عليه اى فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو كل ما ينبسط

على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا قام
والاكثرون على انه الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هى شجرة اخى يونس وقيل هى التين وقيل
الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة
تختلف اليه فيشرب من لبنها وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم
اهل نينوى والمراد به ارساله السابق اخبر اولا بانه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر بانه
قد ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه عليه السلام الى الفلك وما بعده بينهما
لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه
لوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم لايمانهم بظهور اماراته كما مر تفصيله فى سورة يونس ليعلم ان
ايمانهم الذى سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل
بعد اللتيا والتى وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر او يزيدون اى فى
مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ
بالواو فآمنوا اى بعدما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا خالصا فمتعناهم اى بالحيوة
الدنيا الى حين قدره الله سبحانه لهم ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر
القصص للتفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع واولى العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل
لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل فى صدر السورة
الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيت قريش وابطال مذهبهم فى انكار البعث بطريق
الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند
ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم
ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم
اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا فى كل قصة منها انهم من عباده تعالى
واصفا لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره صلى الله عليه وسلم ههنا بتبكيتهم بطريق
الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية وهى القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا
عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب جهينة وبنى سلمة
وخزاعة وبنى مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك
الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم السلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت و
يظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة
بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم المنطوى على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه فى سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى فى ذلك اى

فاستفتهم ألربك البنات اللاتي هن اوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما فان
ذلك مما لا يقول به من له ادنى شيء من العقل وقوله تعالى ام خلقنا الملئكة اناثا اضراب
وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما اشير اليه اي بل خلقنا
الملئكة الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم من صفات الاجسام ورذائل الطبايع
والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم
كقوله تعالى أشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل
وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة
اما حال من فاعل خلقنا اي بل اخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون حينئذ او عطف على
خلقنا اي بل أهم شاهدون وقوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله استيناف
من جهته غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال اصل مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه
ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم
لكاذبون في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ وَلَدُ اللهِ على انه خبر مبتدأ محذوف اي الملئكة
وَلَدُه تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث اصطفى البنات على البنين اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه
لامر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشيء لنفسه
وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله
ضعيف وتقدير القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى الخ تعسف بعيد مالكم كيف تحكمون
بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقل افلا تذكرون بحذف احدى التائين من تتذكرون وقرئ
تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي الا تلاحظون ذلك فلا تذكرون بطلانه فانه مركوز في
عقل كل ذكي وغبي ام لكم سلطان مبين اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم
بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود اصلا اي بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملئكة بناته
تعالى ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي
فأتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان كنتم صادقين فيها وفي هذه الآيات من الانباء عن السخط
العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم
وابطالهم مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب
واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم وتحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد لكن
من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك

وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة
المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملئكة بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا
لما يعقبه من قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان
جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملئكة ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم
في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون
انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤكدا وقيل ان قوما
من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد
بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقاويل
وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة
نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل
يجوز ان يكون الضمير في انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم
بها ولو كانوا مناسبين له تعالى او شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله
سبحان الله عما يصفون حكاية لتنزيه الملئكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في
ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين شهادة منهم ببراءة
المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على ابلغ وجه
وآكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملئكة ان المشركين لمعذبون
لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك
الوصف وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين عما ذكر
ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون
الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان بتبرؤهم عنهم وعن عبادتهم
كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين
يقال فتن فلان على فلان امرأته اي افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم
بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم الا من هو صال الجحيم منهم اي داخلها لعلمه تعالى بانه
يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم فانتم بمعزل من افسادهم
واضلالهم فهم لا جرم برآء من ان يفتتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ
صالُ بضم اللام على انه جمع محمول على معنى مَن قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا الا له

مقام معلوم تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم فى موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا
وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور شانهم وقمائتهم اى وما منا احد الا له مقام معلوم
فى العبادة والانتهاء الى امر الله عز وجل مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته
وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه قال ابن عباس
ما فى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى او يسبح وروى انه قال عليه السلام اطت السماء
وحق لها ان تئط والذى نفسى بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى
وقال السدى الا له مقام معلوم فى القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون فى مواقف الطاعة
ومواطن الخدمة وانا لنحن المسبحون المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية
كلامهم بفنون التاكيد لابراز ان صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذى تقتضيه جزالة التنزيل
وقد ذكر فى تفسير الآيات الكريمة وا عرابها وجوه اخر فتامل وان كانوا ليقولون ان هى المخففة
من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام هى الفارقة اى ان الشان كانت قريش تقول لو ان عندنا
ذكرا من الاولين اى كتابا من كتب الاولين من التورية والانجيل لكنا عباد الله المخلصين اى
لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى
الامم والفاء فى قوله تعالى فكفروا به فصيحة كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فجاءهم
ذكر واى ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به فسوف يعلمون اى
عاقبة كفرهم وغائلته ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين استيناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم
لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اى وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى انهم
لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلين لهم الغالبون على اعدائهم فى الدنيا والآخرة ولا
يقدح فى ذلك انهزامهم فى بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف
ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنه ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة
وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها فى معنى
واحد وقرئ كلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى حين اى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن
القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على اسوء حال وافظع نكال حل بهم من القتل والاسر
والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كانه بين يديه فسوف يبصرون ما قضينا لك من الامور
وسوف للوعيد دون التبعيد افبعذابنا يستعجلون روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى
هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم اى فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كانه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم
بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح

وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيا للمفعول من التنزيل اى نزل العذاب
فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش
المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة فى الصباح سموها صباحا وان وقعت
ليلا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم
المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا
نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتاكيد لوقوع الميعاد غب تاكيد مع ما فى اطلاق الفعلين عن المفعول
من الايذان بان ما يبصره عليه السلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من الوان المضارة
لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثانى عذاب الآخرة سبحان
ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه
وجبروته مما ذكر فى السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور التى من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب
الكلمة السابقة لا سيما فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان
الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اولا
والى العزة ثانيا كانه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق
عما يصفه المشركون به من الاشياء التى منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب
وقوله تعالى وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشانهم
وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين
اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية
وايذان باستتباعهم للافعال الجميلة التى من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات
الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة
لحمده تعالى واشعار بان ما وعده عليه السلام من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين
على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا فى فيضان
الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده
لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للتحميد
عن على رضى الله تعالى عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا
قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان

وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موقع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر او اقرأ لا فتحا كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانهما علم السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل سوفي قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي او الرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة خبر المبتدا المحذوف او نصبا على اضمار اذكروا اقرأوا او امرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى والقرآن ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وايا ما كان ففي التكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف وهو ما ينبئ عنه التحدي والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المامور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالاعظام اي اقسم بالقرآن او بصاد وبه انه لمعجز او لواجب العمل به او لحقيق بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه بشان المسمى وتنبيه على عظم خطره اي انه لصادق والقرآن ذي الذكر او هذه السورة عظيمة الشان والقرآن الخ على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انباء بينا كان قوله تعالى بل الذين كفروا في عزة وشقاق اضرابا عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابية اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الخ وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الايمان ودواعيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول

اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى وقرنا كثيرا اهلكنا من القرون الخالية فنادوا عند نزول باسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى ولات حين مناص حال من ضمير نادوا اي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص بمعنى تاخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدا محذوف الخبر اي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعاقبة وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير وتقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وما قيل من ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام مما لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس وعجبوا ان جاءهم منذر منهم حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق هذا ساحر فيما يظهره من الخوارق كذاب فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال اجعل الالهة الها واحدا بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما الفوا عليه اباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما ياتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لالهتهم علما وقدرة ومدخلا في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الاثار بلا موثر وقرئ عجاب بالتشديد وهو ابلغ ككبار وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا

فعال

ذكره مولى سعد چلبي ايضا

وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك
السوآل فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني قالوا ارفضنا وارفض
ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطيّ انتم
كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشر امثال قولوا لا اله الا الله
فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم اى وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابي طالب
بعد ما بكّتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلّبه عليه السلام في الدين
وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه
المذكور ان امشوا اى قائلين بعضهم لبعض على وجه التنصيحة امشوا واصبروا على آلهتكم اى
واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان مفسرة لان الانطلاق
عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت
المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفؤل اى اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على
اضمار القول وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اى
هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال امرها لشيء يراد
اى من جهته عليه السلام امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا
قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله
عن رأيه بوساطة ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها
وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه
وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا
انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد اى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي
يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل احد فتأمل في
هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل ما سمعنا بهذا الذي يقوله في الملة الآخرة اى الملة
النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة او في الملة التي ادركنا عليها آباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور
حالا من هذا اى ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في
ذلك اقبح كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا اى ما هذا
الا اختلاق اى كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر اى القرآن من بيننا ونحن رؤساء الناس واشرافهم
كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من الله عز وجل
كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس

ولا اثر

من القريتين اعني مكة وطائف

الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري اى من القرآن او الوحي
لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيته وليس في عقيدتهم ما
يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا
عذاب اى بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان
ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي
الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل
اعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤن حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها
عمن شاؤا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة
عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اى
الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفي اضافة
اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عليه السلام من تشريفه واللطف به
ما لا يخفى وقوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ترشيح لما سبق اى بل الهم
ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية
التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف
اى ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا
عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية
وراءه والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث
السفلية وقيل ابوابها جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هم جند ما من الكفار المتحزبين
على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل
والتحقير نحو قولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه
انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الاوتاد الى آخره استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء
جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت
اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر
قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد او ذو الجموع
الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد
يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة

اوتادا فی الارض ویرسل علیه العقارب والحیات وقیل کانت له اوتاد وحبال یلعب بها بین یدیه
وثمود وقوم لوط واصحاب الایکة اصحاب الغیضة من قوم شعیب علیه السلام وقوله تعالی اولئک الاحزاب
اما بدل من الطوائف المذکورة کما ان ذلک الکتاب بدل من الم علی احد الوجوه وفیه فضل تاکید وتنبیه علی
انهم الذین جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالی ان کل الا کذب الرسل استئناف جیء به تقریرا لتکذیبهم
وبیانا لکیفیته وتمهیدا لما یعقبه ای ما کل احد من آحاد اولئک الاحزاب او ما کل حزب منهم الا کذب
الرسل لان تکذیب واحد منهم تکذیب لهم جمیعا لاتفاق الکل علی الحق وقیل ما کل حزب الا کذب رسوله
علی نهج مقابلة الجمع بالجمع وایا ما کان فالاستثناء مفرغ من اعم العام فی خبر المبتدا ای ما کل احد منهم محکوما
علیه بحکم الا محکوما علیه بانه کذب الرسل وقیل ما کل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه بانه کذب الرسل
وفی اسناد التکذیب الی الطوائف المذکورة علی وجه الابهام اولا والایذان بان کلا منهم حزب علی
حیاله تحزب علی رسوله ثانیا وتبیین کیفیة تکذیبهم بالجملة الاستثنائیة ثالثا فنون من المبالغة مسجلة
علیهم باستحقاق اشد العذاب وافظعه ولذلک رتب علیه قوله تعالی فحق عقاب ای ثبت ووقع
علی کل منهم عقابی الذی کانت توجبه جنایاتهم من اصناف العقوبات المفصلة فی مواقعها واما ابتداء
وقوله تعالی ان کل الا کذب الرسل خبره بحذف العائد ای ان کل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله
مؤکد لمضمونه مع ما فیه من بیان کیفیة تکذیبهم والتنبیه علی انهم الذین جعل الجند المهزوم منهم کما ذکر
وقیل هو مبتدا وخبر والمعنی ان الاحزاب الذین جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذین وجد منهم
التکذیب فتدبر واما ما قیل من انه خبر والمبتدا قوله وعاد الخ او قوله وقوم لوط الخ فمما یجب تنزیه ساحة
التنزیل عن امثاله وما ینظر هؤلاء شروع فی بیان عقاب کفار مکة اثر بیان عقاب اضرابهم
من الاحزاب الذین اخبر فیما سبق بانهم جند حقیر منهم مهزوم عن قریب فان ذلک مما یوجب
انتظار السامع وترقبه الی بیانه قطعا وفی الاشارة الیهم بهؤلاء تحقیر لشانهم وتهویل لامرهم واما جعله
اشارة الی الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذکر او حضورهم فی علم الله عز وجل فلیس فی حیز الاحتمال
اصلا کیف لا والانتظار سواء کان حقیقة او استهزاء انما یتصور فی حق من لم یترتب علی اعماله
نتائجها بعد وبعد ما بین عقاب الاحزاب واستئصالهم بالمرة لم یبق مما ارید بیانه من عقوباتهم
امر منتظر وانما الذی فی حیز الانتظار کفار مکة حیث ارتکبوا من عظائم الجرائم وکبائر الجرائر الموجبة
لاشد العقوبات مثل ما ارتکب الاحزاب او اشد منه ولما یلاقوا بعد شیئا من غوائلها ای وما ینتظر
هؤلاء الکفرة الذین هم امثال اولئک الطوائف المهلکة فی الکفر والتکذیب الا صیحة واحدة
هی النفخة الثانیة لا بمعنی ان عقابهم نفسها بما فیها من الشدة والهول فانها داهیة یعم هولها جمیع الامم
برها وفاجرها بل بمعنی انه لیس بینهم وبین حلول ما اعد لهم من العقاب الفظیع الا هی حیث اخرت

عقوبتهم الی الآخرة لما ان تعذیبهم بالاستئصال حسبما یستحقونه والنبی صلی الله علیه وسلم بین اظهرهم
خارج عن السنة الالهیة المبنیة علی الحکم الباهرة کما نطق به قوله تعالی وما کان الله لیعذبهم وانت فیهم
واما ما قیل من انها النفخة الاولی فمما لا وجه له اصلا لما انه لا یشاهد هولها ولا یصعق بها الا من کان
حیا عند وقوعها ولیس عقابهم الموعود واقعا عقیبها ولا العذاب المطلق مؤخرا الیها بل یحل بهم
من حین موتهم ما لها من فواق ای من توقف مقدار فواق وهو ما بین الحلبتین وقرئ بضم الفاء
وهما لغتان وقوله تعالی وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل یوم الحساب حکایة لما قالوه عند سماعهم
بتاخیر عقابهم الی الآخرة ای قالوا بطریق الاستهزاء والسخریة عجل لنا قطنا من العذاب الذی توعدنا به
ولا تؤخره الی یوم الحساب الذی مبدؤه الصیحة المذکورة والقط القطعة من الشیء من قطه
اذا قطعه ویقال لصحیفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها ای عجل لنا صحیفة
اعمالنا لننظر فیها وقیل ذکر رسول الله صلی الله علیه وسلم وعد الله تعالی المؤمنین الجنة فقالوا
علی سبیل الهزء عجل لنا نصیبنا منها وتصدیر دعائهم بالنداء المذکور للامعان فی الاستهزاء
کانهم یدعون ذلک بکمال الرغبة والابتهال اصبر علی ما یقولون من امثال هذه المقالات
الباطلة واذکر لهم عبدنا داود ای قصته تهویلا لامر المعصیة فی اعینهم وتنبیها لهم علی
کمال قبح ما اجترؤا علیه من المعاصی فانه علیه السلام مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والکرامات
لما الم بصغیرة نزل عن منزلته ووبخته الملائکة بالتمثیل والتعریض حتی تفطن فاستغفر
ربه واناب ووجد منه ما یحکی من بکائه الدائب وغمه الواصب ونوحه الدائم فما الظن بهؤلاء
الکفرة الاذلین من کل ذلیل المرتکبین لاکبر الکبائر المصرین علی اعظم المعاصی او تذکر قصته
علیه السلام وصن نفسک ان تزل فیما کلفت من مصابرتهم وتحمل اذیتهم کیلا یلقاک
ما لقیه من المعاتبة ذا الاید ای ذا القوة یقال فلان اید وذو اید وآد بمعنی وایاد کل شیء
ما یتقوی به انه اواب رجاع الی مرضاة الله تعالی وهو تعلیل لکونه ذا الاید ودلیل علی ان
المراد به القوة فی الدین فانه علیه السلام کان یصوم یوما ویفطر یوما ویقوم نصف اللیل
انا سخرنا الجبال معه استئناف مسوق لتعلیل قوته فی الدین واوابیته الی مرضاته تعالی
ومع متعلقة بالتسخیر وایثارها علی اللام لما اشیر الیه فی سورة الانبیاء من ان تسخیر الجبال له
علیه السلام لم یکن بطریق تفویض التصرف الکلی فیها الیه علیه السلام کتسخیر الریح وغیرها لسلیمان
علیه السلام بل بطریق التبعیة له علیه السلام والاقتداء به فی عبادة الله تعالی وقیل متعلقة
بما بعدها وهو اقرب بالنسبة الی ما فی سورة الانبیاء یسبحن ای یقدسن الله عز وجل بصوت
یتمثل له او یخلق الله تعالی فیها الکلام او بلسان الحال وقیل یسرن معه من السباحة وهو حال

من الجبال ووضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالاً بعد حال او استيناف مبين
لكيفية التسخير بالعشي والاشراق اي ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء
ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق
وعن ام هانئ رضي الله عنها انه عليه السلام صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق
وعن ابن عباس رضه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية والطير عطف على الجبال محشورة
حال من الطير والعامل سخرنا اي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضه كان اذا
سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة
بالرفع على الابتداء والخبرية كل له اواب استيناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالاً من تسبيح
الطير اي كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما
لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعاً بعد رجوع واما لان الاواب هو
التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دأبه اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل
الضمير لله عز وجل اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا
ملكه قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه
اربعون الف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه في المنام ان
اقتل المدعى عليه فتأخر فاعيد الوحي في اليقظة فاعلمه الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب
ولكن باني قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله تعالى عليه فيقتله
فهابوه وعظمت هيبته في القلوب وآتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم
الشرايع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب اي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل
او الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل
والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل
المقصود عما سبق تمهيداً له كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه ايجاز مخل
ولا اطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبأ الخصم
استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماع ما في حيزه لايذانه بانه من الانباء البديعة
التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على
الواحد والجمع كالضيف ومعنى خصمان فريقان اذ تسوروا المحراب اي تصعدوا سوره
ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه علا ذروته واذ متعلقة
بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود عم وان اسناد

وعلا خ

٤٠

الاتيان اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باتى لان
اتيانه الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حح وقوله تعالى اذ دخلوا على داود بدل مما قبله او
ظرف لتسوروا ففزع منهم روي انه تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين قيل هما جبرئيل
وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا
عليه المحراب بمن معهما من الملئكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه
من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفي غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضه ان داود
جزأ زمانه اربعة اجزاء يوماً للعبادة ويوماً للقضاء ويوماً للاشتغال بخاصة نفسه ويوماً للوعظ والتذكير
قالوا استيناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه السلام كانه قيل فما قالت الملئكة عند مشاهد
لفزعه عليهم السلام فقيل قالوا ازالة لفزعه لا تخف خصمان اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب
الخصم خصماً بغى بعضنا على بعض هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط
اي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى
الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا الى سواء الصراط الى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه
من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل ان هذا اخي استيناف لبيان ما فيه الخصومة
اي اخي في الدين او في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه له تسع
وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض
ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون الياء
فقال اكفلنيها اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي
وعزني في الخطاب اي غلبني في الخطاب اي في محاجته بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته
اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطاباً اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث
زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني بتخفيف الزاء طلباً للخفة وهو تخفيف غريب
كانه قيس على ظلت ومست قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف
قصد به عليه السلام المبالغة في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع ان
له قطيعاً منها ولعله عليه السلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير
صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة
والضم وان كثيراً من الخلطاء اي الشركاء الذين خلطوا اموالهم ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء
على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض غير مراع لحق الصحبة
والشركة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم فانهم يتحامون عن البغي والعدوان وقليل ما هم

نهم

مخاطبته خ

اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه الظن مستعار
للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة اى علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما
الى صاحبه فضحك ثم صعد الى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص
الفتنة به عليه السلام دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر
كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات
فيها كما في مثل قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تاديبا بل على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر
الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل
فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى
المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل
والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى
ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار
النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة
أوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ
فان التأمل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تأثيرا في قلبه وادعى
الى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام بترك المجاهرة والاشعار بانه امر يستحيي من
التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عليه السلام الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عليه السلام
على ان أوريا بصدد الخصام فاستغفر ربه اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب وخر راكعا اى
ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدأه او خر للسجود راكعا اى مصليا كأنه احرم بركعتي الاستغفار
واناب اى رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة ان داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له
أوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليهما
السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم
بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون
المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شانه نبه
بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة
ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن
به وقيل لم يكن أوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام فآثره اهلها فكان ذنبه
عليه السلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل ذات يوم محرابه

واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب
فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة
جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن
صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على
التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يده او يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فامر برده
مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك
مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه
وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رضي الله تعالى عنه من حدث بحديث داود عليه السلام
على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء صلوات الله تعالى عليهم
هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده
اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم فهم بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له
من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اى ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام
بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلوة مفروضة او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت
منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى
كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل
الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة بعد المغفرة
وحسن مآب حسن مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اما حكاية لما خوطب به
عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله
اى وقلنا له او قائلين له يا داود الخ اى استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة
ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت
قبلها لم يتغير قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما ولا تتبع
الهوى اى هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله
بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اى فيكون
الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى
ان الذين يضلون عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار
لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من خبر ومبتدا
وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار بما نسوا

مط

مكتوبة

بسبب نسيانهم وقوله تعالى يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلاً صريحاً لثبوت العذاب
الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعليته بما يستتبعه ويستلزمه من الضلال عن سبيل الله
فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هو فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب شديد
يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل
المصرح به عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب
نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستانف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي ما خلقناهما
وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية
الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا
اودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلمية والعملية في
استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفاقية وانفسية ومنحناها القدرة
على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا
عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا
لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها ذلك اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا
اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر
وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل للذين كفروا مبتدا وخبر والفاء لافادة ترتب
ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له
ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم
مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها
من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والحساب
والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية
بين الفريقين وتبيينها على ابلغ وجه وآكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في اقطار
الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحيوة الدنيا بل الكفرة
اوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين
ورد الاخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما
ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه

استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده
المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما ادخل
في انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون
فنزلت كتاب خبر مبتدا محذوف هو عبارة عن القران او السورة وقوله تعالى انزلناه اليك صفة
وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدا او صفة لكتاب عند من يجوز تاخير الوصف الصريح عن غير الصريح
وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله ليدبروا
آياته متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعبرة عن اسرار
التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتاويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا
على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف التاءين وليتذكر اولوا الالباب
اي وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب
عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه ووهبنا
لداود سليمان نعم العبد وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تاخيره عن داود مع كونه مفعولا
صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى انه اواب اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح
وهو من حاله لان الضمير المجرور في قوله تعالى اذ عرض عليه راجع اليه عليه السلام قطعا واذ منصوب
باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه بالعشي هو من الظهر الى آخر النهار الصافنات فانه يشهد
بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتاخير الصافنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر
والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد
يتفق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم
الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون
والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها
واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل هو جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق و
نصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة
فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر
او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها مقربا لله تعالى
وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله عز وجل خيرا منها وهي الريح
تجري بامره فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما
صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب

باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق
مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدى تعديته
وحب الخير مفعوله كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي ووضعه موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل
التي شغلته عليه السلام ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل
الى يوم القيمة وقرئ اني حتى توارت بالحجاب متعلق بقوله تعالى احببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها
حسب استمرار العرض اي انبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت اي غربت الشمس تشبيها
لغروبها في مغربها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات
اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه ردوها علي من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى
غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كان سائلا
قال فماذا قال سليمان فقيل قال ردوها فاصل والفاء في قوله تعالى فطفق مسحا فصيحة مفصحة عن جملة
قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اي فردوها عليه فاخذ يمسح السيف
مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب عنقه
وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق على همز
الواو لضمتها كما في ادؤر وقرئ بالسؤق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء
بالواحد من الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اظهر
ما قيل في فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة
بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له
ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه
ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب
بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا
على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها كعادتهن
في ملكه فاخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس
عليه تائبا الى الله تعالى باكيا متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة
يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس
على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة
لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال
انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين

فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل
حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فاذا
هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقهما بالحديد
والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن
كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير
علم منه لا يضره قال بدل من اناب وتفسير له رب اغفر لي اي ما صدر عني من الزلة وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فانه عليه السلام
لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغي لاحد
ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل
والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما
فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه
بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة وقرئ
لي بفتح الياء انك انت الوهاب تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة
ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا فسخرنا له الريح اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد
امره عليه السلام الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح تجري بامره بيان لتسخيرها له
رخاء اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد
حيث اصاب اي حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ في
الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين وآخرين مقرنين
في الاصفاد عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كانه عليه السلام فصل الشياطين الى
عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع
بعض في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها
ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز ان يكون الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم
عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين
فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد وقوله تعالى هذا الى
آخره اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبينة لعظم شأن ما اوتي من الملك وانه مفوض
اليه تفويضا كليا واما مقول بقول مقدر هو معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما مر في خاتمة
قصة داود عليه السلام اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناكه من الملك العظيم و

البسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك عطاؤنا الخاص بك فامنن او امسك فاعط من
شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه
لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او
صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك
الاطلاق والتقييد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن
مآب هو الجنة قيل فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين
سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه
في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى
هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى
ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم
الى صنعاء وكان من حديثه عليه السلام مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة
وغيرهما والله تعالى اعلم واذكر عبدنا ايوب عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان
عليه السلام بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب عليه السلام هو ابن
عيص بن اسحق اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان له اني اي باني مسني
الشيطان بفتح ياء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها بنصب اي تعب وقرئ بفتح النون
وبفتحتين وبضمتين للتثقيل وعذاب اي الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد و
المراد بالنصب في قوله اني مسني النصب وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الى آخره والاسناد
الى الشيطان اما لانه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاث مظلوم
فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب
او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب
ما كان يوسوس اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ
الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه
السلام بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفى ههنا عن ذكره بما في سورة الانبياء كما ترك هناك
ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى اركض برجلك اما حكاية لما قيل له او مقول لقول مقدر معطوف
على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى هذا مغتسل بارد وشراب فانه
ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف على مقدر يقتضيه سياق
الكلام كانه قيل فضرب بها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل

قوله او لامتحان صبره عطف على لا تعلل

نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى ووهبنا له اهله
معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا
بذلك ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن او
بجمعهم بعد تفرقهم ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل
رحمة منا اي لرحمة عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد
كما صبر ويلجؤوا الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك
ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا اي وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا
وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف
وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فابطأت
فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث وهو الحزمة الصغيرة من الحشيش
ونحوه وعن ابن عباس قبضة من الشجر وقال فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك
فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه وتعالى هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه
ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها
مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه
الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة
في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة
القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه عليه السلام قال في
مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل
الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله تعالى عنه نعم العبد
اي ايوب انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق
ويعقوب عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له وقيل
نصب باضمار اعني والباقيان عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي
الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم
الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها تباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها
وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما
وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة
تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين لنا بخصلة
خالصة عظيمة الشان كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم
اي تذكرهم للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح

انكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله تعالى والفوز بلقائه لا يتسنى ذلك الا في الآخرة وقد
اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار
للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى اي بما خلص من ذكرى الدار
على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو
شان الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم
عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر
واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات جمع ميت وميّت واذكر اسمعيل فصل ذكره
عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع وهو ابن اخطوب بن
العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما في
قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كأن اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه
حرف التعريف وقيل هو علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل
هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة من بني اسرائيل من القتل
فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي كلهم من الاخيار المشهورين
بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر اي شرف لهم وذكر جميل
يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء الانبياء وعن ابن عباس
هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل
بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون
في الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية
من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا
معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده او بدل منه او نصب على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم
الابواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول
والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأي البصريين اي الابواب منها او الالف واللام
القائمة مقامه كما هو رأي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما خبر
لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة متكئين فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى
يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من
ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي
فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم
اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه
من التراب فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب علة

350

للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان والتكريم ان هذا
اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا اعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع ابدا هذا اي
الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى وان للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق
السابق جهنم اعرابه كما سلف يصلونها اي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد
وهو المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد
هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى فاياي فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدأ
خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق
من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل
لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل
الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين وآخر من شكله اي ومذوق آخر او عذاب
آخر من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخر اي ومذوقات اخر او انواع
عذاب اخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو راجع الى الغساق
ازواج اي اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر
محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا
النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب
الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او صفة
للفوج او حال منه اي مقول او مقولا في حقهم لا مرحبا بهم اي لا اتوا مرحبا او لا رحبت بهم الدار رحبا
انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى
هنا كلام الرؤساء في حق اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا
من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع قالوا اي الاتباع عند
سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم للرؤساء في قولهم بل انتم لا مرحبا بكم الى آخره على الوجهين
الاخيرين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار
الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الى آخره قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة
طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى
انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم قدمتم العذاب او الصلي لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي
اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا واغرائنا عليها لا انا باشرناها من
تلقاء انفسنا فبئس القرار اي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم قالوا
اي الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين
عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار كقولهم ربنا هؤلاء

أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار أي عذاباً مضاعفاً أي ذا ضعف وذلك بأن يزيد عليه مثله ويكون
ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والأفاعي وقالوا
أي الطاغون ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم
ويسخرون منهم أتخذناهم سخرياً بهمزة استفهام سقطت لأجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها
من الإعراب قالوه إنكاراً على أنفسهم وتأنيباً لها في الاستسخار منهم أم زاغت عنهم الأبصار متصل
باتخذناهم على أن أم متصلة والمعنى أي الأمرين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم وتحقيرهم
وأن أبصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم توبيخاً لها أو على
أنها منقطعة والمعنى أتخذناهم سخرياً بل زاغت عنهم أبصارنا كقولك أزيد عندك أم عندك عمرو على معنى
توبيخ أنفسهم على الاستسخار ثم الإضراب والانتقال منه إلى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم
بغير همزة على أنه صفة أخرى لرجالاً فقوله تعالى أم زاغت متصل بقوله تعالى ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم في
النار أليسوا فيها فلذلك لا نراهم أم زاغت عنهم أبصارنا وهم فيها وقد جوز أن تكون الهمزة مقدرة
على هذه القراءة وقرئ سخرياً بضم السين إن ذلك أي الذي حكي من أحوالهم لحق لا بد من وقوعه
ألبتة وقوله تعالى تخاصم أهل النار خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي الإبهام أولاً والتبيين
ثانياً مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق أو عطف بيان له وقرئ بالنصب على أنه
بدل من ذلك وما قيل من أنه صفة له فقد قيل عليه إن اسم الإشارة لا يوصف إلا بالمعرف باللام
يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل قل أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين
إنما أنا منذر من جهته تعالى أنذركم عذابه وما من إله في الوجود إلا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة
والكثرة أصلاً القهار لكل شيء سواه رب السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات فكيف
يتوهم أن يكون له شريك منها العزيز الذي لا يغلب في أمر من أموره الغفار المبالغ في المغفرة
ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى
وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الإنذار حقه قل
تكرير الأمر للإيذان بأن المقول أمر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به أمراً وائتماراً هو أي ما
أنبأتكم به من أني منذر من جهته تعالى وأنه تعالى واحد لا شريك له وأنه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة و
الأظهر أنه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولاً أولياً كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
ومجاهد وقتادة نبأ عظيم وارد من جهته تعالى وقوله تعالى أنتم عنه معرضون استئناف ناع عليهم سوء
صنيعهم به ببيان أنهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجباً للإقبال الكلي
عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة أخرى لنبأ وقوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إلخ استئناف
مسوق لتحقيق أنه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من أنبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به
ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة فإن ذلك حجة بينة دالة على أن ذلك بطريق الوحي

من عند الله تعالى وأن ما عداه أيضاً كذلك والملأ الأعلى هم الملائكة وآدم عليه السلام وإبليس عليه
اللعنة وقوله تعالى إذ يختصمون متعلق بمحذوف يقتضيه المقام إذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم
لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ الأعلى وقت اختصامهم و
تقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فإن علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الأقوال
فقط بل عام لها وللأفعال أيضاً من سجود الملائكة واستكبار إبليس وكفره حسبما ينطق به الوحي
فلا بد من اعتبار العموم في نفيه أيضاً لا محالة وقوله تعالى إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين اعتراض
وسط بين إجمال اختصامهم وتفصيله تقريراً لثبوت علمه عليه السلام وتعييناً لسببه إلا أن بيان انتفائه
فيما سبق لما كان منبئاً عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته عليه السلام لشيء من مباديه المعهودة
تعين أنه ليس إلا بطريق الوحي حتماً فجعل ذلك أمراً مسلم الثبوت غنياً عن الإخبار به قصداً وجعل مصب
الفائدة والمقصود إخباره بما هو داع إلى الوحي ومصحح له تحقيقاً لقوله تعالى إنما أنا منذر في ضمن
تحقيق علمه عليه السلام بقصة الملأ الأعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى إما ضمير عائد إلى الحال المقدر
أو ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى إلي حال الملأ الأعلى أو ما يوحى إلي ما يوحى من الأمور الغيبية التي من جملتها
حالهم إلا لأنما أنا نذير مبين من جهته تعالى فإن كونه عليه السلام كذلك من دواعي الوحي إليه وموجباته
حتماً وأما أن القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور أو هو أنما أنا نذير مبين بلا تقدير الجار والمعنى
ما يوحى إلي إلا للإنذار أو ما يوحى إلي إلا أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار
إلى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للإنذار في الأول وقصره على الإنذار في الثاني فلا يساعده
سباق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون أجنبياً مما توسط بينهما من إجمال
الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ إنما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى إذ قال ربك للملائكة
شروع في تفصيل ما أجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى
إياهم بواسطة الملك صح إسناد الاختصام إلى الملائكة وإذ بدل من إذ الأولى وليس من
ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فإن القصة ناطقة بذلك
تفصيلاً والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والإيذان بأن وحي
هذا النبأ إليه تربية وتأييد له عليه السلام والكاف واردة باعتبار حال الآمر لكونه أدل على كونه وحياً منزلاً
من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الخ دون حال المأمور و
إلا لقيل ربي لأنه داخل في حيز الأمر إني خالق أي فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من
الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه بشراً قيل أي جسماً
كثيفاً يلاقي ويباشر وقيل خلقاً بادي البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي
ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلاً عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وإنما عبر عنه
بهذا الاسم عند الحكاية من طين لم يتعرض لأوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء

بما ذكر في مواقع أخر فإذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه
بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها
وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا كملت
استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له امر من وقع وفيه دليل
على ان المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية له وتكريما فسجد الملائكة
اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يبق منهم احد الا سجد اجمعون اي بطريق
المعية بحيث لم يتاخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد
ايضا وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي
كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما
شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي كما يقتضيه ما في سورة
البقرة وما في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه
من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف الا ابليس استثناء
متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثني
استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى استكبر
على الاول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل والتروي
وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين
اي وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله تعالى عز وجل قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي اي خلقته بالذات من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام
المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار
وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين للتفوق وقيل
استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام
عليها وقوله تعالى قال انا خير منه ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق
ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون وقوله
خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه عليه السلام ولقد اخطأ اللعين حيث
خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي
وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك
امر الملائكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص
ليست لغيره قال فاخرج منها الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل
وتعليلها بالاباطيل اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط

من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفيته وسوسته في سورة البقرة
وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد
ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى فانك رجيم تعليل للامر
بالخروج اي مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وان
عليك لعنتي اي ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى وان عليك اللعنة
لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون عليه بلعنة الله وابعاده من الرحمة
الى يوم الدين اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي
انموذج مما سيلقاه مستمرة الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على
انه سيلقى يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل الا يرى الى
قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضهم بعضا قال رب فانظرني
اي امهلني واخرني والفاء متعلقة بمحذوف يستدعيه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني ولا تمتني الى
يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو
من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض
لشمول ما سأله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر
لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت
اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين اي انك من جملة
الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم الذي قدره الله تعالى
وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول فالفاء ليست لربط
نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال فان ترحم فانت لذاك اهل
فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما بعدها من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط
الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء
والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه
النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا
جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق
لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة
البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بتفصيل لا مزيد عليه
قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تعالى فبما
اغويتني وقوله تعالى رب بما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من
احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى

بالاغواء فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين اي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم الا عبادك منهم المخلصين
وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا
قلوبهم او اعمالهم لله تعالى قال اي الله عز وجل فالحق والحق اقول برفع الاول على انه مبتدأ محذوف
الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فالحق قسمي لاملأن جهنم على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض
الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به او فانا الحق او فقولي الحق وقوله تعالى لاملأن الخ جواب القسم محذوف
اي والله لاملأن الخ وقوله تعالى والحق اقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون
الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي الحق وقرئا منصوبين على ان الاول
مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم
قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل
ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب الثاني على المفعولية منك
اي من جنسك من الشياطين وممن تبعك في الغواية والضلال منهم من ذرية آدم اجمعين
تأكيد للكاف وما عطف عليه اي لاملأنها من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم
لاملأن جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين حيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح ان ما قدم في قوله تعالى ولو شئنا
لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا لتحقق القول فليس في ذلك شائبة الجبر
فتدبر قل ما اسألكم عليه على القرآن او على تبليغ ما يوحى الي من اجر دنيوي وما انا من المتكلفين اي المتصنعين
بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو اي ما هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين
للثقلين كافة ولتعلمن نبأه اي ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق
بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن
مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له
بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا وقال ابو امامة عصمه الله من كل
ذنب صغير او كبير والله تعالى اعلم

سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر لمبتدأ محذوف هو اسم اشارة اشير به الى السورة
تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير عائد الى الذكر
في قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل او خبر ثان او حال من التنزيل
عاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذي هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول
اوفق بمقتضى المقام الذي هو بيان ان السورة او القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان ان تنزيل الكتاب

منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم وفي التعرض
لوصفي العزة والحكمة للايذان بظهور اثرهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع
ولا ممانع وباتقان جميع ما فيه على اساس الحكم الباهرة وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع في
بيان شأن المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله والمراد بالكتاب هو القرآن
واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء اما متعلقة بالانزال
اي بسبب الحق واثباته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او
من الكتاب اي انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه ملتبسا بالحق والصواب اي كل ما فيه حق لا ريب فيه
موجب للعمل به حتما والفاء في قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين لترتيب الامر بالعبادة على انزال
الكتاب اليه عليه السلام بالحق اي فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف
ما انزل اليك وقرئ برفع الدين على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام
والجملة استئناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى الا لله الدين الخالص استئناف مقرر لما
قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى اي
الا هو الذي يجب ان يخص باخلاص الطاعة لانه المتفرد بصفات الالوهية التي من جملتها الاطلاع على السرائر
والضمائر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء الخ تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة
عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحله
الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي من الجملة المصدرة بان والاولياء عن الملائكة وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم
والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى اي والذين لم يخلصوا
العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الاشياء الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا
ان الله يحكم بينهم اي وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق
بين احد من رسله على احد الوجهين اي بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما
ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني وقيل الضمير بينهم للفريقين جميعا فيما هم فيه يختلفون من الدين
الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك ادخال الموحدين الجنة
والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذي يستدعيه سياق النظم الكريم واما تجويز ان يكون الموصول
عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم و
يكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم
اي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء
عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها
الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذاك بين فريقي الموحدين والمشركين في الدين حتى

الاختلاف في الدنيا لتبانى الى يوم القيمة وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل
اوليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم
اتباعا للباء ان الله لا يهدي اي لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي هو طريق النجاة عن المكروه والفوز
بالمطلوب من هو كاذب كفار اي راسخ في الكذب مبالغة في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب
وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن في الضلال
والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا الخ استيناف مسوق لتحقيق الحق
وابطال القول بان الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ
الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا اوليا اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا
لاصطفى اي لاتخذ مما يخلق اي من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلقه ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو
مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الوجوب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة
بين المتخذ والمتخذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء
عبد واليه اشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي تقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها
لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو
من اتخاذ الولد في شيء اصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو
ممتنع قطعا فكانه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة
بل على انه متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى سبحانه تقرير لما ذكر
من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتأكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اي تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به
على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبحه تسبيحا لائقا به على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد
او سبحوه تسبيحا حقيقا بشانه وقوله تعالى هو الله الواحد القهار استيناف مبين لتنزهه تعالى بحسب
الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات
النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضي
بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت
الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور
ان يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى
الدالة على تفرده بما ذكر من الصفات الجليلة اي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على
الحكم والمصالح وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه فيهما بعد
خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اي يغشي كل واحد منهما الآخر كانه يلفه
عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا
تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله

كل يجري لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله
غير مرة الا هو العزيز الغالب القادر على كل شيء من الاشياء التي من جملتها عقاب العصاة
الغفار المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة
وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان لبعض آخر من افعاله
الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلي والبداءة
بخلق الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة
فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف
على محذوف هو صفة لنفس اي من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل
منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن
الاولى لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التعبير
عنها بالجعل دون الخلق كان ادخل في كونها آية واجلب لتعجب السامع فعطفت على الاولى بثم دلالة على
مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل
اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلث آيات مترتبة خلق آدم عليه السلام بلا اب وام
وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وقوله تعالى وانزل لكم بيان لبعض آخر من افعاله
الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح
المحفوظ او احدث لكم باسباب نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب من الانعام ثمانية ازواج
ذكرا وانثى هي الابل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور
المهمة المشوقة الى المنزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم
واطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله خلقا
من بعد خلق مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق اي خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة
لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة في ظلمات ثلث
متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة اليه تعالى
باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء
اي ذلكم العظيم الشان الذي عددت افعاله الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر اي مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما
بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به له الملك على الاطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة
في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فانى تصرفون لترتيب
ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى اي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف
عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها ان تكفروا به بعد مشاهدة

ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر فان الله غني عنكم اي فاعلموا انه تعالى غني
عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما ولا يرضى لعباده الكفر اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع
مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به وان تشكروا يرضه لكم اي يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة
الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء
ولا تزر وازرة وزر اخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلا اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى
ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال
الكفر والايمان اي يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا انه عليم بذات الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف
بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة واذا مس الانسان ضر من مرض وغيره دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه
مما كان يدعوه في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده
كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد
اي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اي جعله
يخول اي يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه من قبل
اي من قبل التخويل او نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر
والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا
من ان يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما ارضعت وجعل لله اندادا شركاء في العباد ليضل الناس
بذلك عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا فاصل
الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله
انهما اضلال وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا قل تهديدا لذلك الضال
المضل وبيانا لحاله ومآله تمتع بكفرك قليلا اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار اي من
ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل اذ قد
ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته امن هو قانت آناء الليل
الى آخره من تمام الكلام المأمور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه قيل له تأكيدا
للتهديد وتهكما به أانت احسن حالا ومآلا ام من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على اداء وظائف العبادات
في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك حال كونه ساجدا وقائما اي جامعا
بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر
يحذر الآخرة حال اخرى على التداخل او الترادف او استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية حاله من
القنوت والسجود والقيام كأنه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه فينجو
بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع

مع الاضافة الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب
للانتقال الى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل امن
هو قانت الخ افضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف
العلم والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين
لا يعلمون اي ما ذكر او شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين
في اعلى معارج الخير وكون الآخرين في مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف ومكابر
وقيل وارد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون
وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الامر
بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما في قول من
قال عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار اي انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة
اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين
آمنوا اتقوا ربكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص
التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم هم كما ستعرفه اي قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم
الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فان نقل عين امر الله تعالى ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى
للذين احسنوا تعليل للامر او لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان
بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا
اي عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
سئل عن الاحسان بقوله عم ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اي حسنة عظيمة
لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف
فالمراد بها حينئذ الصحة والعافية وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه
فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تعالى
انما يوفى الصابرون الخ ترغيب في التقوى المأمور به وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون
لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث
على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اي انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا
على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها
مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا من الصبر بغير حساب اي بحيث لا يحصى
ولا يحصر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه ينصب
الموازين يوم القيامة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب

عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء
من الفضل قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين أي من كل ما ينافيه من الشرك والرياء
وغير ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما أمر به نفسه من الإخلاص في عبادة الله تعالى
الذي هو عبارة عما أمر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الإتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه
مما خوطب به المشركون وأمرت لأن أكون أول المسلمين أي وأمرت بذلك لأجل أن أكون
مقدمهم في الدنيا والآخرة لأن إحراز قصب السبق في الدين بالإخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني
الأول بتقييده بالعلة والإشعار بأن العبادة المذكورة كما تقتضي الأمر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من
السبق في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت لأن أقوم بدليل قوله تعالى وأمرت أن أكون
أول من أسلم فالمعنى وأمرت أن أكون أول من أسلم من أهل زماني أو من قومي أو أن أكون أول من دعا
غيره إلى ما دعا إليه نفسه قل إني أخاف إن عصيت ربي بترك الإخلاص والميل إلى ما أنتم عليه من
الشرك عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة وصفه بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهي والأهوال قل الله
أعبد لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له ديني من كل شوب أمر عليه السلام أولا ببيان كونه
مأمورا بعبادة الله تعالى وإخلاص الدين له ثم بالإخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالإخبار
بامتثاله بالأمر على أبلغ وجه وآكده إظهارا لتصلبه في الدين وحسما لأطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم
بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم أن تعبدوه من دونه تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى
كأنهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه أمروا به كي يحل بهم العقاب قل إن الخاسرين أي الكاملين في الخسران الذي
هو عبارة عن إضاعة ما يهمه وإتلاف ما لا بد منه الذين خسروا أنفسهم وأهليهم باختيارهم الكفر لهما أي
أضاعوهما وأتلفوهما يوم القيامة حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي وأوقعوهما في هلكة
لا هلكة وراءها وقيل خسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا
من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا إياب بعده وفيه أن المحذور ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر
وذلك غير متصور في الشق الأخير وقيل خسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم أهل في الجنة وخسروا
أهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وأيا ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر
بل بيان أنهم هم إما بجعل الموصول عبارة عنهم أو عما هم مندرجون فيه اندراجا أوليا وما في قوله تعالى ألا
ذلك هو الخسران المبين من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والإشارة بذلك إلى بعد منزلة
المشار إليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله
وفظاعته وأنه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار الخ نوع بيان لخسرانهم بعد
تهويله بطريق الإبهام على أن لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف قيل هو حال من ظلل والأظهر أنه حال
من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل أي لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة
من النار ومن تحتهم أيضا ظلل أي أطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل للآخرين بل لهم أيضا عند ترديهم

في دركاتها ذلك العذاب الفظيع هو الذي يخوف الله به عباده ويحذرهم إياه بآيات الوعيد ليجتنبوا
ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف
والمرحمة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت أي البالغ أقصى غاية الطغيان فعلوت منه
بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد
هو الشيطان أن يعبدوها بدل اشتمال منه فإن عبادة غير الله عبادة للشيطان إذ هو الآمر بها
والمزين لها وأنابوا إلى الله وأقبلوا إليه معرضين عما سواه إقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على
ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك فبشر عباد الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه هم الموصوفون بالاجتناب والإنابة بأعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا
لهم بالإضافة ودلالة على أن مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل
ويؤثرون الأفضل فالأفضل أولئك إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة
وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده
من الموصول أي أولئك المنعوتون بالمحاسن الجليلة الذين هداهم الله للدين الحق وأولئك هم أولو
الألباب أي هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم
وفيه دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ
من في النار بيان لأحوال أضداد المذكورين على طريقة الإجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة
الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فإن المراد بها قوله تعالى لإبليس
لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وأصل
الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه على أنها شرطية دخل عليها الهمزة للإنكار [illegible] ثم الفاء
لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الإنكار والنفي بمضمونيهما معا أي أأنت مالك أمر
الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار وتذكيره لما طال
الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الإنكار والاستبعاد والتنبيه على أن المحكوم عليه
بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وأن اجتهاده عليه السلام في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من
النار ويجوز أن يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى أفأنت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة
وتعيين ما حذف منها وتشديد الإنكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير اجتهاده
في دعائه إلى الإيمان بصورة الإنقاذ من النار كأنه قيل أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه منه
ثم شدد والتنكير فقيل أفأنت تنقذ من في النار وفيه تلويح بأنه تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ لا غير حيث
كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم
بقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد
فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون أيضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين

آمنوا اتقوا ربكم الآية وبين ان لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة
في الجحيم اي لهم علالي بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل المبنية المؤسسة على الارض في الرصانة و
الاحكام تجري من تحتها اي من تحت تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله
مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد واي وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه الم تر
ان الله انزل من السماء ماء استئناف وارد اما لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال
بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار ببهجتها كما في نظائر قوله تعالى
انما مثل الحيوة الدنيا الآية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف
بما شاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء
المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى فسلكه
فادخله ونظمه ينابيع في الارض اي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها
فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الجار اي في ينابيع ثم يخرج
به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما
وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ثم يهيج اي يتم جفافه ويشرف
على ان يثور من منابته فتراه مصفرا من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا
كأن لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج ان في ذلك
اشارة الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه
لذكرى لتذكيرا عظيما لاولي الالباب لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على
حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال الحيوة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال
الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها او يجزمون بان من قدر على انزال الماء من السماء
واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا وانما قيل ان في ذلك لتذكيرا
وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن على تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال تمحل من تفسير الآية
الكريمة وانما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والافعال الجميلة من غير اسناد لها الى مؤثر ما
بحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين ان يكون متعلق التذكير والتنبيه شؤونه تعالى او شؤون آثاره
جسمانيتين لوجوده تعالى وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام الخ استئناف جار مجرى
التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد
له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب
واستضاءته بنوره فانه روي انه عليه السلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل
فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي في دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله و
الكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما

عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح الله صدره اي خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام
فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور
عظيم من ربه وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق
للاهتداء بها الى الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره و
استولى عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره الذي حقه ان تنشرح له الصدور وتطمئن
به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم او آياته اشمازوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى
فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة
القلوب في ضلال بعيد من الحق مبين ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي
الله عنهما وابي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضه وابي جهل وذويه الله نزل احسن الحديث
هو القرآن الكريم روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا حديثا
وعن ابن مسعود وابن عباس رضه قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة عن سائر الاحاديث
وفي ايقاع اسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد
على حسنه وتأكيد استناده اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي معجز
ما لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعرفا او لا فان مساغ
مجيء الحال من النكرة المضافة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله تعالى
متشابها او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتناء
على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة و
تجاوب نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر
لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه
يثني في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع
البصر كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات
ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رأيت رجلا حسنا شمائل اي شمائله والمعنى متشابهة
مثانيه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر
انه استئناف سيق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير كونه
احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع
وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده ووقف
شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق
التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا

بالقران وقوارع آياته وعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة
الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره
ذلك اي الكتاب الذي شرح احواله هدى الله يهدي به من يشاء اي يهدي به بصرف مقدوره
الى الاهتداء بتأمله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى ومن يضلل الله
اي يخلق فيه الضلالة بصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تأثره
بوعيده ووعده اصلا او ومن يخذل فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي
ذكر من الخشية والرجاء اثر هدى الله تعالى يهدي بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اي
من لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد ومن يؤثر فيه بشيء قط افمن يتقي
بوجهه الى آخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حال المهتدي والضال والكلام
في الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذي مر نظيره والتقدير اكل الناس سواء فمن شأنه انه يتقي
نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد يوم القيمة لكون
يده التي بها كان يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج
الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين عطف على يتقي اي ويقال لهم
من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد
ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون
اي وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من قبلهم استئناف
مسوق لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي
اي كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة فاتاهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث
لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها فاذاقهم الله الخزي اي
الذل والصغار في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون
النكال ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اي لو كان من
شأنهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
يحتاج اليه الناظر من امور دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرآنا عربيا
حال مؤكدة من هذا على ان مدار التأكيد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له
غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل المراد
بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء
متشاكسون ايراد لمثل من الامثال القرآنية بعد بيان ان الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ
بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر

في سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل
به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان انه في الاصل
كذلك مما لا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على انه وصف لرجلا او الوصف هو الجار والمجرور وشركاء
مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود
اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في
مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه ورجلا اي وجعل للموحد مثلا رجلا سلما اي خالصا لرجل فرد
ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر
من سلم له كذا اي خلص نعت بها مبالغة او حذف منها ذو وقرئ سالما وسالم اي وهناك
رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري عليه من الضر والنفع هل يستويان مثلا انكار
واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه وآكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث
لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والآخر
في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلا على التمييز اي هل يستوي
حالاهما وصفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى اكثر اموالا
واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير
للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستواء
بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وانها نعمة جليلة موجبة عليهم
ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل
السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون
اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون
لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى انك ميت وانهم
ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون
برسول الله صلى الله عليه وسلم موته اي انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اي مالك
اموركم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها
ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة
والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب
بقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله فانه الخ مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري
في شأن الكفر والايمان لا غير اي اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف اليه
الشريك والولد وكذب بالصدق اي بالامر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي
عليه السلام اذ جاءه اي في اول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تأمل اليس في جهنم مثوى للكافرين اي لهؤلاء

الذين افتروا على الله سبحانه وتعالى وسارعوا الى التكذيب بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار
معنى من كما ان الافراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها او الجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم
دخولا اوليا. والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عم وقومه وقيل
عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رض والذين جاؤا بالصدق
وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج او الفريق اولئك الموصوفون بما
ذكر من المجيء بالصدق والتصديق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى الذي هو اجل الرغائب
وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس واداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل
وصار صادقا به اي بسببه لان ما جاء به من القرآن معجزة دالة على صدقه عليه السلام وقرئ وصدق
على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان
ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال اي لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة
لا في الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر اهوال
القيامة انما يقع قبل دخول الجنة ذلك الذي ذكر من حصول كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين اي
الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا
متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية
لثبوت ما يشاؤن لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فانه
حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتي كان في معنى الوعد به
كما مر في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في
معنى وعدهم الله غرفا فانتصب وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار و
حصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوأ الذي عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم اجرهم باحسن
الذي كانوا يعملون اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء
بمضمون الكلام واضافة الاسوأ والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه
بل من اضافة الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما مطلق
الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان
خلا ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام
سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين
من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن في
الاول بناء على ان تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير
الاسوأ لتكفير الشيء لكن لما لم يمكن ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار

والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال
الصالحة بخلاف السيئة. اليس الله بكاف عبده انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده
كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد
بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم او الجنس المنتظم له عم انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده
وفسر بالانبياء عليهم السلام وكذا قراءة من قرأ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة
المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول عليه السلام
عما قالت له قريش انا نخاف ان تخبلك آلهتنا ويصيبك معرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن
عن شتم آلهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا
بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه اي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة
استئناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عم وخوفه بما لا ينفع ولا يضر
اصلا فما له من هاد يهديه الى خير ما ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء
يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع
لا يمانع ولا ينازع ذي انتقام ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح
الدليل ووضوح السبيل قل تبكيتا لهم افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر
هل هن كاشفات ضره اي بعد ما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان آلهتكم
ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر او ارادني برحمة اي او ان ارادني بنفع هل هن ممسكات
رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق
ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان ولما فيه
من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اي في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه عليه السلام
لما سألهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته
تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار
من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم اني عامل اي على
مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل
وتأييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه السلام وقد اخزاهم الله تعالى واخزاهم يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم
اي دائم هو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش
والمعاد بالحق حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اي انما نفع به
نفسه ومن ضل بان لم يعمل بموجبه فانما يضل عليها لما ان وبال الضلال مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل

لتحريهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اي بلاغ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي
لم تمت في منامها اي يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا
كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرئ
قضي على البناء للمفعول ورفع الموت ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى
هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد
ولا كثرة وما روي عن ابن عباس رض ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي
التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس
وحدها عند النوم قريب مما ذكر ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما
والارسال في الآخر لآيات عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية
تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما
يعتريها من السعادة والشقاوة والاخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى
انقضاء آجالها ام اتخذوا اي بل اتخذ قريش من دون الله من دون اذنه تعالى شفعاء تشفع لهم
عنده تعالى قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ
عليه اي قل أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن ان
يملكوا الشفاعة عند الله او هي لانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء
في شيء لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمنقدح حينئذ قدرا ولا وعلى اي تقدير
كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اي يشفعون لو كانوا يملكون
شيئا ولو كانوا لا يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا قل بعد
تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون
المشفوع له مرتضى والشفيع مأذونا له وكلاهما مفقود هاهنا وقوله تعالى له ملك السموات والارض تقرير لما و
تأكيد له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في امر من اموره بدون اذنه ورضاه ثم اليه
ترجعون يوم القيمة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد واذا ذكر الله
وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى
واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين من دونه فرادى
او مع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ
في بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط
له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى
اشمأزت وفي الثانية ما هو العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت
الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي التجئ اليه تعالى بالدعاء

لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء
بجملتها والعالم بالاحوال برمتها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي حكما يسلمه كل مكابر
معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي او الاخروي وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في
الارض جميعا الخ كلام مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى الله عليه وسلم وغاية
شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر ومثله معه لافتدوا به من سوء
العذاب يوم القيمة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين
مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد
قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم او
كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اي احاط بهم جزاؤه فاذا مس
الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة
والتعكيس على ما مر من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون
عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون
من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق
على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم اي على علم مني بوجوه كسبه او باني سأعطاه لما لي من
الاستحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير
لما ان المراد شيئا من النعمة بل هي فتنة اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله و
تغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما هو
امر مباين له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين
من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة
عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء
ما كسبوا وتسميتها سيئات لانها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين
ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي افرطوا في الظلم والعتو سيصيبهم سيئات
ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتأكيد وقد اصابهم اي اصابة حيث قحطوا
سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اي فائتين اولم يعلموا اي قالوا ذلك ولم
يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسط له ويقدر لمن يشاء ان يقدر
له من غير ان يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا

ان في ذلك الذي ذكر لايات دالة على ان الحوادث كلها من الله عز وجل لقوم يؤمنون اذ هم
المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا في الجناية
عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم لا
تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو
بعد حين بتعذيب في الجملة ولغيره حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك
ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة
وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص
ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله
يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق و
التأكيد بالجميع وما روي من اسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص
الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء اكرم الكاملين غير مسلم فكيف
فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من
قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اذ ليس المدعى ان الآية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير
توبة وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من
ربكم اي القرآن او المامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله
ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون
بمجيئه فتتداركوا وتتأهبوا ان تقول نفس اي كراهة ان تقول وتنكير نفس للتكثير كما في قوله تعالى علمت
نفس ما احضرت فانه ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر
يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي
بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك على ما فرطت
اي على تفريطي وتقصيري في جنب الله اي جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال اما تتقين الله
في جنب وامق له كبد حرى وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله على تقدير مضاف
كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين
اي المستهزئين بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر او تقول لو
ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب
لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو
من هذه الاقوال تحيرا وتحسرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها
واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي

وفصل عنه لما ان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل
بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما
عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه
بما لا يليق به كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة
حال اذ اكتفي فيها بالضمير عن الواو وعلى ان الرؤية بصرية او مفعول ثان لها على انها عرفانية اليس في جهنم
مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك وينجي الله الذين
اتقوا الشرك والمعاصي اي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم مصدر ميمي اما من فاز بالمطلوب
اي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب
اي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم
يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة
بمس العذاب والحزن واما من فاز منه اي نجا منه والباء للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم الخ تفسير
وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء والحزن عنهم او للسببية
اما على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق
المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر
مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابها
وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيفما يشاء له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها
ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال
والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او
مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رض
انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال ع م تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان
الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والآخر والظاهر و
الباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد
وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون
متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق لجميع الاشياء ومتصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء والاماتة
بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا باياته التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس
والتنزيلية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسران وراءه هذا
وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض فتدبر قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون
اي ابعد مشاهدة هذه الآيات غير الله اعبد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب
ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب بما دل عليه

تأمروني أعبد لأنه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على أن أصله تأمرونني أن أعبد فحذف أن ورفع
ما بعدها كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي ويؤيده قراءة أعبد
بالنصب وقرئ تأمرونني بإظهار النونين على الأصل وبحذف الثانية ولقد أوحي إليك وإلى الذين
من قبلك أي من الرسل عم لئن أشركت ليحبطن عملك كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل وإقناط
الكفرة ولتكونن من الخاسرين والإيذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من
لا يكاد يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى موطئة للقسم
والأخريان للجواب وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لأن الإشراك منهم أشد وأقبح
وأن يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت
أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما أمروه ولولا دلالة
التقديم على القصر لم يكن كذلك وكن من الشاكرين إنعامه عليك وفيه إشارة إلى ما يوجب الاختصاص
وتقضيه وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تعالى في أنفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شركاء ووصفوه
بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرئ بالتشديد والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على
غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالنسبة إلى قدرته تعالى ودلالة على أن
تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم
شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر
أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الأرض بالجميع لأن
المراد بها الأرضون السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على أنها حال
والسموات معطوفة على الأرض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما أبعد وما أعلى من
هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم أو عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور يعني النفخة الأولى
فصعق من في السموات ومن في الأرض أي خروا أمواتا أو مغشيا عليهم إلا من شاء الله قيل هم جبرئيل
وميكائيل وإسرافيل فإنهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه أخرى نفخة أخرى هي
النفخة الثانية وأخرى يحتمل النصب والرفع فإذا هم قيام قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب
على أن الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون
ما يفعل بهم وأشرقت الأرض بنور ربها بما أقام فيها من العدل استعير له النور لأنه يزين البقاع
ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك أضيف الاسم الجليل إلى
ضمير الأرض أو بنور خلقه فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضيف إلى الاسم الجليل ووضع الكتاب
الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الأعمال في أيدي العمال اكتفى
باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للأمم وعليهم
من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون

بنقص

بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت أي جزاءه وهو
أعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من أفعالهم وقوله تعالى وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا إلى آخره
تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها أي سيقوا إليها بالعنف والإهانة أفواجا متفرقة بعضها في إثر
بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر
وهو الصوت إذ الجماعة لا تخلو عنه حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها
الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا ألم يأتكم رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر
منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا أي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار
وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب
قالوا بلى قد أتونا وأنذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لإبليس
لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء إن
أنتم إلا تكذبون قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أي مقدرا خلودكم فيها وإبهام القائل لتهويل
المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف لتقدم ذكره أي فبئس مثواهم
جهنم ولا يقدح ما فيه من الإشعار بأن كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في أن دخولهم النار لسبق
كلمة العذاب عليهم فإنها إنما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة الم السجدة
وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة مساق إعزاز وتشريف للإسراع بهم إلى دار الكرامة وقيل سيق
مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو
الطبقة حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقرئ بالتشديد وجواب إذا محذوف للإيذان بأن
لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات كأنه قيل حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها
وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والآلام طبتم طهرتم من دنس المعاصي أو طبتم نفسا
بما أتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين كان ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده بالبعث والثواب وأورثنا الأرض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة
وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من
الجنة حيث نشاء أي يتبوأ كل واحد منا أي مكان أراده من جنته الواسعة على أن فيها مقامات
معنوية لا يتمانع واردوها فنعم أجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش
أي حوله ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم أي ينزهونه تعالى عما لا يليق به متلبسين
بحمده والجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفي جلاله وإكرامه تلذذا به وفيه
إشعار بأن أقصى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في شؤونه عز وجل وقضي بينهم
بالحق أي بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب
تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين أي على ما قضى بيننا بالحق وإنزال كل منا منزلته التي هي حقه

والقائلون هم المؤمنون ممن قضى بينهم والملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضه كان يقرأ كل

سورة غافر

سورة المؤمن

حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ باماله الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين
او نصبها باضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث او للتعريف وكونها على زنة قابيل
وهابيل وبقية الكلام فيه وفي قوله تعالى تنزيل الكتاب كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى
من الله العزيز العليم كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتي العزة والعلم ما ذكر هناك
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب
والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد
بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال
وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع
بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان
الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له
والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة
العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي
على طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا
فيجازي كلا من المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله اي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة
لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين كفروا بها واما الذين آمنوا
فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن واما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف
معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضائق الافهام ومزالق
الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام
ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى فلا يغررك تقلبهم
في البلاد لترتيب النهي او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء
ابغض منه عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر
بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم مأخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق
قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم
بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم و
قرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر

وجادلوا بالباطل الذي لا اصل ولا حقيقة له اصلا ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء
فأخذتهم بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فان آثاره دمارهم عبرة
للناظرين ولآخذن هؤلاء ايضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى
وكذلك حقت كلمة ربك اي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم
المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب ايضا على الذين كفروا اي كفروا
بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام
فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي من جملتها نصرته عليه السلام
وتعذيب اعدائه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى
انهم اصحاب النار في حيز النصب بحذف لام التعليل اي لانهم مستحقوا اشد العقوبات وافظعها
التي هي عذاب النار وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عم كدأب
من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو
في محل الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من
اصحاب النار اي كما وجب اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب
النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون
العرش ومن حوله وهم اعلى طبقات الملائكة عليهم السلام واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم
حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل
الموصول الرفع على الابتداء خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم ببيان ان اشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من
المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل
ملتبسين بحمده ونعوته التي لا تتناهى ويؤمنون به ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن
ذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق
به قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فان المشاركة في الايمان اقوى المناسبات واتمها و
ادعى الدواعي الى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من
تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول
روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون
طرفهم وعن النبي عم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان
خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض
السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفي
الحديث ان الله امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم

على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه
خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة
يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم
رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا ايمانهم على الشمائل
ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ربنا على ارادة القول اى يقولون ربنا على انه
اما بيان لاستغفارهم او حال وسعت كل شئ رحمة وعلما اى وسعت رحمتك وعلمك فازيل
عن اصله للاغراق فى وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة
بالذات ههنا والفاء فى قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اى للذين علمت منهم التوبة
واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم
عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد ربنا وادخلهم عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما
للمبالغة فى الجؤار جنات عدن التى وعدتهم اى وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من
آبائهم وازواجهم وذرياتهم اى صلاحا مصححا لدخول الجنة فى الجملة وان كان دون صلاح
اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اى وادخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف
ابتهاجهم او على الثانى لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل
بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم بان يكونوا على درجة من ذريتهم قال سعيد
ابن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول اين ابى اين ولدى اين زوجى فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك
فيقول انى كنت اعمل لى ولهم فيقال ادخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعى
حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار
زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفى الثانى ضمنى
وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اى الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور
الحكيم اى الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التى من جملتها انجاز الوعد فالجملة
تعليل لما قبلها وقهم السيئات اى العقوبات لان جزاء السيئة سيئة او جزاء السيئات
على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع والمعاصى فى الدنيا فمعنى قوله ومن تق
السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تق المعاصى فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كانهم طلبوا لهم
السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية
وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه هو الفوز العظيم الذى
لا مطمع وراءه لطامع ان الذين كفروا شروع فى بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما
بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون اى من مكان بعيد وهم فى النار وقد مقتوا
انفسهم الامارة بالسوء التى وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب

كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى ابغضوها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار و
اظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله
انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم فى الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتأبون
قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او اقتداء باخلائكم المضلين واحبابا
لآرائهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول
وان توسط بينهما الخبر لما فى الظروف من الاتساع وقيل للمصدر الآخر مقدرا اى مقته اياكم اذ تدعون
وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين فى الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف
والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان
فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعى اليه قالوا ربنا امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدرى الفعلين المذكورين اى اماتتين واحياءتين او موتتين
وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة
والاحياء ينبئان عن الموت والحيوة حتما كانه قيل امتنا فمتنا موتتين واحييتنا فحيينا حيوتين
على طريقة قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اى لم يدع فلم
يبق الا مسحت الخ قيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم
على ان الاماتة جعل الشئ عادم الحيوة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما فى قولهم سبحان من صغر
البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحياءين الاحياء الاول واحياء البعث وقيل
ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحياءين ما فى القبر وما عند
البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حيوة الدنيا فمدفوع
لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بان
مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه فى الدنيا كما ينطق به قولهم فاعترفنا بذنوبنا والتزام
العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا
كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذى ارادوه بقولهم فهل الى خروج
من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما
قيل ولا ريب فى ان الذى كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصى ليس الا الاحياء بعد
الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه فى سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف
به يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها فى الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها
وكذا حال الموتة فى القبر فان مقصدهم الاصلى هو الاعتراف بالاحياءين وانما ذكروا الاماتتين لترتيبهما
عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا ونكر سبيل للابهام اى من سبيل ما كيفما كان وقوله
ذلكم لكم جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اى ذلكم الذى

انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل بانه اى بسبب ان الشان اذا دعى الله فى الدنيا
اى عبد وحده اى منفردا كفرتم اى بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اى بالاشراك به وتسارعوا فيه
وفى ايراد اذا وصيغة الماضى فى الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع فى الثانية ما لا يخفى من الدلالة
على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذى لا يحكم الا بالحق ولا يقضى الا بما تقتضيه الحكمة
العلى الكبير الذى ليس كمثله شئ فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه
وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو
الذى يريكم اياته الدالة على شؤنه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها
فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اى سبب
رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الايات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه
من اثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل
واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الايات الباهرة
ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه فى تضاعيف مصنوعاته من شواهد
قدرته الكاملة ونعمته السابغة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ
فادعوا الله مخلصين له الدين اى اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون
مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع
الدرجات نحو بديع السموات على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور
وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد فى الاستعمال اى رفيع درجات ملائكته
اى معارجهم ومصاعدهم الى العرش ذو العرش اى مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو اخبر عنه بهما
ايذانا بعلو شانه وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما
عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوى و
السفلى تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضى بكون علو شانه وعظم سلطانه فى غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما
عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله
علق مع اخر انا تتمة
يلقى الروح من امره فانه خبر آخر لما ذكر مبنى عن انزال الرزق الروحانى الذى هو الوحى بعد بيان انزال
الرزق الجسمانى الذى هو المطر اى ينزل الوحى الجارى من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره
بيان للروح الذى اريد به الوحى فانه امر بالخير او حال منه اى حال كونه ناشئا ومبتدئا من امره او صفة
له على راى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى الروح الكائن من امره او متعلق بيلقى ومن للسببية
كالباء مثلها فى قوله تعالى مما خطيئاتهم اى يلقى الوحى بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذى اصطفاه
لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اى الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو
الرسول عليه السلام او الروح لانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثانى اى لينذر الناس العذاب

يوم التلاقى وهو يوم القيمة لانه تتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثانى
اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول و
رفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اى خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شئ
من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما
جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم
وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شئ استيناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه
المتوهمون فى الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اى لا يخفى عليه
تعالى شئ ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستانفة
او مستانف يقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ
فقيل يقال لمن الملك اى ينادى مناد لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل
بعينه لما روى انه يجمع الله الخلائق يوم القيمة فى صعيد واحد فى ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله
فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هى حكاية لما ينطق
به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التى
هى الحكم السوى والقضاء بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اى تجزى كل
نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة
عذاب ان الله سريع الحساب اى سريع حسابه تعالى اذ لا يشغله تعالى شان عن شان فيحاسب الخلائق
قاطبة فى اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما انه تعالى اذا اخذ فى حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها و
لا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاقى ويوم
البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئه فيكون تعليلا للانذار وانذرهم يوم الآزفة
اى القيامة سميت بها لأزوفها وهو القرب بغير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل لحظة الآزفة
وهى مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما فى قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم و
قوله كلا اذا بلغت التراقى اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع من اماكنها
فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب
القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها فى الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من
احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اى
انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم اى قريب مشفق ولا شفيع يطاع
اى لا شفيع يشفع على معنى نفى الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره

والضمائر إن عادت إلى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به
يعلم خائنة الأعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى غير المحرم واستراق النظر إليه أو خيانة الأعين
على أنها مصدر كالعافية وما تخفي الصدور من الضمائر والأسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح
للدلالة على أنه ما من خفي إلا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لأنه المالك الحاكم على الإطلاق
فلا يقضي بشيء إلا وهو حقه والذين يدعون يعبدونهم من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لأن
الجماد لا يقال في حقه يقضي أو لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا أو على إضمار قل إن الله هو السميع
البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الأعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال
ما يدعون من دونه أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم أي مآل
حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم كانوا هم أشد منهم قوة قدرة وتمكنا من
التصرفات وإنما جيء بضمير الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة أفعل من للمعرفة في امتناع دخول
اللام عليه وقرئ أشد منكم بالكاف وآثارا في الأرض مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى وأكثر
آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فأخذهم الله بذنوبهم أخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق
أي من واق يقيهم عذاب الله ذلك أي ذلك الأخذ بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات أي بالمعجزات
أو بالأحكام الظاهرة فكفروا فأخذهم الله إنه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه
عند عقابه بعقاب ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين أي حجة قاهرة وهي وإن عين الآيات
والعطف لتغاير العنوانين وأما بعض مشاهيرها كالعصا أفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لأنها
أفرد كجبريل وميكائيل مع دخولهما في الملائكة عليهم السلام إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر
كذاب أي فيما أظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا
وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم كما كان
فرعون يستقبل أبناءهم ويستحيي نساءهم أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أولا وكان فرعون قد كف
عن قتل الولدان فلما بعث موسى وأحس بأنه قد وقع ما وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه أنه
يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده وما كيد
الكافرين إلا في ضلال أي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء
المحتوم واللام إما للعهد والإظهار في موضع الإضمار لذمهم بالكفر والإشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم
داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الأباطيل للمسارعة إلى بيان
بطلان ما أظهروه من الإبراق والإرعاد واضمحلاله بالمرة وقال فرعون ذروني أقتل موسى كانوا
إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه فإنه أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة
وبقولهم إذا قتلته أدخلت على الناس شبهة واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت إلى
المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته أنه كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات

باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه و
إيهاما أنهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه إلا ما في نفسه من الفزع الهائل و
وليدع ربه تجلد منه وإظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه أخوف ما يخافه إني أخاف إن لم أقتله
أن يبدل دينكم أي يغير ما أنتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الأصنام لتقربهم
إليه أو أن يظهر في الأرض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج إن لم يقدر على تبديل دينكم
بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء
من تظهر بمعنى تظاهر أي تتابع وتعاون وقال موسى أي لقومه حين سمع بقوله اللعين من حديث قتله
عليه السلام إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر عليه السلام كلامه بإن تأكيدا
له وإظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لأنهما الذي
يستعيذ عنه وإضافه إليه وإليهم حثا لهم على موافقته في العبادة به تعالى والتوكل عليه فإن في تظاهر النفوس
تأثيرا قويا في استجلاب الإجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم
الاستعاذة والإشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرئ عذت بالإدغام وقال رجل مؤمن
من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان إسرائيليا أو غريبا موحدا
يكتم إيمانه أي من فرعون وملائه أتقتلون رجلا أتقصدون قتله أن يقول لأن يقول أو كراهة أن يقول
ربي الله أي وحده من غير روية وتأمل في أمره وقد جاءكم بالبينات والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات
الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم أضافه إليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا
لهم عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وإن يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه
وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم أي إن لم يصبكم كله فلا أقل
من إصابة بعضه لا سيما إن تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الإنصاف وعدم التعصب ولذلك
قدم من شقي الترديد كونه كاذبا أو يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو
أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض
النفوس حمامها مردود لأنه أراد بالبعض نفسه إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج
آخر ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى إلى البينات ولما أيده بتلك المعجزات وثانيهما
إن كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله ولعله أراد به المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الأول
لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني إسرائيل في الأرض أي أرض مصر لا يقاومكم
أحد في هذا الوقت فمن ينصرنا من بأس الله من أخذه وعذابه إن جاءنا فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا
لبأس الله بقتله فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد وإنما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض
إليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوءهم من مجيء بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وإيذانا بأنه مناصح لهم

ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتأثروا بنصحه قال فرعون بعد ما سمع نصحه ما اريكم
اي ما اشير عليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد اي الصواب او اعلمكم
الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان يستشعر الخوف الشديد ولكنه كان
يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا
من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى الفعل
وقال الذين آمنوا مخاطبا لقومه يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب
مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح
وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد
ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام
للعبيد لما ان المنفي فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد
خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيمة لانه ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة
او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما حكي في سورة الاعراف
وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا
زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض
اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد اي منصرفين عن الموقف
الى النار او فارين منها حسبما نقل آنفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال من ضمير تولون
ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام
على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد وقيل سبطه يوسف بن ابرهيم
ابن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة فما زلتم في شك مما جاءكم به
من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب
رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان
بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف في عصيانه
مرتاب في دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون
في آيات الله بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار معناه كانه قيل كل مسرف مرتاب
او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في محله اتاهم صفة
سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود
الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطبع
الفظيع يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة
بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا

يوسف آخر

اي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اي الطرق اسباب السموات
بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى بالنصب
على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال
الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى
اياه او ان يرى فساد قول موسى عم بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه
وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه
وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا فيما يدعيه من الرسالة وكذلك اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط
زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكا لا يرعوي عنه بحال وصد عن السبيل اي سبيل الرشاد
والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون
صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى وما كيد فرعون
الا في تباب اي خسار وهلاك وعلى انه من صد صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة
الدال اليه وقرئ وصدٌّ على انه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا اي هو وقومه وقال الذي آمن
اي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عم يا قوم اتبعون فيما دللتكم عليه اهدكم على سبيل الرشاد
اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال
يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا
وتصغير شأنها لان الاخلاد اليها رأس كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله تعالى ثم ثنى
بتعظيم الآخرة فقال وان الآخرة هي دار القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل في الدنيا سيئة
فلا يجزى في الآخرة الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها ومن
عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير
حساب اي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله تعالى ورحمة وجعل العمل عمدة
والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة
وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم
على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار لا دعوته اياهم
الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل
ما لي اراك حزينا اي ما لك تكون حزينا وقوله تعالى تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء
كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بشركته لله تعالى في المعبودية وقيل بربوبيته
علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم
الى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم
والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم

فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق ووجب
عدم دعوة آلهتكم الى عبادته اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم
بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور
بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد اي التفريق والمعنى
لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل بضم
الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله بالموت عطف على ان
ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين اي في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك
الدماء هم اصحاب النار اي ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا
عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح وافوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه ان الله
بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به
من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بآل فرعون اي بفرعون
وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن
من قومه لما انه فر الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا
رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة
مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب او النار خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل
هو النار ويعرضون استيناف للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من الآل
ولا يشترط في الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار
ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء
وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار
احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضي
ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما
للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم واما للتأبيد هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة
يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد
عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا
يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار اي واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها فيقول
الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم
او ذوي تبع اي اتباع على اضمار المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا
نصيبا من النار بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا
او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا او نصب على المصدرية كشيئا في قوله

لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه في موقع غنا فكذلك نصيبا قال الذين استكبروا
انا كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لاسم
ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن في الظرف فانه
لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك
ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار
من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم لخزنة جهنم اي للقوّام بتعذيب
اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد
دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او يكون الملائكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة
لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اي مقدار يوم او في يوم ما من الايام على انه ظرف
لا معيار شيئا من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب
في مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأسا او تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لان ذلك عندهم مما
ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم قالوا اي الخزنة اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات
اي اولم تنبهوا على هذا ولم تك تأتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء
مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة
قالوا بلى اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء
ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة كما في قول من قال فقد جئنا خراسانا
اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل
امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه الفاء
ربما يوهم ان الاذن في حيز الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم
في الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به في قولهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال
اي ضياع وبطلان وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الخ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى
لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي تقتضيه الحكمة وهو ان شأننا المستمر
انا ننصر رسلنا واتباعهم في الحيوة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال
والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة
امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اي يوم القيمة عبر عنه
بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جميع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد
للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم
نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار

اي جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل
الكتاب وتركنا عليهم من بعده التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي
الالباب لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية المشركين
ان وعد الله اي وعده الذي ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم
المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك او جميع مواعيده التي من جملتها
ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك
تداركا لما فرط منك من ترك الاولى في بعض الاحايين فانه تعالى كافيك في نصرة دينك واظهاره
على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل
صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا
لربك بالعشي والابكار وقيل هما صلوة العصر وصلوة الفجر ان الذين يجادلون في آيات الله
ويجحدون بها بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة
اتيانه للايذان بان التكلم في امر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا
عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تعالى ان في صدورهم الا كبر خبر لان اي ما في
قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الا ارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق
او الا ارادة ان تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان
فيها موقع جدال ما او انهم يملكون شيئا يتوهم ان يصلح مدارا لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه
صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة او النبوة وقيل
المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التورية بل هو المسيح بن داود
يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية
من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم
فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين
انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر
والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما يستوي الاعمى والبصير اي الغافل والمستبصر
والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء اي والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر
فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتأكيد النفي لطول الكلام
بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول

بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا
ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات اي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير
للناس او الكفار ان الساعة لآتية لا ريب فيها اي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل
على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم على ظواهر ما
يحسون به وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني استجب لكم اي اثبكم لقوله تعالى ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان
الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه
من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الادخال الله الذي جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدوء الحواس لتستريحوا
فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا والنهار مبصرا اي يبصر فيه او به ان الله
لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم
واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المتفرد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية
الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها
وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف
المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك
يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا
يؤفك كل من جحد بآياته تعالى اي آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم الارض
قرارا والسماء بناء بيان لفضله المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى وصوركم
فاحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بانفسهم والفاء في فاحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير
اي صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات
متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اي اللذائذ ذلكم الذي نعت
بما ذكر من النعوت الجليلة الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله تعالى بذاته رب العالمين اي مالكهم ومربيهم
والكل تحت ملكوته مفتقر اليه في ذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه
آنا لانعدم بالكلية هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته
وصفاته وافعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين اي الطاعة
من الشرك الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين اي قائلين ذلك عن ابن عباس رضي من قال لا اله الا الله
فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني
البينات من ربي من الحجج والآيات او من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان
الآيات التنزيلية مقررات للآيات التكوينية الآفاقية والانفسية وامرت ان اسلم لرب

العالمين اي بان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب اي في ضمن خلق آدم عليه السلام
منه حسبما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني ثم من علقة ثم يخرجكم
طفلا اي اطفالا والافراد لارادة الجنس او لارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم
معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كما لكم
في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله
طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا
متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم
تعقلون ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي الاموات ويميت الاحياء
او الذي يفعل الاحياء والاماتة فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون من غير توقف على شيء من الاشياء
اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات
على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها
من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله تعجيب
من احوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب
والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الخ بيان
لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اي انظر الى
هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف
يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي الى الاقبال عليها والانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى
الذين كذبوا بالكتاب اي بكل القرآن او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على انه
بدل من الموصول الاول او في حيز النصب او الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون
المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما ان صيغة
المضارع في الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب
او مطلق الوحي والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته
اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ المضي لتيقنه والسلاسل
عطف على الاغلال والجار في نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الاول عليه وقيل قوله تعالى
يسحبون بحذف العائد اي يسحبون بها وعلى الاولين حال من المستكن في الظرف وقيل استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون في الحميم
وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل
بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى الاغلال في اعناقهم في معنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه
القراءة به ثم في النار يسجرون اي يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه يسجر

بالحب

بالحب اي يملأ والمراد بيان انهم يعذبون بالوان العذاب وينقلون من باب الى باب ثم قيل لهم اين ما
كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي يقال لهم ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق
ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل
لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا
شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك اي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين
حيث لا يهتدون الى شيء ينفعهم في الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم
يتصادفوا ذلكم الضلال بما كنتم تفرحون في الارض اي تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك
والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والاشر والالتفات للمبالغة في التوبيخ ادخلوا
ابواب جهنم اي ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين
اي عن الحق جهنم والتعبير عن دخولهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم
من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق كائن لا محالة فاما نرينك اي فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية
ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك
قبل ذلك فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة
اشد العذاب وافظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون
الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة الاف من بني اسرائيل واربعة الاف من سائر
الناس وما كان لرسول اي وما صح وما استقام لاحد منهم ان يأتي بآية الا باذن الله فان المعجزات
على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر
القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح منها فاذا جاء امر الله بالعذاب
في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت
مجيء امره اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم
المعاندون المقترحون دخولا اوليا الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها
لاجلكم ولمصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء
الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتأكلوا
بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر
بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع
الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به

حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل
لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الازواج الثمانية فيخص الركوب والاكل
منها بتعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على ان كلا منهما مختص ببعض معين منها
بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما
كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته
ووفور رحمته فاي آيات الله اي فاي آية من تلك الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث
لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لاي واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية
المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لان التفرقة بين المذكر
والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا
اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة كانوا
اكثر منهم واشد قوة استئناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها وآثارا في الارض
باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به
اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
او بالآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائغة و
الشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو
علم الانبياء والذي اظهر رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تماديهم في جهلهم وسوء
عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء
جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله
وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا اي عند
رؤيتهم عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة
كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون ذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء
فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية
تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على التفسير بعد
الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان
مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الى آخره هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما
رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان
الاختياري سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو

وهو من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان قد استعير للزمان
كما سلف. عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة فصلت

فصلت

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا او مبتدأ خبره
تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله
من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر
آخر او تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الاول بدل منه او خبر آخر او خبر
لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع
بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت آياته ميزت
بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من احكام وقصص ومواعظ
وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف
الاساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا قرآنا عربيا نصب على المدح او الحالية من كتاب
لتخصصه بالصفة او من آياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر
لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرآنا اي كائنا لقوم الخ او بتنزيل على
ان من الرحمن الرحيم ليست بصفة له او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرآنا اي بشيرا
لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتاب او من آياته وقرئا بالرفع على الصفية
لكتاب او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع
تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند
دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثرة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر اي صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف ومن بيننا و
بينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث
استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن
ادراك الحق وقبوله ومج اسماعهم له كأن بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام
فاعمل اي على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون اي على ديننا او في ابطال امرك والاول
هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين للجواب
عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان
كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مأمور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد
بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب في الهكم محكي منتظم للكل لا انه خطاب منه عليه السلام للكفرة

كما في مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول او الاسماع
وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل
المعنى انى لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحى الى دونكم فصحت بالوحي الى وانا بشر نبوتي
واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فتأمل والفاء في قوله تعالى فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص في
الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين
ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة
لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة
حيث قيل وهم بالاخرة هم كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما
بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
انه فسر لا يؤتون الزكوة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى
لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك
ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع
من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح
ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتاكيد الانكار
وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التاكيد واما للاشعار بان كفرهم من البعد
بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التاكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل بالذي خلق
الارض في يومين لتفخيم شانه تعالى واستعظام كفرهم به اي بالعظيم الشان الذي قدر وجودها
اي حكم بانها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين على ان ما يوجد في كل نوبة يوجد باسرع
ما يكون وايضا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها
وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو
الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اي وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن ان يكون
له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من ان
المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان الذي فعل ما ذكر رب
العالمين اي خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون اخس
مخلوقاته ندا له وقوله تعالى وجعل فيها رواسي عطف على خلق داخل في حكم الصلة وجعل ابداعي وبث
ولزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو

بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التاكيد فالفصل بهما كلا فصل
على ان فيه فائدة التنبيه على ان مجرد المعطوف عليه كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة
ان يجعل له ند فكيف لو انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اي خلقها وجعل الى آخره
وقيل هو كلام مستانف فتأمل وايا ما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من فوقها متعلق
بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي اي كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون منافعها معرضة للطلاب وتظهر
للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها اي قدر ان يكثر خيرها بان
يخلق انواع الحيوان التي من جملتها الانسان واصناف النبات التي منها معايشهم وقدر فيها
اقواتها اي حكم بالفعل بان يوجد فيما سيأتي لاهلها من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها
على مقدار معين يقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام متعلق بحصول الامور
المذكورة لا بتقديرها اي قدر حصولها في يومين وانما قيل في اربعة ايام اي تتمة اربعة ايام تصريحا
بالفذلكة سواء مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لايام اي استوت سواء اي استواء كما ينبئ عنه
القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع اي هي سواء للسائلين
متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها اقواتها
لاجل السائلين اي الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى الى السماء
شروع في بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها
لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين وترتيب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان
ويزجرهم عن الكفر والطغيان اي ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي على غيره وهي دخان اي
امر ظلماني عبر به عن مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها او دخان مرتفع من الماء
كما سيأتي وانما خص الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما
ينطق به قوله تعالى فقال لها وللارض اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل فقال لها وللارض
التي قدر وجودها ووجود ما فيها ائتيا اي كونا واحدثا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما و
هو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان
يكون هناك آمر ومامور كما في قوله تعالى كن وقوله تعالى طوعا او كرها تمثيل لتحتم تاثير قدرته تعالى فيهما
واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال
اي طائعين او كارهتين وقوله تعالى قالتا اتينا طائعين اي منقادين تمثيل لكمال تاثرهما بالذات
عن القدرة الربانية وحصولهما كما امرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة
البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما في معرض
الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات تفسير وتفصيل
لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مترتب على تكوينهما اي خلقهن خلقا ابداعيا

وانقضى امره من حيث ما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على
الاول وتمييز على الثاني في يومين في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما
فيها عند بيان تقديرها فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل واوحى في كل سماء
امرها عطف على قضاهن اي خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه
الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحي عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه
من الوقت او اوحى الى اهل كل منها اوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو معناه ومطلق عن
القيد المذكور وايا ما كان فعلى تقرير التفصيل لا دلالة في الاية الكريمة على الترتيب بين ايجاد
الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه
من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما
في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض و
ما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش العظيم كان قبل
خلق السموات والارض على الماء ثم انه احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان
فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما
الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين
ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة
وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة وقيل ان خلق
جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك
دحاها ولما روي عن الحسن رح من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان
ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض و
ذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الاية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الامر بالاتيان انشاؤها
واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص لا يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل
ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا
لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة
وانت خبير بان المذكور قبيل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما
فيها ايضا من الامور المتأخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر
بالاتيان على كونهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا
على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكوين السماء على الوجه
اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك انا ان
يحمل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير

ويجعل

ويجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها وتحمل
البعدية اما على انه قاصر عن الاول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على انه ادخل في الالزام
لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها
اكمل وليس ما روي عن الحسن رض نصا في تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف
على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام
الواحدي عن مقاتل رحمه الله ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل
الامر بالاتيان حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق
الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني
واما على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة في الاية الكريمة على الترتيب
كما في الوجه الاول وعلى ذلك بني الكلام في تفسير قوله سبحانه وتعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
الاية وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لنبو مقام الامتنان عنه وزينا
السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فانها كلها ترى متلألئة عليها فيها والالتفات الى نون
العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله سبحانه وتعالى وحفظا مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا
اي حفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح
زينة وحفظا ذلك الذي ذكر تفاصيله تقدير العزيز العليم المبالغ في القدرة والعلم
فان اعرضوا متصل بقوله تعالى قل ائنكم الخ اي فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية
الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان فقل لهم انذرتكم اي انذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الا
المنبئ عن تحقق المنذر به صاعقة اي عذابا هائلا شديد الوقع كأنه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق
صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم
او صعقة لصاعقة لفساد المعنى واما جعله صفة لصاعقة عاد اي الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع
بعض صلته من بين ايديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم اي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة
او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق
بهم من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون
على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجيء انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان
بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكأن الرسل
قد جاؤوهم وخاطبوهم بقوله تعالى الا تعبدوا الا الله اي بأن لا تعبدوا على ان ان مصدرية او اي
لا تعبدوا على انها مفسرة قالوا لو شاء الله اي ارسال الرسل لانزل ملائكة كما قيل فانه جار
عن افادة ما ارادوه من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف لانزل ملائكة اي لارسلهم لكن لما كان ارسالهم

نذار

بطريق الانزال وقيل لانزل فانا بما ارسلتم به اي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم كافرون لما انكم
بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد
فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة
والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد
خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان
كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة
تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله تعالى عليه وسلم
ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود
فامسك عتبة على فيه عليه السلام وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس
عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت
فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة
عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب
فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض شروع في حكاية ما يخص بكل واحدة
من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اي فتعظموا فيها على اهلها
او استعلوا فيها واستولوا على اهلها بغير الحق اي بغير استحقاق للتعظم والولاية وقالوا
مدلين بشدتهم وقوتهم من اشد منا قوة حيث كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ
من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده اولم يروا اي اغفلوا اولم
ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة
اي قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى
والقدر على كل قوي وقادر وانما اورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم
الشدة في القوة وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا باياتنا المنزلة على الرسل يجحدون اي ينكرونها
وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم
الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي
يصر اي يجمع ويقبض او عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا
نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف بالمصدر مبالغة
قيل كانت آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام واضيف
العذاب الى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله سبحانه وتعالى
ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة وهم لا ينصرون

برفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الآيات
التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى
الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين
وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الضلالة على الهداية فاخذتهم صاعقة
العذاب الهون داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصفه به العذاب
مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع في بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم
العاجلة والتعبير عنهم باعداء الله لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد
بهم الكفار من الاولين والآخرين ويرده ما سيأتي من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن
والانس وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها
الى النار اي الى موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب
وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف
دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر
قد حذف ايذانا بقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف
لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن
كثرتهم وقيل يساقون او يدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اي جميعا غاية ليحشر
او ليوزعون اي حتى اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى
او يظهر عليها آثارا مما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج
وهو الانسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فان ما تشهد
به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما تشهد به السمع والابصار من الجنايات
المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح اي سألوها سؤال توبيخ لما روي انهم
قالوا لها فعنكن كنا نناضل وفي رواية بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اجادل وصيغة جمع
العقلاء في خطاب الجلود وفي قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء لوقوعها
في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اي انطقنا الله الذي انطق كل ناطق واقدرنا
على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا
باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار في الاخبار
وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا من قدرة الله الذي انطق كل حي وهو
خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا او على اعادتكم ورجعكم

الى جزائه ثانيا لا يتعجب من نطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع ان ما ذكر من المحاورة بعد البعث
والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب
الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى
وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم
يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون في الدنيا عند
مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة
الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم فيه ايذان بان شهادة
الجوارح باعلامه تعالى لا بانها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضي الله عنه
كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي فقال
احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك
الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه
من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكي من الحال جميع اصناف الكفرة
فتدبر وذلكم اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء
وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا و
ارداكم خبرا فاصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للسعادة
الدارين سببا لشقاء النشأتين فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم
بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم
لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غياهب دركات النار وان يستعتبوا
اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا
ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا لهم اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء
جمع قرين اي اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل
اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات
وما خلفهم من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول
اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهي قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول
لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم
اجمعين كما مر مرارا في امم حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح

في ان المراد باعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين
كما قيل قد خلت صفة الامم اي مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدأب
هؤلاء انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين وقال الذين
كفروا من رؤساء المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا
تنصتوا له والغوا فيه وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم
بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى كلقي يلقى ولغا يلغو اذا هذى
لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اي فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين
او جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي
كانوا يعملون اي جزاء سيئات اعمالهم التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن
كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضي الله عنهما عذابا
شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ وقوله تعالى جزاء اعداء الله
خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه تعالى وقوله تعالى النار عطف بيان للجزاء او ذلك خبر مبتدأ
محذوف اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة
لما قبلها وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي خبره
اي هي بعينها دار اقامتهم على ان في للتجريد وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مثله مبالغة لكماله
فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديدا وتحتمل هي معناها والمراد ان لهم في النار المشتملة
على الدركات دارا مخصوصة فهم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون منصوب بفعل مقدر
اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء
موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب
ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا
وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقي
شياطين النوعين المقيضين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل
سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرئ باختلاس كسرة
الراء نجعلهما تحت اقدامنا اي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا
من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع في بيان حسن
احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوه اعترافا بربوبيته
تعالى واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا اي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في
الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله
تعالى عنهم اجمعين في معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها

تتنزل عليهم الملائكة من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم
ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين
القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى
في مواطن ثلثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه
ان لا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه
غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى
ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من
الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وقرئ لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا
على انه حال من الملائكة او استينافا وابشروا اي سروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على السنة
الرسل هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلثة وقوله تعالى نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا الى اخره من
بشاراتهم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك
عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتاييده لهم بواسطة
الملائكة عم وفي الاخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من
التعادي والخصام ولكم فيها اي في الاخرة ما تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون
ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اي تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين
خبر وما مبتدا وفيها حال من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي للاستتباع
في البشارة والايذان باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون مفيدة لكون
ما تتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الاجور كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله اي الى توحيده تعالى وطاعته عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعا
الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق ان
حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه
وقال انني من المسلمين ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان
اي مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرئ اني بنون واحدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة جملة مستانفة
سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد
وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة
اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الاثار والاحكام ولا الثانية مزيدة
لتاكيد النفي وقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتي هي احسن استيناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع
السيئة حيث اعترضتك من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى
من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك

ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله سبحانه وتعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم بيان لنتيجة الدفع المامور به اي فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق
وما يلقاها اي ما يلقى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا
اي شانهم الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة
ونيل الثواب وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب كان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار
وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به
وسوسته الشيطان لانها تبعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك
نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اي وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن
فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك وبصلاحك وفي
جعل الدفع بالاحسن من اثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن اياته الدالة على شؤونه
العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة لان
حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث او لانها عبارة عن الايات وتعليق الفعل بالكل مع
بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض
التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم الكل في سلك اياته تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان
السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعي وعندنا اخر
الاية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون
له بالليل والنهار اي دائما وهم لا يسامون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسامون بكسر الياء
ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا
انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت اذا
دنا ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات
وقرئ ربأت اي ارتفعت ان الذي احياها بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء
من الاشياء التي من جملتها الاحياء قدير مبالغ في القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة
وقرئ يلحدون في اياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم
بالحادهم وقوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيمة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا
ما شئتم من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء في النار والاتيان امنا وفيه تهديد شديد انه
بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين
يلحدون آه وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستانف وخبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده
الخبر السابق والذكر القران وقوله تعالى انه لكتاب عزيز اي كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتاتى

معارضة جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
أي لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات صفة أخرى للكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد
خبر لمبتدأ محذوف أو صفة أخرى للكتاب مفيدة لفخامته الإضافية كما أن الصفتين السابقتين
مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح
من الصفات على الصريح وكل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى ما يقال لك إلى آخره تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار أي ما يقال في حقك وفي شأن ما أنزل إليك
من القرآن من جهة كفار قومك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أي إلا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه
إن ربك لذو مغفرة لأنبيائه وذو عقاب أليم لأعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم
من أعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك أيضا ولو جعلناه قرآنا أعجميا جواب قولهم
هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته أي بينت بلسان نفقهه و
قوله تعالى أأعجمي وعربي إنكار مقرر للتخصيص والأعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة
في الوصف كالأحمري والمعنى أكلام أعجمي ورسول ومرسل إليه عربي على أن الإفراد مع كون المرسل إليهم أمة
لما أن المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا أو جمعا
وقرئ أعجمي أي أكلام منسوب إلى أمة العجم وقرئ أعجمي على الإخبار بأن القرآن أعجمي والمتكلم أو
المخاطب عربي ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لإفهام العجم وبعضها
عربيا لإفهام العرب أيا ما كان فالمقصود بيان أن آيات الله تعالى على أي وجه جاءتهم وجدوا
فيها متعنتا يتعللون به قل هو للذين آمنوا هدى يهديهم إلى الحق وشفاء لما في الصدور من شك
وشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على أن التقدير هو أي القرآن في
آذانهم وقر على أن وقر خبر للضمير المقدر وفي آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو أوفق
لقوله سبحانه وتعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في آذانهم ووقر فاعل الظرف
وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم
منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الأول أي هو للأولين هدى
وشفاء وللآخرين وقر في آذانهم أولئك إشارة إلى الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في
حيز صلته وملاحظة ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد
منزلته في الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد أي أولئك البعداء الموصوفون بما
ذكر من التصام عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها ينادون
من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من
مثلها الأصوات ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستأنف مسوق لبيان أن
الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للأمم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال

لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أي وبالله لقد آتينا التوراة فاختلف فيها فمن مصدق
لها ومكذب وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن وكافر ولولا كلمة سبقت
من ربك في حق أمتك المكذبة وهي العدة بتأخير عذابهم والفصل بينهم وبين المؤمنين من الخصومة
إلى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى لقضي
بينهم باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الأمم السالفة وإنهم أي كفار قومك لفي شك
منه مريب أي من القرآن وجعل الضمير الأول للمعهود والثاني للتوراة مما لا وجه له من عمل
صالحا بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه أي فلنفسه يعمله أو فنفعه لنفسه لا لغيره ومن
أساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني
على تنزيل ترك إثابة المحسن بعمله أو إثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير إساءة أو بإساءة
غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر في المقام من التحقيق
والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الأنفال إليه يرد علم الساعة أي إذا سئل عنها
يقال الله يعلم أو لا يعلمها إلا الله وما تخرج من ثمرات من أكمامها أي من أوعيتها جمع كم
بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على إرادة الجنس والجمع لاختلاف الأنواع
وقد قرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق واحتمال أن تكون موصولة
معطوفة على الساعة ومن مبنية بعيد وما تحمل من أنثى ولا تضع أي حملها وقوله تعالى إلا بعلمه
استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع
واضع ملابسا بشيء من الأشياء إلا ملابسا بعلمه المحيط ويوم يناديهم أين شركائي أي
بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى أين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم
منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد ترك إيذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله
الرسل قالوا آذناك أي أخبرناك ما منا من شهيد من أحد يشهد بأن لك شريكا إذ تبرأنا منهم
لما عاينا الحال وما منا أحد إلا هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم حينئذ
وقيل هو قول الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وقولهم آذناك إما لأن
هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب أو لأن معناه إنك علمت من قلوبنا
وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه
أو لأن معناه الإنشاء لا الإخبار بإيذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون
أي يعبدون من قبل أي غابوا عنهم أو ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا
أي أيقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الإنسان أي
لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وأسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير
وإن مسه الشر أي العسر والضيقة فيؤوس قنوط فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة

التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر
اي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده
لما ان اليأس من رحمته تعالى لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا
من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي
لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة اي تقوم فيما سيأتي ولئن رجعت الى
ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى اي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده
ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاق له وان نعم الآخرة كذلك فلننبئن الذين كفروا
بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف
عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس عليه السلام
ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان
اعرض اي عن الشكر ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب
مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز ان يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف
والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض اي كثير
مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول
اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير
البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط او شأن الكل في بعض الاوقات قل ارأيتم اي اخبروني
ان كان اي القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من اضل ممن
هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا
لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا الدالة على حقيته وكونه من عند الله في الآفاق من ما اخبرهم النبي
صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له وللخلفاء
من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب
على وجه خارق للعادة وفي انفسهم هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما
في الآفاق اي منازل الامم الخالية وآثارهم وفي انفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدي
في الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه السلام والمسلمين وفي انفسهم فتح مكة وقيل
في الآفاق اي في اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من
الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار
وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث
الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون واعتذر بان معنى السين
مع ان اراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك انه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا

فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما حتى يتبين لهم بذلك انه الحق اي القرآن او الاسلام
والتوحيد اولم يكف بربك استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم
المحوج الى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي الم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد تزاد الا مع كفى وقوله تعالى
انه على كل شيء شهيد بدل منه اي الم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم
يكفهم في ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود
من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن
تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك
دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة
فتأمل واما ما قيل من ان المعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار
الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه
عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي
في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية
بالضم وهي لغة فيها الا انه بكل شيء محيط عالم بجميع الاشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها
فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات والله اعلم

سورة عسق

حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب
سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره
وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله سبحانه وتعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم
كلام مستأنف وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل
المتقدمة في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق او ان ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر
اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف في حيز النصب على انه مفعول ليوحي على الاول وعلى انه نعت
لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثاني الى ايحائها وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اي مثل ما في هذه السورة من المعاني
اوحي اليك في سائر السور والى من قبلك من الرسل في كتبهم على ان مناط المماثلة ما اشير اليه
من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد او مثل ايحائها
اوحي اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغاير له

كما في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الاية على ان هذه المثلية كونه بواسطة الملك
وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وفي جعل
مضمون السورة او ايحائها مشبها به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة
وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على ان كذلك
مبتدا ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه
يوحى كانه قيل من يوحى فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له او مبتدا كما في قراءة نوحي والعزيز وما بعده
خبران له او العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران
وعلى الوجوه الاتية استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرئ بالياء يتفطرن
يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه
مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تنفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن
اي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الايات وادلها
على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك
الكلمة الشنعاء الواقعة في الارض حين اثرت في جهة الفوق فلان تؤثر في جهة التحت اولى
وقيل الضمير للارض فانها في معنى الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق
به ملتبسين بحمده ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام
وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تاخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة
الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان
بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا فالمراد به الشفاعة الا
ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والاية على الاول زيادة
تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك
الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى انه تعالى يقبل
استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداد
الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول
اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا ذلك اشارة الى مصدر
اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرانا عربيا مفعول لاوحينا اي ومثل ذلك الايحاء
البديع البين المفهم اوحينا اليك قرانا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى
معنى الاية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فحسب فالكاف مفعول به لاوحينا
وقرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قران عربي بين لتنذر ام القرى اي اهلها
وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اي يوم القيمة لانه يجمع فيه الخلائق قال الله تعالى يوم

يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار يتعدى
الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الاول واول مفعولي
الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القران لا ريب فيه اعتراض مقرر
لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم في الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون
بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم اي وتنذر
يوم جمعهم متفرقين اي مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء
الله لجعلهم امة واحدة اي في الدنيا انه واحدة قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في رحمته انه تعالى في رحمته من يشاء ان يدخله فيها
ويدخل في عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب في ان مشيته هو لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق
كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيها
قطعا لمن يشاء جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير
للايذان بان الادخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته تعالى
كما في الادخال في الرحمة لا لما قيل من المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين
الاسلام كما في قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس
هداها والمعنى ولو شاء الله مشية قدرة لقسرهم على الايمان لكنه شاء مشية
حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بقوله من يشاء
وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مؤمنين يابى تصدير الاستدراك
بادخال بعضهم في رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب ح تصديره باخراج بعضهم من
بينهم وادخالهم في عذابه فالذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه ان يراد الاتحاد في الكفر
كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الاية على احد الوجهين بان يراد بهم
الذين هم في فترة ادريس او في فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم امة
واحدة متفقة على الكفر بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال
فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي شانه ذلك فيرسل الى الكل من
ينذرهم ما ذكر فيتاثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة
ويدخلهم في رحمته ولا يتاثر به الاخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم
عليه من الكفر ويصيرون في الاخرة الى السعير من غير ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب
ام اتخذوا من دونه اولياء جملة مستانفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون للظالمين ولي
او نصير وام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار
الوقوع ونفيه على ابلغ وجه واكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان

ان يفعلوا ليس من اتخاذ الاولياء في شيء لان ذلك فرع كون الاصنام اولياء وهو اظهر
الممتنعات اي بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء من الاصنام وغيرها جهالات وقوله تعالى
فالله هو الولي جواب شرط محذوف كانه قيل بعد ابطال ولايتها ان ارادوا اولياء
وليا في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي من شانه ذلك وهو على كل شيء
قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء
حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم
وهم فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين والحكم الحاكم العظيم ذلكم الله
ربي الحكيم عليه توكلت في مجامع اموري خاصة لا الى غيره واليه انيب ارجع في كل ما يعن لي
من معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة
متجددة حسب تجدد موادها اوثر في الاول صيغة الماضي وفي الثانية صيغة المضارع وقيل وما
اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل اية اشتبه عليكم فارجعوا
في بيانه الى المحكم من كتاب الله تعالى والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع
بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح
ولا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه الصلاة والسلام فاطر السموات
والارض خبر اخر لذلكم او خبر لمبتدأ محذوف او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من
الضمير او وصف للاسم الجليل في قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف
من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة
ومن الانعام ازواجا اي وجعل للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا
واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو فيه اي فيما ذكر من التدبير
فان جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله
شيء في شان من الشؤون التي من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يبخل
كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى ثم سلكت
هذه الطريقة في شان من لا مثل له وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير المبالغ
في العلم بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض اي خزائنهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة انه بكل شيء عليم مبالغ في الاحاطة
به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
وايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين عليهم السلام

تنبيه على كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل والخطاب لامته عليه الصلاة والسلام اي شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من ارباب الشرائع واولي العزم من مشاهير الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وامرهم به امرا مؤكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شانهم ولاستمالة
قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شان موسى عليه الصلاة والسلام
وتفرد النصارى في حق عيسى عليه الصلاة والسلام والا فما من نبي الا وهو مامور بما امروا به
وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار من اصول
الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تاكيد الامر والاعتناء بشان المامور به
والمراد بايحائه اليه عليه الصلاة والسلام اما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك
اوحينا الاية واما ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلاة والسلام بالذي لزيادة تفخيم شانه من
تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الايات المذكورة ولما
في الايحاء من التصريح برسالته عليه السلام القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لاظهار
كمال الاعتناء بايحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه السلام
للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق
التلوين للتشريف والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام ان اقيموا الدين
اي دين الاسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء
وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ او
المواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا اما النصب على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين
عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشا من ابهام المشروع كانه قيل وما ذاك فقيل هو
اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما انه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء
الى النبي عليه الصلاة والسلام مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى ولا تتفرقوا فيه للانبياء المذكورين
عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهي الى اممهم تمحل ظاهر مع ان الاظهر انه متوجه الى امته صلى الله عليه
وسلم وانهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا اي لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر
من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر على المشركين شروع في بيان احوال من
شرع لهم ما شرع من الدين القويم اي عظم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض عبادة
الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى الله
يجتبي اليه من يشاء استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة

اي الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما ينبئ
عنه قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب اي يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا
شروع في بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا
من بعد ما جاءتهم البينة اي ما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم الا من بعد
ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والقران من دلائل الحقية حسبما
وجدوه في كتابهم او لوا العلم بمبعثه عليه الصلوة والسلام وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال او
من اعم الاوقات اي ما تفرقوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا حال مجئ العلم او
الا وقت مجئ العلم بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك شبهة ولولا
كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيمة لقضي بينهم لاوقع
القضاء بينهم باستيصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى وان الذين اورثوا
الكتاب الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقران اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا
اي وان المشركين اورثوا القران من بعدما اورث اهل الكتاب كتابهم لفي شك منه من القران
مريب موقع في القلق او في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعدما علموا بحقيته
كدأب اهل الكتابين هذا واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا لامم الانبياء عليهم السلام وان
المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء
عليهم الصلوة والسلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من
ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين بعدما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء
اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم
العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال
من غير انظار وامهال على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر
من الانبياء عليهم الصلوة والسلام لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم السلام
تاكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق اممهم عنه
ربما يوهم الاخلال بذلك المرام فلذلك اي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه
شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اي الناس كافة الى
اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين
لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر
من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين
المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى بان ربك اوحى لها اي فالى ذلك الدين فادع واستقم

عليه وعلى الدعوة اليه كما امرت واوحي اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل
الله من كتاب اي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق
للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتأليف لقلوب اهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية
الايمان بها في خاتمة سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا
عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوي بيني وبينكم ولا آمركم بما لا اعمل ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه
ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف اي امرت بذلك
لاعدل او زائدة اي امرت ان اعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم اي خالقنا جميعا ومتولي امورنا لنا
اعمالنا لا تتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم لا تجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم
ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا وبينكم اي لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة
ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا
كما ترى محاجزة في مواقف المجاوبة لا متاركة في مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ بآية القتال والذين
يحاجون في الله اي في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير
عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه الصلوة والسلام وايده
بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنعوته عليه الصلوة والسلام واستفتحوا به قبل مبعثه
عليه الصلوة والسلام وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا
قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا
وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره
ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق ملتبسا به في
احكامه واخباره او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوازن
به الحقوق ويسوى بين الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن وما يدريك
اي اي شيء يجعلك عالما لعل الساعة التي تخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق قريب اي شيء
قريب او قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى ان الساعة
على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن
فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء
كانوا يقولون متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه
والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اي
الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة
اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة
لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء

الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اي بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون الطافه ما لا يكاد
يناله ايدي الافكار والظنون يرزق من يشاء اي يرزقه كيفما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر
على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء
العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة الحرث في الاصل القاء البذر في الارض
يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الاعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية
على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اي من كان يريد باعماله
ثواب الاخرة نزد له في حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان
يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها نؤته منها اي شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده
ويبتغيه وما له في الاخرة من نصيب اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة
ام لهم شركاء اي بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل
من الدين ما لم ياذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم و
اضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم
وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا كلمة الفصل اي
القضاء السابق بتاخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين
او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي
ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الاخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب
في عذاب الاخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للقصد الى ان سوء حالهم غير
مختص برؤية راء دون راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي وباله
لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين امنوا
وعملوا الصالحات في روضات الجنات مستقرون في اطيب بقاعها وانزهها لهم
ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على ان عند
ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاؤن ذلك اشارة الى ما ذكر من
حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه هو الفضل الكبير الذي لا يقادر
ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير هو الذي يبشر الله عباده اي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد
الى الموصول كما في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره تعالى عباده
الذين امنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من البشر قل لا اسالكم عليه روي انه اجتمع
المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض ترون ان محمدا يسال على ما يتعاطاه اجرا فنزلت
اي لا اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة في القربى اي الا ان
تودوني لقرابتي منكم او تودوا اهل قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسالكم اجرا قط ولكن

اسالكم

اسالكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة
والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين
وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من
ظلم اهل بيتي واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه
عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم
اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة اي يكتسب اي حسنة
كانت فتتناول مودة ذي القربى تناولا اوليا وعن السدي انها المرادة قيل نزلت في الصديق
ومودته فيهم نزد له فيها اي في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله وقرئ
حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون
بل يقولون افترى محمد على الله كذبا بدعوة النبوة وتلاوة القران على ان الهمزة للانكار التوبيخي
كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله عليه الصلوة والسلام وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله
الذي هو اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان
ما قالوا ببيان انه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون
القران افتراء عليه تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي عليه الصلوة والسلام بل يشاء عدم
صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك
وان يشا ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث
لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشا يجعلك
من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد
الافتراء من مثله عليه الصلوة والسلام وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم
وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القران ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب
لفعل به ذلك هذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القران وقيل يختم على قلبك يربط عليه
بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استئناف مقرر لنفي الافتراء
غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لاتباع اللفظ
كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اي ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او
بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت
الحق الذي هو عليه بالقران او بقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليهم انه عليم بذات الصدور فيجري
عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده التوبة هي الرجوع
عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروى جابر رضه ان اعرابيا دخل مسجد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته
قال له علي رضي الله تعالى عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج
الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب
الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية
واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون كائنا ما كان من خير او شر فيجازي ويتجاوز حسبما
تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا
الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم والمراد
اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام افضل
الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له
ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم ولم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويزيدهم
من فضله على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين
من الثواب والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا
فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي
طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية والكيفية ولكن ينزل بقدر اي بتقدير ما يشاء
ان ينزله مما تقتضيه مشيئته انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد
منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما
تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا
الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي
ينزل الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال
من بعد ما قنطوا ايسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر
النون وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان
او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر
الرحمة الحميد المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن آياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب
الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق
من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد
الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من
وقد جوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وان يخلق الله في السماء حيوانا
يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي عليه السلام

قال فوق

قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال
بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم اي حشرهم
بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله قدير فان المقيد بالمشيئة
جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة
اي مصيبة كانت فبما كسبت ايديكم اي فهي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية
او متضمنة لمعنى الشرطية وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب
فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم لاسباب اخر منها تعريضه للثواب
للصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وان هربتم من اقطارها كل مهرب
وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية
في البحر وقرئ الجواري كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة ان يشأ
يسكن الريح التي تجريها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اي غير
جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي تجرين تارة وتركدن اخرى
على حسب مشيئته تعالى لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل
صبار شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في آلائه
او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن
والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرقهن بعصفها وايقاع الايباق عليهن مع انه
حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها
فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون
في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله ولتعلمه
من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى
او ان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص اي من مهرب من العذاب
والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء مما ترغبون فيه وتتنافسون فيه فمتاع الحيوة الدنيا اي فهو
متاع تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير ذاتا لخلوص نفعه وابقى زمانا حيث
لا يزول ولا يفنى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا
لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخلت جوابها الفاء
بخلاف الثاني وعن علي رضي الله تعالى عنه انه تصدق ابو بكر رضي الله تعالى عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين
فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من هذا الجنس والفواحش واذا ما
غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح بالنصب والرفع وبناء يغفرون على الضمير
خبرا له للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس

كبير الاثم الشرك والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا
عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون اي في سبيل
الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين اذا اصابهم البغي هم
ينتصرون اي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة
لسائر امهات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقعه ورذيلة
مذمومة في موضع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواء اللئام مذموم
فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى وقوله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة
الى ان البادي هو الذي فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا
فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من تنزل به فمن عفا عن المسيء
اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شان الموعود وخروجه عن الحد المعهود انه لا يحب
الظالمين البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ما ظلم وقد قرئ به
فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير في له باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل
بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويعتدون في
ويبغون في الارض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر
من الظلم والبغي بغير الحق لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن
ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى ان ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي
ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا يؤدي
العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلانه
تعالى اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب اي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون
هل الى مرد اي رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها اي على
النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل
متذللين متضائلين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم
ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين اي المتصفين بحقيقة الخسران
الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب الخالد يوم القيمة اما ظرف لخسروا والقول في
الدنيا او لقال اي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى الا ان

الا ان الظالمين في عذاب مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم من اولياء
ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يتوقعون ذلك في الدنيا ومن يضلل الله فما له من
سبيل يؤدي سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه من
قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله بعد ما حكم به على ان من صلة مرد او من قبل ان يأتي
من الله يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ اي مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير اي انكار لما
اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا
تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه السلام
اي فان لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ان عليك
الا البلاغ وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي نعمة من الصحة والغنى والامن
فرح بها اريد بالانسان الجنس لقوله تعالى وان تصبهم سيئة اي بلاء من مرض وفقر وخوف بما
قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل
سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من
خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون
العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية
بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل من
الانتظام في سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل على ان هذا الجنس
موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والارض فمن قضيته ان يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما
كيف شاء ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريده يخلق ما يشاء مما تعلمه وما لا تعلمه يهب لمن يشاء
اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور منهم من غير ان يكون في ذلك مدخل لاحد او يزوجهم
اي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا او المعنى يزوجهم ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما
او تلد ذكرا وانثى توأمين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد في حق الاولاد مختلفة على
مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين ويعقم آخرين و
لعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان سياق الاية للدلالة على ان الواقع
ما يتعلق به مشيته تعالى لا ما يتعلق به مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء
والعرب تعدهن اعظم البلايا او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف
او لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لا
فصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء عليهم السلام
حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم ذكورا وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكورا واناثا
وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر

اي ما يصح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا اي الا بان يوحي اليه ويلهمه
ويقذف في قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد
اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع
من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض
خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام
او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا اي ملكا فيوحي ذلك الرسول الى
المرسل اليه الذي هو الرسول البشري باذنه اي بامره تعالى وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهو
اعم الذي يجري بينه تعالى وبين الانبياء عليهم الصلوة والسلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى
وحيا وقوله تعالى او يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها
والتقدير وما صح ان يكلم الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار
مبتدأ وروي ان اليهود قالت للنبي عليه الصلوة والسلام الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا
كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله
فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم الفرية ثم قالت الم تسمعوا
ربكم يقول فتلت هذه الاية انه علي متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفاوضة بينه تعالى
وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجري افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها
اما الهاما واما خطابا وكذلك اي ومثل ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك روحا من امرنا هو القرآن
الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حيوة ابدية وقيل هو جبرائيل عليه السلام ومعنى
ايحائه اليه عليهما ارساله اليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب اي اي شئ هو ولا الايمان
اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما
يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اي الروح الذي
اوحيناه اليك نورا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء
به وقوله تعالى وانك لتهدي تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور
اي وانك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو الاسلام وسائر الشرائع
والاحكام وقرئ لتهدي اي ليهديك الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم
الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد
وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك
اتم ايجاب الا الى الله تصير الامور اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد
للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له والله

سورة الزخرف

حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة
كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم
على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم
المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية المبين اي البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين
لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة انا جعلناه قرآنا
عربيا جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل هو غايته التي يعرب عنها
قوله تعالى لعلكم تعقلون فانها المحتاجة الى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام
النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم
الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق
النعمة في ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب
السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اي عندنا لعلي رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم
ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من
الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها
ففي الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشأن بحيث لا
يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث
الاقسام به كما انه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شئ آخر اولى منه
بالاقسام به واما مستأنفة لعلو شأنه الذي انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله
وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعدما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه
ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل افنضرب عنكم الذكر
اي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر
اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فننحي
الذكر عنكم صفحا اي اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية
منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كانه قيل انصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية
اي انحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على
معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد
لكننا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين
وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف

تقفية بدلالة ما قبله عليه قوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون
تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول
الله عليه الصلوة والسلام عن استهزاء قومه به قوله تعالى فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من هؤلاء القوم المسرفين
عدة له عليه السلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء
بطريق الاولوية ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير
مسير المثل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اي ليسندن خلقها
الى من هذا شأنه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة
للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء
امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاءوا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى
الذي جعل لكم الارض مهدا استئناف من جهته تعالى اي بسطها لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا
تسلكونها في اسفاركم لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد
الذي هو المقصد الاصلي والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به
اي احيينا بذلك الماء بلدة ميتا خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان
البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار
بعظم خطره كذلك اي مثل ذلك الاحياء الذي هو في الحقيقة اخراج النبات من الارض تخرجون
اي تبعثون من قبوركم احياء وفي التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذي هو احياء الموتى و
عن احيائهم بالاخراج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال
وتوضيح منهاج القياس والذي خلق الازواج كلها اي اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل
كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك وجعل لكم من الفلك
والانعام ما تركبون اي ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله
في الفلك ونحوها بكلمة في للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر في سورة هود وعند
قوله تعالى وقال اركبوا فيها لتستووا على ظهوره اي لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك
والانعام والجمع باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اي تذكروها بقلوبكم معترفين بها
مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا متعجبين من ذلك
كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى
على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل
ثلاثا وما كنا له مقرنين اي مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينته لان الصعب لا
يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف

المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها وانا الى ربنا لمنقلبون اي
راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتأمل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة
العظمى التي هي الانقلاب الى الله تعالى فيبني اموره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر
بباله في شيء مما يأتي ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا له
من عباده جزءا متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الخ اي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم
بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق من
جميع الجهات وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك
يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ مما يخلق بنات ام منقطعة وما فيها من معنى بل
للانتقال من بيان بطلان جعلهم له ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه
والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى واصفاكم بالبنين اما عطف على اتخذ
داخل في حكم الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات
الى خطابهم لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما
على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته للعقول من ادعى
انه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف
البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا الخ استئناف
مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم
والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم ويحكي لغيرهم تعجيبا منها اي اذا اخبر احدهم
بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا
اي صار اسود في الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ
مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له او من ينشأ في
الحلية تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا اي او جعلوا من شأنه
ان يربى في الزينة وهو عاجز عن ان يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها
بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف للتغاير العنواني اي او اتخذ من هذه
الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر من القصور في الخصام اي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الانسان
في العادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة
غير لا يمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه بمعنى النفي وقرئ ينشأ وينشأ من الافعال والمفاعلة
والكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه وغالاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بيان
لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله عز وجل

انقصهم رايا واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ أنثا وهو
جمع الجمع أشهدوا خلقهم أي احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك
مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا
بالالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه في ديوان اعمالهم ويسألون عنها يوم القيمة وقرئ سيكتب
وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهي قولهم ان لله جزأ وان له بنات وانها الملائكة
وقرئ يساءلون من المساءلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن آخر من كفرهم
اي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشية ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان فعلهم حق مرضي
عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تعالى
اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احديهما
ان عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك يستلزم كونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا
حيث جهلوا ان المشية عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار
الرضا او السخط في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اي بما ارادوا بقولهم
ذلك من كون فعلهم بمشية الارتضاء لا لمطلق المشية فان ذلك محقق ينطق به
الايات الكريمة من علم يستند الى سند ما ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز
ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كأنه لما ابدى وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من
طريق العقل ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم كتابا
من قبله من قبل القرآن او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به بذلك الكتاب مستمسكون
وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اي لم يأتوا بحجة عقلية
او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة
التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه وقرئ إمة بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي
القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون وكذلك اي والامر كما ذكر
من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ما ارسلنا من قبلك من نذير الا قال مترفوها
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون استئناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما
بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان
التنعم وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذرين وبين اممهم
عند تعللهم بتقليد آبائهم اي فقال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم اولو جئتكم اي أتقتدون بآبائكم
ولو جئتكم باهدى بدين اهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وانما عبر
عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحي حينئذ الى كل نذير لا على
انه خطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون

فانه حكاية عن الامم قطعا اي قال كل امة لنذيرها انا بما ارسلتم به وقد اجمل عند الحكاية للايجاز
كما مر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه الصلوة والسلام وحمل صيغة
الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم
عليه كما في نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى فانتقمنا منهم
اي بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب
قومك واذ قال ابراهيم اي واذكر لهم وقت قوله عليه السلام لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف
تبرأ مما هم فيه بقوله انني براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال او
ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوي
فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية
او موصولة حذف عائدها اي انني برئ من عبادتكم او معبودكم الا الذي فطرني استثناء
منقطع او متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام
او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين اي
سيثبتني على الهداية او سيهدين الى ما وراء الذي هداني اليه الى الآن والاوجه ان
السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اي جعل ابراهيم
كلمة التوحيد التي تكلم بها عبارة عنها كلمة باقية في عقبه اي في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى
ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ
كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اي جعلها باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من
اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كأنه قيل جعلها
كلمة باقية في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه
بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول عليه السلام من اهل مكة وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا
بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم اي هؤلاء الحق اي القرآن
ورسول اي رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالآيات
البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله تعالى وجعلها
كلمة باقية الخ مبالغة في تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر
والثبات على التوحيد والايمان لا ان يجعلوه سببا لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال
ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا
وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون
فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله عليه السلام وقالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين اي من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج

منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم اى بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومى وعروة بن مسعود الثقفى
وقيل حبيب بن عمر بن عمير الثقفى وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل فانهم لم يتفوهوا بهذه
العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم
بقرابته بل استدلالا على عدمها بمعنى انه لو كان قرانا لنزل الى احد هولاء بناء على ما زعموا من ان
الرسالة منصب جليل لا يليق الا بمن له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا انها رتبة
روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتحلين بالفضائل الانسية واما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ
الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه
تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا
قسمة تقتضيها مشيتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها
بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض فى الرزق وسائر مبادى المعاش درجات متفاوتة بحسب
القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوى وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا فى مصالحهم ويستخدموهم فى مهنهم ويسخروهم
فى اشغالهم حتى يتعايشوا ويترفدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى المقتر ولو فوضنا
ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا فى تدبير خويصة امرهم ومصالحهم من متاع الدنيا الدنية
وهو فى طرف التمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم فى تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق
ومن اين لهم البحث عن امر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمة ربك اى النبوة
وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية ولولا ان يكون
الناس امة واحدة استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل
والمعنى ان حقارة شانه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم الدنيا فى الكفر اذا راوا اهله فى سعة
وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة اى متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع
الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن فى يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن
جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا
لجمع البيوت وسقفا كانه لغة فى سقف وسقوفا ومعارج اى جعلنا لهم معارج من فضة اى مصاعد
جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اى يعلون السطوح والعلالى ولبيوتهم اى وجعلنا
لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اى على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير
وزخرفا اى زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا
اى وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شىء يتمتع به فى الحيوة الدنيا وفى معناه

ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف لما على ان ان هى المخففة واللام هى الفارقة
وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اى الذى هو متاع الخ كما فى قوله
تماما على الذى احسن والاخرة بما فيها من فنون النعم التى يقصر عنها البيان خير عند ربك
للمتقين اى عن الكفر والمعاصى وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم فى الاخرة لا فى الدنيا ومن يعش
عن ذكر الرحمن وهو القران واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعشى
بالفتح اى يعم يقال عشى يعشى اذا كان فى بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج
وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله
بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه فى حظوظها الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين
لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع
يعشو فحقه ان يرفع يقيض وانهم اى الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو
ليصدونهم اى قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما ان مدار افراد الضمائر السابقة اعتبار
لفظها عن السبيل المستبين الذى يدعو اليه القران ويحسبون اى العاشون انهم اى
الشياطين مهتدون الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم او يحسبون ان انفسهم مهتدون
لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة
حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا او من فاعله او منهما لاشتمالها على ضميريهما اى وانهم
ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة المضارع فى الافعال الاربعة
للدلالة على الاستمرار التجددى لقوله تعالى حتى اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة
على الجملة الشرطية لكنها تقتضى حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما عرفته مرارا وافراد الضمير فى جاء
وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرنائه لتهويل الامر وتفظيع
الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل
حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة قال مخاطبا له يا ليت بينى وبينك فى الدنيا
بعد المشرقين اى بعد المشرق والمغرب اى تباعد كل منهما عن الاخر فغلب المشرق وثنى
واضيف البعد اليهما فبئس القرين اى انت وقوله تعالى ولن ينفعكم الخ حكاية لما سيقال
لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا اى لن ينفعكم اليوم اى يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم
اذ ظلمتم اى لاجل ظلمكم انفسكم فى الدنيا باتباعكم اياهم فى الكفر والمعاصى وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم
اى اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا وعليه قول من قال اذا ما
انتسبنا لم تلدنى لئيمة اى تبين انى لم تلدنى لئيمة بل كريمة وقوله تعالى انكم فى العذاب مشتركون
تعليل لنفى النفع اى لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين
فى سببه فى الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم فى العذاب

كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسمهم لعنائها
لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم
بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا
وآتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما
لتتشفوا بذلك كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم لا
يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن
فنزل أفأنت تسمع الصم او تهدي العمي وهو انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على
هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشا عمى مقرونا
بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن
والاستغراق في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه توهم القصور من قبل الهادي ففيه
رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اي فان قبضناك
قبل ان نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة
في الدنيا والآخرة فما مزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق النون المؤكدة
او نرينك الذي وعدناهم اي او اردنا ان نريك العذاب الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون
بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا وقد اراه عليه السلام ذلك يوم بدر
فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود او اخرناه
الى اليوم الآخر وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط
مستقيم تعليل للاستمساك او للامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف
تسألون يوم القيامة عنه وعن قيامكم بحقوقه واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اي واسأل اممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك
وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان المسؤول عنه عين ما نطقت به الرسل لا ما يقوله اممهم وعلماؤهم
من تلقاء انفسهم قال الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل
الانبياء عليهم الصلاة والسلام اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون اي
هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع
الانبياء على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد
ارسلنا موسى بآياتنا ملتبسا بها الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين
اريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى
عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه فلما جاءهم
بآياتنا اذا هم منها يضحكون اي فاجؤوا وقت ضحكهم منها اي استهزؤوا بها اول

ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى
مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف
الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها او الا وهي مختصة بضرب من الاعجاز
مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد
وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا أيه الساحر نادوه بذلك
في مثل تلك الحال لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر
لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد
عندك بعهده عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى
او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة اننا لمهتدون اي لمؤمنون على تقدير
كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا
عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجؤوا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله
في الاعراف ونادى فرعون في قومه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد ان
كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار
انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس
تجري من تحتي اي من تحت قصري او امري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين
يدي في جناني وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجري حال منها
او للحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدأ افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام
ملكه ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير من المهانة
وهي القلة ولا يكاد يبين اي الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصا له عليه السلام
لاعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه
لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك وام اما منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال اثر ما عدد اسباب
فضله ومبادي خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم اني انا خير وهذه حاله من هو هذا واما
متصلة فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فلا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون
لانهم اذا قالوا انت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب و
يجوز ان يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله سبب
على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان
صادقا لما انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع سوار
وقرئ اساورة جمع اسورة وقرئ اساور جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من
ياء اساوير وقرئ كذلك وقرئ والقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى

او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن
بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه
فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوي
فلما آسفونا اي اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم
فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم
في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به او جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ
بضم السين واللام على انه جمع سليف اي فريق قد سلف كرغف او سالف كصبر او سلف كاسد
وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين اي عظة
لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه
ابن الزبعرى حين جادل رسول الله عليه السلام في قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال
اهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليس النصارى يعبدون المسيح
واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح
قومه وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى اذا قومك منه اي من ذلك المثل يصدون اي يرتفع لهم
جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ يصدون اي من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اي يثبتون على ما كانوا
عليه من الاعراض او يزدادون فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف
وهو الانسب بمعنى المفاجاة وقالوا آلهتنا خير ام هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه
تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء اي ظاهر ان عيسى خير من آلهتنا فحيث
كان في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها وقد علم انه نقل عنهم من الضجيج ورفع
الاصوات لم يكن لما نقل من انه عليه السلام سكت عند ذلك الى ان نزل قوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع ابائه لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلوة والسلام عنه
من شائبة الافحام من اول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روي ان قول ابن الزبعرى
خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من اول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي بقوله عليه السلام
ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل وانما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين
سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين
عنه عند المحاجة موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة
بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلوة والسلام بقوله بل هم عبدوا
الشياطين التي امرتهم بذلك ان الملائكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبودين لهم كما نطق به قوله تعالى
سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد تحقق المقام عند قوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الآية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم

على المكابرة والعناد كما نطق به قوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا اي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل
الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك بل هم قوم خصمون اي لد شداد
الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
من تراب ثم الآية قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم
آلهتنا خير ام هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه
لك ما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده
وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون
يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد عليه السلام وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم الاستهزاء به
وقد جوز ان يكون مرادهم التنصل عما انكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم
كانهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله
وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقوله تعالى
ان هو الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل اي امرا عجيبا حقيقا
بان يسير ذكره كالامثال السائرة على الوجه الاول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام
عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأي من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأي من يرى
رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان انه قياس باطل بباطل او باطل على زعمهم
وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى امره انه ممن انعمنا عليهم بالنبوة وخصصنا ببعض الخواص
البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه ابدع منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن
اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم اهدى منهم او يعتذروا بان حالهم اشبه
او اخف من حالهم واما على الوجه الثالث فهو لردهم وتكذيبهم في افترائهم على رسول الله عليه السلام
ببيان ان عيسى في الحقيقة وفيما اوحي الى الرسول عليهما السلام ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف
يرضى عليه الصلوة والسلام بمعبوديته او كيف يتوهم الرضى بمعبودية نفسه وقوله تعالى ولو نشاء الخ
لتحقيق ان مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله تعالى وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع
مع التنبيه على سقوط الملائكة ايضا من درجة المعبودية اي قدرتنا بحيث لو نشاء لجعلنا اي لخلقنا
بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شأنكم الولادة ملائكة كما خلقناهم بطريق الابداع
في الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء يخلفون اي يخلفونكم مثل اولادكم
فيما تأتون وما تذرون ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شأنهم التسبيح
والتقديس في السماء فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم
للمعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانه وان عيسى لعلم للساعة اي انه بنزوله

شرط من اشراطها وتسميته علما لحصوله به او بحدوثه بغير اب او باحيائه الموتى دليل على
صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم اي علامة
وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام
ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال
فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه
على شريعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس
ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقران لما ان فيه الاعلام بالساعة فلا تمترن بها
فلا تشكن في وقوعها واتبعون اي واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول
مامورا من جهته تعالى هذا اي الذي ادعوكم اليه او القران على ان الضمير في انه له صراط مستقيم
موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو مبين بين العداوة حيث اخرج
اباكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع
الواضحات قال لبني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة اي بالانجيل او الشريعة ولابين لكم عطف
على مقدر ينبئ عنه المجئ بالحكمة كانه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذي تختلفون
فيه وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام
كما قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تعالى
ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد و
التعبد بالشرائع هذا اي التوحيد والتعبد بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه
وهو اما من تتمة كلامه عليه السلام او استيناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام
فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اي من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى
فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون اي ما ينتظر الناس
الا الساعة ان تاتيهم اي الا اتيان الساعة بغتة اي فجاة لكن لا عند كونهم مترقبين
لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون
الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور الدنيوية يومئذ يوم اذ تاتيهم الساعة
بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق المحبة والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب الا
المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم
من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع يا عباد لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم
وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا باياتنا صفة للمنادى ونصب على المدح وكانوا مسلمين اي مخلصين
وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله

الناس فزع كل احد فينادي منادٍ يا عبادي فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها
الذين آمنوا الاية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم
نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر
وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف
عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف
جمع صحفة قيل هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب
جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها اي الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ
ما تشتهي وتلذ الاعين اي تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون اتمام
للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالاخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف
وتلك الجنة مبتداء وخبر التي اورثتموها وقرئ ورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال
الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتداء وصفته والموصول
مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فيتعلق الباء بمحذوف
لا باورثتموها كما في الاولين لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب
الافراد فقط منها تاكلون اي بعضها تاكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام
لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اي الراسخين في الاجرام
وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المؤمنين بالايات في عذاب جهنم خالدون
خبران او خالدون هو الخبر وفي متعلقة به لا يفتر عنهم اي لا يخفف العذاب عنهم من قولهم
فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اي في العذاب وقرئ فيها
اي في النار مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم
انفسهم للعذاب الخالد ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم بالضم
والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تادية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اي ليمتنا
حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم
لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه
بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد
مائة وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو
خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في
قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق اي حق كان كارهون لا يقبلونه وينفرون منه واما الحق
المعهود الذي هو التوحيد او القران فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا

كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة
وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد
بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهي لانكار
الواقع واستقباحه اي ابرم مشركوا مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم او فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى
ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في انديتهم ويتشاورون في اموره
عليه الصلوة والسلام ام يحسبون اي بل ايحسبون انا لا نسمع سرهم وما حدثوا به انفسهم
او غيرهم في مكان خال ونجواهم اي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعهما ونطلع عليهما
ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اي يكتبونهما
او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم و
الجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال اي نسمعهما والحال ان رسلنا يكتبونه قل اي للكفرة
تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام
ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبودهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا
اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
اي له وذلك لانه عليه السلام اعلم الناس بشؤونه وبما يجوز عليه وبما لا يجوز واولاهم
بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك
على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم
في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه
ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا
اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا اول الآنفين اي المستنكفين منه او من ان يكون
له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال
بذلك وقرئ وُلد سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون
اي يصفونه به من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها
وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيء منها
جزءا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش فذرهم حيث لم يذعنوا للحق بعد
ما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال
ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
من يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله
الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء

على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كانه قيل وهو الذي يستحق لان يعبد فيهما وقد مر
تحقيقه في سورة الانعام وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله والراجع الى الموصول
مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون اله خبرا مقدما واله
مبتدأ مؤخرا للزوم عراء الجملة ح عن العائد نعم يجوز ان يكون صلة للموصول واله خبرا
لمبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل
الاستقرار وفيه نفي لالهة السماوية والارضية وتخصيص لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى
وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما
اما على الدوام كالهواء او في بعض الاوقات كالطير وعنده علم الساعة اي العلم بالساعة
التي فيها تقوم القيامة واليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ يحشرون
بالتاء ولا يملك الذين يدعون اي يدعونه وقرئ بالتاء مخففا ومشددا من دونه الشفاعة
كما يزعمون الا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وايقان
واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل
والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص بالاصنام ولئن سألتهم
من خلقهم اي سألت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه فانى
يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى
وقيله بالجر اما على انه عطف على الساعة اي عنده علم الساعة وعلم قوله عليه السلام يا رب فان
القول والقيل والقال كلها مصادر او على ان الواو للقسم وقوله تعالى ان هؤلاء قوم لا
يؤمنون جوابه وفي الاقسام به من رفع شأنه عليه السلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى
وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم او على محل الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم وقرئ
بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم
واقنط عن ايمانهم وقل سلام اي امري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم البتة وان
تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على انه
داخل في حيز قل عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان

حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة انا انزلناه اي الكتاب
المبين الذي هو القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله او
انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها

بالبركة لما ان نزول القران مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من نزول
الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام
الشفاعة لرسول الله عليه الصلوة والسلام وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا
كنا منذرين استيناف مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شاننا الانذار
والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله انا انزلناه اعتراض وقيل جواب ثان بغير
عاطف فيها يفرق كل امر حكيم استيناف كما قبله فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة
بالحكمة الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القران الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة
وما بينهما اعتراض وهو يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من
ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل
يبدا في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق
الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى
اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام
وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل اي يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرئ نفرق بالنون
العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى
حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر لتخصصه
بالوصف او من ضمير في حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق
لاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لما ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه
اي آمرين او مامورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستانف
وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للارسال متاخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد
وباعث متقدم عليه على ان المراد مبدؤها اي انا انزلنا القران لان من عادتنا ارسال
الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم
ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى
ضميره عليه السلام لتشريفه او تعليل ليفرق او لقوله تعالى امرا على ان قوله رحمة
مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له اي يفرق فيها كل امر او يصدر الاوامر
من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب في ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها
والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد وتعريضهم للمنافع وقرئ
رحمة بالرفع اي تلك رحمة وقوله تعالى انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته وانها لا تحق
الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك او بيان او نعت وقرئ بالرفع
على انه خبر آخر او استيناف على اضمار مبتدا ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان

في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها
فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستانفة
مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستانفة كما قبلها
وكذا قوله تعالى ربكم ورب آبائكم الاولين باضمار مبتدا او بدل من رب السموات على قراءة الرفع
او بيان او نعت له وقيل فاعل يميت وفي يحيي ضمير راجع الى رب السموات وقرئ بالجر
بدلا من رب السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شئونه تعالى غير موقنين
في اقرارهم يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء
في قوله تعالى فارتقب لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب
ذلك حتما اي فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين اي يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى
بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار
وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسني يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى
بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله
يغشى الناس اي يحيط بهم هذا عذاب اليم اي قائلين ذلك فمشى اليه عليه الصلوة والسلام
ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان
يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون وهذا قول ابن عباس وابن
مسعود رضي الله تعالى عنهم وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان ياتي من
السماء قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن
منه كهيئة الزكام ويكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله عليه السلام
اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر
قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث
اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه
واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى انى لهم
الذكرى الى آخره رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المبني
عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك
ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اي والحال انهم
شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابهما حيث جاءهم
رسول عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها

صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا من العظائم الموجبة
للاقبال اليه ولم يقتنعوا بالتولي وقالوا في حقه معلم مجنون اي قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي
لبعض ثقيف واخرى مجنون او يقول بعضهم كذا واخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم
ان يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغا وقوله تعالى
انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب
المعهود عنكم كشفا قليلا او زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو
والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع
كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا فيه
من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور
المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه
الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون يوم نبطش البطشة الكبرى
اي يوم القيمة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان تمنع
عن ذلك اي يومئذ ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم يأتي الخ وقرئ نبطش اي نحمل الملائكة
على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة او نجعل البطشة الكبرى باطشة
بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهي لغة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اي امتحناهم بارسال
موسى عليه السلام اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد
للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى او على المؤمنين او في نفسه لان الله
لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي عباد الله اي بان ادوا الي بني اسرائيل
وارسلوهم معي او بان ادوا الي يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة
لان مجيء الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشان
ادوا الي الخ وقوله تعالى اني لكم رسول امين تعليل للامر او لوجوب المأمور به اي رسول غير ظنين
قد ائتمنني الله تعالى على وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة وان لا تعلوا على الله اي لا تتكبروا عليه
تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالتي سلفت وقوله تعالى اني آتيكم اي من جهته تعالى
بسلطان مبين تعليل للنهي اي آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل او
المضارع وفي ايراد الاداء مع الامين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى واني عذت
بربي وربكم اي التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون من ان ترجموني اي تؤذوني ضربا او شتما
او ان تقتلوني قيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال في التاء وان
لم تؤمنوا لي فاعتزلون اي وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافا لا علي ولا لي ولا تتعرضوا

لي بشر واذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب
الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن بي يأباه المقام فدعا ربه بعد ما تموا على تكذيبه ان
هؤلاء اي بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك
سمي دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه
باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر بعبادي ليلا باضمار القول اما
بعد الفاء اي فقال ربه اسر بعبادي واما قبلها كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي
اي بني اسرائيل فقد دبر الله تعالى ان تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون
اي يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة
او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط
انهم جند مغرقون وقرئ انهم بالفتح اي لانهم كم تركوا اي كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل محسنة ونعمة ذي تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين
وقرئ فكهين كذلك الكاف في حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا
اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها قوما آخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم
منها وقيل في حيز الرفع على الخبرية اي الامر كذلك فح يكون اورثناها معطوفا على تركوا وعلى الا

هم
وبين

على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد
بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء
والارض ومنه ما روي ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهابط رزقه
وآثاره في الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء وقت هلاكهم
منظرين ممهلين الى وقت آخر او الى الاخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل
بما فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل
ابنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم من فرعون بدل من العذاب اما على جعل نفس
العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اي عذاب فرعون او حال من المهين اي كائنا
من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتفرعنه وفي ابهام امره
اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح عن كنه امره في الشر
والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان اي كان متكبرا مسرفا
او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا في
الاسراف ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم اي عالمين بانهم احقاء بالاختيار
او عالمين بانهم يزيغون في بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة الانبياء
فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى

وغيرها من عظائم الايات التي لم يعهد مثلها في غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او
اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون
وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولى اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية
ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم
انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما
الموتة التي تعقبها حيوة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة
التي تعقب حيوة القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن
وعدهم بالنشور من الرسول عليه السلام والمؤمنين ان كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام
الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله تعالى فينشر لهم
قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات اهم خير ردّ لقولهم
وتهديد لهم اي اهم خير في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع هو
تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذي ملك
برا وبحرا اي بحارا كثيرة وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم
وعنه عليه الصلوة ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس رضه انه كان نبيا
وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون والذين من
قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولي بأس شديد
والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى اهلكناهم استئناف لبيان
عاقبة امرهم وقوله تعالى انهم كانوا مجرمين تعليل له بانهم ليعلم ان اولئك حيث
اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلأن يهلك هؤلاء وهم شركاء
لهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
اي ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين من غير ان يكون في خلقهما غرض صحيح و
غاية حميدة ما خلقناهما وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم
الاسباب اي ما خلقناهما ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من
الاشياء الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء ان يوم الفصل اي فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق
من المبطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم
بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل

يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا لفصل
مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا اي شيئا من الاغناء ولا هم
ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه
وقبول الشفاعة في حقه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء
انه هو العزيز الذي لا ينصر من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم
وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات طعام الاثيم اي الكثير الآثام
والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب
وقيل هو دردي الزيت يغلي في البطون وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة
كغلي الحميم غليانا كغليه خذوه على ارادة القول والخطاب للزبانية فاعتلوه اي جروه
والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء
الجحيم اي وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان الاصل يصب من فوق
رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة
على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء
به وتقريعا له على ما كان يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها
اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ انك بالفتح
اي لانك او عذاب انك ان هذا اي العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون
فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اي عن الكفر والمعاصي في مقام في موضع
قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم و
قرئ بضم الميم وهو موضع اقامة امين يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن
الذي هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان المخيف يخون صاحبه بما
يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون بدل من مقام جيء به دلالة على نزاهته واشتماله على
طيبات المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير
في الجار او استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب
متقابلين في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض كذلك اي الامر كذلك او كذلك اثبناهم
وزوجناهم بحور عين على الوصف وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهي البيضاء
والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها
بكل فاكهة اي يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا تتخصص شيء منها
بمكان ولا زمان امنين من كل ما يسوءهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون
على الحيوة ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها

على الاطلاق كانه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ
ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية فضلا من ربك اي اعطوا ذلك كله عطاء
وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه اذ هو
خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون
فذلكة للسورة الكريمة اي انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا به ويعملوا
بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية

حم الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره
مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب
على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمر يلوح
به ما قبله اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الخ
وقد مر مرارا ان الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه
واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل
على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها تمحل على تمحل
وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل
الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وهو
على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الايات التكوينية الآفاقية والانفسية
ومحل الايات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الايات على ما يقصر
عنه البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله تعالى
وفي خلقكم اي من نطفة ثم من علقة متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة
عطف على المضاف دون المضاف اليه اي وفيما ينشره ويفرقه من دابة ايات
بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل ايات
عطف على ما قبلها من ايات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ اية بالتوحيد وقرئ ايات
بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث
من دابة ايات لقوم يوقنون اي من شأنهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه
واختلاف الليل والنهار بالجر على اضمار الجار المذكور في الايتين قبله وقد قرئ بذكره

والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السماء عطف على
اختلاف من رزق اي من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه اية
من جهتي القدرة والرحمة فاحيى به الارض بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات
بعد موتها وعرائها عن اثار الحيوة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف
الرياح من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتأخيره عن انزال المطر مع
تقدمه عليه في الوجود اما للايذان بانه اية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي
لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر اية واحدة واما لان كون التصريف اية
ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن
في البحار ايات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدأ وخبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة
معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان والمجرور المتقدم
خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر
في اختلاف والنصب في ايات وتنكير ايات في المواقع الثلثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف
الفواصل لاختلاف مراتب الايات في الدقة والجلاء تلك ايات الله مبتدأ وخبر
وقوله تعالى نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وايات الله بدل او عطف
بيان بالحق حال من فاعل نتلو او من مفعوله اي نتلوها محقين او ملتبسة بالحق فباي
حديث من الاحاديث بعد الله واياته اي بعد ايات الله وتقديم اسم الجليل لتعظيمها
كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله الذي هو القران حسبما نطق به قوله تعالى
الله نزل احسن الحديث وهو المراد باياته ايضا ومناط العطف التغاير العنواني يؤمنون
بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع ايات الله
صفة اخرى لافاك وقيل استيناف وقيل حال من الضمير في اثيم تتلى عليه حال من
ايات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك
سمعت زيدا يقرأ ثم يصر اي يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار على العانة مستكبرا
عن الايمان بما سمعه من ايات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده
من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل
بها الناس عن استماع القران لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته
ما فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الايات
التي حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى غمرات الموت
ثم يزورها كان لم يسمعها اي كانه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشان والجملة حال من ضمير
يصر اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا

علم من آياتنا شيئا اي اذا بلغه من آياتنا شيء وعلم انه من آياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه
بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا
يتوسل به الى الطعن والغميزة اتخذها اي الآيات كلها هزوا اي هزؤا بها لا ما سمعه فقط
وقيل الضمير للشيء والتأنيث لانه في معنى الآية اولئك اشارة الى كل افاك من
حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم
فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد لهم بسبب جناياتهم
المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم
بآيات الله سبحانه وتعالى من ورائهم جهنم اي من قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او من
خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التي يواريها
الشخص من خلف او قدام ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا
من عذاب الله تعالى او شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام
وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال
والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم ولهم
فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اي القرآن هدى في غاية الكمال من
الهداية كانه نفسها والذين كفروا اي بالقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله بآيات
ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اي من اشد العذاب
اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم
ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو
عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه لتجري الفلك فيه بامره وانتم
راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون و
لكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض من الموجودات
بان جعلها مدارا لمنافعكم جميعا اما حال من ما في السموات والارض او توكيد له منه متعلق
بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما اي جميعا كائنا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشياء كائنة
منه مخلوقة له تعالى او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه تعالى وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه
فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مبتدأ محذوف اي ذلك منه ان في ذلك اي فيما
ذكر من الامور العظام لآيات عظيمة الشأن كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدائع صنع الله
تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها قل للذين آمنوا
حذف المقول لدلالة يغفروا عليه فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به باعتبار نفسه فقط
اي قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون

وقائعه تعالى باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات
التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم
نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل
حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع
فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطأ عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف
البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي الله عنه
فقال ابن ابي ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه
فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون تعليل
للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي يوم
القيمة قوما اي قوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر
على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب
العظيم وجوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من
الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري
المغفرة وعدمها فلابد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى
بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد
تمحلا وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون
فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب اي التورية والحكم
اي الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك
فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله
من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من
فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي زمانهم وآتيناهم بينات من الامر
دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو العلم بمبعث
النبي صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره
اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما
يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك
يقضي بينهم يوم القيمة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك
على شريعة اي سنة وطريقة عظيمة الشأن من الامر اي امر الدين فاتبعها باجراء
احكامها في نفسك وغيرك من غير اخلال بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اي

ارآء الجهلة واتباع اهوائهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له
عليه السلام ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان
اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا يواليهم ولا يتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم
والله ولي المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه
بالكلية هذا اي القران او اتباع الشريعة بصائر للناس فان فيه من معالم الدين
وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم
يوقنون من شانهم الايقان بالامور ام حسب الذين اجترحوا السيئات استيناف
مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين حالي الظالمين والمتقين وام
منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان
لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه و
التوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما
هم عليه من مساوي الاحوال كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم فيه من محاسن
الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجات كقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اي محيا
الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على
ان السواء بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم كائنين
مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء
في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات واولئك
في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات شتان بينهما
وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الحيوة لان المسيئين مستو محياهم في الرزق والصحة
وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفا ان كمقدم الحاج وسواء
حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الاية الكريمة وجوه اخر من
الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم
مبتدأ فتكون الجملة بدلا من الكاف وقيل حال وايا ما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم
في ضمن انكار التوبيخ مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة في الانكار
والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل
وتوبيخ على ابلغ وجه واكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به
ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق استيناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله
لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء في المحيا والممات

وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما
كسبت عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون
العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى الخ او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته
او ليعدل ولتجزى وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب
او بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة
لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره
عنه افرأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة
الهوى كانه عبده اي انظرت فرأيته فان ذلك مما يقضى منه العجب وقرئ الهة هواه
لان احدهم كان يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ الهة شتى
واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها
وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتاثر بالمواعظ ولا يتفكر في الايات والنذر وجعل على
بصره غشاوة مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة
فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه
في الغي افلا تذكرون الا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل وقالوا
بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي الحيوة الا حيوتنا
الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى اي يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة
وقيل نكون نطفا وما قبلها وما بعدها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء
اولادنا او يموت بعضنا ويحيى وقد جوز ان يريدوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة
الاوثان وقرئ نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء
العالم من دهره اي غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس
هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله تعالى ويضيفون
الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الآتي
بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اي بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما في الدنيا واسناد
الحيوة والموت الى الدهر من علم مستند الى عقل ونقل ان هم الا يظنون وما هم
الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شيء يصح ان يتمسك به في الجملة
هذا معتقدهم الفاسد في انفسهم واذا تتلى عليهم اياتنا الناطقة بالحق الذي من جملته البعث
بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب
على انه خبر كان اي ما كان متمسكا لهم شيء من الاشياء الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم
صادقين في انا نبعث بعد الموت اي الا هذا القول الباطل الذي يستحيل ان يكون

من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه
من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا
من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم لا
كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيمة للجزاء لا ريب
فيه اى فى جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة
والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والاتيان بآبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية
امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو
اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم
لجهلهم وقصورهم فى النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما ولله ملك السموات و
الارض بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلى فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل
اثر بيان تصرفه تعالى فى الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ويوم تقوم
الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل فى يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم
المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع
والجذو اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رض جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة
وهى الجماعة كل امة تدعى الى كتابها اى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول
وتدعى صفة او حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اى يقال لهم ذلك وقوله تعالى
هذا كتابنا ينطق من تمام الكلام يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف
الى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لامره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم اى
يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر آخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى
انا كنا نستنسخ الى آخره تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشئ منها اى انا كنا فيما
قبل نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون فى الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى
فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته اى فى جنته تفصيل لما يفعل
بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوى على الوعد والوعيد ذلك الذى ذكر من
الادخال فى رحمته تعالى هو الفوز المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم
تكن آياتى تتلى عليكم اى فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم تكن تأتيكم رسلى فلم تكن
آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها
وكنتم قوما مجرمين اى قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله اى ما وعده من الامور الآتية
او وعده بذلك حق اى واقع لا محالة او مطابق للواقع والساعة التى هى اشهر ما وعده
لا ريب فيها اى فى وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف

على محل ان واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندرى ما الساعة اى اى شئ هى استغرابا
لها ان نظن الا ظنا اى ما نفعل الا ظنا وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان نتبع الا ما يوحى الى وقيل
ما نعتقد الا ظنا اى لا علما وقيل ما نحن الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى
وما نحن بمستيقنين اى لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه
ولعل هؤلاء غير القائلين ما هى الا حياتنا الدنيا وبدا لهم اى ظهر لهم حينئذ سيئات
ما عملوا على ما هى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها فان جزاء
السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون من الجزاء والعقاب وقيل اليوم
ننساكم نترككم فى العذاب ترك المنسى كما نسيتم فى الدنيا لقاء يومكم هذا اى كما تركتم
عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من
ناصرين اى ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم
آيات الله هزوا اى مهزوا بها ولم ترفعوا لها رأسا وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة
سواها فاليوم لا يخرجون منها اى من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة
للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار
ولا هم يستعتبون اى يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة
رب السموات ورب الارض رب العالمين فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان
بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء
فى السموات والارض لظهور آثارها واحكامها فيهما واظهارهما فى موقع الاضمار لتفخيم شأن
الكبرياء وهو العزيز الذى لا يغلب الحكيم فى كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه
عن النبى عليه السلام من قرأ سورة حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذى مر فى مطلع السورة
السابقة ما خلقنا السموات والارض بما فيهما والارض بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث
الاستقرار فيهما وما بينهما من المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى
الا خلقا ملتبسا بالحق الذى تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال
من فاعل خلقنا او من مفعوله اى ما خلقناها فى حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال
ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم
بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى واجل مسمى عطف على الحق بتقدير مضاف
اى وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه امور الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض

والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى
والذين كفروا عما انذروا معرضون فان ما انذروه يوم القيمة وما فيه من الطامة التامة والاهوال
العامة لا آخر اعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية اي ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير
الاجل الذي يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له قل
توبيخا لهم وتبكيتا ارأيتم اخبروني وقرئ ارايتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله اروني
اروني تأكيد لارأيتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام في ماذا ام لهم شرك اي شركة مع
الله تعالى في السموات اي في خلقها او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق
للمعبودية فان ما لا مدخل له في وجود شيء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك
الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ائتوني بكتاب
الى آخره تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلي
اي ائتوني بكتاب الهي كائن من قبل هذا الكتاب اي القرآن الناطق بالتوحيد و
ابطال الشرك دال على صحة دينكم او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم
الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين في دعواكم فانها لا تكاد تصح
ما لم يقم عليها برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على
خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثرة بكسر الهمزة اي مناظرة فانها تثير المعاني
واثرة اي شيء اوثرتم به وخصصتم من علم مطوي عن غيركم واثرة بالحركات الثلث
مع سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي المرة من اثر الحديث اي رواه و
اما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم لما يخطب به ومن اضل ممن يدعو من دون
الله من لا يستجيب له انكار ونفي لان يكون احد اضل من المشركين في الضلال وان كان
سبك التركيب لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة اي هم
اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة
مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيمة غاية لنفي الاستجابة
وهم عن دعائهم الضمير الاول المفعول يدعو والثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما
ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها غافلون لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجراء
اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها
وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية واذا حشر الناس عند قيام
القيمة كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي مكذبين بلسان الحال او المقال
على ما يروى انه تعالى يحيي الاصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون
الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويعني ارجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر

اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك
قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات
قال الذين كفروا للحق اي لاجله وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة ووضع موضع
ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو
عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم اي في اول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل
هذا سحر مبين اي ظاهر كونه سحرا ام يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم
السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن
للتعجب اي بل ايقولون افترى القرآن قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله
شيئا اذ لا ريب في انه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افتري عليه تعالى
كذبا واعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون
فيه من القدح في وحي الله تعالى والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به
شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد
بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن
واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى
البديع كالخف بمعنى الخفيف وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم
او جمع مقدر بمضاف اي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه
مصدر كانوا يقترحون عليه عليه الصلوة والسلام آيات عجيبة ويسألونه
عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر عليه السلام بان يقول لهم ما كنت بدعا من
الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه
من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم الصلوة والسلام ما كانوا يأتون الا بما
آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم الا بما اوحي اليهم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم
اي اي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه
وعن الحسن رح ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي
ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من
سبب النزول ان ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات
الدنيوية دون ما سيقع في الآخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد
به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قالوا له وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا

فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر
قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ويجوز ان يكون ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام
التبري عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتاكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل
الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى قصر
افعاله عليه الصلوة والسلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع الى
الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل وهو جواب عن
اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل على استعجال المسلمين
ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم
عقاب الله تعالى حسبما يوحى الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارايتم
ان كان اي ما يوحى الي من القران من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى
وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسطت بين اجزاء الشرط مسارعة
الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله
ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار
حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما
ترددهم في ان ذلك كفر بما من عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في قوله تعالى وشهد شاهد من
بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل امور محققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة
وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه اولا والمعنى اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة
من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين
على شؤون الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التورية على مثله اي مثل القران
من المعاني المنطوية في التورية المطابقة لما في القران من التوحيد والوعد والوعيد
وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين
وقوله تعالى وانه لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تاديتها بعبارات اخرى او على
مثل ما ذكر من كونه من عند الله والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى فآمن
للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقران لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق
وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه فنظر
الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له
اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله
اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه السلام اما اول اشراط الساعة
فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت

واما الاول فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك
رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل
ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عليه الصلوة والسلام اي
رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا
فقال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا
وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص رضي
ما سمعت رسول الله عليه السلام يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله
ابن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الاية وقيل الشاهد موسى عم وشهادته ما في التورية
من نعت النبي عليهما الصلوة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله
ابن سلام فان ال حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الاية
مدنية وان كانت السورة مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد وجواب الشرط
محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل
فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة
قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد
وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا و
وصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا
حكاية لبعض اخر من اقاويلهم الباطلة في حق القران العظيم والمؤمنين به اي قال كفار
مكة للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به عليه السلام من القران والدين خيرا
ما سبقونا اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء
وموالي ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا
لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات
نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال
على الاخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها
من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة
واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان
السورة مكية لا بد من الالتجاء الى ادعاء ان الاية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا
به ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقران
قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين

وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله اي من قبل القرآن وهو خبر لقوله
كتاب موسى قبل والجملة حالية او استئنافية وايا ما كان فهو رد لقولهم هذا افك
قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا اماما ورحمة حالان من
كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله
لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا الذي يقولون في حقه ما يقولون كتاب عظيم الشان
مصدق اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية
وقد قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او منه لتخصصه بالصفة
وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا
لسان عربي لينذر الذين ظلموا متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او
الرسول عم ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين في محل النصب عطفا
على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدا مضمر اي وهو بشرى وقيل على العطف
على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي هو
خلاصة العلم والاستقامة في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي
رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم
يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام
نفي الحزن لا نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك
الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن
في اصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب بعامل مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم
فان قوله اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات
العلمية والعملية ووصينا الانسان بان يحسن بوالديه احسانا وقرئ حسنا
اي بان يفعل بهما حسنا اي فعلا ذا حسن او كانه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه
وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما فعلا حسنا او وصينا ايصاء حسنا
حملته امه كرها ووضعته كرها اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح
وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله اي
مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء و
معنى والمراد به الرضاع التام المنتهى به كما اراد بالامد المدة من قال كل حي مستكمل مدة
العمر مود اذا انتهى امده ثلثون شهرا يمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة
الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما اذا حط عنه للفصال
حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي للحمل ذلك قيل ولعل تعيين

اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ
اشده اي اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي قبل اربعين
وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعني اي الهمني واصله اولعني من اوزعته
بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها
وان اعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم او التكثير واصلح لي في ذريتي اي واجعل الصلاح ساريا
في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي قال ابن عباس رضي الله عنهما
اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رضي الله عنه فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن
فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في
ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده
جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر
وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد
من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغلني
عن ذلك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى الانسان
والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو رتبته وبعد منزلته اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم
احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ
الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه
قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور في اصحاب الجنة اي كائنين في عدادهم منتظمين في
سلكهم وعد الصدق مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى بالتقبل و
التجاوز الذي كانوا يوعدون على السنة الرسل والذي قال لوالديه عند دعوتهما له
الى الايمان اف لكما صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما في
هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلث مع التنوين
والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق وقيل هو
في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه
فاجر لربه وما روي من انها نزلت في عبد الرحمن ابن ابي بكر رضي الله تعالى عنه قبل اسلامه
مردود بما ياتي من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الاية فانه كان من افاضل
المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضه من قال ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث
من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث
منهم احد وهما يستغيثان الله يسألانه ان يغيثه ويوفقه الايمان ويلك اي قائلين له

لاده

ويلك وهو فى الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك
آمن ان وعد الله حق اى البعث اضافه اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه فى اسناد
الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اى آمن بان وعد الله حق فيقول مكذبا لهما ما هذا
الذى تسميانه وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التى سطروها فى الكتب
من غير ان يكون لها حقيقة اولئك القائلون هذه المقالات الباطلة الذين حق عليهم
القول وهو قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
كما ينبئ عنه قوله تعالى فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد مر تفصيله فى
سورة الم السجدة انهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى
رؤس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقى ولكل
من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات
غالبة فى مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم وقرئ
بنون العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما
حال مؤكدة للتوفية او استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل
وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم
فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار
اى يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اى قتلوا وقيل يعرض النار
عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اى يقال لهم ذلك وهو الناصب
للظرف وقرئ ااذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخى اى اصبتم و
اخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق
لكم بعد ذلك شئ منها فاليوم تجزون عذاب الهون اى الهوان وقد قرئ كذلك
بما كنتم فى الدنيا تستكبرون فى الارض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم
تفسقون اى تخرجون من طاعة الله عز وجل اى بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين
وقرئ تفسقون بكسر السين واذكر اخا عاد اى هودا عليه السلام اذ
انذر قومه بدل اشتمال منه اى وقت انذاره اياهم بالاحقاف جمع حقف وهو رمل
مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد
يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين
عمان ومهرة وقد خلت النذر اى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اى من قبله
ومن خلفه اى من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار
وسط بين انذر قومه وبين قوله ان لا تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد

اجزية اعمالهم صح

وايذانا باشتراكهم فى العبارة المحكية والمعنى اذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك
والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم و
اما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه عم انذارهم وقال لهم لا تعبدون الا الله
انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون
بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقدير الاعلام لا يفى بنسبة الخلو الى من
بعده من الرسل من تنزيل الآتى منزلة الماضى قالوا اجئتنا لتأفكنا اى تصرفنا عن
آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين فى وعدك
بنزوله بنا قال انما العلم اى بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التى من جملتها
ذلك عند الله وحده لا علم لى بوقت نزوله ولا مدخل لى فى اتيانه وحلوله وانما علمه
عند الله تعالى فيأتيكم به فى وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من مواجب الرسالة التى
من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله
وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكنى اراكم قوما تجهلون حيث تقترحون على ما ليس من وظائف
الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء فى قوله تعالى فلما راوه فصيحة والضمير
اما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا اما تمييزا او حالا او راجع الى ما استعجلوه بقولهم
فأتنا بما تعدنا اى فأتاهم فلما راوه سحابا يعرض فى افق السماء مستقبل اوديتهم
اى متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما فى قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا
ولذلك وقعا وصفين للنكرة بل هو اى قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم
اى ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب ريح بدل من ما او خبر لمبتدإ محذوف
فيها عذاب اليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر اى تهلك كل شئ من نفوسهم واموالهم
بامر ربها وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف
او هو الهاء فى ربها ويجوز ان يكون استئنافا واردا لبيان ان لكل ممكن فناء مقضيا
منوطا بامر بارئه ويكون الهاء لكل شئ لكونه بمعنى الاشياء وفى ذكر الامر والرب واضافته
الى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء فى قوله تعالى فاصبحوا لا يرى
الا مساكنهم فصيحة اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم وقرئ
ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل احد يتأتى منه الرؤية تنبيها على ان حالهم
بحيث لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم كذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزى القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة فى سورة الاعراف وقد روى ان الريح كانت
تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها فى الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب
امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى ان اول ما عرفوا به انه عذاب

ما راوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم يطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا
بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فامال الله تعالى الاحقاف فكانوا
تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في
البحر وروي ان هودا عم لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب
عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود عم ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح
الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض
وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اي قررناهم واقدرناهم وما في قوله تعالى فيما ان مكناكم
فيه موصولة او موصوفة وان نافية اي في الذي او في شيء ما مكناكم فيه من السعة
والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى وكم اهلكنا من قبلكم من
قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصي عن تكرر لفظة ما
وهو الداعي الى قلب الفها هاء في مهما وجعلها شرطية او زائدة مما لا يليق بالمقام
وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليستعملوها في ما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به
معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره
فما اغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ولا ابصارهم
حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم ولا افئدتهم حيث لم يستعملوها
في معرفة الله تعالى من شيء اي شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتاكيد وقوله تعالى اذ كانوا يجحدون
بآيات الله متعلق بما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما
اضيف اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمني في قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته
وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال في حيث وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى
قوم لوط وصرفنا الآيات كررناها لهم لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر
والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب
به الى الله تعالى واحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال
والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها الى
الله تعالى حيث كانوا يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله وفيه تهكم بهم ولا ساغ ان يجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى
فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب
في ان قولك اتخذوهم من دون الله قربانا اي متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه متقرب اليه

لا متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء
بل ضلوا عنهم اي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم
اي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور وذلك اي
ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم افكهم اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها
آلهة ونتيجة شركهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ افكهم على صيغة
الماضي فذلك اشارة الى الاتخاذ اي ذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن
الحق وقرئ افّكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال اي جعلهم آفكين وقرئ آفكهم
على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الآفك اي ذو الافك كما يقال قول
كاذب وما كانوا يفترون عطف على افكهم اي واثر افترائهم على الله تعالى او اثر ما كانوا
يفترونه عليه وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا
بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو المستتر في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما بعده
وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا
اليك نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن فلما حضروه اي القرآن عند تلاوته
او الرسول عند تلاوته له على الالتفات والاول هو الاظهر قالوا اي قال بعضهم لبعض
انصتوا اي اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير
الرسول عليه السلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عليه السلام ولوا الى قومهم منذرين
مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست
السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر
من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا
الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي او
في صلوة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعند سعيد بن جبير
ما قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلوته فمروا
به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله
ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال عليه السلام
اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رض
قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود
اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله عليه السلام و
غشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي

رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب
بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم
ربك قالوا اي عند رجوعهم الى قومهم يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل
قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام
مصدقا لما بين يديه اراد وا به التورية يهدي الى الحق من العقائد الصحيحة والى طريق
مستقيم موصل اليه وهو الشرائع والاعمال الصالحة يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به
ارادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية
الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا
لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في
خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم معد للكفرة
واختلف في ان لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى
ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها
بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غير اكتفاء باحد الضميرين
للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه
في الارض لتوسيع الدائرة اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب
من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه اولياء بيان لاستحالة
نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من
فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما ان الجمع في قوله تعالى
اولئك بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين
اي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه اولم يروا
الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي ألم يتفكروا
ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض
ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ولم يعي بخلقهن اي لم يتعب ولم يضعف بذلك
اصلا اولم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله تعالى بقادر في حيز الرفع لانه
خبر ان كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتمال النفي الوارد
في صدر الآية على ان وما في حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك
اجيب عنه بقوله تعالى بلى انه على كل شيء قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان
على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله أليس هذا بالحق
على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه

فضلا عن تذكيره وتأنيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي الى
العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما
نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا اكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف
بحقيتها كما في الدنيا وانى لهم ذلك قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بها في الدنيا
ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من
الرسل جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك
من جهتهم كما صبر اولو الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين
وقيل للتبعيض والمراد باولي العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها
وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى
وعيسى وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه
وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد
والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون
قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على
لبنة صلوات الله تعالى عليهم اجمعين ولا تستعجل لهم اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف
النزول بهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة
يسيرة من نهار لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدأ محذوف
اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا
اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة
وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك ونهلك بنون العظمة من الاهلاك ونصب
القوم ووصفه عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد عليه السلام

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد
صدودا او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا
عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل
اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام
وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اي ابطلها واحبطها وجعلها ضائعة لا اثر لها
اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها
فان ما كانوا يعملونه من اعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها

من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول
والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سياتي من
قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالى واذا لقيتم الخ والذين آمنوا وعملوا الصالحات
قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام
للكل وآمنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه
وتنبيها على سمو مكانه من بين ما يجب الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكد
بقوله وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق
على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل واياما كان فقوله تعالى من ربهم حال من
ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم
سيئاتهم اي سترها بالايمان والعمل الصالح واصلح بالهم في الدين والدنيا بالتأييد
والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا
الحق من ربهم اي ذلك كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد
ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان
سببيتهما له لكونه اصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب ان الاخرين اتبعوا الحق
الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة
فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان
والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار
والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب
الذي لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها
لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها وزواله واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما
ان الكفر والصد اخبث منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق القصر بعد
الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس
الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير
والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها في الموضعين كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع
يضرب الله اي يبين للناس امثالهم اي احوال الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة
مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الاخرين الحق
وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيزها من الامر
على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب

ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم
في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر
وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير
له باشنع صوره وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا
اثخنتموهم اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم
بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم و
احفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك فاما
منا بعد واما فداء اي فاما تمنون بعد ذلك منا او تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل و
الاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رض وعندنا منسوخ قالوا نزل
ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء
انما هو الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب
آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو
لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رحمه الله لاحد الامور الاربعة او للمجموع
والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون للمشركين حرب بان لا يبقى لهم
شوكة وقيل بان ينزل عيسى عم واما عند ابي حنيفة رض فان حمل الحرب على حرب بدر فهي
غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت
على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب
بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آثامها اي حتى يترك المشركون شركهم
ومعاصيهم بان يسلموا ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم
لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستيصال ولكن لم يشأ ذلك ليبلو بعضكم
ببعض اي امركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب
الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا
في سبيل الله اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جاهدوا وقتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم
اي فلن يضيعها وقرئ تضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل وعن قتادة
انها نزلت في يوم احد سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الثواب
او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا بذكر اوصافها
بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كأنه كان ساكنه
مذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه
الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها من عرف الدار

فجنة كل سهم محدودة مفردة والجملة اما مستأنفة او حال لاضمار قد او بدونه يا ايها الذين
آمنوا ان تنصروا الله اي دينه ورسوله ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم
في مواطن الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك
والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله
الواجب حذفه سماعا اي فقال تعسا لهم وقوله تعالى واضل اعمالهم عطف عليه وادخل
معه في حيز الخبرية للموصول ذلك اي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال بانهم بسبب انهم
كرهوا ما انزل الله من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه
واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي لو كانوا عملوها مع
الايمان لاثيبوا عليها افلم يسيروا في الارض اي اقعدوا في اماكنهم فلم يسيروا فيها
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة فان آثار ديارهم تنبئ عن
اخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل
كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم و
اموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك ما يختص به وللكافرين اي ولهؤلاء الكافرين
السائرين بسيرتهم امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء امثال
ما لاولئك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد
الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا
بايدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل اشد المًا من الهلاك بسبب
عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمين بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كانه قيل دمر الله
عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة امثالها ذلك اشارة الى ثبوت امثال عقوبة الامم
السابقة لهؤلاء بان الله مولى الذين آمنوا اي ناصرهم على اعدائهم ومتولي الذين وان
الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا
قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولاية الله تعالى لهم
وثمرتها الاخروية والذين كفروا يتمتعون اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون
كما تأكل الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل ثواء واقامة والجملة
اما حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف وكأي كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى
كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييزها وقوله تعالى هي اشد قوة من
قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى التي اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف
واجري احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله اهلكناهم اي وكم من اهل قرية

هم اشد قوة من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية
الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان
وصف الثانية باخراجه عليه السلام للايذان باولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقته
قول النابغة كليب لعمري كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرج بالدم وقوله تعالى
فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر
بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية
حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حالي فريقي المؤمنين والكافرين و
كون الاولين في اعلى عليين والآخرين في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما
من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر تقتضيه المقام وقد قرئ بدونها
ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي عليه السلام
او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عليه الصلوة والسلام
وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير أليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة
وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية
كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا
بسبب ذلك التزيين اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون
لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليها وجمع الضمير في الاخيرين باعتبار
معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استئناف
مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير
الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب
التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها
وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون
وقوله تعالى فيها انهار الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو
الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادة الاسم في قوله من قال الى الحول ثم
اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ خبره فيها انهار من ماء غير آسن اي غير متغير الطعم والرائحة
وقرئ غير أسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان صار قارصا ولا حازرا كالبان الدنيا
وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر
وخمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تأنيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة وقرئ
لذة بالرفع على انها صفة انهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين وانهار من
عسل مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا التمثيل لما يجري مجرى الاشربة

في الجنة بانواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها
والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر من فنون الانهار من كل
الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها
وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من ربهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار
خبر لمبتدا محذوف تقديره امن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في
النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا
تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار او امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد
في النار فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك
بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات
الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط
الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع
امعاءهم ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من
كما ان جمعه فيما سيأتي باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله عليه السلام
فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك
قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رض ماذا قال آنفا اي ما الذي قال الساعة على طريق
الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه
مستعارا من الجارحة ومنه استانف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او
حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم
لعدم توجههم نحو الخير اصلا واتبعوا اهواءهم الباطلة فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين
اهتدوا الى طريق الحق زادهم اي الله تعالى هدى بالتوفيق والالهام واتاهم تقواهم اعانهم
على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اي القيمة
وقوله تعالى ان تاتيهم بغتة اي تباغتهم بغتة وهي المفاجاة بدل الاشتمال من الساعة
والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها
من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة
بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على معنى
انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة
اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها
بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه

صلى الله تعالى عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم
ذكراهم حكم بخطائهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر
حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم
على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة
مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا
لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم
والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم
فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط
الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية و
العمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عليه السلام من ترك الاولى
عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين
وارشاد له عليه الصلوة والسلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل
وللمؤمنين والمؤمنات اي لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانهم وفي
اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار
يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثواكم في العقبى فانها مواطن
اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم في
المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ويقول الذين امنوا حرصا على
الجهاد لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد فاذا انزلت سورة
محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه
اخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ
فاذا انزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال
رايت الذين في قلوبهم مرض اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق
لسياق النظم الكريم ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا
وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت فاولى لهم اي فويل لهم وهو افعل من الولي
وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه
امرهم وقيل هو مشتق من الويل واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع
طاعة وقول معروف كلام مستأنف اي امرهم طاعة الخ او طاعة وقول معروف خير لهم
او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف اي امرنا ذلك

فاذا عزم الامر اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك
من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا
وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك
اي فلو صدقوا الله فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لكان
اي الصدق خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى لولا نزلت
سورة وقيل فلو صدقوه في الايمان وواطات قلوبهم في ذلك السنتهم وايا ما كان
فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى فهل عسيتم الخ بطريق
الالتفات لتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع اي هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس
وتامرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على
الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا امرتم
بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مامورون
شانكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم امرين ما
ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه
في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض
الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه ان الواقع في خبر الشرط في مثل هذا المقام
لا بد ان يكون محذوريته باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب
في ان الاعراض عن الاسلام راس كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة
للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلتم ولاة وقرئ توليتم
اي تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ
وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب ارحامكم حينئذ على نزع الجار اي في ار
وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون
عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا اولئك اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا
بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم
وهو مبتدا خبره الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم
عنه بسوء اختيارهم واعمى ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الايات المنصوبة
في الانفس والافاق افلا يتدبرون القران اي الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من
المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا
يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم
التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير

وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شانها بابهام امرها في القساوة والجهالة كانه
قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القسوة واما لان المراد بها قلوب
بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها
مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على المصدر
ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين
وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه السلام
من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل
اهل الكتابين جميعا كفروا به عليه السلام بعدما وجدوا نعته عم في كتابهم وعرفوا انه المنعوت
بذلك وقوله تعالى الشيطان سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان اي سهل لهم
ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤال لاستمرار
القلب فمعنى سول له امرا اوقعه في امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول
على حذف المضاف اي كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم في الاماني والامال وقيل امهلهم
الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا
انظرهم فالواو للحال او للاستيناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد
في عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدي ولا الى
التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا عن القول الاتي وهو مبتدا خبره قوله تعالى
بانهم اي بسبب انهم قالوا يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عم بعد ما وجدوا
نعته عليه السلام في التورية كما قيل فان كفرهم به عم ليس بسبب هذا القول ولو فرض
صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين او المشركين على راي القائل بل من حين
بعثته عم للذين كرهوا ما نزل الله اي لليهود الكارهين لنزول القران على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل
فان قوله تعالى سنطيعكم في بعض الامر عبارة قطعا عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين
نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع
فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم و
يوادونهم وارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان
امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يابون ذلك قبل مساس الحاجة
الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما
كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اي اخفاءهم
لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم اي جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا

والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء في الدنيا والتعذيب في الآخرة والفاء في قوله تعالى
فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف
هو العامل في الظرف كأنه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا
توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدا محذوف اي فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم
وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تاءيه يضربون وجوههم وادبارهم
حال من فاعل توفاهم او من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها و
عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا يضرب الملائكة وجهه ودبره ذلك
التوفي الهائل بانهم اي بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا رضوانه
اي ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا
من المعاملة مع اليهود فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات
او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين
في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق
لكونه مدارا لما نعي عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم فام منقطعة وان مخففة
من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والاضغان جمع
ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج الله
احقادهم ولن يبرزها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة
والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم
بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية
بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض
الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا
وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف
للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة واما ما في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فلجواب
قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل
للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم و
هذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد
ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد
علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ
ويبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا الناس

عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى بما شاهدوا
نعته عليه السلام في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة
والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا من الاشياء
او شيئا من الضرر ولن يضروا رسول الله تعالى بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه
وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم اي مكائدهم التي نصبوها في ابطال دينه تعالى ومشاقة
رسوله عليه السلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا تثمر لهم الا القتل
والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم
بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها
وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله
في اصحاب القليب فلا تهنوا اي لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اي ولا تدعوا الكفار
الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب
النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراءوا
الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه
ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على احد الوجهين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر
بالطاعة وقوله تعالى وانتم الاعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء
وكذا قوله تعالى والله معكم فان كونهم الاعلين وكونه عز وعلا ناصرهم من اقوى موجبات
الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور الاعمال حسبما يعرب عنه
قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم اي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد
او اخ او حميم فافردته منه من الوتر الذي هو الفرد وعبر عن ترك الاثابة في مقابلة
الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شيء معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير
موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة
الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق واتلافها وقد ورد قوله تعالى
فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات
لها ولا اعتداد بها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم اي ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات
الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون ولا يسألكم اموالكم بحيث يخل اداؤها بمعاشكم
وانما اقتصر على نزر يسير منها وهو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ان يسألكموها اي اموالكم
فيحفكم اي يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى
شاربه اي استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم اي احقادكم وضمير يخرج

بذاته تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء
واسناده الى الاضغان ها انتم هؤلاء اى انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون
بقوله تعالى تدعون لتنفقوا فى سبيل الله استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى
الذين اى ها انتم الذين تدعون وفيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والانفاق فى سبيل الله
يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل اى ناس يبخلون وهو فى حيز الدليل على
الشرطية السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد
اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى والله الغنى دون من عداه
وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم
فعليكم وقوله تعالى وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا اى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى
يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم فى التولى عن
الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملئكة وقيل اهل
فارس لما روى انه عليه السلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه
فقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل
كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من [illegible]

سورة الفتح

انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه فانه ما لم يظفر به
منغلق مأخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد
اليه خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروى عن انس رضى الله عنه بشّر به رسول الله عليه السلام
عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان
بتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة
المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه السلام
فى تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم
يكن فيه حراب شديد بل تراموا بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث
سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبى ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح و
قد روى انه عليه السلام حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا قال بل هو
اعظم الفتوح وقد رضى المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم
فى الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبى نزلت بالحديبية واصاب رسول الله عليه السلام

فى تلك الغزوة ما لم يصب فى غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من
ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون
وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة هى انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل
فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه السلام من الفتوح
وقيل هو ما فتح الله له عليه السلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا
فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو
شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة
والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة رضى الله عنه
واياما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط التبشير نفس
الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بيّنا ظاهر الامر مكشوف
الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه
مترتب على سعيه عليه السلام فى اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام
موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان
كل واحد مما انتظم فى سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه من حيثية غير حيثية الآخر
مترتبة على صفة من صفاته ما تقدم من ذنبك وما تأخر اى جميع ما فرط منك من ترك
الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك
الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية ويهديك صراطا
مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت
حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن
حاصلا قبل وينصرك الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال
العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله نصرا عزيزا اى نصرا فيه عزة ومنعة او قويا
منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا صاحبه هو الذى انزل السكينة
بيان لما افاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمأنينة اى انزلها فى قلوب المؤمنين
بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم اى يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به عليه السلام من
الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس
ان اول ما اتاهم به النبى عليه السلام التوحيد ثم الصلوة والزكوة ثم الحج والجهاد
فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك

ايمانا الى ايمانهم ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة
ويوقع بينهما السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله
عليما بالغا في العلم بجميع الامور حكيما في تقديره وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المؤمنين و
المؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما دل عليه ما ذكر من كون
جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين
ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اي يغطيها و
لا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة
الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اي ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله فوزا
عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق هممهم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله
حال من فوزا لانه صفته في الاصل فلما قدم عليه صار حالا اي كائنا عند الله اي في علمه وقضائه
والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم
بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اي ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين
عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ
دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب في ان
يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم
واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو
في الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال
كل منهما في الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها للبعض وساءت مصيرا
اي جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا
فائدتها التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد هنا جنود العذاب
كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا اي على امتك لقوله تعالى ويكون
الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتؤمنوا بالله ورسوله
الخطاب للنبي عليه السلام وللامة وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه
وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من السبحة بكرة واصيلا غدوة وعشيا
عن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرئ الافعال
الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرئ
بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره
ان الذين يبايعونك اي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما يبايعون الله

خبر ان يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره
ونواهيه وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى ان
عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد
اطاع الله وقرئ انما يبايعون لله اي لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث على نفسه
اي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ بكسر الكاف ومن اوفى بما
عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة
وقرئ بكسرها اي ومن وفى بعهده فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ
فسنؤتيه بنون العظمة سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة
وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر
من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادة المسير الى العام
الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم عليه السلام
وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم
قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه عليه السلام بانهم
سيعتلون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم
بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا
تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم ما ليس في
قلوبهم بدل من سيقول او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار
قل ردا لهم عند اعتذارهم اليك باباطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر
لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من النفع ان اراد بكم ضرا اي ما يضركم من هلاك
الاهل والمال وضياعهما حتى تتخلفون عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ
ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اي ومن يقدر على شيء من الضر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ
اموالكم واهليكم فاي حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم
بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يترتب على تقدير الخروج من القتل و
الهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا
وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله
خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم
بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم
معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون

جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء التانيث واما الاهالي فاسم جمع
كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها واشتغلتم بشان انفسكم غير
مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان
وظننتم ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء
او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه السلام
فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستيصال وكنتم قوما بورا اي هالكين عند
الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم و
قلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور مصدر كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك
وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام مبتدا من جهته
غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اي ومن لم يؤمن بهما كهؤلاء
المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين
ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره
وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف
في الكل كيف يشاء يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل
لاحد في شيء منهما وجودا وعدما حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره عليه السلام لهم
وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته
لمن يؤمن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا سيقول
المخلفون اي المذكورون وقوله تعالى اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ظرف لما قبله لا شرط
لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها
عوضا مما فاتكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان
يبدلوا كلام الله بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام
رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من
سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما
امره الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة وانما ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر
لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل
لن تتبعونا اي لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اي عند
الانصراف من الحديبية فسيقولون للمؤمنين عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا اي
ليس ذلك حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين
وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اي لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور

الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط
وسوء الفهم في امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة
في ذمهم ستدعون الى قوم اولي باس شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم
ممن ارتد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين لقوله تعالى تقاتلونهم او
يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة
او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على امامة ابي بكر رض
اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان
في عهد النبوة تخصيص دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم
فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل
منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة
وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف
جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي في التخلف
عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج
عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ومن
يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول اي عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا اليما
لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر شانهم مبايعتهم وبهذه الاية
سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي وصيغة
المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله
روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل
مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فاخبرهم انه عليه السلام لم يات
لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف
بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم
واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس
الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا
ولا يفروا وروي على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة
وقيل الفا وثلثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى
بايعوك لا على رضي فان رضاء الله تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق

الاخلاص عند مبايعتهم له وقوله فانزل السكينة عليهم عطف على رضي اي فانزل عليهم الطمأنينة
والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر
عقب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ واتاهم ومغانم كثيرة يأخذونها اي مغانم
خيبر والالتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة ونافع لتشريفهم في مقام الامتنان
وكان الله عزيزا غالبا حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم
كثيرة هي ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيمة تأخذونها في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها
فعجل لكم هذه اي غنائم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم من
بني اسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل
مكة بالصلح ولتكون اية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول في وعده اياهم عند رجوعه
من الحديبية بما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف
مؤخر اي ولتكون اية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما تعلق به علة اخرى محذوفة
من احد الفعلين اي فعجل لكم هذه او كف ايدي الناس لتغتنموها ولتكون الخ فالواو
على الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم بتلك الاية صراطا مستقيما هو الثقة
بفضل الله والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون واخرى عطف على هذه اي فعجل
لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين و
وصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى
قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان
صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها
لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط الله بها اي
وقضى الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة
بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في
بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء
ولو قاتلكم الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر لولوا الادبار منهزمين
ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله
غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا وهو الذي
كف ايديهم اي ايدي كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اي في داخلها من بعد ان اظفركم
عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله عليه السلام
خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه
استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم

اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك او يجازيهم
هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم
وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف اي نحر الهدي وبالرفع على وصد الهدي وقوله معكوفا
حال من الهدي اي محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدي او منصوب
بنزع الخافض اي محبوسا من ان يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة رحمه الله
على ان المحصر محل هديه الحرام قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي ان خيامه عليه السلام كانت
في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت بدناه عليه السلام والمراد صدها عن محل نحرها المعهود
الذي هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم
لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ان تطؤهم اي توقعوا بهم وتهلكوهم بدل
اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم اي من جهتهم معرة
اي مشقة ومكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء
قالتهم والاثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه بما يكرهه
بغير علم متعلق بان تطؤهم اي غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة
الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم
فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل عليه
الجواب المحذوف كانه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدي الى الفتح
بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من
الرحمة الدنيوية التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة
الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين في اقامة
مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة
الاخروية وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين ويأباه
قوله تعالى لو تزيلوا الخ فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين
الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ
لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم
والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او
بعذبنا على الظرفية وقيل المضمر هو احسن الله اليكم واياما كان فوضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى
في قلوبهم الحمية اي الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول
ثان له اي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اي حمية الملة الجاهلية

والحمية التي نشأت من الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين على الاول
عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عليه السلام والمؤمنين بتوفيق الله تعالى
وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما دل عليه الجملة الاستفهامية كانه قيل لم تتزيلوا فلم يعذب
فانزل الخ وعلى الثالث على المضمر تفسيره وان السكينة الثبات والوقار يروى ان رسول
صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن
عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم
ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك
وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما
نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله عليه السلام اهل
مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب
هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون
فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا
والزمهم كلمة التقوى اي كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد
رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها
سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد استحقاق
لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اي المستأهل
لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله
الرؤيا راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا
مكة آمنين وقد حلقوا رؤوسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا
وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل
ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه
في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى
بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة
التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة بالحق
ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى
او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف
اي والله لتدخلن الخ وقوله ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية لتعليم العباد او اشعار
بان بعضهم لا يدخلونه لموت او غيبة او غير ذلك او هي حكاية لما قاله ملك الرؤيا او الرسول
عليه السلام او لما قاله عليه السلام لاصحابه آمنين حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض

محلقين رؤوسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من
ضمير آمنين فتكون متداخلة لا تخافون حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين
او مقصرين او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق و
المراد بعلمه هو العلم الفعلي المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم عقيب ما اراه
الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا فجعل
لاجله من دون ذلك اي من دون تحقق مصداق ما اراه من دخول المسجد الحرام آمنين الخ
فتحا قريبا وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به
على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما في قوله ما لم تعلموا عبارة
عن الحكمة في تاخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فتأباه الفاء فان علمه الله تعالى بذلك
متقدم على اراءة الرؤيا قطعا هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي ملتبسا به او بسببه
ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين
بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل
الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان اذ ما
من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس
المؤمنين على انه تعالى سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون
اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته باظهار المعجزات
محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى رسول الله بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول
المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ ورسول الله خبره والجملة مبينة
للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدأ خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع
شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة
ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرافة كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين و
قرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة
فالخبر حينئذ قوله تعالى تراهم ركعا سجدا اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم
على الصلوات وهو على الاول خبر آخر او استئناف وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا
اي ثوابا ورضا اما خبر آخر او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او
استئناف مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كانه قيل ماذا
يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله سيماهم اي سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء
بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره في
وجوههم اي في جباههم وقوله تعالى من اثر السجود حال من المستكن في الجار اي من التأثير

الذي يورثه كثرة السجود وما روي عن النبي عليه السلام من قوله عليه السلام لا تعلبوا صوركم
اي لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض ريا
ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان
الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يقال لهما ذو الثفنات
لما احدث كثرة سجودهما في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار علي
والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى
وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل
قال عليه السلام من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من اثار السجود ومن
اثر السجود بكسر الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره
وقوله تعالى مثلهم اي وصفهم العجيب الشان الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى
في التورية حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم
الاول كانه قيل ذلك مثلهم في التورية والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته وزيادة
تقريرها وقوله تعالى كزرع اخرج شطاه الخ تمثيل مستانف اي هم كزرع اخرج فراخه
وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل
على ان الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التورية وقرئ شطاه بفتحات وقرئ شطاه بفتح الطاء
وبتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها
واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرئ فازره
بالتخفيف وازّره بالتشديد اي شد ازره وقواه فاستغلظ فصار غليظا بعد ما كان
دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة يعجب
الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه عز وجل لاصحابه عليه السلام قلوا
في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب
في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى
ليغيظ بهم الكفار علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لما بعده من قوله تعالى
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الاخرة
مع ما لهم في الدنيا من عزهم غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن ع م من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات

يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي
مزيد اعتنائهم بشانه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم
والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع من الاخلال به لا تقدموا اي لا تفعلوا التقديم
على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة
قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على
ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفى بحق المقام لافادته النهي عن التلبس بنفس
الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني
وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة
من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التائين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى
بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا
لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر
الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم في تامير الاقرع بن حابس او القعقاع بن
معبد واتقوا الله في كل ما تاتون وما تذرون من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن
فيه ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي
عليه السلام بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به
للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء
الاعتناء بشانه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم
على ان الباء زائدة ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض اي جهرا
كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم اخفض من صوته عليه السلام وتعهدوا في
مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا
على مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت
هذه الاية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى
الله وعن عمر رض انه كان يكلمه عليه السلام كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان
ابو بكر رض اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف
يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى
ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط او كراهة ان تحبط كما في قوله تعالى
يبين الله لكم ان تضلوا او للنهي اي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد

الايذاء الى الحبوط فكانه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا و
حزنا وليس المراد بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك
كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب
عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا ان يرفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكرا
محضا لم يقيد بشيء ولا بما يقع منهما في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او نحو ذلك
وعن ابن عباس رضه نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري
الصوت وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته وعن انس انه لما نزلت الاية فقد
ثابت تفقده عليه السلام فاخبر بشانه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه
الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي حبط فقال له عم لست هناك
انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن من انها
نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته عليه السلام فقد قيل
محمله ان نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص وانتم لا تشعرون حال من فاعل
تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله الخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب
عن الاخلال به اي يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهي اولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شانه وهو مبتدا خبره الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى اي جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان
سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب
المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها
للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضه اذهب عنها
الشهوات لهم في الاخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة
اما خبر ثان لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استيناف لبيان جزائهم احمادا
لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اي من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من
جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدا والمنتهى بحسب الجهة
بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها
وكلتاهما جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة
وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين

ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها او
بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء
تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة
التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه السلام وقيل ان الذي ناداه عيينة
ابن حصين الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين
رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند
النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون
اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا
حتى تخرج اليهم اي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت
بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك
بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عليه السلام
فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول
حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي
ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان اي الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال
لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف
بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى
النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن
هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي فتعرفوا
وتفحصوا روي انه عم بعث الوليد بن عقبة اخا عثمن لامه مصدقا الى بني المصطلق
وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتلوه فرجع وقال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم عليه السلام بقتالهم
فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا
اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد
العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا
حذار ان تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند
اليهم على ما فعلتم في حقهم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف
الثلثة يدور مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا
باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين
في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة يجب

رأيكم كم يريدون ان يتبع عليه السلام رأيكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في
الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع
ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلام لم يطع رأيهم واما صيغة المضارع
فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه السلام لهم لان
عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة و
انقلاب الرئيس مرؤسا لا من اطاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم
بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار طاعته عليه السلام لهم في ذلك
فان المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون
والتحقيق ان الاستمرار الذي يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق
بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل
على الابهام ثم يعتبر تعلقه بمتعلقه بيانا لما فيه الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق
من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بمتعلقه اولا ثم اعتبر استمراره
فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها
بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التي يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول
ضرورة ان امتناع مدار العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع
بعدم وقوع الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها
مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين
بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر في وقت من الاوقات وقع العنت
قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان
واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة
المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك
الطاعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها
بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم ان
الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق بالقياس المقتضي لاعتبار
الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع
المفيدة للثاني على ان اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام
انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس او لم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله
ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن
مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه

محل لا يخفى وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق
الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان
محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال و
الافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما لا يليق بها مما لا خير فيه من
آثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم
استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم
في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق
والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي اولئك السالكون الى
الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي في قوله تعالى وما آتيتم من زكوة
تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي انعاما تعليل لحبب
او كره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا
والله عليم مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب
الحكمة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما
بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت اي تعدت احديهما على الاخرى ولم تتأثر بالنصيحة
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت اليه واقلعت
عن القتال حذرا من قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله ولا تكتفوا بمجرد
متاركتهما عسى يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف
لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تأتون
وما تذرون ان الله يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث
بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على ان
الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فيء الى امر الله تعالى
وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة
استئناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب
للحيوة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجبة
للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الاصلاح
والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية
لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين
اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم
به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر

قوم اي منكم من قوم آخرين ايضا منكم وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي او لموجبه
اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم
القوام على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر
نعت به فشاع في الجمع وانما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او
لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد
الى نهي بعضهم من سخرية بعض لما انها مما يجري بين بعض وبعض ولا نساء اي ولا تسخر نساء
من المؤمنات من نساء منهن عسى ان يكن اي المسخور منهن خيرا منهن اي من الساخرات
فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع
والاطوار التي يدور عليها امر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ
احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من
وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ
هي ذوات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم
اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من
فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا
بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص به عرفا بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان
واشتهارهم به فان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او
باللؤم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية
نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن
لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي
محمد عليهم السلام او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب
عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس
للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير
لايجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب
اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في
الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور
المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقي
والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثم الاعمال اي
يكسرها ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب

كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى
وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال
لمشاعر الحواس بالجيم والحاء وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع
عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا
اي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الغيبة
فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس
الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير
لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه
واشنعه طبعا وشرعا وعقلا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري
واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو
في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا للآكل وميتا
واخراج تماثلهما مخرج امر بين غني عن الاخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على
الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه للترتيب ما بعدها على ما قبلها
من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اي جبلتم على كراهته
واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله تواب رحيم
مبالغ في قبول التوبة واضافة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك
بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة
بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه
عليه السلام فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان الى بئر سميحة لغار
ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما
فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك
فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز ان يكون تأكيدا للنهي السابق بتقرير الاخوة المانعة
من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى
اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ
والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم
فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا
ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزي احد الى غير آبائه لا لتفاخروا بالآباء
والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ لتتعارفوا على الاصل

ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر
بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف التحقيقي كانه قيل ان الاكرام عنده
هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بان المفتوحة على حذف لام التعليل كانه قيل
لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس
وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام
من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان
مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى و
كرم الآخرة التقوى ان الله عليم بكم وبما عملكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب
آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدب فاظهروا الشهادتين
وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال و
لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه السلام بما فعلوا قل
لم تؤمنوا اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل لكم
ذلك والا لما مننتم على ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الا
نقياد دخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم
الكريم على ان يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز
من النهي عن التلفظ بالايمان وللتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد
به مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا اي ولكن
قولوا اسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر
بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق
لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم شيئا من اجورها من لات ليتا اذا نقص وقرئ
لا يألتكم من الالت وهي لغة غطفان او شيئا من النقص ان الله غفور لما فرط من
المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى
ان فيهم ما يوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار
الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من العبادات
البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون
بما ذكر من الاوصاف الجميلة هم الصادقون اي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم
روي انه لما نزلت الآية جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى

قل اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية
تشنيعهم والله يعلم ما في السموات وما في الارض حال من مفعول تعلمون مؤكد لتشنيعهم
وقوله تعالى والله بكل شيء عليم تذييل مقرر لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي
من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم
يمنون عليك ان اسلموا اي يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب
موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة
الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي
باسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان
الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء
الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم
من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به نفى كونه ايمانا وسمى
اسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم
للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض اي
ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم
وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع
الله وعصاه

سورة ق

ق والقرآن المجيد اي ذي المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان
من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل
في مطلع سورة ص وقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اي لان جاءهم منذر من
جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف
كانه قيل والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة
الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة
للتنكير والتعجب مع كونهما اوفق شيء لقضية العقول واقربه الى التلقي بالقبول وقيل
التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل
بل عجبوا اي لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور
العجيبة وقيل اضراب عما ينبئ عنه وصف القرآن بالمجيد كانه قيل ليس سبب امتناعهم من
الايمان بالقرآن انه لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب تفسير
لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة

الى كونه عليه السلام منذرا بالقران واضمارهم اولا للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم
واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة
على ان هذا اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر
اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصار
لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته على ما هو اشق منه في قياس العقل من
مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واعرق في كونه كفرا ءاذا متنا وكنا ترابا تقرير
للتعجب وتاكيد للانكار والعامل في اذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه
اي احين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين
الحيوة حينئذ وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار ذلك اشارة
الى محل النزاع رجع بعيد اي عن الاوهام او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع
الذي هو الجواب فناصب الظرف ح ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص الارض
منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما
تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء
كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص
الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل
الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من
عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل
كذبوا بالحق اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه
وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تامل وتفكر
وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اي وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القران او
الاخبار بالبعث فهم في امر مريج اي مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه حيث
يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر واخرى كاهن افلم ينظروا اي اغفلوا او عموا
فلم ينظروا الى السماء فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اي رفعناها بغير عمد
وزيناها بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع وما لها من فروج من فتوق لملاستها
وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تاخير هذا لمراعاة الفواصل والارض مددناها اي بسطناها
والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اي ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان
بان القاءها لارساء الارض بها وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة
وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبا بالفعل الاخير او الفعل مقدر بطريق
الاستيناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى ربه متفكر

في بدائع صنائعه وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير المنافع شروع في
بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير
اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده فانبتنا به اي بذلك الماء جنات كثيرة اي اشجار
ذوات ثمار وحب الحصيد اي حب الزرع الذي شانه ان يحصد من البر والشعير و
امثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات والنخل عطف على جنات
وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط
الحب بينهما لتاكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات
اي طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرئ
باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد اي منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم
الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من
ضميرها في باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية
قوله تعالى رزقا للعباد اي لنرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل
انبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك
من حيث التذكير والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا
مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا
جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار
فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد
والمكان كذلك الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة
المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اي مثل تلك الحياة
البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض
بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق
للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام
الناس وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الخ استيناف وارد لتقرير حقية البعث
ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها واصحاب الرس قيل
هم ممن بعث اليهم شعيب عم وقيل وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل وثمود وعاد
وفرعون اي هو وقومه ليلايم ما قبله وما بعده واخوان لوط قيل كانوا من اصهاره واصحاب
الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين وقوم تبع سبق شرح
حالهم في سورة الدخان كل كذب الرسل اي فيما ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها
البعث الذي اجمعوا عليه قاطبة اي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او

كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم
كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب
واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها وهو الاظهر
فمعنى تكذيبه قومه الرسل تكذيبهم من قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى
ذلك كان يدعوهم تبع فحق وعيد اى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب وفيه
تسلية للرسول عليه السلام وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول استئناف مقرر لصحة
البعث الذى حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعى بالامر العجز عنه يقال عى
بالامر وعيى به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العى
من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة
بل هم فى لبس من خلق جديد عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين
لقدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة
وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق
بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اى ما تحدثه
به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى
والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما فى صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية
والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل
الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط
القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتى العنق فى
مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده
اذ يتلقى المتلقيان منصوب بما فى اقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل
علمه الى ما لا شئ اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن
الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غنى عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما
وانما ذلك لما فى كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد
بذلك مع علمه باحاطته بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له فى الكف عن السيئات
والرغبة فى الحسنات وعنه عليه السلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما
وريقك مدادهما وانت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحيى من الله ولا منهما وقد جوز ان
يكون تلقى الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا
موكلون به عن اليمين وعن الشمال قعيد اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد
كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كما فى قول من قال

رمانى بامر كنت منه ووالدى بريا ومن اجل الطوى رمانى وقيل يطلق الفعيل على الواحد
والمتعدد كما فى قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمى به من فيه
من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول الا لديه رقيب ملك يرقب
قوله ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه
تغيير العنوان غنى عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما رقيب
لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله عتيد اى معد مهيأ لكتابة ما امر به
من الخير والشر ولم يثنه لئلا يتوهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر
لاثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شئ حتى انينه
فى مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم
كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات
امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل
سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر
وجاءت سكرة الموت بالحق بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وازيح ذلك
بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك ببيان
ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر
عن وقوع كل منها بصيغة الماضى ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته
الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما فى قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت
سكرة الموت حقيقة الامر الذى نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال
من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى لا بد ان يكون لا محالة من الموت والجزاء
فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتى فى قوله تعالى تنبت بالدهن اى ملتبسة بالحق
اى بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة
التى كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او تستعقبه
وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ
سكرات الموت ذلك اى الموت ما كنت منه تحيد اى تميل وتنفر عنه والخطاب
للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا ونفخ فى الصور هى
النفخة الثانية ذلك اى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد اى
يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود
وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل
على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا لتهويله ولذلك بدئ بيان

حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد
وان اختلفت كيفية السوق والشهادة بحسب اختلاف النفوس عملا اي معها ملكان
احدهما يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كأنه
قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب
الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب
على الحالية من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس او الجر على انه
وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا محكي باضمار
قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استيناف مبني على سؤال نشأ
مما قبله كأنه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة الخ وخطاب الكل بذلك
لما انه ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء
على اعتبار تانيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما في قول جبلة بن
حريث يا نفس انك باللذات مسرور فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب
المغطي لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر
عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع
الثلاثة وقال قرينه اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه هذا ما لدي عتيد اي هذا ما عندي
وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي واضلالي وقيل قال الملك الموكل به مشيرا
الى ما معه من كتاب عمله هذا المكتوب عندي عتيدا للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد
صفتها وان جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدا محذوف القيا
في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار
او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال فان تزجراني
يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او على ان الالف بدل من نون
التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد
معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام
فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد ظالم متخط للحق
مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر مبتدا متضمن لمعنى الشرط
خبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار وقوله تعالى فالقياه تكرير للتوكيد
او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت
استيناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا
ما اطغيته فانه مبني على سابقه كلام اعتذر به الكافر كأنه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه

واسنادا الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها لدلالته على الجمع
بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال
بعيد من الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله تعالى وما كان لي
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال استيناف مبني على سؤال نشأ مما قبله
كأنه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا
فائدة في ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى السنة
رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل
للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملان
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام
في هذا الوقت والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت
واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدي الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول
او الفاعل اي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا
لكم به فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل
فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه
الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق
له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما اشير اليه آنفا اي
وما انا معذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب
ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى
عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتاكيد
هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل لرعاية جمعية
العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول
لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل و
التخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها تطرح فيها من الجنة والناس
فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ او
انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد
والمميد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون ذلك
اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال والاهوال
ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ
ومجيء النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف

سوال

على بعد اي قريب للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون
على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى
غير بعيد تاكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد
اي شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذي يستوي في
المذكر والمؤنث او لتاويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى
الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا
عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة
قال هذا ربي وقوله ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله و
يجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت
وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال
من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت اي مقولا لهم او مقولا في حقها هذا
ما توعدون لكل اواب اي رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ
حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها
وقيل هو الحافظ لاوامر الله وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه من خشي
الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب
ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذي او مبتدا خبره
ادخلوها بتاويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار المعنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق
بمحذوف هو حال من فاعل خشي او من مفعوله او صفة لمصدره اي خشية ملتبسة بالغيب
حيث خشي عقابه وهو غائب عنه او هو غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض بعنوان
الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته
لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله
بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب
وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملائكته ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذي
وقع في بعض منه ما ذكر من الامور يوم الخلود اذ لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاؤن
من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من
الموصول او من عائده المحذوف من صلته ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج
تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فنقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد

وكم اهلكنا قبلهم اي قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا اي قوة كعاد وامثالهم
فنقبوا في البلاد اي خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في اقطارها وجالوا في اكناف الارض
كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء
للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقيل هي عاطفة في المعنى كانه قيل اشتد بطشهم
فنقبوا وقرئ بالتخفيف هل من محيص اي هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على
اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي نقبوا في البلاد قائلين هل من محيص او على اجراء التنقيب
لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او كلام مستانف وارد لنفي ان يكون لهم
محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم واسفارهم في بلاد القرون
فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا
بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم
واخفاف ابلهم ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة لذكرى
لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اي قلب سليم يدرك كنه ما يشاهده من الامور
ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد
مشاهدة الآثار من غير تذكير او القى السمع اي الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق
بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو
دون الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد
اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات
للايذان بان من عري قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا السموات والارض و
ما بينهما من اصناف المخلوقات في ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا تفي
به القوى والقدر من لغوب من اعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود
في زعمهم انه تعالى بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت و
استلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون اي ما يقوله
المشركون في شان البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل
هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر
والتشبيه وسبح بحمد ربك اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره
التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى
على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل غروبها هما وقت
الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود و
اعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه

وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالمراد بما قبل الطلوع صلوة الفجر
وبما قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وما يصلي ادبار السجود
النوافل بعد المكتوبات واستمع اي لما يوحى اليك من احوال القيامة وفيه تهويل
وتفظيع للمخبر به يوم يناد المناد اي اسرافيل او جبريل عليهما السلام فيقول ايتها
العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء
وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى
الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم
يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البدء يوم يسمعون الصيحة بدل من
يوم ينادي وهي النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله
ذلك يوم الخروج اي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور
انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك احد والينا المصير للجزاء
في الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف
احدى التائين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل
سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير اي هين وتقديم الجار
والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى نحن اعلم بما يقولون من نفي البعث وتكذيب الآيات
به وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم على الايمان
او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر فذكر بالقران من يخاف وعيد واما من عداهم
فنحن نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم ويستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون
العذاب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات

والذاريات ذروا اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال
فالحاملات وقرا اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية
المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية في مهابها
او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا
صفة لمصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا اي الملائكة التي تقسم الامور
من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد
يجوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها
كما تذرو ما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو باسطا له وتقسم الامطار

بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب
الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فهي لترتيب الصدور
عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجريه باسطا له الى ان
ينقسم المطر وقوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم وفي تخصيص
الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق الجملة المقسم عليها من حيث انها
امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة
او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضاء والدين الجزاء ووقوعه
حصوله والسماء ذات الحبك قال ابن عباس رضه وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي
وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي
والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة
التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين
الموشي طرائق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ
الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك
كالنعم والحبك كالابل انكم لفي قول مختلف اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه
عليه السلام تارة شاعر واخرى ساحر وفي شأن القران الكريم تارة شعر وتارة
سحر واخرى اساطير وفي هذا الجواب تاييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح
به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل
النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات
في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك يؤفك عنه من افك اي يصرف عن القران
او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد وقيل يصرف
عنه من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر
افك من افك عن ذلك القول وقرئ من افك اي من افك الناس وهم قريش حيث
كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الانسان
ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون
ما لا صحة له وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل
الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة من الجهل والضلال ساهون غافلون عما
امروا به يسألون ايان يوم الدين اي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة
بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب
للسؤال اي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدا محذوف

اي هو يوم هم [illegible] والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي
مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى هذا الذي كنتم به تستعجلون جملة من مبتدا وخبر واقعة حالا من
القول الضمير اي هذا ما كنتم به تستعجلون بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من
فتنتكم بتاويل العذاب والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا
يقادر قدرها آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما آتاهم
حسن مرضي متلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين اي لاعمالهم الصالحة
آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال
ما اشار اليه عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد
فسر بقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل
على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة للمصدر وما مزيدة في الوجهين
ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل
هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل
والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا يجوز
لجعلها نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لان ما النافية لا يعمل
ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم
يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم اسلفوا الليل باقتراف الجرائم وفي بناء
الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به
لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفي اموالهم حق اي نصيب يستوجبونه على
انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف
الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اي دلائل واضحة
على شئونه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج
للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات
وعيون متفجرة ومعادن متفننة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف
الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع
ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ليس في العالم
شيء الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر
البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة
واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي الا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة
وفي السماء رزقكم اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه

فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة او لان الاعمال
وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستانف خبره قوله تعالى فورب السماء والارض انه
لحق على ان الضمير لما وانما على الاول فالضمير له وانما لما ذكر من امر الآيات والرزق
على انه مستعار لاسم الاشارة مثل ما انكم تنطقون اي كما انه لا شك لكم في انكم
تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحالية من المستكن في لحق او على انه وصف
لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى
غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع
على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم تفخيم لشان الحديث
وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل
مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا
وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلثة جبريل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم
ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم عليه السلام او لانهم كانوا في حسبانه
كذلك المكرمين اي المكرمين عند الله او عند ابرهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته
اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او للضيف او المكرمين ان فسر باكرام
ابرهيم فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال اي ابرهيم سلام اي عليكم سلام عدل به الى
الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه السلام احسن من تحيتهم
وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عليه السلام
للسلام الذي هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان اوضاعهم
واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه السلام انما قاله في نفسه من غير ان
يشعرهم بذلك لا انه خاطبهم به جهرا او سالهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا
احوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه السلام لمقدمات الضيافة فراغ الى اهله اي ذهب
اليهم خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى ويبادر به حذارا من ان
يكفه ويعذره او يصير منتظرا والفاء في قوله تعالى فجاء بعجل سمين نضيجه مفصحة عن جمل قد حذفت
ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب
بعصاك الحجر فانفلق اي فذبح عجلا فحنذه فجاء به فقربه اليهم بان وضعه لديهم كما هو
المعتاد قال الا تاكلون انكار لعدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم فاضمر في نفسه
خيفة لتوهم انهم جاؤا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاؤا للعذاب قالوا لا تخف
قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه
في هود والصافات وبشرناه اي بواسطتهم بغلام وهو اسحق عليه السلام عليم عند بلوغه

واستوائه فاقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية
تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان جعل
اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبلت يشتمني فصكت وجهها اي لطمته من الحياء لما
انها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب
وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك القول
الكريم قال ربك وانما نحن معبرون نخبرك به عنه لا انا نقوله من تلقاء انفسنا
انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عليه السلام
قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المقاولة
مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه السلام ايضا حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر
ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفي سورة هود
قال اي ابراهيم عليه السلام لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر فما خطبكم اي شأنكم الخطير
الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل
في سائر السور الكريمة حجارة من طين اي طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من اسمت
الماشية اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود
عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الى آخره حكاية من جهته
تعالى لما جرى على قوم لوط بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم عليهم السلام
من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كأنه قيل فباشروا
ما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك الخ من كان فيها اي في قرى قوم لوط واضمارها
بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت اي غير
اهل بيت من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا
ثلاثة عشر وتركنا فيها اي في القرية آية علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل
هي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن للذين يخافون العذاب الاليم اي
من شأنهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب
القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية وفي موسى عطف على قوله وفي الارض
او على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقول من قال علفتها تبنا وماء
باردا اذ ارسلناه قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف اي كائنة وقت ارسالنا
وقيل بتركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة فتولى بركنه
اي فاعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه

وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو
ساحر او مجنون كأنه نسب ما ظهر على يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد
في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه
من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه ما لا يخفى
وهو مليم اي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في فاخذناه
وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم
او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي الدبور او الجنوب
ما تذر من شيء اتت عليه اي جرت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم وبلي وتفتت
من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله تمتعوا
في داركم ثلاثة ايام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة
وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فعتوا عن امر ربهم اي فاستكبروا
عن الامتثال به فاخذتهم الصاعقة قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح عليه السلام
من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله فنجاه الله تعالى الى ارض
فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا و
قرئ الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها ويعاينونها فما استطاعوا
من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين وما كانوا منتصرين بغيرهم كما لم يمتنعوا
بانفسهم وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون
معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فاخذناه من قبل
اي من قبل هؤلاء المهلكين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه
من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بايد اي بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى
الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء وما بينها وبين الارض او الرزق
والارض فرشناها مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن
ومن كل شيء اي من الاجناس خلقنا زوجين اي نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين السماء
والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون
اي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه
قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى ففروا الى الله مقدر بقول خوطب به النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكي من آثار غضبه الموجبة
للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كأنه قيل قل لهم اذا كان الامر
كذلك فاهربوا الى الله الذي هذه شؤونه بالايمان والطاعة كي تنجوا من عقابه

وتفوزوا بثوابه والفاء للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كأنه
قيل فقل لهم فتذكروا ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين تعليل للامر بالفرار
اليه تعالى او لوجوب الامتثال به فان كونه عليه السلام ان يأمرهم بالفرار اليه وعليهم ان
يمتثلوا به اي اني لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه او مظهر لما يجب اظهاره
من العذاب المنذر به في امره به للرسول صلى الله عليه وسلم بان يأمرهم بالهرب اليه تعالى
من عقابه وتعليل بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كرمه
بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر نهي
موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى
اني لكم منه اي من الجعل المنهي عنه نذير مبين فان تعلق كلمتين بالانذار مع كون صلته الباء
بتضمينه معنى الافرار يقال فزع منه اي هرب وافزعه كانه قيل وفروا من ان تجعلوا معه
اعتقادا او قولا آلها آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه لكن
لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهي عن سببه وايجاب الفرار منه كذلك اي الامر مثل
ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى ما اتى الذين
من قبلهم تفسير له اي ما اتاهم من رسول من رسل الله الا قالوا في حقه ساحر
او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف بأتى لامتناع عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها
اتواصوا به انكار وتعجب من حالهم او اجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا
تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى
اتفقوا عليه وقوله تعالى بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر
تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه من الطغيان الشامل
للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة
لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم فتول
عنهم فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء فما انت بملوم
على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود وذكر اي افعل التذكير
والموعظة ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر فان الذكرى تنفع
المؤمنين اي الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة
وقوة في اليقين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون استئناف مؤكد
للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه السلام
الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على
خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها

اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له
منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع
فيه قطعا كيف وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل
تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله
بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية يفضي اليها فعل الفاعل الحق
فغير منفي من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه
بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار
وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من
عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول
الى الغاية مع تعاضد المبادي وتآخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما
في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره
وقيل المعنى الا ليؤمروا بالعبادة كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن
والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين
وقال مجاهد واختاره البغوي معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف
ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب
التنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعاليا عن
ان يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم
وتهيئة ارزاقهم اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم
وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ان الله هو الرزاق
الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق
ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر للمضمر وقرئ بالجر
على انه وصف للقوة على تأويل الاقتدار او الأيد فان للذين ظلموا اي ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او وضعوا مكان
التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ذنوبا اي نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم
مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب
وهو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجيء به يقال استعجله

اى حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى
اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل
للذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر واشعارا
بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى
لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك ومن فى قوله تعالى من يومهم الذى يوعدون للتعليل
اى يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيمة وهو الانسب بما فى صدر السورة الكريمة الاتية
والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوى عن النبى عليه السلام
من قرأ والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

سورة الطور

والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه
موسى عليه السلام كلام الله عز وجل وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان
السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القران او الواح موسى عم وهو الانسب
بالطور او ما يكتب فى اللوح او ما يكتبه الحفظة فى رق منشور الرق الجلد الذى يكتب
فيه استعير لما كتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او الاشعار بانهما ليسا
مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اى الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين
او الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة والسقف المرفوع
اى السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور اى المملو وهو البحر المحيط او
الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روى ان الله تعالى يجعل البحار
يوم القيمة نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك لواقع اى لنازل حتما جواب للقسم
وقوله تعالى ما له من دافع اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف
او مرتفع منه على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها
امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل
اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التى من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى
يوم تمور السماء مورا ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور
الاضطراب والتردد فى المجيئ والذهاب وقيل هو تحرك فى تموج قيل تدور السماء كما
تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها وتسير الجبال سيرا
اى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتاكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما
وخروجهما عن الحدود المعهودة اى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ

للمكذبين اى اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم الذين
هم فى خوض اى اندفاع عجيب فى الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون يوم يدعون
الى نار جهنم دعا اى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم
الى اقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم
اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار التى كنتم بها تكذبون
اى يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحى الناطق بها وقوله تعالى افسحر
هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقران الناطق
بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ ام انتم لا تبصرون
اى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر او ام سدت ابصاركم كما سدت فى
الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصلوها
فاصبروا او لا تصبروا اى ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه
سواء عليكم اى الامران فى عدم النفع لا يدفع العذاب ولا تخفيفه وقوله تعالى انما تجزون
ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر
وعدمه سواء فى عدم النفع ان المتقين فى جنات ونعيم اى فى اية جنات واى نعيم على ان
التنوين للتفخيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين
بما اتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر او خبر
ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على اتاهم على ان ما مصدرية او على خبر ان او حال
باضمار قد اما من المستكن فى الخبر او فى الحال واما من فاعل اتى او من مفعوله او منهما و
اظهار الرب فى موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل كلوا واشربوا
اى يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص
فيه بما كنتم تعملون بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اى هناكم
ما كنتم تعملون اى جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين و
قرئ بحور عين على انه اضافة الموصوف الى صفته بالتاويل المشهور وقرئ بعيس
عين والباء مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق
والسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم
وقوله تعالى والذين امنوا الخ كلام مستانف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان
حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم فى الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تعالى
واتبعتهم ذريتهم عطف على امنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اى
اتبعتهم ذريتهم بايمان فى الجملة قاصر عن رتبة ايمان الاباء واعتبار هذا القيد للايذان

بثبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة وذرياتهم
بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرئ اتبعتهم
الحقنا بهم ذريتهم اي في الدرجة كما روي انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في
درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وما التناهم وما نقصنا الاباء
بهذا الالحاق من عملهم من ثواب عملهم من شيء بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنقص
مثوبتهم وتحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم
بكسر اللام من الت يالت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت
وآلتناهم من آلت يولت ولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد وقيل هذا الموصول
معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين امنوا اي بالرفقاء والجلساء فيتمتعون
تارة بملاعبة الحور واخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على
زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان
الاباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى ابائهم لتتم
سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان داني المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشيء
من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم كل امرئ بما كسب رهين قيل هو
فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله بالعمل الصالح فان عمله فكه والا اهلكه
وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اي دائم ثابت وهذا انسب
بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب
الاباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وزدناهم
على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الالاء
يتنازعون فيها اي يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه
التعبير عن ذلك بالتنازع كاسا اي خمرا تسمية لها باسم محلها لا لغو فيها اي في شربها
حيث لا يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تأثيم ولا يفعلون
ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين
في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو
فيها ولا تأثيم بالفتح ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون
بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم
وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف
المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم
على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة

منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون اي يسأل كل بعض منهم بعضا اخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا
ومسؤولا لا انه يسأل بعض معين منهم بعضا اخر معينا قالوا اي المسؤولون وهم كل واحد
منهم في الحقيقة انا كنا قبل اي في الدنيا في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خائفين من
عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق
للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا
بالتشديد انا كنا من قبل ندعوه اي نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم
الكثير الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه
فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الايات والذكر الحكيم ولا
تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمده وانعامه بصدق
النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون ام
يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث
الدهر وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع
اي بل يقولون ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم
كما تتربصون هلاكي وفيه عدة كريمة باهلاكهم ام تأمرهم احلامهم اي عقولهم بهذا اي
بهذا التناقض في المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الامور والمجنون مغطى
عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع او صح سؤالا في
وامر الاحلام بذلك مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحدود
في المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من
الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله
اي اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التي
لا يخفى على احد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا واحد من العرب
فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن في
النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين فيما
زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام
في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة
لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام ولا ريب في ان القدرة
على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك ام خلقوا من غير شيء اي ام احدثوا
وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لا شيء من عبادة

بجزاء ام هم الخالقون لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ام خلقوا السموات والارض
بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين
بما قالوا والا لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك اي خزائن رزقه ورحمته
حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او يمسكوها عمن شاؤا او عندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختار
لها من اقتضت الحكمة اختياره ام هم المسيطرون اي الغالبون على الامور يدبرونها
كيف ما شاؤا حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون
بالصاد ولمكان الطاء ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه صاعدين الى كلام
الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التي يتقولون فيها
رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة
تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان
بان من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي الى عالم الملكوت والتطلع
على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما في ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ
ام تسألهم اجرا رجوع الى خطابه عليه السلام واعراض عنهم اي بل اتسألهم اجرا على
تبليغ الرسالة فهم لاجل ذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون محملون
الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب
فهم يكتبون ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي او اثبات ام يريدون كيدا هو كيدهم
برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في دار الندوة فالذين كفروا هم المذكورون
ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به
او جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا اوليا هم المكيدون اي هم الذين يحيق بهم كيدهم
يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون
في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله
عما يشركون اي عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة من السماء
ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم اي هم في الطغيان
بحيث لو اسقطنا عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا
سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا
وقرئ حتى يلقوا يومهم الذي فيه يصعقون على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة او من
اصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر
لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى يوم لا يغني عنهم
كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم

يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه في امره صلى الله عليه وسلم
من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجري فيه الكيد
والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم ولا هم
ينصرون من جهة الغير في دفع العذاب عنهم وان للذين ظلموا اي لهم ووضع الموصول موضع
الضمير لما ذكر من قبل اي وان لهؤلاء الظلمة عذابا اخر دون ذلك دون ما لاقوه من القتل
اي قبله وهو القحط الذي اصابهم سبع سنين او وراءه كما في قوله تريك القذى من دونها
وهو دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الاخرة وقرئ دون ذلك قريبا
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر
على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود
وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم فانك باعيننا اي في حفظنا
وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ
وسبح اي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من اي
مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك
وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت
الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
الى قوله ومن الليل فسبحه افراد البعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة فيه اشق على النفس
وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اي وقت ادبارها من اخر
الليل اي غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلوة العشائين وادبار النجوم
صلوة الفجر وقرئ وادبار النجوم بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه او ينعمه في جنته

سورة النجم

والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجوم وبهويه
غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا
وصعد واما النجم من نجوم القران فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق
الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما في قولك اتيتك اذا احمر البسر وفي الاقسام
بذلك على نزاهته عليه السلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن
الموقع ما لا غاية له اما على الاول فلان النجم شانه ان يهتدي به الساري الى مسالك
الدنيا كانه قيل والنجم الذي يهتدي به السالك الى سواء السبيل ما ضل صاحبكم اي عن

عن الطريق الحق الذي هو مسلك الآخرة وما غوى اي وما اعتقد باطلا قط اي هو في غاية الهدى
والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية في شيء اصلا واما على الثالث فلانه تنويه
بشان القرآن كما اشير اليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط
اهتدائه عليه السلام ومدار رشاده كانه قيل والقرآن الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين
ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه السلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده عليه السلام
بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عليه السلام
مما نفي عنه بالكلية وباتصافه عليه السلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عم
ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي على
على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدي به الساري عند كونه
في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدي به عند
هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل من الافق الاعلى
ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشان التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره
يوم القيمة او على انقضاض النجم الذي يرجم به او حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه
على الارض او ظهوره منها فمما لا يناسب المقام وما ينطق عن الهوى اي وما يصدر نطقه بالقرآن
عن هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه
كما مر مرارا ان هو اي ما الذي ينطق به من القرآن الا وحي من الله وقوله تعالى يوحى صفة
مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي علمه شديد القوى اي ملك
شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة
قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها
الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده
في اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اي حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى
عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله ما اوحى بيان لكيفية التعليم اي فاستقام على
صورته التي خلقه الله عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها وكان رسول الله
عليه السلام بحراء فطلع له جبريل عليهما السلام من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ
الافق فخر رسول الله عليه السلام فنزل جبريل عم في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل
يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير النبي عليهم السلام فانه رآه فيها
مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى
وهو بالافق الاعلى اي افق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنا اي اراد الدنو من النبي

فتدلى اي استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبي يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه
من السرير وادلى دلوه والدلو الى الثمر المعلق فكان اي مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين
اي مقدارهما فان القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عم
كما في قولك هو مني معقد الازار او ادنى اي على تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون
والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى
اي جبريل الى عبده عبد الله واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك
على ظهرها ما اوحى اي من الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة او فاوحى الله حينئذ بواسطة
جبريل عم ما اوحى قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها
امتك ما كذب الفؤاد اي فؤاد محمد عليه السلام ما رأى اي ما رآه ببصره من صورة
جبريل عليهما السلام اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه
عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه على
ما يرى اي اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة وابعد ما ذكر من احواله المنافية للمماراة
تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين
يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى
الغلبة عدي بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اي جحده
ولقد رآه نزلة اخرى اي وبالله لقد رأى جبريل عم في صورته مرة اخرى من النزول نصبت
النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل
تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة المنتهى هي شجرة نبق في
السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من
اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها
والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق
واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهي اليها ما يهبط
من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك
اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة
عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي سدرة
المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى عندها جنة المأوى اي الجنة التي يأوي اليها
المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف و
جنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف زمان لرآه
لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان

بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل حين اي يأتيني
والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق
اليه اي ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان
كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة او للايذان
باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله
عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار
الله عز وجل تجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها
ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
وابن مسعود والضحاك وروي عن النبي عليه السلام انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش
من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه السلام يغشاها رفرف
من طير خضر ما زاغ البصر اي ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه
مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة ما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية
العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله
لقد رأى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فأرى من عجائب الملك
والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف
اي شيئا عظيما من آيات ربه وان يكون من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل
لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد
التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل كان
يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره ويعبدونه وقيل كان يجلس
على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث
الاعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها
وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله عليه السلام فقال تلك العزى
ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لان دماء
النسائك تمنى عندها اي تراق وقرئ ومناءة وهي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون
عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان
تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون
ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا

وتبكيتا افرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من
شؤون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة
الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله
وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام
مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له تعالى وقيل المعنى افرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها و
ذلتها شركاء لله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة
والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام
التي تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم في الآخرة وقيل افرأيتم الى هذه
الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى
الكم الذكر وله الانثى شهادة بينة فانه توبيخ مبني على التوبيخ الاول وحيث كان مداره
تفضيل جانب انفسهم على جانبه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور
وجب ان يكون مناط الاول ايضا تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثاني عليه
وظاهر ان ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا اثر واما ما
قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لما ان الاصل
اخبروني ان اللات والعزى ومناة الكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام فوضع موضعها
الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه من التمحلات التي ينبغي تنزيه
ساحة التنزيل عن امثالها يقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز
الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه تلك اشارة الى القسمة المنفهمة
من الجملة الاستفهامية اذا قسمة ضيزى اي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه
وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر
لم يأت في الوصف وقرئ ضئزى بالهمز من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرئ
ضيزى اما على انه مصدر وصف به كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى ان هي الضمير
للاصنام اي ما الاصنام باعتبار الالوهية التي تدعونها الا اسماء محضة ليس تحتها
ما تنبئ هي عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله تعالى سميتموها صفة لاسماء وضميرها لها
لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا
نسبت الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى وان نسبت الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما
اختير هاهنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة اسماء
مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الآية لا
ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للاصنام الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقون عليها

على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها
بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة لها
فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل انما هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق
جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية اي
ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم واباؤكم بمقتضى اهوائكم الباطلة ما انزل
الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد
قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية و
العمل بموجبها الا الظن الا توهم اي ما هم عليه كونه توهما باطلا وما تهوى الانفس اي تشتهيه
انفسهم الامارة بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى منه تعالى حال من فاعل يتبعون او
اعتراض وايا ما كان ففيه تاكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان
اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول عليه السلام وانزال الكتاب
اقبح ام للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير
مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا والهمزة للانكار
والنفي اي ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التي من جملتها اطماعهم
الفارغة في شفاعة الالهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود فلله الآخرة والاولى
تعليل لانتفاء ان يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به
تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر من الامور وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة
الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية
وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اي وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم
عند الله تعالى شيئا من الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد ان ياذن الله لهم
في الشفاعة لمن يشاء اي يشفعوا له ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان و
اما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل من الشفاعة بالف منزل
فاذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين
عن سمات النقصان على الاطلاق اي يسمون كل واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم الملائكة
بنات الله قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالانثى وفي تعليقها بعدم الايمان
بالآخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ
عليها الا من لا يؤمن بها راسا وقوله تعالى وما لهم به من علم حال من فاعل يسمون اي يسمونهم

والحال انه لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اي بالملائكة او بالتسمية ان يتبعون في ذلك
الا الظن الفاسد وان الظن اي جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار لا يغني
من الحق شيئا من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن
لا اعتداد به في شان المعارف الحقيقية وانما يعتد به في العمليات ولا يؤدي اليها فاعرض
عن من تولى عن ذكرنا اي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيز
صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اي فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني
وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور الآخرة او عن ذكرنا كما ينبغي
فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب منها ولم يرد
الا الحيوة الدنيا راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشانه
فان من اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه
لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي ما اداهم الى ما هم فيه
من التولي وقصر الارادة على الحيوة الدنيا مبلغهم من العلم لا يكادون يجاوزونه الى غيره
حتى يجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق
باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبلها من قصر الارادة على الحيوة الدنيا وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله هو اعلم لزيادة التقرير والايذان
بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من
من شانه الاهتداء في الجملة اي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء
في الجملة لا غير فلا تتعب نفسك في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفي تعليل الامر بامره
عليه السلام عن الاعتناء بامرهم باختصاص العلم باحوال الفريقين عليه تعالى رمز الى انه تعالى
يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سياتي
صريحا ولله ما في السموات وما في الارض اي خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا
وقوله تعالى ليجزي الخ متعلق بما دل عليه اعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل
مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم الا يعلم من خلق كانه قيل ضلال من ضل واهتداء من اهتدى
ويحفظهما ليجزي الذين اساءوا بما عملوا اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة
بيانا لحاله او بسبب ما عملوا ويجزي الذين احسنوا اي اهتدوا بالحسنى اي بالمثوبة الحسنى
التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض
كانه قيل خلق ما فيهما ليجزي الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على ان اللام للعاقبة اي هو اعلم بمن ضل
ليؤول امره الى ان يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى

وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين الذين يجتنبون كبائر
الاثم بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب و
استمراره او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب
وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش
وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم اي الا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هي
النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا
عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة
حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه
عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له ان
يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين
ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب
عليه هو اعلم بكم اي باحوالكم يعلمها اذ انشاكم في ضمن انشاء ابيكم ادم عليه السلام من الارض
انشاء اجماليا حسبما مر تحقيقه مرارا واذ انتم اجنة ووقت كونكم اجنة في بطون امهاتكم على
اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا
المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى فلا تزكوا
انفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه
من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا
عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله
على فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصي جميعا وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بان
فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا
وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال
الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة
بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرايت الذي تولى اي عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا
اي شيئا قليلا او اعطاء قليلا واكدى اي قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية
اي الصلابة كالصخر فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن
ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت
في العاص بن وائل السهمي لما انه كان يوافق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض الامور وقيل في ابي
جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وكان يقول والله ما يامرنا محمد الا

بمكارم الاخلاق وذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده
من قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى الخ اي اعنده علم بالامور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه
يوم القيمة ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى اي وفر واتم ما ابتلي به من الكلمات
او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار
نمرود حتى انه اتاه جبريل عليهما السلام حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا
وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم
وتقديم موسى لما ان صحفه التي هي التورية اشهر عندهم واكثر الا تزر وازرة وزر اخرى اي انه لا
تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى على ان ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان
الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انها بدل مما في صحف موسى او
الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كان قيل ما في صحفهما فقيل هو الا تزر الخ والمعنى انه لا يؤاخذ احد
بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله عليه السلام من سن سنة سيئة
فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره وقوله تعالى
وان ليس للانسان الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه
اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء عليهم السلام واستغفار
الملائكة عم ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور
النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو
الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام
عمل غيره اليه وان مخففة كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى وان سعيه سوف يرى اي يعرض
عليه ويكشف له يوم القيمة في صحيفته وميزانه من اريته الشيء ثم يجزاه اي يجزى الانسان سعيه
يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير
للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى الجزاء الاوفى او يبدل عنه كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا
وان الى ربك المنتهى اي انتهاء الخلق ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا
وقرئ بكسر ان على الابتداء وانه هو اضحك وابكى اي هو خلق قوتي الضحك والبكاء وانه هو امات
واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل
الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق
في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وان عليه النشاة الاخرى اي الاحياء
بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا مصدر نشا وانه هو اغنى واقنى واعطى
القنية وهي ما يتاثل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل
الرضا قنية وانه هو رب الشعرى اي رب معبودهم وهي العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء

وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له عليه السلام به لمخالفته اياهم في دينهم وانه اهلك عادا
الاولى هي قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد
قوم نوح وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمها الى اللام وعاد لولى بادغام التنوين
في اللام وطرح همزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف وثمود عطف على عادا لان ما بعده
لا يعمل فيه وقرئ وثمودا بالتنوين فما ابقى اي احدا من الفريقين وقوم نوح عطف عليه ايضا
من قبل اي من قبل اهلاك عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين حيث
كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه
عليه السلام حتى لا يكون به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة
هي قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اي انقلبت بهم اهوى اي اسقطها الى الارض بعد ان
رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السماء فغشاها ما غشى من فنون العذاب وفيه من التهويل
والتعظيم ما لا غاية له وراءه فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
على طريقة قوله لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل واحد واسناد فعل التمادي الى الواحد
باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وان كان موضوعه لافادة صدور الفعل
عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني
فيراد بها المعنى الاول فقط كما في تداعوهم اي دعوهم وقد تجرد عنه ايضا فيكتفي بتعدد الفعل
بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فان المراء متعدد بتعدد ولا لا فتدبر وتسمية الامور المعدودة
آلاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم
وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى هذا اما اشارة الى القرآن
والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر واياما كان فالتنوين
للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اي هذا القرآن الذي
تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر
من جنس المنذرين الاولين والاولى على تاويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال
قومهم المنذرين وفي تعقيبه بقوله تعالى ازفت الآزفة اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة
اي دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة
اي ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها الآن
نفس كاشفة بتاخيرها الا الله تعالى فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله كقوله تعالى
لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من غير الله كشف على ان كاشفة مصدر كالعاقبة افمن
هذا الحديث اي القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه ابعد شيء من ذلك

ولا تبكون حزنا على ما فرطتم في شانه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة وانتم
سامدون اي لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس
عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع
كما في قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا
ورد وجوههن البيض سودا والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد
للنفي والانكار وارد على نفي البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفي والانكار متوجه
الى نفي البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى فاسجدوا
لله واعبدوا لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار و
الاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اي اذا كان الامر كذلك فاسجدوا
لله الذي انزله واعبدوه عن النبي عليه السلام من قرا سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد
وجحد بمكة

سورة القمر

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر
قال ابن عباس رضي الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء
بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى وان يروا
آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره
وقد قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق
ومعنى الاستمرار الاطراد والاستحكام اي وان يروا آية من آيات الله تعالى يعرضوا
عن التامل فيها ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد عليه السلام
على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر او قوي محكم لا يمكن ازالته وقيل
مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم في العناد والمكابرة
ويؤيده ما سيأتي لرده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة وكذبوا اي
بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما عاينوه مما اظهره الله تعالى على يده من المعجزات واتبعوا
اهواءهم التي زينها الشيطان لهم او كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم
وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله تعالى وكل امر مستقر
استئناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به اماتيهم الفارغة من عدم استقرار امره عليه السلام
حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اي وكل امر من الامور منته الى غاية يستقر
عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي عليه السلام فسيصير الى غاية تتبين عندها حقيته وعلو شانه
وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل امر من امرهم

وامره عليه السلام مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة
او سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على انه مصدر او اسم مكان او اسم زمان اي ذو
استقرار او ذو موضع استقرار او ذو زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر
وكل عطف على الساعة اي اقتربت الساعة وكل امر مستقر ولقد جاءهم اي اهل مكة في القرآن
وقوله من الانباء اي انباء القرون الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده
اي وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء ما فيه مزدجر اي ازدجار من تعذيب او وعيد او
موضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب
دالا مع الدال والذال والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها حكمة بالغة
غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة
او موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي للاغناء او انكار
له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمرارها وما على الوجه
الثاني منصوبة اي فاي اغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار
فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداع منصوب بيخرجون
او باذكر والداعي اسرافيل عليه السلام ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون
واسقاط الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا الى شيء نكر اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله
وهو هول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون
والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون من الاجداث اذلة ابصارهم من شدة الهول
وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على
الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر في الكثرة
والتموج والتفرق في الاقطار مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين
اليه يقول الكافرون استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء
الحال كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفي
اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت
قبلهم قوم نوح شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها و
بيان لعدم تأثرهم بها تقرير لفحوى قوله تعالى فما تغني النذر اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم
نوح وقوله تعالى فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال
رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم
قرن مكذب جاء عقبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه

من جملتهم وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام
ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه
الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة
ما قالوه اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرئ بالكسر على ارادة
القول مغلوب اي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم فانتصر اي فانتقم لي منهم
وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر
مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب
وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض
فغير قضاء لحق المقام فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء الماءين
لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف
النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اي كائنا على حال قد قدرها الله تعالى
من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على
امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه اي نوحا عليه السلام على ذات الواح
اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت
مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا
جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي نعمة
من الله تعالى على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد جوز ان يكون على حذف الجار وايصال
الفعل الى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين
ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله
بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر
اي معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام
فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم وتعجيب اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها
الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القرآن الخ جملة قسمية وردت في اواخر
القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة
بالغة فما تغني النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع
ذلك لم يقع واحدة في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم
وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد للذكر اي للتذكر والاتعاظ
فهل من مدكر انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه وآكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم

يتعلم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام
كذبت عاد اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له على روما للاختصار ومسارعة الى
بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه قلوب السامعين
نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله و
ما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاري لهم وقوله تعالى
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استئناف لبيان ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او
شديدة الصوت في يوم نحس شؤم مستمر اي شؤمه او مستمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل
لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم
روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كانهم اعجاز
نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت
تقلع رؤوسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤوس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تانيثها في
قوله اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من
امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني
لما يحيق بهم في الآخرة مردود بترتب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي الانذارات والمواعظ
التي سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على
اصول الشرائع فقالوا ابشرا منا اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا
اي منفردا لا تبع له او واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتاخيره عن الصفة
المؤولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه
النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء وقوله نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام
انا اذن على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر اي
جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق
وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول
االقي الذكر اي الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر
اي ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله سيعلمون غدا
من الكذاب الاشر حكاية لما قاله لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب
مضمون الجملة وتاكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون البتة عن قريب
من الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع اصالح هو ام من كذبه وقرئ ستعلمون
على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر

وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقيل المراد بالغد يوم القيمة
ويأباه قوله انا مرسلوا الناقة فانه استئناف سوق لبيان مبادي الموعود حتما اي مخرجوها
من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اي امتحانا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون
واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء
كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى
فعقر فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة
فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر
الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام
فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر اي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها
او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء
اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط
بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر
في سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما منا
وهو علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة
ولقد انذرهم لوط بطشتنا اي اخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر
متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها
كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون
الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او
ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ
بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى
النار وفي وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي اليه فذوقوا عذابي
ونذر حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز
كمال الاعتناء بشانها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب
وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي بالنذر
لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى كذبوا باياتنا كلها استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
مجيء النذر كانه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فاخذناهم
اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة وعدة
او مكانة من اولئكم الكفار المعدودين والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما

ان الماء

وكز من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوأ حالا ام لكم
براءة في الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اي بل الكم براءة
وامن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية فلذلك تصرون
على ما انتم عليه وقوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى
وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة
الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم اي بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأي امرنا
مجتمع لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد
باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع رد وابطال لذلك والسين للتأكيد اي يهزم جمعهم البتة
ويولون الدبر اي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او لارادة ان كل واحد
منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رض يقول لما
نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت
تأويلها وقرئ سيهزم الجمع اي الله عز وجل بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة
موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه والساعة ادهى وامر اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة
والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدي الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمارها لتربية
تهويلها ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر اي في هلاك ونيران مسعرة
وقيل ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون الخ منصوب اما بما يفهم
من قوله تعالى في ضلال اي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على وجوههم واما بقول
مقدر بعده اي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا مس سقر اي قاسوا حرها والمها وسقر علم لجهنم ولذلك
لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير
يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر اي ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور
امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ
بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبر وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو
قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه
قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم
وقيل اتباعكم فهل من مدكر متعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل
في الزبر اي في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح المحفوظ
بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الى آخره مما يستدعي بيان حسن
حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل ان

المتقين اي من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشأن ونهر اي انهار كذلك والافراد
للاكتفاء باسم الجنس ومراعاة للفواصل وقرئ ونهر جمع نهر كأسد واسد في مقعد صدق في مكان
مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه
فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شأنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن

لما عدد في السورة السابقة ما نزل من الامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب
كل ضرب منها ان القرآن قد يسر لتحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن
ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما افاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية
الانفسية والآفاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدأ بتعليم
القرآن فقيل الرحمن علم القرآن لانه اعظم النعم شأنا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار
للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنو اليه احداق
الامم الا وهو منشأه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه
واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار الرحمة الواسعة واحكامها وقد قصر
على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه البيان تعيينا للمعلم وتبيينا
لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة و
البيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه
ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث اخبار مترادفة
للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد والشمس والقمر بحسبان
اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية
وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم اي النبات الذي ينجم
اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان اي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما
طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابطة
اللفظية تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس
والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف
بينهما وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر
سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله

في جل والسماء رفعها أي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه
ومتنزل أوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ
بالرفع على الابتداء ووضع الميزان أي شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق لما استحقه
ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات
والأرض وقيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وأنزلنا
معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال
ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخصوصا على الأرض
حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم
وإعطائهم أن لا تطغوا في الميزان أي لئلا تطغوا فيه على أن أن ناصبة ولا نافية ولام العلة
مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان أو أي لا تطغوا على أنها مفسرة لما في الشرع من معنى
القول ولا ناهية أي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الإنصاف وقرئ لا تطغوا على إرادة القول
وأقيموا الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل
الإقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان أي لا تنقصوه أمر أولا بالتسوية
ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان
وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتأكيدا للأمر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا
بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين أيضا على أن الأصل
ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل والأرض وضعها أي خفضها مدحوة على
الماء للأنام أي الخلق قيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما على ظهر الأرض من دابة وقيل الثقلان
وقوله تعالى فيها فاكهة الخ استئناف مسوق لتقرير ما أفادته الجملة السابقة من كون الأرض
موضوعة لمنافع الأنام وتفصيل المنافع العائدة إلى البشر وقيل حال مقدرة من الأرض فالأحسن
ح أن يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية أي فيها ضروب كثيرة
مما يتفكه به والنخل ذات الأكمام هي أوعية الثمر جمع كم أو كل ما يكم أي يغطى من ليف وسعف
وكفرى فإنه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه والحب وهو ما يتغذى به كالحنطة
والشعير ذو العصف وهو ورق الزرع وقيل التبن والريحان قيل هو الرزق أريد
اللب أي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى
به وهو الحب الذي له عصف هو علف الأنعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب
ذا العصف والريحان أي خلق الحب والريحان أو أخص ويجوز أن يراد وذا الريحان
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والريحان إما فيعلان من روح فقلبت الواو
ياء وأدغم ثم خفف أو فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف أو للفرق بينه وبين الروحان

وهو ما له روح قاله القرطبي فبأي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما
بقوله تعالى للأنام وسينطق به قوله تعالى أيها الثقلان والفاء لترتيب الإنكار والتوبيخ
على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للإيمان والشكر حتما والتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد
النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها إما بإنكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن
وما يستند إليه من النعم الدينية وإما بإنكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة
في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة إليهم بإسناده إلى غيره تعالى استقلالا أو اشتراكا صريحا
أو دلالة فإن إشراكهم لآلهتهم به تعالى في العبادة من دواعي إشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها و
التعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان و
الشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أي فإذا كان الأمر كما فصل فبأي فرد
من أفراد آلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق
خلق الإنسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ على إخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة
بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف
وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي
بين الآية الناطقة بأحدها وبين الناطقة بأحد الآخرين وخلق الجان أي الجن أو أبا الجن من مارج
من دخان صاف من نار بيان لمارج فإنه في الأصل للمضطرب من مرج إذا اضطرب
فبأي آلاء ربكما تكذبان مما أفاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين
ورب المغربين بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الذي فعل ما ذكر من الأفاعيل البديعة
رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته أن يكون رب ما بينهما من الموجودات
قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على أنه بدل من ربكما فبأي آلاء
ربكما تكذبان مما في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث
ما يناسب كل فصل في وقته إلى غير ذلك مرج البحرين أي أرسلهما من مرجت الدابة إذا
أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان أي يتجاوران ويتماس سطوحهما
لا فصل بينهما في مرأى العين وقيل أرسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان
يتشعبان منه بينهما برزخ أي حاجز من قدرة الله عز وجل أو من الأرض لا يبغيان أي لا يبغي
أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما فبأي آلاء
ربكما تكذبان وليس منهما شيء يقبل التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر
والمرجان الخرز الأحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره ونسبة خروجهما إلى
البحرين مع أنهما إنما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل إنهما لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب

او لانهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من
البحر مع انهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول
من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة فباي آلاء ربكما تكذبان
وله الجوار اي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء بحذف الياء كقول من قال لها ثنايا اربع
حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرئ بكسر الشين
اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن في البحر كالاعلام كالجبال الشاهقة
جمع علم وهو الجبل الطويل فباي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها
وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه
كل من عليها اي على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين
فان هالك لا محالة ويبقى وجه ربك اي ذاته عز وجل ذو الجلال والاكرام اي ذو الاستغناء
المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم
صفاته ولقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عم انه مر برجل
وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذي الجلال والاكرام
على انه صفة ربك واياما كان ففي وصفه به بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه ايذان بانه
يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان
فان احياءهم بالحيوة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء يسأله من
في السموات والارض قاطبة ما يحتاجون اليه في ذواتهم ووجودهم حدوثا وبقاء وسائر
احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة
بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم و
بين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون على الا
ستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم عليه السلام
كل يوم اي كل وقت من الاوقات هو في شأن من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا
فانه لا يزال ينشئ اشخاصا ويفني آخرين ويأتي باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيئته
المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع
آخرين وقيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا
فباي آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم اي سنتجرد لحسابكم
وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن
فلا يبقى حينئذ الا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وهو مستعار من قول
المتهدد لصاحبه سأفرغ لك اي سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر

على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ
اليكم اي سنقصد اليكم ايها الثقلان هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض
او لرزانة آرائهما او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء ربكما التي من جملتها التنبيه على ما
ستلقونه يوم القيمة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب تكذبان بافواهكما او باعمالكما
يا معشر الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون
بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفي بما كلفوه
ان استطعتم اي قدرتم على ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اي ان تهربوا من قضائي
وتخرجوا من ملكوتي ومن اقطار سمواتي وارضي فانفذوا منها وخلصوا انفسكم من عقابي لا
تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اي بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد
روي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا
وجدوا الملائكة احاطت به فباي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو
مع كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان
وقيل اللهب الاحمر وقيل اللهب الاخضر المنقطع من النار وقيل هو النار والدخان جميعا
وقرئ شواظ بكسر الشين من نار متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اي كائن من نار و
التنوين للتفخيم ونحاس اي دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون
وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ ونحس
جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب فلا تنتصران اي لا
تمتنعان فباي آلاء ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي لطف واي لطف
ونعمة اي نعمة فاذا انشقت السماء اي انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كوردة حمراء
وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول
من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان خبر ثان لكانت
او نعت لوردة او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما
يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اي يكون من الاحوال
والاهوال ما لا يحيط به المقال فباي آلاء ربكما تكذبان مع عظم شأنها فيومئذ اي يوم اذ
تنشق السماء حسبما ذكر لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما
يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى
فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه
رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسأل عن ذنبه انسي ولا جني فباي آلاء
ربكما تكذبان مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي اليه

واما ما فيه من ما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف
المجرمون بسيماهم استئناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه
وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام الجار والمجرور
هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان الماخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله خذوه واخذكم
ونحوه واخذ به اذا كان الماخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله لا تأخذ
بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع بين نواصيهم واقدامهم
بسلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام فبأي آلاء
ربكما تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على ارادة القول اي يقال لهم
ذلك بطريق التوبيخ على ان الجملة اما استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية الاخذ
بالنواصي والاقدام كأنه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال لهم او حال من اصحاب النواصي
والاقدام لان الالف واللام عوض من المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها اي
بين النار يحرقون بها وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون
منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان قد اشير الى ان كون
بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الآلاء
الفائضة عليهم في الاخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية وما علم
ان ما عدد فيما بين هذه الاية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان نفسها آلاء جليلة
واصلة اليهم في الاخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم في الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية
الى السعي في تحصيل ما يؤدي الى نيلها من الايمان والطاعة وان كل فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله
كل يوم هو في شأن من النعم الدينية والدنيوية الانفسية والافاقية جليلة واصلة اليهم في
الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدي الى استدامتها
واما ما عدد فيما بين قوله سنفرغ لكم وبين هذه الاية من الاحوال الهائلة التي ستقع
في الاخرة فليست هي من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدي الى
الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه الذي يقف
فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه
او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل او مقحم
للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين
منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة
يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما
تكذبان وقوله تعالى ذواتا افنان صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان

تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اي ذواتا
انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن اي ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها
بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي آلاء ربكما تكذبان وليس فيهما شيء يقبل التكذيب
فيهما عينان تجريان صفة اخرى لجنتان اي في كل واحدة منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها
في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان
بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى
من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان
من مخافة الله عز وجل فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان
معروف وغريب او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر
آنفا فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان من خاف في معنى
الجمع او نصب على المدح على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين وحيث كانت
بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى
الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال
ابن عباس رضي الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء
مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن اي في الجنان
المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حسب
تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين وقيل فيما فيهما من الاماكن والقصور وقيل في
الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن
ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي لم يمس
الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات
الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة
صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصصها بالاضافة فبأي آلاء ربكما
تكذبان وقوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها كالتي
قبلها اي مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان اي صغار الدر في بياض البشرة
وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ
ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
هل جزاء الاحسان الا الاحسان استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله اي ما جزاء الاحسان في العمل
الا الاحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان مبتدأ وخبر
اي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين

فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكرنا من
التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ اي خضراوان تضربان
الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين
المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان
نضاختان اي فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فبأي آلاء
ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة عطف جبريل وميكائيل
على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال
ابو حنيفة رح من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى فيهن خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فبأي
وخيرات مخففة من خيّرات لان خيرا الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان اي حسان
الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى حور بدل من خيرات مقصورات في الخيام
قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن
وقيل ان الخيمة من بيوتهن درة مجوفة فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا
جان كالذي مر من نظيره في جميع الوجوه فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين نصب
على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة وقيل هو ما
من الاسرة من عالي الثياب وقيل هو ضرب من البسط او البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق
وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف
السحاب هيدبه وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن
فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف
على احد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقري ككذا بنسبة الى عباقر في اسم البلد
فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس له فيه تقرير لما ذكر في
السورة الكريمة من الآلاء الفائضة على الانام اي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة
من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الامور التي من
جملتها الجحود بنعمائه والتكذيب بها واذا كان حال الاسم بملابسته ودلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس
الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام
وصف الرب بالجلال لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى

سورة الواقعة

اذا وقعت الواقعة اي اذا حدثت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان
بتحقق وقوعها لا محالة كانها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط
كانه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة
كانه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال ما لا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله
ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى او تكذب في نفيها
كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الاول
اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعاقبة اي ليس لاجل وقعتها وفي
حقها كذب اصلا بل كل ما ورد في شأنها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى خافضة
رافعة خبر مبتدأ محذوف اي هي خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها
فان الوقائع العظام شأنها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات
ورفع السعداء الى الدرجات من زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب
واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل
وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى اذا رجت الارض رجا اي
زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة اي تخفض وترفع
وقت رج الارض اذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض او بدل من اذا وقعت
وبست الجبال بسا اي فتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته
او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ
رجت وبست اي ارتجت وذهبت فكانت اي فصارت بسبب ذلك هباء غبارا
منبثا منتشرا وكنتم اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط
ازواجا اي اصنافا ثلاثة فكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود او في الذكر فهو زوج
وقوله تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة تقسيم وتنويع
للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله فاصحاب الميمنة مبتدأ
وقوله ما اصحاب الميمنة خبره على ان ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر الاول
والاصل ما هم اي اي شيء هم في حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة
لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير
لكونه ادخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والمراد
تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنة في غاية حسن
الحال واصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال واختلفوا في الفريقين فقيل اصحاب الميمنة اصحاب
المنزلة السنية واصحاب المشأمة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن وتشأمهم
بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم

ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة
فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعاتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى والسابقون
السابقون هو القسم الثالث من الازواج الثلثة ولعل تاخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام
واقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق
مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضا فقيل هم الذين
سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة
الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات واياما
كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم
كقول ابي النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم شانهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم
عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى الطاعة السابقون الى رحمته او السابقون
الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى اولئك اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده
اي اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون اي الذين قربت الى العرش العظيم
درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا اظهر ما ذكر في اعراب
هذه الجمل واشهره والذي تقتضيه جزالة التنزيل ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف
وكذا قوله تعالى واصحاب المشئمة وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس
الى الاقسام الثلثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك
باسنادها اليها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة والآخر اصحاب المشئمة والثالث السابقون
خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن
ترامي احوالهما في الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا
على ان ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على ما راه سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما بعدها
فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا اصحاب
الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال في ما اصحاب المشئمة واما القسم الاخير فحيث قرن بيان
محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار في مقام
الاضمار للتفخيم واولئك مبتدأ ثان او بدل من الاول وما بعده خبر له او للثاني والجملة خبر للاول
وقوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اي كائنين في جنات النعيم
وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد
مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى ثلة من الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هم امة كثيرة من الاولين

وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام وقليل
من الآخرين اي من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه السلام ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية
سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة لا تمنع اكثرية تابعي هؤلاء من تابعي اولئك
ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين
في نفسها لا تنافي اكثرية احدهما من الآخر وسيأتي ان الثلتين من هذه الامة وقد روي
مرفوعا ان الاولين والآخرين ههنا ايضا متقدموا هذه الامة ومتأخروهم واشتقاق
الثلة من الثل وهو الكسر على سرر موضونة حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في الحال
الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة
من الوضن وهو النسج متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على
سرر اي مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض وصفوا
بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم حال اخرى او استئناف
اي يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم
لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم تكن لهم حسنات
يثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي ذلك عن علي رضي الله عنه وعن الحسن
وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب بآنية لا عرى لها ولا خراطيم واباريق
اي آنية ذات عرى وخراطيم وكاس من معين اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكاس
لانها لا تسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر
صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون اي لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون
وقرئ لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم بعضا ولا ينزفون اي لا يسكرون من انزف الشارب
اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه ويأخذون خيره وافضله ولحم طير
مما يشتهون اي يتمنون وقرئ ولحوم طير وحور عين بالرفع عطف على ولدان او مبتدأ محذوف
الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم
ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب
وبالنصب اي ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزاء بما كانوا
يعملون مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزاء لا يسمعون
فيها لغوا اي باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اي لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون
فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما
والمعنى انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلاما

الا خبرا او ردا وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب اليمين شروع في تفصيل ما اجمل
عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى ما اصحاب اليمين جملة
استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها اما الرفع على انها
خبر للمبتدأ او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى في سدر مخضود وهو على الاول خبر ثان للمبتدأ او خبر
لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب اليمين من علو الشأن اي هم
في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكه اي قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه
لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح منضود قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه
ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن
السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله تعالى عنه انه قرأ وطلع
وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نحولها فقال آي القرآن لا تهاج ولا تحول وعن
ابن عباس رضي الله عنه نحوه وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر
وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم اينما شاءوا وكيفما ارادوا بلا تعب او مصبوب سائل
يجري على الارض في غير اخدود وكأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب
اليمين بأكمل ما يتصور لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع
والاجناس لا مقطوعة في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن متناولها
بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك
فاكهة الخ كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة
على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك
قال تعالى هم وازواجهم على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير
الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع عليهن لا لانه بينه والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء
جديدا او ابدعنا من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا
عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن
وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا جمع عروب وهي المتحببة الى
زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء اترابا مستويات في السن بنات ثلث
وثلثين سنة وكذا ازواجهن واللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين متعلقة بانشأنا او جعلنا
او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساوله في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي
كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدأ محذوف اي هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ثلة من
الاولين وثلة من الآخرين وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف خبر عنه اي فئة اصحاب اليمين اي هم
امة من الاولين وامة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك

ثلة من الاولين اي من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة في آخر الزمان وعن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتي
واصحاب الشمال شروع في تفصيل احوالهم التي اشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد
تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى ما اصحاب الشمال عين ما فصل في نظيره وكذا
في قوله تعالى في سموم وحميم والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة وظل من
يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظل ولا كريم فيه خير ما في الجملة سمي ذلك ظلا ثم نفي
عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد
ولا كريم اي لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما
ذكر من العذاب اي انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بانواع النعم من
المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها
وكانوا يصرون على الحنث العظيم اي الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام
الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب
لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل
عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو
نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون
للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة
منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان لتأكيد الانكار لا لانكار
التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى
افلا تعقلون على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور
وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية
ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم
في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى اوآباؤنا الاولون لتأكيد
النكير والواو للعطف على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك الفصل بالهمزة يعنون ان بعث
آبائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرئ أوآباؤنا قل ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين
والآخرين من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم وفي تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث كان
انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث
وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من
كخاتم فضة ثم انكم ايها الضالون عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا

لبين

او رتبة المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون بعد البعث والجمع ودخول
جهنم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اي مبتدئون
الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو وصف لشجر اي كائن من زقوم فمالئون
منها البطون اي بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث من الحميم
اي الماء الحار في الغاية وتانيث ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ
من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للاكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله
على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اي لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل
التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على
انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف و
فعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم
الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤوا منه بطونهم وهو في غاية المرارة والحرارة سلط عليهم
من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب
الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه اسم للمشروب هذا الذي ذكر من الوان
العذاب نزلهم يوم الدين اي يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر
فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمانت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى
وقرئ نزلهم بسكون الزاء تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن
غير داخلة تحت القول وقوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له الى
الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اي فهلا تصدقون بالخلق
اي لا تحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه فليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا
عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا
افرايتم ما تمنون اي تقذفون في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى امناها
ءانتم تخلقونه اي تقدرونه وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون له من غير دخل شيء
فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير
وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التاكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت
اي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة
وقرئ قدرنا مخففا وما نحن بمسبوقين اي انا قادرون على ان نبدل امثالكم لا يغلبنا احد
على ان نذهبكم ونأتي مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار
ولا تعهدون بمثلها قال الحسن رح اي نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث
على غير صوركم في الدنيا فمن هذا شانه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا احد فيهرب

من الموت او يغير وقته وعلى ان نبدل اما حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير وعلى بمعنى
اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشاة الاولى هي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
وقيل هي فطرة آدم عليه السلام من التراب فلولا تذكرون فهلا تتذكرون ان من قدر عليها
قدر على النشاة الاخرى حتما فانه اقل صنعا لحصول المواد وتخصص الاجزاء وسبق المثال
وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الذكر وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب
بالنشاة الاخرة وهو يرى النشاة الاولى وعجبا للمصدق بالنشاة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور
افرايتم ما تحرثون اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه
نباتا يرف ام نحن الزارعون اي المنبتون له لا انتم والكلام في ام كما مر آنفا لو نشاء
لجعلناه حطاما هشيما متكسرا متفتتا بعدما انبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله
فظلتم بسبب ذلك تفكهون تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون
من الحال او تندمون على ما تعبتم فيه وانفقتم عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصي فتتحدثون
فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون اي
تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون اي لملزمون غرامة
ما انفقنا او مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ ائنا على الاستفهام
والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اي قائلين
او تقولون انا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محارفون محدودون
لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون افرايتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا وتخصيصه بهذا
الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به ءانتم انزلتموه
من المزن اي من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون
له بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها
في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب في الاهمية
وصعوبة الفقد والشرطيتان مستانفتان مسوقتان لبيان ان عصمته تعالى للزرع والماء
عما يخل بالتمتع بهما نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى
فلولا تشكرون تحضيض على شكر الكل افرايتم النار التي تورون اي تقدحونها وتستخرجونها
من الزناد ءانتم انشاتم شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار ام نحن المنشئون
لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة
والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الاشجار التي لا تخلو عن النار حتى قيل
في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى ثم انشاناه
خلقا آخر لذلك وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استئناف مبين لمنافعها اي جعلناها

تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويتذكروا ما أوعدوا به من
نار جهنم أو تذكرة وأنموذجا من جهنم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد
بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في أمر البعث فإنه ليس أبدع من إخراج النار
من الشيء الرطب ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر وتخصيصهم بذلك
لأنهم أحوج إليها فإن المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا مضطرين إلى الاقتداح بالزناد و
قد جوز أن يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم اختصاص حاجتهم
وسد خلتهم فيما لا يؤكل إلا بالطبخ وتأخير ذكر المنفعة للتنبيه على أن الأهم هو النفع الأخروي والفاء
في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه وروائع
نعمه الموجبة لتسبيحه إما تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته الكافرون لنعمته مع عظمها
وكثرتها أو تعجبا من أمرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكرا
على تلك النعم السابغة أي فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فإن إطلاق اسم الشيء ذكر له
والعظيم صفة للاسم أو الرب فلا أقسم أي فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم أو فلا
أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم أو فلا رد لكلام يخالف
المقسم عليه وأما ما قيل من أن المعنى فلا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم فيأباه تعيين المقسم به
وتفخيم شأن القسم به بمواقع النجوم أي بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها
من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو لأن ذلك وقت قيام المتهجدين و
المبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلها ومجاريها فإن له تعالى في ذلك من
الدليل على عظيم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات
نزولها وقوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض قصد به المبالغة في تحقيق مضمون
الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله وإنه لقسم بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى إنه لقرآن
كريم أي كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضي
أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو إما متروك أريد به
نفي علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أي لعظمتموه أو لعملتم بموجبه في كتاب مكنون أي مصون من
غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه إلا المطهرون إما صفة أخرى لكتاب
فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الأوزار أو للقرآن
فالمراد بهم المطهرون من الأحداث فيكون نفيا بمعنى النهي أي لا ينبغي أن يمسه إلا من كان على طهارة
من الناس على طريقة قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أي لا ينبغي له
أن يظلمه أو يسلمه إلى من يظلمه وقيل لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون
بالإدغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أي أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار وغيره

تنزيل من رب العالمين صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا
أفبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله وهو القرآن الكريم أنتم
مدهنون أي متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون
رزقكم أي شكر رزقكم أنكم تكذبون أي تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم
أنكم تكذبون أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون
شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى الأنواء والأول
هو الأوفق لسياق النظم الكريم وسياقه فإن قوله عز وجل فلولا إذا بلغت الحلقوم إلى آخره
تبكيت مبني على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم إلى هنا من القوارع الدالة على كونهم
تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم
كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لإظهار عجزهم وإذا ظرفية أي فهلا إذا بلغت النفس أي
الروح وقيل نفس أحدكم الحلقوم وتداعت إلى الخروج وأنتم حينئذ أيها الحاضرون حول
صاحبها تنظرون إلى ما هو فيه من الغمرات ونحن أقرب إليه علما وقدرة وتصرفا منكم
حيث لا تعرفون من حاله إلا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها
وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع أدنى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا
وقدرتنا أو بملائكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى
فلولا إن كنتم غير مدينين أي غير مربوبين من دان السلطان رعيته إذا ساسهم واستعبدهم
ناظر إلى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فإن التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى
ترجعونها أي النفس إلى مقرها هو العامل في إذا والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية مكررة للتأكيد
وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى إن كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا إياكم
فهلا ترجعون النفس إلى مقرها عند بلوغها الحلقوم إن كنتم صادقين في اعتقادكم فإن عدم
تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى فأما إن
كان من المقربين إلخ شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة أي
فأما إن كان الذي بين حاله من السابقين من الأزواج الثلاثة عبر عنهم بأجل أوصافهم فروح
أي فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لأنها سبب لحياة المرحوم وبالحياة
الدائمة وريحان ورزق وجنة نعيم أي ذات تنعم وأما إن كان من أصحاب اليمين عبر عنهم
بالعنوان السابق إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين
الآخرين وقوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين إخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما
يفصح عنه اللام لا حكاية إنشاء سلام بعضهم على بعض وإلا لقيل عليك والالتفات إلى خطاب كل واحد
منهم للتشريف وأما إن كان من المكذبين الضالين وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما

وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا
بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل اى فله نزل كائن من حميم يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل
فيما قبل وتصلية جحيم اى ادخال فى النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل ذلك
ما يجده فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذى ذكر فى السورة الكريمة لهو حق اليقين اى
حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب
التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقيته مما فصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب
تنزيهه تعالى عما لا يليق بشانه الجليل من الامور التى من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته
الناطقة بالحق عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد

سبح لله ما فى السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه
سبحانه من سبح فى الارض والماء اذا ذهب وابعد فيهما وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء ايضا
فان ما فى السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر فى آية
الكرسى اريد به معنى عام مجازى شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين و
لسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم
الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شئ الا يسبح
بحمده وهو متعد بنفسه كما فى قوله تعالى وتسبحوه واللام اما مزيدة للتاكيد كما فى نصحت له وشكرت له
او تعليل اى فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه فى بعض الفواتح ماضيا وفى البعض مضارعا
للايذان بتحققه فى جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من شانه التسبيح الاختيارى ان
يسبحه تعالى فى جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو العزيز
القادر الغالب الذى لا يمانعه ولا ينازعه شئ الحكيم الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة و
الجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات والارض اى
التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات
مما نعلمه وما لا نعلمه وقوله تعالى يحيى ويميت استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضمير له
ليس كما ينبغى وهو على كل شئ من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير
مبالغ فى القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات لما انه مبدئها ومبدعها والآخر
الباقى بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة
اذا قطع النظر عن علتها فهى فانية والظاهر وجوده لكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقته فلا تحوم
حولها العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين

فهو متصف باستمرار الوجود فى جميع الاوقات فى الظهور والخفاء وهو بكل شئ عليم لا يعزب
عن علمه شئ من الظاهر والخفى هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى
على العرش بيان لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما
ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه فى سورة سبأ وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة علمه بهم
وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم
فتأخيره عن الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل
عليه وقوله تعالى له ملك السموات والارض تكرير للتاكيد وتمهيد لقوله تعالى والى الله ترجع الامور
اى اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا
وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل مر تفسيره مرارا
وقوله تعالى وهو عليم اى مبالغ فى العلم بذات الصدور اى بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه
بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التى يظهرونها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما
جعلكم مستخلفين فيه اى جعلكم خلفاء فى التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الا

سؤال

موال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى الانفاق فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة
الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء ممن قبلكم فيما كان
بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا
تبخلوا به فالذين آمنوا منكم وانفقوا حسبما امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات
ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير
ووصف بالكبير وقوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان
حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم فى ذلك عذر ما فى الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير فى
لكم والعامل فيه ما فيه من معنى الاستقرار اى اى شئ سبب حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار
والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما فى قوله تعالى وما لى لا اعبد
الذى فطرنى فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما فى اتضرب اباك واخرى
لانكار الوقوع كما فى أأضرب ابى كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه
فقط كما فيما نحن فيه وفى قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا
فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفى سببه وقد يكون لانكار سبب
الوقوع ونفيه مفضيا الى انكار المسبب ايضا كما فى قوله تعالى وما لى لا اعبد الخ فيكون مضمون الجملة الحالية
مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفى سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب
عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اى واى عذر فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم

عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل
وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين
لموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه هو الذي ينزل على عبده حسبما يعن لكم من المصالح
آيات بينات واضحات ليخرجكم اي الله تعالى او العبد بها من الظلمات الى النور من ظلمات
الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤوف رحيم حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول
وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله توبيخ لهم
على ترك الانفاق المامور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم في ذلك ايضا عذر
من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ
اي واي شيء لكم في ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه
الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل لا تنفقوا و
مفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد
في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال بالآخرة
لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله
في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كانه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى
لكم منها شيء بل تبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية
المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين
حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري
الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه
من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة
ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع بالنظر
الى معنى من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك
المنعوتون بذينك النعتين الجميلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا
لانهم انما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة
بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي عم
لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين
ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اي كل واحد من الفريقين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اي وكل
وعده الله والله بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية في ابي

في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب
ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله
الى الانفاق في سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي
ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه
وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى
كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه
الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد
ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدأ اي فهو يضاعفه
وقرئ يضعفه بالرفع والنصب يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم
او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من
مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل هو هداهم وبايمانهم كتبهم اي
يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضي
يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم
نورا من نوره على ابهام رجله ينطفئ تارة ويلمع اخرى وقال الحسن يستضيئون على الصراط وقال
مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر بقول هو او استئناف اي يقال
لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنان المخلدة هو الفوز العظيم الذي لا غاية وراءه
وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين
آمنوا انظرونا اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف
على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل
اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم اي نستضيء منه واصله اتخاذ
القبس قيل طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين او من جهة الملائكة ارجعوا وراءكم اي
الموقف فالتمسوا نورا فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان
والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان لا نور وراءهم و
انما قالوه تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين
الفريقين بسور اي حائط والباء زائدة له باب باطنه اي باطن السور او الباب وهو الجانب الذي
يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذي يلي النار من قبله من جهته العذاب وقرئ
فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعلون

بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب وقبيل بعده ينادونهم الم نكن في الدنيا معكم يريدون به موافقتهم
لهم في الظاهر قالوا بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها
وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم في امر الدين وغرتكم الاماني الفارغة التي من جملتها الطمع
في انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اي الموت وغركم بالله الغرور اي غركم الشيطان
بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرئ تؤخذ
بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا وباطنا مأواكم النار لا تبرحونها ابدا هي مولاكم اي
اولى بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه
لكريم او مكانكم عن قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها وبئس المصير اي النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع
قلوبهم لذكر الله استئناف ناع عليهم تثاقلهم في امور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء
لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا
اصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا
وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما استبطأ الله قلوب المؤمنين
فعاتبهم على رأس ثلث عشرة سنة من نزول القرآن اي الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره
وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا
فتور من انى الامر اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ الما يأن
وفيه دلالة على ان المنفي متوقع وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو
المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا
فالعطف كما في قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته
زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه
من الاحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا
للمفعول ومبنيا للفاعل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على ان تخشع وقرئ
بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب
بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة
والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال اي
الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من الكتابين فقست قلوبهم
فهي كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابيهم
بالكلية اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة
باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الآيات التي

من جملتها هذه الآيات لعلكم تعقلون كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة
الدارين ان المصدقين والمصدقات اي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ
بتخفيف الصاد من التصديق اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو
عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القراءتين وعيب
بان فيه فصلا بين اجزاء الصلة باجنبي وهو المصدقات واجيب بان المعنى ان الناس الذين
تصدقوا وتصدقن واقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات
ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا
واخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات
لهم كذا لكن لا على ان مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما في المثال المذكور بل
زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روي انه عليه السلام
قال يا معشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف
على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة
النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده
من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف اي ثواب التصدق وقرئ على البناء
للفاعل اي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم مر ما فيه من الكلام
والذين آمنوا بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة اولئك
اشارة الى الموصول الذي هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره
مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى هم مبتدأ ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره
خبر للثاني وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول
اي اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم
الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله تعالى او هم المبالغون في الصدق
حيث آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم
بالايمان او على الامم يوم القيامة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به
من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول والخبر هو
الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخريان
للصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال
وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل
هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما
للفريقين الاخيرين بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل

بدون الاضعاف واما على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعود
ان لهم هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل
الخبر لهم اجرهم الخ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة
القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد بعدما بين حال الفريقين في الآخرة شرح
حال الحيوة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني واشير الى انها من محقرات الامور التي لا
يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وانها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة
الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اي الحراث نباته اي النبات الحاصل به
ثم يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعدما رأيته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا
وانما لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك
ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب
لانه في معنى الوصف وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا بتقدير المضاف اي مثل
الحيوة الدنيا كمثل الخ وبعدما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها
اشير الى فخامة شان الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها
المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لانه
من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الحيوة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان
عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة
الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الآخرة فاما اذا دعتك
الى طلب رضوان الله فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اي سارعوا مسارعة
المسابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم اي الى موجباتها من الاعمال
الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك
فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على
التحلية اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان
وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه
تفضلا واحسانا من يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك
يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب
وعاهة في الزروع والثمار ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب اي الا مكتوبة في علم الله
او في اللوح من قبل ان نبرأها اي نخلق الانفس او المصائب او الارض ان ذلك اي
اثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اخبرنا

بذلك لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم اي اعطاكم الله تعالى
منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه
على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما اتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بان
فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها
ويبقيها وقرئ بما اوتيتم والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب
للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ
الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح
المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال
فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول
فان الله هو الغني الحميد فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود
في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان
الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة
الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اي الحجج والمعجزات وانزلنا
معهم الكتاب اي جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط
اي بالعدل روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل
اريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل آدم عليه السلام
من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة
وروي ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام
وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى فيه بأس شديد لان
آلات الحروب انما تتخذ منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد
آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله عطف على محذوف يدل عليه
ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره
ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف
مؤخر والواو اعتراضية اي وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم
الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله اي غائبا منهم او غائبين منه
وقوله تعالى ان الله قوي عزيز اعتراض تذييلي جيء به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد
وتعريضهم للقتال ليس لحاجة في اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا
بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غني بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريده ولقد
ارسلنا نوحا وابرهيم نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لاظهار

مزيد الاغناء بالامر اي وبالله لقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل الكتاب الخط بالقلم فمنهم اي من الذرية
او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد اي الحق وكثير منهم فاسقون
خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة
الضلال وكثرتهم ثم قفينا على آثارهم برسلنا اي ثم ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا
بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى ابن مريم والضمير لنوح وابرهيم
ومن ارسلا اليهم او من عاصرهم من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه
الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب وجعلنا في قلوب
الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم
ونحوه في شان اصحاب النبي عليه السلام رحماء بينهم ورهبانية منصوبة بفعل يفسره
الظاهر اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة
لها اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اي وفقناهم للتراحم
بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة في العبادة بالرياضة والانقطاع
عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان
من خشي وقرئت بضم الراء كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان
وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عم فقاتلوهم ثلث مرات
فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال
فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تع ما كتبناها عليهم جملة مستانفة وقيل صفة اخرى
لرهبانية والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تع الا ابتغاء رضوان الله
استثناء منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم راسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله
فذمهم بقوله تع فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لا سيما
اذا قصد به رضاه تع وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من
اعم العلل اي ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها
رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يراعوها حق رعايتها و
يحافظوا عليها فما رعاها كلهم بل بعضهم فآتينا الذين آمنوا منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان
برسول الله عليه السلام بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعث لغو
محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر اجرهم اي ما يخصهم من الاجر وكثير منهم
فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية
قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة عن غير تعرض

لايمانهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام يا ايها الذين
آمنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم
وفي اطلاقه ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين نصيبين
من رحمته لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شرايعهم باقية
بعد البعثة بل على انها كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيمة حسبما نطق به
قوله تع يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور
رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعا لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة
الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا
لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم و
يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تع ان لا يقدرون على شيء من فضل الله
مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول
يعلم اي ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة
ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تع وان الفضل
بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه من يشاء خبر ثان لان وقيل هو
الخبر والجار حال لازمة وقوله تع والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله
واثبتوا على ايمانكم برسول صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين
في قوله تع اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين
لا تفرقون بين احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم
يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها
بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وقرئ ان لا يقدروا ايذانا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون
للنبي عليه السلام واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي عليه السلام
والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان
عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تع وان الفضل بيد الله عطفا
على ان لا يعلم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة

قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي تحاورك
الكلام في شانه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك اي تسائلك

وتشتكي الى الله عطف على تجادلك اي تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله اي تجادلك وهي
متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت
اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فشق عليها ذلك فاستفتت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه
وفي رواية ما اراك الا قد حرمت عليه في المرار كلها فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي وجعلت
تراجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكلما قال عليه السلام حرمت عليه هتفت وشكت الى الله
فنزلت وفي كلمة قد اشعار بان الرسول عليه السلام والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله تعالى
حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي انه عليه السلام قال لها
ما عندي في امرك شيء وانها كانت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل
على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى
بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع
حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة
استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى
ومدافعته عليه السلام اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي
الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق
اي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاوركما ويرى ما يقارنه من الهيئات
التي من جملتها رفع راسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموقعين
لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى الذين
يظاهرون منكم من نسائهم شروع في بيان شأن الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا
بطريق الاستئناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر
تفصيله في الاحزاب والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب
وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون
من اظاهر ويظاهرون ويتظهرون وقوله تعالى ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم
على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم ان امهاتهم اي ما هن
الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من المرضعات وازواج
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من
الامومة وانهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا من القول على ان مناط التأكيد ليس صدور
القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره
ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي محرفا عن الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ

في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تعالى والذين
يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا
بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اي والذين يقولون ذلك القول
المنكر ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في
قوله تعالى ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما في قوله هدانا لهذا وقوله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحي الى نوح فتحرير رقبة
اي فتداركه او فعليه او فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة كانت وعند الشافعي رح يشترط
الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل
ما قالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله
تعالى ونرثه ما يقول اي المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير
رقبة من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا
ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود
حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستأنف عند ابي حنيفة رح ذلكم اشارة الى
الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات
مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم
للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم
وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الاعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية
الظهار خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا
بشيء منها فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان
يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطأ فمن لم يستطع اي الصيام بسبب من الاسباب فاطعام
ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن
لا يستأنف ان مس في خلال الاطعام ذلك اشارة لما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه
عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء او النصب بمضمر معلل بما
بعده اي ذلك واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم
وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد
لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب
اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون
الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعاديين كما انه يكون في عدوة وشق
غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير ان لورود المحادة في اثناء ذكر حدود الله

دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا اي اخزوا وقيل خذلوا و
وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون
على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم
الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا اي كبتوا
لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما
فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الآيات او بكل
ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم
يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما
لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم
بما عملوا من القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشاة بما يليق بها من الصور الهائلة
على رؤس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى احصاه الله
استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها كأنه قيل
كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض متقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يفته منه شيء
فقوله تعالى ونسوه حينئذ حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور او قيل لم ينبئهم
بذلك فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله
وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر
من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما
في الارض استشهاد على شمول شهادته كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وفي
قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينيا مشابها للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات
سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الخ استئناف
مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا
لتانيث النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر اي من مسارتهم على ان نجوى
مضافة الى ثلاثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اي من اهل نجوى ثلاثة او بجعلهم نجوى
في انفسهم مبالغة الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع
عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص
العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الاية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب
عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين
ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل
من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض

فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم
وقرئ ينبئهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل
شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون
لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا
راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه السلام
والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته
العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول عطف عليه داخل في حكمه اي بما
هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه السلام بعنوان الرسالة بين
المخاطبين المتوجهين اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ وينتجون
بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله
فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ويقولون
في انفسهم اي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا
حسبهم جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم في انديتكم
او في خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا
تنتجوا ولا تناجوا بحذف احدى التائين وتناجوا بالبر والتقوى اي بما يتضمن خير المؤمنين و
الاتقاء عن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم واتقوا الله الذي اليه تحشرون وحده لا
الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وتذرون انما النجوى المعهودة التي
هي التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى
ليحزن الذين آمنوا خبر آخر اي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم
اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن
الله اي بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره وضرره
يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من
قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس متعلق بقيل وقرئ في المجلس على
ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون تنافسا في
القرب منه عليه السلام وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي
مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل ياتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على
الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا
فيه فافسحوا يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر
وغيرها واذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلوة او جهاد

او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا تثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايواء الى غرف الجنان في الاخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من اثري العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وان كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتانية يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه السلام فقدموا بين يدي نجواكم صدقة اي فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وانتفاع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه السلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي اخفتم الفقر من تقديم الصدقات او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان رخص ان لا تفعلوها وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضي وقيل بمعنى اذا كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي فاذ فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلوة وايتاء الزكوة واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اي الم تنظر الى الذين تولوا اي والوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود وكما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة

ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روي انه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروه لاهل الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما على القراءة الاولى فهي عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اي الناس عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بانفسنا واموالنا واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها هم فيها خالدون لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اي لله تعالى يومئذ على انهم مسلمين كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الاخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شيء من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اي استولى عليهم من حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وسقتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اي ملكهم فانساهم ذكر الله لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان اي جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق واظهار المتضايفين معا في موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من

فنون التأكيد ما لا يخفى ان الذين يحادون الله ورسوله استئناف مسوق لتعليل ما قبله من كون
حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على ان موادة من حاد الله ورسوله محادة
لهما والاشعار بعلة الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الاذلين اي في جملة من هو
اذل خلق الله من الاولين والاخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الاخر وحيث كانت
عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك كتب الله استئناف وارد لتعليل
كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به
فقيل لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة والسيف وما يجري مجراه او باحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء
ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى يوادون من حاد الله
ورسوله مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة اخرى اي قوما
جامعين بين الايمان بالله واليوم الاخر وبين موادة اعداء الله ورسوله والمراد بنفي الوجدان
نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل
احد ولو كانوا اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار
لفظها اباءهم اباء المؤادين او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى
ان يهجر الجميع بالمرة والكلام في تقدم على التفصيل مرارا اولئك اشارة الى الذين لا يوادون
وان كانوا اقرب الناس اليهم وامسهم رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو
مبتدأ خبره كتب في قلوبهم الايمان اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان
فان جزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اي قواهم
بروح منه اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان
لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم الخ بيان لاثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه
الدنيوية اي ويدخلهم في الاخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابد الابدين وقوله تعالى
رضي الله عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من اثار رحمته العاجلة والاجلة وقوله تعالى
ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا واجلا وقوله تعالى اولئك حزب الله تشريف لهم
ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين والكلام
في تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر في مثلها عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد
وتكرير الموصول ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي انه
صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام
نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم وعاهدهم ان لا يكونوا له
ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم
احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند
الكعبة على قتاله عليه السلام فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه
من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عشرة ايام ليتجهزوا
للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا
نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي عليه السلام احدى وعشرين
ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء
على ان يحمل كل ثلثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات
الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة
فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله تعالى والله على كل شيء قدير وقوله تعالى هو الذي اخرج
الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض اثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تعالى
بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما
بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام او على جعله مستعارا لاسم الاشارة
كما في قوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به
اي بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج كأنه في الجلد توليع البهق كما هو المشهور كأنه قيل ذلك
المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج الخ وفيه اشعار بان في الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى
لاول الحشر اي في اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من
اخرج من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم واخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من
خيبر الى الشام وقيل اخر حشرهم حشر يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها
المسلمون ان يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم وظنوا
انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من بأس الله وتغيير النظم بتقديم
الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في
انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم ويجوز ان
يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية فأتاهم الله اي امر الله تعالى وقدره المقدور
لهم من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما
اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة وقيل الضمير في اتاهم ولم

يجتنبوا للمؤمنين أي فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم أي فآتاهم الله العذاب أو النصرة
وقذف في قلوبهم الرعب أي أثبت فيها الخوف الذي يرعبها أي يملؤها يخربون بيوتهم
بأيديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة أفواه الأزقة ولئلا يبقى بعد جلائهم
مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وأيدي المؤمنين
حيث كانوا يخربونها إزالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم وإسناد
هذا إليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم إياه وأمروهم به والجملة حال أو تفسير للرعب
وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الإخراب التعطيل أو ترك الشيء خرابا والتخريب النقض
والهدم فاعتبروا يا أولي الأبصار فاتعظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة على وجه لا
يكاد يهتدي إليه الأفكار واتقوا مباشرة ما أداهم إليه من الكفر والمعاصي أو انتقلوا من
حال الفريقين إلى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب بل توكلوا على الله عز وجل
وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء أي الخروج
عن أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة
عذاب النار استئناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا
بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ذلك أي ما حاق بهم وما سيحيق بأنهم بسبب أنهم
شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق
الله كما في الأنفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها المشاقة له عليه السلام وليوافق قوله
فإن الله شديد العقاب وهو إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد أي عند من يقدره
أي شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب وأياما
كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك
الذي حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم الله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله
كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فإذن لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة
أي أي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة و
تجمع على ألوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهي النخلة الكريمة أو تركتموها الضمير لما وتأنيثه لتفسيره
باللينة كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على أصولها كما كانت
من غير أن تتعرضوا لها بشيء ما وقرئ على أصلها إما على الاكتفاء من الواو بالضم أو على أنه جمع
كرهن وقرئ قائما على أصوله ذهابا إلى لفظ ما فبإذن الله فذلك أي قطعها وتركها بأمر الله تعالى
وليخزي الفاسقين أي وليذل اليهود ويغيظهم أذن في قطعها وتركها لأنهم إذا رأوا المؤمنين
يتحكمون في أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤوا من القطع والترك يزدادون غيظا
ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم وإحراق زروعهم

زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع إن كانت من الألوان ليستبقوا العجوة والبرنية
اللتين هما كرام النخيل وإن كانت هي الكرام ليكون غيظهم أشد وقوله تعالى وما أفاء الله على رسوله
شروع في بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل
بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع أي ما أعاده إليه منهم وفيه إشعار بأنه كان حقيقا بأن يكون
له عليه السلام وإنما وقع في أيديهم بغير حق فرجعه الله تعالى إلى مستحقه لأنه تعالى خلق الناس
لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين منهم أي من بني النضير
فما أوجفتم عليه أي فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب
هي ما يركب من الإبل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها لا غير وأما راكب الفرس فإنما يسمونه
فارسا ولا واحد لها من لفظها وإنما الواحد منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم
مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا إليها رجالا
وما كان فيهم راكب إلا النبي صلى الله عليه وسلم فافتتحها صلحا من غير أن يجري بينهم مسايفة
كأنه قيل وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط
رسله على من يشاء أي سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطا خاصا
وقد سلط النبي عليه السلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب
وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في أموالهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء
تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها وقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى
بيان لمصارف الفيء بعد بيان إفاءته عليه عليه السلام من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق وإعادة
عين العبارة الأولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم للإشعار بشمول ما لعقاراتهم
أيضا فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفيء
قيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله إلى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لأن
ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإمام على قول وإلى العساكر
والثغور على قول وإلى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فإنه صلى الله عليه وسلم كان
يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كيلا يكون
أي الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهي ما يدول للإنسان
أي يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها
أو بالضم في المال وبالفتح في النصرة أي كيلا يكون جدا بين الأغنياء منكم تتكاثرون به أو كيلا يكون
دولة جاهلية بينكم فإن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل
الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الأغنياء
بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول

بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان
تامة اي كيلا يقع دولة على ما فصل من المقال وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكموه من الفيء او من الامر
فخذوه فانه حلال لكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه
واتقوا الله في مخالفته عليه السلام ان الله شديد العقاب فيعاقب من يخالف امره ونهيه
للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول صلعم لا يسمى فقيرا ومن اعطى
اغنياء ذوي القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص الفقراء بفيء بني النضير فيضعف ظاهر الذين
اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا
منها يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا
اولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب
تفخيم شأنهم ويؤكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة اي ناوين لنصرة
الله ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة
اي نصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق
حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا والذين تبوءوا الدار والايمان كلام مستأنف سيق لمدح
الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم احسن رضا واكمله
ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة
المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا
وماء باردا وقيل المعنى تبوءوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه
من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشأه من قبلهم اي من قبل
هجرة المهاجرين على المعنى الاول ومن قبل تبوء المهاجرين على الاخيرين ويجوز ان يجعل اتخاذ
الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعاني الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها
اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن
اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر
اليهم خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اي
في نفوسهم حاجة اي شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اي ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة
كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اي مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون
اي يقدمون المهاجرين على انفسهم في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان
ينزل عن احديهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اي حاجة وخلة واصلها خصاص البيت
وهي فروجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي صلعم قسم اموال بني النضير على
المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف

والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في
هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة فقالت الانصار بل
نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في ان
قوله تعالى والذين تبوءوا الخ استئناف غير معطوف على الفقراء والمهاجرين نعم يجوز عطفه عليهم
فان ذلك انما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما
عطف عليه استئنافا مقررا لصدقهم او حالا من ضمير تبوءوا ومن يوق شح نفسه الشح بالضم
والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي
هو البخل اي ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق
فاولئك اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون الفائزون
بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوق
بالتشديد والذين جاءوا من بعدهم هم الذين هاجروا بعدما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم
المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وايا ما كان
فالموصول مبتدأ خبره يقولون الى آخره والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم
لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كما ان ما عطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار
اي يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اي في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين
سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهما
الحقد للذين آمنوا على الاطلاق ربنا انك رؤف رحيم اي مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بان
تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة
والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف
طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الخ
استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته
واللام في قوله تعالى لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم في
الكفر او صداقتهم وموالاتهم واللام في قوله تعالى لئن اخرجتم اي من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله
لنخرجن معكم جواب القسم اي والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن في صحبتكم اينما ذهبتم
ولا نطيع فيكم اي في شأنكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال الزمان وقيل لا نطيع في
قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم لهم على ذلك التقدير
ليس مجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم
اي لنعاوننكم على عدوكم على ان دعوتهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله عليه السلام
والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة انها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم

واظهار كفرهم ولا ريب في ان تابعيهم عند ذلك قبلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم والى الخروج
معهم فليس هذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية
لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الخ تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل
على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير
ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير
ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اي المنافقون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور
كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية على انها مصدر
من المبني للمفعول في صدورهم من الله اي رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم
كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى ذلك اي ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اي شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم
اي اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم جميعا اي مجتمعين متفقين في موطن من المواطن
الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط
رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وبالامالة بفتح الدال وجدر وجدر وهما الجدار باسهم بينهم
شديد استيناف مسوق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان باسهم
بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب
تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها ذلك بانهم اي ما ذكر من تشتت
قلوبهم بسبب انهم قوم لا يعقلون اي لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم
وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت
طرقهم وتفرق فنونه واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم
فبمعزل من السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اي مثل المذكورين
من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بني قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل بني النضير قريبا اي في زمان
قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ ذاقوا وبال امرهم اي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا
ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك في الدنيا والآخرة
لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهي ما نطق
به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهي
اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم اخرا وقد اجمل في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين
الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا
من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المنافقين

في اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اي
اغراه على الكفر اغراء الآمر المامور على المامور به فلما كفر قال اني بريء منك وقرئ انا بريء
منك ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيمة كما ينبئ عنه قوله تعالى
اني اخاف الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم
بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء منكم اني
ارى ما لا ترون اني اخاف الله الآية فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما
في النار وقرئ بالعكس وقد مر انه اوضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها على انه خبر
ان وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين اي الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق
دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي في كل ما تاتون وما تذرون ولتنظر
نفس ما قدمت لغد اي اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيمة عبر عنه بذلك لدنوه او
لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه
واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر
نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول في اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده
من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون اي
من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب
اوامره ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا
ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك هم الفا
سعون
الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود في النار
واصحاب الجنة الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر
للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم
فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة
الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام
هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون و
الذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها
ولا دلالة في الآية الكريمة على ان المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون من اموال المسلمين
بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية
النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة هم الفائزون فانه استيناف مبين لكيفية
عدم الاستواء بين الفريقين اي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه لو انزلنا
هذا القرآن العظيم الشان المنطوي على فنون القوارع على جبل من الجبال لرايته مع كونه علما

في القسوة وعدم التأثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اي متشققا منها وقرئ
مصدعا بالادغام وهو تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما نطق
قوله به وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه
وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذي لا اله الا هو وحده عالم الغيب
والشهادة اي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها
وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او
السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو كرر لابراز الاعتناء بامر
التوحيد الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهي لغة فيه
السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ
بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت
همزته هاء العزيز الغالب الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم اي اصلحها المتكبر
الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون
تنزيه له عما يشركونه به تعالى او عن اشراكهم به اثر تعداد صفاته التي لا يمكن ان يشاركه فيها
شيء منها شيء ما اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها
بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها
وكيفياتها كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المعاني الحسنة يسبح له ما في السموات
والارض ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة
فانها مع كثرتها وتشعبها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك
انه لما تجهز رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله عليه السلام
يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا
حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت
فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل علي سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله
صلعم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ
نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ليس فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا

وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره تلقون
اليهم بالمودة اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
او تلقون اليهم اخبار النبي عليه السلام بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل
لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم
دون الفعل او استئناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا
وقرئ لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعلوا ما هو سبب الايمان سببا للكفر يخرجون الرسول
واياكم اي من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استئناف يبين كفرهم وصيغة المضارع لحكاية
الصورة وقوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب و
التفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم
جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي
وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون
اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم اي والحال اني اعلم منكم بما اخفيتم وما اعلنتم
ومطلع رسولي على ما تسرون فاي طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما
موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه في قوله يعلم ما يسرون وما
يعلنون ومن يفعله منكم اي الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب
ان يثقفوكم اي ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها
احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم وودوا
لو تكفرون اي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا
لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة
عليهم يوم القيامة بجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد
يومئذ اي يفرق بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى
يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ يفصل ويفصل
مبنيا للمفعول ويفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون والله بما
تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت لكم اسوة حسنة اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقرئ
في ابراهيم والذين معه اي من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال
من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان
لقومهم انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف
بالمصدر مبالغة ومما تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم
وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دأبنا معكم

حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء
محبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره
عليه السلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما
نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد
على الاعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن الاسوة
انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه
عاقل واما عدم جوازه فلا ولا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون استغفاره
عليه السلام لابيه الكافر مما ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه فمعزول
من السداد بالكلية لابتنائه على تناول النهي لاستغفاره عليه السلام له وانبائه عن كونه مؤتسى به لولم ينه
عنه وكلاهما بين البطلان لما ان مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت
ان استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل ذلك قطعا وان ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا
ما يجوز فعله في الجملة وتجويز ان يكون استغفاره عليه السلام له بعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر
قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا
الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام على الاستغفار و
تخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله سأستغفر لك ربي لورودها
على طريق التوكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر
تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى وما املك لك من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب
على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اي استغفر لك وليس في طاقتي الا الاستغفار فمورد
الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا
للامر الى الله تعالى وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير من تمام ما نقل عن
ابرهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة و
المصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل في جميع امورهم لا سيما
في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا
فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرطنا من الذنوب ربنا انك انت العزيز الغالب الذي
لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير
النداء للمبالغة في التضرع والجؤار هذا واما جعل الآيتين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وامرا لهم بان
يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم
به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اي في ابرهيم ومن معه
اسوة حسنة تكرير للمبالغة في الحث على الائتساء به عليه ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى لمن كان يرجوا

الله واليوم الآخر بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء
بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من اقاربكم المشركين
مودة بان يوافقوكم في الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما رأى منهم من التصلب في الدين والتشدد
في معاداة آبائهم وابنائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده
الكريم حين اتاح لهم الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم والله قدير اي مبالغ
في القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم
فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم
من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم
عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا اليهم اي تفضوا اليهم بالقسط
اي العدل ان الله يحب المقسطين اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة
على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت
فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم
خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه
انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا
على اخراجكم وهم سائر اهلها ان تولوهم بدل اشتمال من الموصول اي انما ينهاكم عن ان
تتولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في موضع العداوة او هم الظالمون
لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين آمنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي
الكافرين اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب
على ظنكم موافقة قلوبهن لالسنتهن في الايمان يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى
ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن
لانه المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات العلم الذي يمكنكم
تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد اللتيا والتي من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد بالامارات
والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن
الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن
اليهم والتكرير اما لتأكيد الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثاني لبيان امتناع النكاح
الجديد وآتوهم ما انفقوا اي واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية
كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم

بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امرأتي
فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان في الرجال دون
النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه
ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن
شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر
جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب اي لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال
ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع
عصمتها منه وعن النخعي رحمه الله هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات
مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التائين من تتمسكوا
واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم
المهاجرات ذلكم الذي ذكر حكم الله وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف
الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي
انه لما نزلت الاية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون
ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اي سبقكم وانفلت
منكم شيء من ازواجكم الى الكفار اي احد من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة
في التعميم او شيء من مهور ازواجكم فعاقبتم اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به
على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء
اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار
عقبى هي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فاعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف و
فتح القاف وكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم
بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل
وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى
يا ايها الذين آمنوا اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اي مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة
نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء على ان لا يشركن
بالله شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
اريد به وأد البنات وقرئ ولا يقتلن بالتشديد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني عنه بالبهتان المفترى بين يديها
ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك في معروف

اي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول عليه السلام
لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر
في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح
امره وظهور اصالته في المبايعة من الصلوة والزكوة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام
وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة
لهن اليها واستغفر لهن الله زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب
من قبله عليه السلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ان الله غفور رحيم اي مبالغ
في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته عليه السلام
لهن يومئذ فروي انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل عليه السلام
يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا
بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وروي انه عليه السلام بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب
قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها والله ما اخذ رسول الله على النساء قط الا بما امره الله
وما مست كف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد
بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمتحنهن بقول الله تعالى
يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى آخر الاية فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن
فقد بايعتكن يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هم عامة الكفرة وقيل
اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم
قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في
التورية المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم
وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال
اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موقع الاضمار
للاشعار بعلة يأسهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في نظيره يا ايها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه
اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان النازل قوله تعالى ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا بين الاختلال وروي انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال
الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم

وانفسكم فولوا يوم احد وفيه ان التزام ان ترتيب الآية الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله
بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد
فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن
وهكذا وقيل كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل
وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولم مركبة
من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما في عم وفيم
ونظائرهما معناها لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف على ان مدار التعيير و
التوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر
ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون
لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون بيان لغاية قبح ما
فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص
بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة
على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح
في ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوله المتمدح او انتحله المنتحل او ادعاه المنافق
وان مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء و
يقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين
انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى كأنهم بنيان مرصوص حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين
في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى
واذ قال موسى لقومه كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على
المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال
وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان حيث
قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
الى قوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه عليه السلام
كل الاذية يا قوم لم تؤذونني اي بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به وقوله تعالى وقد تعلمون اني رسول
الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة
على استمراره اي والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة
التي معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم من ملكته اني رسول الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة

ومن قضيته علمكم بذلك ان تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي فلما زاغوا اي اصروا على الزيغ عن
الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اي صرفها عن قبول الحق والميل
الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين
على الغواية هداية موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما
المذكورون خاصة والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به او جنس الفاسقين
وهم داخلون في حكمهم دخولا اوليا وايا ما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين
القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم
ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية من انهم كانوا يؤذونه عليه السلام
بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم
البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى
واذ قال عيسى ابن مريم اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها
يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله اني رسول الله اليكم مصدقا
لما بين يدي من التوراة فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه وقوله تعالى ومبشرا
برسول يأتي من بعدي معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة
في التوراة والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات
بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني من التوراة
ومبشرا بمن يأتي من بعدي من رسول اسمه احمد اي محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان ديني التصديق
بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي
بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين الى ما جاء به او اليه عليه السلام وتسميته سحرا للمبالغة
ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام
اي اي الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع
الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر اي هو اظلم
من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعي يقال دعاه
وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم
اليه يريدون ليطفئوا نور الله اي يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام
مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا
ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من
ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي مبلغه الى غايته بنشره في الآفاق واعلائه

تجهيم

وقرئ متمٌّ نورَه بلا اضافة ولو كره الكافرون اي ارغاما لهم والجملة في محل الحال على ابين حرارا
هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقران او بالمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله
ليغلبه على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من
الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذي ارسل
نبيه يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استينافٌ وقع جوابا عما
ماقبله كانهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الامر جيء به للايذان
بوجوب الامتثال فكانه قد وقع فاخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله و
جاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد
بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة خير لكم على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم ان
كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان
خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم
فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل
عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم
بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن
طيبة في جنات عدن ذلك اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الاوصاف
الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة تحبونها
وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او
تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف
وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص او
على المصدر اي تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اي يعطكم نعمة اخرى
نصرا وفتحا وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشر او على تؤمنون
فانه في معنى آمنوا كانه قيل آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا ايها الرسول بما وعدتهم على ذلك
عاجلا وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا
بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي
من جندي متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى
اضافة احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول
والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من
انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به

كانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين
وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا الذين آمنوا على عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف
وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الصف كان عيسى عليه السلام مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة

يسبح لله ما في السموات وما في الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ
الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا
يقرؤون قبل بعثة الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اي كائنا
من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة
اخرى لرسولا معطوفة على يتلو اي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم
الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي
عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية
الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة
للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السر
في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة
ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرائع وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم و
ازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه السلام من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة وآخرين منهم
عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين منهم اي من الاميين وهم الذين
جاؤوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عم وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم صفة لآخرين اي لم يلحقوا
بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك
الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ذلك الذي امتاز به من بين سائر الافراد فضل الله
يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا
ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التوراة اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما في
تضاعيفها من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلعم كمثل الحمار يحمل اسفارا
اي كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد
به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبني بئس مثل القوم الذين
كذبوا بآيات الله اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل

المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين
كذبوا على ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين
مثل هؤلاء على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التورية
من الايات الشاهدة بصحة نبوة محمد عليه السلام والله لا يهدى القوم الظالمين الواضعين للتكذيب
في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اى تهودوا
ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون
ان الدار الاخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله
بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت اى فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار
البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان كنتم صادقين
في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه
الدار التى هى قرارة الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون منهم والباء في قوله تعالى بما قدمت
ايديهم متعلقة بما دل عليه النفى اى يأبون التمنى بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار
ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افعاله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة
والله عليم بالظالمين اى بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل
ما يأتون ويذرون من الامور التى من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه
اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم
من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما يعرب عنه قوله تعالى قل ان الموت
الذى تفرون منه فانه ملاقيكم لما انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمنى وقد قال النبى عليه السلام لو تمنوا الموت لماتوا
من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اى ان الموت الذى تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة
ان تؤخذوا بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم
معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب و
الشهادة الذى لا يخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصى بان يجازيكم بها يا ايها الذين
امنوا اذا نودى للصلوة اى فعل النداء لها اى اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل
من بمعنى في كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اى في الارض وانما سمى جمعة لاجتماع الناس
فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لوى وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار
قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما
نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة
فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله اية الجمعة
فهى اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلعم فهى انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل

قباء على بنى عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم
ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بنى سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب و
صلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اى امضوا واقصدوا الى الخطبة والصلوة وذروا البيع واتركوا المعاملة
ذلكم اى السعى الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الاخرة اجل وابقى ان كنتم
تعلمون اى الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اى اديت وفرغ منها
فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اى الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن
ابن عباس رضه لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في
الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا
او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة لعلكم تفلحون كى تفوزوا بخير الدارين واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها روى ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة
من زيت الشام والنبى عليه السلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فما بقى معه
عليه السلام الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال عليه السلام والذى نفس
محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها
بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة او لان
الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى
اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه
فحذف الثانى لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما اى على المنبر قل ما عند الله من
الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم
والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين والله اعلم

سورة المنافقون

اذا جاءك المنافقون اى حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام
للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم و
قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه
واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اى والله يشهد انهم لكاذبون
فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب والاظهار في موقع الاضمار لذمهم
والاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التى من جملتها ما حكى عنهم جنة اى وقاية عما يتوجه

اليهم من المواخذة بالقتل والسبي او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى
وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المواخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المواخذة
المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المواخذة وعن سببها ايضا كما
يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي فصدوا من اراد الدخول في الاسلام
بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكي عنهم ولا ريب
في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اي ما اظهروه على السنتهم فاتخاذها جنة
عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله فصدوا فاستمروا
على ما كانوا عليه من الصدود والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق
والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول
الناعي عليهم انهم اسوء الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار
بالايمان الصوري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد
منزلته في الشر بانهم اي بسبب انهم آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام
ثم كفروا فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله
فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيته اصلا واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها
ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة
كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من امثاله وهم رؤساء
المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد
ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى كانهم خشب مسندة في حيز الرفع
على انه خبر مبتدا محذوف او كلام مستانف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله
صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن
العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء وهي الخشبة التي
دعر جوفها اي فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر يحسبون كل
صيحة عليهم اي واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل
من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اي هم الكاملون
في العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو المكاشر الذي يكاشرك وتحت ضلوعه
الداء الدوي والجملة مستانفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا
فان الفاء في قوله تعالى فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعداء قاتلهم الله دعاء عليهم
من ذاته تعالى بان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون
تعجب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال واذا قيل لهم عند ظهور

جنايتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم اي عطفوها استكبارا
ورايتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون عن ذلك سواء عليهم
استغفرت لهم كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام
ثقة بدلالة ام عليه وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة
الوصل الفا ام لم تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار
لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين
في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم
والاظهار في موقع الاضمار لبيان غلوهم في الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا
اوليا وقوله تعالى هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
يعنون فقراء المهاجرين استيناف جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا
من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى ولله
خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي الى انفضاض الفقراء
من حوله عليه السلام ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء
ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر
ما يقولون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان جهجاه بن سعيد
اجير عمر رضي الله تعالى عنه نازع سنانا الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين
وسنان بالانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابي
فقال للانصار لا تنفقوا لهم والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه
وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اي ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم
ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله بن
ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان مخلصا وقال لئن لم
تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين آمنوا
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها
والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم
عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ومن يفعل ذلك
اي التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم
الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم

ادخارا للاخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخائله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا على اللفظ وقرئ واكون بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي اخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى اخره والله خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين بريء من النفاق

سورة التغابن

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولي لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم كافر اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث براكم في احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشاة واليه المصير في النشاة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تاكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي

مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة قيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفرة نبا الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اي الم ياتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الاخرة بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدينا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اي بالرسل وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزها والمراد بالموصول كفار مكة اي زعموا ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه بلى اي تبعثون وقوله تعالى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتاكيد ما افادته كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تاكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك اي ما ذكر من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فامنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا وهو القران فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بامر الانزال والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتاكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر

بجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون اي لاجل ما فيه من الحساب
والجزاء ذلك يوم التغابن اي يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو
كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد
شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك
اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع في امور الدنيا ومن يؤمن بالله
ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر اي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيمة ويدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون ذلك اي ما ذكر من
تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من
اعظم المهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
النار خالدين فيها وبئس المصير اي النار كانت هاتين الايتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن
ما اصاب من مصيبة من المصائب الدنيوية الا باذن الله اي بتقديره وارادته كانها بذاتها
متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات
والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد
قلبه اي يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه
وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ قلبه بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء من الاشياء
التي من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم ايمان المؤمن ويهدي قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله
واطيعوا الرسول كرر الامر للتاكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد
التولي في قوله تعالى فان توليتم اي عن اطاعة الرسول وقوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين
تعليل للجواب المحذوف اي فلا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه
واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة في مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار
الحكم الذي هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه الله لا اله الا هو جملة من
مبتدأ وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف
للنحاة معروف وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل
المؤمنون واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية
للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله تعالى او يخاصمونكم في امور الدين او الدنيا فاحذروهم الضمير للعدو
فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا فالمامور به على الاول
الحذر عن الكل وعلى الثاني اما الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين
لاشتمالهم على العدو وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او

او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفائها
وتمهيد عذرها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين
ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم و
وقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا المهاجرين الاولين قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا
ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم
واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير
فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة
يوقعونكم في الاثم من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن اثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة
الاموال والاولاد والسعي في تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه
جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا مما رزقكم في الوجوه التي امركم بالانفاق
فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تاكيد
للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون
صفة لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر اي يكن خيرا لكم
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مرام ان تقرضوا الله بصرف اموالكم
الى المصارف التي عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة
الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب
والله شكور يعطي الجزيل بمقابلة النزر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم
عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه خافية العزيز الحكيم المبالغ في القدرة والحكمة
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لامته ايضا
لتشريفه عليه السلام واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق
استتباعه عليه السلام اياهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كنداهم فان ذلك اعتبار لو كان
في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق به لشموله حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن و
عزمتم عليه كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات لها كقولك
اتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المرأة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها
فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان تطلق في طهر لم يقع فيه جماع ثم تخلى حتى تنقضي
عدتها وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة واحصوا العدة واضبطوها واكملوها

ثلثة اقراء كوامل واتقوا الله ربكم في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد
للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي
عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتاكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن
ولا يخرجن ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبداد
منهن اما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان ياتين بفاحشة مبينة استثناء من الاول
قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده
قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة وتلك
اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد حدود الله اي حدوده المذكورة
بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلية الحكم في قوله تعالى
فقد ظلم نفسه اي اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث
بعد ذلك امرا فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله
ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب
تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون
احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد
الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي عليه السلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك
لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا
يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة
او استئناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن اخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف
بحسن معاشرة وانفاق لائق او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها
ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر
ندب كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي انه للوجوب في الرجعة واقيموا
الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث على الشهادة والاقامة
او على جميع ما في الاية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله
ومن يتق الله الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء
عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها
فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره
من الامور يجعل له مخرجا مما عسى يقع في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه
ما يعتريه من الكروب ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ويجوز ان

يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الخ
فالمعنى ومن يتق الله في كل ما ياتي وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة فيندرج فيه ما نحن
فيه اندراجا اوليا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات
الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عليه السلام اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن
يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله واكثر قول لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها
العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه في جميع اموره ان الله
بالغ امره بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريده لا يفوته مراد
ولا يعجزه مطلوب وقرئ برفع امره على انه مبتدا وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان
وامره مرتفع به على الفاعلية اي نافذ امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله
لكل شيء قدرا اي تقديرا وتوقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الامر اليه
لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل
على الله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين
ان ارتبتم اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن بعد لصغرهن
اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه واولات الاحمال اجلهن اي منتهى عدتهن
ان يضعن حملهن سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور
من قول ابن مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح
ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في شان احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له
من امره يسرا اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما
يفصح عنه قوله امر الله انزله اليكم لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية
المخاطبين وقد مر في قوله ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله من سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة
على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة قوله تعالى
اسكنوهن من حيث سكنتم استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى
كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان
سكناكم وقوله تعالى من وجدكم اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له

ولا تضاروهن اي في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجؤهن الى الخروج وان كن اي المطلقات اولات
حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لهن فان ارضعن
لكم بعد ذلك فاتوهن اجورهن على الارضاع واتمروا بينكم بمعروف اي تشاوروا وحقيقته
ليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة
وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع له اخرى اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على
المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وان قل اي لينفق كل واحد
من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا
الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قال سيجعل الله
بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكاين من قرية اي كثير من اهل قرية عتت اي اعرضت عن امر ربها
ورسله بالعتو والتمرد والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة
في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير
عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان
عاقبة امرها خسرا يا ملا لا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا
كانه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء
ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف
عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كاي الذين آمنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى
او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل
عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن لكما ينبي عنه ابدال قوله تعالى رسولا
منه او لانه مذكور في السموات وفي الامم او اريد بالذكر الشرف كما في قوله وانه لذكر لك ولقومك
كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى
عند ذي العرش مكين او هو النبي عليه السلام وعليه الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة
القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال
الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا
على اعمال المصدر المنون او ابدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى يتلو عليكم آيات الله مبينات
نعت لرسولا او لذكرا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها اي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه
من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تعالى
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول
عليه السلام او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول او الله
عز وعلا ما هم عليه الان من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه سيؤمن من الظلمات

الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل
من الآيات المبينات يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى
خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلثة باعتبار
لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل وافراد
ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب الله الذي خلق
سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع
على انه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض قال الجمهور على انها سبع ارضين
طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان
من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي
والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى
ان صهيبا حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب
السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن و
رب الرياح وما اذرين نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من
فيها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما
الخلق قال اما ملائكة او جن قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون
من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها
قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني انهم
لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح وعن ابن عباس رضي
انها سبع ارضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء يتنزل الامر بينهن اي يجري امره وقضاؤه
بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من
قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر يعمهما اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء وان الله قد
احاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الافعال المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام
بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تلقونها من الوحي
من عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء اصلا وقرئ ليعلموا عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

سورة التحريم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت
بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي

امرأتي فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها
فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك
في الجنة وروي أنه عليه السلام شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة
فقالتا له إنا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما أحل
الله لك من ملك اليمين أو من العسل تبتغي مرضاة أزواجك إما تفسير لتحرم أو حال من فاعله
أو استئناف ببيان ما دعاه إليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك والله غفور مبالغ في الغفران
قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك به وإنما عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله
لكم تحلة أيمانكم أي شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة أو بالاستثناء متصلا حتى لا حنث
والأول هو المراد ههنا والله مولاكم سيدكم ومتولي أموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرع لكم
الحكيم المتقن في أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما تقتضيه الحكمة وإذ أسر النبي إلى
بعض أزواجه وهي حفصة حديثا أي حديث تحريم مارية أو العسل أو أمر الخلافة فلما نبأت به أي أخبرت
حفصة عائشة بالحديث وأفشته إليها وقرئ أنبأت به وأظهره الله عليه أي أطلع الله
النبي صلى الله عليه وسلم على إفشاء حفصة عرف أي النبي عليه السلام حفصة بعضه بعض الحديث
الذي أفشته قيل هو حديث الإمامة روي أنه عليه السلام قال لها ألم أقل لك اكتمي علي قالت والذي
بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها وأعرض عن بعض أي تعريف بعض تكرما
قيل هو حديث مارية فلما نبأها به أي أخبر النبي عليه السلام حفصة بما عرفه من الحديث قالت
من أنبأك هذا أي إفشاءها للحديث قال نبأني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه خافية إن تتوبا إلى الله
خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت قلوبكما الفاء للتعليل
كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق أي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب
عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت
وإن تظاهرا عليه بإسقاط إحدى التاءين وقرئ على الأصل وبتشديد الظاء وتظهرا أي إن تتعاونا
عليه بما يسوؤه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
أي فلن يعدم من يظاهره فإن الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين
أتباعه وأعوانه قال ابن عباس رض أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر رض وقد روي ذلك
مرفوعا إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين
جبريل والملائكة عليهم السلام فإنه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وإن جبريل ظهير له
عليه السلام يؤيده بالتأييدات الإلهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير أمور الرسالة وتمشية
أحكامها الظاهرة ولأن بيان مظاهرتهما له عليه السلام أشد تأثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا
لأمرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما إذا أريد به جنس الصالحين كما هو المشهور والملائكة

مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك قيل أي بعد نصرة الله عز وجل و
ناموسه الأعظم وصالح المؤمنين ظهير أي فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما
يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم
على نصرة غيرهم من حيث إن نصرة الكل نصرة الله تعالى وإن نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم أفضل من
سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الأنسب أن يجعل ذلك إشارة إلى مظاهرة صالح المؤمنين
خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكري من أفضليته المقدمة كأنه
قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام إيذانا بعلو رتبة
مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبر لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه إن طلقكن أن يبدله
أي يعطيه عوضكم بدلكن أزواجا خيرا منكن على التغليب وتعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على أنه
لم يطلق حفصة وأن في النساء خيرا منهن فإن تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما
علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ أن يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات
أو منقادات مصدقات قانتات مصليات أو مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب
عابدات متعبدات أو متذللات لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي
الصائم سائحا لأنه يسيح في النهار بلا زاد أو مهاجرات وقرئ سيحات ثيبات و
أبكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم بترك المعاصي و
فعل الطاعات وأهليكم بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وقرئ وأهلوكم عطفا على واو
قوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل على تغليب المخاطبين أي قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم
نارا وقودها الناس والحجارة أي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وأمر المؤمنين باتقاء
تلك النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها ملائكة أي تلي
أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ
الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة لا يعصون الله ما أمرهم أي أمره على أنه بدل
اشتمال من الله أو فيما أمرهم به على نزع الخافض أي لا يمتنعون من قبول الأمر ويلتزمونه و
يفعلون ما يؤمرون أي ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى يا أيها
الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه أي يقال لهم ذلك
عند إدخال الملائكة إياهم النار حسبما أمروا به إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر
والمعاصي بعد ما نهيتم عنهما أشد النهي وأمرتم بالإيمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا أيها الذين
آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا أي بالغة في النصح وصف التوبة بذلك على الإسناد المجازي
وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها وذلك أن يتوبوا
عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون

زني

في قبيح من القبائح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف أصلاً عن علي رضي الله عنه
ان التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم
واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها
في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعاصي وعن شهر بن حوشب أن لا يعود
ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أي توبة ترفو خروقك في دينك
وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح
الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها
وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فإن النصح والنصوح كالشكر والشكور أي ذات
نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ورود صيغة الإطماع للجري على سنن الكبرياء والإشعار
بأنه تفضل والتوبة غير موجبة له وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء وإن بالغ في
إقامة وظائف العبادة يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف
على النبي وفيه تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق واستحماد إلى المؤمنين
على أنه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم أي
على الصراط وهو على الأول استئناف أو حال وكذا قوله تعالى يقولون الخ وعلى الثاني خبر آخر
للموصول أي يقولون إذا طفئ نور المنافقين ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء
قدير وقيل يدعون تقربا إلى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم
فيسألون إتمامه تفضلا وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم
كالريح وبعضهم حبوا وزحفا وأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا يا أيها النبي
جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين
فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة ومأواهم جهنم سيرون فيها عذابا غليظا وبئس المصير
أي جهنم أو مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل في أمثال هذه المواقع عبارة عن
إيراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة أي جعل الله مثلا لحال هؤلاء
الكفرة حالا ومآلا على أن مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امرأة نوح
وامرأة لوط أي حالهما مفعوله الأول أخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لها ويتضح بذلك
حال هؤلاء فقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية لهما إلى الخير و
الصلاح أي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشأن متمكنين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة
سعادتهما وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة
النبي أي خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الإيمان والطاعة وقوله تعالى
فلم يغنيا عنهما بيان لما أدى إليه خيانتهما أي فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله أي من
عذابه تعالى شيئا أي شيئا من الإغناء وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع
الداخلين أي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء وضرب الله
مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون أي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في أن وصلة الكفرة لا تضرهم
حيث كانت في الدنيا تحت أعدى أعداء الله وهي في أعلى غرف الجنة وقوله تعالى إذ قالت
ظرف لمحذوف أشير إليه أي ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها إذ قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة قريبا من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين روي أنها لما قالت ذلك أريت
بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها ونجني من فرعون وعمله أي من نفسه الخبيثة وعمله
السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على
امرأة فرعون تسلية للأرامل أي وضرب مثلا للذين آمنوا حالها وما أوتيت من كرامة الدنيا
والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا التي أحصنت فرجها فنفخنا
فيه وقرئ فيها أي في مريم من روحنا من روح خلقناه بلا توسط أصل وصدقت بكلمات
ربها بصحفه المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه وكتبه بجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه أي
بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الإنجيل وكانت من القانتين أي من عداد المواظبين
على الطاعة والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال حتى عدت من
جملتهم أو من نسلهم لأنها من أعقاب هرون أخي موسى عليهما السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليه السلام وفضل عائشة رض على النساء كفضل
الثريد على سائر الطعام وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك

تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت أو عقلية وكثرة الخير ودوامه
أيضا ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه
في ذاته وصفاته وأفعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك فإن ما لا يتصور نسبته إليه من
الصيغ كالتكبر ونحوه إنما تنسب إليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض
على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز أن يكون لإفادة نماء تلك الخيرات و
ازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها
بالدلالة على غاية الكمال وإنبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال

غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة
على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات
عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضة قدرته التصرف الكلي في كل الامور وهو على كل شيء
من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلائل الامور
ودقائقها وقوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار
القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة والموصول
بدل من الموصول الاول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا
صفة وجودية مضادة للحيوة واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه تعالى خلق الموت في
صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس
بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو
عدم الحيوة فمعنى خلقه حينئذ تقديره او ازالة الحيوة واياما كان فالاقرب ان المراد به الموت
الطارئ وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون
الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق اي خلق
موتكم وحيوتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم
احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص
بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف
من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر
ذي اثير وانما طريقها النظر التفكر في بدائع صنع الله تعالى والتدبر في آياته المنصوبة في الانفس
والآفاق وقد روي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى
فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل
الذي هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض
وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم
ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر
ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة
التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا
لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الابتلاء هو

ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات
له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية
للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب
في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى وهو العزيز
الغالب الذي لا يفوته من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات نصب على النعت
للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين
معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب في سورة البقرة
منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثاني في كونه مدارا للبلوى كما
نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم
احسن عملا وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات اي مطابقة على انه مصدر طابق النعل اذا خصفها
وصف به المفعول او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا وقوله تعالى ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار
بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابداعها نعما جليلة او استئناف والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتاكيد النفي اي ما ترى فيه شيئا من
تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر
وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب
حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك
شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين
اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد
رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر خاسئا اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب
والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو حسير اي كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة
وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان
خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد زينا
اقرب السموات الى الارض بمصابيح اي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات و
الثوابت تتراءى كانها كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل
واحدة منها مخلوقة على نمط رائق تحار في فهمه الافكار وطراز فائق تهيم في دركه الانظار وجعلناها
رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب
وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون والاباعد المقام
والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير بعد الاحراق بالشهب في الدنيا

بالشهب وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب
السعير وللذين على لهم وبئس المصير اي جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف
وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه في الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا اي سمعوا كائنا لها
شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا الشهيق في الصدر والزفير في الحلق
وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها ممن طرح فيها
قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق مردود قوله تعالى تكاد تميز اي تتميز وتتفرق من الغيظ اي من
شدة الغضب عليهم فانه صريح في انه من اثار الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فان
هو شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور او خبر
اخر وقوله تعالى كلما القي فيها فوج استئناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال
من ضميرها اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا
عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة الم يأتكم نذير يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم
هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم قالوا اعترافا بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية
بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء
النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما و
اغتماما على ذلك اي قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي واحد حقيقة او حكما كانبياء
بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته فكذبنا ذلك
النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه من الآيات افراطا في التكذيب وتماديا
في النكير ما نزل الله على احد من شيء من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اي ما
انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها الا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب
وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة في التكذيب وتماديا
في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب
الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه للتهويل لما ارتكبوه من الجناية لا مساغ لاعتباره من
جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجتماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع
والاحكام باختلاف العصور والاعوام واين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا
جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذر اما بمعنى الجمع لانه
فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اي اهل نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفي الخطاب في الجمعية ومن اعتبر
الجمعية باحد الوجوه الثلاثة على التقدير الاول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه
الشئون واختلط به الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول
على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه

وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتامل وكن على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم
لم يكونوا ممن يسمع او يعقل لو كنا نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم و
من اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف
التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم
الذي هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل
متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قعدك الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحاقا
او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا اي بعدوا سحقا اي بعدا كما في قول من قال وعضة
دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ وعلى كلا
الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى لاصحاب السعير للبيان كما في هيت لك
ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب ان الذين يخشون ربهم
بالغيب اي يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفي منهم وهو قلوبهم
لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي
السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله عنهما
نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيوحي اليه عليه السلام فقال بعضهم لبعض
اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر
على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط
لجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى
بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة
السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار
غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور
تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبتها
من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية
المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به و
يجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى
عليه سر من اسرارها وقوله تعالى الا يعلم من خلق انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر
اي الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التي هما من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف
الخبير حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من
خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة
من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى الا يكون عالما

من خلق لان الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ عن الافادة لان نظم الكلام ح لا يكون علما
وهو مبالغ في العلم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على
مفعول الجعل مع ان حقه التاخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر
لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده
فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى فامشوا في مناكبها لترتيب الامر على الجعل المذكور
اي فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها
عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء
لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور اي المرجع بعد البعث لا الى غيره
فبالغوا في شكر نعمه وآلائه أأمنتم من في السماء اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله
سبحانه على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء
اي أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض بعد ما جعلها
لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم النعمة اي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما
فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اي من ان يخسف فاذا هي
تمور اي تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان أم أمنتم من
في السماء اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اي بل أأمنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها
حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل سحاب فيها حجارة فستعلمون
عن قريب البتة كيف نذير اي انذاري بعد مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون
بالياء ولقد كذب الذين من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد
واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بانزال
العذاب اي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التاكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة
في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا اغفلوا ولم ينظروا
الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها
صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر في
ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ما يمسكهن في الجو عند الصف والقبض
على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته كل شيء بان براهن على اشكال وخصائص و
هيأهن للجري في الهواء والجملة مستأنفة او حال من الضمير في يقبضن انه بكل شيء بصير يعلم كيفية
ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن تبكيت
لهم بنفي ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى

ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى ان امسك رزقه
كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى
نفس المانع وتحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل
المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار
قدرة الله عز وجل الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة
معها لان ما بعدها من الاستفهامية وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما في قوله تعالى
من ذا الذي يشفع عنده وايثار هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه من دون
الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم
كما في قوله تعالى من ينصرني من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا
نصر الرحمن او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل
وتوهم ان ام معادلة لقوله تعالى اولم يروا الخ مع القول بان من استفهامية مما لا تقريب له
اصلا وقوله تعالى ان الكافرون الا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية
الضلال اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان
آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس
لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم
وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام
في قوله تعالى أمن هذا الذي يرزقكم ان امسك اي الله عز وجل رزقه بامساك المطر وسائر مباديه
كالذي مر تفصيله خلا ان قوله تعالى بل لجوا في عتو ونفور مبني على مقدر يستدعيه المقام كانه قيل
اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو اي عناد و
استكبار وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله تعالى أفمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الخ
مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما
ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم
في مسلك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها
الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل
من يمشي مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال اكب خر على وجهه وحقيقته صار ذا كب و
دخل في الكب كاقشع الغمام اي صار ذا قشع والمعنى أفمن يمشي وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه
في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه ام من يمشي سويا اي قائما
سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف وقيل خبر
من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف

المقر على المفر كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل ازيد بالمكب الاعمى وبالسوي البصير وقيل من
يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو
الذي انشاكم انشاء بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا ايات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهي
وتتعظوا بمواعظها والابصار لتنظروا بها الى الايات التكوينية الشاهدة بشؤون الله
عز وجل والافئدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الايات التنزيلية والتكوينية
وترتقوا في معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون اي باستعمالها فيما خلقت لاجله من
الامور المذكورة وقليلا اما نعت لمحذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي شكرا قليلا تشكرون
وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وكثركم فيها لا غيره واليه تحشرون
للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا اموركم على ذلك ويقولون من فرط عتوهم وعنادهم
متى هذا الوعد اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان كنتم صادقين تخاطبون به النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الايات المتضمنة
له وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته
قل انما العلم اي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي وانما
انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود ولا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار
والفاء في قوله تعالى فلما راوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم
الموعود فراوه الخ كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده الا ان المقدر هناك امر واقع
مرتب على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى
زلفة حال من مفعول راوا اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل اي
مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة او ظرف اي راوه في مكان ذي زلفة سيئت وجوه الذين
كفروا بان غشيتها الكآبة ورهقها القترة والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر
وتعليل المساءة به وقيل توبيخا وتشديدا للعذاب بهم هذا الذي كنتم به تدعون اي تطلبونه في الدنيا
وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى اي تدعون
ان لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون هذا وقد روي عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد
قل ارايتم اي اخبروني ان اهلكني الله اي اماتني والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه
صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتاخير اجالنا فنحن
في جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيكم منه
احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجاء به
قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها امنا به وحده لما علمنا ان كل ما سواه
اما نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره اصلا لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع

والضر فستعلمون عن قريب البتة من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية
قل ارايتم اي اخبروني ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر
وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل الماخذ عن النبي صلعم من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة القلم

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف
القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في سورة
البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا
على نمط التعديد للتحدي باحدى الطريقين المذكورين في موقعه او اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور
او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف فالواو في قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه
واياما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر وان
اريد به الجنس فاستحقاقه لما في ايدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه
آلة لتحرير كتب الله عز وعلا لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام النون في الواو وما يسطرون
الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه كانه قيل واصحاب القلم
ومسطوراتهم على ان ما موصولة او وسطرهم على انها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل
الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم
وقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها و
العامل فيها معنى النفي كانه قيل انت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة
العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام لتشريفه عم والايذان بانه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها
والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه عم اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع
جزمهم بانه عليه السلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل
ورزانة الراي وان لك بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة
لاجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك
من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم لا يدرك شاوه احد من الخلق
ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد تحتمله البشر وسئلت عائشة رض عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه
القران الست تقرا القران قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر
ويبصرون قال ابن عباس رض فستعلم ويعلمون يوم القيمة حين يتبين الحق من الباطل وقيل
فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل

والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب
يوم بدر بأيكم المفتون اي بايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون
مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما
يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما
كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعليل
لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد اي هو اعلم بمن ضل
عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة
الابدية وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضررا
فيهجره وهو اعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراد (صح)
فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء
في قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه السلام وضلالهم او على
جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم اي دم على ما انت عليه من
عدم طاعتهم وتصلب في ذلك او نهي عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره عليه السلام
استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فانه تعليل للنهي او للانتهاء
وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير اي احبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور فيدهنون
اي فهم يدهنون حينئذ او فهم الآن يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل في حيز لو
والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك وياباه ما سياتي من مداهنتهم بالاول وهان على ان ادهانهم
محقق لا يناسب دخاله تحت التمني واياما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو اظهار
الملاينة واضمار خلافها واما في جانبه عليه السلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادهم هو اظهار الملاينة
فقط واما اضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل في غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه عليه السلام
وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني المفهوم من ودوا او ان ما بعده حكاية لودادهم
وقيل على انه عطف على تدهن بناء على ان لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما
بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كانه قيل ودوا ان تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف
وكذا مفعول ودوا اي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف
في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل في الزجر
مهين حقير الرأي والتدبير هماز عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم
على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية مناع للخير اي بخيل او مناع الناس من الخير
الذي هو الايمان والطاعة والانفاق معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من
عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعدما عد من مثالبه زنيم دعي ماخوذ من الزنمة وهي الهنة

من جلدة الماعزة تقطع فتخلى متدلية في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه
واقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا في قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة
بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا
مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا بالبنين
وقوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين استئناف جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق
بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه
مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من
غير ان يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرئ أأن كان على معنى الان كان ذا مال كذب بها او اتطيعه
لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لان
اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكي على اكرم مواضعه لغاية
اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم
القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة انا بلوناهم اي اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء
بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام و
يترك لهم ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط
الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما
كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها
داخلين في الصباح ولا يستثنون اي لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث
ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد
او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها اي على الجنة
طائف بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدئ من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عما جرت به
المقادير فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى
مفعول وقيل كالليل اي احترقت فاسودت وقيل كالنهار اي يبست وابيضت سميا بذلك لان
كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا اي نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح
ان اغدوا اي اغدوا على ان ان مفسرة او بان اغدوا على انها مصدرية اي اخرجوا غدوة على حر (ثكم)
بساتينكم وضياعكم وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال والاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين
للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد ثلاثتها
في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة لما في
التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة

في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا اريتك ههنا وغدوا على حرد قادرين اي على نكد لا غير من
حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان يتنكدوا
على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان
وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب
خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان
كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله
يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اي غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها
وقيل هو علم للجنة فلما راوها قالوا في بديهة رؤيتهم انا لضالون اي طريق جنتنا وما هي بها بل نحن
محرومون قالوه بعدما تأملوه ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اي لسنا ضالين
بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اي رأيا او سنا الم اقل لكم لولا
تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك
اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه
فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما
في التعظيم او لانه تنزيه له تعالى عن ان يجري في ملكه ما لا يشاؤه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم
بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره
قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ بالتشديد اي يعطينا
بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير
والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي انهم تعاقدوا
وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى من
ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله امر جبريل عليه السلام ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض
الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم
الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال ابو خالد اليماني دخلت
تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل
الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن الحسن رحمه الله قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا
ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في امرهم والاكثرون
على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري كذلك العذاب جملة من مبتدأ وخبر مقدم لافادة القصر والالف
واللام للعهد اي مثل الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم و
اشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ان للمتقين اي من الكفر والمعاصي عند ربهم اي في
الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه

من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعم الدنيا وقوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما
قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين
فيها فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في
الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد
الرد وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل
ام لكم كتاب نازل من السماء فيه تدرسون اي تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون اي ان لكم ما تختارونه و
تشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس
كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين وتخير الشيء واختياره اخذ خيره
ام لكم ايمان علينا اي عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال
والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيامة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم الى يوم القيمة لا تخرج
عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه
وافرة لم تبطل منها يمين ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان ام اقسمنا
لكم سلهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اي
سلهم مبكتا لهم ايهم بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم اي قائم يتصدى لتصحيحه ام لهم شركاء
يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل
من التقليد وقد نبه في هذه الآيات الكريمة على ان ليس لهم شيء يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد
الذي لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة يوم يكشف
عن ساق اي يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات
عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب
شمرا وقيل ساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر
فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث يصير عيانا وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء
على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة
وكسر الشين من اكشف الامر اي دخل في الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم اي اذكر
يوم الخ او مؤخر اي يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف
ويدعون الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم في ذلك فلا
يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن
ابن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى
اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم

مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم ذلة تلحقهم وتغشاهم ذلة
شديدة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير او لان
المراد به الصلوة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكاليف وهم سالمون متمكنون منه
اقوى تمكن اي فلا يجيبون اليه ويأبون وانما ترك ذكره ثقة بظهوره فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
اي كله الي فاني اكفيكه امره اي حسبك في الايقاع به والانتقام منه ان تكل امره الي وتخلي بيني
وبينه فاني عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية
اي واذا كان حالهم في الاخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقران وتوكل علي في الانتقام منه وقوله
سنستدرجهم استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا
والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها اي سنستنزلهم الى
العذاب درجة فدرجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج
وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم واملي لهم
وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ان كيدي متين لا يوقف عليه ولا يدفع
وتسميته ذلك كيدا لكونه في صورة الكيد ام تسألهم على الابلاغ والارشاد اجرا دنيويا فهم لاجل
ذلك من مغرم اي غرامة مالية مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اي
اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو
امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت اي يونس عليه السلام اذ نادى في بطن الحوت
وهو مكظوم مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك
لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اي لا يوجد منك
ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه وقرئ رحمة وهو توفيقه
للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية
الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية من الاشجار وهو مذموم
مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هي المنفية لا النبذ
بالعراء كما مر في الحال الاولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهي عنه امرا محذورا
مستتبعا للغائلة وقوله تعالى فاجتباه ربه عطف على مقدر اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بان رد
اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة
فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها
نزلت باحد حين هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل
حين اراد ان يدعو على ثقيف وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح
الياء من زلقه بمعنى ازلقه ويرهقونك وان المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك

ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني
اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد
عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل
الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس عن الحسن دواء الاصابة بالعين
ان تقرأ هذه الاية لما سمعوا الذكر اي وقت سماعهم بالقران على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك
وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم في امره عليه السلام ونهاية
جهلهم بما في تضاعيف القران من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة باحكام
الطبائع ولتنفير الناس عنه انه لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه السلام
رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل وما هو الا ذكر للعالمين على انه حال من فاعل
يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة اي
يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم
فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا وقيل معناه
شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلعم وكونه مذكرا وشرفا
للعالمين لا ريب فيه عن رسول الله صلعم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة

الحاقة اي الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي يحق فيها الامور الحقة
من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه
اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم واياما
كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها
على الابتداء خبرها ما الحاقة على ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل
ما هي اي اي شيء هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع
المضمر تأكيدا لهولها هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد حقق في سورة الواقعة
ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان
الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها
مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى وما ادراك ما الحاقة اي واي شيء اعلمك ما الحاقة تأكيد لهولها
وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم شأنها ومدى هولها وشدتها
بحيث لا تكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه ولا كيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك واعظم فلا يتسنى
الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك خبره ولا مساغ للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ

وجرى على الوجه الذي عرفته تخلها النصب على اسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني
بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول
الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبر المقولة تعالى الحاقة مؤكدة لهولها
كما مر كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحاقة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال
والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس و
الانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة
استئناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه ما ادراه عليه السلام
بها احد كما في قوله تعالى وما ادراك ماهيه نار حامية ونظائره خلا ان المبين هناك نفس المسئول
عنها وههنا حال من احوالها كما في قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من
الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا
هول الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما
الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بالواقعة المجاوزة
للحد وهي الصيحة او الرجفة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت لها صرصرة او
شديدة البرد تحرق ببردها عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من
ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى سخرها عليهم استئناف جيء به لبيان
لكيفية اهلاكهم بالريح اي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة سبع ليال وثمانية ايام
حسوما اي متتابعات جمع حاسم كشهود وجمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين
كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون
مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة
بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا
لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي
ايام العجز وهي اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل و
مطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا حينئذ فيها في مهابها او في تلك
الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اي اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف
فهل ترى لهم من باقية اي بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية
وجاء فرعون ومن قبله اي ومن تقدمه وقرئ ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه
قرئ ومن معه والمؤتفكات اي قرى قوم لوط اي اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال
ذات الخطاء التي من جملتها تكذيب البعث والقيامة فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها
حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح فاخذهم اي الله عز وجل اخذة رابية اي زائدة

في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح من ربا الشيء اذا زاد انا لما طغا الماء بسبب اصرار قوم نوح
على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام فيما اوحي اليه من الاحكام التي من جملتها
احوال القيامة حملناكم اي في اصلاب ابائكم في الجارية في سفينة نوح عليه السلام والمراد
بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب
عنه كلمة في فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اي رفعناكم فوق
الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم
عصمته تعالى انما السفينة سبب صوري لنجعلها اي لنجعل الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المؤمنين
واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة
رحمته وتعيها اي تحفظها والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غير نفسك
من وعاء وقرئ وتعيها بسكون العين تشبيها له بكتف اذن واعية اي اذن من شانها
ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة
على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم
شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره
للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة
الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال اي قلعت ورفعت من اماكنها
بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اي فضربت
الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا و
لا امتا من قولهم اندك السنام اذا تفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان
فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملائكة
فهي اي السماء يومئذ واهية ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة والملك اي الخلق المعروف
بالملك على ارجائها اي جوانبها جمع رجا بالقصر اي تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجأون
الى اكنافها وحافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق
الثمانية يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان
يوم القيمة ايدهم الله تعالى باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في
تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم
على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق
الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم

ولحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم اثمانية ام ثمانية الاف وعن
الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من
خلق اخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء
العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشؤونه سبحانه اجل من كل ما يحيط به
تلك العبارة والاشارة يومئذ تعرضون اى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له
بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم روى ان في يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان
فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك
بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان و
الصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل
لا تخفى منكم خافية حال من مرفوع تعرضون اى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك
ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة في العدل او غير خاف يومئذ على الناس كقوله
يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتى كتابه بيمينه تفصيل لاحكام العرض فيقول
تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرأوا كتابيه ها اسم لخذ وفيه ثلث لغات اجودهن هاء يا رجل وهاء
يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف
وكتابيه معمول اقرأوا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان معمول هاؤم لقيل اقرأوه اذ الاولى
الاضمار حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف
وتسقط في الوصل واستحب اثباتها لثباتها في الامام انى ظننت انى ملاق حسابيه اى علمت
ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات
لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة كما
يقال دارع في النسبة بالحرف او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن
الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات
او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها
القاعد كلوا واشربوا باضمار القول والجمع باعتبار المعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم
هنيئا بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اى الماضية في الدنيا
وعن مجاهد ايام الصيام وروى يقول الله تعالى يا اوليائى طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت
شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الاية
واما من اوتى كتابه بشماله لما يرى فيه من قبائح الاعمال فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر
ما حسابيه لما شاهد من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت الموتة التى متها كانت القاضية اى القاطعة
لامرى ولم ابعث بعدها ولم الق ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة

اى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لما انه وجدها امر من الموت فتمناه عندها
وقد جوز ان يكون للحيوة الدنيا اى يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عنى
ماليه مالى من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهامية للانكار
اى اى شئ اغنى عنى ما كان لى من اليسار هلك عنى سلطانيه اى ملكى وتسلطى على الناس او
حجتى التى كنت احتج بها في الدنيا او تسلطى على القوى والالات فعجزت عن استعمالها في
العبادات خذوه حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار فغلوه اى شدوه بالاغلال
ثم الجحيم صلوه اى لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على
الناس ثم في سلسلة ذرعها اى طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان
تلفوه على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع حراكا ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على
الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها
وبين السلك في السلسلة في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل بطريق الاستيناف
للتحقيق ووصفه تعالى بالعظيم للايذان بانه المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استحق
اعظم العقوبات ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان
يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه
دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المواخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح
العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم اى قريب
يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين
اى من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا
من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطاء المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس
انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز ان يراد بهم الذين
يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم اى فاقسم على ان لا مزيدة للتاكيد و
اما حمله على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله
بما تبصرون وما لا تبصرون كما مر في سورة الواقعة اى اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل
بالدنيا والاخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة
والباطنة والاول منتظم للكل انه اى القران لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان الرسول
لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى وهو النبى او جبرئيل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما
تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون ايمانا قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون ذلك تارة اخرى
قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون على ان القلة بمعنى النفى اى لا تؤمنون
ولا تتذكرون اصلا قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما ان عدم

مشابهة القران الشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على
تذكر احواله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعاني القران المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم و
انت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء فيهما تنزيل من رب
العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا
لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك
لاخذنا منه باليمين اي بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير
لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف
ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال [illegible] اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
فما منكم ايها الناس من احد عنه عن القتل والمقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام
وانه لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه
لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين الذي لا يحوم حوله
ريب فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول
عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلعم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة المعارج

سال سائل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث
حيث قال انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحارث بن
النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رض من كنت مولاه
فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه
الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول عليه السلام
استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر او من السيلان
ويؤيده انه قرئ سال سيل اي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي على تحقق وقوعه اما
في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري واما في الاخرة
فهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب اي كائن للكافرين او صلة لواقع او متعلق
بسال اي دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال منه
لتخصيصه بالصفة او بالعمل او من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب او استئناف
من الله متعلق بواقع او بدافع اي ليس له دافع من جهته ذي المعارج ذي المصاعد التي
يصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهي او هي عبارة عن السموات المرتبة بعضها فوق بعض

تعرج الملائكة والروح اي جبريل عم افرده بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على
الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس اليه الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه اوامره تعالى وقيل
هو من قبيل قول ابرهيم عم اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني به في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل
والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من
سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة اي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق
بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك
في الحقيقة او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات واياما كان فذلك في
حق الكافر واما في حق المؤمن فلا لما روى ابو سعيد الخدري رض انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اطول هذا اليوم فقال عليه السلام والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى انه يكون اخف من
صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال لان السؤال كان عن
استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره عم او كان عن تضجر واستبطاء للنصر
او بسال سائل او سال سيل لان معناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام
انهم يرونه اي العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلقه بواقع بعيدا اي يستبعدونه
بطريق الاحالة فلذلك يسالون به ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان
البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون
السماء كالمهل متعلق بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر
اي يوم تكون السماء كالمهل الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف او بدل من في يوم على
تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله سال سائل حكاية لسؤالهم المعهود على
طريقة قوله يسالونك عن الساعة وقوله ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود
بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر او ابو جهل او الفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما
في قوله تعالى فاسال به خبيرا وقوله ليس له دافع الخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسؤول عنه
لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل
للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع او بما يدل هو عليه اي يقع يوم تكون
السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن
كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا
بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما اي لا
يسال قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول

اي لا يطلب من حميم حميمه ولا يسال منه حاله يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون
عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا تشاغلهم بحال انفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض
الوجه وسواده والاول ادخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استئناف
يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدي من عذاب يومئذ اي العذاب
الذي ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل بمعنى ان
الناصبة فلا يكون لها جواب ويسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير
يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استئناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى
ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ يومئذ
بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في
معنى تعذيب وفصيلته اي عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه اي تضمه في النسب او عند الشدائد
ومن في الارض جميعا من الثقلين والخلائق ومن للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود
لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده و
بذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء
الافتداء وضمير انها اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او مبهم ترجم عنه الخبر الذي
هو قوله تعالى لظى وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص
او حال مؤكدة والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه
خبر ثان لان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة ولظى مبتدا ونزاعة خبر تدعوا اي
تجذب وتحضر وقيل تدعوا وتقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان
فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها من ادبر اي عن الحق وتولى
اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكوته وحقوقه و
تشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق هلوعا الهلع سرعة
الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى اذا
مسه الشر اي الفقر او المرض ونحوهما جزوعا اي مبالغا في الجزع مكثرا منه واذا مسه الخير اي السعة
والصحة منوعا مبالغا في المنع والامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها
طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء
للمتصفين بالنعوت الجليلة الاتية من المطبوعين على القبائح الماضية لانباء نعوتهم عن الاستغراق
في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار
الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر
عليه الذين هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم اي نصيب

معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة والصدقات
الموظفة للسائل للذي يساله والمحروم الذي لا يساله فيظن انه غني فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين
اي باعمالهم حيث يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة الاخروية بحيث
يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم
مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله والذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير مامون
اعتراض مؤذن بانه لا ينبغي لاحد ان يامن عذابه وان بالغ في الطاعة والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سلف تفسيره في سورة المؤمنين فمن ابتغى
اي طلب لنفسه وراء ذلك وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات فاولئك هم العادون
المتعدون لحدود الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشيء من حقوقها
والذين هم بشهاداتهم قائمون اي مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها
بالذكر مع اندراجها في الامانات لابانة فضلها وقرئ لامانتهم وبشهادتهم على ارادة
الجنس والذين هم على صلوتهم يحافظون اي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها
ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على
فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة
الذوات كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم ايذانا
بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام
جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر اولئك اشارة الى الموصوفين
بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليهم للايذان بعلو شانهم
وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا خبره في جنات اي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها
ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مكرمون خبر آخر او هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة
الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير في الخبر اي مكرمون كائنين في جنات فمال الذين كفروا قبلك
حولك مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عن اليمين وعن
الشمال عزين اي فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كان كل فرقة تعتزي الى غير من
يعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا و
فرقا فرقا ويستهزؤن بكلامه عليه الصلوة والسلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول
محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان
كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ انا خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى انا
خلقناهم من اجل ما يعلمون كما في قول الاعشى أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي

سوى ان تزكوا وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من ان يتبوأ
مبتوأ الكاملين فمن اين لهم ان يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث
وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم و
يقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمتى
لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها ولا يخفى ما في الكل من
التمحل والاقرب انه كلام مستأنف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم
بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحي
وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من
النشأة الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما تفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى فلا اقسم برب
المشارق والمغارب والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب المشارق
والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي
بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية
على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم فذرهم فخلهم وشأنهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما
حكي عنهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون هو يوم البعث عند النفخة الثانية لا
يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث بدل من يومهم وقرئ يخرجون
على البناء للمفعول من الاخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون اي مسرعين كأنهم الى نصب
وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد ايضا
يوفضون يسرعون خاشعة ابصارهم وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور
آثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي ذكر ما سيقع فيه من الاحوال الهائلة
اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي عليه السلام من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم

سورة نوح

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار
واوصل اليها الفعل فان حذفه مع ان وان مطرد وجعلت صلتها امرا كما في قوله تعالى وان
اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية
ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي
لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء في الدلالة
على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى
الحدث المجرد عن معنى الامر والنهي والمضي والاستقبال كانه قيل ارسلناه بالانذار وقيل المعنى

ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان يكون ان مفسرة لما في الارسال
من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء
والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرئ انذر بغير ان على ارادة القول من قبل ان
يأتيهم عذاب اليم عاجل او آجل لئلا يبقى لهم عذر ما اصلا قال استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية ارساله عليه السلام بالوجه المذكور كانه قيل فما فعل عليه السلام فقيل قال لهم يا قوم اني
لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون متعلق
بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية
فان الاسلام يجبه ويؤخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى الذي قدره الله تعالى لهم بشرط
الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل
بالمسمى وتعليق تأخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح في ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم
يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ان اجل الله اي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر اذا جاء
وانتم على ما انتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق
شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا
اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل ان يأتيهم عذاب اليم
فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل الاطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للامر
بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير الى الاجل المسمى فلا بد ان يكون المنفي عند مجيء الاجل
هو التأخير الموعود فكيف يتصور ان يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى لو كنتم تعلمون
اي لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به قال اي نوح عليه السلام مناجيا ربه
وحاكيا له تعالى وهو اعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال
بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت
به العلل رب اني دعوت قومي الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا اي دائما من غير
فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي الا فرارا مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى
الدعاء لسببيته كما في قوله تعالى زادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم اي الى الايمان لتغفر لهم
بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم اي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا
ثيابهم اي بالغوا في التغطي بها كأنهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه
كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار
من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا من اتباعي وطاعتي
استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا
اي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة وثم

لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي
بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او اريد بدعوتهم
جاهرتهم او هو صفة لمصدر اي دعوتهم دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدر في موقع الحال
اي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي انه كان غفارا للتائبين
كانهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا
عليه دهرا طويلا فامرهم بما يجب ما سلف منهم من المعاصي ويجلب اليهم المنافع ولذلك
وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم واحب اليهم من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير
الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين
سنة فوعدهم انهم ان آمنوا ان يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه يرسل
السماء عليكم مدرارا اي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او السحاب ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية ما لكم لا ترجون لله
وقارا انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى
الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على
ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله
وما لي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تاخر لكان صفة له
اي اي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به
والطاعة له وقد خلقكم اطوارا اي والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهي
انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا
ثم عظاما ولحوما ثم انشاكم خلقا آخر فان التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة
والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل جدا وقد قيل الرجاء بمعنى
الامل اي ما لكم لا تاملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حال
تاملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة
للوقار والاول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية فان اللائق بحال الكفرة استبعاد
ان لا يعتقدوا وقارا لله تعالى وعظمة مع مشاهدتهم لآثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد
حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله تعالى اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد و
الانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف في قوله والله بيان للموقر ولو تاخر
لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضي ان يكون التوقير صادرا
عنه والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى
وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اي اي عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي ما لكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن
مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون لم ارج اي لم
ابال وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي متطابقة بعضها فوق بعض
وجعل القمر فيهن نورا اي منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه
في السماء الدنيا لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل او لان كل واحدة منها
شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في
واحدة منها كانه في الكل وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا في
ضوئها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون
الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور في الجملة والله انبتكم من الارض نباتا اي
انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض
ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر او لما يترتب عليه من فعله
اي انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا
فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الاخرى
كما مر في قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم
ويخرجكم منها عند البعث والحشر اخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الارض بساطا
تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع ان حقه
التاخير لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان
النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة
له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة جمع
فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى
الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اي كائنة من الارض ولو تاخر لكان صفة لها قال
نوح اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه اي قال مناجيا له رب انهم
عصوني اي تموا على عصياني فيما امرتهم به مع ما بالغت في ارشادهم بالعظة والتذكير
واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين
ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة
فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة
لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة و
قرئ وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على

صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها مكرا كبارا
اي كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير وذلك احتيالهم
في الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم على اذية نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن
آلهتكم اي لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا اي ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها
فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى
العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير و
قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من اولاد آدم عليه السلام ماتوا
فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما
مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل ود على صورة رجل
وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على
صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة و
العلمية وقد اضلوا اي الرؤساء كثيرا خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن
اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على قوله تعالى رب انهم
عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اي قال رب انهم عصوني
وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط
وتعليل الدعاء عليهم والمطلوب هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع
والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما سيأتي من دعائه عليهم
مما خطيئاتهم اي من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم
ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئاتهم اي
بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر فادخلوا
نارا المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم
كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة
المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها او لتهويلها او لانه
اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم يجد احد
منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وبانها غير قادرة
على نصرهم وتهكم بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف على
نظيره السابق وقوله مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان
من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التي

عددها نوح واشار الى استحقاقهم للهلاك لاجلها لا انها حكاية لنفس الاغراق والاحراق
على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعائه
هذا وديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال بالدار ديار وديور كقيام وقيوم
اي احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار قد فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال
والا لكان دوارا انك ان تذرهم عليها كلا او بعضا يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا اي الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد
عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام
علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ احوالهم قريبا من الف سنة رب
اغفر لي ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء و
قرئ ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا ولهذا
القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك
وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات عمهم بالدعاء اثر ما خص من يتصل به نسبا
ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب
لهم بل لتشديد عذاب آبائهم واغاظتهم باراءة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم
قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله
براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة
فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي صلعم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن

قل اوحي الي وقرئ أحي اصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد
واُزن في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان استمع اي القرآن كما
ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلثة والعشرة و
الجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة و
قيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام لم يشعر بهم و
باستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبره الله تعالى
بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرآنا
كتابا مقروا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به
للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اي بذلك القرآن ولن نشرك بربنا
احدا حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا بالفتح قالوا وما بعده من الجمل

بان في احد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في آمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني اي عظم تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح الاندراج كلها تحت القول واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما تقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القران ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطا فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة للحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى كان شططا واما تعلقهما بقوله وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اي كنا نظن انه لن يكذب على الله احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدره المحذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا امسى في واد قفر وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله فزادوهم اي زاد الرجال العائذون الجن رهقا اي كبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض ان لن يبعث الله احدا وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة الخ فيكون لا بعد لانه وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب انهما كذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لادراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بانا ينبغي ان يكون معطوفة على ذلك على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات اي طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب

جمع

كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اي حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل شديدا قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الآن في مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له لاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انه كان قبل البعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قولهم وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا وفي نسبة الخير الى الله دون الشر من الآداب الشريفة القرانية كما في قوله واذا مرضت فهو يشفين ونظائره وانا منا الصالحون اي الموصوفون بصلاح الحال في شان انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف والمقصود وهم في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القران كما يعرب عنه قوله تعالى كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماعه فيحكى بقوله وانا لما سمعنا الهدى الى قوله وانا منا المسلمون اي كنا قبل هذا ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اي متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اي علمنا الآن ان لن نعجز الله اي ان الشان لن نعجز الله كائنين في الارض اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القران الذي هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اي نقصا في الجزاء ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون على طريق الحق الذي هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون الجائرون على سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا اي مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحي الي

ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة التي هي ملة الاسلام
لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه
اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى
اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود
لادم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه
لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا
باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفران النعمة
ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا
اي شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله
عطف على قوله تعالى انه استمع اي واوحي الي ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد
لله فلا تدعوا اي لا تعبدوا فيها مع الله احدا غيره وقيل المراد بالمسجد المسجد الحرام و
الجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها
جعلت مسجدا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مواضع السجود على ان المراد نهي السجود لغير الله
وقيل اعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمي وانه من جملة الموحى اي
واوحي الي ان الشان لما قام عبد الله اي النبي صلى الله عليه وسلم وايراده بلفظ العبد
للاشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه
حال من فاعل قام اي يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله في الاحقاف كادوا
اي الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا
من قراءته واقتداء اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما
لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون
يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ
لبدا جمع لبدة وهي بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور
وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان يظهره
على من ناواه قل انما ادعو ربي اي اعبد ربي ولا اشرك به في العبادة احدا فليس ذلك
ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتي وقرئ قال على انه حكاية لقوله
عليه السلام للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا
كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الاخرى
قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا ملتجأ ومعدلا وهذا
بيان لعجزه عليه السلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عليه السلام عن شؤون غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله

استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي
الاستطاعة او من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا
مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف
لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته اي لا املك لكم
الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التي ارسلني بها ومن يعص الله ورسوله في الامر
بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فجزاؤه ان له نار جهنم
خالدين فيها في النار او في جهنم والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى اذا راوا
ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام
واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من فنون
العذاب في الاخرة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وحمل ما يوعدون
على ما راوه يوم بدر يأباه قوله تعالى قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له
ربي امدا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له و
استهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادري متى يكون عالم الغيب بالرفع قيل
هو بدل من ربي او بيان له ويأباه الفاء في قوله فلا يظهر على غيبه احدا اذ يكون النظم
حينئذ ام يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر عليه احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ
محذوف اي هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء
لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اي فلا يطلع على غيبه اطلاعا
كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى
من رسول اي الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه
بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما اما لكونه من مبادي رسالته بان يكون معجزة دالة على
صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي امر بها المكلفون
وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها في الاخرة وما تتوقف هي عليه من احوال
الاخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التي بيانها
من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت
قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها
يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان
اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما
من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام
من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه

رصدا تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اي فانه تعالى
يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض
الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا
رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ
المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي
هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي اريد
اظهاره لمن ارتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى
يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن
الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما
في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى
لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير
عن التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين
باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هي من
غير اختطاف ولا تخليط بعدما ابلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى واحاط بما لديهم اي بما عند
الرصد والرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور
جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور
اي يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم من الا
جميعا واحصى كل شيء مما كان وما سيكون عددا اي فردا فردا وهو تمييز منقول من
المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شيء وقيل هو حال اي معدودا
محصورا او مصدر بمعنى احصاء وايا ما كان ففائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه
كلي اجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل
الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع
حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم
معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم الخ فمعزول من
السداد عن النبي صلعم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل

يا ايها المزمل اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ
على الاصل وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبي عليه السلام
تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه السلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله
من لا يهمه امر ولا يعنيه شان فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد
وقيل دخل عم على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عم وبوادره ترعد فقال زملوني
وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص صفة
التزمل بالخطاب للملاطفة والتانيس كما في قوله عليه السلام لعلي رض حين غاضب فاطمة رض
فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب
عليه وقيل المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما وهو امر النبوة اي حمله والزمل الحمل وازدمله
اي احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام او للامر به فان تحمله عليه السلام
لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة قم الليل اي قم الى الصلوة وانتصاب الليل
على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلوة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها الا
قليلا استثناء من الليل وقوله تعالى نصفه بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اي قم نصفه
والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان الجزء المقارن للقيام والايذان
بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى
الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر او انقص منه اي انقص القيام من النصف
المقارن له في الصورة الاولى قليلا اي نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى
نصف النصف او زد عليه اي زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه السلام
بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد
اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن
للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس
الى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام
وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا
اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف
والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على
البتات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضمير
للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا و
قيل وقيل والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم بما في كتابه الجليل ورتل القرآن
اي في اثناء ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع
من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك اي سنوحي اليك

وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا وهو القران العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مامور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عم من القيام وقيل معناه كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رض كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ان ناشئة الليل اي ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعاقبة او ان العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ هي اشد وطأ اي هي خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اي اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قران ودراسة علم وتبتل اليه اي وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه السلام عن العوائق الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل رب المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره لا اله الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فاتخذه وكيلا لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى وذرني والمكذبين اي دعني واياهم وكل امرهم الي فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا ان لدينا انكالا اي قيودا ثقالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اي ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب في الحلوق ولا يكاد

يساغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب مولما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اي تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي عذابا واقعا يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر وانسيل انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما ارسلنا الى فرعون رسولا هو موسى عم وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه فعصى فرعون الرسول الذي ارسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا خارج من التشبيه جيء به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل اي وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة فكيف تتقون اي كيف تقون انفسكم ان كفرتم اي بقيتم على الكفر يوما اي عذاب يوم يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب وقد جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر اي منشق وقرئ متفطر اي متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتاويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب اي ذات انفطار والباء في قوله تعالى به مثلها في فطرت العود بالقدوم كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او لليوم والمصدر مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة الى الايات المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثي الليل وطائفة من الذين معك اي ويقوم معك طائفة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي علم ان الشان لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرؤا ما تيسر من القران فصلوا ما تيسر لكم

من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على
التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن
بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من
القانتين وقيل خمسين آية علم ان سيكون منكم مرضى استيناف مبين لحكمة اخرى
داعية الى الترخيص والتخفيف وآخرون يضربون في الارض يسافرون فيها للتجارة
يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون
في سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص فاقرؤا ما تيسر منه
من غير تحمل المشاق واقيموا الصلوة اي المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة وقيل هي زكوة
الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة المفروضة جعل اخر السورة مدنيا
واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به الانفاقات في سبيل الخيرات او اداء الزكوة
على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان مما ذكر و
ما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت
وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة
ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في كافة
احوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد
قيل هي اول سورة نزلت روي عن جابر رضه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت
على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت
فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت
الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول
ما نزل سورة اقرأ الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه
جبريل عم وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها
المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان
لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس
النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اي الذي دثر
هذا الامر العظيم وعصب به وفي حرف ابي المتدثر يا ايها المتدثر على الاصل قم اي من مضجعك

او قم قيام عزم وتصميم فانذر اي افعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله وانذر
عشيرتك الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا
ويروى انه لما نزل قال رسول الله الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي
وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ما كان اي اي شيء حدث فلا تدع
تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه من الشرك
فان اول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر مما ليس
بطاهر فانه واجب في الصلوة واولى واحب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات
وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات
وهو اول ما امر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس مما
يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه
بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق والرجز فاهجر اي واهجر العذاب بالثبات على هجر
ما يؤدي اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر
اي ولا تعط مستكثرا اي رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار
وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه
الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم
لان الله اختار له اشرف الاخلاق واحسن الاداب او للتنزيه للكل وقرئ تستكثر
بالسكون اعتبارا بحال الوقف وابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن تستكثر على انه من
المن الذي في قوله منا ولا اذى لان من يمن بما يعطي يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب
باضمار ان مع ابقاء عملها كقول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغا وقد قرئ باثباتها
ويجوز في قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغا بالرفع ولربك
اي لوجهه او لامره فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض
فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع
الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل
يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة
الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول
والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن
والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر اذ التقدير ذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى الكافرين متعلق

بعسير وقيل المحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن فيه وقوله تعالى غير يسير تاكيد لعسره
عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف في ان المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية والحق انها
الثانية اذ هي التي تختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي هو الاصعاق يعم البر
والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد
الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح
الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا حال
اما من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته وحدي لم
يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد
نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف
له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه
كان زنيما كما مر او وحيدا في الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء
من مد النهر ومده نهر اخر وقيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رض هو ما
كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره
صيفا وشتاء وقال ابن عباس رض ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال قتادة
ستة الاف دينار وقال سفين الثوري اربعة الاف دينار وقال الثوري ايضا الف
الف دينار وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل
او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم
قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد و
عمارة وهشام والعاص والعيص وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة و
مهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد
على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة او
لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما
خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى انه كان
لاياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستيناف التحقيقي فان معاندة ايات المنعم مع وضوحها وكفران
نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول
هذه الاية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة او
الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي عليه السلام
يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله
ذابت واذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا

ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد واستحقاقه له او بيان لعناده لآياته
اي فكر ماذا يقول في شان القران وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته
فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما
كرروه من قولهم فقتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم
قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان
يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو
من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله ليصبان قريش كلهم فقال ابن
اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا
مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه
يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك
اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده
ومواليه وما الذي يقوله الا سحر ياثره عن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله
متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما
بعد على اصلها من التراخي الزماني ثم نظر اي في القران مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه
لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي يروى
ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى
ان هذا الا قول البشر تاكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف ساصليه سقر بدل من سارهقه
صعودا وما ادراك ما سقر اي اي شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما
الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ اي اي شيء هي
في وصفها لما مر مرارا من ان ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم
والحقيقة وقوله تعالى لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما
ادراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا
هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا
محالة لواحة للبشر مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من
الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص
للتهويل عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا او نقيبا من الملائكة يلون امرها ويتسلطون

على اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر
جمع عشير مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار اي المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها
الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق و
اقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له ولتأسيهم بما عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم مثل قوة
الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه
لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو
الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين
فنزلت اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي وما جعلنا عددهم الا
العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما و
ليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القرآن ايضا كذلك
وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا
العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتي ليستيقن
اهل الكتاب وازديادا المؤمنين ايمانا قالوا المقتضي لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية
في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات
ست منها لاصناف الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من
العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة
يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون
خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بانواع من العذاب
يتولاها الزبانية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا
اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم ويزداد
الذين آمنوا ايمانا اي يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك
او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما
لم ينتظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين
النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين
مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول و
الصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للاعلان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم فيه
وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة
والكافرون المصرون على التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي اي شيء اراد بهذا العدد

المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا
بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك يضل الله من يشاء و
ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب على انها صفة
لمصدر محذوف واصل التقدير يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اضلالا وهداية كائنين مثل ما
ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر
فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب
الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة
تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية ادنى منهما وما يعلم جنود ربك اي جموع خلقه التي
من جملتها الملائكة المذكورون الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها
وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة وما هي
اي سقر او عدة خزنتها او الآيات الناطقة باحوالها الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع
لمن انكرها او انكار ونفي لان يكون لهم تذكر والقمر والليل اذ ادبر وقرئ اذا دبر بمعنى ادبر
كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه والصبح
اذا اسفر اي اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد
والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها و
نظيرها القواصع في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي الكبر
على معنى ان البلايا الكبر او الدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرة لها نذيرا للبشر
تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على
انه خبر بعد خبر لان او لمبتدأ محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر بدل من للبشر اي
نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله او لم يشأ ذلك فيضله وقيل لمن شاء
خبر وان يتقدم او يتأخر مبتدأ فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم
لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين فانهم فكوا
رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال
وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق
وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدأ
محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه
قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله يتساءلون
وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم ان يسأل بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا

ويتساءلون معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل
للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا
معا كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني ويقصد بها
الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون
عن المجرمين يسألونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى ما سلككم في
سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اي يتساءلونهم قائلين اي شيء ادخلكم فيها فتأمل ودع عنك
ما تكلف فيه المتكلفون قالوا اي المجرمون مجيبين للسائلين لم نك من المصلين للصلوات الواجبة
ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه
دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة وكنا نخوض مع الخائضين اي نشرع في الباطل
مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء اضافوه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي
والاهوال ما لا غاية له لانه ادهى ما ارتابوا فيه او لانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتأخير
جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين
ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قوله
حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفاء
في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من
موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع
خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأي شيء حصل لهم
معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتآخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى كأنهم
حمر مستنفرة حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة
اي من اسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا
في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها
وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف
على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان
يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد
منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا
لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع
لهم عن تلك الارادة بل لا يخافون الآخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا
ردع عن اعراضهم انه اي القرآن تذكرة اي تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة
الدارين وما يذكرون بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا

تأثير لمشيئة العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل
او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله ذلك
وهذا تصريح بان افعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بها
مشددا هو اهل التقوى اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل المغفرة حقيق بان يغفر
لمن آمن به واطاعه عن النبي صلعم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به

سورة القيمة

لا اقسم بيوم القيامة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها
صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الاقسام بل لنفي ما ينبئ
هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه
حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه
في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم انكروا البعث
فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيامة كقولك لا والله ان البعث حق وايا ما كان
ففي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس
وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامة اي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على
تقصيرهن في التقوى وفيه طرف من البراعة التي في القسم السابق او بالنفس التي لا تزال تلوم
نفسها وان اجتهدت في الطاعات او في النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما
روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت
خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا
القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة
المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تلوم على فعلها الذي خرجت به
من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان الن نجمع عظامه وهو ليبعثن و
المراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن
الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشأن لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها
بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض
والقتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي عم
يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة
متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه
العظام بلى اي نجمعها حال كوننا قادرين على ان نسوي بنانه اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض

كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم
خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام
مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام اي بل يريد
ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه يسأل ايان يوم القيمة
اي متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق
فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح
وانفرج وخسف القمر اي ذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله
من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار
وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اي يوم اذ تقع هذه الامور اين المفر
اي الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع
كلا ردع من طلب المفر وتمنيه لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به
فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اي اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم
او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤا الانسان يومئذ اي يخبر
كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول
ويعاقب بالثاني واخر اي لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم
من حسنة او سيئة وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في
حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة
بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سبق من الجملة
الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الايات بالابصار في قوله فلما جاءتهم اياتنا مبصرة
او عين بصيرة والتاء للمبالغة ومعنى بل الترقي اي ينبأ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل
احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك ولو القى معاذيره اي ولو جاء بكل معذرة
يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبؤا اي هو بصيرة على نفسه تشهد
عليه جوارحه وتقبل منه ولو اعتذر بكل معذرة او ينبؤ باعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير
اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبرئيل عم القراءة ولم يصبر الى ان
يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر عليه السلام بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه
وسمعه حتى يقضى اليه الوحي ثم يعقبه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اي بالقران
لسانك عند القاء الوحي لتعجل به اي لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك
بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه وقرانه اي اثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه اي اتممنا قراءته

عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب لك فاتبع
قرانه فكن مقفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا
ردع له صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وترغيب له في الاناة واكد ذلك بقوله بل تحبون العاجلة
وتذرون الاخرة على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني ادم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء
ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع
الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اي
وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيمة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه
مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة في قوله الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدأ او نعت
لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام التفصيل لا على ان ناضرة
صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف
عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان تخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها
انها تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده بلا كيف ولا على جهة وليس
في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه
وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة
العبوس وهي وجوه الكفرة تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر
كلا ردع عن ايثار العاجلة على الاخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي
ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي اي بلغت النفس اعالي الصدر
وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اي قال من حضر صاحبها من يرقيه
وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة
العذاب من الرقي وظن انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت
الساق بالساق والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وقيل هما شدة فراق
الدنيا وشدة اقبال الاخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في اكفانه الى ربك يومئذ المساق اي
الى الله والى حكمه سوقه لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول عليه السلام والقران الذي
نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله
ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما مر ولكن كذب
ما ذكر من الرسول والقران وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط
فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى اي ويل لك
واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل من
الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي

اى تكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اى يخلى مهملا فلا يكلف ولا
يجزى وقيل ان يترك فى قبره فلا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من منى يمنى الى اخره استئناف وارد
لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق
ثم كان علقة اى بقدرته تعالى لقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلق اى فقدر بان جعلها مضغة
مخلقة فسوى فعدل وكمل نشأته فجعل منه من الانسان الزوجين اى الصنفين الذكر والانثى
بدل من الزوجين اليس ذلك العظيم الشان الذى انشأ هذا الانشاء البديع بقادر على ان
يحيى الموتى وهو اهون من البدء فى قياس العقل روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا

سورة الانسان

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى على الانسان قبل زمان قريب
حين من الدهر اى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا
غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اى غير مذكور
او صفة اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف اى لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان
الجنس فالاظهار فى قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او آدم عليه السلام وهو المروى
عن ابن عباس رضى الله عنه وقتادة والثورى وعكرمة والشعبى قال ابن عباس رضى الله عنه فى رواية ابى صالح عنه مرت
به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفى رواية الضحاك عنه انه
خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حمأ مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام
اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس
ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة
الى خلقه عليه السلام وهذا بيانا لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشئ اذا
خلطته وصف النطفة به لما ان المراد بها مجموع المائين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون و
الرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه
قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم
وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبى وقد روى هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار وكاكباش وقيل امشاج
الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى نبتليه حال من فاعل خلقنا اى
مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتى او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روى
عن ابن عباس رضى الله عنه نصرفه فى بطن امه نطفة ثم علقة الى اخره فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الآيات
التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء

ورتب عليه قوله تعالى انا هديناه السبيل بانزال الآيات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا حالان
من مفعول هديناه اى مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعا او التفصيل
او التقسيم اى هديناه الى ما يوصل اليها فى حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء و
الاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما كفورا
على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اى اما شاكرا فبتوفيقنا
واما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل
والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين
من افراد الانسان الذى هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا
بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما فى الذكر كما فى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه
بذكر المؤمنين احسن على ان فى وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ
سلاسلا للتناسب ان الابرار شروع فى بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال
الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار
جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وقيل هو من بر خالقه اى اطاعه وقيل الممتثل بامره
وقيل من يؤدى حق الله تعالى ويوفى بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذى الذر يشربون من كاس هى
الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثانى تبعيضية
او بيانية كان مزاجها اى ما تمزج به كافورا اى ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض
الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كاس وقوله تعالى عينا بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم
بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور
فعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير مضاف اى يشربون خمرا خمر عين او نصب
على الاختصاص وقوله تعالى يشرب بها عباد الله صفة عينا اى يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها و
قيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابى عبلة يشربها
عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون العين بتلك الكاس يفجرونها تفجيرا اى يجرونها
حيث شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجرى جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى
لعينا وقوله تعالى يوفون بالنذر استئناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على
نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية
فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تعالى عليهم ويخافون يوما كان شره
مستطيرا فاشيا منتشرا فى الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ
من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اى كائنين على حب الطعام والحاجة اليه

كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس
او كائنين على حب الله تعالى او الاطعام كانه على حبه تعالى وهو الانسب لما بعده من قوله لوجه الله
مسكينا ويتيما واسيرا اي اسير كان فانه صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين
فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو
الحال من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل
للصدقة وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة
الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها
خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا وهو تقرير وتأكيد لما قبله انا نخاف
من ربنا يوما اي عذاب يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في الشدة والضراوة
قمطريرا شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل
لعدم ارادة الجزاء والشكور اي انا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما فوقاهم الله شر ذلك اليوم
بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم
نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة
هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا يأكلون منه ما شاؤوا وحريرا
يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضي ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما النبي
صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا لعلي رض لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رض وفضة جارية
لهما ان برئا ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي رض من شمعون
الخيبري ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم
فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من
مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا
صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة
اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ بيد علي الحسن والحسين رضي الله عنهم فاقبلوا الى النبي عليه السلام
فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام ما اشد ما يسوؤني ما ارى
بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه
ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة متكئين فيها
على الارائك حال من هم في جزاهم او العامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك
هي السرر في الحجال وقوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال ثانية من الضمير او من المستكن
في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي

والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها
حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا
جنتين كما في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على انه خبر ظلالها
والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه
ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس مؤذية
لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس ثمة ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا اي سخرت ثمارها
لمتناوليها وسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم مذللة
لهم قطوفها او معطوفة على دانية اي ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية
فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب الكوب الكوز
العظيم الذي لا اذن له ولا عروة كانت قواريرا قواريرا من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء
الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة لاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثاني
ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير قدروها تقديرا صفة لقوارير ومعنى
تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة
لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين
بها المدلول عليهم بقوله ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ
قدروها على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا من قدرت الشيء و
يسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج
به اطيب ما يستطيبه العرب والذ ما يستلذ به عينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم
بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كأسا كانه قيل ويسقون فيها كأسا
كأس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة
مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان
انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة ويطوف عليهم ولدان
مخلدون اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم
وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى
بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع
في الجنة رأيت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة
الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل تسلم عليهم
الملائكة وتستأذن عليهم عاليهم ثياب سندس خضر قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم
وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب

وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الحرير
او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب الى آخره وقرئ عاليهم بالرفع على انه مبتدا خبره ثياب
اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس
واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما و
قرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب
وحلوا اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع
والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء
لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار
قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو نوع
آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية
فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله
ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة
ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون الكرامات
كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم الحسنة وكان سعيكم مشكورا مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب
انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا اي مفرقا منجما لحكمة بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير
الضمير مع ان فاصبر لحكم ربك بتاخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم آثما
او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة
على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان
ترتب النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما
ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد
فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره
في جميع الاوقات او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما ومن الليل فاسجد له
وبعض الليل فصل له ولعله صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد
كلفة وخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة
وينهمكون في لذاتها الفانية ويذرون وراءهم اي امامهم لا يستعدون له او ينبذون وراء ظهورهم
يوما ثقيلا لا يعبؤن به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله
بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم
اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب
فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله ويستبدل قوما غيركم واذا

للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى السورة او الآيات القريبة
فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اي وسيلة توصله الى ثوابه
اتخذه اي تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله تحقيق للحق
ببيان ان مجرد مشيتهم غير كاف في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤن
اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيته تعالى تحصيله لكم اذ
لا دخل لمشية العبد الا في الكسب وانما التاثير والخلق لمشية الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء
وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيته تعالى مبنية على اساس
العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم الا
ما يستدعيه علمه ويقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته بيان لاحكام مشيته المترتبة
على علمه وحكمته اي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيته نحو اتخاذ السبيل
اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة والظالمين وهم الذين صرفوا
مشيتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اي متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين
لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر
وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي عليه السلام من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا
اقسام من الله تعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة
في الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن
الشرائع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل
فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر
النفوس والفرق على الالقاء والايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار
بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم و
الاجلال بالاقسام بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق
هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسام برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة
نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن
كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص او فرقن بين من يشكر الله
وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم
لآثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء و

القاء الذكر اليهن لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام بآيات
القران المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى
في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين عذرا او نذرا
اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملئكة
العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه
على الحالية والعذر والنذر مصدران لعذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف وانتصابهما
على البدلية من ذكرا او على العلة وقرئا بالتثقيل انما توعدون لواقع جواب للقسم اي
ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محيت ومحقت او ذهب
بنورها واذا السماء فرجت صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت جعلت كالحب الذي
ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء
اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت اي عين لهم الوقت
الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا الميقات
الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما لاي يوم اجلت مقدر بقول هو جواب
لاذا في قوله تعالى واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اي يقال ليوم اخرت الامور المتعلقة
بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو
اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق وما ادراك ما يوم الفصل ما مبتدا وادراك خبره اي اي شيء
جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل
مبتدا لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هائلا
لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده
عكسه ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك اليوم الهائل وويل في الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله
لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك
الاولين كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه
ثم نتبعهم الاخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم الاخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب
وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالاخرين
المتاخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع
نفعل بالمجرمين اي سنتنا جارية على ذلك ويل يومئذ اي يوم اذ اهلكناهم للمكذبين بآيات الله
وانبيائه وليس فيه تكرير لما ان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا لعذاب الدنيا الم نخلقكم اي الم
نقدركم من ماء مهين اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى
مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر فقدرنا اي فقدرنا

وقد قرئ مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل فنعم القادرون
اي نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا الكفات اسم
ما يكفت اي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها
كفاتا تكفت احياء كثيرة على ظهرها وامواتا غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به
للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار
بقاعها وقيل تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات
وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي
اي جبالا ثوابت شامخات طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد
كداجن ودواجن واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم
ماء فراتا بان خلقنا فيها انهارا ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا
اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب انطلقوا
خصوصا الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا
بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا او كرها ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث
شعب كما هو شان الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار
كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل
العرش وقيل خصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم
او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية
السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة
فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل و
لا يغني من اللهب اي وغير مغن لهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة
كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر
بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن
وقرئ كالقصر جمع قصرة كانه جمالة قيل هو جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة
وقيل اسم جمع كالحجارة صفر فان الشرر لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد
الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط
والحركة وقرئ جمالات جمع جمال او جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل العظيم
من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون
اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لما ان السؤال والجواب والحساب
قد انقضت قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر

عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي
فصل واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي
لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب ويل
يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين الحق والباطل والمحق والمبطل جمعناكم خطاب لامة محمد عم
والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم
تقلدونهم وتعتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل
يومئذ للمكذبين حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب
في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اي مستقرون في فنون الترفه وانواع التنعم كلوا واشربوا
هنيئا بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر اي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا
بما كنتم تعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين اي في عقائدهم
واعمالهم لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في
العذاب المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي
الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع
الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام
مستأنف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ويل يومئذ
للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم اركعوا اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا لقبول
وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك
ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلوة او بالركوع لا يفعلون اذ روي
انه نزل حين امر رسول الله ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير
في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون
ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة فباي حديث بعده
اي بعد القرآن الناطق باحاديث الدارين واخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة
وبراهين ساطعة يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من قرا سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين والله اعلم

سورة النبأ

عم اصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة
لكثرة استعمالها وقرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسؤول عنه وهوله
وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة اي عن اي شيء عظيم الشان يتساءلون اي اهل مكة

وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل
عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ما وان وضعت
لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها
الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا يتساءلون عنه الرسول عليه السلام
والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية
موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا
معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة العقل كما في
قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد منهم الاخر وقد يجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل
عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور او
واحد كما في قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن اي شيء يسأل
هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وربما يجرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا
فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فباي الاء ربك تتمارى
وقوله تعالى عن النبأ العظيم بيان لشان المسؤول عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السائلين
نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على
انه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسأل عنه
كانه قيل عن اي شيء يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة
الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل متعلقة بالمذكور وعم
متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبني على اجراء الوصل مجرى الوقف
وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام
مضمر كانه قيل عم يتساءلون اعن النبأ العظيم والنبأ الخبر الذي له شان وخطر وقد وصف بقوله تعالى
الذي هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه
متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات
اي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا
وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني
فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره
الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي
والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا

خشية واستعدادا او سؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا ردّ. قوله تعالى كلا سيعلمون
فانه صريح في ان المراد اختلاف الجاهلين المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف
المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين
للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل النظر والذي تقتضيه التحقيق ويستدعيه
النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بان يعتبر في الاختلاف
محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان
كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الآخر
لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق
كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقية في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة
بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون
وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ
عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن
صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم
لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل
حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد
للمبالغة في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند
النزع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج
الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير
قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى الم نجعل الارض
مهادا والجبال اوتادا الى آخره استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد
الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح ان المتساءل عنه
هو البعث لا القرآن او نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى
الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش
وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال
اوتادا لها ارساؤها بها كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم عطف على المضارع المنفي بلم
داخل في حكمه فانه في قوة اما جعلنا الى آخره او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة انا
قد جعلنا الخ ازواجا اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاش
ويتأتى التناسل وجعلنا نومكم سباتا اي موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من

من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة
القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل الذي
فيه يقع النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به
عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل فهو
جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى
وجعلنا النهار معاشا اي وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا
عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له او نحو ذلك مما لا مناسبة له
بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعايش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا
شدادا اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير
عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول
ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له
فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا هذا الجعل بمعنى الانشاء
والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له
كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وايا ما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون
فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او
مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا
وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد
من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه
لكونه نكرة وايا ما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا
الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه
عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة
والوهاج الوقاد المتلألئ من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج
والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء
وانزلنا من المعصرات هي السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كما
في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح
التي حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من

المعصرات سواء أريد بها السحاب أو الرياح فقد كان بها كما يقال أعطاه من يده وبيده وقد فسرت
المعصرات بالرياح ذوات الأعاصير ووجهه أن الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر أخلافه فصلحت أن تجعل
مبدأ للإنزال ماء ثجاجا أي منصبا بكثرة يقال ثج الماء أي سال بكثرة وثجه أي أساله ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحا بالحاء ومثاجح
الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا ما
يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الإخراج لأصالته وشرفه لأن غالبه
غذاء الإنسان وجنات الجنة في الأصل هي المرة من مصدر جنه إذا ستره تطلق على النخل والشجر
المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير بن أبي سلمى كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح
تسقي جنة سحقا وعلى الأرض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم و
الأول هو المراد وقوله تعالى ألفافا أي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالأوزاع
والأخياف وقيل الواحد لف ككن وأكنان أو لفيف كشريف وأشراف وقيل هو جمع لف جمع
لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم أن فيما ذكر من أفعاله عز وجل دلالة
على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الأول باعتبار قدرته فإن من قدر على إنشاء هذه الأفعال
البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الإعادة أقدر وأقوى الثاني باعتبار علمه
وحكمته فإن من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة
إلى الخلق يستحيل أن يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فإن
اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا إخراج الحب والنبات
من الأرض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه الأفعال الآفاقية والأنفسية الدالة
بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للإيمان به فما لكم تخوضون فيه إنكارا وتسألون
عنه استهزاء وقوله تعالى إن يوم الفصل كان ميقاتا شروع في بيان سر تأخيره بما يتساءلون
عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه
عنده من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد إجمالا أي إن يوم فصل الله عز وعلا بين الخلائق كان
في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الأولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا
لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق ينتهون إليه
ولا ريب في أنهما بمعزل من التقريب الذي أشير إليه على أن الدنيا تنتهي عند النفخة الأولى وقوله تعالى
يوم ينفخ في الصور أي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير
في تأخر الفصل عن النفخ فإنه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره والصور
هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام عن أبي هريرة رض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره

إلى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله وذلك
قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة
لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون والفاء
في قوله تعالى فتأتون فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيذانا بغاية سرعة
الإتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق أي فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى
الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلا أفواجا أي أمما كل أمة مع إمامها كما في قوله تعالى يوم ندعوا
كل أناس بإمامهم أو زمرا وجماعات مختلفة الأحوال متباينة الأوضاع حسب اختلاف أعمالهم
وتباينها عن معاذ رض أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام يا معاذ سألت
عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي
وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم
أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من
الجيف وبعضهم ملبسون جلابيب سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات
من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا
وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم
فالعلماء الذين خالفت أقوالهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون
جيرانهم وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد
نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في أموالهم وأما الذين يلبسون
الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق
وقرئ فتحت بالتشديد وهو الأنسب بقوله تعالى فكانت أبوابا أي كثرت أبوابها المفتحة لنزول
الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كأنها ليست إلا أبوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الأرض عيونا
كأن كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله
هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أي أمره وبأسه في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الأبواب الطرق
والمسالك أي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء وسيرت الجبال أي في الجو على هيآتها
بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب أي تراها
رأي العين ساكنة في أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا
وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحوا من الأنحاء لا تكاد تتبين حركتها وإن كانت في غاية
السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب
تهملج وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها

كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى فكانت سرابا اي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي غبارا منتشرا وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله لا يكون الا بعد النفخة الثانية ان جهنم كانت مرصادا شروع في تفصيل احكام الذي اضيف اليه اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غني عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه اي انها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها للطاغين متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اي كائنا للطاغين وقوله تعالى مآبا بدل منه اي مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخر لكانت صفة له وقد جوز ان يتعلق بنفس مآبا على انها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا للطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقرئ ان بالفتح على تعليل قيام الساعة بانها مرصاد للطاغين لابثين فيها حال مقدرة من المستكن في للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى احقابا ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهي تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم جزاء اي جوزوا بذلك جزاء وفاقا ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها وفاقا على انه فعال من وفقه كذا اي لافقه انهم كانوا لا يرجون حسابا تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم وكذبوا بآياتنا الناطقة بذلك كذابا اي تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا

اي وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية اي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شيء من الاشياء التي من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره احصيناه اي حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر مؤكد لاحصيناه لما ان الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا شروع في بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة اي ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تعالى حدائق واعنابا اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا وكواعب اي نساء فلكت ثديهن وهن النواهد اترابا اي لدات وكأسا دهاقا اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملأه لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في الكأس لغوا ولا كذابا اي لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف اي لا يكذبه او لا يكاذبه جزاء من ربك مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد تشريف له عليه السلام عطاء اي تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء حسابا صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف او بولغ فيه من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن صفة له وقيل صفة للاول واياما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا استئناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدأ مضمر وقيل الثاني نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه على رأي من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون استئنافا على حاله فعلى ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لما ان المرفوع مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب

من سورة البقرة وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده او على انه خبر لمبتدأ مضمر
وما بعده استئناف او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه
تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشيء من
نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه واكده وقيل البرّ في اكبر ما يخاطب الله تعالى به
ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه
يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين
وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا اعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اذا كان يوم القيامة قام
هو وحده صفا والملائكة كلهم وعنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة
لهم رؤوس وايد وارجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا عند قول ابي صالح ومجاهد قالوا
ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة
وقيل جبريل عليه السلام وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد او متعدد والملائكة صف
وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض
الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء ربوبيته وتهويل
يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى
لا يملكون منه خطابا ومؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على ان يتكلموا بشيء من جنس الكلام
الا من اذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اي حقا فكيف يملكون خطاب رب
العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما لا على معنى ان الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلائق
واقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم
كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال لمن سلكه يجوز ان يكون يوم ظرفا ليملكون فقد اشتبه عليه
الشؤون واختلطت به الظنون وقيل الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا
في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موقع الاضمار للايذان
بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ذلك اشارة الى يوم قيامهم على الوجه
المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله
الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم
وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف
يثنيه والفاء في قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف
لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه
متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة

فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا
اي سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا
انا انذرناكم اي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها وبسائر القوارع الواردة
في القرآن عذابا قريبا هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رأوه
بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا
لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه
فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او
شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف او ينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية
منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم وقيل معنى يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت
ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر
حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته
من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة

سورة النازعات

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله
عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما
ومجاهد او ارواح الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها
من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من
البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها
وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير
العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق
موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفاء في الاخيرين
للدلالة على ترتبهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب وغرقا مصدر
مؤكد بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد وقال ابن مسعود رضي الله عنه تنزع روح
الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم يغرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا
كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق ونصب
نشطا وسبحا وسبقا على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم وجواب القسم

فالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به
من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه و
دلالة ما بعده من احوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها
يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم
التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان يقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج
الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فتسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط بها
كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب
قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بانفس الغزاة
او ايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون
الى حرب العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها
عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة
واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه وانت خبير بان الذي يليق بشان التنزيل هو الاول وقوله تعالى يوم
ترجف الراجفة منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة
اي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض
والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف
الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة الاولى
حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما
اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان
كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا
بعث وقام وجعله اسما في الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فيكون جملة استئنافية
مقول الجواب المضمر كانه قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم
وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب وقيل قلوب
مبتدا ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة للقلوب مسوغة لوقوعه مبتدا وقوله تعالى ابصارها اي ابصار
اصحابها خاشعة جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا للقلوب وقد قرر ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب
الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت
الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا
للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة تحكما بحتا على ان الوجيف الذي
هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهون
الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا تخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة

غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف
المخصص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير كما في شر
اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان
واجفة اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضه خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها كما في
قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون ائنا لمردودون في الحافرة حكاية لما يقوله
المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته
الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار اي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له
متعجبين منه ائنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة اي في الحالة الاولى يعنون الحيوة من قولهم رجع
فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى
عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في
الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة تاكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية
له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اي ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شيء
من الحيوة وقرئ اذا كنا على الخبر واسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر
وهو البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر اخر لهم متفرع على كفرهم
السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار
مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اي قالوا
بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه من الردة في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذن
كرة خاسرة اي ذات خسران او خاسر اصحابها اي ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها و
قوله تعالى فانما هي زجرة واحدة تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة الذي عبروا عنه
بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة
اي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها عينها وقيل هي
هي راجع الى الرادفة وقوله تعالى فاذا هم بالساهرة حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجاة اي فاذا
احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة
التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها
من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم
لجهنم وقال الراغب هي وجه الارض وقيل هي ارض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضه
ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله عز وجل يوم القيامة
وقيل هي اسم الارض السابعة ياتي بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض
وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء

على تغير حبهم وقوله تعالى هل أتاك حديث موسى مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل أتاك إن اعتبر هذا أول ما أتاه
عليه السلام من حديثه ترغيب له عليه السلام في استماع حديثه كأنه قيل هل أتاك حديثه أنا أخبرك به وإن
اعتبر إتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الإيجاز في الاقتصاص أليس قد أتاك حديثه وقوله تعالى إذ ناداه ربه بالواد
المقدس طوى ظرف للحديث لا للإتيان لاختلاف وقتيهما طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ
بالكسر منونا وغير منون فمن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى أو المقدس أي ناداه
نداءين أو المقدس مرة بعد أخرى اذهب إلى فرعون على إرادة القول وقيل هو تفسير للنداء أي ناداه
اذهب لأن في النداء معنى القول إنه طغى تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به فقل بعد ما أتيته هل لك
رغبة وتوجه إلى أن تزكى بحذف إحدى التاءين من تتزكى أي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى
بالتشديد وأهديك إلى ربك وأرشدك إلى معرفته عز وجل فتعرفه فتخشى إذ الخشية لا تكون إلا
بعد معرفته قال عز وجل إنما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لأنها ملاك الأمر من خشي
الله تعالى أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر أمر النبي عليه السلام بأن يخاطبه بالاستفهام الذي معناه
العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له
قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى والفاء في قوله تعالى فأراه الآية الكبرى فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على
تفصيلها في السور الأخرى فإنه عليه السلام ما أراه إياها عقيب هذا الأمر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى
ما جرى من الاستدعاء والإجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات
إلى أن قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين والإراءة إما بمعنى التبصير أو التعريف
فإن اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها إنما كان إراءة منه وإظهارا للتجلد ونسبتها إليه عليه السلام
بالنظر إلى الظاهر كما أن نسبتها إلى نون العظمة في قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا بالنظر إلى الحقيقة والمراد بالآية
الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما فإنها كانت المقدمة والأصل والأخرى كالتبع لها
أو هما جميعا وهو قول مجاهد فإنهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب أنت وأخوك
بآياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الأمور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه
ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فإن ما عدا هاتين من الآيات التسع إنما ظهرت على يده عليه السلام
بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الأعراف ولا ريب في أن هذا مطلع القصة
وأمر السحرة مترتب عليه فكذب بموسى وسمى معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الأمر و
وجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجترأ على إنكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين
وقومه مأمورين بعبادته عز وعلا وترك العظمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية
لا بإرسال بني إسرائيل من الأسر والقسر فقط ثم أدبر أي تولى عن الطاعة أو انصرف عن المجلس
يسعى أي يجتهد في معارضة الآية أو أدبر ثم أقبل إلى الناس يسعى فوضع موضعه أدبر تحاشيا عن وصفه

بالإقبال وقيل أدبر مرعوبا من الثعبان فإنه روي أنه عليه السلام لما ألقى العصا انقلبت ثعبانا أشعر
فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون
فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا من قومه وقيل إنها انقلبت
حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت و
يقول فرعون أنشدك بالذي أرسلك إلا أخذته فأخذه فعاد عصا ويأباه أن ذلك كان قبل الإصرار
على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى فحشر أي فجمع السحرة لقوله تعالى فأرسل
في المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده أي ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جنوده ويجوز
أن يراد جميع الناس فنادى في المجمع بنفسه أو بواسطة المنادي فقال أنا ربكم الأعلى قيل قام
بهم خطيبا فقال تلك العظيمة فأخذه الله نكال الآخرة والأولى النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم
وهو التعذيب الذي ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي إليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد
كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة والإغراق
في الدنيا وقيل مصدر لأخذ أي أخذه الله أخذ نكال إلخ وقيل مفعول له أي أخذه لأجل نكال إلخ وقيل نصب على
نزع الخافض أي أخذه بنكال الآخرة والأولى وإضافته إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار
أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فإن ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فإن العقوبة الأخروية
تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي إليها لا محالة وقيل المراد بالآخرة والأولى قوله أنا ربكم الأعلى
وقوله ما علمت لكم من إله غيري قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة فالإضافة إضافة المسبب إلى السبب
إن في ذلك أي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى أي لمن من شأنه
أن يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى أأنتم أشد خلقا خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على
صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله عز وجل بقوله تعالى
فإنما هي زجرة واحدة أي أخلقكم بعد موتكم أشد أي أشق وأصعب في تقديركم أم السماء أي أم خلق السماء
على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة أدناها كقوله تعالى لخلق السموات والأرض
أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى بناها
إلى آخره بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه
من الأفعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى رفع سمكها بيان للبناء أي جعل مقدار
ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية
ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه
إلا الخلاق العليم من قولهم سوى أمر فلان إذا أصلحه وأغطش ليلها أي جعله مظلما يقال غطش الليل
وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه وقد مر هذا في قوله تعالى وإذا أظلم عليهم قاموا ويقال أيضا أغطش الليل كما
يقال أظلم وأخرج ضحاها أي أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر في

مقام الامتنان ولعله السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضافة النور
بعد الظلمة اتم في الانعام واكمل في الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما على حركتها
ويجوز ان يكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اي ابرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام
سلطانها وكمال اشراقها والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها
وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها اخرج منها ماءها بان فجر منها عيونا واجرى انهارا ومرعاها اي
رعيها وهو في الاصل موضع الرعي وقيل هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لانها بيان
وتفسير لدحاها وتكملة له فان السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية امر المعاش من المأكل
والمشرب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور او بدونه عند الكوفيين والاخفش كما في قوله
او جاؤكم حصرت صدورهم والجبال منصوب بمضمر يفسره ارساها اي اثبتها واثبت بها الارض ان
تميد باهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل عنها بالرواسي
ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في انفسها فضلا عن اثباتها الارض
وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء
عليه وجودا لشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر المأكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع
ضميري الماء والمرعى الى الجبال هذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها
كما روي عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها
ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا
رتقا ففتقناهما الاية وقد مر في سورة حم السجدة ان قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان الاية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة
على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها
وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى
احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة
فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى
خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات
وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة
فالاقرب كما قيل تأويل هذه الاية بان يجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها
وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل بعدية الدحو عنها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب
والعجم لا في الوجود لما عرفت من ان انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر
بعده ليفيد القصر ويتعين البعدية في الوجود وفائدة تأخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة

على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع
المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وليس ما
روي عن الحسن نصا في تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان
وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة
من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة
فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة
ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى
متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد
واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الانسان وغيره بناء
على استعارة الرعي لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر
مؤكدة لفعله المضمر اي متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها
في معنى متع بذلك وقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات
اي تعلوها وتغلبها وهي القيامة او النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم
وقيل التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان احوال معادهم
اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل
كما ينبئ عنه لفظ المتاع يوم يتذكر الانسان ما سعى قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب
باعني كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز
ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على رأي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد
ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد
كقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان تكون ما مصدرية وبرزت الجحيم عطف على جاءت اي اظهرت
اظهارا بينا لا يخفى على احد لمن يرى كائنا من كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر
وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا رأتهم من مكان
بعيد او على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى فاما من طغى الخ
جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى الاية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره
انقسم الراؤون قسمين فاما من الخ والذي يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل ان الجواب
المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل اي فاما من
عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان وآثر الحيوة الدنيا الفانية التي هي جناح الفوات
فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحيوة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة فان الجحيم التي ذكر شأنها
هي المأوى اي هي مأواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك

عن الظرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي اما ضمير فصل او مبتدا
قيل نزلت الآية في النضر وابيه الحارث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان واما من خاف مقام ربه
اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ونهى النفس عن الهوى
عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحيوة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما
بوخامة عاقبتها فان الجنة هي المأوى له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير
وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى استشهد رضي الله عنه
هذا وقد قيل جواب اذا ما دل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ اي فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان
ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تعالى
وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا من الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف
الرأيين ولمن يرى معنى عن العائد وقوله تعالى فاما من طغى الخ تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى و
تقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين يسئلونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي
اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة
حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى فيم انت من ذكراها انكار ورد لسؤال المشركين عنها
اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كانك حفي
عنها اي ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء لان ذلك فرع علمك به واني لك ذلك وهو مما استأثر
بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكراها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار
لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم ابتدئ
فقيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها
ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى الى ربك منتهاها
على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها اي علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره
وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك
واما على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من كان فلاي شيء يسألونك عنها
وقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكراها وتحقيق لما
هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام في ذلك الشأن فان انكار كونه عليه السلام في شيء من ذكراها مما يوهم
بظاهره ان ليس له عليه السلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المنفي منه عليه السلام ذكرها لهم
بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به
من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم
يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله
عليه السلام وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه السلام بعثت انا والساعة

كهاتين ان كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال
فاذا اريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى كانهم
يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها اما تقرير وتاكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجيء المنذر به لا سيما
على الوجه الثاني اي كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما ترك اليوم
اضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما ادمجوه في سؤالهم فانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين
بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية او ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام
وانما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم والجملة
على الاول حال من الموصول فانه على تقديري الاضافة وعدمها مفعول المنذر كما ان قوله تعالى كان لم يلبثوا
الا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة
خلا ان التشبيه هناك في الاحوال الظاهرة من الزي والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كانه قيل تنذرهم
مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستانفة لا محل لها
من الاعراب. عن رسول الله من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر يوم القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة الاعمى

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابي ربيعة الفهري
وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام
رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم
تشاغله عليه السلام بالقوم فكره رسول الله عليه السلام قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على
المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرأيين اي لان
جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والايذان
باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات في قوله تعالى
وما يدريك لذلك فان المشافهة ادخل في تشديد العتاب اي واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه
وقوله تعالى لعله يزكى استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شأنا منافيا
للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادرائه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك اي لعله يتطهر بما يقتبس منك
من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء او على اعتبار معنى الترجي
بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا

بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى
منهم التزكي والتذكر اصلا وقوله تعالى او يذكر عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى فتنفعه الذكرى
بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي
التام وقيل الضمير في لعله للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يتزكى ويذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق
ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك ان ذلك مرجو الوقوع اما من استغنى اي عن الايمان وعما عندك
من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القران فانت له تصدى اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه و
الاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر
ليس من شيمهم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء في الصاد وقرئ تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك
الى التصدي له داع من الحرص والتهالك على اسلامه وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس في ان لا يتزكى
بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار اي
اي شيء في ان لا يتزكى ومآله النفي ايضا واما من جاءك يسعى اي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من
احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اي الله وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ
لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهي عنه
والتهى وتلهى وقرئ تلهى اي تلهيك شأن الصناديد وفي تقديم ضميره عليه السلام على الفعلين تنبيه
على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للمستغني ويتلهى عن
الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونهما روي انه صلى الله عليه وسلم ما عبس
بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني كلا ردع له عليه السلام عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى
عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القران الكريم مبالغا في الاهتمام بامره متهالكا على
اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى انها تذكرة اي موعظة يجب ان يتعظ بها
ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القران العظيم الذي استغنى عنه من تصدى له وتحقيق
ان شأنه ان يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى فمن شاء ذكره اي
حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام بامره فالضميران للقران وتأنيث
الاول لتأنيث خبره وقيل الاول للسورة او للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى الذكر
والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة لكنها ليست
مما القي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد
حادثته واما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد اخطأ واساء الادب وخبط خبطا يقضي منه العجب
فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى في صحف متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب
فيها والحث على حفظها اي كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان مكرمة عند الله عز وجل مرفوعة اي
في السماء السابعة او مرفوعة المقدار والذكر مطهرة منزهة عن مساس ايدي الشياطين بايدي سفرة اي كتبة

من الملئكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدي رسل من الملائكة
يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الانبياء على انه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء عليهم السلام لان شأنهم
التلقي من الوحي لا الكتب منه ارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة
وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار او على اصحابه صلى الله عليه وسلم وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة
لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة
المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي ان المراد بما في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون
هؤلاء السفرة الكرام البررة كرام عند الله عز وجل او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم
بررة اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه قتل
الانسان دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تعالى ما اكفره تعجب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه
للدعاء عليه والمراد به اما من استغنى عن القران الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان
به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه
وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم وذم بالغ ما لا غاية وراءه وقوله تعالى من اي شيء خلقه شروع
في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها
بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى من نطفة خلقه
تحقير له اي من اي شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء
والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تعالى ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر
اي ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم والهمه ان ينتكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من
السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ثم اماته فاقبره اي جعله ذا قبر
يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت
اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية
والنعيم المقيم ثم اذا شاء انشره اي اذا شاء انشاره انشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة
وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره كلا ردع للانسان
عما هو عليه وقوله تعالى لما يقض ما امره بيان لسبب الردع اي لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية
مع طول المدى وامتداده ما امره الله بأسره اذ لا يخلو احد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة
ولا ريب في ان مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط
العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم شيبتني هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل عدم القضاء على عموم النفي
لا على نفي العموم اما على ان المحكوم عليه هو المستغني او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم
بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع في اللوم

بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل احد منهم واما على ان مصداقه الكل من
حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل
بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا
هذا وقد قيل معنى كلا حقا فيتعلق بما بعده اي حقا لم يعمل بما امره به وقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه
شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اي فلينظر الى طعامه الذي عليه يدور
امر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى انا صببنا الماء اي الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب
لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ انى بالامالة اي كيف صببنا الماء صبنا
ثم شققنا الارض اي بالنبات شقا بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة
وحمل شقها على ما بالكراب بجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه كلمة ثم والفاء
في قوله تعالى فانبتنا فيها حبا فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار اصلا ولا بينه وبين انبات
الحب بلا مهلة وانما الترتب بين الامطار وبين الشق بالنبات على التراخي المعهود ومن الشق المذكور
وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق
الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه
على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه في
حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى وعنبا عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد
به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض وقضبا اي رطبة سميت بمصدر قضبه اي قطعه
مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع وزيتونا ونخلا الكلام فيهما وفي امثالهما كما في العنب
وحدائق غلبا اي غلاظا وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار
من وصف الرقاب وفاكهة وابا اي مرعى من اب اذا امه اي قصده لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا
تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤوب للشتاء وعن الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الاب
فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الاية
فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن
ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم ولانعامكم
اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف
لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اي متعكم بذلك
متاعا او لفعل مترتب عليه اي متعكم بذلك فتمتعتم متاعا اي تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان
ما ذكر من الافعال الثلاثة في معنى التمتيع فاذا جاءت الصاخة شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان
مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر
لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق اي يصخون

لها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصف بها النفخة الثانية لان الناس يصخون لها وقيل هي
الصيحة التي تصخ الآذان اي تصمها لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخه بالحجر اي صكه وقوله تعالى
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اما منصوب بأعني تفسيرا للصاخة او بدل منها مبني على
الفتح بالاضافة الى الفعل على رأي الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الانسان
اي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه واما تعليل ذلك بعلمه
بانهم لا يغنون عنه شيئا او بالحذر عن مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن
يغنيه فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار اي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه
في الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه يفر قابيل من
اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابراهيم عليه السلام من ابيه ونوح عليه السلام من ابنه
ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه
لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اي يهمه من عناه الامر
اذا اهمه اي اوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى
وجوه يومئذ مسفرة بيان لمآل امر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في
داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اي مضيئة
متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلوته
بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة
مستبشرة بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ووجوه يومئذ عليها غبرة اي غبار وكدورة
ترهقها اي تعلوها وتغشاها قترة اي سواد وظلمة اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الكفرة الفجرة اي الجامعون
بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل الى سواد وجوههم الغبرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير

اذا الشمس كورت اي لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها عن
مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء واما لف ضوئها
المنبسط في الآفاق المنتشر في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال
اللازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض
وعن ابي صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضي الله عنه تكويرها ادخالها في العرش وهذا التركيب الا ان
الجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء واذا النجوم انكدرت
اي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط في الارض

ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات
ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس والنجوم تطرح في جهنم
ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا الجبال سيرت اي عن اماكنها بالرجفة
الحاصلة لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية واذا العشار جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة
اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مهملة
لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا
وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف واذا الوحوش حشرت اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت
للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه
سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار سجرت اي احميت
او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت
نيرانا تضطرم لاهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف واذا
النفوس زوجت اي قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس المؤمنين
بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين واذا الموؤدة اي المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات
مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او
شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب
وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت
ابنا حبسته سئلت باي ذنب قتلت توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها
واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقرئ
سالت اي خاصمت او سالت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت لما ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت
به حين سئلت فيقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سالت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها و
قد قرئ كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج
بهذه الآية واذا الصحف نشرت اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام
سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها
عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة
عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال واذا
السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرئ قشطت
واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور واذا الجحيم سعرت اي اوقدت ايقادا
شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف واذا الجنة ازلفت اي قربت

من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا
اي فيما بين النفختين وهي من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها
من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في الآخرة اي بعد النفخة الثانية وقوله تعالى علمت نفس ما احضرت
جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سياقها وسياق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه
النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من اجزاء ذلك الوقت
المديد او عند وقوع داهية من الدواهي بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه
وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما
احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها على
ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصور عرضية تبرز في النشاة الآخرة بصور جوهرية
مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفية مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك
وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من آنية الذهب
والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن
كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة
على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان واياما كان فاسناد احضارها
الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية لانها
لما عملتها في الدنيا فكانها احضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة
فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو
فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا لانها كانت
مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس او لبعض منها
للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه
قطعا يعرفه كل احد ولو جحد بعبارته تدل على خلافه وللرمز الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر
افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء الذي اشير الى بعض بدائع شؤونه المنبئة
عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه
ومنه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من قال قد اترك القرن مصفرا انامله
وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادي في
تكثير فرسانه واظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فمن لوائح النظر الجليل
لما ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادي فيه فانه في الاول كثيرا ما
يود وفي الثاني كثيرا ما ترك وفي الثالث كثير من الفرسان ولكل احد من ذلك قابل للافراط والمبالغة

فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادي في التكثير حسبما فصل واما فيما نحن
فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد
بعكسه المبالغة والتمادي فيه وانما الذي يمكن فيه من المبالغة من ذكرناه فتأمل ويجوز ان يكون ذلك
للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة
ان تكون هي تلك التي علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم
على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به
او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه فكيف به
اذا كان قطعي الوجود وكثير الوقوع فلا اقسم بالخنس اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي
ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى
الجوار الكنس لانها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها
اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي
جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش
في كنسها والليل اذا عسعس اي ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء
اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها
ليلها وعسعسا وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال ظلامه اوفق لقوله تعالى والصبح اذا تنفس
لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله
روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح انه اي القرآن الكريم الناطق بما
ذكر من الدواهي الهائلة لقول رسول كريم هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عز وجل ذي قوة
شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها
من اول الخلق الى اخر زمان التكليف عند ذي العرش مكين ذي مكانة رفيعة عند الله عز وجل
عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان مطاع فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون
الى رأيه ثم امين على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا
لها على سائر الاوصاف وما صاحبكم هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة
والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عليه السلام
عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل على النبي عليهما السلام للتباين البين بين وصفيهما
وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه السلام انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة
لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما ولقد رآه اي وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما السلام
بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو اي رسول الله على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره
من الغيوب بضنين اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم

من الظنة وهي التهمة وما هو بقول شيطان رجيم اي قول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه كهانة
وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق
الواضح فاين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى لمن شاء منكم
بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول شاء اي لمن شاء منكم الاستقامة
بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن اي الاستقامة
مشيئة مستتبعة لها في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك
المشيئة المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم لا تستتبعها دون مشيئة الله تعالى لها رب العالمين
مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة
تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس
واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض باختلاط العذب
بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء
بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رضي الله عنه وقيل ان مياه البحار الآن راكدة
مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل بمعنى
بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اي قلب ترابها واخرج موتاها
ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى علمت نفس
ما قدمت واخرت جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان
المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد
كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر في تفصيله نظيره ومعنى ما قدمت و
اخرت ما اسلف من عمل خيرا او شرا او اخر من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس رضي الله عنهما
وابن مسعود رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا ما قدم من معصية واخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم
من امواله لنفسه وما اخر لورثته وقيل ما قدم من فرض وما اخر من فرض وقيل اول عمله واخره ومعنى علمها
بها علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي اي شيء خدعك وجراك
على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والعواقب الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة
اعمالك كلها والتعرض بعنوان كرمه تعالى للايذان بان ليس مما يصلح ان يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه
الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة

فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب
عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية
الى خلافه وقوله عز وجل الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبنية للكرم منبهة على
ان من قدر على ذلك بدءا قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها وعدلها
عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك
بالتخفيف اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك
في اي صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها و
اختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما لم يعطف
الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر و
المعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة
ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون
على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا او بدين الاسلام الذي هو من جملة احكامه فلا
يصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي
عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل
انتم لا تتيقنون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون
مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق ما يكذبون به اي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم
كراما لدينا كاتبين لها يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا
بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث
يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم استئناف مسوق
لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى
وقوله تعالى يصلونها اما صفة لجحيم او استئناف مبني على سؤال نشأ من تهويلها كانه قيل ما حالهم فيها
فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به وما هم عنها بغائبين طرفة عين
فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة لما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار
النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما تفيده من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه ما كانوا غائبين
عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي عم القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين تفخيم لشأن
يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل ببيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على
اي صورة تصورته فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو اطم من ذلك واعظم اي واي شيء جعلك داريا ما يوم
الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأي سيبويه لان مدار الافادة

هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة هنا هو ما لا يوم الدين اي اي شيء
عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة
لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال عالم او كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين
في موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله
بيان اجمالي لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفي ادراكهم
مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن من قوله تعالى ما ادراك فقد
ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف او
حركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس
شيئا من الاشياء الخ او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه صلى الله
عليه وسلم الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون ولكنه
فانه عار عن افادة ما يفيده ما قبله كما ان ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ
الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والله اعلم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ
سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر
اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقيل وايا ما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء
والتطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله عليه السلام
قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها
رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون
وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها
عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم
الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا
بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الخ
صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل اي اذا
اكتالوا على الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال
معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه
كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق
وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا

يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم
لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء
ونحوه مع ان الشائع فيما بينهم يقتضي ان يكون معنى الاكتيال اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص
اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدارا للذم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى
ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدي نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مآلا يستدعي
كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وكذا حال النقل عن الفراء من ان من وعلى تعتقبان في هذا الموضع
لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت
منك فتأمل وقد جوز ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية
اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور
انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ان فات تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق العكس
او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ
الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث
واقع في الفعل فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم للناس اي اذا
كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه يخسرون اي ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار
واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا اي جنيت لك وجعل البارز تأكيدا للمستكن
مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في
صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن
وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء
لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه
من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم
للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير
فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون
منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة
والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا
يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا
ضعيفا متاخما للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى يوم يقوم
الناس لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني او بمبعوثون او مرفوع المحل خبر لمبتدأ مضمر او
مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو راي الكوفيين ويؤيده
القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه

كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف
وامثاله ما لا يخفى كلا ردع لهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ان كتاب
الفجار لفي سجين تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر
دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم وهو فعيل من السجن
وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في
مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب
من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى وما ادراك
ما سجين تهويل لامره وهو بحيث لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم
يعلم من راه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى
ويل يومئذ للمكذبين متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى الذين يكذبون
بيوم الدين اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم وقوله تعالى وما يكذب
به الا كل معتد اي متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه
عن الاعادة مع مشاهدته للبدء اثيم اي منهمك في الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها
من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها اذا تتلى عليه آياتنا الناطقة بذلك قال من فرط
جهله واعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه اساطير الاولين اي هي حكايات الاولين قال الكلبي المراد
بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحارث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة
وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ أإذا تتلى على الاستفهام الانكاري كلا ردع للمعتدي الاثيم عن
ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون بيان لما ادى بهم
الى التفوه بتلك العظيمة اي ليس في آياتنا ما يصح ان يقال في شأنها مثل هذه المقالة الباطلة بل ركب
قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرآة فحال ذلك
بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى
يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال
ران فيه النوم اي رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء كلا ردع وزجر عن الكسب الرائن انهم عن
ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل للاهانة بهم باهانة من يحجب عن
الدخول على الملوك وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان
عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم اي داخلون النار وثم لتراخي الرتبة فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان
من الرحمة والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية هذا الذي كنتم به تكذبون فذوقوا عذابه
كلا ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين استئناف
مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيد

للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته
الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي
الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام
في قوله تعالى وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم كما مر في نظيره وقوله تعالى يشهده المقربون صفة اخرى
لكتاب اي يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم شروع في بيان محاسن
احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شان الفجار على الارائك اي على الاسرة في الحجال
ولا تكاد تطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة ينظرون اي الى ما شاءوا مد اعينهم اليه
من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار
وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي بهجة التنعم وماءه
ورونقه والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من آثار النعمة واحكام البهجة
بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء يسقون من رحيق شراب خالص لا غش فيه مختوم ختامه
مسك اي مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه
مسك اي مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح الميم وكسرها اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك اشارة
الى الرحيق وهو الانسب لما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد اما للاشعار بعلو رتبته
وبعد منزلته او لكونه في الجنة اي في ذلك خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اي فليرغب
الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل
فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالب في الشيء النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدي
نفست الشيء انفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به وقال
البغوي واصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به
على غيره اي يضن به ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر
لنفاسته اي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية او تبعيضية او من مقحمة على انها
ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من فوق روي
انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من
تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل
الجنة فالباء مزيدة او بمعنى من وقوله تعالى ان الذين اجرموا الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء
بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة كانوا في الدنيا من الذين آمنوا يضحكون اي يستهزءون
بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما
للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم
لذلك على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعاة الفواصل واذا مروا اي فقراء المؤمنين بهم اي بالمشركين

وهم في انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا يتغامزون اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون
باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم الى اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بذكرهم والسخرية منهم
وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ
فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين
واذا راوهم اينما كانوا قالوا ان هؤلاء لضالون اي نسبوا المسلمين ممن راوهم ومن غيرهم بطريق
التاكيد وما ارسلوا عليهم على المسلمين حافظين حال من واو قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما
ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم
وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز
ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا
لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن بالغيبة لا
كما في قولك حلف لافعلن فاليوم الذين آمنوا اي المعهودون من الفقراء من الكفار اي من المعهودين
وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان
والصغار بعد العز والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا
للمقابلة اي فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى
على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال
وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم
ذلك مرارا ويضحك المؤمنون منهم وقوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح
في ان ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب
والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام في الثاء وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ
سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيمة من الرحيق المختوم والله اعلم بالصواب

سورة الانشقاق

اذا السماء انشقت اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق
من المجرة واذنت لربها واستمعت اي انقادت واذعنت لتاثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته
بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى اتينا طائعين في الانباء عن
كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه
فيما سلف وحقت اي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم تكن كذلك بل في نفسها
وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على ان المراد

خصوصيته وانها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى لها كل مقدور وان تخلف
عنها امر من الامور وجملة الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه واذا الارض مدت
اى بسطت بازالة جبالها واكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
او زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى امده اى زاده والقت ما فيها اى رمت ما في جوفها من الموتى و
الكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه
كانها تكلفت في ذلك اقصى جهدها واذنت لربها في الالقاء والتخلي وحقت اى وهي حقيقة بذلك
اى بالانقياد وذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السماء و
الارض وقوعها في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قدم تقريره فيما مر يا ايها الانسان انك كادح الى
ربك كدحا اى جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التي مثلت باللقاء ومبالغ في ذلك فان الكدح
جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فملاقيه اى فملاق له عقيب
ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا
الى اخره قيل جواب اذا كما في قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقوله تعالى يا ايها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل بالابهام الى قصور العبارة عن بيانه
او للتعويل على دلالة ما مر في سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان الخ
تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان على اضمار
القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله عنها ان يعرف
ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله مسرورا اى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين مبتهجا بحاله
قائلا هاؤم اقرءوا كتابيه وقيل الى اهله في الجنة من الحور والغلمان واما من اوتي كتابه وراء ظهره
اى يؤتاه بشماله من وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف
يدعوا ثبورا اى يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه تعال فانه اوانك وانى له ذلك ويصلى
سعيرا اى يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى ونصليه جهنم وقرئ ويصلى كما في قوله تعالى ونصله جهنم انه
كان في اهله فيما بين اهله وعشيرته في الدنيا مسرورا مترفا بطرا مستبشرا كديدن الفجار
الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم امور الاخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله
ومآله كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور
تعليل لسروره في الدنيا اى ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة
مع ما في حيزها مسد مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف بلى ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى
ان ربه كان به بصيرا تحقيق وتعليل له اى بلى ليحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وباعماله
الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى منها خافية فلابد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت
الايتان في ابي سلمة ابن عبد الاسد واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق هي الحمرة التي تشاهد في افق

افق المغرب بعد الغروب او البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن
رقة القلب والليل وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اى جمعه فاجتمع وعبارة
عما يجتمع بالليل ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اى اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة
لتركبن طبقا عن طبق اى لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة
وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد
احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها
وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى
وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اى ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب
على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اى لتركبن طبقا مجاوزين او
مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون لترتيب ما بعدها من الانكار
والتعجب على ما قبلها من احوال يوم القيمة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اى اذا كان حالهم يوم
القيمة كما ذكر فاى شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين اى اى شيء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته و
قوله تعالى واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها
اى فاى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القران وقيل قرأ النبي
صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق
رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رح على وجوب السجدة وعن ابن عباس رض ليس في المفصل سجدة
وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد ان رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يسجد فيها وعن انس رض صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن
هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون بالقران الناطق بما ذكر من احوال القيامة واهوالها مع تحقق
موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون
في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم
من انواع العذاب علما فعليا فبشرهم بعذاب اليم لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل
ان اريد به من امن منهم بعد ذلك وقوله تعالى لهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع او ممنون به عليهم استئناف مقرر
لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون

فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل
تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود اي يوم القيامة وشاهد ومشهود اي ومن يشهد
في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود
لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيمة وقيل عيسى عم
وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الآية وقيل امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة
وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما
من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة
وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلوة والسلام قتل اصحاب الاخدود وقيل هو جواب
القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما في قول من قال حلفت لها بالله حلفة فاجر
لناموا فما ان من حديث ولا صال وقيل تقديره لقد قتل وايا ما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية
دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اي كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود
لما ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم
بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى ياتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا
يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان
يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض هو الشق ونحوهما بناء ومعنى
الخق والاخقوق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه
غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس
قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها
فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابراه فابصره الملك
فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع
الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم
فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك
لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب
الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل
للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه
فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال
لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت وقيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رض واصبعه
على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رض ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما
صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم

بعد ذلك ان الله تعالى حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط
السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله
قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فاجابوه فسار اليهم
اليهودي ذو نواس من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد
وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا النار بدل اشتمال
من الاخدود ذات الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان
الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار
قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود وكما في قوله وبات على النار الندى والمحلق
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او
انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع
والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي
يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا المؤمنين في النار
وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب
الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق وما نقموا منهم اي ما انكروا
منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية
على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان ضيفهم تلام بنسيان الاحبة والوطن ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا
يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتاكيد ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض للاشعار بمناط
ايمانهم وقوله تعالى والله على كل شيء شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء
التي من جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم
في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما
الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اي
عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى فلهم عذاب جهنم جملة
وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط
ولا ضير في نسخه بان وان خالف الاخفش والمعنى لهم في الاخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق
وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم
لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح جنات تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار
فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان
اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة [illegible] ذلك اشارة اما الى الجنات الموصوفة
والتذكير لتاويلها بما ذكر للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الا

نواس

مشعر من لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير فانه راجع
الى الجنات من حيث ذاتها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى لهم جنات
من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا واياما كان ففيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك المذكور
العظيم الشان الفوز الكبير الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز
النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله
ان بطش ربك لشديد استئناف خوطب به النبي عليه السلام ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من
مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش الاخذ بعنف
وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام
كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اي هو يبدئ
الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا
ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب وآمن الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد
بالعرش الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على انه صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته
فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته
فعال لما يريد بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى
هل اتاك حديث الجنود استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا
لما يريد متضمن لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود
بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما
حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون الله تعالى
وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان
لكونهم اشد منهم في الكفر والطغيان كأنه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم اشد منهم في استحقاق العذاب
واستيجاب العقاب فانهم مستمرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم او قيل ليست جنايتهم مجرد عدم
التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا انهم
يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة
والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى بل هو قرآن
مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما
بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ اي
من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ في لوح وهو الهواء
اي فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة

من قرأ سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق

والسماء والطارق الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي
واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا
ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية
بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدكا بارحلنا ولم يتعرج والمراد هاهنا الكوكب البادي بالليل
اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى وما ادراك
ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد
من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وادراك خبره والثانية خبر والطارق مبتدأ والجملة
في نظائره اي اي شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف
وقع جوابا عن استفهام نشأ عما قبله كأنه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء في الغاية كأنه يثقب الظلام
او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود
قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها
غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة
وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره
ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه ادراك الخلائق ثم تفسيره
بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال محله ما لا يخفى وقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ جواب
للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها
وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله
على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين
كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ
لما مخففة على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة
اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ والفاء في قوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على ان يقين
ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل يستوجب على الانسان ان يتفكر في
مبدأ فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على
اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملي على حافظه
ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء دافق استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فقيل خلق
من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبئ عنه

قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا ان النطفة
تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان تتولد منها مثل تلك الاعضاء
ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه
ويورث الافراط فى الجماع الضعف فيه وله خليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب
وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هى
صالب انه الضمير للخالق فان قوله خلق يدل عليه اى ان ذلك الذى خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه اى اعادته
بعد موته لقادر لبين القدرة يوم تبلى السرائر اى تتعرف وتتصفح ما اسر فى القلوب من العقائد و
النيات وغيرها وما اخفى من الاعمال ويتميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه فما له اى للانسان
من قوة فى نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينصره والسماء ذات الرجع اى المطر سمى رجعا لما ان العرب
كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفاؤل ليرجع
ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا والارض ذات الصدع هو ما يتصدع عنه الارض
من النبات او مصدر من المبنى للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض
عند الاقسام بهما على حقية القران الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما فى انفسهما من شواهده
وهو السر فى التعبير عنه وعن المطر بالرجع وذلك فى تشقق الارض بالنبات المحاكى للنشور حسبما ذكر فى مواقع
من التنزيل لا فى تشققها بالعيون انه اى القران الذى من جملته ما تلى من الايات الناطقة بمبدأ حال
الانسان ومعاده لقول فصل اى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كانه نفس الفصل وما هو بالهزل
ليس فى شئ منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة
انهم اى اهل مكة يكيدون فى ابطال امره واطفاء نوره كيدا حسبما تفى به قدرتهم واكيد كيدا اى اقابلهم
بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون فمهل الكافرين اى لا تشتغل بالانتقام منهم
ولا تدع عليهم بالهلاك او لا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالكيد
مما يوجب امهالهم وترك التصدى لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى امهلهم بدل من مهل وقوله تعالى رويدا اما مصدر
مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اى امهلهم امهالا رويدا اى قريبا كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما
او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة وهو فى الاصل تصغير رود بالضم وانشد كانها ثمل يمشى على رود
اى على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود بالترخيم وله فى الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو
رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا اى متمهلين وفى ايراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده
برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه
عليه السلام من قرأ سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

سورة الاعلى

سبح اسم ربك الاعلى اى نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره
بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم
وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها فى ركوعكم فلما
نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود
اللهم لك سجدت الذى خلق فسوى صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثانى
لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اى خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله
ويتم معاشه وقوله تعالى والذى قدر اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا الحال
ما بعده اى قدر اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واحوالها فهدى
اى فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغى له طبعا واختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات
ونصب الدلائل وانزال الايات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرأيت فى كل منها ما تحار فيه العقول
يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد
اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم فى
بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل
ويروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث يقيض الله تعالى له طائرا قد
غذاؤه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخل الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق
منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا واما فنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان
من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير
ولا يعلمه الا العليم الخبير والذى اخرج المرعى اى انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف فجعله
بعد ذلك غثاء احوى اى دريناً اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة الخضرة والرى
فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم
اثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه السلام لتلقى الوحى وحفظ القران الذى هو هدى
للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين والسين اما للتأكيد واما لان المراد اقراء ما اوحى
اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقراء اى سنقرئك
ما نوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا
من قوة الحفظ والاتقان مع انك امى لا تدرى ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية اخرى لك مع ما فى
تضاعيف ما تقرؤه من الايات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهى
والالف لمراعاة الفاصلة كما فى قوله تعالى فاضلونا السبيلا وقوله تعالى الا ما شاء الله استثناء مفرغ
من اعم المفاعيل اى لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان نسخ تلاوته و
الالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة

لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم
اسقط آية في قرائته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها وقيل نفي النسيان
رأسا فان القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلية اذ هو المنفي رأسا
لا ما قد ينسى ثم يذكر انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها
ما اوحي اليك فينسي ما يشاء انساءه ويبقي محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم
ونيسرك لليسرى عطف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من
التعليل وتعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي
امري للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كانه
عليه السلام جبل عليها كما في قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة
اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي
والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام
وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اي فذكر الناس حسبما يسرناك له
بما يوحى اليك واهتد اليه في تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما استتب
لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم
ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم الا
كفرا وعنادا فأمر عليه السلام بان يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا
ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع
على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا وقيل
هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك
للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب لقوله تعالى
سيذكر من يخشى اي سيتذكر بتذكيرك من من شأنه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى
في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ كما في
قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم اي اذ كنتم وقيل هي بمعنى قد اي فذكر ما نفعت الذكرى فانها
لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى
سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي ويتجنبها اي الذكرى الاشقى
من الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة
الذي يصلى النار الكبرى اي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا
لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى
حيوة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحيوة افظع من الصلي قد افلح

اي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى او
تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة
وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الاخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن
حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى
اقم الصلوة لذكري اي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اي تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه اي كبر
يوم العيد فصلى اي صلاته بل تؤثرون الحيوة الدنيا اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر
بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها
والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحيوة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الاخرة
بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الاية او للكل
فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الاخرة
في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد
العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى والاخرة خير وابقى حال من فاعل تؤثرون
مؤكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الاخرة والحال ان الاخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع
كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر
نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى
قد افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا لفي الصحف الاولى اي ثابت فيها معناه صحف ابراهيم وموسى
بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى روي
ان جميع ما انزل الله عز وجل من كتاب مائة واربعة كتب انزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين
صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والانجيل والزبور
والفرقان عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية

هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الاية قال قطرب
اي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق
الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها
الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها
وهي القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الاية وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى
ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق
باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة الى قوله تعالى مبثوثة استئناف وقع جوابا

عن سؤال انشاء من الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهته عليه السلام ما اتى حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ
اي يوم اذ غشيت وتبلة قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن اتاه عليه السلام حديثها فاخبره عنها فقال وجوه
يومئذ الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة
خبران اخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال
والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا
اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا يجدي عليها في الاخرة
وقوله تعالى تصلى اي تدخل نارا حامية اي متناهية في الحر خبر اخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه
وقد مر غير مرة ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له
ولا ريب في ان صلي النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية في الانتساب الى الوجوه
معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع مبدأ مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة
تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافا مبينا لتفاصيل احوالها تسقى من عين
آنية اي متناهية في الحر كما في قوله تعالى وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع بيان لطعامهم اثر
بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم
قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون
الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك وهذا الطعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين لآخرين
لا يسمن ولا يغني من جوع اي ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شيء
يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم
شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم و
عطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة
لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما
عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم
عند اضطرام النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم
شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم
عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم
التذاذ بشربه او استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روي انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم
الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم
وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما وتأخير نفي الاغناء منه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح
بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه
بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتأكيد النفي وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة شروع في رواية حديث

اهل الجنة وتقديم حكاية حال اهل النار لانه ادخل في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية
حسن حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة
كالذي مر في نظيرتها وانما لم تعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى
تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية اي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته
في جنة عالية مرتفعة المحل او علية المقدار لا تسمع اي انت او الوجوه فيها لاغية لغوا او كلمة ذات
لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء
ورفع لاغية فيها عين جارية اي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس فيها سرر مرفوعة
رفيعة السمك او المقدار واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة اي بين ايديهم ونمارق
وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي اي بسط فاخرة جمع زربية مبثوثة
اي مبسوطة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية
وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة
للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى
كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل اي اينكرون ما ذكر
من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب
اعينهم يستعملونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات
في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء
بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى ان
اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد
يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث
يستعملها في ذلك كيفما شاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير والى السماء التي يشاهدونها كل لحظة
بالليل والنهار كيف رفعت رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك
والى الجبال التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها كيف نصبت نصبا رصينا فهي راسخة
لا تميل ولا تميد والى الارض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحا بتوطئة وتمهيد
وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددة وقرئت الافعال
الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى
كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا
انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى فذكر لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ
عنه الانكار السابق من عدم النظر اي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون
ولا يتذكرون وقوله تعالى انما انت مذكر تعليل للامر وقوله تعالى لست عليهم بمصيطر تقرير له وتحقيق

بمعنى الانذار اي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين
على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء فانه لغة بني تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر
وقوله تعالى الا من تولى وكفر استثناء منقطع اي لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية والقهر فيعذبه
الله العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعه
من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول انه قرئ الا على التنبيه
وقوله تعالى ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه بالعذاب الاكبر اي ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى
احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده
فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعّال من اوب
كقضاء من قضي ثم قيل ايوابا كديوان ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى في الثانية ثم ان
علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الترتب الزماني بين
ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى فانهما امران مستمران وفي تصدير الجملتين بان وتقديم
خبريهما وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب
لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبي صلعم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر

والفجر اقسم سبحانه وتعالى بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته
وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان
وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر اي الاشياء
كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم
النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان
كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل
اذا يسر اي يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة
على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اي صلي فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة
وقرئ باثباتها على الاصل وبحذفها في الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو
التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق هل في ذلك قسم تحقيق وتقرير لفخامة شان المقسم
بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر
يعتد به حقيق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى
الامور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه او الى الاقسام بها واياما كان فما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف والفضل اي هل فيما ذكر من الاشياء قسم اي مقسم به

لذي حجر يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه
الطريقة هضما للحق وايذانا بظهور الامر او هل في اقسامي بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده
يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا
ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه
لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله عز وجل
الم تر كيف فعل ربك بعاد الخ فانه استشهاد بعلمه عليه السلام بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم
المشاركين لقومه عليه السلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه
الاية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا او
نظائرهم فسيعذب هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد
ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم
هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد في القرآن
خبر عاد الاولى الا ما في سورة الاحقاف وقوله تعالى ارم عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى
بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها
ويؤيده القراءة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرئ باسكان الراء
تخفيفا كما قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم اي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم
بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين
اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد
باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ
ارم ذات العماد اي جعلها الله تعالى رميما بدلا من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف
والصفة وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد
فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة
سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها
اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة
يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له
فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله
فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال
وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق
مثلها في البلاد صفة اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل
منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد

في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة
سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من
العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد الذين جابوا الصخر بالواد
اي قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول
من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون
ذي الاوتاد وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد الذين
طغوا في البلاد اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة منهم
في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى فاكثروا فيها الفساد اي بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم اي
انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلت ما فعلت من الطغيان والفساد
ربك سوط عذاب اي عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب
التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في الآخرة
بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة
عن اراقة شيء مائع او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار
ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب
بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد
فسر بالنصيب وبالشدة ايضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ في تشبيهه بالمصبوب
الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما في المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه
وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل
ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده
كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى فاما الانسان الخ
متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان
فلا يهمه ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها اذا ما ابتلاه ربه اي عامله معاملة
من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء
فيقول ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل
تفضل عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى
الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمن وقت ابتلائه
بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله
المحكي واما اذا ما ابتلاه اي واما هو اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية

على الحكم البالغة فيقول ربي اهانن ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة
في شيء بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ
اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف كلا ردع للانسان
عن مقالته المحكية وتكذيب له فيهما وكلتا الحالتين قال ابن عباس رض المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته
علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب على قوله الاخير يأباه
قوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب
للايذان باقتضاء ملاحظة جناياته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع
باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث
يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون
ولا تحاضون بحذف احدى التاءين من تتحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اي على
اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء وتأكلون التراث اي الميراث
واصله وراث اكلا لما اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء و
الصبيان ويأكلون انصباءهم ويأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال
حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى اذا دكت
الارض دكا دكا الخ استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا
متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت
هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم
يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء واياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية
وجاء ربك اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من احكام هيبته
وسياسته وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا اي مصطفين
او ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم
محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل رح
تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش
لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رض مرفوعا يومئذ بدل من اذا دكت والعامل
فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة
عينه على ان الاعمال تتجسم في النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها
من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى وانى له الذكرى اعتراض جيء به لتحقيق انه ليس بتذكر
حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق
به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى وقد فاتت اوانها وقيل هناك مضاف محذوف اي وانى

له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على
ان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى يقول
يا ليتني قدمت لحياتي وهو بدل اشتمال من يتذكر او استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا منه
كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في
الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله
وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته
او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان ممكنا
منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفي الفعل يعتقد انه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك
بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا
يدور فلك التكليف والزام الحجة فيومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال لا
يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه احد
سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على
البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا
يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد
كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن
بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها ترقت في
معارج الاسباب والمسببات الى المبدا المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به
في وجودها وسائر شؤونها عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة
الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده انه
قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام او على لسان
الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ارجعي الى ربك
اي الى موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلي في عبادي
في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي وادخلي جنتي معهم او انتظمي في سلك المقربين واستضيئي
بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي
اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي
في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رض والظاهر العموم
عن النبي صلعم من قرا سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على ان الانسان خلق ممنوا بمقاساة الشدائد
ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه صلى الله عليه وسلم
بجعل حلوله به مناطا لاعظامه بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض موارد
المكابدة على نهج براعة الاستهلال او ببيان انه عليه السلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه
في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا
بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته عليه السلام بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل كما
في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له عليه السلام
مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل عليه السلام فيها ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو
متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق
السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة
من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس رض
يا رسول الله الا الاذخر فانه لقبورنا وبيوتنا فقال عليه السلام الا الاذخر ووالد عطف
على هذا البلد والمراد به ابراهيم وبقوله تعالى وما ولد اسمعيل والنبي صلوات الله عليهم حسبما ينبئ عنه
المعطوف عليه فانه حرم ابراهيم ومنشا اسمعيل ومسقط راس رسول الله عليهم السلام والتعبير عنهما
بما دون من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد وايرادهم بعنوان الولادة لترشيح لمضمون الجواب وايماء الى
انه متحقق في حالتي الوالدية والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث
شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده
لقد خلقنا الانسان في كبد اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح
الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع
فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه وهو تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى ايحسب لبعضهم الذي كان عليه السلام
يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة
مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة
فينقطع قطعا ولا تزل قدماه اي ايظن هذا القوي المارد المستضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد
ان مخففة من ان واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد
يقول اهلكت مالا لبدا اي كثيرا ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر
ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق وانه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما
ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب
وغيرها وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة

اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها
وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى
بمكانة رفيعة فك رقبة اي هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة يتيما ذا مقربة
اي قرابة او مسكينا ذا متربة اي افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول
لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة
والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك
رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي
رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اي
اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى
من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع
قرب المشار اليه للايذان ببعد درجتهم في الشرف والفضل اي اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذ
اصحاب الميمنة اي اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او
بالقرآن هم اصحاب المشأمة اي الشمال او الشؤم عليهم نار مؤصدة مطبقة من اصدت الباب واطبقته
واغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته عن النبي صلعم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس

والشمس وضحاها اي ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك
والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا
تلا طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اي جلى الشمس
فانها تنجلي عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التي تبسطه او جلى الظلمة او الدنيا او الارض وان
لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اي الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض وحيث كانت
الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا في قولك
اقسم بالله حق ان يعمل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا والسماء وما بناها
اي ومن بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها و
جعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها من كل جانب
كدحاها ونفس وما سواها اي انشأها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس
آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها اي افهمها اياهما و
عرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور
لمراعاة الفواصل قد افلح من زكاها اي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى

وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز
الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به ايضا اصالة اي خسر من نقصها واخفاها
بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها
بطريق الاستطراد وانما الجواب ما حذف تعويلا على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه كانه
قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله عليه السلام كما دمدم على ثمود لتكذيبهم
صالحا عليه السلام وهو على الاول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها
والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية اي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني
بجرأته على الله تعالى او صلة للتكذيب اي كذبت بما اوعدت به من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى
فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو ايضا مصدر كالرجعى اذ انبعث اشقاها منصوب
بكذبت او بالطغوى اي حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه لعقر الناقة
من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم
على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضى به فقال لهم اي لثمود رسول الله اي صالح
عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في
الطغيان وهو السر في اضافة الناقة اليه تعالى في قوله تعالى ناقة الله اي ذروا ناقة الله وسقياها
ولا تذودوها عنها في نوبتها فكذبوه اي في وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم
وقد جوز ان يكون ضمير لهم للاشقين ولا يلائمه ذكر سقياها فعقروها اي الاشقى والجمع على تقدير
وحدته لرضى الكل بفعله وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم
وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم
العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتصريح
بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب فسواها اي الدمدمة بينهم
لم يفلت منهم احد من صغير وكبير او فسوى ثمود بالارض او سواها في الاهلاك ولا يخاف عقباها
اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقي بعض الابقاء وذلك انه تعالى لا يفعل فعلا
الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شأنه الخوف والواو للحال او للاستئناف وقرئ
فلا يخاف وقرئ ولم يخف عن النبي صلعم من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل

والليل اذا يغشى اي حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه بظلامه
والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى
اي والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ما له توالد وقيل هما آدم وحواء

وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذي خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى جواب
القسم وشتى جمع شتيت اي ان مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لاحكامها اي فاما من اعطى حقوق الله واتقى محارم الله التي نهى
عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام
او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول
الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل بماله فلم يبذله في سبيل الخير
واستغنى اي زهد فيما عنده تعالى كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الاخرة
وكذب بالحسنى اي بما ذكر من المعاني المتلازمة فسنيسره للعسرى اي للخصلة المؤدية الى العسر والشدة
كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى
رتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصل فيما ذكر لا
تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول بالاعطاء الطاعة
والثاني بالبخل بما امر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى وما يغني عنه ماله اي ولا يغني او اي شيء
يغني عنه ماله الذي يبخل به اذا تردى اي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك او تردى في الحفرة اذا
قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى استئناف مقرر لما قبله اي ان علينا بموجب قضائنا المبني
على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي اليه من طريق الضلال
وما يؤدي اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا
ومن ههنا تبين ان الهداية هي الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان
لنا للاخرة والاولى اي التصرف الكلي فيهما كيف ما نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الافعال التي من
جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما في الدنيا والاخرة فلا يضرنا
تركهم الاهتداء بهدانا فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التائين من تتلظى اي تتلهب وقرئ على الاصل
لا يصلاها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان صلاها لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به
الذي كذب وتولى اي كذب بالحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها اي سيبعد عنها الاتقى
المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدي واما من دونه
ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح
في الحصر السابق الذي يؤتي ماله يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يؤتي
داخل في حكم الصلة لا محل له او في حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتي اي يطلب ان يكون عند الله تعالى
زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى استئناف مقرر لكون ايتائه
للتزكي خالصا لوجه الله تعالى اي ليس لاحد عنده نعمة من شانها ان تجزى وتكافا فيقصد بايتائه مكافاتها
مجازاتها وقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل

من محل من نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له
لان المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة والايات نزلت في حق ابي بكر الصديق
رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة كان يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد
بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عذب
المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك
ثم قال لابي بكر رضه ان بلالا يعذب في الله فعرف مراده عليه السلام فانصرف الى منزله فاخذ رطلا
من ذهب ومضى الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال
المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت فقوله تعالى ولسوف يرضى جواب قسم مضمر
اي وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق
الرضى وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من قرا سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة
التي كلم فيها موسى عليه السلام والقي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد
به النهار كما في قوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى
اي سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر
الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى
ما ودعك ربك جواب القسم اي ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اي ما تركك وما قلى اي وما
ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او للقصد الى نفي صدور الفعل عنه تعالى
بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روي ان الوحي تاخر عن رسول الله عم اياما لتركه الاستثناء
كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت
ردا عليهم وتبشيرا له عليه السلام بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ
عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وحيث تضمن ما سبق من نفي
التوديع والقلى انه تعالى مواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشره عليه السلام بان ما سيؤتيه في الاخرة
اجل واعظم من ذلك فقيل وللاخرة خير لك من الاولى لما انها باقية صافية عن الشوائب على
الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتي عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله
شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه
عند ما اعد له عم في الاخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم تجمع يوم تقوم

الناس لرب العالمين وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء
مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة
الى المطالب وقيل المراد بالاخرة عاقبة امره عم اي لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال تتزايد
قوة وتتصاعد رفعة وقوله تع ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى
في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والاخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره
عليه السلام وفي ايام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام في
مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبأ ابن
عباس رض عن شمة منها حيث قال له عم في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك واللام للابتداء
دخلت الخبر لتاكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الخ لا للقسم
لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن
لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التاكيد قد استثنى النحاة
منها صورتين احديهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الاية وكقوله والله لساعطيك
والثانية ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقد قال ابو علي الفارسي
ليست هذه اللام هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التاكيد فكانه قيل وليعطينك
وكذلك اللام في قوله عم وللاخرة الخ وقوله تعالى الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما افاض عليه عليه السلام
من اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود
فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الخ
والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روي ان اباه
مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه
الله تعالى عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرئ فاوي وهو اما من اواه بمعنى اواه او من اوى له
اذا رحمه وقوله عم ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما اشير اليه او على
المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فاوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا
تهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة
فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة
سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا
لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي
صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب
مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب
يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة

وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة فهدى فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية في
ما اوحي اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك ووجدك
عائلا اي فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة
او بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك
فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه
واما السائل فلا تنهر فلا تزجره ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم
القوم السؤال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم النخعي السائل بريد الاخرة يجيء الى
باب احدكم فيقول ابعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسأل عن الدين
واما بنعمة ربك فحدث بشكرها واشاعتها واظهار اثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله
تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها
والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فاواك الله وهداك واغناك فمهما يكن
من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلث واقتد بالله تعالى واحسن كما احسن
الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك
وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عم للضلال
وتعليمه للشرائع والاحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل سائل ويتيم

سورة الانشراح

الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرائرها من العلوم والادراكات
والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية
وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الا
الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية
وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل
اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه
ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسماني لما سيظهر له عليه السلام من الكمال الروحاني
والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور
بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيط بين الفعل و
مفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح من منافعه عم ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة
في قلبه عم وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى ووضعنا

عنك وزرك عطف على ما أشير إليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا
وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخير عنه لما مر آنفا من القصد إلى تعجيل المسرة
والتشويق إلى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب أطراف النظم الكريم
أي حططنا عنك عبأك الثقيل الذي أنقض ظهرك أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك
كما يسمع من الرحل المتداعي إلى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه ويغمه من
فرطاته قبل النبوة أو من عدم إحاطته بتفاصيل الأحكام والشرائع أو من تهالكه على إسلام المعاندين
من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقرئ وحططنا
وحللنا مكانا وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك بعنوان النبوة وأحكامها أي رفع حيث
قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والأذان والإقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته
وأمر المؤمنين بالصلوة عليه وسمي رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى
فإن مع العسر يسرا تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين كأنه قيل خولناك
من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فإن مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع إشعار بغاية سرعة
مجيء اليسر كأنه مقارن للعسر إن مع العسر يسرا تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر
آخر كثواب الآخرة كقولك إن للصائم فرحة إن للصائم فرحة فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب
وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فإن المعرف إذا أعيد يكون الثاني عين الأول سواء كان
معهودا أو جنسا وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد مغاير لما أريد بالأول فإذا فرغت أي من التبليغ
وقيل من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من
الآلاء الآتية وقيل فإذا فرغت من صلواتك فاجتهد في الدعاء وقيل إذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك
وإلى ربك وحده فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر على الإسعاف لا غيره وقرئ فرغب
أي رغب الناس إلى طلب ما عنده عن رسول الله صلعم من قرأ سورة ألم نشرح لك فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني

سورة التين

والتين والزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالإقسام بهما لاختصاصهما بخواص
جليلة فإن التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم
ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى أبو ذر أنه
أهدي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم سل من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت
من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس
وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج والزيتون فهو فاكهة
وإدام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاص دهنه بكثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا

وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به
وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب
بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي وسواك الأنبياء قبلي وقيل هما جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما
بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان
والزيتون جبال الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي
عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون
بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا
وعن ابن عباس رضه التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس
وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى والصحيح هو الأول قال ابن عباس رضي الله عنهما
هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي و
عطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وطور سينين هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين
وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك أضيف إليهما وسينون كيبرون في جواز الإعراب بالواو
والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الإعرابية وهذا البلد الأمين أي الآمن من
أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعالى وأمانتها أنها تحفظ من دخلها كما يحفظ الأمين ما يؤتمن
عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله حرما آمنا
بمعنى ذي أمن ووجه الإقسام بها تلك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح
والتبيين لقد خلقنا الإنسان أي جنس الإنسان في أحسن تقويم أي كائنا في أحسن ما يكون
من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه الله تعالى مستوي القامة متناسب الأعضاء متصفا
بالحيوة والعلم والقدرة والإرادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي أنموذج من الصفات
السبحانية وآثارها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق الله آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن
وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال إن النفس الإنسانية مجردة ليست حالة
في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيف ما شاءت فإذا أرادت فعلا
من الأفاعيل الجسمانية بلغته إلى ما في القلب من الروح الحيواني الذي هو أعدل الأرواح وأصفاها
وأقربها منها وأقواها مناسبة إلى عالم المجردات القائمة روحانيا وهو يبلغه بواسطة ما في الشرايين
من الأرواح إلى الدماغ الذي هو منبت الأعصاب التي فيها القوى المحركة للإنسان فعند ذلك تحرك
من الأعضاء ما يليق بذلك الفعل من مبادئه البعيدة الغريبة فيصدر عنه ذلك فبهذه الطريقة فمن عرف نفسه على
هذه الكيفية من صفاتها وأفعالها تيسر له أن يترقى إلى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على
أنه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم أو خارجا منه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه
فيه من الملائكة الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الأرواح والقوى المرتبة في العالم الإنساني الذي

هو نسخة للعالم الاكبر وانموذج منه وقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين اي جعلناه من اهل
النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات
التي لو عمل بمقتضاها لكان في اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف
بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق واياما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول
اي رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اي رددناه مكانا اسفل سافلين
والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاول
متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى
فلهم اجر غير ممنون غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى
مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول
مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى
فما يكذبك بعد بالدين للرسول عليه السلام اي فاي شيء يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد
ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريقة الالتفات لتشديد
التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق الانسان
من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله
عز وجل على البعث والجزاء فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه
ايها الانسان اليس الله باحكم الحاكمين اي اليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا
حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء
فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه عليه السلام من قرأ سورة
والتين اعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ [هذه السورة]

سورة العلق

قيل هي اول سورة نزلت والاكثرون على ان الفاتحة اول ما نزل ثم هذه اقرأ اي ما يوحى اليك
فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء
كانت السورة اول ما نزل اولا والاوفق ان هذه الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه عليه السلام
كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى باسم ربك متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرأ
ملتبسا باسمه تعالى اي مبتدئا به لتتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة
عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار
بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب

بقوله الذي خلق لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان
على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا
عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اي الذي انشأ الخلق واستأثر به او خلق
كل شيء وقوله تعالى خلق الانسان على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين خلق سائر
المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان من بين سائر
المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز
ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير روما
لتفخيم فطرته وقوله تعالى من علق اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالتيه الاولى و
الآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله
هو السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه
على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة
عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى
بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى اقرأ اي
افعل ما امرت به تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وربك الاكرم الخ فانه كلام مستأنف
وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما انا بقارئ يريد ان القراءة شأن من يكتب
ويقرأ وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم الذي علم بالقلم اي
علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى
علم الانسان ما لم يعلم بدل اشتمال من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية و
الجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من
الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول
ما لا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر وقوله تعالى
ان الانسان ليطغى اي يتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر
السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى ان رآه استغنى مفعول له اي ليطغى
لان رأى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله
ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وان جوزه بعضهم في الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك قول
عائشة رضي الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان و
تعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع د

ونتبع ونبتك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا
باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى ان الى ربك
الرجعى تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر
بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر اي الى مالك امرك رجوع الكل بالموت
والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى ارايت
الذي ينهى عبدا اذا صلى تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة
بحيث يجب ان يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضي منها العجب روي ان ابا جهل قال في ملأ من طغاة
قريش لئن رايت محمدا يصلي لاطأن عنقه فرآه عليه السلام في الصلوة فجاءه ثم نكص على عقبيه
فقالوا ما لك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه
صلى الله تعالى عليه وسلم واستعظام النهي وتأكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية واما ما في قوله تعالى
ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى وما في قوله تعالى ارايت ان كذب وتولى فقلبية معناه
اخبرني فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن
متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد
بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك
ليس في حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما
في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لارايت محذوف
وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية
بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لارايت لا يكون الا جملة استفهامية او قسمية والمعنى اخبرني
ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او امر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة
الاوثان كما يعتقده او كذب بالحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى اي يطلع
على احواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل وانما افرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة
بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظما في سلك الشرط الاول بعطفهما على ما كان للايذان
باستقلالهما بالوقوع في نفس الامر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول
فامر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب
والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل ارايت الاول بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول
ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وارايت
في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه اخبرني من ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على
طريقة سديدة فيما ينهى من عبادة الله او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان
كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله

بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى ارايت
الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل
الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه
قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه وقيل نزلت في امية بن
خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة كلا ردع للناهي اللعين وخسوء له واللام في قوله تعالى
لئن لم ينته موطئة للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لنسفعا بالناصية لنأخذن
بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن
بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد
عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز ابدالها
عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم وشتم و
وصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية
كاذب خاطئ فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون
روي ان ابا جهل مر برسول الله عليه السلام وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار والزبانية
الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب الى الزبن ثم غير كأمسي
واصلها زباني فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم
لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع بعد ردع وزجر اثر زجر لا تطعه اي اثبت على
ما انت عليه من عصيانه واسجد وواظب على سجودك وصلوتك غير مكترث به واقترب
وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كأنما قرأ المفصل كله والله اعلم

سورة القدر

انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته
المغنية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال
العناية وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان علو
قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدري بها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى
ليلة القدر خير من الف شهر فانه بيان اجمالي لشأنها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان
ذلك معرب عن الوعد بادرائها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في
الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزاله كله الى السماء الدنيا كما روي انه

انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله
على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي
وقيل المعنى انزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة
لانا احقر في نفسي من ان ينزل في قرآن ولا يناسب ان يجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء من القرآن
لا للكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في عشره الاواخر في اوتارها واكثر
الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تحريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالي
الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر
حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي انه عليه السلام
ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت
اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد
الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل
اري النبي صلى الله عليه وسلم اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل
مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل
كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا
من ملكهما وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة
وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة
الا تلك الليلة اي تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا باذن
ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره من كل امر اي من اجل
كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان
قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه سلام هي اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها
الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين
حتى مطلع الفجر اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق
وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم او لنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم
فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر والله اعلم

سورة البينة

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب
اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث
بعد انبيائهم والمشركين اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين اي
عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجاز ذلك
الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا و
انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعدما شاع ذلك
من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك
الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم
اي لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى تأتيهم البينة التي كانوا
قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق و
اخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى
واتبعوا ما تتلو الشياطين اي تلت وقوله تعالى رسول بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة
للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول
مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى
يتلو صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار صحفا مطهرة اي منزهة من الباطل لا يأتيه من
بين يديه ولا من خلفه او من ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة
ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضميرها في مطهرة ويجوز ان يكون الصفة
او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق و
الصواب وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ
جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين
الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وتوصيفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته
والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم
فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأي
المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان
كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الرأي
المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة
استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة
الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله

جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا بما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله
وقيل اللام بمعنى ان اي الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي جاعلين
دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة
الى الاسلام ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر
وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي
هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلوة وايتاء الزكوة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة
على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه
قبل مبعثه عليه السلام من انهم لا ينفكون عما هم عليه من دينهم الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا منه حينئذ ويتفقوا
على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب
لانفكاكهم عن دينهم الباطل سببا وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول
الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى يغنيني الله تعالى فيغنيه الله تعالى فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم
تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتمشى على الثبات
والتي على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال المتفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل
فكانه قيل وما اجمعوا على ثباتهم الا بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من
آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما حوره القائل فلا تقابل ان الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا
يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم
فيها انهم يصيرون اليها يوم القيمة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها
الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر و
المعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة و
تظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفي سورة الاعراف خالدين
فيها حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت
عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما
هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اي اولئك البعداء
المذكورون هم شر البرية شر الخليقة اي اعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز
التعليل لخلودهم في النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرئ بالهمزة على الاصل
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة
القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب اولئك المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف

والفضيلة من الايمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد
جزاؤهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار ان اريد
بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها
مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين فيها
ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون
ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ
الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد
على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية
اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها واتيح لهم ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اي ما ذكر من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه
فان الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة
للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلية الخشية
والتحذير من الاغترار بالتربية عن النبي صلعم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزال

اذا زلزلت الارض اي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اي الزلزال المخصوص بها الذي تقتضيه
المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي
لا يقادر قدره او زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في الابنية فعلال
بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس
والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اي ما في جوفها من
الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض في موقع الاضمار لزيادة التقرير او للايماء
الى تبدل الارض غير الارض او لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها وقال الانسان اي كل فرد من
افرادها لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة ما لها زلزلت هذه المرتبة الشديدة
من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهده من الامر الهائل وقد سيرت الجبال
في الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن يؤمن بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن
يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما
ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر اي يوم اذ زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل
دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها
من خير وشر وروي عن النبي عليه السلام انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها وقرئ تنبئ

من الانباء بان ربك اوحى لها اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحدث على
الوجهين ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث
يستعمل بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من
قبورهم الى الموقف للحساب اشتاتا متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه امنين وسود الوجوه
فزعين كما في قوله تعالى فتأتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة و
ذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اي جزاء اعمالهم خيرا كان او شرا وقرئ ليروا بالفتح وقوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا وقرئ يره والذرة النملة
الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء ولما كان المعنى لا تفوته ما يعادلها من خير وشر
اما مشاهدة جزائه فمن الاولى مخصصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر
وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب
يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزاء
ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته
بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روي عن ابن عباس رضي ليس من
مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته
واما الكافر فيرد حسناته تحسرا ويعاقب بسيئاته عن النبي صلعم من قرا سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القرآن كله

سورة العاديات

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب بفعله المحذوف
الواقع حالا منها اي تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو يستلزم الضبح
كانه قيل والضابحات ضبحا او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار
والقدح الصك يقال قدح فاورى اي فالتي تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه
الثلاثة فالمغيرات اسند الاغارة التي هي مباغتة العدو للنهب او القتل او الاسر اليها وهي
حال اهلها ايذانا بانها العمدة في اغارتهم صبحا اي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا
لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل
الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اي فهيجن بذلك الوقت
نقعا اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذي
لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شان التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فاثرن
بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار فوسطن به اي فتوسطن بذلك الوقت
او توسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء والفاءات للدلالة على ترتيب ما بعد كل منها على ما قبلها

كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة
على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اي لكفور من كند
النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بعث الى اناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء
فابطأ عليه عليه السلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم
بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص
خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد
ارجف هؤلاء في حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون في الكفران وانه على ذلك اي وان الانسان على
كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير اي المال كما في قوله تعالى ان
ترك خيرا لشديد اي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له
اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل اي انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل
وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق
حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا
بعثر ما في القبور تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل
ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ افلا يعلم حاله اذا بعث من في القبور من الموتى والمراد بما لكونهم اذ
ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائهما للفاعل وحصل اي جمع
محصلا او ميز خيره من شره وقرئ حصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور من الاسرار
الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين
كني عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل
نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الآية
بعد قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله
كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث
ما في القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير اي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا
كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم
ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابو السمال ان ربهم
بهم يومئذ خبير عن النبي صلعم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة

القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الاولى

رتبتها با فصل القضايا بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون
الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار
والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى
ما القارعة على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة
هو الخبر لا المبتدا ولا ريب في ان مدار افادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة اي اي شيء عجيب
هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل وقوله تعالى وما ادراك ما القارعة
تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى ان عظم شأنها ومدى شدتها
بحيث لا تكاد تناله دراية احد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك هو الخبر ولا سبيل الى العكس
ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في
قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني له والجملة
الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدا الاول اي واي شيء اعلمك ما شأن القارعة ولما
كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث على ان
يوم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين
اي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب
والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه
عليه السلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هي هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه
القارعة اي تقرع يوم يكون الناس الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ وتكون الجبال كالعهن
المنفوش اي كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق اجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به
قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند
حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة
الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض
انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد
البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه الخ بيان اجمالي لتحزب الناس
الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين جمع موزون
وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء او جمع ميزان قال ابن عباس انه ميزان له لسان
وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا
للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره

كثير من المتأخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير
الاعمال التي هي اعراض منقضية وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة
بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة
على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان اي فمن ترجحت مقادير حسناته فهو
في عيشة راضية اي ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعتد بها او ترجحت
سيئاته على حسناته فامه هاوية اي فمأواه هاوية وهي من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها
روي ان اهل النار تهوي فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل منها وعبر عن المأوى
بالام لان اهلها يأوون اليها كما يأوي الولد الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى فام رأسه
هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية
فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء
للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة
في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن النبي صلعم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر

الهاكم التكاثر اي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا
وتعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا
واعز عزيزا واعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء
والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى زرتم المقابر اي حتى اذا استوعبتم عددهم
صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون
المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال
والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فتكون
زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ االهاكم على الاستفهام التقريري كلا ردع وتنبيه على ان
العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون سوء عاقبة
ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول
او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم
الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى
لترون الجحيم جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها
تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية
المشاهدة والمعاينة عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين

ثم لتسألن يومئذ عن النعيم اي عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص
بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو و
الطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان
ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف اية

سورة العصر

والعصر اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى
او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة
ان الانسان لفي خسر اي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس و
التنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس
واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من
صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى وتواصوا بالحق الخ بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى
بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن اثاره وهو الخير
كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر اي عن المعاصي
التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها اداؤها او على ما يبلو الله
عز وجل عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان
الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضي الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله
فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به
ظاهرا وباطنا عن النبي صلعم من قرأ سورة العصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمز

ويل مبتدأ خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر
والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة
على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضري بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم
وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه
كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله عليه السلام
وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب
منه مثل ذنوبهم الذي جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمّع بالتشديد للتكثير

وتنكيره للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى وعدده وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ
وعدده اي جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد
اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام يحسب ان ماله اخلده
اي يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله
ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت
وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحيوة الابدية والنعيم المقيم
فاما المال فليس بمخلد ولا بمخلد وروي ان الاخنس كان له اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف
والجملة مستأنفة او حال من فاعل جمع كلا ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى لينبذن جواب
قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع اي والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة في
الحطمة اي في النار التي شأنها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شأنه كسر اعراض الناس وجمع المال
وقوله تعالى وما ادراك ما الحطمة لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التي تنالها عقول الخلق وقوله تعالى
نار الله خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لشأن المسؤول عنها اي هي نار الله الموقدة بامر الله عز سلطانه
وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه التي تطلع على الافئدة
اي تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما في الجسد واشده تألما
بادنى اذى يمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة انها عليهم
موصدة اي مطبقة من اوصدت الباب واصدته اي اطبقته في عمد ممددة اما حال من الضمير المجرور
في عليهم اي كائنين في عمد ممددة اي موثقين فيها مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدأ مضمر اي هم
في عمد او صفة لموصدة قاله ابو البقاء اي كائنة في عمد ممددة بان توصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب
العمد استيثاقا في استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرئ عمد بضمتين عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عليه السلام واصحابه

سورة الفيل

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه السلام
بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اي الم تعلم علما رصينا متاخما
للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الاثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه
بان يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على
عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذلك من الارهاص
لما روي ان القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتفصيلها ان
ابرهة ابن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد

ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف وقيل معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب و عرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت اناملة واارابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في شانها فلما راه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر لا تكلمني فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا سيحميه ثم رجع واتى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وقرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى الم يجعل كيدهم في تضليل تقرير له بيان اجمالي لما فعل الله بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كانه قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير وارسل عليهم طيرا ابابيل اي جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل ابابيل مثل عبابيد وشماطيط لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة طيرا وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع وتانيثه باعتبار المعنى من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير به الى عن النبي صلعم من قرا سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من الخسف والمسخ والله اعلم

سورة القريش

لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلافهم وقيل تقديره اعجبوا لايلاف وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم امنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفتهم وقيل يقال الفته الفا والافا وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافراده مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن الالباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولا وابداله منه تفخيم لامر وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام وامنهم من خوف عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها والله اعلم

سورة الماعون

ارايت الذي يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارايتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدا والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدع اليتيم دعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد قيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي

وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وفيه الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم اي يتركه ويجفوه ولا يحض
اهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك حث غيره على ذلك كما ذكر فما ظنك
بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله فويل لهم اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كانه
قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم و
التوبيخ فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن اي
يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون اي الزكوة او ما يتعاور عادة فان
عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي
هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك واما لترتيب
الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم للتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح اخر
غير ما ذكر عن النبي صلعم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكوة مؤديا والله اعلم

سورة الكوثر

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين
والرياسة التامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته
احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه
من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب
الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته
تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رض انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن
جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده
واتباعه او علماء امته او القران الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله فصل لربك وانحر لترتيب
ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه الصلوة والسلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطيها احدا
من العالمين مستوجب للمأمور به اي استيجاب اي دم على الصلوة لربك الذي افاض عليك هذه النعمة
الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكره فان
الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج
خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة العيد والتضحية
وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رض استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص ان
شانئك اي مبغضك كائنا من كان هو الابتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر

واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك واثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الاخرة ما لا يندرج تحت البيان
وقيل نزلت في العاص بن وائل وايا ما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلعم من قرأ سورة الكوثر
سقاه الله تعالى من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر والله اعلم

سورة الكافرون

قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله تعالى انه لا يتأتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا
من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد
الهك سنة قال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك
فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون
اي فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى
الحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم
فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم
فيه اي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما
عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين
لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام
وهو عليه الصلوة والسلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما في ما اعبد على من لان المراد هو الوصف
كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم و
لا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل قوله ولا انا عابد ما عبدتم
تاكيد لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى
لكم دينكم تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله ولي دين تقرير
لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول
لي ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني الذي هو التوحيد مقصور
على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لالهتكم او استلامي
اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة
الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا
تقريرا لقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي ولي ديني لا دينكم كما هو قوله ولكم ما كسبتم وقيل المعنى اني نبي
مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك
فتامل عن النبي صلعم من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعافى من

الفزع الاكبر

سورة النصر

افواجا ونصر الله اي اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق
الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء
سائر الفتوح وعلق به امره عليه الصلوة والسلام بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للا
بانهما متوجهان نحوه عليه السلام وانهما على جناح الوصول اليه عليه السلام عن قريب روي انها نزلت
قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما في
حيزها اعني رؤيته دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان
ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب فاقام بها خمس
عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال
اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا
له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ورايت الناس اي
ابصرتهم او علمتهم يدخلون في دين الله اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول
حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرايت وقوله افواجا حال من فاعل يدخلون اي يدخلون فيه
جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه
واحدا واحدا واثنين اثنين روي انه عليه السلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض وعن كل
من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون
على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي تعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد
من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية
فلعله عليه السلام امر بان يداوم على ذلك استعظاما للنعمة لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب
حالة الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا
على نعمه روي انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على ان
صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما
لنفسك واستقصارا لعملك واستغفارا لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى
عن عائشة رضها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب
اليك وعنه عليه السلام اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها النبي صلى الله عليه وسلم
على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك فقال عم
انها لكما تقول لم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال
عليه السلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك لدلالته على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله
اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى
بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضه فقال فديناك بانفسنا واباءنا واولادنا
وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول
اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود رضه ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار لامته
انه كان توابا منذ خلق المكلفين اي مبالغا في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول
عن النبي صلعم من قرا سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

سورة ابي لهب

تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب على الهلاك واسناده
الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع
اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عليه السلام به وتب اي وهلك
كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك و
حصل كقول من قال جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرا وقد
تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه
وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا
ولاشتهاره بها ولكراهة اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرئ ابي لهب
بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اي لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اي شيء اغنى
عنه على انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها ماله واصله وما كسب به من الارباح والنتائج
والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي
هو كيده في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم او عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضه ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول
ابن اخي حقا فانا افتدي نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس
ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت
قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان
الامر كما اخبر به القرآن سيصلى بفتح الياء وقرئ بضمها وبفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتاكيد
الوعيد وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الاخرة نارا ذات لهب اي نار عظيمة
ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن
ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مامورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلي
النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار

الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان بتفاصيل
ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر وامرأته عطف على المستكن في سيصلى
لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك
والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير وقيل
كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة حمالة
الحطب بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها
تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب
على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ بالرفع على انه خبر وامرأته مبتدأ
وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ ومريئته بالتصغير للتحقير في جيدها حبل من مسد جملة من خبر مقدم
ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته
على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل
وقيل من اي ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل او اوبارها والمعنى في عنقها
حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها
وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز
والشرف قال مرة الهمداني كانت ام جميل تأتي كل يوم بابالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي
ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص

قل هو الله احد الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بانه من الشهرة
والنباهة بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي اصله القصد
اطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الرابط لانها عين الشأن
الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه
من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن
مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله
وحد لا الهمزة التي تلازم النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وما في قوله عليه السلام
ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤوس غيركم فانها اصلية وذكر ان اصل احد واحد فابدلت الواو همزة
فاجتمع الفان لان الهمزة شبيهة بالالف فحذفت احديهما تخفيفا وقال ثعلب ان احدا لا يبنى عليه
العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل احد كما يقال رجل واحد ولذلك

ولذلك اختص به تعالى وهو لما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا
صف لنا ربك الذي تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره واحد بدل منه او خبر
ثان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله احد بغير قل وقرئ الله احد بغير قل هو وقرئ قل هو الواحد
وقوله تعالى الله الصمد مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده اي هو السيد المصمود اليه
في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال
وقيل الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار
بان من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة
للاولى بين اولا الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن
شائبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية
لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه في وجودها وبقائها وسائر احوالها
تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام
السابقة فقيل لم يلد تنصيصا على ابطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد
النفي على صيغة الماضي اي لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شيء ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا
كما نطق به قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة
والفناء عليه سبحانه ولم يولد اي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا او لاحقا
والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود
ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضيته الاعتراف بانه لم يولد الاعتراف بانه لا يلد فهو قريب من عطف
لا يستقدمون على لا يستأخرون كما مر تحقيقه ولم يكن له كفوا احد اي لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله
من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفي المكافأة
عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من احد ولعل ذلك وتأخير اسم كان
لمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة
وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على اشتات
المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها ورد في الحديث النبوي انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده
منحصرة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اي ما خلقت الا
لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام انه سمع رجلا
يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل ما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة والله اعلم

سورة الفلق

قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول لان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبي عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتنا بقرع باب الالتجاء اليه تعالى واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب للعائذ في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها من شر ما خلق اي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم ان الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا لاضافة الرب الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى ومن شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اي ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسوق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له لحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى اذا وقب اي دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم والاستنارة بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا في ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه ومن شر النفاثات في العقد اي ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها انه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان عنده اسنان من مشطه عليه الصلوة والسلام

فاعطاها اليهود فسحروه عليه الصلوة والسلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر اريس فمرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليه السلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهي الصخرة التي توضع في اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاؤا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام فكانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله فلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام اما انا فقد عافاني الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضي الله عنها ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا او فعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا يغير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي

سورة الناس

قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ملك الناس عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى اله الناس فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وامره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المخصوصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة من شر

الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة وهي الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد
به الشيطان سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر
الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على النعت
واما الرفع او النصب على الذم من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على انه ضربان جني وانسي
كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن
جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم
ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط اليا كسقوطها في قوله يوم يدع
الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه
شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره
قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد ويا هادي الغواة الى سنن
الرشاد ويا بارئ البرية يا مالك الرقاب عليك توكلي واليك متاب انت المغيث لكل حائر ملهوف
والمجير من كل هائل مخوف الوذ بحرمك المأمون من غوائل ريب المنون والتجئ الى حرزك الحريز
وآوي الى ركنك العزيز واسألك من خزائن برك المخزون ان تكامن بسرك المكنون جريا جرى به قلم
التكوين من امور الدنيا والدين واعوذ بك من فنون الفتن والشرور لا سيما الاطمئنان بدار
الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فاعذني بحمايتك واغنني بعنايتك
وافض علي من شوارق الانوار الربانية وبوارق الاثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية
ويجردني من العلائق الجسمانية وهذب نفسي الآبية من دنس الطبائع والاخلاق ونور قلبي العاصي
بلوامع الاشراق ليستعد للعثور على سرائر الانس ويتهيا للحضور في حظائر القدس وثبتني على
مناهج الحق والهدى وارشدني الى مسالك البر والتقى واجعل اعز مرامي ابتغاء رضاك واسر
اياي يوم القاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرني مع الذين
انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا تم

كتب المؤلف عفا الله تعالى عنه في آخر نسخة الاصل اتفق الفراغ من تسويد هاتيك الاوراق
بتوفيق الله عز سلطانه ليلة الجمعة الاولى من شهر الله الحرام رجب الفرد لعام ثلث وسبعين وثمانمائة
حامدا لله رب العالمين ومصليا على سيدنا محمد صلى الله تعالى
عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين والملائكة
المقربين اجمعين وسلم تسليما كثيرا
والحمد لله وحده